ذخائر العرب
٥١

رسالة الصاهل والشاحج

لأبي العلاء المعري
٣٦٣ : ٤٤٩ هـ

عن نسختين أصيلتين ، بالخزانة الملكية بالرباط

نص محقق
مع مدخل تاريخي وموضوعي

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ
أستاذ الدراسات العليا
بجامعة القرويين : المغرب

الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار المعارف

ذخائر العرب
٥١

رسالة الصاهل والشاحج

لأبي العلاء المعري

٣٦٣ : ٤٤٩ هـ

عن نسختين أصيلتين ، بالخزانة الملكية بالرباط

نصٌّ محقَّق

مع مدخل تاريخي وموضوعي

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ
أستاذ الدراسات العليا
بجامعة القرويين : المغرب

الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار المعارف

رَسَالة الصَّاهِل والشَّاحِج

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم يَسِّرْ وأَعِنْ

الإهداء

إلى الأجيال من العلماء المغاربة ، الذين رابطوا فى الموقع الفكرى بالجبهة المغربية ساهرين على حماية العربية والإسلام وتأصيل علومهما ، والذين حفظوا لنا كنوزاً من ذخائر تراثنا ،

أهدى هذه الرسالة المشرقية التى صانوها من الضياع ، تحية الذكرى والتقدير والوفاء

عائشة عبد الرحمن

الرباط : 1395-1975

الطبعة الثانية : مصر الجديدة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م

ما حول النص :

* مدخل تاريخي
* مدخل موضوعي

مدخل تاريخي :

على مدى خمسٍ سنين ، صحبت أبا العلاء فى هذه الذخيرة النادرة التى كنا ، إلى ماض قريب ، نحسبها قد ضاعت فيما ضاع من ذَخائر تراثنا . ومن عجب أن الدارسين اختلفوا فيما حول هذا الكتاب ، وخُيِّل إلى بعضهم أن المؤرخين وهِموا فيه ، وفى « الخزانة الملكية بالرباط . » نسختان منه أصيلتان موثقتان عاليتا الإسناد ، فكيف بالمغمور من كنوز تراثنا فى كهوف اليمن وسراديب تركيا ، والخزائن المجهولة التى لا ذكر لها فى فهارس المخطوطات العربية ؟ .

وأذكر أننى بعد أن نشرت فى « ذخائر العرب » الطبعة الأُولى من النصّ المحقّق لرسالة الغفران ، عن خمس نسخ خطية بخزائن التيمورية ودار الكتب بالقاهرة وكوبريللى زاده بالآستانة ،عثرتُ فى رحلةٍ لى إلى الصعيد ، على نسخة خطية قديمة من الغفران فى (مكتبة الأَمير فاروق بسوهاج) ،بعنوان : " فى علم الأَدب ، مجهول اسمه واسم المؤلف " : ثم عثرت بعدها على نسخة أُخرى فى جامعة الإسكندرية ، بعنوان :

" كتاب فى الأَدب لعلى بن منصور ، نادر الوجود جدًّا ، رحمه الله "

وذلك ما يُفسح مجالَ العذر عن الجهل بوجود مثل هاتين النسختين ، وإن لَم يُعفِنى من إعادة التحقيق وجهد المقابلة ، للطبعات التالية من « رسالة الغفران » .

لكن نسختَى « الصاهل والشاحج » فى الخزانة الملكية بالرباط ، مسجلتان فى فهارسها تسجيلا دقيقًا صحيحًا ، برقمى : 802، 6146

وكانت إحداهما تكفى لحسم خلافٍ خطير بين عدد من كبار الدارسين ،

يتعلق بشخصيات تاريخية فى عصر الفاطميين ، بمصر والشام .

خلاصة القضية أن مؤرخى أبى العلاء ، ذكروا (كتاب الصاهل والشاحج) فى مصنفاته التى سلمتْ من الضياع . وقال «القفطى ٥٦٨ : ٦٤٦ هـ» فى (إنباه الرواة) :

[يتكلم فيه على لسان فرس وبغل ، مقداره أربعون كراسة . وكتاب لطيف فى تفسيره يُعرف بلسانِ الصاهل والشاحج . وكان الذى عُمِل له هذا الكتاب يدعَى «عزيز الدولة» . وكتابٌ يعرف بالقائف ،على معنى كليلة ودمنة ، أُلفِّت منه أربعةُ أجزاء ، ثم انقطع تأليفُه بموتِ من أمر بعمله ، وهو «عزيز الدولة» المقدم ذكره] .

ونصَّ «ياقوت ٥٧٤ : ٦٢٦ هـ» فى معجم أدبائه ، على أن أبا العلاء صنف هذه الكتب :

[لأبى شجاع فاتك الملقب بعزيز الدولة ، والى حلب للمصريين ، وكان روميًّا] .

وقد ذكروا له أيضًا «كتاب اللامع العزيزى» صنَّفه لعزيز الدولة ثابت ابن ثمال بن صالح بن مرداس. ونبَّه «ابنُ العديم» فى «الإنصاف والتحرى*» على خلْطٍ قديم بين هذين الشخصين ، بسبب اشتراكهما فى لقب «عزيز الدولة» . قال فى الفصل الخاص بمصنفات أبى العلاء :

[وكتاب رسالة الصاهل والشاحج ، يتكلم فيه على لسان فرس وبغل . صنعه للأمير «عزيز الدولة أبى شجاع فاتك الرومى ، مولى منجوتكين العزيزى» . . . وكان - عزيز الدولة - والى حلب من قِبَل المصريين فى أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر . . . مقدارُه أربعون كراسة . وكتاب

* منشور فى كتاب «تعريف القدماء بأبى العلاء» ط دار الكتب المصرية ١٩٤٤

لطيف فى تفسيره ، يعرف بِـ : لسان الصاهل والشاحج ، عمله أيضًا لعزيز الدولة المذكور . مقداره ثمانى عشرة كراسة . وبعضُ الجهال يقول إنه عمله لأَبى الدوام ثابت بن ثمال . . . – وكان يُلقَّب عزيزَ الدولةِ أيضاً – وهو غير صحيح . بل الذى عمله لأَبى الدوام "اللامعُ العزيزى" – والكتاب المعروف بِـ : القائف ، على معنى كليلة ودمنة ، عمله لعزيز الدولة أبى شجاعِ المذكور ، أَلف منه أربعة أَجزاء ، ثم قطع تأْليفَه لموتِ أَبى شجاع ، عزيز الدولة ، فإنه قُتل بقلعة حلب ، سنة ٤١٣ هـ . . . وكتاب " اللامع العزيزى " فى تفسير شعر المتنبى . – ويقال : الثابت العزيزى – عمله للأمير عزيز الدولة أبى الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس . وبعض الناس يغلط ويقول : إنه وضعه لعزيز الدولة أبى شجاع فاتك . وليس الأَمر كذلك . ومقداره مائة وعشرون كراسة] .

(المستشرقون ، وقد سبقونا إلى دراسة أَبى العلاء ، التفتوا إلى كتاب (الصاهل والشاحج) فنقلوا أنه صُنِّف لعزيز الدولة ، والى حلب للمصريين ، الفاطميين ، المقتول سنة ٤١٣ هـ .) 1

وهذاصحيح .

وأُستاذنا «الدكتور طه حسين» ذكر كتابَ (اللامع العزيزى) – وقد أملاه أبو العلاء فى شيخوخته – فرأى تناقضاً بين تاريخ مقتل عزيز الدولة ، فاتك الرومى ، وما عُرف لنا من آثار أَبى العلاء فى شيخوختِه ، ومنها ما يتعلق بعزيز الدولة ، المرداسى .

واضحٌ أن الأُستاذ الدكتور ، فاته ما نبَّه عليه « ابنُ العديم » فيما نقلنا آنفاً من عبارته فى (الإنصاف) من الخطأِ القديم فى الخلط بين «عزيز الدولة الرومى والى المصريين على حلب» وله صنف أبو العلاء – قبل

الشيخوخة ــ رسالة الصاهل والشاحج ، واللسان ، والقائف .

و «عزيز الدولة المرداسى» الذى صنف له أبو العلاء فى شيخوخته : (اللامع العزيزى) .

ولكن الأُستاذ الدكتور ذهب بعيدًا فيما يتجاوز هذا الالتباس القديم ، فأَنكر أَنَ يكون التاريخُ عرف والياً للمصريين على حلب ، باسم عزيز الدولة ! قال فى (تجديد ذكرى أَبى العلاء) ص٦٢ من الطبعة السابعة » :

[بقيت مسأَلة لا بد من الإشارة إليها ، وهى تناقضُ بين التاريخ وبين ما عُرف من آثار أَبى العلاء : إنا نجدُ من رسائله رسالة يعتذر فيها من منادمة عزيز الدولة بحلب . ونجد فى ثَبَتِ كتبه كتاباً سماه (اللامع العزيزى) ونسبه إلى عزيز الدولة ، فمن عزيز الدولة هذا ، مع أَنا لم نر هذا الاسمَ بين الذين ملكوا حلب أَيام أَبى العلاء ؟ ! .

[فأَما الأُستاذ مرجليوث ، والمستشرق سلامون والكاتب الإنكليزى نيكلسون ، فلم يحلوا شيئاً من هذا . بل زعموا أَن عزيز الدولة عاملُ المصريين على حلب . وفى هذا إسراف من وجهين :

أَحدهما : أَن المصريين لم يستعملوا على حلب رجلا يعرف بعزيز الدولة ، وإنما استعملوا رجلا يعرف بعزيز الملك ، فى أَيام الحاكم . ولا يمكن أَن يكون هو الذى تناولتْه رسائلُ أَبى العلاء ، لأَن أَبا العلاء يعتذر من خدمته بالشيخوخة والهرم . ومن الواضح أَنه لم يكن شيخاً ولا هرماً فى أَيام عزيز الملك ، لأَنه قتل سنة إحدى عشرة وأَربعمائة [1] .

(١) الذى قتل فى سنة ٤١١ هـ ، هو « الحاكم بأمر الله الفاطمى » وليس والى حلب للمصريين ، بإجماع المصادر التاريخية .

إنما كان أبو العلاء هرماً أيام «معز الدولة» الذى ملك حلبَ من سنة ٤٣٤ :٤٤٩ هـ ، أى السنة التى مات فيها أبو العلاء.

الثانى : أن التاريخَ لم يُسمِّ هذا الرجل عزيزَ الدولة ، وإنما سماه معزّ الدولة . فلم يكن بدٌّ من تحقيق هذا الاسم . أما نحن فما كدنا نشك فى أن «ثمال بن صالح» لُقب بعزيز الدولة لا معزّها ، وأن المؤرخين قد حُرِّف عليهم هذا اللفظُ فسموه المعزَّ . . . لولا أن ثَبَتَ الكتبِ التى ألفها أبو العلاءِ نفسه ، يعيِّن لنا عزيزَ الدولة تعييناً لا يحتمل الشكَّ فينص على أنه نائب معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس] . ا هـ .

وتعقدت القضية ، من حيث ظن الأُستاذ الدكتور أنه حلَّ عقدتَها .

أما «عزيز الملك» فنفهم وجهَ الشبهةِ فيه ،حيث يذكره بهذا الاسم ابن الأثير وأبو الفدا وابن الوردى. ويأْتى باسم «عزيز الدولة» فى : تاريخ حلب ، والإنصاف لابن العديم ، وَمسالك الأبصار للعمرى ، وتاريخ ابن القلانسى ، ومعجم ياقوت ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وإنباء القفطى ، وبغية السيوطى ...

والأَمرُ فى تسمية «عزيز الدولة» بعزيز الملك ، يبدو لنا قريباً ويسيرًا ، ما كنا لنقفَ عنده لولا أن الأُستاذ الدكتور جحد وجودَ شخص عزيز الدولة .

أقول : فى «تاريخ حلب» (٢١٧/١) بعد ذكر وصول «أمير الأُمراء عزيز الدولة وتاج الملّة ، فاتك أبى شجاع» إلى حلب والياً عليها للحاكم بأَمر الله ، نقل . «ابنُ العديم» من مدحةٍ لشاعر عزيزِ الدولة «القائد أبى الخير ابن سعيد العزيزى» :

ابقَ للمعروف والأدبِ آمناً من صولةِ النُّوَبِ
يا عزيز الدولة الملِكَ ال منتضى للمجدِ والحسَب !
كيف يخشى الدينُ حادثةً وعزيز الدين فى حلب ؟

فذكر : الملِك ، عزيز الدولة ، ثم سماه أيضاً : عزيز الدين .

وأما احتمال تحريف عزيز الدولة بمعز الدولة ، فلا ندرى ما وجهه : إن كان «عزيزَ الدولة أبا شجاع الرومى» فلا سبيل إلى تحريفِهِ بمعز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس . وإن كان عزيز الدولة المرداسى ، فهو ابنُ معزِّ الدولة ، بإجماع المصادر التاريخية !

وكل مؤرخى أبى العلاء ، مجمعون على أنه صنف –(اللامعَ العزيزى) لعزيز الدولة ثابت بن معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس . ومن ثم قيل للكتاب : (الثابت العزيزى) . ولم يكن – فيما أجمع المؤرخون – نائباً لأبيه معز الدولة ثمال ، وإنما كان على معرة النعمان وحماة وكفر طاب ، من قِبَلِ عَمِّه «عطية بن صالح بن مرداس» الذى ملك حلب سنة ٤٥٤ هـ ، وظل ثابت نائباً لعمِّه عطية ، إلى النصف من جمادى الأُولى سنة ٤٥٦ هـ ، كما فى «تاريخ حلب» (٢٩٣/١) .

والأُستاذ «عبد العزيز الميمنى» فى كتابه «أبو العلاء وما إليه» تحرى اسمَ الشخص الذى صنَّف له أبو العلاء (الصاهلَ والشاحج) فصحَّ عنده أنه : «عزيز الدولة فاتك أبو شجاع ، وكان روميًّا كما فى الإنصاف ومعجم ياقوت . أما (اللامع العزيزى) فمنسوب إلى : عزيز الدولة ابن ثابت بن ثمال بن صالح» .

والذى فى (تاريخ حلب) : عزيز الدولة ثابت ،لا : ابن ثابت !

ثم فى سنة ١٩٦٢ ، نشر مجمع دمشق كتاب (الجامع فى أخبار أبى العلاء وآثاره) للأُستاذ «محمد سليم الجندى » ، وقد حاول تحقيقَ هذه القضية ، وقابل مختلف المرويات فيها ، وانتهى إلى مثل ما فى إنصاف ابن العديم ومعجم ياقوت وإنباه القفطى : عزيز الدولة فاتك ، مولى منجوتكين العزيزى ، ووالى حلب للمصريين ، هو الذى صنَّف له أبو العلاء كتاب الصاهل والشاحج ، ولسانه ، والقائف.

وأبو الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس لقب عزيز الدولة أيضاً ، ألف له أبو العلاء كتاب (اللامع العزيزى) ، ويقال له : (الثابت العزيزى) .

لكن الأُستاذ الجندى ، استطرد معلقاً :[وأبو ثمال يقال له معز الدولة . وقد كتب له أبو العلاء "رسالة الضبعين" . ومما ذكرناه يتبين لك ما فى كلام الأُستاذين طه حسين والميمنى من وَهَم[1] .

والذى فى مصادرنا : معز الدولة ثمال ،لا أبو ثمال !

والفرق بينهما بعيد . . .

* * *

وتظهر (رسالة الصاهل والشاحج) فتخرجنا من هذه المتاهة ، وتحسم القضية وتنفى ما شابها من خلط والتباس .

من مستهلِّ الرسالة ، يعين «أبو العلاء» مَن وجهها إليه . لم يذكره باسمِه

---

(١) محمد سليم الجندى : الجامع ١/٧٥ ط مجمع دمشق .

إلا مرةً واحدة ، لكنه ذكره بألقاب : «عزيز الدولة وتاج الملّة ، أمير الأمراء» وكرر ذكرَه بهذه الألقاب ، نحو سبعين مرة . وهى ألقابٌ لم يشاركْه فيها عزيزُ دولةٍ آخر ، فضلا عن مُعِزِّ دولة .

فى (تاريخ حلب) أحداث سنة ٤٠٧ هـ ، أن الحاكم بأمر الله الفاطمى :

[خلع على الأمير ، عزيز الدولة أبى شجاع فاتك، فى جمادى الأولى سنة ٤٠٧ هـ . وحمله على عدةٍ من الخيل بسروج محلاةٍ بذهب . . . وقلده سيفاً ومَنْطَقَه بمنطقة . وسيَّره إلى حلب فى رمضان . . . وكان عزيز الدولة غلاماً أرمنيًّا لمنجوتكين – العزيزى ، مولى العزيز صاحب مصر ، وكان منجوتكين شديد الشغف به – أديباً عاقلا كريماً كبير الهمة . فولاه الحاكم حلب وأعمالها . ولقبه : أمير الأمراء عزيز الدولة وتاج الملة . ودخل حلب يوم الأحد ثانى رمضان من سنة ٤٠٧ هـ . وكان محبًّا للأدبِ والشعر . وصنف له أبو العلاءِ رسالة الصاهل والشاحج ، وكتابَ القائف] .

وفى (رسالة الصاهل والشاحج) ما ينفى كذلك ، بصريح النصِّ ، أن تكون موجهة إلى عزيز الدولة ثابت بن ثمال ، أو إلى أبيه معز الدولة ثمال ابن صالح بن مرداس . وذلك حيث يقول أبو العلاءِ ، على لسان الثعلب فيما ينقل من أخبارِ جَفْلةِ الناس فى حلبَ ، لما سمعوا من خروج ملك الروم لغزوها :

" وقد حَمَلَ السيدَ عزيز الدولة . . . أعز الله نصره ، رغبتُه فى إيناس الرعية ، أنْ كلَّف «أسدَ الدولة» أدام الله تمكينه ، أن يحمل إلى حلب حرسها الله ، والدتَه «الرباب» إيثارًا لسكون الأنفس ، وإعلاماً للسوادِ

الأعظم بالتئام الكلمة والتضافر على صد الأعداء" .

وفى (أحداث سنة ٤٠٨ هـ ، من تاريخ حلب) قال ابنُ العديم :

[وكلّف عزيزُ الدولة « أسدَ الدولةِ صالحَ بن مرداس » أن يحمل والدته إلى حلب ، لتسكن الأنفسُ ويعلم العوام التئامَ الكلمة والتضافرَ على صدِّ الأعداءِ . ففعل ذلك فى سنة ٤٠٨ هـ] .

وفى سياق التفاؤل بهزيمة الروم ، قال أبو العلاءِ على لسان أبى الحصين ، يخاطب الشاحج :

" والحمد لله الذى جعل « السيدَ عزيزَ الدولة » يصرف على اختيار شخص « أسد الدولة » أدام الله تمكينه » . . . فما ظنُّكَ بشيخ كبير – باسيل ملك الروم – قُدَّامَه أسدُ الدولة فى آلافِ أسودٍ من عامر بن صعصعة وحلفائهم؟ " .

وأسدُ الدولة ، صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد الكلابى . وبنو كلاب ،من بنى عامر بن صعصعة (جمهرة أنساب العرب :٢٧٠ ذخائر) .

وصريحُ نصِّ أبى العلاءِ ، ينفى قطعاً أن تكون الرسالةُ موجهةً إلى عزيز الدولة ، حفيد أسد الدولة صالح بن مرداس ، أو إلى معز الدولة ، ابن صالح بن مرداس ، من حيث لا يتلقى أسدُ الدولة تكليفاً من حفيدِه أو ابنه ، بنقلِ أمِّه الربابِ إلى « حلب » أو أن يكون قائدًا تحت إمرة ابنِه أو حفيده . . .

* * *

شخصية تاريخية أُخرى ، من ولاة حلبَ للفاطميين ، اضطربتْ فيها المرويات فكثرت الأوهام ، وأعنى « سندَ الدولة » الذى صنَّف له أبو العلاءِ (الرسالة السنَدية) .

فقد ذكر «ابن العديم» فى (الإنصاف والتحرى) أنه [كتبها إلى سند الدولة ، ابن ثعبان الكتامى ، والى حلبَ من قِبَل المصريين] .

وكذلك جاء اسمه «ابن ثعبان» - بالثاء - فى تاريخ حلب ، وكامل ابن الأثير ، ومختصر أبى الفدا .

الأستاذ الدكتور طه حسين ، قابل روايتهم على (تاريخ ابن خلدون) ، فلفتَ إلى خلافٍ :

[قال ابنُ خلدون : وولَّى العبيديون على حلب - سنة ٤١٣ هـ - «عبدَ الله ابن على بن جعفر الكتامى ، وهو المعروف بابن شعبان» فأما أبو الفداء وابن الأثير فلم يسمياه ، ولكنهما عرفاه إلى الناسِ بابنِ ثعبان ، بالثاء موضع الشين] [1] .

بعده ، قال الأستاذ الجندى فى (الجامع ١/ ٧٦) ، تعليقاً على ما جاء فى مصنفات أبى العلاء من تأليفه (الرسالةَ السندية) لسند الدولة ، ابن ثعبان :

[هكذا ذكره ابن الأثير وأبو الفدا وابن الوردى ، وقال ابن خلدون : «عبد الله بن على بن جعفر الكتامى ، وهو المعروف بابن شعبان» ولعلهم - ابن الأثير وأبا الفدا وابن الوردى - حرَّفوا شعبانَ بثعبان ، لأن أعماله كانت أعمالَ ابنِ ثعبان . وسيأتى أن أبا العلاء كتب الرسالة السندية إلى «سند الدولة ، ابن شعبان الكتامى» الذى جُعِل والياً على حلب سنة ٤١٤ هـ ، من قِبَل المصريين] .

هنا أيضاً خلطٌ بين شخصين من بنى كُتَامَةَ ، وليا حلبَ للظاهر الفاطمى بعد مقتل عزيز الدولة فاتك الرومى سنة ٤١٣ هـ :

«صفى الدولة ، أبو عبد الله محمد بن على بن جعفر بن فلاح الكُتامى»

(١) تجديد ذكرى أبى العلاء : ٥٨

ولاه الظاهر حلب سنة ٤١٣ ، باستثناء القلعة . وهو الذى نقل الأُستاذان اسمه من (تاريخ ابن خلدون) .

و «سند الدولة ، أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى» ولاه الظاهر حلبَ فى شهر المحرم من سنة ٤١٤ هـ . بعد عزلِ صفىِّ الدولة .

كتب مؤرخ حلب «ابنُ العديم» فى تاريخها ، بعد مقتل عزيز الدولة :

[وكان صفىُّ الدولة ، أبو عبد الله محمد ابن وزير الوزراء أبى الحسن على بن جعفر بن فلاح الكتامى ، تسلم قلعةَ حلب لعزيز الدولة – وصفىُّ الدولة شاعرٌ ، وأبوه «على» وزَر للحاكم ، وجدُّه «جعفر بن فلاح» أحد قواد المصريين – فلما قُتل عزيزُ الدولة ، وَلىَ «صفىُّ الدولة» حلبَ . ووُلِّيت القلعةُ يُمنَ الدولة سعادة الخادم ، المعروف بالقلانسى ، من أفاضل المسلمين ، فيه الدينُ والعلم . وجعل «الظاهر» فى المدينة والياً – صفى الدولة الكتامى – وفى القلعةِ والياً – يمنَ الدولة القلانسى – خوفاً من أن يبدوَ من والى حلبَ ، ما بدا من عزيز الدولة . . وعُزِل صفىُّ الدولة – ابن على بن جعفر بن فلاح الكتامى – فى المحرم سنة ٤١٤ هـ . ووَلِىَ حلبَ «الأَميرُ سند الدولة أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى» وكان وأهلُه من وجوه كتامة . وكان – قبل ذلك – والياً بحِصْنِ أفامية ، وهو الذى كتب له أبو العلاء بن سليمان (الرسالة السندية) . . .

[وتوفى سندُ الدولة بمرضٍ ناله بحلب ، يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الآخر سنة ٤١٥ هـ] .

ومع الفصل بين شخصيتى الواليين : صفى الدولة ، ابن على بن جعفر

ابن فلاح الكتامى ، وسند الدولة الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى ،

تبقى شبهةُ تحريفِ ابن شعبان ، بابن ثعبان ، فى انتظار ظهور (رسالة الصاهل والشاحج) لتقطع فى الأمرِ بيقينٍ ؛ وتَنْفى كلَّ وهم أو شُبهة .

بنصٍّ صريح من الحوار بين الثعلب والشاحج ، فى توقُّع هزيمةِ الروم لو حاولوا اقتحام «حصن أفامية » :

"وفيه - الحصن - سندُ الدولة ، وهو ابنُ ثعبان . والثعبانُ الحيَّةُ العظيمة . وقيل هو الذكَر منها. وما ابنُ ثعبانٍ إلا ثعبانٌ كأبيه . والعربُ تضرب المثلَ للرجلِ الشجاع الحازم بالحيَّة . قال «خداش بن زهير » :

فإن يك أَوْسٌ حيةً مستميتة فدعْ عنك أَوْساً ، إنَّ رُقْيَتَه معى

ويقولون : حَيَّةُ ذكَر ، وحيَّةُ الوادى ، والحية الجبلية . و «سند الدولة » أدام اللهُ تمكينَه ، من حَيَّاتِ الجبال . قال «النابغة » - يرثى النعمان - :

ماذا رُزِئنا به من حيَّةٍ ذكَرٍ نضناضةٍ فى الرزايا ، صِلٍّ أصلال

وقال آخر :

إذا رأيت بوادٍ حيَّةً ذَكَرًا فاذهبْ ودعْنى أمارسْ حيَّةَ الوادى

وقال آخر :

فما تزدرى من حَيَّةٍ جبلية سُكاتٍ إذا ما عَضَّ ليس بأَدردا"

* * *

وشُغل مؤرخو المرحلةِ بشخص «بسيلَ ، ملكِ الروم » الذى كان يجهد الشامَ بغزواته الصليبية . وذكر «ابن خلدون» فى (تاريخه ٥٣٣ ط أرسلان) أنه مات فى سنة ٤١٠ هـ ، بعد سبعين سنة من ملكه .

وأبو العلاء ، وهو شاهدُ عصره ، يُصَحِّح وهماً .أو تحريفاً يتعلق بوفاةِ

بسيل – بن أرمانوس – إذ يأتي بأخبارِ تأهبه لغزو حلبَ فيقول في الحوار بين الثعلب والشاحج ، على وجه التحدى لأراجيفِ الروم ، وقدرةِ أهل حلبَ على مواجهتها بالإعلام : " أن السيد عزيز الدولة ، أعز الله نصره ، قد راسل أمير المؤمنين « الظاهرَ لإعزاز دين الله » بأن يأمرَ الحفَدةَ والأعوانَ والعلماء بالهندسة ومجارى المياه ، أن يصرفوا البحر عن مدينتهم قسطنطينية إلى جهةٍ أخرى ، حتى ينضب ما بينها وبين بلاد المسلمين من ماء البحر . . "

والظاهر لإعزازِ دينِ الله ، لم يلِ الحُكم إلا بعد مقتل أبيه الحاكم بأمر الله ابنِ العزيز بالله ، في شوال سنة ٤١١ هـ . بإجماع المصادر التاريخية ، فكيف يراسله عزيزُ الدولة في غزو بسيلَ لحلبَ إذا كان بسيلُ قد مات سنة ٤١٠ هـ ، كما جاء في (تاريخ ابن خلدون) وتابَعه عليه عدد من الدارسين ؟ .

* * *

وأخرى مما وهم فيه الدارسون ، بسبب غياب النصوص :

مؤرخو أبي العلاء ، ذكروا له : كتاب الصاهل والشاحج ، صنفه لعزيزِ الدولة أبي شجاع فاتك الرومى .

والعبارة موهمة ، من حيث يتجه بها الفهم إلى أن « أبا العلاء » تطوع من تلقاء نفسه ، بتصنيفِ كتابِه لوالى حلب ، على سبيلِ الإهداء والتكريم ، كما يفعل كثيرٌ من المؤلفين حين يخرجون كتبَهم مهداةً إلى الحكام وكبارِ الرؤساء والأعيان .

أو على وجهِ التقرُّب والتقيةِ والمداراة ، كما ذهب الأستاذ الدكتور طه حسين ، فقال في ختام (ذكرى أبي العلاء ، وتجديدها) يعلِلُ لسلامةِ

« الفيلسوف الفذ الذى خالف جمهور المسلمين وعارض القرآن؟ ! » من الأذى حتى مات :

[على أن أبا العلاء كان يدفع الحكامَ عنه بكتُبٍ فى اللغة يُعَنْوِنها بأسمائهم، فيتخذ له بذلك منهم أصدقاء. ولم يَقْصُرْ هذا على حُكّام المرداسية، بل فعله مع «الدُّزْبَرى» فألّف له كتاباً خاصًّا، وهو نائب الفاطميين الذين يكرههم أبو العلاء. لذلك سلم من الأذاة الدينية (؟!) فى القرن الحادى عشر للميلاد، مع أن أمثالَه من الفلاسفة الفرنج كانوا يُقتلون ويُعذبون فى القرن السادسَ عشرَ فى أوربا. وهذا ما دَعَا – المستشرق – سلامون، إلى العجب الكثير[1]].

و «الدزبرى» هو القائد التركى، أنوشتكين أمير الجيوش، استرد حلب من شبل الدولة بن صالح بن مرداس سنة ٤٢٩ هـ، فولاه المستنصر الفاطمى إمارة حلب. وله صنّف أبو العلاء كتاب (شرف السيف).

وعزيز الدولة، فاتك الرومى، كان مثل الدزبرى: والى الفاطميين الذين يكرههم أبو العلاء – فيما قال الأستاذ العميد – وله صنّف كتاب (الصاهل والشاحج) ولم يفسر لنا الأستاذ، كيف سلمتْ الآثارُ العلائية التى تعلق بها من تعلقوا فى اتهام عقيدةِ أبى العلاءِ، ومنطقُ الحماية من

---

(١) ص ٢٨٨ من (تجديد الذكرى) فى الطبعة السابعة. ولاحظ أن الأستاذ الدكتور ألف الكتاب قبل سنين من ظهور «الفصول والغايات» المقول بأنها محاكاة علائية للقرآن الكريم، لنستيقن بعد قراءتها فيما نَشر من نصها المحقق، أنها تأملات وجدانية وأمال أدبية، ومناجاة صوفية فى تمجيد الله تعالى والمواعظ.

وقابل مافى (ذكرى أبى العلاء) وتجديدها، عن عقيدة أبى العلاء، على مبحث (خصومة واتّهام) من كتابى (مع أبى العلاء فى رحلة حياته) طبع دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٧٢.

ومبحث (الغفران والعقيدة الإسلامية) من كتابى (قراءة جديدة لرسالة الغفران) ط معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠.

الأصدقاءِ الحكام ، يقتضى أن تسقط عنها الحمايةُ بمصرع الدزبرى وعزيز الدولة ! ؟ بل كيف نجت (الفصول والغايات ، ورسالة الغفران ، واللزوميات) من غضبة الأجيال من المسلمين ، بعد سقوط دولتَى العبيديين والمرداسيين اللتين عَنْوَن كُتُبَه بأسماء أمراء وحكام منهما ، على ما شهد به الواقع التاريخى من محنةِ الكتب مع تغيُّر الدول الحاكمة[1] ؟

وليس فى كتبِ القدامى عن سبب تصنيف (الصاهل والشاحج) سوى إشارةٍ سريعة فى « الإنصاف والتحرى » لابن العديم :

[وكان السبب فى تصنيفه أنه رُفِعَ إلى فاتكٍ أن حقًّا يجبُ على بعضِ أقرباء أبى العلاء ، وجَبَ على أبى العلاء سؤالُه فيه] .

ولم تكن هذه الإشارة الغامضة ، بحيث تلقى ضوءًا على موقف أبى العلاء .

وإنما يتحرر فهمُنا لموقفِه ، بقراءةِ نصِّ (الصاهل والشاحج) فندرك أن الكتابَ رسالةٌ وجهها أبو العلاء إلى « عزيز الدولة فاتك » ، لا على سبيل التطوع والإهداء كما فهمنا ، ولا على وجه التزلف والتقية والمداراة كما ذهب الأستاذ الدكتور طه حسين ، بل أملاها تحت ضغط إلحاح من أبناء أخيه ، لكى يرفع مظلمتهم إلى والى حلب : « السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء ، أعز الله نصره » . وهى تتعلق بأرض لهم قاحلة ، رَفع الجباةُ إلى العزيزِ أن عليها مالا ينبغى أن يؤدوه إلى بيتِ المال .

---

(١) يأتى فيما يلى من : توثيق النص ، أن هذه الكتب وصلت إلى الأندلس والمغرب ، فيما وصل من المصنفات العلائية ، وأنها كانت مقروءة هناك ينزلها القوم منزلة التقدير والإكبار ، على ما هو معروف وثابت بشهادة التاريخ ، من تشددهم فى كل ما يمس العقيدة الدينية ، وصرامتهم فى الرقابة عليها . ولم تكن ديارهم بحال ما ، مجالا لأى نفوذ من « الحكام الأصدقاء » الذين بسطوا عليها حمايتهم ، من الأمراء الفاطميين والمرداسيين المقول بأن أبا العلاء صانعهم ، « فعنون كتبه بأسمائهم ، فسلم ، وسلمت من الأذاة الدينية » فتأمل !

وصرح أبو العلاء فى ديباجة الرسالة ، يخاطب «السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء، أعز الله نصره» - التكرار من أبى العلاء ! - بأنه تحرَّج من مكاتبته فى هذا الموضوع الهيِّن، وسأل بنى أخيه أن يُعفوه من تجشُّم عناء هذا الحرج. لكنهم ما زالوا به حتى استجاب لهم، وفاءً بما يجب لهم عليه من حقٍّ القربى والرحم، واستحياء من تفانيهم فى خدمتِه ورعايته .

* * *

متى أملى هذه الرسالة ؟ .

اكتفى مورخوه بما نصُّوا عليه من تصنيفها «لعزيز الدولة فاتك، والى حلب للمصريين فى أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر»، فتكون الرسالة قد أمليت فيما بين ولايته للحاكم أعمالَ حلبَ فى سنة ٤٠٧هـ، ومقتله بقلعتها فى سنة ٤١٣ هـ، أيامَ الظاهر .

وهى فترةٌ زمنية طويلة ، شهدت أحداثاً ذات بال فى تاريخ مصر والشام ، وتطوراً خطيرًا فى علاقة عزيز الدولة بالفاطميين والروم .

قال «ابن الأثير» فى «الكامل» (٨٩/٩) فى سياق الحديث عن العزيز الذى قدَّمه الحاكمُ بأمر الله ، واصطنعه وولاه حلب :

[فلما قُتِل الحاكمُ وولىَ الظاهر ، عَصِىَ عليه . فوضعت «ست الملك، أخت الحاكم» -بنت العزيز بالله الفاطمى وعمة الظاهر- فَرَّاشاً له على قتلهِ، فقتله] .

وفى «النجوم الزاهرة» (١٩٤/٤) :

[وكان على حلبَ عند هلاك الحاكم - سنة ٤١١ هـ - عزيز الدولة

فاتك . . قد عظُم أمرُه وحدثته نفسُه بالعصيان : فلاطفته سِتُّ الملك – عمة الظاهر – وبعثت إليه بالخلَع والخيل ... ثم أفسدتْ عليه غلامَه بدرًا ، وكان مالكَ أمرِه . وكان لفاتكٍ غلامٌ هندى يهواه ، فاستغواه بدرٌ حتى قتل فاتكاً – عزيزَ الدولة] .

وفى (تاريخ حلب) مزيدُ تفصيل لما شهدتْ حلبُ من أحداثٍ فى تلك الأزمة الحرجة ، يتعلقُ منها بعزيزِ الدولة فاتك ، ما أنقله بنصِّ كلام « ابن العديم » مؤرخ حلب :

[ثم إن عزيزَ الدولة – فاتك مولى منجوتكين العزيزى – تغيَّر عليه الحاكمُ بأمر الله الفاطمى ، فعصِىَ عليه وضربَ الدينارَ والدرهمَ باسمه بحلبَ ، ودعا لنفسِه على المنبر . فأرسل إليه – الحاكم – الجيوشَ وأمرها أن تتجهز إليه فى سنة إحدى عشرةَ وأربعمائة . فلما بلغ عزيزَ الدولة ذلك ، أرسل إلى « باسيل ، ملك الروم » يستدعيه ليُسَلِّم إليه حلب ! فخرج باسيل الملكُ ، فلما بلغ موضعاً يعرف بمرج الديباج[1] بلغ عزيزَ الدولة مقتلُ الحاكم ، فأرسل إلى باسيلَ يُعلِمُه أنه قد انتقض ما كان بينهما من الشرط ، وأنه إن ظهر ، كان هو وبنو كلاب – عصبة أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابى العامرى – حرباً له . فعدل « باسيلُ » إلى منازكرد ، فأخذها من الخرَز[2]

وكان الناس قد أجفلوا مِن خروج ملكِ الروم إلى حلب . فكانت هذه الجفلةُ تسمى « جفلةَ عزيز الدولة » لأنها بسببه . . .

ولما اطمأن بموتِ الحاكم ، ووصلته من الظاهرِ الخِلَعُ من مصرَ ، دخل عليه – بتدبير ستِّ الملك – غلامٌ له يدعى « تيزون » وكان هنديًّا . . .

---

(١) انظره فى (بلدان ياقوت) ٤/٤٨٨ .
(٢) منازكرد : بلد مشهور بين أرمينية والروم يعد فى أرمينية ، وأهله أرمن و روم (ياقوت)

فى أول الليل – وهو نائم فى المركز بالقلعة ، وفى يدِه سيف مجرد مستور فى كُمِّه ، ليقتلَه . فوجد صبيًّا من رفقته ، حرَّك لما رآه مولاه ليوقظَه . فبادر الهندىُّ وضرب عزيزَ الدولة فقتله ، وثنَّى بالصبى ، وذلك لأربع ليالٍ خلت من ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . ورثاه شاعره «المفضل – أبو الخير بن سعيد العزيزى» ، فقال :

لحِمَامِه المقضِىِّ رَبَّى عَبْـدَه ولِمَنْحَرِه المَفرِىِّ حَدَّ حسامَه] ٢١٨/١

فى مثل تلك الظروف ، نحتاج إلى أن نعرف على وجه التحديد ، متى صنف له أبو العلاء (رسالة الصاهل والشاحج) ، إذ يختلف الموقفُ بين أن يكونَ قد أرسلها إليه وهو فى خدمة الدولة الفاطمية ، يحمى ثغورَ الشام من الغزو الصليبى ، وأن يكون أرسلها إليه بعد أن تمرد على الحاكم ، وبدأت المكاتبةُ بينه وبين ملكِ الروم فى تسليم حلب .

وإذا كان مترجمو أبى العلاء قد تركوا المجال الزمنى للرسالة متسعاً لسبع سنين : من رمضان سنة ٤٠٧ هـ ، إلى ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ ، فإن «أبا العلاء» على العهدِ به لم يتركها مجهولةَ الميلاد ، بل أخرجها كما أخرج سائرَ آثاره ، تحملُ شارةَ ميلادها ، إن لم يكن تحديدًا ، فعلى وجه التقريب .

ففيما حمل الثعلب إلى الشاحج من الشائعات التى تروج فى حلبَ عن غزو الروم :

"وزعم المرجِفون من أهل مِلَّة الطاغيةِ – بسيل – أنه قد أمر قوماً من أهل عمله ، بحفرْ أماكنَ فى بلده ، ظنَّ المرجفون أن حفرها يكون قوةً لزيادة الماء فى «قويق» " نهر حلب .

ويراها «أبو العلاء» من باطل الأراجيف ، مما يشبه فى مصطلحنا الحديث : حربَ الإعلام . ويعلق عليها بأن المسلمين قادرون على مواجهة هذه الحملةِ من الأعداء بمثلها أو أضعافها :

كأن يقولوا : " إن السيد عزيز الدولة ، قد راسل أميرَ المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله ، بأن يأمُرَ الحفدة والأعوان والعلماء بالهندسة ومجارى المياه ، أن يصرفوا البحرَ عن مدينتهم قسطنطينية ، إلى جهةٍ أخرى حتى ينضب ما بينها وبين بلاد المسلمين من ماء البحر . . . ويمكن الجيوش المنصورةَ أن تسلكَه لفتح مدينتِهم التى بها دارُ المملكة ، فما حجزهم عن ذلك بصدر الإسلام إلا البحر . . . "

وذلك النص قاطع الدلالة على أن (رسالة الصاهل والشاحج) كانت تملى بعد ولاية الظاهرِ لإعزاز دين الله - فى شوال من سنة ٤١١ هـ - وقد قتل عزيز الدولة بعد ذلك بعام وبعضِ عام ، فلا يكاد تاريخُ إملاء الرسالة يتجاوزمابين أواخرِسنة ٤١١ و سنة ٤١٢ هـ. فى الفترة التى شهدت تظاهُرَ مصر بالرضى عن «عزيزِ الدولة» الذى كان قد فاوض بسيلَ ملكِ الروم ، على تسليم حلب إليه ، عند ما أحس بتغير «الحاكم بأمر الله» عليه . وخرج بسيل فعلا فى طريقه إلى حلب ، لولا أن قُتل الحاكم . وتراجع عزيزُ الدولة عما كان قد تواطأ عليه من تسليم حلب إلى ملك الروم ، وقيل إنه كتب إليه يعلمه برجوعه عما كان بينهما من اتفاق . وينذره إن هو هجم على حلب ، ليحاربَنَّه دونَها .

* * *

ونفهم من الحوار بين الشاحج والصاهل ، ثم بينه وبين الثعلب ، أن العلاقة بين مصرَ وحلبَ طيبة . وأن عزيزَ الدولة يتهيأ لصدٍّ غزو الروم . لكن الحوارَ فى الثلثِ الأخير من الرسالة . يدور كلُّه حول جَفْلةِ الناس من شائعة غزوٍ متوقع ، ثم عودة الجالين بعد صفاء الجوِّ بين حلب ومصر . وفيه ينقل أبو العلاء بلباقة . أخبارًا عن مفاوضات وهدايا بين عزيز الدولة وملك الروم ، وعشراتٍ من غلمانِ الروم جاءُوا إلى حضرة عزيز الدولة هديةً من الطاغية ، فهل كان تراجعُ عزيز الدولة عن التواطؤ مع الروم ، غيرَ مُخلِص ؟ البلدةُ مشحونة بالشكوك والأقاويل ، وشاهدُ العصر «أبو العلاء» مشغولٌ بما يَرُجُّ بلدَه من "هذه الفتنة" ساهر فى مرصَدِه بمعرة النعمان ، يلتقط أخبارَ العاصمة بأذن واعية . ويرقب الأحداثَ عبرَ الحواجز والسدود ، وقد مضى عليه عشرُ سنين رهينَ محبسيه ، مشغول البال بهموم بلده وأمته . والشامُ وقتئذ هدفُ مطامعَ صليبيةٍ تشحذها مطامعُ الغِلمان المغامرين الذين آلت إليهم إمارةُ العواصم ، والأمةُ ممتَحنة بفتنةٍ مذهبية عاتية وصراع سياسى حادٍّ مرير بين الدولة العباسية فى بغدادَ والدولةِ الفاطمية فى مصر ، والعهدُ غيرُ بعيد بالبيانِ التاريخى الذى خرج من بغداد إلى أقطار الدولة الإسلامية ، بالطعن فى نسَبِ العُبَيديين إلى «السيدة فاطمة الزهراء» رضى الله عنها.

وأبو العلاء يعطى تفسيرَه للأحداثِ بطريقة غير مباشرة ، لكنها ذكية ماهرة : فظاهرُ موقفِ عزيز الدولة حين كلَّف أسدَ الدولة حملَ والدتِه إلى حلبَ ، أنه أراد تسكينَ العامةِ وإعلامَ الناسِ بوحدة الكلمة والتضافر على صد الأعداء . ووراءه من قرب ، حرصُ السلطان على سلامة «أم صالح» من جفلة غزو متوقَّع .

فهل كان بهذه المبادرةِ يُغطى استمرارَ مفاوضاتِه السرية مع ملكِ الروم ، وقد نمتْ عليها بوادرُ تحدَّث بها الناس؟ .

كأَن أبا العلاء يُلقى على العصر والتاريخ هذا السؤال : فيم الإعلام عن التضافرِ لصدِّ العدوِّ عن حلبَ ، وبينَه وبين أميرِها « عزيزِ الدولة » رسائل وهدايا متبادَلة ، منها هذه الهديةُ الرومية من الغِلْمانِ ؟ وهل تكون مكافأتُه ملكَ الروم عليها ، أن يصدَّه عن حلب ؟

وماذا عن وقوفِ « أسد الدولة صالح بن مرداس » مع عزيز الدولة وقد سبق خروجُه على أولياء نعمتِه الفاطميين ، حكام مصرَ والشام ؟

(تاريخ حلب) يعرف طموحَ «صالح بن مرداس» إلى انتزاع حلبَ من الفاطميين ، حيثما لاحت بوادرُ من عصيانِ وُلاتِهم عليها : فى سنة ٤٠٢ هـ ، دخل صالح مدينةَ حلب فى فرسانِ قومه بنى كلاب ، حين فسد الأمرُ بين الحاكم الفاطمى وواليه لؤلؤ – مولى أبى الفضائل حفيدِ سيفِ الدولة الحمدانى – الذى كان على اتصالٍ وثيقٍ بالروم . وانتصر «صالح بن مرداس» وكاد يحقق أمله فى إقامة دولة بنى مرداس بحلب ، لولا أن أجهض الفاطميون هذا الأملَ .

وفى (رسالة الصاهل والشاحج) نراه يظهر على مسرح الأحداث والأمرُ كان قد فسد بين الحاكم الفاطمى وواليه « عزيزِ الدولة » الذى يتفاوض سِراً مع ملك الروم ، لولا أن قُتِلَ الحاكمُ .

ومِثْلُ صالح بن مرداس ، مَن لا تخفى عليه نوايا عزيز الدولة الرومى ومناوراته ، ولا يفوته ما لم يفُت الناسَ من أمره . فهل كان فى انحيازه

إليه ، يشجِّعه على المضيِّ فى مغامرته التى تُنذر بنهايته ، وتُهدِّد فى الوقت نفسه مصير الحكم الفاطمى فى حلب ؟

بوادرُ الصراع كفيلةٌ بإنعاش أمله فى أن تخلوَ له حلبُ من عزيز الدولة والفاطميين ، فلا يبقى أمامه سوى عدوٍّ واحد : الروم .

وأيًّا ما كان وراء موقف أسد الدولة المرداسى مع عزيز الدولة الرومى ، فالذى يعرفُه واقعُ التاريخ هو أن عزيز الدولة لقى مصرعَه الدامى ، بتدبير ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمى ، فى قلعة حلب سنة ٤١٣ هـ . ثم لم تمض على مصرعه سنتان حتى خرجتْ حلبُ نهائيًّا من حكم الفاطميين إلى «أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابى» الذى بدأتْ به ، فى سنة ٤١٥ هـ دولةُ بنى مرداس بحلب . . .

* * *

وليست (رسالة الصاهل والشاحج) كتابَ تاريخ بالمصطلح التقليدى ، لكنها تقدم تفسيرًا تاريخيًّا لأحداثِ البيئة والعصر ، فى رؤيةِ بصيرةِ أبى العلاء الثاقبة . وتُسجِّل وقعَها على وجدانِ السجين الحر ، فتضىءُ لنا تلك الفترةَ التاريخيةَ الدقيقة الحرجة ، وتصحِّح أخطاءً من تناقض المروياتِ وأوهام الدارسين .

وهى إلى جانب هذا كله ، تضيف إلى ما اقتصر عليه المؤرخون من سَرْدِ الأحداث السياسية وتتبع تعاقب الحكام والولاة والصراع الدامى المحموم على السلطة ، عرضاً حافلا مشيرًا لأحوال المجتمع وأوضاعِه وطبقاته وصناعاته وحِرفه ومتاجره . وتصور الأنماط البشريةَ للأفراد والجماعات والطوائف ، وقد سقطت عنها أقنعتُها فى جفلة الخوفِ من غزو العدو .

وهذا من عطاء (الصاهل والشاحج) تاريخٌ لما أهمله التاريخ ، يقدمه شاهدٌ أمين ثقة ، من شهودِ ذلك العصر.

وأبو العلاء فى تأريخه للمرحلة ، يُعيِّنُ الشخصياتِ التاريخية بأسمائها وألقابها ، ويسجل أحداثَ الزمان والمكان ، لكنه يحكى ذلك كلَّه على ألسنةِ البهائم ، فى نمطٍ فنى فريد ، أوجِزُ بيانَه فيما يلى :

مدخل موضوعى :

عالم الإنسان ، فى منطق الحيوان
بين كليلة ودمنة ، والصاهل والشاحج

قبل العثور على النص الكامل لرسالة الصاهل والشاحج ، فى « الخزانة الملكية بالرباط » كنا نقرأ فى كتبِ السلف أنه: على لسان فرس وبغل ، فيغلب على الظن أنه محاكاة علائية لحكاياتِ (كليلة ودمنة) التى ترجمها « عبدُ الله بن المقفع » إلى العربية . فى أواخر العصرِ الأموى الذى انتهى فى المشرق بقيام الدولةِ العباسية سنة ١٣٢ هـ .

وكتابُ كليلة ودمنة ، كان فى خزانة أبى العلاء عند ما أملى الصاهلَ والشاحج ، بشاهدٍ من نصٍّ مترجميه على أنه :[صنف كتابَ القائف ، على معنى كليلة ودمنة ، لعزيز الدولة أبى شجاع فاتك الرومى ، والى حلبَ للمصريين ، الذى كُتِبتْ له رسالةُ الصاهل والشاحج] .

والرسالةُ كانت معروفةً فى المشرق والمغرب . وشهد مؤرخون ثقاتٌ أنهم رأوها فيما سلم من الآثارِ العلائية من الضياع . ومن عهد مبكر ، وصلتْ إلى الأندلس نسخةٌ منها موثقة مقروءة على أبى العلاء ، وقد عارضها من المغاربة « محمدُ بن عبد الغفور الكلاعى » الكاتبُ الأديب الذى وزر لملوك الطوائف فى صدرِ القرن السادس للهجرة ، ونقل منها فى كتابه (إحكام صنعة الكلام) . كما كانت نسخةٌ منها موثقة ، فى خزانة الحفصيين وأُخرى فى خزانة الإمام عبد المهيمن الحضرمى بمدينة سبتة ، فى القرن السابع الهجرى. ولم تغب عن كتب التاريخ والتراجم والطبقات ، إلى القرن الحادى عشر ، على ما سوف نبينه بتفصيل ، فى توثيقِ نص الرسالة .

ولم يُشِرْ أحدٌ قط من هؤلاء . إلى صلةٍ بينها وبين (كتاب كليلة

ودمنة) الذى ذكروه مع (كتاب القائف) لأبى العلاء.[1]

كذلك لم يشر إليه أبو العلاء من قريب أو بعيد، فى (رسالة الصاهل والشاحج) التى أقدم نصَّها الكامل محققًا، وإنما صرح على لسان الشاحج، بأنه فى الشكوى التى يلتمس من «أبى أيوب، الجمل» رفعَها إلى «السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء، أعز الله نصره» قد نحا بها – فى التورية والإلغاز – منحى «ابن دريد» فى كتابه (الملاحن) و «ابن فارس» فى كتابه (فُتْيا فقيهِ العرب).

وذلك ما وجَّهنى إلى نظرة سريعة مقارنة، لأرى ما إذا كان أبو العلاء فى رسالتِه، قد تأثر على وجهٍ ما، غير صريح ولا مباشر، بالحكايات التى ترجمها «ابن المقفع»؟.

* * *

إنهما يلتقيان فى الحديثِ على لسانِ الحيوانِ الأعجم. والفكرةُ الشائعة أن الأدب العربى لا عهدَ له بمنطق الحيوانِ قبل كليلة ودمنة.

لكن دارسى تراث العربية من الجاهلية، يعرفون ما حفلت به أمثالُ العرب من حكاياتٍ على ألسنة البهائم والطير والحشرات، تأْتى نماذج منها فى (الصاهل والشاحج)، ومعها شواهدُ من دواوينِ شعراء الجاهلية وصدر الإسلام، لقصصٍ على ألسنة العجماوات أو حوارٍ بينها وبين الشعراء، كحكاية (حية ذات الصفا) فى رائية النابغة الذبيانى التى مطلعها:

ألا أبلغا ذبيانَ عنى رسالة   فقد أصبحتْ عن منهج الحقِّ جائره

(١) لم يصل إلينا (كتاب القائف) الذى جاء فى ثبت المؤلفات العلائية، «أنه على معنى كليلة ودمنة» لكنه وصل إلى الأندلس من عصر أبى العلاء. وننقل فى آخر هذا العرض المقارن، رأى «الكلاعى» فى القائف، وكليلة ودمنة.

وفيها مثَّلَ لما يلقاه من ذوى الضغن منهم ، بما لقيت «حية ذات الصفا» من صاحبٍ لها كانت قد لدغت أخاه فمات بلدغتها ، وأرضى الأَخَ أن تدفع له الحيةُ ديةَ القتيل من مالٍ مخبوء لديها . فلما تقاضى منها ما أغناه ضربها بفأسٍ مشحوذة ، فأَخطأتْها الضربة القاتلةُ وإن جرحت رأسها. وعرض عليها أن يجعلا اللهَ بينهما على حُسن الصحبة ونسيان ما فات ، فنظرت إلى قبرِ أخيه ، وتحسست موضعَ الضربة من رأسها :

فقالت : معاذَ الله أفعل إننى ... رأيتُك مسحورًا يمينُك فاجره
أَبَى لىَ قبرٌ لا يزال مقابِلى ... وضربةُ فأسٍ فوق رأسىَ فاقره

وفى ديوان «أمية بن أبى الصلت» - وهو جاهلى أدرك الإسلام ولم يسلم - قصيدة بائية يقول «أبو العلاء» فى (الصاهل والشاحج) إنَّ «أُمية نظم فيها حكايةً تحدَّثَ بها العربُ من قديم». خلاصتُها أن الديكَ والغراب كانا صديقين فى الدهر الأَول ، وكانا يتنادمان . فشربا عند خمَّارٍ أياماً ، فلما نفد شرابُ الخمَّار وآن أوانُ الحساب ودفع الثمن ، قال الغرابُ للخَمَّار ، والديكُ نائم : إنى ماضٍ لآتيَك بحقك ، وصاحبى هذا رهنٌ عندك على مالِك .

وذهب فلم يعد ، قال أمية :

بآيةِ قام ينطق كلُّ شىء ... وخان أَمانةَ الديكِ الغرابُ
أَقاما يشربان الخمرَ دهرًا ... فخانَ العهدَ إذ نفد الشراب

ومما فى (الصاهل والشاحج) من مرويات فى تراث الشعر العربى ، سابقة على زمن ابن المقفع ، داليةُ «أبى صخر الهذلى» فى بكاءِ أخيه "تليد" وقد تمثل فى حزنه عليه ، حوارًا بينه وبين حمامةٍ تنوح ، تسأله عن

ساقِ حرٌ – فرخ حمام هلك من قديم فيقال إن الحمائم ما زالت تنوح عليه – ويسأَلها عن أَخيه تليد :

فقلتُ لها : فأَما ساقُ حُرٍّ فبان مع الأَوائل من ثمودِ
فقالت : لن ترى أَبدًا تليدًا بعينك آخرَ الدهر المديد
كلانا ردَّ صاحبَه بيأْسٍ وأَشجانٍ وتأْميلٍ بعيدِ

وقصيدةُ «الفرزدق» فى الذئب :

وأَطلسَ عسَّال وما كان صاحباً رفعتُ لنارى موهناً فأَتانى
. . . .

وغيرُ بعيدٍ من هذا التمثل لمنطق الحيوان الأَعجم ، ما يحفل به ديوان الشعر العربى من قديم مناجاةِ الشعراء للنوق والخيل والحمام والظباء ووحش الفلاة ، ومخاطبتهم البومَ والغربانَ فى شؤم نعيبها المنذر بخرابِ الديار وتصدع الشمل وفراق الأَحباب . . .

وفى «القرآن الكريم» من خبر «سليمانَ» وما علمه الله تعالى من منطق الطير :

«حتى إذا أَتَوْا على وادِ النملِ قالت نملةٌ يا أَيها النملُ ادخُلوا مساكنَكم لا يَحطِمنَّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يَشعرون * فتبسَّمَ ضاحكاً من قولِها وقال رَبِّ أَوْزِعْنى أَن أَشكرَ نعمتَكَ التى أَنعمتَ علىَّ وعلى والِدَىَّ وأَن أَعملَ صالحاً تَرضاه وأَدْخِلْنى بِرَحمتِكَ فى عِبادِك الصالحين * وتَفقَّدَ الطيرَ فقال مالى لا أَرى الهُدْهُدَ أَمْ كان من الغائبين * لَأُعَذِّبَنَّه عذاباً شديدًا أَو لَأَذبَحنَّه أَو لَيَأْتِيَنِّى بِسُلطان مبينٍ * فمَكثَ غيرَ بَعيدٍ فقال أَحَطتُ بما لم تُحِطْ به وجئتُكَ من سَبَإٍ بنبَإٍ يقين . .» (النمل ١٨ : ٢٣) .

منطق الحيوان إذن ، ليس جديدًا على العربِ لم تعرفه حتى قرأت «كليلةَ ودمنة» فى ترجمةِ ابن المقفع .

فماذا عن الصياغة الفنية لمنطق الحيوان ؟ .

قصص كليلة ودمنة ، تُلقَى بأسلوبِ الحكاية فى مجلس سَمرٍ للملك ، حيث يتخيل "بيدبا الفيلسوف" قصصاً شتى من عالم الحيوان ، لا تربط بينها وحدةُ زمان أو مكان ، سوى مسامرةِ الملك بها فى هذا المجلس. كما لا يربطها بعالَم الإنسان ، سوى ماتُقلّمه من عبرةٍ صريحة وموعظة مباشرة. فكلُّ حكاية منها ، يؤلفها " بيديا " الحكيمُ المعلم لتعطىَ عبرتَها بتوجيه سؤال الملِك عن مَثَلٍ بعينه ، فيسوق إليه «بيدبا» فى القصة المتخيَّلة ، مضربَ هذا المثَل .

الأَمرُ يختلف اختلافاً جوهريًّا فى (رسالة الصاهل والشاحج) : فليست مجموعةً من حكايات شتى ، بل قصة واحدة مترابطة الفصول والمشاهد . وهى لا تؤدَّى بطريق الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل ، بل صِيغ الحوارُ فيها على طريق التشخيص والإخراج التمثيلى الزاخر بالحركة والحيوية ، وكأننا نشهد تمثيلية يؤديها شخوصٌ من البهائم ، مكانُها حيث يقف « الشاحج» معصوبَ العينين فى موضِعه بمعرة النعمان ، وموضوعُها الرئيسى تصويرٌ لما كان من جَفْلةِ الناس لما يتوقعون من خروج باسيل ملكِ الروم لغزو حلب ، رغم ظاهر القطيعة بينه وبين عزيز الدولة .

وعلى عكس ما فى «كليلة ودمنة» حيث يقص الإنسانُ «بيدبا» الفيلسوف على «دبشليم» الملك ، حكاياتِه التعليميةَ المتخيلة لعالَم الحيوان .

تتحدث الشخوصُ الحيوانية فى (الصاهل والشاحج) عن عالم الإنسان

ولا يظهر «أبو العلاء» على المسرح إلا ريثما يمهد للتمثيلية بتحيةٍ موجَّهة إلى «السيد عزيز الدولة وتاجِ الملة أمير الأُمراءِ ، أعز الله نصره» والاعتذار عن مكاتبته فى شكوى بنى أخيه المتعلقة بأرضٍ لهم يقال إن عليها مالا ينبغى أداؤه إلى بيت المال ، وإنها لأَرض قاحلة ، لو أن البغلَ الذى يَكدَحُ فيها أنطقه اللهُ تعالى بقدرته ، لجأر مما يكابد فيها من عناءٍ ونصب :

وينسحب أبو العلاء فى لطف ، بعد هذا التمهيد ، والشاحجُ شاخِصٌ على المسرح معصوبَ العينين ، منطويا على همومه وهواجسه . ومن بعيد يُسمَع صهيلُ فرسٍ لا يلبث أن يظهر قُربَ الشاحج ، ويترجل عنه فارسُه ليرِدَ الماءَ ويأخذَ بعضَ راحةٍ قبل متابعة السفر .

ويبدأ الحوار ، بقدرة الله تعالى ، بين الصاهل والشاحج الذى لا يكاد يسمع أن الصاهلَ فى طريقه من مصر إلى حلب ، حتى يُطمِعَه الرجاءُ فى أن يحملَ خالهُ الفرسُ إلى الحضرة العالية بحلب ، مظلمةً شعرية من نظم الشاحج إلى «السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأُمراء ، أعز الله نصره» .

ويأْنف الصاهل من هذه الخئولة المهينة التى يمتُّ بها إليه البغل ، فيوسعه تحقيرًا وسخرية . ويتطور الجدلُ بينهما إلى خصومةٍ حادة ، يقترحُ الصاهلُ أن يحتكما فيها إلى حمامةٍ «فاختة» كانت تحطُّ على غصن قريب . ويرفض «الشاحجُ» تحكيمَ فاختة ، وهى المشهورةُ بالكذب والحُمق والخفة ، ويقترح أن يكون الحكَم بعيرًا فى إبلٍ وردت الماء هناك .

وتغتاظ الحمامة مما سمعتْ من قَدْحِ الشاحج فيها ، فتسرع إلى الجمل وتلقى إليه القصة ، مع قَلْبِ كلام البغل فيها وفى أبى أيوب ، الجمل ، الذى يندفع مهتاجاً فيهجم على الشاحج ، فى حنق مسعور .

ويتعقد الموقفُ قبل انكشافِ مكيدة فاختة، ويريد « أبو أيوب » ليُكفِّر عن إساءته إلى الشاحج ، فيقبل رجاءه فى إيصال مظلمتِه إلى الحضرة العالية ، وقد عدَل فيها عن الشعر ، ونحا بها منحى « ابن دريد» فى (الملاحن) و« ابن فارس» فى (فتيا فقيه العرب) ويعيي أبا أيوب أن يفقه منطقَ الشاحج فى مظلمتِه ، فيستحمقه ويظن به مسًّا من خبَل ! .

. . . .

ويتأخر الخوضُ فى أحداث حلب ، ريثما يفد الثعلبُ ويُفضى الحوارُ إلى صداقةٍ بينه وبين الشاحج يتبادلان فيها النصحَ . فيسأله الشاحجُ أن يصنع له جميلا هيهات أن ينساه : يتجول فى المنطقة ، وهو الطليقُ الحركةِ المفتوحُ العينين ، ليأتيَه بأنباء حلب حرسها الله ، وحالِ أهلها وسكانها فى جفلة الخوف من غزو الروم ، وينقل إليه ، عن رؤية عين ، أخبار السياسة والحرب والبلاط والمجتمع !

ويعود الثعلب من جولاته ، بنشرات إخبارية من أنباء الوقت والساعة ، حتى إذا استوعب الشاحجُ ما ابتغى من أنباء ، وعرف مواقف الرؤساء والقادة ، انتهت التمثيليةُ بصوت أبى العلاء ، على تحيةَ الختام ، «للسيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء ، أعز الله نصره » !

وكان طوالَ العرض التشخيصى ، متوارياً خلفَ الستار ، يُخرِج المشاهدَ ويُحرِّك الشخوصَ المسرحية ، ويُلقنها ماصاغ لها من حوار .

* * *

قصدتُ بهذه اللمحة السريعة ، إلى إيضاح الفرق الجوهرى بين « كليلة ودمنة » فيما يقص «بيدبا الفيلسوفِ » على «دبشليم الملك» من حكاياتٍ متخيلة لعالم الحيوان ، تعطى العبرةَ وتضرب المثل ؛ وما فى «الصاهل والشاحج»

من تشخيصٍ فنى لعالم الإنسان فى منطق الحيوان ، وعرضٍ لتاريخ عصر الرسالة وأحداث البيئة والمجتمع فى رؤية شاهد بصير ، على ألسنةِ البهائم التى اختارها ورسَم لكلٍّ منها الدور الذى تؤديه ،والحوارَ الذى تشارك به فى العرض ، وكأنها دُمَى مسرحية يحركها المخرجُ من وراءِ الستار ، بخيوطٍ فى يديه لا تظهر للمُشاهِد .

وهذا النمطُ الفنى الفريد الذى ابتدعه أبو العلاءِ فى (الصاهل والشاحج) تأصل فى (رسالة الغفران) التى أملاها بعد ذلك بنحوِ خمس عشرة سنة ، وعرض فيها رؤياه لعالَمه الآخر على طريقة التشخيص والتمثيل ، فى مشاهدَ متتابعة لفصولها الثلاثة : فى الجنة ، فى الجحيم ، عودة إلى الجنة . وذلك ما بسطتُ فيه القولَ ، فى كتابى (قراءة جديدة لرسالة الغفران : نص مسرحى من القرن الخامس للهجرة)[1] .

وتتجلى فى الرسالتين ، كلتيهما ، روحُ السخرية المرة والدعابة اللاذعة ، وكأن هذه التعريةَ الساخرة لعالم البشر ، تعبر عن موقف أبى العلاء من أوضاع مجتمعه ، ويستعين بها فى مجاهدتِه الشاقة لقهرِ ما رسخ فى فطرته من تعلُّقٍ بالدنيا التى رفضها فى بسالةٍ تقرب من الاستشهاد ، لتسلم له كرامةُ إنسانيتهِ وعفةُ نفسه وحرية ضميره وفكره ، وأمانةُ رسالته وصدق كلمتِه . . .

وهو لا يستعمل الأسلوب المباشر فى سخره المر بعزيز الدولة : البطل غير المنظور على مسرح الصاهل والشاحج ، وابنِ القارح البطل المشهود على مسرح الغفران :

قبل إملاء (الصاهل والشاحج) دخل حلبَ مع هلالِ رمضان المبارك من سنة ٤٠٧ هـ ، « أبو شجاع فاتك الرومى » - أحد غلمان منجوتكين

(١) نشره (معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٧٠) ودار الكتاب العربى ببيروت .

غلام العزيز بالله الفاطمى – والياً على حلب من قِبَلِ «الحاكم بأمر الله» الذى خلع على غلام والده العزيز، ولقَّبَه «عزيزَ الدولة وتاج الملة، أمير الأمراء!»

وتسامع الناس أن «عزيز الدولة» ينظر فى العَروضِ للخليل، وتزاحم الشعراءُ على بلاطه، وهو يفحص بضاعتَهم ويزنها، ويُنزلهم منازلَهم التى يراهم أهلا لها. وتناقل العامةُ من أهل حلب، ما يجرى فى الحضرةِ العالية من عبث الغِلمان، ومن دسائسَ ومكايدَ، ومفترياتٍ على بعض قادة الجيش من هذيان السكارى فى مجالس الشراب، والبلدُ فى محنةٍ بما يتوقع من غزو جديد من الروم، والناس بين الجفلة والعودة إلى ديارهم التى جلوا عنها فرارًا من الجيش، فى ارتباك وفوضى، وقد بلَوا منذ وفاة «سيف الدولة الحمدانى»، سنة ٣٥٨ هـ، ماذا يعنى الغزوُ الصليبى من مذابحَ ومجازر وهتكٍ للأعراض وانتهاكٍ للحرمات، وانتهابٍ للأموال وتخريب للديار...

تذرع «أبو العلاء» بشكوى بنى أخيه التى اكتفى بالإشارة إليها فى مقدمة الرسالة، ومضى على غلوائه يُشخِّص «الشاحجَ» وقد نظم مظلمتَه التى يلتمس مَن يرفعها إلى «السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء، أعز الله نصره» لما بلغه من نظرِ الأمير العزيز فى العروض، ومعرفتِه بأقدار الشعراء. ثم بدا للشاحج فعدل عن المظلمة المنظومة، وصاغها بأسلوب الإلغاز والتورية، عسى أن تُعرض على الفقهاء والشعراء فى الحضرة العلية، فتحيِّرهم بألغازها...

وتأملْ قول الصاهل يرد على الشاحج، منكرًا عليه التظلم إلى عزيز الدولة:

" ومن الذى أوهمك أن مثلك يُسمع له قولٌ أو يُعرف منه إيماء ؟ إن كان بلغك ذلك من أهلِ حلب حرسها الله ، فإن حُبَّ « السيد عزيزِ الدولة أمير الأُمراء أعز الله نصره » قد غمر قلوبهم وغطّى أعينَهم .. ومن الكلام القديم : حبُّك الشيء يُعمِى ويُصم ؛ لا سيما قومٌ عُدول . . يَغلون فى وصفِ هذا السلطان - أطال الله بقاءه - فيزعمون أن كفه أسمحُ من لافظة ، وأن قلبَه أشجع من قلبِ أسامة ، وأنه بالرعية أبَرُّ من الوالدة ، وأن رأيَه أهدى للضُّلَّال من جَدْيِ الفرقد بل من الشمس الطالعة . ويَدَّعون له ضروباً من فضائلَ متباينات لا يجتمع مِثلُها فى الآدميين . ولعلك بلغك عن هؤلاء القوم أنهم يدَّعون « للسيد عزيز الدولة أمير الأمراء » أنه أوتِيَ ما أُوتيَه سليمانُ ، صلى الله عليه ، من معرفةِ كلام البهائم والطيرِ وصنوف الحيوان . . . " .

وشخَّص الثعلب ليصفَ مشاهدَ الروع والفزع من غزو متوقَّعٍ ، يمكن فى منطق البهائم أن يُتَّقى بالتفاؤل والزجرِ والعيافة : فيذكر أسماء البلدان الشامية التى يُحتمل أن يأخذ الرومُ طريقهم منها ، ويتفنن فى حمل حروفها ومقاطعها على محمل الشؤم على طاغيةِ الروم وجنده ، فيلحق بهم ما يلحق بالعروض من تصريع وتشطير وتقفية ، وعللِ الزحاف والإقواء والخبن والقبض والقضب والحذف والكشف . والنهك والنقص والخلل والكسر ، متفنناً فيها بالإلغاز البديعى لمسائلَ من عُقَد العروض ، يعيا بها علماءُ الصنعة !

ثم ينقل الثعلب ، فيما ينقل إلى الشاحج من أخبار الحضرةِ العالية بحلب ، حرسها الله ، ما " تحدث به العامةُ ، أن غِلماناً وردوا من بلادِ الروم إلى حضرته العالية . واختلف فيهم القولُ ، فقال بعضُ الناس : هم هدية من زعيم الروم ! . وقال آخرون : بل اشتراهم السيد عزيز الدولة ،

أعز الله نصره . فإن كانوا هديةً ، فهو ـ خلَّد اللهُ مُلكَه ـ يُجازى عنهم بأضعافِ القيمة !! وإن كانوا شراء مالِه ، فإن ذلك أجدرُ بالنماء والبركة ! .

وزعموا أن عِدتهم نيِّفٌ وثلاثون ، ولم يثبتُوا فى العِدَّة على قولٍ واحد . فإن كانوا أربعة وثلاثين ، فهم فى عِدَّة أعاريض الشعرِ على رأى «الخليل» وإن كانوا اثنين وثلاثين ، فهو مذهبُ «الزجّاج» وإن كانوا أحدًا وثلاثين ـ وعليه كاد الإجماعُ يقع ـ فهم فى عدة القوافى المتواترة ! . . .

"وتحدثت العامةُ أن السلطان ؛ أطال الله بقاءه ، أمر بتطهير الغِلمان ـ ختانهم ـ ! . وكذلك يوجب فضلُه ودينُه . لأن مَثَلَهم مثلُ أوزانٍ من الشعر لا يحسن استعمالُها حتى يحذَف منها شىء ، مثل الأول من المنسرح . . .

كما ينقل الثعلب إلى الشاحج ، مما تحدثت به العامة . أن "القائد مضىء الدولة" ـ نصر الله بن نزّال ـ فسد ما بينه وبين السلطان «السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء ، أعز الله نصره» بسبب هذيان فتى من أبناء مضىء الدولة ، ألحق بأبيه شبهةَ الخيانة ، وهو ثمل مخمورٌ فى مجلس شرابٍ وانتشاء ، بالحضرة العلية السلطانية!

وبعد أن يُطيل فى لعنة الخمر وآفاتها ، يروى مما يتندر به الخاصةُ فى الحضرة العالية ، حديثَ مَن شهد البطلَ الهمامَ «السيد عزيز الدولة ، أعز الله نصره» ممتطياً صهوَة فرسه "وهو يَعمل بسيفين عن يمين وشمال ، والفرسُ تجرى به أشد الجرى" . وهذا عجَبٌ من العجب ، لم يُروَ مثلهُ عن ذى السيفين ، وذى الرمحين!"

"وحدث هذا الرجلُ أيضاً ، أنه رأى ـ السلطان عزيز الدولة ـ بحلبَ حرسها الله ، وهو ينظر فى العَروض للخليلِ . وهذه قريبةٌ من الأولى فى العجب : الملوكُ قد شُغِلوا عن الفُروض ، فما بال النظر فى العروض ؟ . ولهذه الحكاية ـ

عن نظر السلطان فى العروض ـ أكثرتُ الأَمثالَ المتصلة بما وضعه «الخليل» لأَن العامةَ على دينِ السلطان . . . " .

ويُمِلُّ أَبو العلاء، ولا يَمَلُّ، من تكرار أَلقاب عزيز الدولة، والحكاية عن مناقبه وبطولاته، فى فيض من غريب الأَلفاظ. ونوادر الأَمثال والنكت العروضية .

وأَى سخرية أَبلغُ من أَن يُغرق أَبو العلاء عزيزَ الدولة فى مبذولِ الثناء والإِعظام، وهو يقول فى رسالتِه إليه، متناسياً أَن هذا العزيزَ أَعز اللهُ نصرَه، مولى لمنجوتكين مولى العزيز بالله الفاطمى :

" وحدث رجل يُعرف بمشرق الدولة، وأَصله رومى .. أَن هذا الرجل ـ بسيل ـ له ولدٌ من امرأَةٍ ليست تحل لمثلِه على رأى أَصحاب الشرائع، وأَنه قد جعل له رتبةً، ورأيُه إن مات أَخوه قبله، أَن يُقِرَّ بنسَبه ويجعلَ المُلْكَ إليه، فمثَله فى هذا مثل «معاوية» و «زياد بن أبيه» . . . "

"ويجب أَن يُحكَم على هذا الولد بأَنه من العامة لا الملوك، لأَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «الوَلدُ للفراشِ، وللعاهِر الحجر» ... فكيف يورث هذا الرجلُ مُلكَه مَن لا يثبت نسبُه فى الأَحكام ؟ أَم كيف يكون مَلِكُ جيلٍ من الأَجيالِ، مَن وُلِدَ لغيرِ رِشدة وقد عَلِم أَهل المُلْكِ بذلك ؟ .. «إن هذا لهو الخزى العظيم» .

" وللأَخ الأَصغر ـ من ولدَى بسيل ـ أَولادٌ إناث .. فقد يجوزُ أَن تُحسِّن عقولُ الروم لها إذا فُقد هذا الأَخوانِ، أَن تُملِّك بعضَ بناتِ الأَصغر . . . وتمليكُ امرأَةٍ صحيحةِ النسَب فى بيتِ المُلْك، أَحسنُ من تمليك رجل لم يثبت نسبُه ! . " .

كذلك صنيعه فى (رسالة الغفران) : كتب إليه «ابنُ القارح» رسالةً تنضح ملقاً ونفاقاً وخبثاً وادعاء، حين آن له أن يستقر فى شيخوخته العالية ببلده حلب، بعد أن أمضى عمره متهالكاً على الشهوات، وطاف ببضاعتِه من الشعر على أعتاب ذوى الجاه والسلطان، مائلا مع الريح حيث مالت.

فكان أن ساقه أبو العلاء إلى مسرح عالَمه الآخر، بمقدمة ثعبانيةٍ سوداء وأغرقه فى الملذات، وأنطقه بما شاء له من أمالٍ لغوية وأدبية فى حوارٍ مع الشعراء واللغويين الذين قدَّمهم على طريقِ التشخيص. وبلغ من سخريته به أن جعل الحُورَ اللواتى يتمثلهن ابنُ القارح فى انتظاره، يفرحن عند ما تبلغهن توبتُه فى الدنيا من آثام شبابِه، ويتقبلن التهنئةَ من جاراتهن. حتى إذا فرغ أبو العلاء من تشخيصِ رؤياه لعالَمه الآخر، مضى يردُّ على ما جاء فى (رسالةِ ابن القارح) بما يغض من ادعائه ويكشف عن هزيلِ بضاعتِه من العلم والأدب؛ دون أن يتخلى «أبو العلاء» عن وقارِه وهيبته، فى أبرع مشاهِد السخرية المُرة، والفكاهة المضحكة المبكية . . .

. . . .

ولا بأس هنا من استطراد يسير ، يتعلق بكتاب (القائف) الذى يأتى فى ثبَت المصنفات العلائية "على معنى كليلة ودمنة" لنلمحَ الفرق بينهما من جهة ، و (رسالةِ الصاهل والشاحج) من جهة أخرى .

(القائف) لم يصل إلينا لنحكم عليه ، لكنه وصل إلى الأندلس فى أقصى المغرب ، من عصرِ أبى العلاء . ونقل الأديب الشاعر الوزير «محمد ابنُ عبد الغفور الكلاعى » نماذج منه فى كتابه (إحكام صنعة الكلام) الذى يأتى تعريفٌ به فى : توثيق النص .

قال الكلاعى فى «فصل المقامات والحكايات» :

[ومن الحكاياتِ المختلفة والأخبار المزوَّرة المنمقة : كتابُ كليلة ودمنة وكتابُ القائف لأبى العلاء المعرى. . . وقد تكلموا فيه على ألسنةِ الحيوان وغير الحيوان . فمن كلام أبى العلاءِ على لسانِ الحيوان :

. . . .

" حضرت النملةَ الوفاةُ ، فاجتمع حواليها النملُ فقالت نادبتُها : يرحمك اللهُ ، أمِن شعيرةٍ مجرورة وبُرَّة ممطورةٍ وآثارِ سُفْرَة منشورة ؟ قالت لهن : لا تجزعن ، فقد دَخرتُ عند الله دخيرةً مَنْ دخَر مثلَها جديرٌ بالرحمة ، وذلك أنى لم أسفك دماً قط ! "

«زعموا أن وَصَعاً – طائراً أصغر من العصفور – كان يجاور حيَّةً رقشاء ، فكان ذلك الوصَعُ إذا فرَّخ سرت الحيةُ لأكل فراخه فى الظلام ، فى عام بعد عام ، والله يجازى على الحيْفِ والإنعام . فقضى – سبحانه – بتلك الحية أن كُفَّتْ فى آخر عمرها ، فلزمت الوِجار لا تذعر النائى ولا الجار . فقال

أحباؤه : ألا تـأتى الظالمةَ مُظهِرًا للشمات ؟ قال : لو كنتُ ، وهى المبصرة ، أقدِرُ على ضيرٍ ، لكنتُ إليها وشيكَ السير . فأما إذ كَفَتْنيها الأقضيةُ ، فإن عينى عنها مغضِيَة .

"عَمِى أسدُ من عوامِّ الأُسْد ، فأضر ذلك به ، فقيل له : لو جئتَ ملكَ الأُسْد فسألتَه أن يصِلَك ، لكان ذلك رأياً لك . فذهب إليه وسرد قصتَه عليه ، فقال لخازنه يُجرِى له فى كلِّ يوم عُضوًا مُورَّباً . فقال الأَسدُ الذى التمس الجراية : أَصلح اللهُ الملكَ ، إنى كنتُ أَصطاد الوعِلَ أو البقرةَ الأهلية فلا أكاد أدرك بها الشبعَ ، فأين منى هذا العضوُ يقع ؟ .

فقال الملك : من اتكل على كسبِ غيرِه ، وجب أن يقتنعَ بقليلِ خيره .

قال الأَسد : صدق الملكُ ، ولا حاجةَ لى بهذا العضو .

قال الملك : فماذا تصنع ؟ .

قال : أجتزئ بنبتِ السحابِ ، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب " .

قال « الكلاعى » : [ولأبى العلاء المعرى فى « كتاب القائف » إحسانٌ مشهور وإبداع كثير موفور . وهو أكثرُ من كتابِ كليلة ودمنة ورقاً ، وأفسَحُ طلقاً ، وأطيب شميماً وعبَقاً] .

* * *

أدع هذا الحكمَ على الكتابين ، للكلاعى الذى نظر فيهما وهما بين يديه ، لنرى أن (القائف) لم يكن تقليدًا ومحاكاة لكليلة ودمنة ، فلكل من الكتابين أسلوبُه الخاص فى الحكاية على لسان الحيوان غير الناطق . وفى القائف من ملامحِ شخصيةِ أبى العلاء ، مالا يُتصور وجودُ مثله فى كليلةَ ودمنة : كهذا الالتفات إلى : حيَّة كُفَّتْ فى آخر عمرها ، والأَسدِ الذى

عَمِيَ ، وتعفُّفِه مع عماه وعجزه وسغبِه ، عن عطاءِ الملوك أو الأَصحاب . وأنفةِ الوضَع من الشماتِ فى حية ظالمة حين قُضِى عليها بأن كُفَّت فى آخر عمرها ولزمتْ وجارها لا تؤذى أحدًا ، والزادِ الذى تزودتْ به النملةُ لأخراها ، حين سألتْها نادباتها عما ادخرت فى حياتها : « لم أسفك قط دماً » .

فأبو العلاء نحا بحكاياته منحى كليلة ودمنة ، لا على وجهِ التقليد والاتباع والتأثر ، بل فى إعطاء الدرس والعبرة . وتأتى حكاياتُه ، كما فى كليلة ودمنة ، مستقلةً إحداها عن الأخريات ، والراوى هو الإنسان ، فيما يتخيل لعالَم الحيوان ، على عكسِ ما فى (الصاهل والشاحج) من تشخيصٍ لعالَم الإنسان بمنطق الحيوان .

ولا صلة لحكايات القائف ، وكليلة ودمنة ، بأحداثِ العصر ، ولا خوض فى أخبار السياسة والحرب ، ولا ذكر لأى اسم من الشخصيات التاريخية كالذى نجده فى (رسالة الصاهل والشاحج) .

. . . .

وإذ أقدر قيمة (رسالة الصاهل والشاحج) من حيث هى وثيقةٌ هامة لفترة حرجة من تاريخ مصر والشام ، برواية شاهد من عصرها رصد ما يُعرف فى هذا التاريخ بجفلة عزيز الدولة ، واستوفى أخبارَها وأعطى تفسيرها ، أقدِّر كذلك ما فيها من مجالٍ رحبٍ للبحوث النقدية والدراسات المقارنة ، وما يجد فيها الخاصةُ من علماء العربية ، من سخىِّ الأَمالى اللغوية والنوادر الأدبية والنكَت العروضية ، حيث يقول أبو العلاء كلمتَه فى قضايا ومسائلَ خلافية ، شغلت مؤرخى الأَدبِ وعلماءَ العربية .

وأُدرك أنها فى نصِّها الكامل هنا ، لن تكونَ ميَسَّرةً لجمهورِ المثقفين الذين يعز علىَّ ألا يطالعوا هذه الذخيرةَ النادرة من ذخائر تراثنا .

فلعل الفرصة تتاح للقيام بتجريدِ نصِّ (الصاهل والشاحج) مما يتخلل سياقَ الحوار من أمال صعبة وألغازٍ مجهدة ونكتٍ عروضية بالغة الدقة ، لتُقدَّم منه نسخةٌ ميسرة لجمهور القراء فى الوطن العربى .

* * *

وبعد فلست بحيث أنسى فضل الأُخت الصديقة « السيدة حبيبة البورقادى » التى ساعدتنى فى إجراءات العمل الأُولى، وتجشمت كثيراً من متاعبها الديوانية.

وأعترف بجميل الزميل « السيد الأستاذ محمد الراوندى من أبنائى علماء دار الحديث » فقد كان معى فى المرحلة الصعبة لمقابلة نسختى هذه على الأصْلين، والمراجعة الأخيرة لما وقفتُ عنده من كلمات فى رسم المخطوطين لم يستقم بها السياق، وكان له الفضلُ فى حلِّ عدد منها غير قليل.

وللسادة الكرام، فى « الديوان الملكى، والخزانة الملكية، والخزانة العامة بالرباط »، خالص الشكر على ما يسَّروا لى من خدمة، أعانتنى على إنجاز هذا العمل الذى لقيت منه نصباً.

والله عنده حسن الثواب.

توثيق النص

* مسار الرسالة

من عصر أبي العلاء إلى اليوم

* النسخة الحفصية : ف

* النسخة الحضرمية : ض

لم تغب (رسالة الصاهل والشاحج) عن بصر التاريخ أو سمعه وحافظته، منذ أملاها رهين المحبسين فى أوائل العقد الثانى من القرن الخامس للهجرة.

وكل الآثار العلائية التى يتصل إسنادُها إليه، إملاءً منه أو قراءة عليه، أصولٌ مستكملة شروطَ الأصالة من إسنادٍ وضبط، فلقد كتب له مصنفاتِه فى حياته، كُتَّابٌ ثقات أمناء اختصوا به. ذكرهم فى بعض رسائله بأسمائهم، وأثبتهم «ابن العديم» فى (الإنصاف والتحرى). وفى حياته أيضاً، شرح ما هو مظنة غرابة منها، وأودع نسخاً منها فى خزائنَ مأمونة بحلب والشام. يتقى بذلك تزييف المزوِّرين وتشويهَ الجاهلين وأخطاءَ النساخ؛ وإن لم يملك أن يصونها من أوهام الدارسين، أو يحميها من الضياع والبِلى، أو من الإهمال والنبذ.

ورسالة الصاهل والشاحج، من الآثار العلائية التى نجتْ من الضياع فى نسخ موثقة، خرجت من معرة النعمان فى عصره، إلى مشرق ومغرب.

فى المشرق:

فى كتاب (الإنصاف والتحرى) نصَّ مؤرخ حلب، على أن «القاضى جلال الملك، أبا الحسن على بن محمد بن أحمد بن عمار» جدّد دار العلم بطرابلس الشام، فى سنة ٤٧٢ هـ - بعد وفاة أبى العلاء بثلاث وعشرين سنة - وأنه:

[وقف عليها من تصانيف أبى العلاء: الصاهلَ والشاحج، والسجع السلطانى، والفصول والغايات، والسادن، وإقليد الغايات، ورسالة الإغريض].

وذكرها «ياقوت» (٥٧٤ : ٦٢٦ هـ) فيما سلم إلى وقتِه من مصنفات أبى العلاء.

وقال « القفطى » (٥٦٨ : ٦٤٦ هـ) فى (الإنباه) بعد أن نقل ما وصل إلى علمه من كتب أبى العلاء :

[فذلك ، الجميع ، خمسة وخمسون مصنفاً . العدد بتقريب ، سوى ما لم يُذكر . [قلتُ : وأكثر كتب أبى العلاء هذه عُدِمت . وإنما يوجد منها ما خرج عن المعرة قبل هَجْم الكُفَّار عليها ، وقَتْلِ مَن قُتِلَ من أهلها ونهبِ ما وُجِد لهم . فأما الكتبُ الكبار التى لم تخرج عن المعرة فعُدمت . وإن وُجد منها شىء فإنما يوجد البعضُ من كل كتاب . .

فأما الذى رأيته أنا من كتبه ، فهو ما أنا ذاكره . . .]

وذكر من هذه الكتب التى رآها : لزوم مالا يلزم ، وملقى السبيل ، وسقط الزند ، والصاهل والشاحج ، والقائف ، وذكرى حبيب ، وعبث الوليد ورسالة الغفران ، ورسالة الملائكة . . .

بعدهم ، ذكرها « الذهبى » فى (تاريخ الإسلام) و« الصفدى » فى (الوافى بالوفيات) ، وهما من أواخر القرن السابع ، والقرن الثامن للهجرة . . .

ثم طُويت بالمشرق فى غيابةِ الزمن ، فلم نسمع لها من ذلك العهد ذِكرًا . ولا وقفنا لها على أثر .

وفى المغرب والأندلس :

عُرفت رسالة (الصاهل والشاحج) من عصر أبى العلاء .

وأقدمُ نسخة مغربية ، فيما نعلم ، مقروءة عليه . وتحمل تاريخ سنة ٤٦٧ هـ ، بعد ثمانى عشرة سنة فحسب ، من وفاة أبى العلاء سنة ٤٤٩ هـ.

والأندلس كذلك ، قديمُ عهدٍ بالرسالة ، أثبتها « ابنُ خير الإشبيلى الحافظ أبو بكر » ٥٠٢ – ٥٧٥ هـ فى مروياته – مع جميع تواليف أبى العلاء ، النثرية والشعرية – بإسناده العالى ، سماعًا من القاضى أبى بكر ابن العربى الإشبيلى (٤٦٨ – ٥٤٣ هـ) من أبى زكريا الخطيب التبريزى (٤٢١ – ٥٠٢ هـ) من

أبي العلاء ص ١١١ ، ١١٢ فهرسة ابن خير ، وكانت مقروءة هناك ، نقل منها « محمد بن عبد الغفور الكلاعى » فى (إحكام صنعة الكلام) ، وحاكاها فى كتاب له سماه (الساجعة والغربيب) ذكره « ابنُ الأبار » فى (التكملة) ، و « المقرى » (١٠٤١ هـ) فى (نفح الطيب) ، قال ما نصه :

[وصنع « ابن عبد الغفور » رسالة سماها بالساجعة والغربيب ، حذا بها حذوَ أبي العلاء المعرى فى « الصاهل والشاحج » وبعث بها إليه يعرضها عليه ، فأقامت عنده أياماً ثم استدعاها منه فصرفها إليه وكتب معها :

" بِكْرٌ زُففتُها أعزك الله نحوك ، وهززت بمقدمها سناك وسروك ، فلم ألفِظْها عن شِبَع ولا جهلتُ ارتفاعَها عما يُجتَلى من نوعها ويستَمع . ولكن لما أنِستُه من أنسِك بانتجاعِها ، وحرصِك على ارتجاعها .. وإنها لشِنشنة تُعرف فيكم – أعرفها فيكم – من أَخزمَ ، وموهبة حُزتموها وأَحرزتم السبقَ فيها منذ كَمْ . . . »] هكذا النقل من النفح فى (تعريف القدماء : ٤٢٢) .

والنص صريح الدلالة على معاصرة الكلاعى لأبى العلاء .

وبين وفاتيهما نحو قرنين من الزمان :

وإنما جاء الوهم من سقوط [له] فى أول الفقرة ، من نقل التعريف فالذى فى النفح : [وصنع له ابن عبد الغفور رسالة الساجعة ...] – ص ٣١٦/٢ ط الأزهرية – والضمير لمذكور فى الصفحة قبلها من النفح : « الوزير الفقيه أبى أيوب بن أمية » الأندلسى .

وقد ذكر « ابن الأبار » فى ترجمة « محمد بن عبد الغفور الكلاعى » أنه صحب أبا الحسن بن بسام (– ٥٤٢ هـ) – وجرت مكاتبات بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربى (– ٥٤٣ هـ) – التكملة ٤٦٨/٢ ت ١٢٩٥ .

وامتد به العمر فاتصل بالسلطان « أبى زكرياء الحفصى ، يحيى بن أبى محمد عبد الواحد » الذى استقل بإفريقية من سنة ٦٢٧ هـ (الاستقصا : ٢٤٠/٢) وفى عهده صنع الكلاعى رسالة الساجعة والغربيب ، المستهلة بتحية يهديها « إلى حضرة الأمير الأجل أبى زكرياء ... » .

ويؤنسنا إلى هذا ، أن « الكلاعى » يذكر ما عارضه من مصنفات أبى العلاء ، فيصرح بأنه بعدَ معارضته الصاهل والشاحج ثم سقط الزند مال " إلى التفقه فى الشرعِ قبل أن يخلق بُرد الشباب " .

وإنما نطيل الوقوف عند « محمد بن عبد الغفور الكلاعى » لأنه انفرد بنقل فقرة من رسالة الصاهل والشاحج ، وحاكاها ، ونوَّه بذكرها فى كتابه (الإحكام) الذى كانت نسخةٌ منه فى خزانة «الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ».

والكلاعى قريبٌ زمناً ومكاناً من القرن السابع للهجرة ، الذى أعطانا فيه المغربُ نسختين من الأصول . وصلتا إلى عصرنا فى « الخزانة الملكية بالرباط » أولاهما (النسخة الحفصية) المكتوبة للأمير الأجل أبى زكرياء الحفصى ، من النسخة الأم العتيقة المقروءة على المؤلف .

* * *

فى الفصل القيم الذى كتبه « الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب » عن « أبى العلاء فى الأدب المغربى »[1] نقل رحمه الله من مخطوطة فى خزانته بتونس ، من كتاب (إحكام صنعة الكلام) فصولا من حديث مؤلفه « محمد ابن الغفور الكلاعى » عن مَجالسه الأدبية مع أحد أعيان زمنه .

قال بعد المجلس الأول :

[وجمعنى وإياه – أدام الله علياه – مجلسٌ ثان ، فرتعنا فى رياض الآداب وهصرنا أغصانَ الألباب . فقال : إنك تكتب الإخوانيات ولكنك

(١) فى كتاب (تعريف القدماء بآثار أبى العلاء) ص ٤٣٩ وما بعدها .

لا تنفذ فى السلطانيات . فقلت له : اختبر إن شئتَ . . . .

[ثم حملنى ، أعزك الله ، ما جرى فى هذا المجلس من الكَلام ، وما وجدت فى نفسى من الكِلام ، على تأليف كتابٍ على مثال «السجع السلطانى» لأبى العلاء . استفتاحهُ :

– ونقل فاتحة كتابه –

[وجمعنى وإياه – أدام الله علياه – مجلسٌ ثالث ، فأخذنا فى ذِكر الشعراء العلماء ، حتى جاء ذكرُ «أبى العلاء» فتذاكرنا ماله من التواليفِ البديعة التصنيف التى اغترفها من بحره ، واعتمد فيها على فِكره . فذكرَ لى أنه لا يُضاهَى فيها ولا يُجارَى، ولا يُعارَض فى واحدٍ منها ولا يُبارَى. فسوَّلتْ لى نفسى مناهضتَه ، وزيَّنتْ لى نفسى معارضتَه . وقديماً عهدتُها – أعزك اللهُ – نفساً أبِية ، تكلِّفنى العظائمَ وتجشمنى مطاردةَ الأَمانىِّ بين السُّها والنعائم . فعارضتُه فى «رسالة الصاهل والشاحج» برسالةٍ عرَّفتُها بِ : رسالة الساجعة والغربيب . أوَّلُها :

[أهدى إلى حضرة الأمير الأَجل أبى زكريا ، سرِّ الدنيا وفخر العليا ، تحيةً لا تعادِلُ إيماءه وإن طال طلقُها ، ولا تُشاكل إماءه وإن طاب عبَقُها . لكنها إن سجَح فى ميدان التحيات إرقالُها ، فقد رجح فى ميدان التحيات مثقالُها ...

. . . .

[ولما أكملتُ هذه الرسالةَ فجاءت من «رسالة الصاهل والشاحج» بمنزلةِ النغبة من البحر المائج ، لم تقدُرنى نفسى ولا رضِىَ يوى فيها عن أمسى ، حتى عارضتُه فى «سقط الزند» بكتابٍ سميته : ثمرةَ الأَدب ، أوله . . . .

[ولما مِلْت ، أعزك الله ، إلى التفقُّه فى الشرع ، كرهتُ أن يخلق بُردُ

الشباب قبل أن أطَرِّره بعلم المَتَاب ، فعمدتُ إلى « خطبة الفصيح » . . .

. . . .

[قد ذكرتُ لك – أعزك الله – مما جاريتُ فيه « أبا العلاء » نُتَفاً ، وناولتك مما ضاهيتُه به طرفاً . وكأنى بالناظر فى هذه الرسالة يقول إذا قرأ هذه الفصول : " أى فتى لو مَيَّز حَدَّه فوقف عنده ، وعرف قدرَ نفسِه فلم يَزد على هَمسِه ، ورأى بَوْنَ ما بين الأرض والسماء فلم يتطاول إلى مناهضة أبى العلاء ؟ ! "

وتاللهِ إنى لأعلم قَدْرى ومساحةَ صدرى ومثقالَ فهمى وغَلوةَ سهمى ، وقصورى عن أقصرِ إشاراته ، وعجزى عن أدنى عباراته . ولكنْ نُوزِعتُ الظِّلَّ فادَّعيتُ الجدارَ ، وأُبْعِدتُ عن العُقْر – محلة القوم وخيار الكلأ – فاقتعدتُ الدارَ . وهيهات ! ما ناهضتُه فى « سقط الزند » إلا بما لَفَفتُ به رأسى حياءً من المجد ، وما أنا فى مضاهاتِه فى « رسالة الصاهل والشاحج » إلا كمن ضاهَى بالنُّغبةِ عُبابَ البحر المائج ، وما أنا فى معارضتِه « خطبةَ الفصيح » إلا كمن عارض بالنَّفَسِ هبوب الريح . فلْيجِفَّ قلَمُ المعترِض ، وليَخِبْ سهمُ المتعقِّب المرِض ، إن شاء الله] .

أردت بنقل هذا الفصل من كتاب الكلاعى ، لألفِتَ إلى وصول مصنفات أبى العلاء ، ومنها « الصاهل والشاحج » إلى مغرب العالم الإسلامى . من عصر أبى العلاء الذى أخرج كتبه أصولاً موثقة.

وأن ألفتَ كذلك إلى قيمتها فى وزن « الكلاعى » من جِلّة الكتاب الشعراء الوزراء ، وأهلِ طبقته .

* * *

نص « الكلاعى » على معارضته (الصاهل والشاحج) ، ثم (سقط الزند) ،

واتجاهه بعدهما إلى معارضة (خطبة الفصيح) « قبل أن يخلق برد الشباب » .

وهى العبارة التى تُعِينُ على ماسبقت الإشارةُ إليه ، من توفيقٍ بين استهلاله (الساجعة والغريبب) بتحية الأمير الأجل أبى زكرياء ، وما فى (تكملة ابن الأبار) من صحبة الكلاعى لأبى الحسن بن بسام ، المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، والقاضى أبى بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ، عن سبع وسبعين سنة . وفى كل حال ، فإن جيلَ ابن بسام وابن العربى ، قد تتلمذ على شيوخٍ من جيل أبى العلاء ، وفيهم من رحلوا إليه ولقُوه أو قرءوا عليه وتتلمذوا له . (انظر أسانيد ابن خير إلى سقط الزند ، وضوئه فى الفهرسة : ١١١ - ١١٢)

والأندلس آنذاك ، والمغرب بعامة ، صارمُ الرقابة على صحةِ المرويات من كتب المشارقة فى الإسلام والعربية ، بالغ التشدد فى التزام أدقِّ قواعد الإسناد والضبط ، والجرح والتعديل .

وأتابع النظر فيما وصل إلينا من كتاب (إحكام صنعة الكلام) فأرى « الكلاعى » يقتصر فى « الترجيح بين المنثور والمنظوم » من فنون القول ، على شواهدَ نقلها من الآثار العلائية - كخطبة الفصيح ، ورسالة الإغريض ومختصر إصلاح المنطق ، وكلها فى مرويات ابن خير - دون غيرها من تراث الشعر والنثر . وعنده أن [ليس لإبداع أبى العلاء غايةٌ ولا انتهاء] .

ثم كتب فى « فصل المورَّى » :

[وسمَّينا هذا النوعَ من الكلام : المورَّى ، لأن باطنه على غير ظاهره وقد سلك « أبو العلاء » هذا المسلكَ ، وجرى فيه ملء عنانه فأدرك . فقال فى (رسالة الصاهل والشاحج) :

" العِلمُ يدل على أن الحسن لم ير الحسين قط ، وأن « فاطمة » رضى الله

عنها » لم تر فى بيتها عَلِيًّا . وقد يجوز أن تكون أبصرتْه على باب البيت » * .

* وكان «عليٌّ ، رحمه الله » [فى نسختينا : عليه السلام] يرحم الأرملةَ. ويبرُّ اليتيم ، ويضرب بحدِّ سيفه أمَّ الصبيين، ويقطع يدَ الفيل على السرَق، وجَلَده على شرب الخمر . وكان يـأمر بقتلِ الأعرج والأعيرج وهما فى الحرم ، ويكره دخولَ الأعمى المسجدَ . وكان يُنصِف الخسيسَ من أهل الأقدار ، ويُوطَأُ الجليلُ فى زمنه بالقدم " .

وفى « فن الحكايات على ألسنة الحيوان » اقتصر الكلاعى على شواهد نقلها من (القائف) – سبقت الإشارة إليها فى المدخل الموضوعى – ثم قال فى (شرح معانى الأشعار) :

[وقلما يخلو قارع هذا الباب من متعقب ، لأن كلاًّ يشرح البيتَ بما يميل إليه طبعُه وتحتمله قريحتُه . ولهذه العلة يعمد الجِلَّةُ إلى شرح لغاتِ أشعارها دون معانيها . ومنها ما يعتمد فيه المؤلف على فِكره ويغترفه من بحره ، كمؤلفات أبى العلاء التى تميز بها فى طبقات العلماء . فمن كتبه فى النثر : كتاب القائف ، وكتاب الصاهل والشاحج ، وكتابٌ شرَحَ فيه لغتَه سماه : لسان الصاهل والشاحج ، وكتاب الفصول والغايات ، فى تمجيد الله والعظات ، والسجع السلطانى ، وخطبة الفصيح لثعلب ، وكتابٌ شرح فيه لغته .

[وله من الرسائل التى لها بال : رسالةُ الفلاحة – الرسالة الفلاحية –

* هذه الفقرة والتى تليها ، متصلتان فى سياق المنقول من (الإحكام) بكتاب « تعريف القدماء » (ص٤٠٥) وآثرنا فصلهما ، لأن بينهما فى نسختى الرباط بضعة أسطر ، تجدها فى مظلمة الشاحج التى يسأل أبا أيوب، الجمل، أن يحملها إلى الحضرة العالية فى حلب . وقد نبَّه على أنه نحابها منحى ابن دريد فى « الملاحن » وابن فارس فى « فتيا فقيه العرب » .

وقد تولى أبو العلاء ، بيان وجه التورية فى كل لفظ ملغز ، وذلك على لسان الشاحج ، عندما أعيا أبا أيوب أن يفهم منطق صاحبه .

ورسالة الغفران ، ورسالة الجن ، ورسالة النكاح ، ورسالة الإغريض ، ورسالة المنيح . . .

وله من التواليف فى النظم : كتاب سقط الزند ، وكتابٌ شرح فيه لغته وسماه : ضوءُ السقط . وكتاب لزوم مالا يلزم ، والاستغفار ، وجامع الأوزان .

ومما لم يغترفه من بحره ولا اعتمد فيه على نظمِه ولا على نثره : كتاب ذكرى حبيب . وكتاب فى شعر أبى الطيب لم يبلُغنى ولا رأيتُه . إلى غير ذلك من التواليف التى لم تصل إلينا ولا ورد ذكرُها علينا] .

فترى مبلغ الرسوخ فى العلم بمصنفات أبى العلاء ، والحرص على التعريف بما رُئى منها وما لم يُر ، وما وصل إلى يده وما لم يصل ، فى بيئة شديدة التثبت فى إسناد المرويات ، والدقة فى توثيقها .

ولقد كانت الفقرة التى نقلها « الكلاعى » من (رسالة الصاهل والشاحج) علامةً على الطريق حين احتجَبت الرسالةُ منذ ذكرها « المقرى » فى النفح ، أوائلَ القرن الحادى عشر للهجرة ، إلى أن ظهرت نسختاها فى المغرب ، وديعةً غالية من القرن السابع ، عن أصلين لهما من عصر أبى العلاء .

وسيأتى فى وصف النسخة الحضرمية منهما ، أن عليها مع توقيع الأستاذ الرئيس « الشيخ عبد المهيمن الحضرمى » توقيعاً بأن ابن البناء المراكشى ، "كتب إلى أبى بكر الطرابلسى الشاعر الإشبيلى – المتوفى فى الثلث الأول ، من القرن السابع – يستعير نسخته من الصاهل والشاحج ، وكانت مكتوبة بخطه ، نزهة الأبصار" . مما يفيد أن الرسالةَ كانت مشهورة متداوَلة بين الأدباء والعلماء ، فى المغرب والأندلس .

نسختا الصاهل والشاحج :

ترتفع النسختان فى « الخزانة الملكية بالرباط » إلى مرتبة الأصول . وكنتُ على أن آخذ النسخة الحفصيةَ أَصلًا أولَ لوضوح رسمِها وجمالِ خطها واتساع أسطرِها وصفحاتها ، لولا تـآكلُ صفحاتها من البِلى ، ونقصٌ يـأتى بيانُه فى وصفها . فكان أن وضعت معها النسخةَ الحضرمية أَصلًا كذلك . وليست أدنى من الحفصية أصالةً ، لولا عُسر قراءتها .

النسخة الحفصية (ف)

رقمها فى فهرس الخزانة الملكية بالرباط : 802

وعدد صفحاتها : ٣٢٠ صفحة .

مسطرتها : ١٩ × ٢٨ سم .

وعدد سطور الصفحة : ١٧ سطرًا ، بمتوسط ١٤ كلمة فى السطر .

والنسخة بالية الورق من قدم ، وقد عالجتْها « الخزانة الملكية » بترميم متقن ، فغلِّفت كل ورقة منها بالبلاستك الشفاف تغليفاً كاملًا ، لولاه لما تماسكت بقاياها .

ومدادها قديم وهى مكتوبة بخط مغربى ، بالغ التجويد والأناقة ، مع وضوح وسعة . وأوائلُ الفقرات فيها ، تتميز بأَنْ كُتِبت بخط أكبر من سائر الكلمات .

وعلى الصفحة الأخيرة منها ، بعد متن الرسالة ، شهادةُ التوثيق وتاريخ الكتابة والمقابلة :

[كملت رسالة الصاهل والشاحج ،

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما . وذلك فى أول العشر الأول لمحرم ، عام ثمانية وثلاثين وستمائة . وفى الرسالة من الشواهد ، ألف وخمس مائة واثنان وخمسون بيتاً .

كتبها بخطه للأمير الأجل ، الملك الميمون المبارك ، الأسعد المؤيد المنصور أبى زكرياء بن الشيخ الأجل المكرّم المقدس أبى محمد ، بن الشيخ الأجل المكرم المعظم المقدس الأطهر أبى حفص . أيد اللهُ أمرهم وأعز نصرهم ، وأوزع الكافَّةَ شُكرهم ، كما طيب فى الأفواه ذكرهم ،

عبدُهم المستَرقُّ ومملوكُهم المستحق ، يحيى بن إبرهيم بن . . . . (كلمة مطموسة) .

ثم قابَلها وقيَّد شرحَها وطُرَرَها ، على حسب طاقته . وضبطها بقَدر استطاعته . فكمُل ذلك فى العَشْرِ الأُخَر من شهر الله المحرم عام ثمانية وثلاثين وستمائة] .

وعلى هامشها توقيع مكتوب بخط دقيق ، هذا نصه فيما قرأت :

[اجتمع على قراءةِ هذا الكتاب ، وأُحضِرتْ له أمٌّ مقروءَةٌ على مؤلفه ، فكلٌّ ما . . . فهو من . . . . . الأم العتيقة . وكمل ذلك فى جمادى الأولى من عام أربعة وأربعين وستمائة] .

* * *

والنسخة عالية المستوى فى الضبط والإتقان والتجويد ، ويشهد ضبطُها بتمكن من العربية ودراية بسياق النص . وعلى هوامشها طُرَرٌ بمداد أحمر ، تعذرت قراءةُ أكثرها لتآكل الورق من البِلى ، لكن الذى بقى

منها يشهد لصاحبها برسوخ الفقه فى علوم العربية والإسلام ، وسعة الاطلاع على أصول المصادر فى التحقيق . وكانت بحيث تقدم إلىّ أكبرَ العون فى تفسير الغريب ومعرفة الشواهد المرسَلة والأعلام المجهّلة ، لولا تعذر قراءةِ المطموس منها وهو الكثير الغالب . ولقد وجهنى القدرُ الضئيل الذى استطعتُ قراءته بمشقة ، إلى مصادرَ ما كنت لأرجع إليها مباشرة ، وإلى أشخاص أعلام يذكرهم «أبو العلاء» بغيرِ المشهور من أسمائهم أو كُناهم وألقابهم وأنسابهم أو مشتبه الأنساب مما يعرفه الذين يكابدون تحقيق مثل هذا النص ، وقد يرجعون إلى عشرات من مظان المصادر والمراجع ، فى التماس شاهدٍ مرسَل ، أو علَم غير مشهور .

* * *

وسبق لى أن اطلعت على هذا المخطوط فى زيارتى الأولى للمغرب ، عند ما شرُفت بالدعوة إلى المشاركة فى ندوة علماءِ الإسلام فى احتفال المغرب المشهود بمرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم (ديسمبر ١٩٦٨ : رمضان المعظم ١٣٨٨) .

ولفتتنى النسخةُ بأصالتها وضبطها وإتقانها ، لكن صرفنى عنها ، أن لم تَسْلَم ورقةٌ من أوراقها من تآكلٍ بين ما تماسك من بقاياها ، وبخاصة فى الأطرافِ العليا التى ذهب البِلى بسطر أو سطرين من أوائل الصفحات ، بحيث احتاجت الخزانة فى عملية الترميم ، إلى وضع أرقام الصفحات فيما يلى مواضع التآكل فى الأطراف .

ولاحظتُ كذلك اضطراباً فى موضعين من سياق المتن . مع تسلسل أرقام الصفحات . فالكلام فى آخر صفحة 154 منها غير متصل بوجه ما ، بالكلام فى أول الصفحة بعدها 155 . والسياق منقطع كذلك بين آخر

صفحة 165 ، وأول صفحة 166 التي تليها .

ولم أعلم وقتئذ بوجود نسخة أخرى فى الخزانة – ولعلها لم تكن فُهرِسَتْ بعد – لكى أهتدىَ إلى وجه اختلال السياق فى هذين الموضعين من النسخة الحفصية . وإذ قرأتُ إحصاء الشواهد المدون على صفحاتها الأخيرة ، ومقداره ١٥٥٢ بيتاً من الشعر . عكفتُ على عدِّ الشواهد فى نصِّ المخطوط كله ؛ فألفيتها تنقص عن الإحصاءِ ، بمقدار مائةٍ وسبعة وستين شاهدًا ؛ فكانت دليلا على ضياع قدر غير قليل من أصل المتن .

فكان أن انصرفتُ عنها ، وأنا أشعر بعميق الأَسَى وفادح الخسارة .

حتى رجعتُ إلى المغرب من ديسمبر ١٩٧٠ على سعةٍ من الوقت تتيحها إعارتى من جامعة عين شمس إلى جامعة القرويين .

وفى « الخزانة الملكية » ألفيت النسخةَ الأخرى من (رسالة الصاهل والشاحج) كاملةً سليمة . فقابلتُ عليها موضعَى الخلل فى النسخة الأولى ، فاتضح أنه يرجع إلى سقوط نحو ثلاثِ صفحات من الموضع الأول ، وثلاث عشرة صفحة من الموضع الثانى ، ويأتى بيانُها بالتحديد ، فى نسختنا .

وبقيت النسخةُ الحفصية على نقص هذه الصفحات ، وتآكل الموجود منها ، أصلًا فيما سلم من صفحاتها الثلثمائة والعشرين ، لم أَستغنِ عنِ كلمة مقروءةٍ فيها ، فى إخراج النص المحقق للرسالة .

النسخة الحضرمية (ض)

رقمها فى الخزانة الملكية بالرباط : 6146

عدد صفحاتها : ١٦١ صفحة .

مسطرتها : ١٩×٢٨ سم .

فى الصفحة منها : ثلاثون سطرًا ، بمتوسط ١٥ كلمة فى السطر .

مكتوبة بخط «الإمام الحضرمى» بمداد أسود قديم على ورق خفيف ، تـآكلتْ أطرافُه دون أن يصل التـآكلُ إلى الكتابة فى أى صفحة من المخطوط . فسلم المتنُ كله ، كاملا لم ينقص منه شىء .

وصفحاتُها مرقمة على طريقة الخط القديم ، بتذييل كل صفحة بأَول كلمة فى الصفحة التالية .

ثم وضعت عليها من صفحة 6 أرقام بمداد حديث .

* * *

وعلى الصفحة الأَخيرة منها ، تقييدات التوثيق والتاريخ والمقابلة :

[نجزت رسالة الصاهل والشاحج ، مما أَلفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، إملاءً تجاوز الله عنه . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله ، وعلى آله وسلم تسليمًا .

فى سنة سبع وستين وأربعمائة .

فى هذه الرسالة من الشواهد ألف وخمسمائة واثنان وخمسون بيتاً .

وجدت فى النسخةِ التى نَسخنا منها : وكان تمامه بسبتة ، حرسها الله

تعالى ، فى العاشر لشعبان المكرم من سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وفى طرة هذا المحل ما صورته :

[بلغت مقابلتُه بأَصله ، والحمد لله وصلواته على محمد . . . فى الثالث والعشرين لشهر شعبان المكرم سنة سبع وتسعين وستمائة . وكتَبه مُتَولِّى ذلك عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد الحضرمى . سمح الله له وتجاوز عنه فى الدارين. انتهى من خطه] .

* * *

و «عبد المهيمن الحضرمى» يرفع النسخةَ إلى مرتبة الأصول ، ويمنحها الثقةَ فى صحة الإسناد وعلو الضبط ، فهو فى ترجمة مؤرخيه : عالم سبتة الإمام ، الأستاذ الرئيس ، صاحب القلم الأعلى ، تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق(1) .

وُلِد عبد المهيمن سنة ٦٧٦ هـ ، بمدينة سِبتة – ردَّ اللهُ غربتَها – وأبوه محمد بن عبد المهيمن قاضيها .

ولم يفتنى أن توقيعه على نسخته بمقابلتها بأَصلها فى الثالث والعشرين لشعبان سنه ٦٩٧ هـ ، يعنى أنه كان وقتئذ فى الحادية والعشرين من عمره. فهل تحققتْ له ، فى تلك السن المبكرة ، أهليةُ التحمل لنص الرسالة الصعب ، وتوثيقُ سنِدها مقابلةً لها بأَصلها ؟ وذلك ما يقتضى أن أنقل هنا ما يتعلق بهذه المسأَلة ، مما قرأتُ فى ترجمته :

---

(1) عبد الله كنون : مشاهير رجال المغرب (عبد المهيمن الحضرمى) دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٠ . مع شجرة النور الزكية لابن مخلوف : ٧٨٢/٢٢٠ .

[ونجَم وفهُم وتصدر للإفادة على حداثة سِنّه ، ولحق بالشيوخ الكبار . وكان له القِدح المعلى فى علم العربية والمشاركة الحسنة فى الأَصلين ، والإمامة فى الحديث والتبريز فى الأَدب والتاريخ والعروض. وأَخذ عنه الجمُّ الغفير من أَئمة العلم كالمقَّرى ، الجَدِّ ، وابن مرزوق الكبير ، وابن خلدون الذى حلَّاه بإمام المحدِّثين وقال فيه : "كانت بضاعته من الحديث وافرة ونحلتُه فى التقييد والحفظ كاملة . وكانت له خزانةٌ من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سِفر ، فى الحديث والفقه والعربية والأَدب والمعقول وسائر الفنون ، كلُّها مُقَابَلة ، ولا يخلو ديوان منها عن ضبط بخطٍّ بعض شيوخه المعروفين فى سنده إلى مؤلفه . . . ." وقال «ابن الخطيب» فى (الإكليل) : "تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق . . نشأَ بسبتة وأبوه رحمه الله تعالى قطب مدارها ومقام حجِّها واعتمارها ، فسلك الوعور من المعارف والسهول ، وبذَّ على حداثة سِنه الكهول "] .

كما أَنقل ، للتوثيق ، ما نصَّ عليه مورخود من أَنه بقى فى بلده « سبتة » إلى أن وفد إلى غرناطة مع والده سنة ٧٠٥ هـ ، فى عهد ثالث ملوك بنى الأَحمر. ثم رجع إلى « سبتة » . وتقلد فى سنة ٧١٢ هـ كتابة السلطان أبى سعيد المرينى وعلامتَه . وصحبه مع العلماءِ إلى تونس ، وبها توفى فى الثانى عشر من شوال سنة ٧٤٩ هـ .

فصحَّ لدىَّ ، أَنه كان فى بلده « سبتة » فى التاريخ الذى يحمله توقيعه على نسخته ، مع الاطمئنان إلى أَهليته فى شبابه ، لتحمل العبء الجليل ، وقيد الطُّرَر المقروءَة على هامش المتن المقابَل بأَصله .

ذلك أَن (رسالة الصاهل والشاحج) فى نصِّها الصعب ، بغريبِ أَلفاظه

ونوادر أمثاله وألغازه ونكته اللغوية والعروضية والبديعية ، وأوابد شواهده المرسَلة وأعلامه المذكورة بغير المشهور من الأسماء والكنى والألقاب ، وإشاراتها إلى أحداثٍ تاريخية من عصرها . . الرسالةُ بهذا كلِّه ، لا يمكن أن يُصِحَّ قراءتها وضبطها ، إلا الراسخون فى علوم العربية والإسلام . ويُحتاج لإقامة نصها وفهم سياقه وقيْدِ أوابده وتحقيق أمثاله وشواهده وأعلامه ، إلى خزانة كخزانة « عبد المهيمن الحضرمى » : "عامرة بالكتب الأصولِ الأُمهات فى شتى الفنون ، كلها مُقابَلة ومسنَدة ." كما قال « ابن خلدون »

* * *

وتحمل النسخةُ على صفحتها الأولى ، تحت عنوان الرسالة ، توقيعاً آخر بخط الناسخ يفيد أن الشاعر « أبا بكر الصابونى » كانت لديه نسخة متقنة بخطه ، من الصاهل والشاحج .

وصورة التوقيع :

[وكتب الفقيهُ أبو بكر بن البناء ، للأديب المبرز أبى بكر الصابونى رحمهما الله تعالى ، يستعير منه هذا المخطوط ، وكان بخطه وكان نزهة الأبصار :

شوقى إلى الصاهلِ والشاحج شوقُك للساق وللمازج
أو رشأٍ يُصْبِيك من عِطفه وردفهِ ، بمائد مائج]

وابنُ البناء : مراكشى بلدًا ومولدًا .

والصابونى ، أبو بكر محمد بن أحمد، من إشبيلية . قال عنه « ابن الأبار » (فى تحفة القادم) : "ختمت به الأندلس شعراءها . وزار المشرق فتوفى

بالإسكندرية فى طريقه إلى القاهرة ، سنة ٦٣٤هـ" - فى فوات الوفيات ١٢٨/٢ أنه توفى سنة ٦٠٤ هـ - .

وهذا يعنى أن (رسالة الصاهل والشاحج) كانت مشهورة فى المغرب والأندلس يتداولها الشعراءُ والعلماءُ ، قبل زمن النسخة الحفصية .

* * *

وعيبُ النسخة الحضرمية ، أنها مكتوبة بخط مغربى قديم تناهى فى الدقة ، فوسعت الصفحة منها ما يقابلها فى صفحتين وأكثر من الحفصية .

وما كان ليُتاحَ لى أن أنشر النص عن هذه النسخة وحدها ، فوضوح خط النسخة الحفصية ، هو الذى كان يقيم السياق بما يعين على قراءة خط الحضرمية . ومع طول المعاناة والإلف أمكن بمشقة وعُسر ، قراءةُ الصفحات الضائعة من المخطوطة الحفصية ، وترميم التآكل والخرم والطمس فيها .

من ثَم كانت النسختان معاً أصلين للنص الذى أقدمه ، لم أستغن فى شىءٍ منه بإحداهما عن الأخرى . . .

وبقيتْ مع ذلك كلماتٌ قليلة لم أتحقق من رسمها فى الأصلين ، فنبَّهت على قراءتى لها . وأخرى لم أستطع قراءتها على أى وجه ، فتركتها تُفهم من سياقها ، تحرجاً من إثباتها على الظن . . .

* * *

ومن الحق ، أن أشير هنا إلى مواضع من دقة هذا النص ، ومصاعب تحقِيقه :

كل كلمة من متن الرسالة ، احتاجت إلى جهد تحقيقٍ للتثبتِ من

رسمها المقروء ، وسلامة ضبطها . لم يُغن عن ذلك أن تكون الكلمة مضبوطة فى الأَصلين أو أَحدهما ، فطبيعة الكتابة فى المخطوطات ، تحتمل أكثر من وجهٍ فى الرسم والشكل ، فضلا عن احتمال سهو الناسخ أو خطئه .

وأعلام الصاهل والشاحج ، تـأتى فى سياق أَحداثٍ تاريخية ، أو مرويات من تراث الجاهلية إلى عصر أبى العلاء . فليس يكفى أن نعرف شخصيات الأَعلام ، المشهور منهم والمغمور أو المذكور بغير ما اشتهر به من اسم أو لقب وكنية ونسب . بل احتاج النصُّ المحقق ، إلى مراجعة الأَحداث والمرويات التى تتعلق بسياق ورودِ الأَعلام فى الرسالة ، فى مظانِّ وجودها بكتب التراث ، التاريخى والأَدبى واللغوى .

وفى هذا ، واجهتْنا ظاهرةُ اختلاف أَسماء الأَعلام المشهورة بالكنى أو الأَلقاب أو الأَنساب ، فى كتب التاريخ والطبقات والمعاجم ، فكان أن اعتمدت فيمن اختلفوا فيهم ، روايةَ «جمهرة أنساب العرب لابن حزم» و «نسب قريش المصعب الزبيرى» فى طبعة الذخائر المحققة ، و «الأَنساب للسمعانى» التفاتاً منى إلى تخصص علماء الأَنساب ، فى تحقيق أسماء الأَعلام .

والشواهد ، المرسلة والمسندة ، تـأتى غالباً أشبهَ بإشاراتٍ إلى مواقف وأَحداث ، فليس يكفى أن يصحَّ ضبطُ الشاهد ونسبه ، بل احتاج التحقيق إلى مراجعة دواوين الشعر القديم ، وكتب الأَمالى وشروح الشواهد النحوية واللغوية ، التماساً لما يتعلق بشواهد (الصاهل والشاحج) التى بلغت فى الإحصاء : ألفاً وخمسمائة واثنين وخمسين بيتاً من الشعر .

وفى الرسالة كثرة من الأمثال ، منها ما جاء بصريح لفظه ، فسهُل الرجوع إليه فى معاجم الأمثال العربية . ولكن الكثير منها يأْتى على وجه التضمين ، والأمر فيه أشق ، لصعوبة تمييزه . التماساً لمراجعته فى مظان وجوده ، كيلا تفوتنا إيماءات النص .

وأساليب الكناية والتورية والرمز والإلغاز فى (الصاهل والشاحج) تعنى أن الكلمات والعبارات على غير ظاهر ألفاظها . وأبو العلاء يحلّ ألغازه البديعية والعروضية ، لكنه نادرًا ما يتجاوز شرح الألفاظ وتفسير مواضع التورية وأوجه الإلغاز ، إلى مراميها البعيدة وإيماءاتها الخفية . إذ يوجِّه رسالتَه على ألسنة البهائم ، إلى الحضرة العالية التى تزدحم بالطفيليين من تجار الشعر وأدعياء العلم ، فى مجلس حاكم حلب ، وهو رومى من غلمان منجوتكين غلام العزيز بالله الفاطمى . ينظر فى العروض والشعر ، ويتصرف فى أقدار الشعراء ومنازل العلماء !

ويريد أبو العلاء ليكشفَ عن زيف ادعائهم ، بما فى رسالته إلى «السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء ، أعز الله نصره» من نوادر الأمثال وأوابد الغريب ونكت الفقه العروض وعُقد الألغاز . . .

ولم يفهم «عزيز الدولة» ولا فَهِمَ الملأُ من حوله ، إيماءاتِ (الصاهل والشاحج) وأوابدَ غرائبها ونُكتها ، وإن حلَّ لهم أبو العلاء فيها ألغازه ، وفسر غريبَها بالقريب إلى الفهم . بحيث احتاج إلى أن يُتبِعَ الرسالةَ بشرحٍ لها منفرد ، فى (لسان الصاهل والشاحج) الذى لم يصل إلينا ، ولكن «الكلاعى» ذكره حين قرر وهو ينظر فى شروح أبى العلاء لمصنفاته أنه «يشرح الألفاظ واللغة ، دون المعانى ، أى المرامى» . كما ذكره أبو بكر ابن خير فى مروياته بالفهرسة :

ويصح عندى أن أقول : هل كان موقفه فى «لسان الصاهل والشاحج» غير موقفه فى «رسالة الغفران» التى حققتُها نصًا وعرفتها دراسةً ؟ فى مقدمتها مثلا ، فسَّر ألغازَ الحماطة والحضب والأَسود ، وصرَّح بأنَّه ألغز بها عن القلب . لكنه لم يفسر قط ، لماذا بدأ رسالتَه إلى «ابن القارح» بهذه التحية الملِغزة عن القلب بالحيَّات السَّامة وبالسواد ؟ . وبقى هذا اللغز الكبير مغلقاً لم ينتبه إليه أحدٌ من الدارسين فيما أعلم ، قبل محاولتى التى قدمتُها سنة ١٩٧٠ ، فى (قراءة جديدة لرسالة الغفران) .

وفى تاريخ أبى العلاء ، أن «عزيزالدولة» ، والى حلب للفاطميين ، طلب إليه بعد أن تلقى كتاب (الصاهل والشاحج) ثم (لسانه) أن يصنف له كتاباً على معنى كليلة ودمنة . فبدأ فى تصنيفه وأتم منه أربعة أجزاء ، ثم انصرف عنه لم يكمله ، لمقتل عزيز الدولة الذى طلبه .

وهذا الخبر الموثَّق برواية «ابن العديم» فى (الإنصاف) يبيح لى أن أستنتج أن العزيز الرومى ، عىَّ بالصاهلِ والشاحج ولسانه، فلماذا لا ينحو أبو العلاء فيما يُرسِل إليه على ألسنة البهائم ، منحى حكاياتِ كليلة ودمنة ، فى يُسْرِ المأخذ ووضوح المرمى ؟

ولم يهش أبو العلاء للتأليف على نَمطٍ مألوف ومطروق ، سبقه إليه «ابن المقفع» فى ترجمة كليلة ودمنة . لكنه استحيا من رفض رجاءٍ لطالب درسٍ وتسلية ، فبدأ يملى حكاياتِ (القائف) بأسلوبِه الخاص ، ثم انصرف عنه بمقتلِ عزيز الدولة ، بعد أن أملى أربعة أجزاء منه .

أريد لأقول ، إن تحقيق (رسالة الصاهل والشاحج) لا يكفى له استيفاء الشرح لألفاظِها وفهم شواهدها ومضرب أمثالها ، ومعرفة أعلامها فى

سياق ورودِها ؛ ولكنه يحتاج مع ذلك كله إلى إلفٍ للغة أبى العلاء وفهم شخصيته ولمح مراميه ،عن طول صحبة له فى كلٍّ ما وصل إلينا من آثاره ، وأخباره .

بحيث أستطيع القول ، إننى فى هذا النص المحقق ، اتكأْتُ على دراية – أرجو أن تكون راسخة – بآثار أبى العلاء وشخصيته ، وتخصُّصٍ دقيق فى دراسة نصوص التراث ، وحصادِ عمر طويل فى صحبة ما فى خزانتنا العامرة بذخائر الكتب الأمهات ، فى علوم العربية والإسلام .

وكلفنى النص مع ذلك ، مشقة بالغة ولقيتُ فيه من أمرى نصباً . . .

ولست فيما أشرت إليه من معاناةٍ فى تحقيق الرسالة خدمتها ، أَمُنُّ بذلك على أمتى ، بل الله يَمُنُّ علىَّ أن أعاننى على احتمال العبء .

غير أننى قصدتُ إلى التنبيه على ضوابطَ لمنهج التحقيق ، قد تُجدى على أبنائنا من شبابِ المحققين الذين نرجوهم لحمل هذه الأمانة الصعبة .

وعسى ألا يغتال هذا النصَّ الذى بذلتُ له جهد سنين من كهولتى ، مع التفرغ والانقطاع عن الدنيا والناس ، مَن يشوهونه فى طبعة مزورة ، على نحو ما شُوِّهت « رسالةُ الغفران » فى طبعتيها المزورتين ، من « دار صادر وبيروت » و « دار إحياءِ التراث العربى فى بيروت » نقلا بجهالة وغفلة ، وتدليس وتمويه ، من نص الغفران فى طبعتيه الثالثة والرابعة ، بذخائر العرب .

* * *

وبعد فإن تقديم هذا النصِّ المحقق لرسالة الصاهل والشاحج ، لا يعنى

بحالٍ ما أن جهيزة قطعتْ قولَ كلِّ خطيبٍ ، فما يزال فيه مجالٌ لمزيدِ استيفاء لبعضِ ألفاظ. وأعلام وشواهد ، قصُر جهدى عن تحقيقها ، وغابت عنى مصادرُ مراجعتها . فتركتُها للغد ـ كما فعلتُ فى الطبعة الأُولى لرسالة الغفران ـ على رجاء أن أهتدى إليها أو يكون غيرى من المحققين على علم بها فيتفضلوا بتوجيهى إليها ، لطبعةٍ تالية من هذا النص ، أرجو بتوفيقِ الله ومعونة الزملاء الدارسين ، أن تكون أقربَ إلى الوفاء مما نطمح إليه .

« وقل ربِّ زِدْنى علما » .

مصطلح :

(ص) : صحاح الجوهرى .

ق : القاموس المحيط .

ل : لسان العرب .

ت : تاج العروس.

س : أساس البلاغة .

مح : محكم ابن سِيده .

مخ : المخصص لابن سيده .

خص : الخصائص لابن جنى

العلامة || : تجاه أرقام الصفحات فى المخطوطة الحفصية بالرسم المغربى وللمخطوطة الحضرمية ، بالأرقام المشرقية .

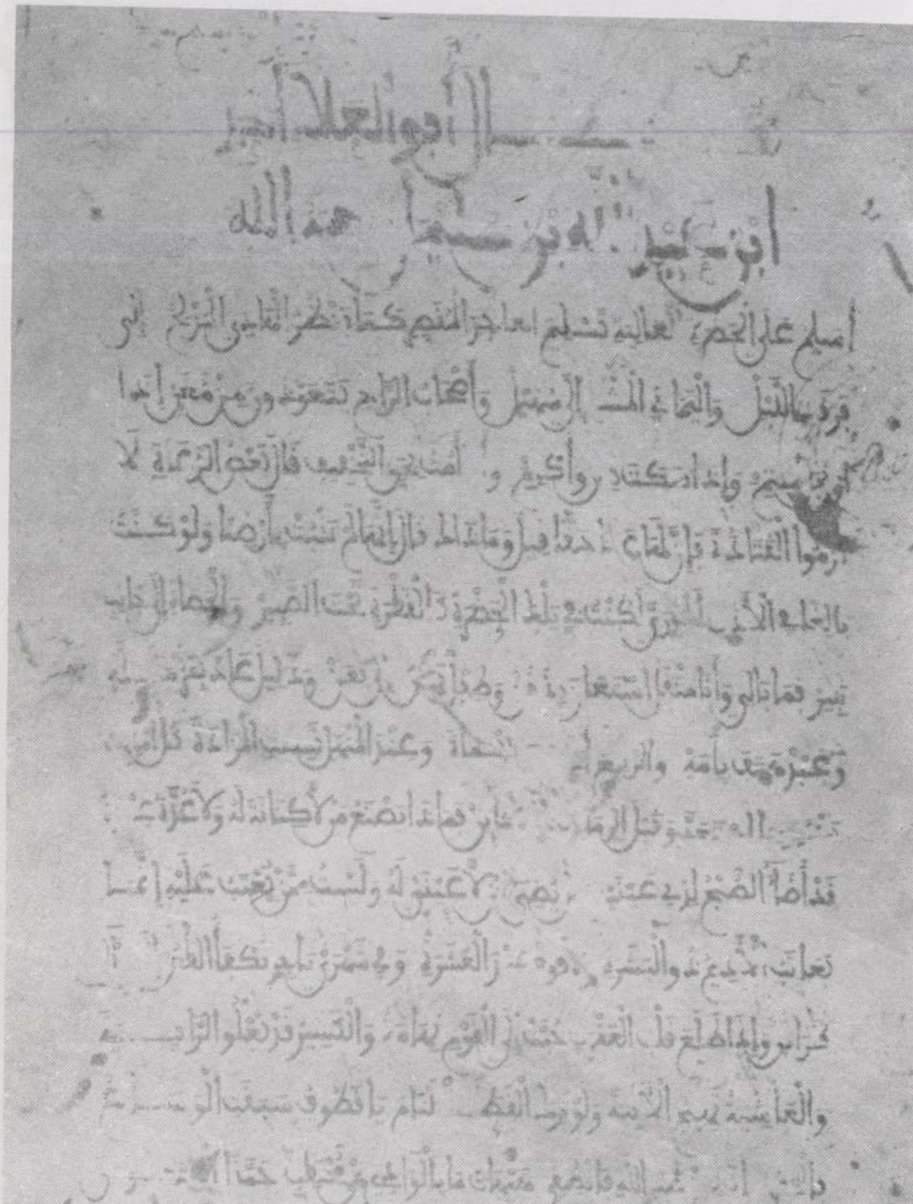
علامة = : بجانب الأعلام ، يشير الرقمُ بعدها إلى الصفحة التى تُرجِم فيها للعلم .

كتاب

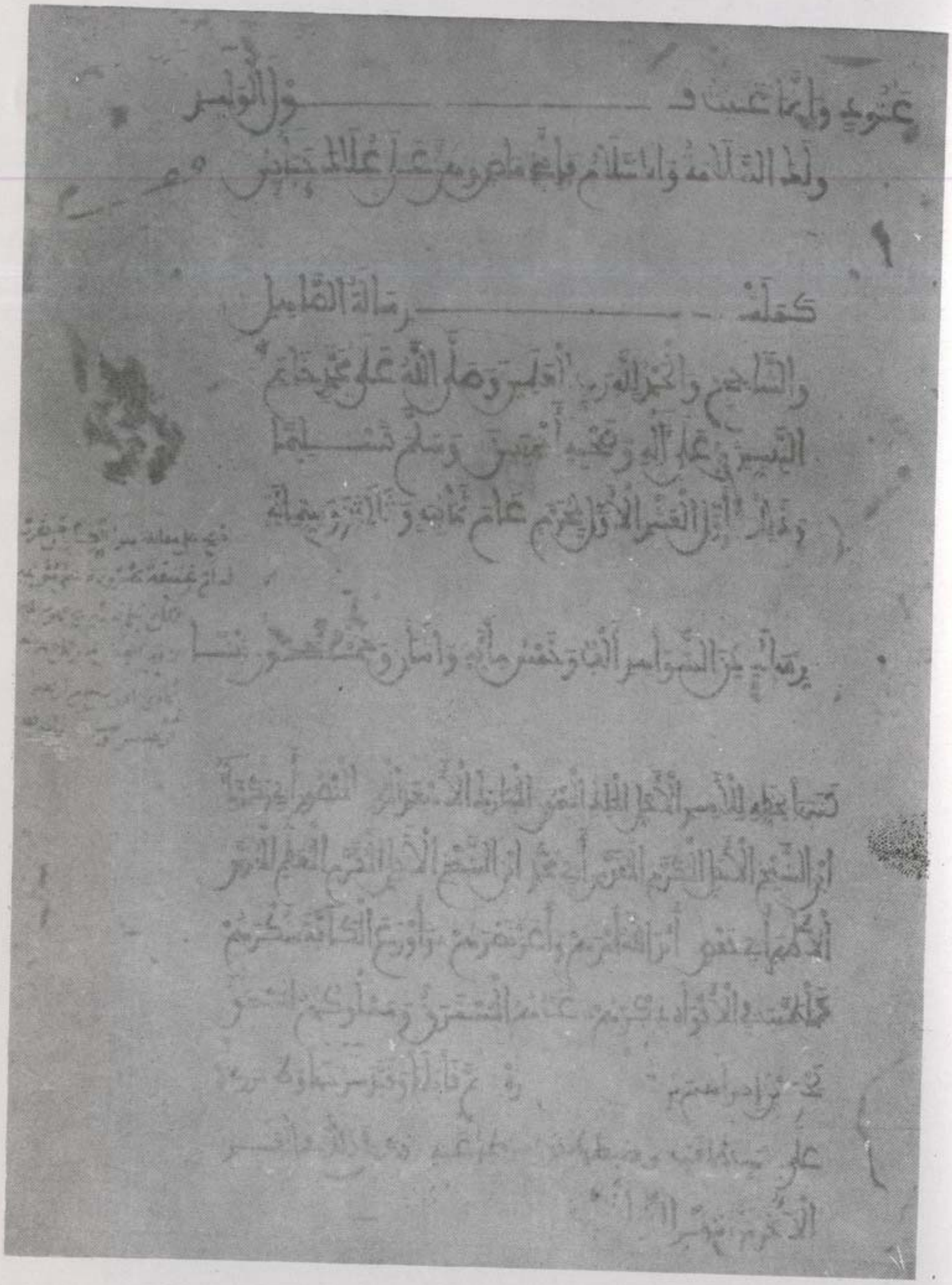
رسالة الصاهل والشاحج

مما ألفه إملاءً : أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ سليمانَ المعرى
تجاوز اللهُ عنه ، ورحمه ورحم المسلمين أجمعين*

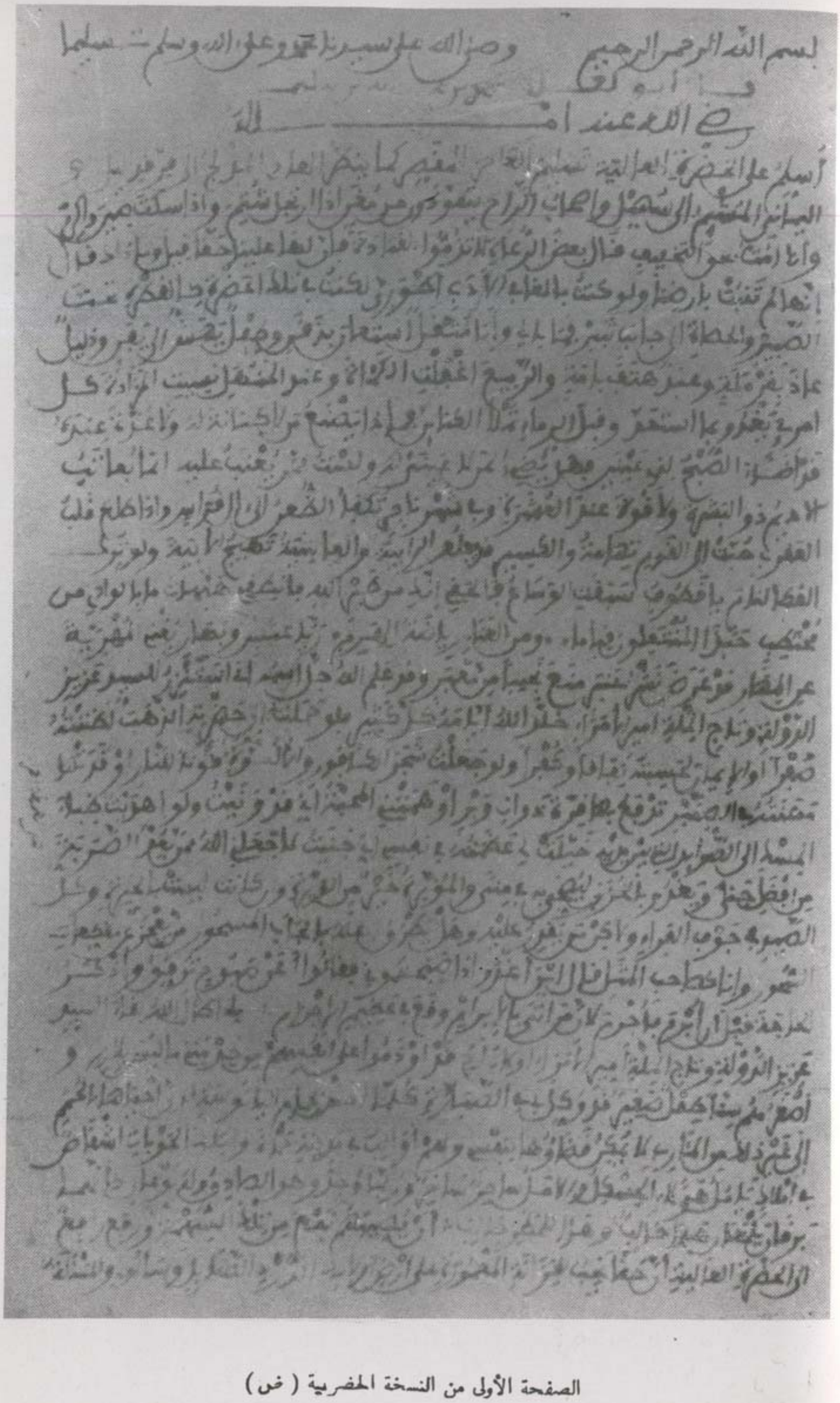
* عنوان الرسالة ، كما فى الأصلين .


قال أبو العلاء أحمد
ابن عبد الله بن سليمان رحمه الله

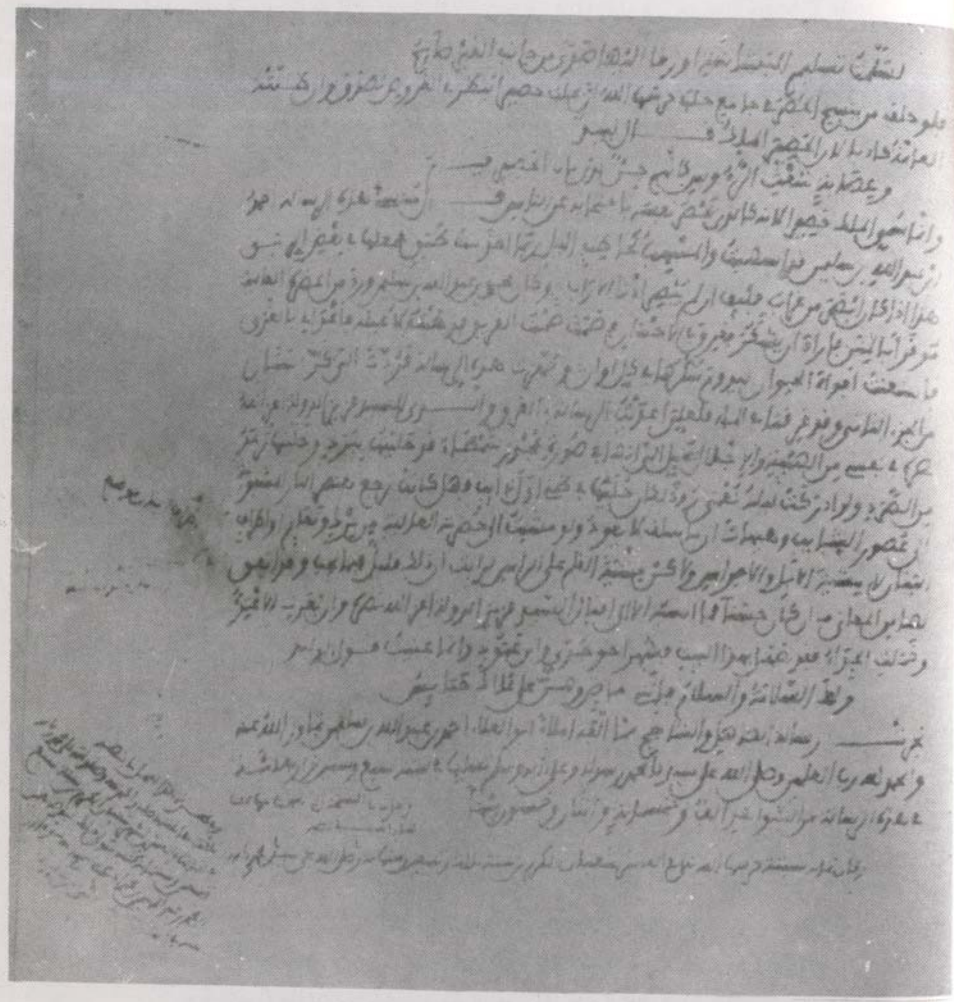
الصفحة الأولى ، من النسخة الحفصية (ف)


والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم
النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من النسخة الحفصية (ف) وعليها نصوص التوثيق


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

الصفحة الأولى من النسخة المضرية (ض)



الصفحة الأخيرة من النسخة الحضرمية (ض) وعليها نصوص التوثيق

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

قال «أبو العلاء ، أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ سليمانَ رحمه الله :

أُسَلِّمُ على الحضرةِ العاليةِ تسليمَ العاجزِ المقصِّرِ ، كما ينظرُ الهادِى المُدْلِجُ إلى فَرْقدِ الليلِ ، واليمانِىُّ المُشيم إلى سُهَيْل. وأصحابُ الراحِ يَتعوَّذون من مُغَنٍّ إذا ارتجل شُتِم، وإذا سكتَ صِينَ وأُكْرِمَ. وأنا أَمُتُّ بِحَقِّ التخفيفِ. قال بعضُ الرُّعاة : «لا تَذُمُّوا القَتادَةَ فإن لها علينا حَقًّا» .. قيل : وما ذاك؟ قال : «أنها لم تَنْبُتُ بأَرضِنا»[1].

ولو كنتُ بالغاً فى الأَدَبِ أَطْوَرَىَّ[2] ، لكنتُ فى تلك الحَضرةِ كالقَطْرةِ تحت الصَّبيرِ ، والحَصاةِ إلى جانبِ «ثَبِير»[3]. فما بالى وأنا مُثقَلٌ استعان بِذَقْنٍ[4] ، وطِفلٌ بَهَش إلى يَفَنٍ ، وذليلٌ عاذَ بِقَرْمَلةٍ ، وعبدٌ هتَفَ بِأَمَةٍ[5]؟ والربيعَ أَغفلتُ الكَمْأَةَ ؛ وعند المَنهلِ نسيتُ المَزادَةَ[6]. كُلُّ امرئٍ يغدو بما استعدَّ[7] ،

(١) أمت : أتوسل . والقتادة ، واحدة القتاد: الشجر ذو الشوك (ف) — وأبو العلاء فى تمثله هنا بكلمة بعض الرعاة ، يشير إلى أن له على الحضرة حقاً : أنه بعيد عنها لايقيم فيها ولا يتردد عليها .

(٢) الطور : ماكان على حد الشئ . كالطور والطوار ومن أمثالهم : «بلغ فى العلم أطوريه» بفتح الراء على التثنية ، وكسرها على الجمع . أى أوله وآخره (القاموس) وذكره «الميدانى» فى أمثاله (١ / ٩٣) ونقل فيه عن أبى زيد : «بلغ أطوريه ، بكسر الراء على معنى الجمع ، أى أقصى حدوده ومنتهاه» ويقال كذلك : عدا فلان طوره ، إذا جاوز حده ومنتهاه .

(٣) الصبير : السحاب الأبيض . وثبير : جبل بمكة (ف) .

(٤) فى المثل: «مثقل استعان بذقن» قال الجوهرى : يضرب فى الرجل الذليل يستعين بآخر مثله . وأصله البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيستعين بذقنه (ص) .

(٥) اليفن : الشيخ المسن . والقرملة، واحدة القرمل ، كجعفر : شجر ضعيف بلا شوك ينفضخ إذا وطئ . ومنه المثل : ذليل عاذ بقرملة (ق) .

(٦) المزادة: الراوية . وانظر معه : الصيف ضيعت اللبن ، فى أمثال الميدانى ٢ / ٦٨

(٧) منه قول عمرو بن معد يكرب ، فى قصيدة له حماسية (١ / ٨١) :

كل امرئٍ يجرى إلى ... يوم الهياج بما استعدا

وقبلَ الرِّماءِ تُملأُ الكنائِنُ[١] ؛ فماذا يَصنعُ مَن لا كِنانةَ له ولا عُدَّةَ عنده؟ قد أَضاءَ الصبحُ لذى عَينينِ ، فهل يضىءُ لِمنْ لا عينينِ له؟ ولستُ مِمَّنْ يُعتَبُ عليه، إنما يعاتَبُ الأَديمُ ذوالبَشَرةِ[٢] ، ولا قُوةَ عند العُشَرَةِ[٣]. وفى شهرى ناجِرٍ تُكفَأُ الظُّعُنُ إلى قُراسٍ[٤] وإذا طلع قلبُ العقرب حُبِّتْ إلى القوم تِهامَةُ. والكَسيرُ قد يعلو الرابيةَ ، والعاشِيةُ تَهيجُ الآبِيةَ[٥] ، ولو تُرِكَ القَطَا ليلًا لنام[٦].

يا قطوفُ ، سَبَقَت الوَسَاعُ فالحقِى[٧] ، إنها من طيرِ اللهِ فانطِقى .

2) هيهات ! ما بالوادى من مُحتَطِبٍ ، حبذَا المنتعلون قياماً .

* ومن العَناءِ رياضةُ الهَرِمِ *[٨]

---

(١) بلفظه . فى أمثال الميدانى : والكنائن ، جمع كنانة : أوعية السهام ومثله : « قبل الرماء يراش السهم » (مجمع الأمثال : ٢ / ١٠١) .

(٢) المثل بلفظه فى أمثال الميدانى(١ / ٤٠) وشرحه : المعاتبة المعاودة . و بشرة الأديم ظاهره الذى عليه الشعر . يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب. وقال الأصمعى : كل ما كان فى الأديم محتمل ما سلمت البشرة .

(٣) العشرة ، واحدة العشر : شجر فيه حراق — هش — يحتطب به ، ويحشى فى المخاد — جمع مخدة . (ق) .

(٤) شهرا ناجر : من أشهر الصيف . ويقال لكل شهر من أشهر الصيف : ناجر . والنجر ، بالتحريك : عطش الإبل والغنم فلا تكاد تروى ، فتمرض عنه فتموت ، والقراس : الشديد البرد . والقارس والقريس البارد. والظعن والأظعان ، جمع ظعينة : الهودج . ويقال للمرأة : ظعينة، مادامت فى الهودج . ويجمع أيضاً على ظعائن (ق) .

(٥) المثل بلفظه فى (أمثال الميدانى) العاشية : التى تتناول طعام عشائها . والآبية التى تأباه . يضرب فى الإثارة والإغراء . وله قصة طويلة ذكرها الميدانى (٢ / ٩)

(٦) ذكره الميدانى فى أمثاله (٢ / ١٧٤) ونقل فيه قول المفضل — بن سلمة — إن أول من قاله : « حذام بنت الريان » تحذر قومها من عدو لهم حين رأت القطا ليلا مثاراً غير نائم فأنشدت :

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا   فلو ترك القطـا ليلا لناما

وانظر معه فيما يلى : القول ماقالت حذام .

(٧) القطوف من الدواب : البطىء . ونقل الجوهرى فيه عن أبى زيد : هو الضيق المشى . وفرس وساع ، بالفتح : واسع الخطو (ص) .

(٨) صدر البيت : * أتروض عرسك بعد ماكبرت * ذكره الميدانى فى أمثاله (٢ / ٤٠١) و نقل أن البيت لأحد الشراة قاله للمنصور — أبى جعفر — حين وبخه . وانظر معه المثل (٢ / ٥١) .

رَيَّا عَبيرٍ وبَهار ، يُغْنى المَهْرِيَةَ عن المِهار . قد عَرَض نَشْرُ عَنْبرٍ ، منَع نجيباً من مَعْبر[١].

وقد علم اللهُ ، جلَّ اسمُه ، أنى أستنزرُ لِ « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاج المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ* » خلّد اللهُ أيامَه - كلَّ كثيرٍ ، فلو حملتُ إلى حَضرتهِ الذهبَ لظننته صُفْرًا ، أو الإيمانَ لَحسِبتُه نِفاقاً وكُفْرًا ؛ ولو جعلتُ شجرَ الكافور والأَلُوَّةِ قوتاً للنارِ أوقدتْها مَهَنَتُه فى الصنْبَرِ تدفَعُ بها قِرَةَ ذواتِ وَبْرٍ[٢] ، أوْهمَتْنى المَحبَّةُ أنى قد وَنيْتُ ؛ ولو أهديتُ ظِباءَ المِسْكِ إلى الصَّوائدِ التى بين يديه ، خَيَّلَتْ لى عَظمتُه أنى جَنيتُ . لا جعلنى اللهُ مِمَّنْ يَعُدُّ الصَّربَةَ[٣] من أفضلِ جَنًى ، ويغدو بالخُزَزِ لِيُضَحِّىَ به فى « مِنَى » . والمُؤَبَّرَةُ خيرٌ من الوَبْرةِ ، وإن كانت ليست بِالخَيِّرة[٤] . وكلُّ الصَّيْدِ فى جوفِ الفَرا[٥] ، ولكنْ مَن يَقدِرُ عليه ؟ وهل يَطرُقُ أَهلَه بِالجَأَبِ المسحورِ[٦] ، مَن يَعجِزُ عن مُقَطَّعاتِ السحورِ ؟

---

(١) العبير : الزعفران أو أخلاط الطيب . والبهار ، بالفتح : نبت طيب الريح . والمهرية ، مشددة : الإبل المنسوبة إلى « مهرة بن حيدان » أبى حى من العرب. والمهار ، والأمهار : جمع مهر ، ولد الفرس. والأنثى مهرة . والنجيب ، والنجيبة . الكريم من الخيل والإبل . ج نجائب (ص ، ق) .

(٢) الألوة ، بفتح الهمزة والواو مشددة : العود يتبخر به ، كالألوة والألو ، بضمتين فيهما . والمهنة ، جمع ماهن وهو العبد والخادم . والصنبر : شدة البرد . وذوات وبر : أيام برد العجوز (ص)

(٣) على هامش (ف) : الصربة الصمغة ، جمعها صرب .

والذى فى القاموس : الصربة ، محركة : مايتخير من العشب . ونبت فيه شىء كالدبس يمص ويؤكل . وفيه كذلك : والتصريب : أكل الصمغ . والخزز : ذكر الأرنب .

(٤) [المؤبرة] بهمز الواو فى (ف) وعليه طرة : المؤبرة الأرنب ، وذلك أنها إذا نظرت إلى الحزن قصدته لتؤبر أثرها . أى تخفيه . ولم أجده بهذا المعنى فى المهموز . وفى (القاموس) ، مادة وب ر : وبر الأيل والثعلب توبيراً : مشى فى الحزونة ليخفى أثره وإنما يوبر من الدواب : الأرنب وعناق الأرض . والوبْرة : واحدة الوبر : دويبة كالسنور .

(٥) الفرا : حمار الوحش . ذكره ابن السكيت . ونقله الميدانى فى هذا المثل ، وذكر قصته .

(٦) الجأب بالهمز محركة : الحمار الغليظ ، أو الوحشى. وكل جاف غليظ . والمسحور : العظيم البطن . ومقطعات السحور ، جمع سحر أى رئة : الأرانب ، لسرعة عدوها. ومنه قولهم : انقطع منه سحرى .

(*) عزيز الدولة ، أبو شجاع فاتك ، مولى منجوتكين . ولى حلب للفاطميين فى أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر . وقتله بقلعة حلب ، غلام له هندى ، سنة ٤١٣ هـ انظر مع المدخل : (تاريخ حلب ج ٢ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ، وكامل ابن الأثير ج ٩) السنوات من ٤٠٧ : ٤١٣ هـ .

وأنا كصاحبِ المثَلِ ، قال : أين أغدو إذا صَبَحتمونى ؟ فقالوا : أعَنْ صَبوحٍ تُرَقِّقُ ؟(١)

* * *

وأذكرُ حاجتى قبلَ أن أُبرِمَ فأُجرِم ، لأنَّ مَن أتى بالإبرام وقَعَ فى عظيم الإجرام(٢) :

لى – أطال اللهُ بقاءَ السيد عزيز الدولة وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمراء – أولادُ أخٍ قد أوْذَموا على أنفسِهم من خِدمتى ما ليس بلازمٍ ؛ وأصغرُهم سِنًّا طِفلٌ صغيرٌ قد وُكِلَ بى فى الصَّبَّارَةِ ، كلما أحسَّ بحِمَامِ اليانوسةِ(٣) لدىَّ أحياها بالحُمَم ؛ إلى غير ذلك من المآربِ ، لا يمكن قضاؤها بنفسى .

ولهم أوالبُ فى مدينةِ «حَمَاةَ»* ولتلك الحُوباتِ أشقاصٌ فى أملاكٍ يأملُ هؤلاءِ الحِسْكِلُ – والأَملُ ساحِرٌ ساخِرٌ ، وربما وُجِدَ هو الصادق. وله نوعان كأنهما بَرْقانِ: هذا خالبٌ، وهذا للمطرِ جالِبٌ – أن يُصيبَهم نفعٌ (3) من تلك السُّهْمَةِ(٤) . ورفَعَ رافِعٌ إلى الحضرة العاليةِ ، أن حقًّا يجبُ للخزانة

(١) المثل بلفظه فى (أمالى القالى ٢ / ١٩ وأمثال الميدانى ٢ ؛ ١٣٦) وأصله أن رجلا نزل بقوم ليلا فأضافوه وغبقوه ، أى سقوه الغبوق شراب المساء . فسألهم كيف يأخذ طريقه إذا أصبحوه؟ فقالوا : أعن صبوح ترقق ؟ يعنون أنه تلطف وترقق فى التماس شراب الصباح ، يوجبه عليهم .

(٢) أبرم يبرم إبراماً ، بمعنى أضجر ، هنا .

(٣) أوذموا : أوجبوا. اليانوسة : النار (ف) والنوسان : التذبذب والمنوس . من التمر : ماسود طرفه (ق) ولم أجده فى اليائى. والحمام هنا ، بمعنى الخمود والانطفاء . والصبارة ، بتشديد الراء : شدة البرد ؛

(٤) الوالبة : فراخ الزرع ، ومن القوم والبقر والغنم : الأولاد . والحوبات : القرابات ، جمع حوبة ، بفتح الحاء وضمها ، وحيبة ، كما فى (ق) وخصها بالقرابة من الأم . والحوبة ، بالفتح : رقة فؤاد الأم . وأشقاص : حظوظ (ف) جمع شقص ، بالكسر : السهم والنصيب والشرك (ق) والحسكل ، وكجعفر ، واحد الحساكل : الصغار. والسهمة ، بالضم ، القرابة . والحظ والنصيب أيضاً . والدرد ، جمع أدرد : من سقطت أسنانه . والنهابل : جمع نهبل: الضعيف العاجز ، وأصله للمسن (ق) .

(*) حماة : المدينة المعروفة بالشام على نهر العاصى ، ضبطها «ياقوت» فى بلدانه : بلفظ حماة المرأة ، لا لغة فيها غيرها .

المعمورةِ على أرضِ أولئكَ الدُّرْدِ النهابِلِ ، وسألونى ، والمسألةُ || حُرْمَةٌ ، أن (٢)
أسألَ « السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ أميرَ الأمراءِ » فى ذلك . فاستحييتُ
أن أكلِّفَهم فى اليومِ القصيرِ لُماساتِ وَرُوبٍ[1] ، ويسألونى شَهْلاءَ هى فى
العُمْرِ كالبَدْرِ فى الهالةِ والقرابِ فى الخِلَّةِ والمتقاربِ فى الدائرةِ[2] ، فأرُدُّهم
عنها مكبوتين ، وإنما هى الزُّهَرَةُ فى الأُفُقِ والوضيعةُ من الشُّقرِ[3].

وكان يجبُ علىَّ ، من فَرْطِ الإجلالِ ، أن أقولَ لهم ما قال « زُرارةُ »*
لِوَلَدِ « سُوَيدِ بنِ ربيعةَ »** وقد تعلقوا به عند « عمرو بن هند » :

« يا بعضى دَعْ بعضا »[4].

ولكنْ حَمَلنى أطيطُ الحاسَّةِ وعِلمى بكرمِ الشيمة ، على النهضة بغيرِ
جَناح ، وركوبِ الصعبةِ بِلا أحلاسٍ[5]. وأنا أُجِلُّه لِفَهمِه وفِطنتِه ، مِثلَ

---

(١) لماسات : الحاجات الملتمسة . والورب : وجار الوحش . ويجمع على أوراب. فهل الوروب هنا، فعول من : ورب فى وجاره ، كأن أبا العلاء يكنى عن توحشه فى مسكنه ؟

(٢) الشهلاء : الحاجة. والقراب : جراب السيف . والخلة ، بالكسر والتضعيف : جفن السيف المغشى بالأدم (ق) .

ويعنى بالمتقارب، البحر من بحور الشعر ، ينفرد فى الدائرة الخامسة من الدوائر العروضية .

(٣) الشقر : الديكة (ف) ضبطه بضمتين . وفى القاموس : كصرد : الديك . والوضيعة : المتروك المهمل . ويحتمل أن يعنى بالشقر : الأفراس

(٤) فى أمثال الميدانى من خبره ، أن سويد بن ربيعة لما قتل أخاً لعمرو بن هند، لم يقدر عمرو أن يصل إليه، فأرسل إلى زرارة ليأتيه بأبناء سويد، فتعلقوا بجدهم لأمهم، زرارة بن عدس التميمى، فقال: « يابعضى دع بعضاً » فسارت كلمته مثلا يضرب فى تعاطف ذوى الأرحام (مجمع الأمثال ٢ / ٤١٠) .

(٥) أطت له رحمى تئط أطيطاً : رقت وتحركت . والأطيط أيضاً أنين الإبل تعباً أو حنيناً (ص) والأحلاس ، جمع حلس : كساء يوضع تحت البرذعة (ف)

* زرارة : هو ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمى، من سادات تميم فى الجاهلية . ومن ولده : حاجب، ولقيط أبو نهشل ، وأبو القعقاع معبد (جمهرة أنساب العرب ٢٢١) .

** وولد سويد بن ربيعة ، هم أبناء بنت زرارة ، وكانت زوجاً لسويد، فارس منهم قتل أخا لعمرو بن هند : ملك الحيرة ، من المناذرة .

ما أُجلُّه لِعزِّه وسلطانِه. ولو جاءَ رجلٌ فى طِمْرَىْ بِرْسٍ أو سَملٍ فُرَارِىٍّ ، أوعارياً لا يَصِلُ إلى الطرائدِ ولا الهِيَبِ[1] ، يتلهفُ على مَنْقَلٍ أو سَمِيطٍ. تُحذَى له من أم الهُنَيْبِرِ أو غيرِها من الهِنْبْرِ[2] ، ويعتمد على خُوَّارة كأنها مِنسأةُ الميت[3] ، ولديه الجِنُّ العاملةُ ، وفيه من الأَدبِ والعِلْم بعضُ ما فى « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أَميرِ الأُمراءِ » خلد اللهُ أيامه ، خنعتُ له بالعظمة والترفيلِ[4] .

وقد أَشرتُ عليهم بتركِ تَنَجُّزِهم الصفحَ عن ذلك[5] ، وقلتُ : الصبرُ على القناعةِ أَقْبَلُ من سوءِ الصناعة ، والكريمُ يجبُ أن يُسْتَحْيا منه ، والجمرةُ إلى الجمرةِ نارٌ ينتفعُ بها المقرورُ ، والنغبةُ مع أُخْتِها رِيٌّ الظمآنِ . فأَبَوا إلا غيرَ ذلكَ وقالوا : إنا لا نَحمِلُ أَوْقاً كان موضوعاً فيما سَلَفَ[6]. وهذه الأَيامُ المشرِقةُ لو رأتْها « دَوْسٌ »* لما قال القائل منهم : ذهب الخيرُ

(١) فى الأصلين [الهيب] بالياء، وعلى هامش فى (ف) الخرق.ولم أجده بهذا المعنى،فلعله الهبب بباءين ، على وزن عنب جمع هبة ، بالكسر والتضعيف : القطعة من الثوب . وتهبب الثوب بلى وتمزق (ق) والطرائد ، جمع طريدة : خرقة تبل ويمسح بها التنور . والفرار : ولد النعجة والماعزة ، والبقرة الوحشية . أو هى الخرفان والحملان . وفرفره : مزقه .

(٢) المنقل : الخف (ف) ضبطه المجد : كمقعد ، وقال : هو الخف الخلق ، وكذا النعل (ق) والسميط : جلد ردىء (ف) وفى الصحاح : سمط الجدى يسمطه فهو مسموط وسميط : نتف صوفه بالماء الحار . ونعل سميط : لارقعة فيها . تحذى ، أى تتخذ حذاء . والهنبر الجحش . وأم الهنبر : الأتان . وفى لغة فزارة : الضبع . ومنه المثل « أحمق من أم الهنبر » — الميدانى ١ / ٢٢٨ ويصغر فيقال : أم الهنيبر

(٣) خوارة : عصا ضعيفة (ف) ولم أجدها نصاً فى (خ و ر) بهذا المعنى . وفيه : استخار فلان الضبع ، جعل خشبة فى ثقب بيتها حتى تخرج إلى مكان آخر . والخوار ، ككتان ، الضعيف ، كالخائر (ق) والمنسأة ، على وزن مكنسة ومرتبة ، وبترك الهمز فيهما : العصا ، لأن الدابة تنسأ بها ، أى تنساق وتزجر (ق)

(٤) الترفيل ، والإرفال : الخيلاء والتبختر كبراً . وخنعت له بذلك ، أخنع خنوعاً : أى خضعت وأقررت .

(٥) أى : سألت أبناء أخى ، الصفح والتجاوز عما يتظلمون منه ويشكون .

(٦) الأوق : الثقل . وأوقه تأويقاً : حمله على المشقة والمكروه (ق) ويعنون به هنا مايراد لهم أن يدفعوه إلى الخزانة ، ولم تكن أرضهم فيما سلف يجبى عليها مال .

* دوس ، قبيلة بنى دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران كعب الأزدى . قوم عمرو بن حممة . (جمهرة الأنساب ٣٥٨) .

مع عمرو بن حُمَمَةَ * .

فجشَّمونى كلاماً فى ذلك ، فقبَّح اللهُ مِعزَى خيرُها خُطَّةُ ، وشجرًا أَطوَلُه التَرْبَةُ(١) ، ومؤرَّثاتٍ للضيفان أكثرُها ضِراماً ما يوقِدُه || أبو الحُبَاحِب.(٢) (4) فما بَرِحوا ، والكاذبُ خائبٌ ، يَرمُون بالسِّروَة ويَفتِلُون فى الذِّرْوَةِ(٣) ، ويُقَرِّدون العَوْدَ النافِرَ ، ويُزْجُون ثَقالًا قُيِّدَ فما أُيِّدَ ، ويَحْدُون بأُم الرُّبَيْقِ

(١) خطة : عنز سوء ، ضربوا بها المثل « قبح الله معزى خيرها خطة » — القاموس . والتربة ، ضبطها المجد : كفرحة ، نبت لايطول ، كأنه لاصق بالتربة لقصره . التأريث : إيقاد النارفهى مؤرثة . والإراث ،ككتاب : ما أعد لها من حطب . ضمير الجماعة فى هذه الفقرة ، لأولاد أخى أبى العلاء

(٢) من أمثالهم : كأنها نار الحباحب (الميدانى ٢ / ١٤٩) وأخلف من نار الحباحب، ويقال : من نار أبى الحباحب (١/ ٢٥٣) كان فيما ذكر الميدانى ، عن ابن الكلبى رجلا فى سالف الدهر بخيلا لا يوقد ناراً بليل ، مخافة أن يقتبس منها . فإن أوقدها فأبصرها مستضئ ، أطفأها . وقيل : الحباحب النار التى توريها الخيل العاديات بسنابكها ، من الحجارة . وقيل: هو حشرة كالذبابة تطير فى الظلام لها جناح يحمر فيرى فى الظلمة كشرارة من نار . وقد أكثر الشعراء من ذكر نار الحباحب، قال النابغة : * ويوقدن بالصفاح نار الحباحب* وقال القطامى :

ألا إنما نيران قيس إذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحباحب

(٣) السروة ، مثلثة : السهم القصير ، أو عريض النصل (ق) وقولهم : مازال يفتل بفلان بين الذروة والغارب . ذكره الجوهرى فى (ذرو) وقال : أى يدور من وراء خديعته ، وفتله عن رأيه

وقال الميدانى فى المثل « فتل فى الذروة » (٢/ ٦٩) : الذروة أعلى السنام ، وأعلى كل شىء . وأصل فتل الذروة فى البعير ، هو أن يخدعه صاحبه ويتلطف له بفتل أعلى سنامه حكاً ، ليسكن إليه فيتسلق بالزمام عليه . قاله أبوعبيدة . وعن الأصمعى : فتل فى ذروته ، خادعه حتى أزاله عن رأيه

* عمرو بن حممة الدوسى، ابن الحارث بن رافع بن سعد، من بنى منهب بن دوس(جمهرة الأنساب ٣٦١) — وفى معجم المرزبانى : ابن رافع بن الحارث — من سادات دوس المعمرين ، وحكام العرب فى الجاهلية . وقد سارت الأمثال بنجدته ومروءته وخيره وحلمه. وذكره مشهور فى كتب الأدب . فى أمالى القالى (٢ / ١٤٣) باب (المراثى التى قالها بعض العرب على قبر عمرو بن حممة ، الدوسى ، بعد أن عقروا رواحلهم على قبره) ونقل المرزبانى فى معجمه (٢٠٩ / ٣٠٧/ ٤٩٠) فخر الشعراء الإسلاميين من قومه به . وفى (الأغانى ١٢ / ٥٩) بعض خبره . والمثل « ذهب الخير مع عمرو بن حممة » فى رسالة الغفران (٤٠٨ ذخائر)

على أُرَيْقٍ[١]. حتى هَمَّت النعامةُ بِكُرُوعٍ ، وعزَمَ الضَّبُّ على الشروع . وأَنَّى لِلوَلِيدةِ بِأَزمانِ القِردة ؟[٢] ومن الفَنَدِ أن يُسأَلَ نَعمان فى بَريرة ، ويُلتَمَس من رِياضِ الحَزْنِ إنباتُ الزَّهرة . وإذا عذَلتُهم فى ذلك ، فَلَهُمْ أن يقولوا : لِأَفقَرَ منا يُهدَى غَمامُ أَرضِنا[٣] ، وسائمتُنا أَحَقُّ بما نَبَتَ فى عِرضِنا[٤] .

وقد وَصَلوا بهذه الرسالةِ رُقْعَةً يرَجُون بها من اليَدِ العاليةِ توقيعاً مؤبَّدًا لا يكونُ بعدَه القولُ مُردَّدًا ، بل يَحسِمُ بإيجابٍ طمعَ كلِّ ناظرٍ وجابٍ . فإن جاءَتْ بالنُّجْحِ فللهِ الحمدُ ثم للسيدِ «عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ » . إذا كَرُم الزَنْدانِ لم تَتعبْ فى القَدْحِ اليَدانِ ؛ ومن وقفَ على العَنَاقةِ* أَرْوَى الناقة ، ومَن نزل «تَبالةَ »** نَفَضَ البالةَ .

وإن خابتْ ، فهى حقيقةٌ بالخيبةِ . المَطِيَّةُ رجاحةٌ ، والأُذُنُ فيها جَاحَة[٥] ؛ وإن ثعالةَ لا تَبنِى العَالَةَ[٦]. ولو أَصغى المسمَعُ إلى ما يأْمُرُ به حُسْنُ الأَدب ،

---

(١) بعير ثقال ، كسحاب : بطىء (ق) .

وفى (الصحاح : أرق) « وقولهم : جاءنا بأم الربيق على أريق، يعنون به الداهية . قال أبو عبيد : وأصله من الحيات . وعن الأصمعى : زعموا أنه من قول رجل رأى الغول على جمل أورق » والأورق من الإبل : مافى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيبها لحماً ، لا عملا . (القاموس : ورق) – وذكر المثل فى (أرق) وقال : صغر الأورق على أريق ، كأسود وسويد ، والأصل : وريق ، فقلبت الهمزة واواً .

(٢) تقرأ الجملة هكذا فى (ض) وليست واضحة فى (ف) . وفهمتها على أن الوليدة لم تبلغ من السن ما تمارس فيه ألا عيب القردة .

(٣) بلفظه فى أمثال الميدانى (٢/١٩٥) أى : يذهب خيرنا إلى غيرنا . ومن أمثالهم أيضاً : غمام أرضنا جاد آخرين . يضرب لمن يعطى الأباعد ويترك الأقارب (٢ / ٦٢) .

(٤) العرض ، بالكسر ويفتح : جانب الوادى (ق) .

(٥) رجاحة : مهتزة فى رتكانها . وترجحت به مطيته ، طالت . والجاحة : الستر ، والصمم . وفى المادة : الجوح : الإهلاك . كالاجتياح والإجاحة . وجاح : عدل عن المحجة ، والجائحة : الشدة .

(٦) ثعالة : اسم للثعلب ، معرفة . العالة ، مخففة اللام : شبه الظلة يستتر بها من المطر .

* العناقة ، كسحابة : ماء لقبيلة غنى بن أعصر بن سعد ، بن قيس عيلان بن مضر .

** تبالة : بلدة خصبة باليمن .

لم أَحفِلْ بِحُظَيَّاتِ لُقْمانَ* ، ممن صَدَقَ أَو مَانَ ، ولا احتملتُ أَسهُمَ القَارةِ**خيفةً من الحقارة . لأَن المسأَلَةَ فى التافِهِ أَنبأَتْ عن اللُّب النافِه[1].

وإنما جعلتُ هذا المقدارَ تافهاً ، لِشَرَفِ مِقدار المسئولِ . فأَما أَنا فمذهبى أَن الدرهمَ يَقعُ عليه اسمُ المالِ الكثيرِ . ولو كان فى الوَجْذِ فَراشةٌ وفى المحل المحولِ غُذَيْمةٌ ، لَكُفِيَت الغافِلةُ مَن رماها ، والجازئةُ من استماها[2].

ولهؤلاء القوم أُرَيضةٌ ليست بالأَرِيضةِ ، هى من قلة العملِ كالمريضة. غِراسُها ليس بعميمٍ ، وثمرُها بين الثمرِ كبنى يربوعَ فى بنى تميم ؛ إلا أَن أولئك حُمِدوا فى الغارةِ ، || وذُمَّ هذا حين يَغيرُ . وحين يُختَبزُ لا يطيبُ منه الخبز . وما سُقِىَ منها بالأَبَقِ[3] والأَديم ، فهو العَناءُ المُنصِبُ فى الحادثِ وفى القديم ؛ يشتكيه المالِكُ ومَن يعمَلُ فيه ، ويجعلُ حليماً مثل || سَفيهٍ . (٣)
كأَن ماءَه المنتَزَعَ كافرٌ مُحتَقَرٌ ، غُفِرَ له بعد ما مَسَّتْه سَقَر ، فقد عُولِىَ به[4] من أَسفلِ سافِلينَ إلى أَعلى عِلِّيِّينَ . وربما غار ونَكَزَ ، فلم يُفَلِ المِلْطَسُ

---

(١) التافه : القليل الحقير . والنافه : المعيى الكليل . والمنفوه الضعيف الفؤاد الجبان (ق) .

(٢) الوجذ : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء ، ج : وجاذ . ومن معانى الفراشة فى اللغة : الماء القليل.. والمحول : المجدب . والغذيمة : بقعة من الأرض فيها نبات وعشب (ف) وظبية جازئة : تكتفى بالرطب عن الماء . والاستماء : الصيد ، والسماة ، على وزن رماة : الصيادون . واستموا إذا خرجوا للصيد (ق) .

(٣) الأبق ، بالتحريك : القنب أو قشرة (ق) والحديث فى هذه الفقرة ، عن جدب قطعة الأرض موضع الشكوى ، وعناء بقيها .

(٤) الضمير فى : به ، للماء المستقى ، ينزع بمشقة من القاع إلى أعلى البئر .

* لقمان بن عاد ، يأتى ذكره فى الحوار بين الشاحج والجمل. وحظيات ، جمع حظية ، تصغير حظوة ، بفتح الحاء : سهم قصير لا نصل له . نقل الميدانى فى أمثاله (١ / ٣٥) خبر حظيات لقمان بن عاد ، عن أبى عبيد . وقال : إن المثل يضرب بها لمن عرف بالشر ، فإذا جاءت هنة منه قيل : إحدى حظيات لقمان ، أى فعلة من فعلاته . وفى القاموس : يضرب لمن يعرف بالشرارة ثم جاءت منه صالحة (ح ظ و) .

** القارة ، براء خفيفة : بنو الهون بن خزيمة . قبيلة من العرب اشتهر منها الرماة فى الجاهلية (جمهرة الأنساب ١٧٩) وضرب بها المثل « أنصف القارة من راماها » انظره فى أمثال الميدانى ،

فى إخراجه حتى يَرجعَ إلى قَرواهُ(١). تودُّ بهيمةٌ أصعدَتْه ، لو كانت فى سَوَادِ ذى القرنين(٢) ، تحمل أوتادَ خِيامٍ أو غيرَها من أثقالِ اللئام ، وتسافرُ من المشرقِ إلى المغربِ ، وتُرَاحُ من هذا البؤسِ الدَّربِ . إذ كان سفرُها لا يَنفَدُ وعذابُها يُجَدَّدُ . ولا يَقنعُ لها القدرُ بالأَيْنِ حتى يأْمرَ بتخميرِ العَيْنِ(٣). فالخُطوةُ من العِبءِ قصيرةٌ ، والعَيْنُ عمياءُ بصيرة . وهى فى أوقاتِ النَّجْرِ يُكَفُّ بَصَرُها عند الفجرِ فتنظر إلى القمر دون الشمسِ ، ويومُها فى الشقوةِ نظيرُ الأَمسِ . وربما تكونُ ليست بالزَّعِلةِ فيُستأْجَرُ لها غلامٌ عارمٌ(٤) لا كريمٌ هو ولا مُكارِم . فيسوقُها بالعَجراء سِياقةَ عَنيفٍ ويُمزِّقُ جلدَها تمزيقَ الخَنيفِ(٥). فهى تَروى الناضِرَ ولا تَلقاه ، وتسمع قسيبَ الأَزرقِ ولا تُسقَاه(٦). وتَمُرُّ عليها الدَّجَالةُ من الرفاقِ ، فإذا سمعتْ صوتَ الحافرِ هاج ذلك عليها طَرَباً وحزناً ، وذَمَّتْ إلى اللهِ القادرِ مَعاشًا لَزَناً(٧).

---

(١) نكز الماء نكوزاً : غار . ونكزت البئر ، كنصر وفرح : فنى ماؤها فهى ناكز ونكوز ، والجمع نواكز ونكز ، بضمتين (ق) .

والملطس : حجر ضخم (ف) ضبطه فى القاموس : كنبر ، وقال : هو المعول الغليظ لكسر الحجارة ، وحجر يدق به النوى ، كالملطاس فيهما . والملطس ، الرمى بالحجر ونحوه ، وضرب الحجر بالحجر .

وقرواه ، يريد به هنا : أصل موضعه فى أسفل البئر .

(٢) لم أفهم المقصود بذى القرنين هنا . فإن يكن الإسكندر المقدونى ، فلعل المعنى أن البهيمة تود لو كانت فى حشده إذ يبلغ قطرى الأرض. ومن معانى السواد فى اللغة : العدد الكثير ، وصف بالسواد لكثرته (ق) .

(٣) الأين : الإعياء والكلال . وتخمير عين الدابة : تغطيتها . يقال أخمر الأمر ، أضمره . وأخمرته الأرض : وارته . وكل ما ستر شيئاً فهو خماره (ق ، ص) .

(٤) النجر ، بالتسكين : الحر الشديد . وبالتحريك : عطش الإبل والغنم فلا تكاد تروى .

(٥) العارم : الشديد الشرس . والعرام ، الحدة والشراسة والأشر (ق) .

والزعلة : النشيطة . والعجراء : العصا (ف) وفى القاموس : هى العصا ذوات الأبن أى العقد . والخنيف : أردأ الكتان ، وثوب غليظ منه .

(٦) الأزرق هنا ، الماء . والقسيب : صوت الماء الجارى

(٧) الدجالة : الرفقة العظيمة . اللزن ، محركة : الضيق والشدة . واللزنة السنة الشديدة الضيق (ق) .

وأبو العلاء يتمثل هنا شخصه ، إذ هو مقيد الخطو مغلول الحركة معصوب العينين .

وتَردُ جَبَاها الواردةُ[1]، فإذا حُمِلَ أمرُها على ما ظهر من اللفظ العربي في (الكتابِ الكريمِ) من قولِهِ عَزَّتْ كلِمتُه :

«وما مِنْ دابَّةٍ في الأَرضِ ولا طائرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلا أُمَمٌ أمثالُكم»[2].

وعلى ما جاءَ في الحكاية عن النملة :

«يا أيها النملُ ادخلوا مساكِنَكُم لا يَحطِمنَّكم سليمانُ وجنودُه وهمْ لا يَشعرونَ»[3].

وعن الهدهد في || قوله [تعالى] : (6)

«إني وجدتُ امرأةً تَملِكُهم وأُوتيتْ من كلِّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيم»[4].

فجائزٌ أن تُضمِرَ هذه البهيمةُ أو تقولَ باللسانِ ما لا يفهمُه كلُّ إنسانٍ، من كلامٍ معناه : رُبَّ صلَفٍ تحت الراعدِ[5]، وساعٍ دَأْبَ لِقاعدٍ[6]. تقرى البائسةُ وتردُ الرائسة[7].

---

(1) جباها : حوضها (ف) وفي القاموس : الجبا، بالكسر : ما جمع في الحوض من الماء. وبالفتح : الحوض، أو مقام من يستقي على الطي وما حول البئر. ج : أجباء.

والواردة هنا : البهائم التي ترد للشرب. وأبو العلاء يمهد في لطف، بعد ما تقدم من وصفه للبهيمة المتعبة المحجوبة العينين (البغل) لما يأتي من حوار بين هذا البغل الشاحج، وما يرد الحوض من بهائم، وتتغير المشاهد مع تغير هذه البهائم الواردة، والشاحج مقيم في موضعه، محجوب العينين، لا يملك أن ينطلق.

(2) من آية الأنعام : ٣٨.

(3) من آية النمل ١٨. وأولها : «حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة . . .».

(4) الآية ٢٣ من سورة النمل.

(5) السحاب قليل الماء كثير الرعد. والمثل : «رب صلف تحت الراعد» ذكره الجوهري وقال : يضرب للرجل يتوعد – أو يعد – ثم لا يقوم به.

(6) من أمثال العرب : رب زارع لنفسه حاصد غيره (الميداني ١/٣١٢)، و : رب ساع لقاعد (الميداني) ١/٣٠١)، ويأتي في شواهد الصاهل والشاحج، قول معاوية بن أبي سفيان :

اسلمي أم خالد   رب ساع لقاعد

كما يأتي في الشروح، قول النابغة : * ورب امرئ يسعى لآخر قاعد *

(7) قرى الماء في الحوض، يقريه قرياً وقرى : جمعه. والرائس : الوالي.

رِدِى رِدِى وِرْدَ قَطاةٍ صَمَّا
كُدْرِيَة أَعجبها بردُ الما[١]

ذَهَب سَيْرِى وسُراىَ ، وشَرِبَت الشاربةُ قِراى[٢]. كأَن تَعبى ما يَهَبُه اللهُ سبحانه لأَهلِ الدارِ الآخرةِ كلما فَنِىَ نعيمٌ فاللهُ بمثله زعيم. والحوادثُ بين المنتَظَرِ والمَلقِىِّ ، والشقاءُ بُعِثَ للشقِىِّ. أَدْرَكَ ما جَبيتُه التلَفُ ، ومن قُواى أَمَلَّ الخلَفُ[٣]. وأى قوة للمخلوقين ؟ لا حولَ ولا قوة إلا باللهِ العظيم ، ما لِعملى من رَيْعٍ ، لقد صدق «أخو بنى قُرَيع *» :

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ ويأْكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعهْ[٤]

* * *

ولا يمتنعُ فى قُدرةِ اللهِ ، أن يَرِدَ فارِسُ كُمَيتٍ أو وَرْدٍ ، فإذا شَرَعَ فى نَميرٍ ذى بَرْدٍ ، ربَطه بالكثَبِ من المَثاب[٥] . فيقولُ الشاحجُ ، بفضلِ الحِسِّ :

– من أَين طرأَ علينا الكريمُ ؟

(١) الكدرية ضرب من القطا غبر اللون (الصحاح) .
وقولهم للقطاة : صماء ، سميت بذلك لشدة طيرانها ، وقيل لسكك فى أذنيها أو لصممها إذا عطشت(ف).
(٢) القرى ، مقصور : ما جمعته من الماء فى القرو ، حوض الإبل .
(٣) جبا ، كسعى ورمى : جمع الماء فى الجبا ، الحوض .
(٤) البيت خامس ثمانية أبيات فى(الأمالى) من قصيدة طويلة ، قالها قبل الإسلام بزمن ، وأولها :
لكل هم من الهموم سعه والمسى والصبح لا فلاح معه
انظرها فى الشعر والشعراء ، والتنبيه ، والسمط ، وشرح شواهد المغنى (١٥٥) .
(٥) المثاب : كأنه مهموز فى النسختين . وليس فى المادة ما يقوم به السياق هنا . ومثاب البئر غير مهموز : مقام المستقى على فم البئر عند العرش (الصحاح)

* أخو بنى قريع : الأضبط بن قريع السعدى ، من سعد بن زيد مناة (جمهرة الأنساب ٢٠٩) أحد الذين اجتمع لهم الموسم والقضاء بعكاظ ، من تميم . انظره فى : (الشعر والشعراء : ١ / ٣٨٣ معارف) وأمالى القالى (١ / ١٠٧ ، ١٣٢) وتنبيه البكرى : ٤٣ وسمط اللآلى : ٣٢٦ وأمثال الميدانى : (٢ / ٨٣) وبيان الجاحظ (٣ / ١٦٩) .

فيقول الصاهل :

– ومن أين علمتَ بالكرمِ ، ومن دونِ عَينكِ حجابٌ قد شُدَّ ، لو كان دون العينِ النابعة لما فارتْ ، أو العينِ الطالعة لما أنارت ؟[1]

فيقول الشاحج :

– عرفتُ كرمَكَ فى وَطْئِكَ وصوتِك ، لأن الرائعَ قموصُ الرِّجْل ، بِحِجْلٍ كانت أو بغير حِجْل . ولأن جُشَّةً فى الصهيلِ تكون بِعِتْقِ الفرس أَبْيَنَ دليلٍ قال « الجعفى* » :

أما إذا استدبرتَه فتسوقه رِجْلٌ قموصُ الوقْعِ عارية النَّسَا[2]

وقال « لبيد** » :

بِأَجَشِّ الصوتِ يَعبوبٍ إذا طرقَ الحَىَّ من الغزوِ صَهَلْ[3]

فيقول الصاهلُ :

– إنك لَعالِمٌ بالعِراب ، فمن أين لك ذلك والأيامُ لك شاجِنةٌ ، ونُوَبُها عندك راجِنَة ؟[4]

---

(١) العين النابعة : عين الماء . والطالعة : عين الشمس (ف) .

(٢) البيت من قصيدة له أصمعية ، فى وصف الفرس ، تأتى أبيات منها ثلاثة ، فى حوار الصاهل مع الشاحج . قموص: وثابة . والنسا : عرق فى الرجل يخرج من الورك ويمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر . الجمع أنساء .

(٣) من قصيدته : إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثى والعجل

واليعبوب : الفرس السريع . (الديوان : ١٨٧) .

(٤) الخيل العراب: الأصيلة ، خلاف البراذين . وراجنة : مقيمة . رجن بالمكان رجوناً : أقام (ق) .

* الجعفى : هو الأسعر ، واسمه مرثد بن حمران (ف) .

شاعر جاهلى ، ترجمته فى (مؤتلف الآمدى : ٤٧ ، والشعر والشعراء : ٢/٧٤٥ بيروت ، وسمط اللآلى : ١/٩٤، ٤٥٠) وانظر أمالى القالى ١ / ٢٠ وتنبيه البكرى عليه . والأصمعيات .

** لبيد : بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى (جمهرة أنساب العرب ٢٦٨) فى الطبقة الثالثة من فحول الجاهليين (ابن سلام : ١١٣) وهو من شعراء المعلقات ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى جعفر بن كلاب (الاستيعاب : رقم ٢٢٣٣) وانظر الشعر والشعراء ١ / ٢٧٤ معارف ، ورسالة الغفران ٢١٥ – ذخائر

فيقول الشاحجُ :

– فَرضٌ على المُنتَسبِ عِرفانُ الخالِ ، ولا سيما إذا كان صاحبَ الشرَف دون الأَبِ(١). وإذا افتخر «رُقيمٌ» * بسعدٍ ، و«عمرو» ** بجذيمةَ ، فإنه غير مُتعَدٍّ .

فأخبرنى ، من أين مبدأ سفرِك ؟ .

فيقول الصاهل :

– من مصرَ التى قال فيها فرعون : «أليس لى مُلْكُ مِصْرَ وهذه الأنهارُ تجرِى من تحتى أفلا تبصرون» ؟(٢) تلك صُبْرَةُ الذهَب ، وأمُّ النعيم وينبوعِ النصَفةِ(٣) .

فيقول الشاحج :

– أكرمتَ أكرمتَ ، القولُ ما قالت حَذَامِ(٤) . تلك الحسناءُ بعُدتْ من الذّامِ(٥) .

(١) يشير الشاحج إلى كرم خئولته فى الخيل ، وضعة أبوته فى الحمير .

(٢) من آية الزخرف ٥١ . وتمامها :

«ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون» ؟

(٣) صبرة : حصباء (ف) والصبرة أيضاً ، بالضم ، وبضمتين : الأرض ذات الحصباء (ق) .

(٤) المثل بلفظه فى (مجمع الأمثال ٢ / ١٠٦) فسره الميدانى : بالقول السديد المعتد به ، يضرب فى التصديق . ونقل فيه عن ابن الكلبى أن المثل من قول «لجيم بن صعب» فى امرأته حذام :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ماقالت حذام

قال فى (١ / ١٨١) هى حذام بنت العتيك بن أسلم بن يذكر العنزى . ولكنه فى المثل : «لو ترك القطا ليلا لنام» ونقل عن المفضل بن سلمة أنها حذام بنت الريان (٢ / ١٧٦) .

(٥) نظر فيه أبو العلاء إلى المثل : لا تعدم الحسناء ذاماً (أمثال الميدانى ٢ /٢١٣) .

* رقيم المحاربى ، خاله : سعد بن معاذ الأنصارى (ف)

وسعد بن معاذ بن النعمان ، أبوعمرو : من بنى عبد الأشهل الخزرجى ، شهد العقبة وبدراً وأحداً ، والخندق وفيه رمى بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات . وكان الحكم فى يهود بنى قريظة . (الاستيعاب ٩٥٨) .

** عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى . أمه «رقاش» أخت جذيمة الأبرش (جمهرة الأنساب ٣٩٧) ، وجذيمة الأبرش ، الوضاح : هو ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، ملك الحيرة ، الذى قتلته الزباء ، وثأر له ابن أخته عمرو (الجمهرة ٣٣٨ ، وفرائد اللآل ٢ / ١٠٨ ، وأغانى بولاق ١٤ / ٧٢ ، مع (رسالة الغفران ٢٧٨ ذخائر) .

إن كان للنَّجمِ ظهورٌ فإنه بالقمَرِ مبهور . ولِكُلٍّ ما نبَتَ سُمُوقٌ ، ولكنْ فَرَعَت السَّحُوقُ ، وإذا قيل : الدهرُ ، دخل فيه السنةُ والشهرُ[1].

فإلى أين المَحْرَدُ ؟[2]

فيقول الصاهلُ :

– إلى حضرةِ مُوَاسٍ آسٍ ، قد بسط آمالَ الناس ؛ أديبٍ آدبٍ ما هو بِجَديبٍ ولا جادِبٍ . كاد يكونُ عَدْلُه فى الآفاقِ مَطَرًا ، وتأَرَّجت البلادُ بثناءٍ عليه فهَمَّ الجَوُّ أن يكونَ عِطْرًا . أقام السوقَ للفصاحةِ ، وأَذْكَى القلوبَ بالتذكِرَةِ ، وأيقظَ العيونَ من طولِ الرقدةِ[3].

فيقول الشاحج :

– صَدَقَ زاعمٌ فيما زعَم ، إنه لَكَما تَصِفُ وأَنعم . وهو على إدراكِه جدُّ العُظماءِ ، ضاربٌ بالسَّهمِ الفائزِ من سهام العلماءِ . وليس كذلك جماعةُ الملوكِ ، لأنهم يُرهَبون فلا يُؤَدَّبون ، وإذا كان أحدُهم صغيرًا ، كان فى الباطلِ واللعبِ مُغِيرا ؛ حتى إذا كَبِرَ أَنِفَ فلم يَستأْنِف .

وهذا الأَميرُ كما نطق به (الكتابُ الكريمُ) ، من قوله [تعالى] :

« ولَمَّا بَلَغَ أَشُدَّه واستوى آتيناه حُكْماً وعِلما وكذلك نَجزِى المُحسِنين »[4].

---

(١) يعنى تميز مصر بالفضل على غيرها من البلدان ، وإن كان منها ما يذكر له فضله . والسحوق : النخلة الطويلة (ف) .
سحقت النخلة ، ككرم : طالت ، فهى سحوق ، والجمع سحق بضمتين (ق) قال الراجز :

تعـــلو بأعلى السحق المهاجر — منها عشاش الهدهـــد القراقر

المهاجر : المفرط فى الطول (أمالى القالى ٢ / ١٩٣) .

(٢) المحرد : القصد . حرده ، قصده ، . وأحرد فى السير : أغذ (ق) .

(٣) سيظهر من سياق الحوار ، أن الصاهل هنا يتكلم عن « عزيز الدولة » وأن المحرد إلى حضرته فى « حلب » .

(٤) آية القصص ١٤ ، فى موسى عليه السلام . وانظر معها آية يوسف ٢٢ .

فاللهُ القادرُ يُبلغُه أَفضلَ آمَالِ المجدودين، إذ كان كما قال تعالتْ كلمتُه[١]:

«وكذلكَ مَكَّنَّا لِيوسفَ فى الأَرضِ ولنُعَلِّمَه من تأْويلِ الأَحاديثِ، واللهُ غالبٌ على أَمْرِهِ ولٰكِنَّ أَكثرَ الناسِ لا يعلمون»[٢].

(8) قد عَرَفَ خُدَعَ || الأَزمانِ فأَصبح من النُّوَبِ فى أَمان. يعتقد أَن الإِنفاق أَفضلُ من الإِشفاق، وأَن الدرهمَ إذا جُعِلَ فى كِيسٍ فما يزال فى تنكيس. وإذا هو إلى المُقْتِرِ دُفِعَ، نُمِىَ إلى الجو فرُفِع. وكذلك ينبغى أَن تكون شِيَمُ الأَولياءِ. زيادتُك فى دَرِّ الأَيتامِ، أَبقَى ذخيرةً من الدُّرِّ المُعتامِ. ودُعاءُ الفقير أَنْهَضُ بكَ من رُغاءِ العقير. وبدارُكَ مَغوثةَ الأَرملةِ، خيرٌ من بِدَرِك المُكَمَّلة. وشاةٌ فى يدِ فقيرِك، خيرٌ من شاةٍ تردُ فى وَقيرِك، إن بقاءَها فى الفِزْرِ، رهنٌ بالنُّوَب لها أَو بالوِزْرِ، لِلذى مَلَكَها فلم يُزَكِّها، وأَرسلها فى المرتعِ فأَبْسلها. إنما هى معرضةٌ للطارقِ أَو السارقِ، سِيدٍ عَمَدَ لها بالتعذيبِ أَو جارمةِ عيالٍ مِثلِ الذئب. فإذا صارتْ أُضحيةً كانت للناسكِ تحية[٣]. وذِكْرٌ باقٍ خيرٌ من سعدٍ راق. إن الذكرَ من الغِيَرِ محروسٌ، يلبثُ فلا يُزيلهُ الدُّرُوس. فأَعطِ مالَكَ ولو مَنْ ذَمَّكَ، إنه إذا كثُرَ أَهَمَّك.

وقد عزمتُ يا خالى، أَن أَستودعَك رسالةً إلى حضرةِ هذا الأَميرِ، لِتُذَكِّرَ بى وُلاةَ العَدْلِ «فإِنَّ الذكرى تَنفَعُ المؤمنين»[٤]. لعلّ عِلاوَةً تُحَطُّ عن فَوْدَىْ مُثْقَلٍ،

---

(١) من (ص) وهامش (ف) وفى متنها: [تعالت حكمته].

(٢) من آية يوسف: ٢١.

(٣) الفزر، بالكسر: القطيع من الغنم. ما بين العشرة إلى العشرين (ص) والسيد: الذئب (ض) وجارمة عيال: من يكسب لهم العيش. والجريم كذلك. أصله من جرم النخل أى صرمه. (ق).

وتحية: بقاء (ف) كأنه من: حيى، كرضى، حياة، وحى يحى ويحيا. وإن لم أجدها نصاً.

(٤) من الآية ٥٥: سورة الذاريات.

ونَزْعاً بالغَربِ يُخَفِّفُ عن خابطٍ عِضَه ، وراحةً ينالُها المتعَبُ فى النهارِ والظلَمِ ، وعَيْناً تُطَلِّقُ من السجنِ الدائمِ فتبصر الوضحَ ؛ فقد بلغ نَسيس الحُشاشةِ وافتقر إلى الكلمةِ رَبٌّ الكلمةِ ، واضطُرَّ عارٍ إلى سَحْقِ النمِرةِ ، وأُلجِىء مالِكُ النخلِ الواعِدِ إلى التمرة ؛ ولكلٍّ ذى عمودٍ نَوَى . وكذلك جرتْ عادةُ الزمنِ بتغييرِ الكِينةِ .[1]

فيكون منكَ الطَّوْلُ بأن تَصِلَ تَظَلُّمى إلى الحضرة ، فلعلى أُنصَفُ مع المظلومين . قد ترى ما أنا فيه ، لا يُطلَبُ بعد عَيْنٍ أثرٌ[2] ، ويُرِيكَ بَشَرٌ ما أَحَارَ مِشفَرٌ[3] . والسناسِنُ العاريةُ دلَّتْ على البأْساءِ المتوارية ؛ وما ظنُّكَ بِدَرِيسِ الأَهدامِ[4] ؟ وكَفَى برُغائها منادِياً[5] . إذا أَلْحت المهريةُ فلم يبق عندها من (9)
سَيْرٍ جَرْيَةٌ[6] ، والتلفُ أهونُ من الصَّلَفِ ، وموتٌ لا يَجُرُّ إلى عارٍ ، خيرٌ من عَيش على رِقٍّ[7] . وما عَبَسَ طائىٌّ فى وجهِ الضيفِ ، إلا وقد صَفِرَ وعاؤه من كلِّ طعام . اسقِ رَقَاشِ إنها سَقَّايَةٌ[8] .

---

(١) العلاوة ، بالكسر : ماوضع بين العدلين (ف) والنزع بالغرب : الجذب بالدلو . ونسيس الحشاشة : بقية النفس .. والسحق ، بالفتح : الثوب البالى . سحق ، ككرم ، سحوقة : بلى . كأسحق . وسحق الثوب يسحقه ، كنع : أبلاه (ق) والنمرة ، كفرحة : الحبرة ، وشملة فيها خيوط بيض وسود ، أو بردة خشنة من صوف يلبسها الأعراب : والكينة : الهيئة .

(٢) الطول ، والطائل والطائلة : الفضل (ق) . لفظ المثل عند الميدانى : تطلب أثراً بعدعين . العين ، المعاينة . يضرب لمن ترك شيئاً يراه ثم تبع أثره بعد فوت عينه . انظره فى (مجمع الأمثال ١ / ١٢٧) .

(٣) المشفر للبعير ، كالشفة للإنسان . وقولهم فى المثل : أراك بشر ما أحار مشفر : أى أغناك ظاهره عن سؤال الباطن ، لأنك إذا رأيت بشره ، سميناً أو هزيلا ، استدللت على كيفية أكله (ق) .

(٤) السناسن : جمع سنسن ، بالكسر : حرف فقار الظهر ، كالسن — والسنسنة . أو طرف الضلع التى فى الصدر . والدريس : الخلق . والأهدام : جمع هدم وهو الثوب البالى .

(٥) ذكره الميدانى فى أمثاله (٢ / ١٤٢) ونقل فيه قول أبى عبيد : هو مثل مشهور عند العرب . يضرب فى قضاء الحاجة قبل سؤالها . أو فيمن تحتاج إلى معونته فيعتل بأنه لم يكن يعلم حاجتك إليه .

(٦) ألحت : أعيت وكلت . والمهرية ، بالفتح وياء النسب : الإبل المنسوبة إلى « مهرة بن حيدان »

(٧) لفظ المثل عند الميدانى : « موت لا يجر إلى عار ، خير من عيش فى رماق » أى بلغة . والمعنى : مت كريماً ولا ترض بعيش يمسك الرمق (٢ / ٣١٢) .

(٨) المثل بلفظه فى (مجمع الأمثال للميدانى ١ / ٣٣٣) يضرب فى الإحسان إلى المحسن . ورقاش : اسم امرأة ، مبنى على الكسر ، مثل حذام ، فى موضع نصب ، مفعولا به لفعل الأمر : اسق . =

الصاهل والشاحج

إنى مع الذى ألاقيه من قلةِ الدَّعَةِ وعنفِ السياقِ ، يسوسنى أجيرٌ كسلانُ إذا سأله المُلَّاكُ : أأرويتَه من سُوَيد ؟ قال : نعم . أحَشَشْتَه بعد ذلك؟[1] أأوسعتَ له من الحَسِيكِ ؟ أتفقَّدتَه من آثارِ الأَبرار ؟[2] قال : أجل ، نعم ، حَوْب ! . ويَحلِفُ|| لهم الحَذَّاءَ لقد فعَلَ ، وهو بشهادةِ اللهِ أكذبُ من (٥)
الشيخِ الغريبِ والأَخيذِ الصَّبحانِ ، وتوهُّمِ المُخفِقِ وتخيُّلِ الوالدةِ ، والبَرقِ فى عامِ سنةٍ[3] . واللهُ المستعانُ على ما بَطَنَ من أمرٍ وما ظَهَرَ .

ومن العجائبِ أنه إذا كان يومُ أضحى أو فِطرٍ ، وهَمَّ كلُّ تَفِلٍ بعِطْرٍ[4] ، واهتم المُقتِرُ بإخضامِ العَيْلة[5] ، وسُمِحَ للنَّصِبِ من البهائمِ بالراحةِ ، وغَسَل أطمارَه كلُّ قَهِلٍ[6] ، وضحك إلى أخيه العابسُ ، ورجوتُ أنى لاشتغالِ الزُّرَّاعِ بِصَلاتهم فى العيدِ وإصابتِهم شيئاً مما صنعه الآدميون ، أظفَرُ بقسمٍ من الراحةِ وسَهْمٍ أنتفعُ به من الدعَةِ ، وإن كان ذلك المرجوُّ أقْصَرَ

= ونقل الجوهرى فى (الصحاح : رقش) عن أبى عبيدة ، أن أهل الحجاز يبنون رقاش على الكسر فى كل حال . وكذلك كل اسم على فعال ، بفتح الفاء ، معدول عن فاعلة ، لا تدخله الألف واللام ولايجمع ، مثل قطام وحذام . وأهل نجد يجرونه مجرى مالا ينصرف نحو عمر و زفر ، يقولون : هذه رقاشُ ، بالرفع . وهو القياس لأنه اسم علم وليس فيه إلا العدل والتأنيث . غير أن الأشعار جاءت على لغة أهل الحجاز ، فى البناء على الكسر .

(١) والسويد : الماء . أحش الدابة : ألقى إليها الحشيش . ومنه المثل : أحشك وتروثنى . يضرب لمن أساء إلى من أحسن إليه (ض) .

(٢) الحسيك : نبات ورقه كورق الرجلة وأدق . وقد أحسك الدابة : أقضمها إياه . والأبرار : جمع بر ، بالكسر والتضعيف . ومن معانيه فى اللغة الفأرة والجرذ (ق) .

(٣) الحذاء : اليمين القاطعة . والصبحان : الذى شرب الصبوح (ح) . والسنة هنا ، بمعنى الجدب والقحط . وسنة سنواء : شديدة .

(٤) التفل : الكريه الرائحة . تفل ، كفرح : تغيرت رائحته فهو تفل ، ككتف . وهى تفلة ومتفال (ق) .

(٥) الإخضام : التوسعة فى الطعام . والخضم : الأكل ملء الفم ، وقد يخص بالشىء الرطب كالقثاء . والفعل كسمع وضرب . والمخضم ، كمعظم ، : الموسع عليه فيه .

(٦) الأطمار ، جمع طمر : الثياب الخلقة . والقهل : الوسخ (ح) .

من ظِمْءِ الحمارِ ، فإن الظمآنَ يعتصرُ بنسيمِ الريحِ ، والجائع بِلَوْسِ النَّواةِ[1] ، ولا أشعرُ بما فى الغيوب . لقد لَقِيَ أحدَ الشركاء فىَّ رجلٌ من جيرانِه يَكرُمُ عليه ، فسأله أن يُعيِرَنى ولَدَه كى يركَبَ مع الوِلدانِ ، فأجابه إلى ذلك . فانصرف الرجلُ إلى ابنِه بالحديثِ ، وهو من عَرَمَةِ الصبيانِ . فأوَّلُ ما صنَع أن استعار سَوْطًا من بعضِ الناس ، فإن عدم ذلك أخذ قَصِيدةً قصيرةً يَأْمَنُ كَسْرَها عند الضرب[2] .

وبِتُّ مُحَدِّثاً نفسى بالخيرِ ، حتى إذا كان بين الفَجْرينِ قبل أن يَضِحَ منهما المُستطيرُ ، أحسستُ بِبُرَةِ الرِّتاج تُقرَعُ على أهلِ الدارِ[3] . فقالوا : مَن ؟ . قال : فُلان بن فلان || أنجز حُرٌّ ما وعَدَ . فقالوا : دونَكَ . (10ب)

فدخل فحَلَّنى من المَربَطِ ، وذهب فركِبَنى بأغباشِ الليلِ ، ووضَع فىَّ مَرَةَ سَوْطٍ أو صدرَ وَبيل[4] . فلما فُرِقَ بين الشبَحين ، وانتشر أضواُ الصُّبْحَين ، وخرج الفِتيانُ على دوابِّهم ، جعل يحثُّنى بالضربِ لأُحْضِرَ كإحضارِ الخيلِ الجامَّةِ والشواحجِ المودَعَةِ ، وهو على ظهرى مُثَوِّبٌ : وَيْبَكَ أما تَخُبُّ ؟ ويْبَكَ أما تُقَرِّبُ ؟[5] هيهاتَ هيهات ! ما باللُّمْعَةِ حِبَّة ،

---

(١) الظمء ما بين الشربين والوردين . يقال : ما بقى منه إلا ظمء حمار ، أى يسير . لأنه ليس أقصر ظمئا من حمار (ق) . لوس النواة : إدارتها فى الفم (ف) لاس يلوس فهو لائس . واللواسة بالضم : اللقمة (ق) .

(٢) القصيدة : العصا . والقصدة ، بالكسر : القطعة من الشىء إذا انكسر . وقصدت العود : كسرته.

(٣) الفجران : الكاذب والصادق (ف) والمستطير : المنتشر فى الأفق . استطار الفجر وغيره : انتشر (ق) . وبرة الرتاج ، على وزن لغة : حلقته .

(٤) أغباش : جمع غبش ، بالتحريك . وهو بقية الليل أو ظلمة آخره ، كالغبشة ، بالضم . والوبيل ، كأمير : العصا الغليظة . يقال : وبله بالعصا يبله ، كوعد يعد : ضربه . وبها فسر « المجد » فى القاموس ، الوبيل فى قول طرفة : * عقيلة شيخ كالوبيل ألندد * . وقال : العصا ، لا حزمة الحطب كما وهم « الجوهرى » ؛ وعلق الشيخ نصر الهورينى على هامش القاموس : هو قول ذكره الصاغانى وغيره ، فلا وهم .

(٥) مثوب : صارخ (ف) وهو من تثنية الدعاء عوداً على بدء (ق) والإحضار والتقريب : سرعة العدو .

ولا فى الأَرضِ المجدبةِ رِبَّةٌ ، ولا بالشاجنةِ رِيَّةٌ ، ولا عند الراعيةِ مَفْرِيَّة . وهل ترك سَغَبٌ من مَناصٍ ؟ إن العَيْرَ عجز عن القِماص؛ إن الخَبَبَ ولَّيْتُه الشَّبَبَ فهو بِوَجْرَةَ أو السَّماوَةِ ، والتقريبَ أودعتُه السَّمْسَمَ فأَلِفَ الجريبَ[١] .

حتى إذا اليومُ مَتَعَ وجُهِدَ أقصى الرَّمَقِ ، عثرتُ عثرةً فإذا الغلامُ قد سقطَ على الأُمِّ البَرَّة . فلولا أنى خشِيتُ البارئَ لَوطِئتُ رأسَه وطأَةَ متثاقلٍ تُلحِقُه بِعَادٍ وثمودَ . ولكنى رَهِبتُ العاجلَ من العقوبةِ ، وهِبْتُ أن تكونَ له أُمٌّ صالحةٌ فتدعوَ علىَّ مَلِكَ الملوك. فقام سليماً من صَرْعتِه ، يَعتمدُ كَشحِى بوَبيلِه[٢] .

ومن العَنَتِ والعَناءِ ضَحِكُ الفِتيانِ والبهائمِ علىَّ . القوائمُ كثيراتُ الوَفْزِ ، والثَّبَجُ لا يخلو من عَفْزٍ . وقد أثَّر الكِدَانُ فى العُنُقِ أثَرًا أبيضَ يَظُنُّه مَن جَهِلَ بَرَصًا ، وليس كذلك[٣] . فلو أقمتُ الشهادةَ بين يَدى قاضِى البهائمِ لَمَا أَمِنْتُ أَلَّا يقبلَها ، إن كان يحكمِ بما فى كتابِ الدعائمِ[٤] .

وانصرفَ غيرَ شاكرٍ ولا مشكور . فلما ردَّنى إلى المربَطِ ، لم يلبثْ أن جاءَ الزارعُ فحَلَّنى للعمل . فيا لَكَ يوماً ما أطوَلَ ! كان عند غيرى كإبهامِ القَطاة ، وغادانى بِحُمَّى نَطَاة* .

---

(١) اللمعة ، بالضم : قطعة من النبت إذا أخذت فى اليبس . والحبة ، بالكسر والتضعيف : بذور الصحراء مما ليس يقوت (ق) . والشاجنة : ضرب من الأدوية ينبت نباتاً حسناً . والمفرية : المزادة . والخبب : ضرب من العدو سريع . والشبب : الثور الوحشى ، كالشاب .

وجرة : موضع (ف) وهو فى القاموس : بين مكة والبصرة ، أربعون ميلا ما فيها منزل ، فهى مرت للوحش ، أى مفازة . والسماوة : فلاة بأرض كلب . والسمسم . الثعلب . والسمسمة : عدوه ، والسمسام والسماسم الخفيف . اللطيف السريع . والجريب : الوادى .

(٢) الأم البرة : يعنى الأرض . والكشح : الخصر (ف) .

(٣) الوفز : العجلة على غير اطمئنان . والثبج : الظهر . والعفز : الجرح (ف) والكدان : الحبل يشد فى عنق الدابة .

(٤) (كتاب الدعائم) من كتب الشيعة ، مشروح فى كتاب (تأويل الدعائم) نشرته دار المعارف بالقاهرة .

* نطاة : مكان بخيبر ، وقد يطلق على خيبر نفسها ، أو على حمّاها (ق) ، وقال « القالى » فى ذيل الأمالى (٧٨) وخيبر : محمة ، وإليها تنسب الحمى . وهى قريتان : نطاة ، والشق .

وفى أىِّ شِقوةٍ لا أَضعُ مُعَلَّى القِداحِ ؟ أَلستُ فى عَنْبرة الشتاء يأْخذُ
عَباءَتى الأَجيرُ فيتدفأُ بها فى الليل ، فأُمارس قِرَّةَ الأَشهبين؟[1] وإذا
نظرتُ البقاعَ الموسومةَ بعَينٍ أَو عينينِ ، وصار الحائلُ من الأَمكنةِ نظيرَ (11)
الحَوْلاءِ || ، وأَصبح أَثرُ الأَعمى الدارِ كالعبقرية على الضرير ، ورغِبت الراعيةُ
فى قربِ المجنونِ ، وخَبطَتْ حوامى المُنعَلةِ ما حَمَاه من الشَّقِرِ «أبو قابوسَ * » ،
ورَعَت الكوادِنُ الشُّقْرُ ما يُشبهُ نبتَ المَعرَفة من الشَّقراء ، وذلك من النصىِّ
المعلولِ[2] ، فحَوافِرى من العَفْرِ غُبْرٌ ، إنما تَقَعُ بغبراءَ منَعها القَدَمُ والسنبُكُ
من النباتِ ، وجحافِلى من عُضِّ المِصْرِ مُتَقَرِّيات ، وأَعمامِى من القُمْرِ
الوحشيةِ وربائِطِ الأَهلِ ، كأَنّ جحافِلَها من الخُضرةِ مُسبَداتُ المُقتَبَلين[3].
وإذا لاح الشَّرطانِ فى السُّدفَةِ ، واختلفت || أصواتُ المطوَّقات ، وهاجت أَشجانَ (٦)
المتشوقاتِ ، وذكَّرت الشيخَ الدالِفَ بعصورِ الفتيانِ والشمطاءَ الهِمَّةَ بعَيش
الفتَيات[4] ، ذكَّرتْنى أَزمانَ أَنا فَلْوٌ خلْفَ المُقرِفةِ أَرتضعُ ضَاويين مِثْلَ

---

(١) المعلى ، كمعظم : سابع سهام الميسر وهو أعلاها حظا (مجالس الزجاجى ١٥٨) وعنبرة الشتاء . شدته . والأشهب : البارد ، والجبل علاه الثلج .

(٢) الحائل من الأمكنة : الذى مضى عليه حول لم ينبت ، والمتغير اللون . والحولاء ، ضبطها فى القاموس كالعنباء والسيراء ، وتضم : كالمشيمة للناقة ، جلدة خضراء فيها أغراس وخطوط حمر وخضر . ومنها قالوا : نزلوا فى حولاء الناقة . يريدون الخصب والخضرة ، واحوالت الأرض : اخضرت واستوى نباتها.

وأعمى الدار ، هنا : السيل . والعبقرى هنا ، ضرب من البسط. والضرير : حرف الوادى. والمجنون : ما جنت به الأرض من نبت وزهر . والحوامى : ما عن يمين الحافر وشماله . والشقر ، ككتف : شقائق النعمان. والكوادن الشقر : البراذين البيض. والمعرفة ، كرحلة : موضع العرف. والنصى والمعلول : النبت المروى مرة بعد مرة.

(٣) العفر : التراب . والسنبك ، كقنفذ : طرف الحافر . والجحافل ، جمع جحفلة : بمنزلة الشفة للإنسان . والعض : النوى المرضوخ ، وعلف الإبل من يابس الحشيش ، وما صغر من شجر الشوك . والمصر ، هنا : الطين الأحمر . ومسبدات المقتبلين ، من : سبد شارب الغلام ، إذا ابتدأ ينبت بعد الحلق .

(٤) الشرطان : نجمان يقال لهما قرنا الحمل (ف) . والسدفة ، ضبطها فى القاموس بالفتح ، ويضم : الظلمة ، تميمية . والضوء : قيسية ، كالسدف ، محركة . أو اختلاط الضوء والظلمة معاً كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار . والمطوقات : الحمام . والهمة : العجوز المسنة. والهم : الشيخ الفانى.

* أبو قابوس : النعمان بن المنذر ، آخر ملوك الحيرة اللخميين (جمهرة الأنساب ٣٩٧) . ذكره هنا إيماء إلى : شقائق النعمان .

القُرطَينِ[١]. ولا أحفِلُ بِوَضعِ القُرْطانِ. أهُضُّ البَهارةَ بِسَنابِكى ، وأفُضُّ الحَوْذانةَ لا أبالى ، وأُخلِّفُ المَرْدَقوشةَ وهى تَذُمُّنى ، وأُطفِئُ عيونَ العَبْهَرِ بهَزْلٍ منى ، ولا أكرمُ نَوْرَ الأُقحوانةِ لمُشاكلتِه الأشنبَ من الثغورِ[٢]. آونةً لا تعرفُ وَسْماً عُنُقِى ، ولم تَعقِرِ الطَّلَقَةُ ظَهرِى ، ولم يؤثر الدأبُ فى إهابى. لا أقِفُ بِذَرَا بَيْطَرٍ ، ولا أفرحُ بنزولِ القطرِ. فأما الآنَ فأنا أسَرُّ بالغاديةِ من الشابِ المُعرِسِ بالهَدِىِّ غيرِ الصَّلِفَةِ[٣]. لأننى أنالُ الراحةَ إذا الغيثُ قلَّد البلادَ. وإذا رمَقتُ أحدَ الفِرغَيْنِ أو الرِّشاءِ ، دعوت اللهَ أن يُريحَنى من ذاتِ الفروغِ ورِشاءٍ أحْصِدَ فبلغ القَتالَ[٤]. وإنما يُبَكِّرُ إلىَّ العاملُ فى الغَبَشِ فألمحُ طوالعَ النجوم. ولو كنتُ من أهلِ الإيمانِ وصفاءِ الطويَّةِ لقد أجيبت الدعوةُ. ولكنى أحْلِفُ فإذا حنثتُ لم أُكَفِّر ، وأخافُ أن يُحسَبَ ذلك طَرَفاً من الكفر «وما دُعاءُ الكافرينَ إلَّا فى ضلالٍ»[٥] : أقسِمُ لا رِمْتُ المعْلَفَ ولو كُسِرَ علىَّ القِشْبارُ ، فإذا جاءَ السائسُ وأخذنى بالوبيلِ
(12) ‖ألقيتُ الأليَّةَ وخرجتُ ذا إرانٍ[٦].

ولعل السامعَ ينسُبُنى إلى الكُفْرِ من أجلِ مناسبةِ أبى زِيادٍ[٧] ، اتباعاً لقولِ الناس

---

(١) يعنى بهما ثديى أمه . والمقرفة : الهجين . من الإقراف : الهجنة من قبل الأب .

(٢) القرطان ، بالضم على وزن قفطان ، شبه البرذعة . والهض : الكسر دون الهد وفوق الرض . والعبهر : النرجس . والثغور : الأفواه .

(٣) العقر : الجرح . والطلقة ، واحدة الطلق ، بالتحريك : قيد من جلد (الصحاح) ، الدأب : مواصلة العمل فى كدح . والبيطر : لغة فى البيطار . والهدى : العروس تهدى إلى الشاب المعرس . والصلفة : التى لا تحظى عند زوجها (ف) .

(٤) الفرغان والرشاء : من منازل القمر . والفروغ ، جمع فرغ ، بالفتح : الدلاء . والرشاء : الحبل . وأحصده : فتله . والقتال ، بالفتح : النفس .

(٥) من آيتى : الرعد ١٤ ، وغافر ٥٠ .

(٦) القشبار : العصا الغليظة (ف) ، والإران : النشاط . أرن ، كفرح ، أرناً وإراناً فهو أرن وأرون : نشط (ق) .

(٧) يعنى الشاحج هنا ، صلة النسب بينه وبين أبى زياد ، كنية الحمار (ف) .

فى الرجلِ إذا ضربوا به المثل: هو أكفرُ من حِمارٍ. قال الشاعر:

وغَرَّتْنى صــلاةُ أبى خُبيبٍ   يُصلى وهو أكفرُ من حمارِ[1]

وإنما يُعنى بذلك « حِمار بن مُوَيلكِ بن مالكِ بن نصرِ بن الأَسْدِ »[2] ، وقد قيل إنه رجلٌ من قومِ عاد. فأَما الحِمارُ الدابَّةُ فما الذى أَوْجَبَ له الكفرَ وما بَرِح مَطِيَّةَ الصالحينَ ؟

وإذا أَضَّنِى قَرْصُ المُغنِّيات فى الهَجْرِ إلى غِشيان المجنونةِ ، جلَدنى العَسِيفُ جَلْدَ العاهر أو القاذف ، وقد عَلِمَ اللهُ براءتى من القِراف . وإنى لَأعرفُ الطِّيَرَةَ فى وجهِه وهو فالٍ[3] .

وقد عزمتُ أَن أَنظمَ هذه الصفةَ فى بيتين من الشعرِ أو ثلاثة ، فإنه أَسرعُ إلى حفظِ المرسَلِ ، وأَخصَرُ تكلُّفاً من اللفظِ المهمَل . والموزونُ أَذْهَبُ لما فى صدرِ المحزون . وما سُجعَ ، دونه وإن رُجِّعَ . والقولُ المبثوثُ كالبعيرِ الأَوْرَقِ لا ينبعث وهو محثوث .

وحمَلنى على ذلك[4] ، ما قد ظهر على أَلسُنِ الناسِ من أن « السيدَ

---

(١) على هامش (ف): « أبو خبيب، كنية رجل» والمعروف أن « عبد الله بن الزبير» يكنى أبا خبيب. وما أظن بيت الشاعر فيه، إلا أن يكون من زور الهجاء. والذى فى (أمثال الميدانى ٢/١٦٨) :

ألم تر أن حارثة بن بدر   يصلى وهو أكفر من حمار

(٢) ذكر « الميدانى » فى المثل « أكفر من حمار» أنه حمار بن مويلع ، رجل من عاد . وعن الشرق (بن القطامى) أنه حمار بن مالك بن نصر الأزدى ، كفر بربه حين أصابت بنيه صاعقة فأهلكتهم (٢/١٦٨) والذى فى (القاموس، مادة ع ى ر): والعير لقب « حمار بن مويلع » كافر كان له واد فأرسل الله ناراً فأحرقته . والذى فى (جمهرة الأنساب ٣٥٥) أن الذى يقال له : أكفر من حمار ، هو « حمار بن مالك بن نصر بن الأزد » .

(٣) أضنى : ألجأنى . والمغنيات ، هنا : الحشرات . والهجر : الهاجرة . والمجنونة : الأرض المعشبة . والعسيف : الأجير . (ف) والقراف : البغى ومقارفة الذنب .

وفال ، اسم فاعل من : فلا يفلو. وفى طرة (ف) أنه الأحمق الضعيف . وأراه من ظهور أوائل الشر وبوادره . فى (القاموس) فلا فلاناً فى عقله : رازه . وفالية الأفاعى : أوائل الشر ، وخنفساء رقطاء تألف العقارب والحيات ، فإذا خرجت من جحرها آذنت بها .

(٤) أى : حملنى على نظم شكواى شعرا ، إلى السيد عزيز الدولة .

عزيزَ الدولةِ وتاجَ الملةِ أميرَ الأُمراءِ » – أعز اللهُ نصرَه – قد رفع من قَدْر الشعراءِ ، يُغْلِي مُجيدَهم ويُكرِمُهُ ، ويُعطِي المقصِّرَ ولا يَحرِمُه ، ويَنْقُدُ المنظومَ السائرَ نقدَ الصيرفِىِّ مالَه ، ويَعرِف مُشكِلَه معرفةَ السعدىِّ مالَه[١].
ولقد تحدث الناسُ بأن رجلًا من النَّظَمَةِ مَدَحَه ثم لفظ عَصبَه من قبل أن تخرج إليه الجائزةُ[٢]. فأمر بإعطائها ورَثَتَه . فأشْبَهَ فِعلُه فى ذلك ما فعله « النعمانُ بنُ المنذرِ » بِ « شقيق* » لم تمنعه المنيَّةُ من الظنِّ الحقيق. وفد على « اللخمىِّ الجَبْرِ »* فجعل حباءَه على القبرِ ، حتى جاءَ آخِذُ الحِباءِ من أهلِ الدفين .

وكيف يُحجَزُ – أعزَّ اللهُ نصره – عن الحزامةِ وقد حَلَبَ الزمانَ أَشطرَه[٣]
(13) وقرأ من كتاب القدر أسطُرَه ، وأراه فهمُه وفِطنتُه أن المكرُمَةَ إذا شهدتْ لها القافِيَةُ فهى ببقائها وافِية ، والمجدَ إذا حاطتْه القصيدةُ لم تعصفْ به النُّوَبُ كأنه أَصِيدةٌ؟[٤] وإذا ضَمِنَ حديثاً رَوِىٌّ ، سَلَّمَ لِصِدْقِه الغَوِىُّ . ما سار عن

---

(١) السعدى : دليل خريت (ف) من بنى سعد . والمال : الإبل .

(٢) النظمة : جمع ناظم ، كاهر ومهرة .
ولفظ هنا ، بمعنى مات . يقال : لفظ فلان ، مات . والعصب : جفاف الريق .

(٣) الأشطر : جمع شطر ، وهو ضرع الناقة ، ونصف كل شىء . وقولهم : حلب الدهر أشطره ، أى جربه وبلا خيره وشره .

(٤) الأصيدة : كالحظيرة ، لغة فى الوصيدة ، والفعل آصد ، لغة فى أوصد (ض) .

* اللخمى الجبر : النعمان بن المنذر ، الملك .

وشقيق : رجل من بنى عبس ، ذكروا أنه وفد مع رهط من قومه إلى النعمان بن المنذر ، فمات عنده . فلما حبا النعمان الوفود ، بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفد ، فضرب به المثل . وفيه يقول « النابغة الذبيانى » للنعمان :

أبقيت للعبسى فضلا ونعمة ... ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره ... وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى أهله منه حباء ونعمة ... ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

(انظر مع ديوان النابغة ، أمثال الميدانى ١ /٣٠٠)

«الكِندىُّ*» وسَرَى، أبقى على الغِيَرِ من أبنية كِسرَى :

والشعرُ يستنزلُ الكريم كما اسْـ ـتَنْزَل رعدُ السحابةِ السَّبَلَا[١]

(٧) فما بالى يا خالى[٢]، لا أعرفُ فيكَ بشاشةً للمسألة ؟ لا تكُنْ من الذين إذا طُلِبَتْ منهم الحاجةُ سكتوا، وإذا سُئلوا فى الشىء المعرِض نكَتوا. اسقِ نُغبةً من صُفْنِكَ يُقَيِّضْ لكَ ربُّك مَن يملأُ مزادتَك[٣]؛ وأطعِم المُقوِىَ ثَمرةً من دَجُوبِك يحفظ ربُّك حائشَك[٤]؛ وأَعِنْ حاطِبَكَ بالشَّبَم يُعظِمْ نارَك[٥]، وانصر المظلومَ بالكلمةِ تُنصَرْ باليَدِ واللسانِ؛ واغدُ البائنَ أكُنْ مُعَلِّيكَ، وكن السابقَ أَدْعَ مُصَلِّيَك[٦]. وأعِرْ الجازرَ مُدْيةً يُطعِمْكَ من أطايبِ الجَزور، وأعْطِ المُورِدَ مَرَساً يَرْوِ غَنَمك؛ ولا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ الرحِمِ فإنه لا يُجهَلُ: إن العامرىَّ لَيَحَسُّ للسعدىِّ، وإن الرجلَ من بَلِيٍّ ينتصِرُ للفتى من ولدِ مُرَّةَ بنِ عَوْفٍ، وما بينهما إلا صِهْرُ البَلَوية. وحسبُكَ بما يعتقدُه بنو النجارِ فى بنى عبد المطلبِ؛ وزُهرةُ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه

(١) السبل، بالتحريك: المطر. وفى (الصحاح) عن أبى زيد: أسبلت السماء. والاسم السبل، وهو المطر بين السحاب والأرض.

(٢) من (ف). وفى (ض): [فمالى يا خالى].

(٣) النغبة: الجرعة (ف) والصفن، بالضم: وعاء من أدم مثل السفرة، يستقى به أهل البادية، ويجمعون فيه زادهم.

(٤) المقوى: الذى نفد زاده (ف). والدجوب، كصبور: الوعاء والغرارة، أو جويلق يكون فى السفر، للطعام (ق). والحائش: جماعة النخل (ف).

(٥) الشبم، بالتحريك: البرد (ف).

(٦) البائن: من يأتى الحلوبة من قبل شمالها. والمعلى، اسم فاعل: من يأتى الحلوبة من قبل يمينها. والمصلى: التالى للسابق. والألف فيه واوية (ق).

* الكندى: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، آكل المرار، الكندى. الشاعر الأمير. أول شعراء الطبقة الأولى من فحول الجاهليين، وأول أصحاب المعلقات. انظر مع ديوانه: (طبقات ابن سلام ١/٤٢، والشعر والشعراء ١/١٠٥ معارف، والمعلقات السبع، والقصائد العشر، وموشح المرزبانى ٢٧، ورسالة الغفران ٣١٣ ذخائر).

وسلم أَحَقُّ من بنى أمية . وإن أحياء قُضاعة لتعطِفُ على أحياءِ مُدرِكةَ ، والذى أوجَبَ ذلك ولادةُ « ليلى » طابخةَ وأخاه . عند إلياسِ بن مُضَرَ[1].

وقَبْلَكَ أَحَبَّتْ كلبُ بنُ وبرةَ «عبدَ العزيز*» ورَئِمتْ[2] قيسُ «بِشرَ بنَ مَروانَ*» وإن القِبْط لَتلزَمُهم النُّصْرةُ لولدِ إسمٰعيلَ ، من قِبَلِ «هاجَرَ*» عليهما السلام .

والخالُ أَثبَتُ نَسَباً من العمِّ ، لأن الرجلَ يُشَكُّ فى نَسَبِه من قِبَلِ أبيه ، ولا يُشَكُّ فى نسبِه من قِبَلِ أُمِّه .

على أن سوءَ الحظِّ يَرمى الحُقوقَ بالعقوقِ .

وإن اصطنعتَنى بيَدٍ ، جازيتُك بثَناءٍ مُخلد ، قال الشاعر[3] :

---

(١) انظر فى هذه الأنساب (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) ، والشاحج هنا يتمثل لما يلتمس لدى الصاهل من حق الخئولة ، بما عرفت هذه القبائل العربية للخئولة من رحم وقربى . وفى بنى النجار خئولة « عبد المطلب بن هاشم » جد المصطفى عليه الصلاة والسلام لأبيه . وزهرة بن كلاب ، جد السيدة آمنة بنت وهب . وفى بنى زهرة خئولة ولدها صلى الله عليه وسلم . وقد كانوا أدنى إليه من بنى أمية بن عبدشمس ابن عبد مناف ، الجد الثالث للمصطفى من جهة أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

و « ليلى » هى بنت حلوان بن عمران القضاعية المعروفة بخندف ، ولدت لإلياس بن مضر بن نزار : مدركة وطابخة وعميراً ، وهم بنو خندف (نسب قريش ٧) .

(٢) رئمت ولدها : عطفت عليه ولزمته فهى رءوم ورائمة ورائم .

(٣) فى طرة (ف) أن الشاعر ، هو سعية بن غريض بن السموءل بن عادياء اليهودى . كان أسلم وعمر طويلا ومات فى آخر أيام معاوية . اهـ . =

* عبد العزيز : بن مروان بن الحكم الأموى ، أبو عمر . أمه ليلى بنت زبان بن الأصبغ ، من بنى جناب بن كلب بن وبرة (جمهرة الأنساب . ٨٠) .

* بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك وعبد العزيز وسليمان . أمه : قطبة بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة ، ابن جعفر بن كلاب ، من قيس عيلان بن مضر (الجمهرة ٢٦٩) .

* هاجر : أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وهى من قبط مصر ، ففيهم خئولة إسماعيل ، الجد الأعلى للعرب العدنانية . وإلى ذلك يشير حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم نسباً وصهراً» النسب من قبل هاجر أم إسماعيل ، والصهر من قبل « مارية » هدية « المقوقس» إلى المصطفى ، وأم ولده إبراهيم ، عليه السلام . (الاستيعاب ١/٥٨ : ابرهيم عليه السلام)

ارفعْ صديقَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضعفُه ... يوما فتُدركه العواقبُ قد نَمَى (14)
يَجْزيك أو يُثنى عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثنى عليك بما فعلت فقد جَزى

وكأنّى بقِلَّةِ الجَدِّ قد شَنَّعَتْ صوتى فى أذُنِك، وأساءتْ نُقْبَتى فى نظرِك، وضَعَّفتْ حوَارى فى لُبِّك[1]، والقدَرُ نوعان: جَدٌّ وحَدٌّ[2]، فالجَدُّ يَرعَى النَّعَمَ وربُّه نائم، ويحفظُ بيتَ المُكثِرِ وقعيدتُه غائبةٌ، ويحوطُ اللاعبَ وإن لمس بيدِه الأَراقِمَ، ويُطعِمُ الهِجْرِسَ فريسَ الضَّيْغَمِ، والغرابَ الأَبقعَ قنيصَ البازِ الأَشهب، ويُقيمُ الحُرَّةَ على رأسِ الأَمَةِ، ويجعلُ حِجْلَ الخَدْلةِ فى ساقِ الكرواءِ، وسوارَ الغَيْلِ الناعِمِ فى ذراع المَدْشاءِ[3]، ويكسو الوادعَ وإن غفلَ عن طِلابِ الشرفِ، محاسِنَ المُشمِّرِ فى طِلَابِ المجدِ والكرم. ويَنسُبُ إلى البُطَيْنِ أمطارَ الشَّرْطين، وإلى الثريا نوْءَ السِّمَاكِ.

= وفى الأغانى (٣/١١٥ دار الكتب) أن البيتين: لغريض اليهودى وهو السموول، وقيل لابنه سعية، وقيل: لزيد بن عمرو بن نفيل:

نقله الميمنى فى (السمط ١/٢٠٦) وعلق عليه: «كذا قال – أبو الفرج – وقيل: لورقة بن نوفل، وقيل: لزهير بن جناب. وفى العقد الفريد (٣/٣٨٢) لعامر بن المجنون الحرمى مدرج الريح – وعن الزبير لورقة – والصحيح أن الشعر لغريض، أو لابنه».

وفى (إنباه الرواة ٣/٣٦٨) نقل القفطى أن النبى صلى الله عليه وسلم «استنشد السيدة عائشة رضى الله عنها شعر ابن غريض اليهودى. فأنشدته أربعة أبيات، منها الشاهدان هنا. وفى (عيون الأخبار ٣/١٦٢) أن عائشة رضى الله عنها، كانت تتمثل بهذا الشعر.

والبيتان فى (حماسة البحترى: ٣٩٨) لورقة بن نوفل. فتأمل!

(١) الجد، بالفتح والتضعيف: السعد والحظ.
والنقبة، بالضم: اللون والوجه، وبالكسر: هيئة الانتقاب، والهيئة بعامة (ق) واللب: العقل.

(٢) جد وحد: فى طرة (ف) أنهما سعد وضده.
ومن معانى الحد فى اللغة: الدفع والمنع. والمحدود: المحروم الممنوع من الخير.
أنشد المبرد فى الكامل (٣/٥) ليزيد بن محمد المهلبى:

وإذا جددت فكل شىء نافع ... وإذا حددت فكل شىء ضائر

(٣) النعم، والأنعام: الإبل. وقعيدة بيت المكثر: زوجته. والأراقم: الحيات. والهجرس: ولد الثعلب. والضيغم: الأسد. والحجل، بالكسر: الخلخال. والخدلة: الممتلئة الساقين. والغيل: الساعد الريان. والمدشاء: النحيلة الذراعين (ف).

والحدُّ ، يُخرِجُ الأُكلةَ من فمِ الغَرْثانِ حتى يُلقِيَها فى جُولِ القَلِيبِ[١] ، ويُقلِّدُ المُخدَّرةَ ذاتَ العِفَّةِ قلائدَ الرَّوادِ المومِسِ[٢] ، ويجعل ثوبَ الخرِصِ حليفِ الإعدامِ طُعْمَةً للغاضيةِ من النيرانِ[٣] ؛ ويوهِمُ النابِلَ أن قرَنَه مملوء بالنَّبْلِ وأنه قد خَرِس من أجلِ الكثرةِ ، فإذا عَيَّثَ يرجعُ لم يصادفْ مِنْ أهزعَ[٤] ؛ ويَرُدُّ الواردةَ عن الماءِ الخِضْرِمِ تشتكى لُهاثَ الحَرَّةِ ؛ ويُعلِّمُ الوالدةَ عقوقَ الطفلِ الصغيرِ ، ويَسلُكُ بالدليلِ الخرِّيتِ وادىَ تؤْلَةَ وطريقَ العُنصُلَيْنِ[٥] ؛ ويوهمُ صاحبَ الواعِدِ أن المُرجَّبَةَ حَضِلتْ فيرسلُ عليها الجِذْوةَ[٦] .

ولا يَغُرَّنْك ما تراه فى الكفَلِ والأَقرابِ من الجُلبِ والندوب ، فإن المطر إذا جاد الأَرضَ ضحِكتْ بعد عبوسٍ وخرجتْ إلى النعمةِ من البوْس .

* * *

فيجوزُ واللهُ قديرٌ ، أن يُنطِقَ الصاهِلَ – وهو [تعالى] مُنطِقُ كلِّ الحيوان فيقول : اطرُقى يا ماعلةُ ، وأَطِرِّى فإنكِ ناعلة[٧] . وانغلِى فى الشَّاكَةِ فإن عليها

---

(١) الأكلة ، بالضم : اللقمة . و الغرثان : الجائع . والجول ، بالضم : ناحية البئر .

(٢) الرواد ، على وزن سحاب : المرأة الطوافة فى بيوت جاراتها (ق) .

(٣) الخرص حليف الإعدام : المقرور المعدم. والغاضية من النيران: المتقدة بحطب الغضا (ق) .

(٤) القرن ، بالتحريك: جعبة السهام والنبل . وخرس : اكتظ من امتلائه فلا يسمع صوت من حركة النبل فيه . والأهزع . آخر سهم فى الكنانة رديئاً كان أو جيداً . أو هو السهم الأخير المدخر لشديدة (ق) . وعيث يفعل كذا : طفق. وعيث الرجل: طلب شيئاً باليد، من غير أن يبصره (ق).

(٥) لم أجد [تؤلة] فى المهموز . وفى (ت و ل) : التولة ، كهمزة: السحر ، والداهية المنكرة. ورجل ضال تال ، وجاءنا بالضلالة والتلالة .

والعصل فى اللغة الالتواء ويقال للرجل إذا ضل: أخذ فى طريق العنصلين . قال فى القاموس : طريق العنصل من اليمامة إلى البصرة . وفى طرة (ف) : متاهة بينهما .

وفى أمثال الميدانى : « أخذوا طريق العنصلين » يضرب للرجل إذا ضل. وأنشد فيه بيت الفرزدق :

أراد طريق العنصلين فياسرت ... به العيس فى نائى الصوى متشائم

(٦) الواعد : التى تعد بالحمل أو الثمر . وترجيب النخل : أن تضم أعذاقها إلى سعفاتها وتشد بالخوص لئلا تنفضها الريح . أو وضع الشوك حولها وقاية لها . وحضلت النخلة ، كفرح : فسدت أصول سعفها ، وصلاحها أن تشعل النار فى كربها حتى يحترق ما فسد من ليفها وسعفها .

(٧) معل الشىء : خطفه واختلسه . والامتعال : دراك الطعان فى اختلاس . والإطرار : =

بُرْجُدًا ، وأَوضِعى فى الجَرَدِ تحتكِ أُجُدًا [١] . دعواكَ || من قلةِ رَعْواكَ ، ومَن (15)
ادَّعَى فبئس ما سَعَى : إن كان صادقًا فالشاهدُ لِنفسِه لا يُقبَلُ وإن كان كاذبًا فالكذبُ خبْلٌ وخَبَل [٢] :

لِمْ تدعى الأَمرَ لِمَهْ

ووُكِلَ بلاءٌ بالكلمه

(٨) إن كنت يميناً فالحِنثُ || إزاءها قائم ، وإن كانت عِدَةً فكأَن الخُلْفَ عليها دائم ، وإن كانت سَوْفِيَّةً فأَخلِقْ بها أَلا توجدَ وفِيَّةً [٣] . لو ادَّعت العِضاهُ أن ثمرَها البَرَمُ [٤] ، لوقع فى نفوسِ بعضِ الشجرِ شكٌّ فى ذلك ؛ أو زعم اليربوعُ أن الراهطاءَ مِلْكُ يمينهِ لأَمكن فى قضاءِ اللهِ أن يُنازعَه فيها عَضَلٌ أو قزلاء [٥] ؛ ولو خطَر فى نفسِ الدُّرَّةِ وهى فى المحارةِ أَنها الغريبةُ من الدُّرِّ ، جاز أن يحولَها اللهُ القادرُ حيواناً لا يُنتفَعُ به ، أو نُطفةً ليست بالمَروِيَّة .

ويكفيكَ عيباً للمُدَّعين ، أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم جعلَ البَيِّنةَ على المُدَّعِى ، وحسبكَ بتلك ظِنَّةً .

= ركوب طرر الطريق. والمثل : « أطرى فإنك ناعلة » نقل فيه الميدانى عن أبى عبيد، أنه لرجل قاله لراعية كانت ترعى فى السهولة وتدع الحزونة ، وعنى بناعلة ، غلظ جلد قدميها ، يضرب لمن يؤمر بالأمر الشديد لاقتداره عليه . وانظره فى (مجالس ثعلب ١٦٢) .

(١) الإنفال ، كالإيغال . والشاكة : الأرض الكثيرة الشوك . والبرجد : كساء غليظ . والإيضاع : الإسراع . والجرد : الأرض المستوية (ف) وأجد ، بضمتين : صفة خاصة بالإناث من الإبل ، القوية الموثقة الخلق (ق) .

(٢) الخبل ، بالسكون : فساد الأعضاء . وبالتحريك فساد العقل بخاصة ، والجنون . وانظر فى قوله : * ووكل بلاء بالكلمة * المثل : إن البلاء موكل بالمنطق (مجمع الأمثال ١/١٧) .

(٣) سوفية : يعنى بها مستقبلة ، مقترنة بـ : سوف .

(٤) العضاه : شجر له شوك ، والبرم : ثمر الأراك .

(٥) الراهطاء : جحر اليربوع . والقزل : أسوأ العرج . والقزلاء الحية العرجاء ، لتلويها .

زعمتَ أني خالُك ؟ ! وأين الآفِقُ من اللئيمِ ولدتْه غافق ؟[١] وما بين الشَّربةِ والصَّربةِ من سُهمة ؟ وما قَرابةُ البيدانةِ إلى الرَّيْدانة ؟ ليست الرَّقْلةُ عَمَّةً للشِيحَةِ ولا خالة[٢]. ما للجبسِ الهدان وتَنَسُّبا فى عبدِ المَدان![٣] إن حليف الزَّارةِ قد يقرُب من الفَزارةِ ولا يكون السُّبَدُ أخا لُبَد[٤]. فلا تغُرَّنْك الأَسماءُ ، قبل الشائم كانت السماءُ . ما العِكْرِمةُ هتفتْ بدَهْلٍ ، كَ «عِكرمةَ* » ولدِ أبى جهل ، ولا الطلحةُ رعَتْها الإبلُ فى الروحاتِ ، كَ« طلحةَ الطلحات* » ، ولا السَّلَمةُ عضَبَها راعٍ ، كَ «سَلَمةَ* » أخى القِراع ، ولا الثَّامةُ ضعُف

(١) الآفق : الذى يبلغ الغاية فى الكرم والفضل والعلم (ض) . وغافق : قبيلة عن عك ، خاملة (ف ، ض) .

والصاهل يتهكم هنا ، على تخليط الشاحج فى دعواه خئولة الخيل . ومن أمثالهم : « قيل للبغل: من أبوك ؟ قال : الفرس خالى » ذكره الميدانى وقال : يضرب للمخلط (٢/١١٠) .

(٢) فى طرة (ف) على الصربة : لبن حقن حتى حمض . والذى فى القاموس: الصربة ، محركة : ما يتخير من العشب . أما اللبن الحقين الحامض فهوالصرب .والسهمة : القرابة . والبيدانة : الحمارة الوحشية ، والريدانة. ريح لينة الهبوب . والرقلة: النخلة فاتت اليد ، جمعها رقل و رقال .

(٣) الجبس الهدان : اللئيم الأحمق الثقيل الوخم . وعبد المدان: أشراف بنى الحارث بن كعب (ف).

(٤) الزارة : أجمة الأسد . والفزارة : أنثى النبر (ف) . والسبد : طائر لين الريش ، ولبد : آخر نسور لقمان المضروب به المثل فى طول العمر ، لم يفلته من الموت . والشائم ، من : شام البرق .

* السلمة : واحدة السلم ، شجر له شوك . والعصب : الشد .

والعكرمة : الحمامة . ودهل ، بالفتح ويضم : ساعة من الليل . وبالضم : شجرة البشام .

* عكرمة بن أبى جهل- أبى الحكم - بن هشام بن المغيرة المخزومى . من مسلمة الفتح. قتل شهيداً فى أجنادين سنة ١٣ هـ . انظر ترجمته فى (الاستيعاب ١٨٣٨) وآباءه فى (نسب قريش ٣١٠) مع السيرة ٤/٦٠ .

* طلحة الطلحات: بن عبد الله بن خلف الخزاعى (جمهرة أنساب العرب ١٩٥،٢٢٧) وانظر خبر أبيه يوم الجمل ، فى (تاريخ الطبرى ، سنة ٣٦ للهجرة.) وأم طلحة الطلحات : صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبى طلحة عبد العزى ، من بنى عبد الدار . فقد تكنفته هذه الطلحات .

* سلمة ، أخو القراع : هو الصحابى سلمة بن عمرو بن الأكوع القشيرى الأسلمى . وينسبونه إلى جده فيقال : سلمة بن الأكوع . وكان من أبرع الناس رمياً بالنبل ، شجاعاً سخياً خيراً فاضلا . وهو ممن بايعوا تحت الشجرة (الاستيعاب رقم ٢١٠٧) ، وانظر بلاءه بالرمى فى (طبقات ابن سعد٢/٥٨ . والسيرة لابن هشام ٣/٢٩٤) .

عودُها ، مثلَ «ثمامةَ» نفسٍ تُنجِزُ وُعودُها[1] ، ولا العَبْسُ المشمومُ عند البُكراتِ ، من «عبسٍ*» التى هى إحدى الجمَرات . إنما السِّمَةُ عَلَمٌ يُهدَى المُكلَّم به والمكلِّم . ليس «قَتادة*» راوى الأَخبارِ مثلُ القتادةِ هَناتُها كالإبار ، ولا العوسجةُ ذات المُصَعِ مثل‖ «عَوْسَجَةَ*»[2] فتى المصاعِ ، ولا (16)
العَرفجةُ صاحبةُ نارِ الزحفتين مثل عرفجةَ ماضٍ منصاع[3]. ولا الرِّمْثَةُ بقُلتْ وأَدْبَتْ ، كرِمثةِ الرجلِ إذا الفوارسُ نُدِبَتْ[4] ؛ ولا «عُفارَةُ ، صاحبةُ

(١) فى طرة (ف) : [ثمامة ، اسم رجل] . ولم يعينه . والعبس : نبات طيب الرائحة .

(٢) المصع : ثمر العوسج . والمصاع : المضاربة بالسيف .

(٣) العرفجة ، واحدة العرفج : شجر سهلىٌ يوقد به . والعرب تسمى نار العرفج : نار الزحفتين ، لأن الذى يوقدها يزحف إليها ، فإذا اتقدت زحف عنها . (ض) .

والعرفجة أيضاً : ضرب من الحركة ، وانصاع : انفتل .

(٤) الرمثة ، واحدة الرمث ، بالكسر . مرعى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه الغضا . وأدبت الرمثة : خرج منها نبت يشبه الدبى ، صغار النمل والجراد . ورمثة الرجل : مزيته .

* و «عبس» بن ريث بن غطفان ، إحدى جمرات العرب الثلاث : عبس والحارث وضبة ، وهم إخوة لأم يمنية منجبة ، ذكروا من خبرها أنها رأت فى منامها كأن ثلاث جمرات تخرج من رحمها . فتزوجها قيس بن كعب بن عبد المدان ، فولدت له الحارث . وهم أشراف اليمن. ثم تزوجها بغيض ابن ريث الغطفانى ، فولدت له عبساً وهم فرسان غطفان. ثم تزوجها أد بن طابخة فولدت له ضبة بن أد. فجمرتان فى مضر وجمرة فى اليمن . انظر مع (جمهرة الأنساب) صحاح الجوهرى . مادة (ج م ر) .

* قتادة بن دعامة السدوسى ، أبو الخطاب الضرير من سدوس بن شيبان بن ذهل : الفقيه البصرى الأعمى. فى الطبقة الأولى من علماء البصرة، ومن أعيان التابعين (الجمهرة ٢٢٩) . وكان رأساً فى العربية واللغة وأيام العرب . ت : ١١٧ ، ١١٨ هـ.

وفى الإنباه (٣/٣٥) لم يأت عن أحد من أنساب العرب وأيامها أصح مما أتى عنه . وهو من أئمة الحفاظ وفقهاء التابعين . وانظره فى (طبقات القراء) ٢/٢٥ والحفاظ ١/١١١٥ .

* عوسجة : شاعر فارس ، ذكره الزبيدى فى (تاج العروس : عسج) . وقال إنه مذكور فى الطبقات . وذكره «الميدانى» فى المثل : «هذا أحق منزل بترك» من قول عوسجة :

هذا أحق منزل بترك   الذئب يعوى والغراب يبكى

وفى مادة (م ر ج) بالتاج : المريج بن معاوية ، مصغراً ، فى قشير ، منهم عوسجة بن نصر ابن المريج .

ميمون* » من العَمَارةِ أَتَتْكَ بالنُّورِ المخزون(١) ، ولا « عِتْرٌ » من : عادٍ ، كعِتْرٍ نَبَتَ فى مكانٍ مُتَعاد(٢). أَحسبتَ « النمِرَ » وهو عُكْلِى* ، مثلَ النمِرِ جَريحُه من البِرِّ كَلِيٌّ(٣). أَم عندكَ أن « ثعالبَ جُلْهمةَ* » كثعالبَ صادفتْ مُرهِمَةً ، فوبَرُها بالقَطْرِ بَلِيلٌ ، وكلُّها إلى قوتِ العَيْلةِ خليل ؟ أم ظننت أن « ذئباً ، جدَّ سطيح* » كذئبٍ يهتَبِلُ بجدٍّ نطيح ؟ أم « أسدًا وهو أخو كِنانةَ* » كأَسَدٍ حَمَى البُنانة ؟ أ « ثعلبة أبو قيس* » كأُمِّ التَّتْفُلِ حليفِ الكيس ؟

(١) والعمارة ، واحدة العمار : شجر تقدح منه النار .

(٢) عتر ، من عاد : أحد أقيال قبيلة عاد ، من العرب البائدة . انظر (جمهرة الأنساب ٤٣١) وقابله على ما فى رسالة الغفران ٢٤٣ . والعتر : نبت طيب الرائحة ، يتداوى به . مثل المرزنجوش. واحدته : عترة .

(٣) النمر ، واحد النمور . والبر : الفأرة والجرذ ، وولد الثعلب أيضاً . والكلى : الذى أصيبت كليته . والفعل كرضى (ق) .

* ميمون : بن قيس بن جندل البكرى ، أبو بصير ، الأعشى رابع شعراء الطبقة الأولى من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام) وأحد أصحاب المعلقات . أدرك الإسلام ، وكان فى طريقه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ليسلم ، فردته قريش . انظر مع ديوانه ، طبقات ابن سلام والشعر والشعراء لابن قتيبة ومعجم المرزبانى ٤٠١ ومؤتلف الآمدى ١٢ ، والسيرة لابن هشام ٢/٢٦ ورسالة الغفران ١٥٩

* النمر العكلى : النمر بن تولب ، بن زهير بن أقيش ، من بنى عدى بن عوف بن عبد مناة العكلى . فى الطبقة الثامنة من فحول الجاهليين وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه : الكيس ، لحسن شعره . أدرك الإسلام ، وترجمته كاملة فى (الاستيعاب) وله قصائد من مختار ابن الشجرى ٢١ ، وحماسة البحترى. وانظر مع طبقات ابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٢٢٧ (رسالة الغفران ١٥٢) .

* ثعالب جلهمة : بطون بنى جلهمة طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب ، من زيد كهلان بن سبأ . وهم فى طيئ نظير الربائع فى بنى تميم . ذكر منهم « ابن حزم » فى (جمهرة الأنساب ٣٧٦) ثعلبة بن جدعاء ابن ذهل بن رومان ، وثعلبة بن ذهل ، وثعلبة بن رومان . كلهم بطون من جلهمة وهو طيئ .

* سطيح ، كاهن بنى ذئب . واسمه ربيعة بن عدى بن مسعود ، من بنى ذئب بن عمرو بن مازن بن الأزد (جمهرة الأنساب ٣٥٤) وقابله على ما فى (التاج : سطح) وانظر خبر سطيح فى (السيرة ١/١٨) . والنطيح : المشئوم .

* أسد ، وكنانة : ابنا خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . والبنانة ، بالضم : الروضة المعشبة .

* أبو قيس ، ثعلبة بن عكابة بن صعب ، من بكر بن وائل (الجمهرة ٣٠٠) . والتتفل : ولد الثعلب (ف) .

أم «عمرُو بن معديكربَ* » مثلُ عَمْرٍ ثَنِتَ وقرِبَ [(١)] ليس وَرْدٌ ظهر فى ربيع الأزمانِ ، كوَرْدٍ قهر فى ربيع الغُدران[(٢)]. ربما سُمِّى الرجلُ بَحْرًا وهو شحيح ، أو داءٌ يُرهَبُ وجسمُه صحيح . أَدِرعُ الرود خَلقاً أو جديدًا ، مثلُ ما نسجه « داودُ* » حَدِيدًا ؟ أَعَيْرٌ فى الورقةِ حقير ، كعَيرٍ فى الهامةِ له توقير ؟ ما العنْتَرُ إذا أكثَرَ ترنُّماً ، كَ «عنترَ* » فى قطيعةَ يريد مغنماً . أذبابُ السيفِ قطع فى القِرابِ ، كذباب الصيْفِ نُعِتَ بالإطراب ؟ ما «أسامةُ بنُ زيدٍ* » أين ذهب ، كأُسامةَ فى طرفاءَ ذعَرَ وأرهب ؟ ذلك تَقِىٌّ سَرِىٌّ ، وهذا الآخرُ هو القسوَرِىٌّ .

أَغَرَّك أن جاهلا من القوم كان يدعو أُمَّك فَرَساً ؟ ليت لسانَه من قبل ذلك أشعِرَ خَرَساً . حَنَّ شُجَيرٌ فى الرِّبابةِ ، وضَبَحَ دِرْصٌ فى الغابة[(٣)]. كيف تُنسَبُ

---

(١) العمر ، واحد العمور : اللحم بين الأسنان . ثنت ، كفرح : أنتن . وثنتت اللثة : دميت . وقرب ، كسمع وكرم : دنا من التلف .

(٢) الورد ، من الزهور . ومن أسماء الأسد .

(٣) الربابة ، بالكسر : جماعة السهام ، أو خيط تشد به وخرقة تجمع فيها . والشجير ، كأمير : الغريب من القوم ، والقدح بين قداح ليس من شجرها (ق) ومنه المثل : «حن قدح ليس منها» يضرب للدخيل (أمالى القالى ١/١٤٠) والدرص : ولد الفأرة والهرة والكلب والذئب . ج أدراص .

* عمرو بن معد يكرب الزبيدى . أبوثور ، من بنى زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج . أخو ريحانة أم دريد وعبد الله ابنى الصمة (جمهرة الأنساب ٣٨٦) شاعر فارس ، يضرب به المثل فى الشجاعة والفروسية . قدم فى وفد بنى زبيد عام الوفود وأسلم ، وأبلى فى الفتوح أعظم البلاء . انظر مع (الاستيعاب رقم ١٩٥٨ ، والشعر والشعراء ١/٢٨٩ ، ومعجم المرزبانى ٢٠٨ ومؤتلف الآمدى ١٥٦) شعراء الحماسة ، والأصمعيات ، وأمالى القالى ١/١٢٥ ونوادره : ١٤٢ ، ١٥٠ ، وتنبيه البكرى ٤٨ ، ومجمع الأمثال للميدانى ٢/٨٧ .

* داود : عليه السلام .

* عنتر ، ترخيم عنترة بن شداد العبسى ، من بنى قطيعة بن عبس بن بغيض . (جمهرة الأنساب ٣٢٩) أحد فرسان الجاهلية وأغربتها وشعرائها الأعلام . انظر مع ديوانه ، وطبقات ابن سلام (٢٩٠ ذخائر) والشعر والشعراء ١/٢٥٠ معارف ، فحوله الشعراء للأصمعى ٣٥ ، ٢٧ ورسالة الغفران ١٣٢ .

* أسامة بن زيد ، بن حارثة بن شراحيل . أمه : أم أيمن بركة مولاة المصطفى وحاضنته . وأبوه زيد ، تبناه الرسول عليه الصلاة والسلام حتى نزلت آية الأحزاب : «ادعوهم لآبائهم» .

انظر ترجمة أسامة فى (الاستيعاب ٢١٠) وطبقات ابن سعد جـ ٢ ، ومناقبه فى الصحيحين .

الحُوَّاءَةُ إلى السخْبَرَةِ ، والوَبْرُ المتوقلُ إلى وبرة؟[١] وفى الشجرِ دَوْحٌ وسِواه ، وما أَمِيلُ الرملِ كَلِوَاه[٢]. وقد فرَّقَ أَهلُ المعرفةِ بين أُمِّك وخالِك وبين الخيلِ العِراب ، فسمَّوا أُمَّكَ رَمَكَةً وأخاها كَوْدَناً. وإن فى ذلك لَـما يُوضِّحُ أَمْرَكَ .

(17) وإذا دعا العبدُ سيدَ القومِ عَمَّه ، فغيرُ آمِنٍ أن يرجعَ لطيمَ الوجه . وإذا الأَمَةُ أرادت أن ترضع ولدَها من ثدي الحُرَّةِ السيدة ، جاز أن يُرَدَّ أَمَلُها بالنَّجْهِ[٣].

ما ظنُّكَ بِـ «جليلةَ ، أُختِ جسَّاسٍ*» يدعوها ابنُ الراعية : يا خالَة ؟ وما قولكَ فى «بنتِ الخُرشب أُمِّ الكمَلةِ*» يهتفُ بها ابنُ العبْدِ المُجَدَّعِ : يا أُمَّه ؟

(٩) أيَرضَى «كليبُ وائلٍ*» أن يكون خالًا لابنِ المحتطِبة ؟ أم يُقِر «بنو بدر» على أن يكونوا للحبَشَةِ أُسْرةً ؟ انظرْ فى ذلك فربَّ جنايةٍ لم تـأْتِ بكناية .

وأما شَكِيتُكَ ما تلقاه من أحداثِ الزمان ، فإن أقدارَ الله جرت على

---

(١) الحواءة ، كرمانة : بقلة لازقة بالأرض . والسخبرة ، واحدة السخبر : شجر يشبه الإذخر . والوبر : الأيل . وتوقله تصعيده فى الجبل . والوبرة : دويبة أصغر من السنور . طحلاء اللون ، لا ذنب لها . (ق) .

(٢) الأميل من الرمل ، كأمير : ما امتد ميلا ، طولا وعرضاً . واللوى ، على وزن إلى : ما التوى من الرمل .

(٣) النجه : أقبح الرد (ف) والزجر والردع (ق) .

* جليلة بنت مرة بن ذهل الشيبانى (جمهرة الأنساب ٣٠٢) زوج كليب وائل وأخت قاتله جساس بن مرة (شعراء الجاهلية ٢/٢٥٢ وأمثال الميدانى ١/٣٧٤) .

ومن عجيب أوهام « القالى » أن قال فى (أماليه ١/١٢٩) « جليلة أخت كليب ، وكانت تحت جساس بن مرة» ونبه عليه « البكرى» فقال : هذا غلط فاحش من أبى على رحمه الله . ويجب أن يقال له : اقلب تصب (التنبيه ١٠٦) .

* فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ،من بنى بغيض بن ريث بن غطفان ، ولدت الكملة لزياد العبسى (جمهرة الأنساب ٢٣٩) ، ويضرب بها المثل : « أنجب من فاطمة بنت الخرشب الأنمارية » . — الميدانى ٢/٣٩٣ . وبنوها الكملة ، أولاد زياد العبسى : ربيع الكامل ، وقيس الحفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس .

* كليب وائل ، ابن ربيعة . سيد بنى تغلب المضروب بعزته المثل . قتله جساس بن مرة فهاجت بمقتله حرب البسوس . وهو أخو مهلهل بن ربيعة التغلبى . انظر : جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ ، والأغانى ٤/١٤٨ ، ورسالة الغفران ٣٥٢ .

الأذلالِ[١] . وهل يملك أحدٌ ردَّ الأقدار ؟ ما تقولُ فى القمَرِ لو شكا الدأبَ فى ليلٍ ونهار ؟ . أصْرِف ذلك عنه إلى سواه إلا أن يقضىَ ربُّك نقصَ المِرَّةِ وتغيُّرَ الفلَك ؟[٢] ولو شكا «ثَبيرٌ أو نَعمانُ* » ما يلاقيه من حَرورِ القيظ وأريزِ الشتاء ، هل كان إلى دفع ذلك عنهما سبيلٌ للمخلوقين ؟ ولو زعم القَراحُ أنه يلقى شدةً من الكِرابِ والدَّبْلِ ، هل وجد آوِياً له من ذلك؟[٣] أرأيتَ القتادةَ لو ذكرتْ أن الشوكَ يبعث إليها الألمَ ، هل قدَر آسٍ أن يُداويَها من ذلك حتى تَنبُتَ وليست بالشاكَةِ؟ هذه «عينُ أُثالَ وغُمازةُ* » لو شكَتَا ورْدَ الوحشِ خبَطهما بالحوافرِ ، هل زُوِى عنهما ذلك بِحيلةٍ من البشر ؟

وأىُّ شىءٍ من أصنافِ الحيوانِ لا ينصَبُ ويُقصَبُ ؟ ألا تعلم أن بنى آدمَ ملوكَ الأرضِ ، لا يعدَمون همًّا آئباً وسهماً من سهام القدَرِ صائباً ؟ فى كلِّ صَدْرٍ من الناسِ شُجونٌ ، ولكلِّ نُطفةٍ أُجونٌ[٤].

فأما نحن معاشرَ الجَبْهةِ[٥] ، فتُرمَى بهوادينا الغمراتُ وتُشهَدُ على ظهورِنا الغاراتُ . وقلما اطَّرد فريقان من العربِ إلا وأجْلَى النقعُ الثائرُ عن قتيلٍ منا وعَقير . وبذلك سلَفت العادةُ من قديم الزمن . ألم يبلُغْكَ المَثَلُ فى يوم

---

(١) الأذلال : جمع ذل، بالكسر .وقولهم : أمور الله جارية على أذلالها ، أى على مجاريها وطرقها . وجاء فلان على أذلاله . أى على وجهه وحاله (ص ، ق) .

(٢) المرة ، بالكسر والتضعيف : الطبيعة والمزاج . وهى أيضاً : القوة فى الخلق ، والإحكام .

(٣) القراح ، كسحاب : الأرض المخلصة للزرع ، والحقل . والكراب ، والكرب : إثارة الأرض للزرع . والدبل : علاج الأرض بالدبال ، وهو الزبل : نوع من السماد .

(٤) الأجون ، على وزن رجوع : تغير لون الماء وطعمه . أجن ، كضرب وفرح ، أجناً وأجوناً ، فهو آجن (ق) .

(٥) الجبهة : الخيل ، لا واحد لها (ق) .

* ثبير ونعمان: جبلان بمكة . انظرهما فى (بلدان ياقوت) .

* أثال ، كغراب : ماء لعبس . وغمازة ، بالضم : عين لبنى تميم ، أو بئر بين البصرة والبحرين .

(18) «شِعْبِ جبَلَةَ*» وهو قول القائل: || «كالأشقَرِ إن تقدَّمَ نُحِرَ وإنْ تأخرَ عُقِرَ» ؟[١] وقال «الجرمِىُّ*» فى «يوم الكُلاب» :

فِدًى لكما رِجْلَىَّ أُمِّى وخـالتى ‌ ‌ غداةَ الكلابِ إذ تُحَزُّ الدوابرُ[٢]

كم بين معيشةٍ فى دَعةٍ، وكَبِدٍ بالأَسِنَّةِ متصدعة! وإن كانت الشواحجُ فى شقاءٍ فإنها لا تَهلكُ أوانَ اللقاء. إنما تحضُرُ الهيجاءَ مُعِينةً على حملِ الأَثقال، فلا يعمَدُ إليها الطاعنُ بإرقال؛ ولا تبيتُ من شهود الغارةِ وجلةً، مبطئةً كانت أو متعجلة. وإنما يَفرَقُ من اعتراكِ القومِ فرسٌ يَلْقى الصوارمَ بِهادِيه، ويُعاينُ الشجَبَ فيُرادِيه. هل حُدِّثْتَ بواحدٍ من أَصحابِكَ هلَكَ بطعنةٍ أوضربة؟ فأَنتم من ذلك مثلُ حَمامِ الحَرَمِ إنما يأْتيها الموتُ بِيَدِ القضاء فتموتُ حتفَ الآنُفِ[٣]؛ فأَما نحن فنباشِرُ الشوكةَ إذا واجهنا الفئة، ولا نأْمَنُ حَدَّها عند المُنصرَف. ورُبَّ ميتٍ منا فِى الشأْوِ المُغربِ، كَظَّه الدأْبُ والغايةُ إلى أن فَاظ[٤].

---

(١) المثل بلفظه، فى (مجمع الميدانى ٢/١٤٠) قاله لقيط بن زرارة يوم جبلة، وكان على فرس أشقر. تمثل به «حميد الأرقط» الراجز، فى رجز ارتجله وأنشده الحجاج:

بموقف الأشقر إن تقدما ‌ ‌ باشر منحوض السنان لهزما

والسيف من ورائه إن أحجما ‌ ‌ وانظر (الفاخر ١٥٩)

(٢) البيت مطلع مفضلية الحارث بن وعلة الجرمى (رقم ٣٢ ص ٣٢٧ ط أوربا). وفى الشرح أن الحارث شهد يوم الكلاب فانهزم، فلحقه رجل من بنى سعد فعقر بفرسه، فأحضر على رجليه ونجا.

(٣) الآنف، والأنوف: جمع أنف.

(٤) المغرب: البعيد. أغرب إغراباً فهومغرب.

كظه الدأب: بهظه وجهده وكربه. وفاظ فوظاً وفواظاً: مات. ك: فاظ فيظاً وفيظاناً، محركة، وفيوظاً، بالضم. وأفاظه الله تعالى. وحان فيظه، أى موته (ق).

* جبلة، بالتحريك: هضبة حمراء بين الشريف، ماء لبنى تميم، والشرف، ماء لبنى كلاب. ويقال لهذا الموضع أيضاً: شعب جبلة. وفيه كان يوم جبلة بين عبس وذبيان.

* الجرمى: الحارث بن وعلة، من شعراء الحماسة، والمفضليات. وانظر معها (مؤتلف الآمدى ١٩٦).

والكلاب، بالضم والتخفيف، ماء عن يمين جبلة وشمام. وللعرب به يومان مشهوران: الكلاب الأول، والثانى. انظرهما فى الجزء الأول من (تاريخ ابن الأثير).

وقد افتخر « الجعدى* » فقال :

وإنا لَحَىٌّ ما نعوِّدُ خَيْلَنـــا إذا ما التقينا أن تَحيدَ وتنفِرا
ونُنكِرُ يومَ الروع ألوانَ خيلِنا من الطعنِ حتى نَحسَب الجوْنَ أشقرا
فليس بمعروفٍ لنـــا أن نردَّها صِحَاحًا ولا مُستَنكرا أن تُعقَّرا[١]

وقال « عامرُ بنُ الطفيل* » وعُقِرَ فرسُه :

ونعم أخو الصعلوكِ أمسِ تركتُـــه بتُضروعَ يَمْرِى باليدين ويَعسِفُ[٢]

وقال « عُروةُ بن الورد* » :

أُقِيه بنفسى فى الحروب وأتَّقى بهادِيه ، إنى للخَليلِ وَصُولُ[٣]

فمتى أصابَ أحدًا من رهطِك سِنانٌ بِشَرٍّ ، أو قُتِلَ فى كَرٍّ وفَرٍّ ؟ وهل
حُدِّثتَ عن بعضِ أُسْرَتكَ || أن مهنَّدًا أفرى عنقَه ، أو أصاب المفصلَ فطبَّقه ؟ (19)
وأَكْلُ أبناءِ أبيكَ مُحرَّمٌ فى المِلَّة ، فقد أَمِنَ كلُّها حَدَّ المُديةِ وغليانَ

---

(١) الأبيات من رائيته التى أنشدها بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم . والبيت الثالث ، من شواهد الغفران (٢١٠) وشرح شواهد المغنى ٢٠٩ .

(٢) تضروع : بلدة . يمرى : يحث التراب (ف) .

(٣) على هامش (ف) طرة مطموسة ، أمكن أن نقرأ منها : وقع هذا البيت فى الحماسة منسوباً ... العبسى ، لا لعروة/ بن الورد .
وهو فى الحماسة (١/٢٦٢) من أبيات حماسية لأبى الأبيض العبسى ، شاعر إسلامى مقل . قتل شهيداً غازياً فى عهد هشام بن عبد الملك . وانظر (شرح المرزوقى : ١/٤٦٨) وفى حماسة البحترى لكثير الخزاعى (٩٦) .

* الجعدى : نابغة بنى جعدة ، أبو ليلى ، قيس بن عبد الله من بنى ربيعة بن جعدة ، من عامر ابن صعصعة . أول شعراء الطبقة الثالثة من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام) طال عمره فى الجاهلية والإسلام ، ولقى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنشده رائيته التى منها الأبيات الثلاثة هنا ، فدعا له . ترجمته فى طبقات الصحابة (الاستيعاب ٢١٤٣) وطبقات الشعراء ، والشعر والشعراء ١/٢٨٩ معارف . ومعجم المرزبانى ٣٢١ ومؤتلف الآمدى ١٩١ . وانظر معها رسالة الغفران ٢٠٢ ذخائر .

* عامر بن الطفيل : بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى . فارس قيس وأحد شعرائها المجيدين . أدرك الإسلام ولم يسلم ، اختيالا وكبراً (الشعر والشعراء ١/١٥١ ورسالة الغفران ١٧٤) .

* عروة بن الورد العبسى ، أو عروة الصعاليك . حماسى ، من شعراء الجاهلية الفرسان . انظر مع ديوانه : فحولة الشعراء للأصمعى ٢١ والشعر والشعراء ٢/٥٦٦ بيروت ، وموشح المرزبانى ٨٠ ، ورسالة الغفران ١٥٥ .

المِرجَلِ ، وأن تَهرأَ بَضِيعَه الإِرَةُ[١] . ونحن لسنا كذلك ، بل كانت العربُ تـأكل لحومَنَا فى الجاهلية ، وتَرَكُها الشرعُ الوارِدُ ، على تلك السَّكِنَة . أليس «حاتمٌ*» والمثلُ به مضروب فى الكرمِ ، عقَر فرسَه لامرأةٍ طرقتْه معها أيتام ؟ ولعل «اليَحمومَ*» وهو لركابِ «النعمانِ» ما فقد أذيَّةً من الدهر ، وإنه لَطِرفُ الملِكِ ، فما ظنُّك بطِرْفِ المتصعلك ؟

وبنو آدمَ ، كما علمت ، لا يحفظون الخُلَّةَ ولا يراعون الخدمة . أليس
(١٠) أعمامُك وأبوكَ من أعظمِ دوَابِّهم نفعاً وأقلِّها شِماساً ونَفْراً ؟ يركبُهن
الشيخُ الهرِمُ والطفلُ المتعرِّمُ وهما آمِنانِ من السقْطةِ وسوءِ العاقبة ، وتردُّها
للحاجةِ الكبيرةُ المُهْتَرَةُ والكَعابُ المتسترة[٢] ، ما لقيتْ فى ذلك عَنَتاً ولا عُنْفاً.
وقد يكون بعضُها عند المُقترِ أبى السلفان[٣] ، فإذا كان الأفقُ كالمريب من
بياضِ الضريبِ ، وكان ذلك فى عين البائسِ المُعوِّدِ أقبحَ من الوضحِ فى
عينِ المتهودِ[٤] ، حَطَبَ عيالَه عليه[٥] فجاءهم بأجدالِ الشجرِ وجزلِ القطيل ،
فأوسعهم من جَمْرٍ يتلهبُ ، ودونه فى صَرْفِ القُرِّ الذهبُ . فإذا حَطَبهم
الكفايةَ عَدَلَ بالعضَدِ إلى المبتاعين فباع بالدرهمينِ مرةً أو الدرهم ، وجعله فى

(١) الإرة ، على وزن عدة : النار ، (ج) إرات . والفعل : أر النار يئرها (ق) والبضيع : اللحم.

(٢) التعرم : تكلف العرامة والعرام ، أى حدة الصبا وأشره فى العنفوان . والهتر ، بالضم : ذهاب العقل من شيخوخة أو مرض . أهتر فهو مهتر ، بفتح التاء : شاذ . والقياس كسرها مبنياً للمعلوم . وقيل : أهتر فهو مهتر ، على البناء للمجهول (ق . ص) والكعاب : الصبية التى كعب ثدياها .

(٣) السلفان ، بالكسر جمع سلف : ولد الحجل . والمراد هنا : العيال الصغار .

(٤) الضريب : الثلج والصقيع (ف ، ق) والوضح : البرص .

(٥) الضمير هنا ، لبعض البغال عند المعدم أبى الصغار .

* حاتم : بن عبد الله بن سعد الطائى ، أبو سفانة وعدى . ويضرب به المثل : أجود من حاتم . (أمثال الميدانى ١/١٨٢) . وقصة عقره فرسه لامرأة طرقته ليلا من عند صبية لها جياع ، مروية بتفصيل فى كتب الأمثال والأدب . وانتظر مع ديوانه — لندن — الشعر والشعراء ١/٢٤١ معارف ، ومؤتلف الآمدى ٧٠ ، ومعجم المرزبانى ٣٢٥ وشعراء الجاهلية ١/٩٨ .

* اليحموم : فرس النعمان بن المنذر . والطرف ، من الخيل : الكريم .

الأَمرِ الأَهمِّ : من شراء جابر بنِ حَبَّةَ والمُضىءِ بن الضَّرْوَةِ[١] وإذا كان زمنُ الرفاعِ نقل إلى مكانِ الشغلةِ ما هُذَّ بمخالبِ العاملين من لَغيفٍ وأرنيف[٢] وإذا رَكِيَّ القوم نكَزَ ، جلَب عليه الشَّرْبَ الناقعَ فأَروَى الدَّرْدقَ وشرِبَ منه الصادُون ، ومَن رغِبَ فى غسلٍ وطهور . وهو فى ذلك إذا عثَرَ على بُعْدٍ لَعَنَه ، وإن كان مُكثِباً تنالُه اليدُ ، وكزه بالمِطرَقِ أو طعنه . وليس فى الحنادِس
المظلمةِ بِتاركٍ له من استعمالٍ فيما عاد||بقليلٍ من المصلحة ، أو يمتهنُه فى بعض (20)
الأَرحاءِ ، حتى يكون ما كَسَبه المجترحُ من الحبوبِ طحناً يقدرُ على استعمالِهِ باشِرٌ أو باكِلٌ ، هو لجَشْبِ الطعامِ آكِل[٣] .

ولم يكفِ ولَدَ الإنسانِ ما أَحَلُّوا بأُسْرتِكَ من الكدِّ والهُونِ ، حتى أَتبعوا ذلك قبيحَ المقال ، فضربوا المثلَ بهن فى الذلِّ ، وقرَنُوا إليهن فى التشبيهِ من يَستَغبون من الرجال . وقال قائلُهم على وجهِ الدهر :

إنَّ الهوانَ ، حِمارُ الأَهلِ يَعرفُه … والطِّرْفُ يُنكرُه والجَسْرةُ الأُجُدُ[٤]

---

(١) العرب تسمى الخبز : جابر بن حبَّة . وكنيته أيضاً : أبو جابر (الصحاح) . والمضىء بن الضروة : يعنى الزيت . من الضروة ، واحدة الضرو ، وهو البطم .

(٢) الهذ : القطع . والمخالب جمع مخلب ، وهو هنا المنجل الذى لا أسنان له (ف) وكلمة : لفيف تحتمل القراءة بالغين أو بالفاء . وفى طرة (ف) : [الطعام المخلوط بالشعير] . واللغيفة ، بالغين : العصيدة . واللغفة بالضم : اللقمة (ق) وطعام لفيف ، بالفاء : مخلوط من جنسين فأكثر (ق . ص) والرنف ، محركة : بهرامج البر . ولم أجد فى المادة : الأرنيف . وعليه فى (ف) : [البر] .

(٣) البشر : القشر ، كالإبشار . والبكل : الخلط ، واتخاذ البكيلة ، طعام من دقيق مخلوط .

(٤) الجسرة الأجد : الناقة الجسور القوية الموثقة . والطرف : الفرس الكريم (ف ، ق) . والبيت جاء به « الميدانى » فى المثل : أذل من حمار مقيد . وروايته للشطر الثانى : * والحر ينكره والجسرة الأجد * وبعده :

ولا يقيم بدار الذل يعرفها … إلا الأذلان عير الأهل والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته … وذا يشج فلا يأوى له أحد

ولم ينسب الشعر لقائله فى هذا الموضع (١/٢٨٣) على أنه كرر المثل فى حرف الهاء ، بلفظ : هو أذل من حمار مقيد (٢/٣٩٣) ونسب البيتين للمتلمس . وروى فى الشطر الأخير : * فلا يبكى له أحد * وهى رواية البحترى لحماسية المتلمس : ١٩

وقال الآخر :

وما المولَى وإن عَرُضَتْ قَفَــاه   بأَحْمَــلَ للملاوِمِ من حِمَارِ[١]

وشرٌّ من ذلك ما فعله «الدارىُّ*» من السَّوْءةِ الباقيةِ على الأيام : لما سَبَّ «جريرًا*» وقومَه ، قذَفهم بالذى يُكنَى عنه فقال[٢] :

لعلك فى حدراءَ لُمْتَ على الذى   تخيرت المِعْــزَى على كلِّ حالبِ

عطيــةَ ، أوعبــدٍ ســواه كأنه   عطيةُ زوجٍ للأَتانِ وراكبِ[٣]

إلى غيرذلك مما ثبت فى الصحفِ ودُوِّن ، وتناقلتْه الرواةُ فى عصرٍ بعد عصرٍ . وتلك الآبِدةُ ، لا وَسْمٌ فى العِلْباءِ وتوقيعٌ فى المُلبَّدِ ، ونعوذُ بِربِّنا من خزىِ الأَبَدِ[٤] .

---

(١) فى رواية «الجوهرى» للشطر الثانى ، من إنشاد الفراء : * بأحمل للمحامد * فى مادة (قفا) شاهداً على : «القفا ، مقصور . مؤخر العنق . يذكر ويؤنث ، قال يعقوب : وأنشدنا الفراء * وما المولى * البيت . وفسره . ليس المولى وإن أتى بما يحمد عليه ، بأكثر من الحمار محامد . وجمع قفا : قُنى ، على فعول ، وأقفيه على غيرقياس . لأنه جمع الممدود ، مثل : سماء وأسمية » اه .

ورواه اللسان (قفا) * «فما المولى» * .

(٢) من نقيضة للفرزدق مع جرير ، وفى طبقات ابن سلام أبيات من هذه البائية (٣٠٩ ، ٣٣٥) وانظر على هامشها تعليق المحقق ، الأستاذ محمود شاكر .

وانظر فى ديوان الفرزدق ، وفى كامل المبرد ٤/٢٨ القصيدة العينية فى رثاء حدراء الشيبانية :

يقولون زر حدراء والترب دونها   وكيف بشىء عهده قد تقطعا

ولست وإن عزت على بزائر   تراباً على مرموسة قدتضعضعا

وما مات عند ابن المراغة مثلها   ولا تبعته ظاعناً يوم ودعا

(٣) عطية : أبو جرير . والأتان أنثى الحمير .

(٤) العلباء ، بالكسر ، عصب العنق . والملبد : موضع اللبدة (ف .ق) .

والتوقيع : أن تكثر على البعير آثار الدبر ، فهو موقع .

* الدارى : الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة المجاشعى الدارى التميمى . فى الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين وأبرعهم فى الفخر . انظر مع ديوانه ، والنقائض : طبقات ابن سلام ، والشعر والشعراء ١/٣٨٣ والموشح ومعجم المرزبانى ٢٨٩،٣٠٦ والأغانى ج٩ والغفران ٣١٨ .

* جرير : بن عطية بن الخطفى ، من بنى كليب بن يربوع التميمى ، فى الطبقة الأولى من فحول الإسلاميين . وأبرعهم فى الهجاء والغزل . انظر مع ديوانه والنقائض ، موشح المرزبانى ١١٨ ، والأغانى ج ٨ ، ورسالة الغفران ٣٢١ .

سُبٌّ صاحبَك وكلْ خَيزبتَه[١] ، ولا تذكر فى ذلك معرفتَه. اضرِبْ
عَسيفَكَ واغصِبْه قَبَضَه ، واحذرْ أن تقذف رَبَضه[٢]. جُعِلَ فى النِّسَاء ما ليس
هو من أمرِ النِّساء . يُغفَرُ لكَ ظلمُ الأَيتامِ ولا يُغفَرُ قبيحُ الشتام . مَن
قَذَفَ بكلمةٍ فى المنطق أخفَّ من حصاةِ الخَذْفِ ، فهى أثقلُ من الهضْبةِ
عظُمتْ عن نَزعٍ وقذف . إذا عرفتَ من عبدِكَ مَلأمةً ، فلا تَعِيبَنَّ امرأتَه الأَمَةَ .
لا تصبرُ الأَجمالُ الوانيةُ إن قِيلَ إن الناقةَ زانية . ولكن الأُنيسَ إذا عرفوا ذِلةَ
ذليلٍ طمِعوا ، وإذا لَقُوا بالعِزةِ || نَقَضُوا الذى أجمعوا ، لا تَفرقُ رؤوسُ العيدانِ (21)
من وطء الناقذ ولا الهِدَانِ ؛ والقَمَرُ لا يلحق به الغمْرُ . ولا تُشَدُّ الرحالةُ على
ثَبَجِ بحرٍ زاخرٍ ، ولا تُناطُ الخِزامةُ بأَنفِ جَمَلٍ قُفاخر ؛ ولا يلَعبُ صبىٌّ
بالصِّلِّ ولا بالمُرمَّةِ بنتِ الظل[٣] ؛ إنما تُوطَأُ مغاريدُ القاعِ ويُخزَمُ أنفُ جَمَلٍ وَقاعٍ ،
ويُجترأُ على ظهرِ ذلولٍ ، ويلعبُ الطفلُ بولَدِ العِكرِشة ، ما أهْوَنَ دَمَه من مطلول .
وفى الحرمَلةِ طَمَعُ الأَرملة[٤]. والصدقُ أَنبأُ عنك صاحبَك ، || ونهاه أن يناحِبَك[٥]. (١١)

والإنسُ لا تحفَظُ. مَحارِمَ الإنس فما ظنُّكَ بغير ذلك ؟ العربُ غزت
الرومَ فقلدت بناتها الكرومَ ، وما ذلك لكرمِ المسبيَّة بل لحاجةٍ فى الصدرِ

---

(١) الخيزبة : اللحمة الرخصة اللينة (ف) ، وفى القاموس : الخيزبان اللحم الرخص اللين ، كالخيزب . واللحمة خيزبة . وعلى هامشه : قوله : واللحمة خيزبة ، بفتح الزاى وضمها . قاله ابن دريد . شارح .

(٢) زوجته (ف) والذى فى القاموس : الربض ، محركة : أهل الرجل وخدمه . ومنه المثل: « ربضك منك وإن كان سماراً » أى أهلك منك وإن كانوا مقصرين . وبالضم : وسط الشىء وأساس البناء ، والزوجة .

(٣) القفاخر : الضخم الجثة الفائق فى نوعه . والمرمة ، واحدة المرمات وهى الدواهى . وقد تفسر هنا بالحية .

(٤) الحرمل ، كجعفر : حب نبات يخرج السوداء والبلغم إسهالا ، ويصفى الدم وينوم (ق) .

(٥) يحاكك ويفاخرك (ف) وفى القاموس : ناحبه حاكمه وفاخره وراهنه . وتناحبوا : تواعدوا للقتال إلى وقت ما ، وقد يكون فى غير القتال .

خَبِيَّة . والرومُ غزت العَرَبَ فلقيت البأسَ والحَرَب . وإذا كان الإنسيُّ لا يعرفُ قرابةَ إنسيٍّ فهل ترجوه للحِفاظِ. راعيةُ ذُبِحَ بالبسيِّ ؟ وإذا رأيت النمِرَ لا يَبَرُّ النمرَ فلن يَبَرَّ الظبيَ الخَمِرِ[١]. وإذا أضحى الأسدُ غيرَ مشفقٍ على الشبلِ فما يُشفق على أولادِ الإبلِ . وإذا نشأت الحِجْرُ العربيةُ ترمَحُ عن الظبي المُهرِ ، فهل تُرضِعُ جآذرَ الصوارِ الزُّهْرِ؟[٢] وإذا غَدَت السعدانةُ لا تَغُرُّ جوازلَ أختِها الفقيدةِ ، فالنسرُ وإن ضُرِبَ به المثلُ فى البرِّ ، أجدرُ أن لا يلتفتَ إلى غَرِّ بُجٍّ للورقاءِ المَصِيدة[٣]. إن الصورةَ توجِبُ مودةً مَصورةً ، واختلافُ الصوَرِ لا يُلامُ أهلُه على الزَّوَرِ[٤] . ألا ترى ما فعله بنو آدمَ فى أولادِ « الجَديلِ »[٥] وغيرِه من فحول الإبل ؟ حمَلتْهم فى كلِّ سفرٍ فلم يرعوا ذلك لِبَنات « العيدِ »[٦] . وقضوا على ظهورِها ما صَعُب من مآربِ النفوس ، فما عرفوا تلك العارفةَ لطليحٍ معكوس[٧]. تَحمِلُ الرجلَ ناقةٌ مالعةٌ ما هى فى سيرِه والعة ، ويكون قصدُه بها أرضَ الحرَمِ آمِلًا أن تُغفَرَ ذنوبُه ، وقد كثرت فى الآثام عيوبُه ، فتلقى || تحته من الظمإِ ومِراس الخِنتارِ ما يُهوِّنُ عليها الشجَبَ[٨] . (22)

---

(١) الخمر : الذى واراه الخمر ، وهو ما وارى من شجر ونحوه .

(٢) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل . وبالهاء لحن . الجمع حجور ، وحجورة وأحجار (ق) والجآذر ، جمع جؤذر ، كقنفذ ، وتفتح الذال : ولد البقرة الوحشية . والصوار ، ككتاب وغراب : القطيع من البقر ، كالصيار .

(٣) السعدانة : الحمامة : تغر : تزق . غر الطائر فرخه يغره غراراً : زقه (ص) والجوازل : جمع جوزل : فرخ الحمام . وبج الورقاء ، بالضم وتشديد الجيم : فرخ الحمامة أيضاً . والمصيدة : اسم مفعول من : صاد يصيد صيداً .

(٤) المصورة ، من : صرت الشيء أصوره إذا ضممت قطعه وجمعتها (ف) . والزور ، بالتحريك : الميل . والأزور : المائل .

(٥) الجديل ، كأمير : فحل كان للنعمان بن المنذر .

(٦) العيد ، بالكسر : فحل معروف ومنه النجائب العيدية (ق) .

(٧) الطليح : الكال المعيى . والمعكوس : الذى عكس رأسه إلى ذنبه (ف) .

(٨) الخنتار ، بالكسر ، والخنتور ، بالضم : الجوع الشديد . والشجب ، محركة : الهلاك . شجب ، كنصر وفرح ، شجوبا وشجباً فهو شاجب وشجب : هلك (ق) .

تحمِلُ المزادةَ المُرويةَ وكبِدُها صادية ، وتصمُتُ عن اقتضائه بالمأْرُبةِ والحاجةُ بادية . حتى إذا أَتْهَمَ بها المُغِذُّ ، خطِيٌّ فرَمَى صيدًا ، فعقَر تلك الناجيةَ فَيْدًا فَيْدًا[١] . فلا إلٰهَ إلا اللهُ ، يتحرجُ ابنُ آدمَ من إلحاق المخشِيِّ بحيوانٍ وحْشِيٍّ ، فيغسِلُ حُوبَه فيما يزعمُ بقتلِ حيوانٍ قد صحِبَه وفعل معه خيرًا واستوجبَه : حَمَلَ رَحْلَه وزادَه حتى آبَ من السفرِ بلادَه . فأَيٌّ أقربُ وسيلة : أَرَبْداءُ تصاحب حسيلةً ، أم وَجْناءُ أذهَبْتَ نِقْيَهَا لسيرك وكان لبنُها من مَيْرِك ، وقُتَّها فيما غبَرَك من الدهرِ مثلَ ما تقوتُ عيلتَك ؟[٢]

ومن عجائبِ فعالِ الإنسِ أنهم إذا أرادوا سلوكَ بلدٍ مَعْطَشَةٍ ظمَّئوا الإبلَ عِشْرًا حتى إذا لم يترك الظمأُ لها مجلودًا أَوْردوها الرِّفْهَ[٣] ، ثم سلكوا بها المفاوزَ فإذا عزَّ الماءُ بقَرُوا بطونَها فشربوا الفَظَّ[٤] . وقد وصفوا ذلك وتناقلوه ، فقال «علقمةُ بنُ عَبَدَةَ * » :

وقد أصاحبُ أقواماً طعـامُهمُ ... خُضْرُ المَزادِ ولحمٌ فيه تَنشِيمُ[٥]

---

(١) الفيد : التبختر . والفياد : المتبختر الذى يلف ما قدر عليه فيأكله (ق) .

(٢) الربداء : البقرة الوحشية . والحسيلة : ولد البقرة ، جمعه حسيل (ق) .
والنِّقى : المخ . والعيلة : العيال . وقد اقتصر « المجد» فيها على : الاسم من : عال يعيل عيلة.... افتقر ، فهو عائل . والاسم العيلة . ونقل الشيخ نصر الهوريني على هامشه : « قوله : والاسم العيلة . قال فى (شرح الشفا) : والصحيح ورود العيلة بمعنى العيال . نقله نصر » .

(٣) العشر ، بالكسر : أن ترد الإبل يوماً وتترك الورد ثمانية أيام ثم ترد فى العاشر ، وهو أطول أظماء الإبل . والرفه ، بالكسر : أن ترد متى شاءت (ق) .

(٤) الفظ : ماء الكرش يعتصر ويشرب فى المفاوز . وافتظ الرجل ، وهو أن يسق بعيره ثم يشد فه لئلا يجتر . فإذا أصابه عطش شق بطنه فعصر فرثه فشرب به (الصحاح) .

(٥) البيت الثامن والأربعون من مفضليته ، إحدى سمطى اللؤلؤ . ورواية المفضل للشطر الأول :
* وقد أصاحب فتياناً طعامهم * وقال فى شرحه : خضر المزاد ، يعنى المزاد المطحلبة التى اخضرت مما يحمل =

* علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس ، الفحل . من بنى زيد مناة بن تميم . فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهليين . قال ابن سلام : وله ثلاث روائع لا يفوقهن شعر (الطبقات ١١٦) وتعرف اثنتان منها مفضليتان بسمطى اللؤلؤ (رسالة الغفران ٣٢٧) . وانظر أيضاً مع ديوانه والمفضليات : (الشعر والشعراء ١/٢١٨ معارف وفحولة الشعراء للأصمعى ١٩ ، ٦٠) .

وقال آخر :

سَقَيناهن رِفْهاً بعد عِشْرٍ وأَوْكرنا المزادَ من الكُبودِ

وقطَّعنا مشافِرَها وخِفنا تجرُّ رَهـا ، فما اجترتْ بِعُودِ

وأنشد «أبو عمران الكلابى*» :

أَوْناً فقد إنَّا على الطُّلُحِ أَيْنَـا كأَيْنِ الحافرِ المُوَكَّحِ

نرى بها كلَّ تنوفية غبراءَ مثلِ الأنجمِ اللُّمَّحِ

مَزادةُ الراكب فيها إذا لم ينتضِ المخصفَ لم تُفتح(١)

وقال الشاعرُ :

(23) ضمِنَتْ لهم أرماقَهم إسآدُها وجُرومُها كأَهِلَّةِ النحل

ورَدوا بأرشية الحديد ففرَّجوا عن ثائر الجنَبات كالغِسْلِ(٢)

وشربوا دماءها فَصْدًا فى الجَدْبِ ، وأكلها فقراؤهم مَيِّتةً ، وقالوا فى المثَل : «لم يُحرمْ مَن فُزْدَ له» ـ يريدون : فُصِدَ له ، فسكنوا الصادَ على لغةِ ربيعةَ ،

ـفيها من الماء . وقيل : بل كروش كانوا يحملون الماء فيها . والتنشيم بدء تغير الريح (٨١٨ ط أوربا) ومطلع المفضلية :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهى من مختار ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ، وأبى العلاء فى الغفران . وألفاظ ابن السكيت : ٤٩٩ .

(١) أوناً : رفقاً . وفى الصحاح أن الأون ، بمعنى الرفق ، مبدل من الهون . إنا : تعبنا وعيينا ، من الأين : الكلال والإعياء . والحافر الموكح : الذى إذا بلغ صفاة لم يمكنه حفرها . والتنوفة المفازة ، وكذلك التنوفية (ص) . والمخصف ، ها هنا : السيف .

(٢) الرمق : بقية الروح . وحبل أرماق : ضعيف واه . والإسآد : الإغذاذ فى السير ، وأكثر ما يستعمل ذلك فى الليل . ونقل الجوهرى فيه عن المبرد : هو سير الليل لا تعريس فيه ، والتأويب سير النهار لا تعريج فيه (ص) والجروم : جمع جرم ، وهو الجسد . والأرشية : جمع رشاء ، الحبل تشد به الدلو . يعنى أنهم استقوا بالسيوف . شقوا بها بطون الإبل . والغسل ، بالكسر : الماء كأنه غسل به الرأس .

* أبو عمران الكلابى : انظره فى حرف العين . ممن غلبت كنيته على اسمه ، فى (معجم المرزبانى : ٥١٤) .

ثم أبدلوا منها الزاىَ– فسبحان الله ، قَضوا عليها من قبل التلفِ أموراً ، وجعلوا بطونَهم لها من بعدُ قبوراً ! وليس ذلك من كرامتِها عليهم . كان لبعضِ لأعراب جَمَلٌ فكان يعملُ عليه ويتعبه ، فتنبَّلَ ، فجعل يأكلُ لحمَه ويقول[1] :

إن السعيدَ من يموتُ جَمَلُه
يأكلُ لحماً ويَقِلُّ عمَلُه

ثم رُئى بعد أيامٍ ، وقد ساءت حالُه لِفَقدِ كدٍّ ذلك الجَمَلِ ، وهو يقول : (١٢)

من يشإِ الرحمنُ يُقَلِّلْ خيْرَه
مـــا وجـــد الموتُ بعيراً غـــيره

وما صبَر شىءٌ من البهائم على عنَتِ بنى حواء ، ما صبَرَتْه الإبلُ : أنضَوها سيراً ، وقرَوها فى التنوفةِ سباعاً وطيراً . قال «أبو زُبَيْدٍ الطَّائىُّ* » يذكرُ مَساحىَ حُفِرَ بها قَبرٌ[2] :

لها صواهلُ فى صُمِّ السِّلامِ كما صاح القَسِيَّاتُ فى أيدى الصياريف
كأنهن بأيدى القومِ فى كَبَدٍ طيرٌ تعيفُ على جُونٍ مَزاحيفِ

(١) تنبل البعير : مات . والرجز هنا، ذكره « ابن قتيبة » فى كتاب الطعام من (عيون الأخبار ٢١٣/٣) قال : بينا أعرابى يسير وهو يوضع بعيره – يحمله على العدو الحثيث – إذ سقط بعيره ، فنحره وأكله ، فأنشأ يقول « إن السعيد » الرجز .

(٢) رواية « القالى » عن ابن دريد ، لعجز البيت الثانى :

* طير تكشف عن جون مزاحيف * (الأمالى ١/٢٨) وفيه أن الشاعر أبا زبيد ، يشبه المساحى فى أيدى الحفارين لقبر عثمان رضى الله عنه ، بطير تكشف عن إبل سود مهازيل معيية ، لأنهم حفروا له فى حرة . وفسر « البكرى » القسيات فى (التنبيه) بالزائف من الدراهم ، لصلابتها. وانظر سمط اللآلى (١/١٢٩) .

* أبوزبيد الطائى: حرملة بن المنذر بن معديكرب بن حنظلة من بنى الغوث بن طيئ (جمهرة الأنساب ٣٧٧) وفى (الأغانى : المنذر بن حرملة) أول الطبقة الخامسة من فحول الإسلاميين (طبقات ابن سلام ٥٠٥) . وهو مخضرم ، أدرك الإسلام وظل على نصرانيته (الجمهرة) وذكر الطبرى فى تاريخه أن الوليد بن عقبة والى الكوفة لعثمان رضى الله عنه – وكان أبوزبيد نديم الوليد – لم يزل به حتى أسلم ، وحسن إسلامه .

وقال «ذو الرمّة»* :

ومثلُكِ أو خيرٌ تركتُ رَذِيَّةً تُقَلِّبُ عينيها إذا طار طائرُ(١)

وأشنَعُ من ذلك كلِّه ، ما ذكره «الفَزاريُّ جويريةُ بنُ أسماء*» مفتخرًا به ، من أن ذئباً تعرض له فى السفرِ فعقر له راحلتَه ، وقال يتكثَّرُ بذلك :

(24) ولقد ألَمَّ بنا لِنَقْرِيَه بادِى الشقاء محارَفَ الكسبِ(٢)

يدعو الفنا إن نال عُلْقتَه من مَطْعَمٍ غِبًّا إلى غِبِّ

وطوَى ثَميلتَه فألْحقها بالصلبِ بعد لدونةِ الصلْبِ(٣)

يا ضلَّ سعيُكَ ما صنعتَ بما جمَّعت من شبٍّ إلى دبٍّ(٤)

فجَعلتَ صالحَ ما احترشتَ وما جمَّعت من نَهْبٍ إلى نَهْبِ(٥)

---

(١) لم أجد هذا البيت فى رائيته بالديوان . والرذية : الناقة المهزولة من السير ، ج رذايا . ونقل الجوهرى عن أبى زيد : هى المتروكة التى حسرها السفر ، لا تقدر أن تلحق بالركب (ص) .

(٢) رجل محارف ، بفتح الراء : أى محدود محروم ، وهو خلاف : مبارك . قال الراجز :

محارف بالشاء والأباعر مبارك بالقلعى الباتر

وقد حورف كسبه ، إذا شدد عليه فى معاشه كأنه ميل به عن رزقه (ص) .

(٣) الثميلة ، هنا : بقية الطعام فى الجوف (ف) .

(٤) يقال : من شب إلى دب، ومن شبٍّ إلى دبٍّ . فمن نون جعله بمنزلة الاسم لدخول حرف الجر عليه ، وحروف الجر مختصة بالأسماء . ومن لم ينون جعله كالحديث الشريف : «نهيتكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»

والمعنى : من لدن شب ، إلى أن دب على العصا . وانظر فيه (أمثال الميدانى ٢/٧) .

(٥) احترش : صاد ، وأكثر ما يستعمل لحرش الضب واحتراشه ، وهو أن يحرك الصائد يده فى مدخل جحر الضب ، ليظنه حية ، فيخرج ذنبه ليضربها ، فيأخذه الصائد .

* ذو الرمة : غيلان بن عقبة ، أبو الحارث. من بنى عدى بن عبد مناة بن أد (جمهرة الأنساب ١٨٩) . الشاعر الإسلامى البدوى ، فى الطبقة الثانية من فحول الإسلاميين وأحد عشاق العرب ، حبيبته : مية بنت طلبة بن قيس بن عاصم . انظر مع ديوانه – طبع كبردج – طبقات ابن سلام ٤٦٥ ، ومعجم المرزبانى ٣٧٦ ، والشعر والشعراء ١/٥٢٤ معارف ، وأغانى ب ١٦ ، ورسالة الغفران ٤٠١ .

* جويرية بن أسماء الفزارى ، ابن عبيد البصرى الراوية المحدث ، روى عن نافع والزهرى ، وكان ثقة . ت ١٧٣ هـ (تهذيب التهذيب ٢/١٢٤ والعبر ١/٢٦٤) وانظر ذيل الأمالى للقالى ١٩/٣ .

وأظَنَّــهُ شــغْبٌ يُــدلُّ بــه ... فلقــد مُنيتَ بِغَــايَةِ الشغْبِ[١]
إذ ليس غير مَنَاصلٍ نعصى بها ... ورحالِنـــا وركائبِ الركبِ[٢]
فاعمِدْ إلى أهلِ الوقير فإنما ... يَخشى شَــذاكَ مُقرقِصُ الزَّرْبِ[٣]
أحَسِبْتَنا ممن تُطيف بــه ... فاختــرتَنا لِلأمْــنِ والخِصْبِ
وبغيــرِ معــرفةٍ ولا نَسَــبٍ ... إنَّا وشــعبَكَ ليس من شعبِ
لما رأى أنْ ليس نافعُــه ... جِــدًّا ، تهــاوَن صادقَ الإرْبِ
وألَحَّ إلحــاحاً بحــاجتِــه ... شكوى الضريكِ ومزجَــرَ الكلبِ[٤]
ولَوى التكلُّحَ يشتكى سغَبا ... وأنا ابنُ قاتلِ شــدةِ السغبِ[٥]
فرأيتُ أن قــد نِلتُــه بأذى ... من عَذْمِ مَثْلَبَةٍ ومن سَبٍّ[٦]
ورأيتُ حقًّا أن أُضَيِّفَــه ... إذ رامَ سَلْمِى واتقى حَرْبِى[٧]
فــرمقتُ مُعتاماً أزاوِلُهــا ... بمهنَّــدٍ ذى رونقٍ عضْبِ
فعرضتُــه فى سَــاقِ أسمنِها ... فاحتــاذ بين الحاذِ والكعبِ[٨]

---

(١) الظن : التردد . وأظنه : جعله يتردد .
والشغب ، بالتسكين : تهييج الشر ، كالتشغيب .
(٢) المناصل : جمع منصل ، بضمتين ، السيوف .
(٣) الشذا : الحدة والأذى ، وشذاه آذاه . والمقرمص : الذى حفرت له قراميص فى الزريبة ، جمع قرموص : الحفرة بقدر قعدته . والزرب الموضع الذى تزرب فيه الغنم ، كالزريبة (ق) .
(٤) الضريك ، كأمير : الضرير والفقير والبائس السيء الحال (ق) .
(٥) التكلح : التكشير فى عبوس . كلح ، كمنع ، كلوحاً وكلاحاً ، بضمهما ، تكشر فى عبوس، كتكلح (ق) .
(٦) العذم : العض . عذم يعذم : عض . والاسم العذيمة ، ج عذائم . كما يقال : عذم عن نفسه : دفع (ق) .
(٧) ضيف ، بالتشديد . كأضاف ، فهو مضيف ومضيف . أما ضاف ، الثلاثى ، فمن : ضفته أضيفه ضيافة : نزلت عليه . فأنا ضيف ، للواحد والجميع . وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان . وهى ضيف وضيفة (ق) .
(٨) احتاذ : أسرع (ف) . والحوذ السوق السريع . وحاذ المتن ، موضع اللبد منه ، والظهر (ق) والحاذى : ما استقبلك من فخذى الدابة إذا استدبرتها. وقيل : أسفل الفخذ (ف)

(25) ‖ فتركتُهـــا لعيـــالِه جَـــزَرًا عمدًا ، وعلَّق رحْلَها صحبي

فهذا ألحق بمطيتِه من السُّرَى تعذيبًا ، ثم قَرَاها بعد العنتِ ذيباً. أليس فى حُكمِ الشرعِ أن راحلتَه أوجبُ عليه حقًّا من السِّيد ، كما أن مناسِبَه أوجبُ عليه حُرمةً من البعيد ؟ ولو أنه ضيفٌ إنسى ، لَعُذر أنه جنسى[١].

وأما المثيرات الكوارِبُ[٢] ، فاستعملوهن ثم أكَلوهن ! وإنك لترى الحِنترَ من بنى آدمَ يَملِكُ الصغيرَ من أولادِ النَّخَّةِ فيشفق عليه إشفاقَه على الولَدِ[٣] ، حتى إذا أمكن أن يعملَ عليه ، أدناه للأُرعُوَةِ والغبقةِ والعِيَان[٤] ، فابتغى من رزق اللهِ عليه ريْع أرضِه فى كلِّ الربوع . حتى إذا (١٣) أَسَنَّ وعَلِمَ أنه لم يبق ‖ عنده غَناءٌ فى العملِ ، جمع له سفيرَ الضرِفِ والسروع[٥]. وإذا تنفَّسَ عِرنينُ البَرْدِ جعله فى بيتٍ كَنِينٍ وأوسع له من العَلَفِ . وليس ذلك من كرامةِ أبى المزاحِم – أعنى الثورَ – شُدَّ فى مثلِ القطْبِ وجُمِعَ له جُمَّاحُ العطب ، ولا نُزعت فروةُ أبى الطيب – أعنى الجملَ – من خيفةِ الكرب عليه ، إنما ذلك لإفراء جنبيه[٦] . ولا رُبطت أمُّ الكيْكِ فلُبِكَ لها

---

(١) كذا فى النسختين . ويمكن فهمه على أن الذى نحر راحلته لضيفه الذئب ، كان بحيث يعذر لو أن ضيفه كان إنسياً من جنسه .

(٢) البقر التى تثير الأرض للحرث (ف) من الكرب والكراب إثارة الأرض للزرع .

(٣) ذكر « المجد » فى (ح ن ر): الحنترة والحنتار ، بالكسر : القصير الصغير . واستدرك عليه شارح القاموس : ومثله الحنتر . والنخة : بالفتح وخاء مشددة : البقر العوامل .

(٤) الأرعوة ، بالضم والواو مخففة : نير الفدان ، كسحاب وشداد : وهو الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث . ولا يقال للواحد فدان (ق) والغبقة ، محركة : حبل يشد فى الخشبة المعترضة على سنام الثور إذا كرب لتثبت . والعيان حديدة فى النير ، الجمع : أعينة وعين (ق) .

(٥) السفير : ما سقط من ورق الشجر . والضرف ، ككتف : شجر التين ، أو شجر جبلى مفلطح ، ثمره كالتين ، مر يضرس . يأكله الناس والطير . الواحدة ضرفة . والسروع ، بالعين وبالغين : قضبان الكرم ، والسريع ، كأمير ، ما يسقط من شجر البشام .

(٦) القطب ، مثلثة ، وكعنق : حديدة تدور عليها الرحى. وجماح ، كرمان : ما يخرج على أطرافه شبه سنبل لين . ج جماميح . والإفراء : التمزيق ، كالفرى .

أجودُ نقيٍ(١) ، شفقةً عليها من عيش شقى ، ولاتوديعاً لرِجْلِها من ذهاب ومجى ، ولا أحمىَ لها وطيسُ القوم لتدفأ به من قرٍّ الشتاء ؛ وإنما غُرَّ الطَّائرُ بحبَّةٍ مُلتَقَطة لتصير عنقُه فى السِّطَة(٢) . وليس من رهْبةِ المآثِم عَلَى العُتْرُفَانِ جُمِع له سبع من الحلائل أو ثمانٍ(٣) ؛ واسأل خُلُطَ الجِرارِ لم عُطِفَ على ابنِ الماعزةِ ظئرانِ . لو دَرى ضَبٌّ العرارة ما الذى قُصِدَ بثمراتٍ يُطرحن له عند الأَمرات ، لأقسَمَ أنه لا يذوقُ ثمرًا حَيْرِىَّ الدهر(٤). وليس من خَوْفِ الجوعِ على السمَكةِ جُعِلَ لها طُعْمٌ فى الشبكةِ .|| وإنما أوثِرَ المُهْرُ بصَبُوحٍ وغَبُوقٍ ، (26)
ليُفِىءَ على أهلِه كرائمَ النوقِ . وقلَّ ما جاءك إحسانٌ ساعفَكَ به الإنسانُ إلا وهو يأملُ جزاءً عليه أكثرَ مما نالَك منه وأَسَرَّ. جادَ ناسِكٌ بالبُرَّةِ ليُسمَحَ له بمِلْءِ الجَرَّةِ. وتتبَّع الراعى بالصُّبَّةِ أَنِيقَ الكلإِ فأمعنَ طلباً ، لتُرويَه بَعدُ حَلَباً(٥). وأضاف الرجلَ مُضِيفٌ لأمرين : إما لثناءٍ يَكتسِبُه ، وإما دفعاً لمذَمَّةٍ تَجذِبُه . على أنه لا تخلو البسيطةُ من قومٍ يكرمون بالطبعِ ويَنفعون العالَمَ لغيرِ نفعٍ .

ثم أعودُ إلى ذكرِ الثورِ : فلما شُرِجَ لحمُ أبى المزاحِمِ بالنىِّ(٦) ،

---

(١) الكيك : البيض واحدتها كيكة . وأم الكيك الدجاجة . واللبك : الخلط . والنقى هنا : المختار مما يلقى إلى الدجاج .

(٢) السطة ، فى وزن عدة : الفخ أو الشرك . من سطا يسطو ، سطواً وسطة ... عن كراع (ف)

(٣) العترفان ، بالضم : الديك (ق)وحلائله : الدجاجات .

(٤) الأمرات ، جمع أمرة : الأعلام ، والحجارة توضع علامات على الطريق يهتدى بها. وحيرى الدهر ، مشددة الياء ، وتكسر الحاء : مدة الدهر . ويقال فيه أيضاً : حارى الدهر (ق) .

(٥) الصبة ، بالضم : القطعة من الماعز والإبل ما بين الثلاثين والأربعين (ف) ، وهى فى (ق) السربة من الخيل والإبل والغنم ، أو ما بين العشرة إلى الأربعين .

(٦) تشرج اللحم : بالشحم : تداخل . والنى ، بالكسر : الشحم والسمن . نوى نياً فهوناو . والناوية : الناقة السمينة .

أبرزَ إلى سوقِ عامرٍ فدُعِيَ له الفَغْفَعَانِيُّ فأَمَرَّ الصَّلْتَ على مَرِيِّهِ[١] ، واقتسم اللحمَ غنيٌّ وفقير ، واقتدروه على مقدارِ الشهوات ، ونُسِيَت الصحبةُ وقديمُ العهدِ ، وما لَقِيَه من طولِ نَصَبٍ وجَهْد .

وأما بناتُ بَعرة وبناتُ خَوْرة ، فحسبُكَ بما لَقِين : كم أَشْكَلَ ابنُ آدمَ الثائِجةَ على قَريرٍ ، فبَاتَتْ عَيْنُها ضِدَّ قَرِيرة من غير جريرة[٢] ؛ وكم روَّع بذاتِ الحُزْأَةِ من أُمٍّ حَلَّان[٣] ، وليس في سِرِّ النفس لكنْ صرَّح به في العِلَانِ ! واحتذى أدمةَ هذه الأَجناسِ فوطِئَ بها أَمْعَزَ حزيزًا ، واتخذ من جَليمها دِفئاً في الشبَمِ حريزًا ! وكم غَرْبٍ صُنِعَ منها وسَلْمٍ ، وصُفنٍ للسفرِ دائمِ الحَزْمِ[٤] .

ولم يَكفِه ما فعل في البهائم الأَهليةِ حتى عمَد للوحش الباهلة[٥] . يا نارُ ، أَما يقتصرُ شرارُكِ على أن يحترقَ به جارُكِ ، حتى يسافرَ إلى أبعدَ ؛ ما أعظمَ أذاتَكِ ! لولا ضوءٌ لكِ ظهر في العِنْكِ[٦] لا نتقم خالقُكِ منك . مالَه وللثورِ الوحشيِّ ،

(١) سوق عامر ، ويقال أيضاً : سوق عامرة . تؤنث وتذكر (ص . ق) . والفعفعاني : القصاب (ف) وكذلك الفعفع والفعفعي والفعفاع (ق) . والصلت : السكين الكبيرة — والسيف الصقيل الماضي — والمرى : الذى يقطعه الذابح ، وهو مجرى الطعام والشراب فى الحلق ، ويهمز : المريء .

(٢) [الثايجة] فى الأصلين — بتخفيف الهمزة — الصائحة . والثؤاج بالضم صياح الغنم . ثأجت ، كمنع ، فهى ثائجة ، من ثوائج وثائجات (ق : ثأج) .

(٣) يعنى بذات الحزأة : السكين . والحزأة نصاب السكين . والحلان : الجدى . يروى بالنون والميم (ف ، ض) .

أورده فى القاموس فى بابيهما . فقال فى الميم : والحلام ، كزنار : الجدى والخروف . ودم حلام : هدر . وقال فى النون : الحلان ، بالضم : الجدى أو الخروف . أو خاص بما يشق عنه بطن أمه فيخرج ودمه حلان ، باطل .

(٤) احتذى : اتخذ حذاء . الصفن ، من أدم : كالسفرة لأهل البادية . ويجمعون فيها ماءهم . وربما استقوا بها الماء كالدلو (ف) والذى فى (ق) : الصفن ، بالفتح : السفرة . وبالضم : خريطة لطعام الراعى وزناده وأداته .

(٥) المتروكة مع أولادها . يقال : ناقة باهلة ، إذا تركت مع ولدها .

(٦) العنك ، بالكسر : سدفة من الليل ، أو الثلث الباقى منه . أنشد الجوهرى عن «الأصمعى» :
* ليل التمام غير عنك أدهما * وقال أبو عمرو : أتانا بعد عنك من الليل ، أى بعد هزيع (ص) .

مُلمَّعِ الرأسِ بالجُدَدِ موشى ! بات ليلَه على العَراءِ بعد ما رتع نهارَه فى الشدَّاء[١] ، وبات المطرُ يَبلُّه ويُصرِدُه ، يُنشَرعليه القطرُ وبَرَدُه ، وأُمنيتُه المبتغاةُ الملتَمَسَةُ عند اللهِ أن يَضِحَ له ضياءُ الصبح . || قد احتفر عند أَرطاةٍ وسِدْرةٍ ، يكاد ينطق (27) بشكوى القرَّة . حتى إذا أَعقب ذنَبَ السِّرْحان صديعٌ[٢] ، وظهر فأَوضح من الفجر بديع ، رمق بعينيه الغُيوبَ ولا يرهب هنالك السيُوب[٣] ، فبدا له موسِّدُ كِلابٍ هو طولَ الأَبدِ للقنصِ فى طِلَاب . فراعَ الشبَبَ ما رآه من ضَوارٍ تبتدرُ مقلَّداتٍ[٤] ، يجرين فى الجشعِ على العادات . ففزع فزعاً بالطبعِ ، وانصرف عن ذلك الرَّبْع . يقطع رمالًا بعد رمالٍ ، والسلامةُ له أَقصى الآمال . وغَريَتْ به ذواتُ العَذبِ مُعَذَّباتٍ ، مسرعاتٍ فى الطلقِ مُهذِباتٍ[٥] ، يأخذن بِنَساه والساقِ ، وهو بنطفةِ الأَسَلَةِ من حِمَامٍ وَسَّاقٍ[٦] . فأَدركتْه عند ذلك حَمِيَّةُ الغضبِ ، فانعطف بإقدامٍ غيرِ المقتَضبِ . يذود البائسُ بُرمحين ، ما نزل به من الحَيْن . فوهب اللهُ له النصرَ فانتظمَ بِروَقَيْهِ خائفةً ، وبإهابه منهن كلوم ؛ أَظالمٌ الشبَبُ أم مظلوم؟ لقد رُمِىَ بِزَوْلٍ نُكْرٍ ، لا يزال منه || حتى يهلكَ على (١٤) ذُكْر ، فهو يرقُبُ طلوعَها فى كلِّ غداة ويعتقد لها أَشنَأَ مُعادَاةٍ . ويُحدِّثُ

---

(١) ينظر أبو العلاء فيما يلى من وصف لمشهد الصيد ، إلى قصيدتين تأتيان لأبى ذؤيب الهذلى وزهير ، وكأنه ينثرهما .

الثداء : ضرب من النبات (ف ، ض) والثأد ، محركة ويسكن : البسر اللين ، والنبات الناعم الغض (ق) .

(٢) صديع : الفجر الثانى الصادق (ف) وفى (ق) : الصديع ، كأمير : الصبح ، والصبح الصادع : المشرق .

(٣) فى ف : [هناك] . الغيوب ، جمع غيب : المطمئن من الأرض . والسيب مجرى الماء وجمعه سيوب (ف) وفى (ق) : السيب ، بالفتح ، مصدر : ساب ، جرى ومشى مسرعاً ، كانساب . والسيب ، بالكسر : مجرى النهر .

(٤) أوسد الصائد الكلب : أغراه بالصيد ، كآسده .

(٥) العذب : سيور تقلدها كلاب الصيد (ف ، ض) ، والجلدة المعلقة خلف الرحل ، الواحدة عذبة . والإهذاب : الإسراع . (ق) .

(٦) الوساق ، مبالغة من واسق : الملح فى طرد الصيد . وسقه يسقه : طرده . والمواسقة المناهدة (ق) .

نفسَه بالهربِ من أَرضٍ إلى أرض ، وأَين المعقِلُ من التلَفِ وهو كالفَرضِ ؟ فما يفتأُ مُرَوَّعاً من الصُّبحِ ، يَعُدُّ حُسْنَ الفَجْرِ من القُبْح .

وأما الأَرْطَى ، فدِينُها فى ذلك على دِينِ الأَخنَسِ ، وهى فى العناءِ المُنصِبِ من الأَنَس . يُفعَلُ بها ما فُعِلَ بالذَّيَّالِ ، ولا يُشفَقُ على طَلًا من إعْيال[1] فلا تأْمَنُ هى وحِلُّها الشَّبوبُ ، نَبْلًا رَبُّها للصَّيْدِ ربوبٌ . وقد أكثرت الشعراءُ فى ذلك فقال «أبو ذُؤَيْبٍ* » :

والدهرُ لا يبقى عـلى حَدَثانِه　　　شبَبٌ أَفَزَّتْه الكلابُ مُروَّعُ[2]

شغَبَ الكلابُ الضارياتُ فؤادَه　　　فإذا يرى الصبحَ المصَدَّق يفزع[3]

(28) ‖ ويَعـوذُ بالأَرْطَى إذا ما شَفَّه　　　قَطْرٌ ، وراحتْه بَلِيلٌ زَعْزَعُ[4]

فغَـدا يُشرِّقُ مَتْنَه فبـدا له　　　أُولى سـوابِقِها قريباً توزَعُ[5]

فانصـاع من فَرَقٍ وسدَّ فروجَه　　　غُضْفٌ ضَوارٍ : وافِيان وأَجْدَعُ[6]

---

(١) الأرطى : البقرة الوحشية ترعى شجر الأرطى . والأخنس ، والذيال : الثور الوحشى . والطلا بالفتح : ولد الظبى ، ساعة يولد كالطلو . ج أطلاء وطلاء وطلى وطليان . (ق) .

(٢) من قصيدته العينية فى بنيه السبعة ، وقد هلكوا فى يوم واحد من لبن مسموم ، شربت منه حية وماتت فيه ، وهى أولى القصائد فى ديوان الهذليين ، ومطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع　　　والدهر ليس بمعتب من يجزع

والشبب : الثور الوحشى . أفزته : أفزعته وأزعجته .

(٣) رواية الديوان : * شعف الكلاب * .

(٤) الأرطى : شجر ينبت بالرمل . شفه : جهده . راحته : أصابته ريح .

(٥) يشرق متنه : يبديه للشمس المشرقة ليجف ما عليه من ندى الليل . والوزع : الطرد .

(٦) رواية الديوان : * فاهتاج من فزع . . . غبر ضوار *

* أبو ذؤيب : الهذلى ، خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد — من بنى سعد بن هذيل . شاعر فحل مخضرم ، فى الطبقة الثالثة من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام) ويعدونه أشعر الهذليين . وانظر شعره فى (ديوان الهذليين ، القسم الأول ، وترجمته فى الإصابة ٤/٦٥ ، والاستيعاب رقم ٢٩٤٢ ، والشعر والشعراء ٤١٣) ومعها الأغانى ج ٦ ، ورسالة الغفران ١٥١ والأمالى ١/٢٢ وتنبيه البكرى عليه . وسمط اللآلى ١/٩٨ .

ينهشْنَـــه ويذودُهـــن ويحتمى   عبل الشَّوَى بالطُّرَّتين مُوَلَّعُ[١]

فَحَنا لهـــا بمُذَلَّقَينِ كأنَّما   بهما من النَّضْحِ المُجَدَّحِ أَيْدعُ[٢]

حتى إذا ما الثورُ أقصدَ عُصْبةً   منها وقام شريدُهـــا يتضرع

وبدا له ربُّ الكلابِ بكفِّه   بِيضٌ رِهَابٌ رِيشُهنَّ مُقَزَّعُ[٣]

فـــرمَى لِيُنقِذَ فَـــرَّها فهوَى له   سهمٌ فأنْقذ طُرَّتَيـــه المِنزَعُ[٤]

فكبا كما يكبو فنِيقٌ تارِزٌ   بالخَبْتِ إلا أنه هو أبرَعُ[٥]

فكأَن سَفُّودَينِ لمَّـــا يقترا   عَجِلَا له بشِواءِ شَـــرْبٍ يُنزَعُ[٦]

فإن سلم من النوابح أخو الرَّبْلِ[٧]، فما يؤمِّنه بعد ذلك من النبْلِ .

قال «زُهَير*» :

---

(١) فى الديوان : ينهشنه ويذبهن * ورواه الجوهرى فى (الصحاح : طرر) كما هنا ، شاهداً على الطرتين : وهما من الحمار الوحشى خطان أسودان على كتفيه، وقد جعلهما أبو ذؤيب للثور الوحشى أيضاً .

(٢) فى الديوان : * فنجا لها * ويعنى بمذلقين : قرنين محددين أملسين . والأيدع : الزعفران وصبغ أحمر يصبغ به . والنضح المجدح : المخلوط (ف) .

(٣) الرهاب : الرقاق من النصال (ف ، ض) ضبطه فى القاموس على وزن حبال ، جمع رهب : النصل الرقيق .

(٤) فرها : ما فر من الكلاب ، فريفر فهوفار وفر . ينقذها برمى الثور .

(٥) الفنيق : الفحل من الإبل . والتارز : اليابس لا روح فيه ، والميت . والفعل كضرب وسمع (ق) .

(٦) لما يقترا : من القتار (ف) وهو ريح الشواء . قتر ، كفرح ونصر وضرب ، وقتر تقتيراً : سطعت رائحته (ق) .

(٧) الربل : ورق يتفطر به الشجر فى آخر الصيف إذا برد الليل (ف) ويعنى بأخى الربل : الثور الوحشى .

* زهير بن أبى سلمى ، المزنى . قال ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) : والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبه فى غطفان . ونسبه ابن سلام إلى مزينة دون إشارة إلى خلاف فيه. وهو فى (جمهرة الأنساب) من ولد عمرو بن أد ، وهم مزينة نسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة . وأخته سلمى ، وابناه بجير وكعب ، وحفيده المضرب عقبة بن كعب ، كلهم شعراء فى نسق (١٩١ الجمهرة) .

وزهير فى الطبقة الأولى من فحول الجاهليين. وانظر مع ديوانه وطبقات ابن سلام والمعلقات، رسالة الغفران ١٨٣ ومختارات ابن الشجرى .

فجالتْ على وحْشِيِّهـــا وكأنهـــا مُسَرْبلَةٌ فى رازقىٍّ مُعَضدِ[١]
وتنفُضُ عنهـــا غيبَ كلِّ خميلةٍ وتَخشَى رُماةَ الغوثِ من كلِّ مرصَدِ
ولم تَخشَ وشكَ البَيْنِ حتى رأَتْهمُ وقد قعدوا أنفاقَها كلَّ مَقْعَدِ[٢]
وثاروا لها من جانبيها كليهما وجالت ، وإن يُجشِمْنَها الشَّدَّ تَجهدِ
تَبُذُّ الأُلَى يـأتينها من ورائها وإن تتقدمْها السوابقُ تُصطَدِ
فأَنقذها من غمرة الموتِ بعد ما رأت أنها إن تنظر النَّبْلَ تُقصَدِ[٣]
(29) || نَجَاءٌ مُجِدٌّ ليس فيه وتيـــرةٌ وتذبيبُها عنها بأَسحمَ مِذْوَدِ[٤]

وهذا فى شِعرِ العربِ أكثرُ من أن تقامَ الأَدلةُ عليه.

وإنما جئت به كما يشيرُ المحدِّثُ إلى أمِّ شملةَ ، ويُريك راكبُ لَيْلِه الساهرةَ[٥].

وأما الجَرَبَّةُ من العانات ، فما تدفعُ شرورَ الصَّادَةِ بمساناة[٦]. بينما هى ترتعُ فى روضٍ أَنِقٍ وتكرَع فى غديرٍ ليس بِرَنْق ، أُتيح لها ـ والقدَرُ أتاحه ـ فارسٌ يقصُرُ لِقاحَه ، على قَبَّاءَ من الخيلِ المضمَّرةِ ، ليست فى شِربِ الرِّسْلِ

(١) الأبيات من قصيدة زهير ، يمدح هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى ، ومطلعها :

غشيت الديار بالبقيع فثهمد دوارس قد أقوين من أم معبد

ونسق الأبيات هنا، يتفق مع رواية الديوان (٢٢٨ : ٢٢٩) مع خلاف يسير فى بعض الألفاظ. والضمير فى : جالت ، للبقرة الوحشية. والوحشى : الجانب الأيمن . وشبه بياض لونها بالرازق المعضد ، وهو الكتان المخطط .

(٢) رواية الديوان : * ولم تدر وشك البين * يعنى فراق ولدها . والأنفاق : المخارج والطرق وانظر سمط اللآلى ١/٥٣٥ .

(٣) رواية الديوان : * فأنقذها من غمرة الموت أنها * وتقصد ، ترمى فتصاب فى مقتل .

(٤) النجاء : السرعة فى الجرى . والوتيرة : التلبث والفتور . والأسحم ، يعنى قرنها .

(٥) أم شملة : من أسماء الشمس (ف ، ض) وفى القاموس : الدنيا والخمر . والساهرة : دارة القمر (ف ، ق) .

(٦) يتابع أبو العلاء فيما يلى، نثر قصائد الشعراء فى الصيد ومصارع الوحش ، ثم يورد نصوصها . الجربة ، محركة مشددة : العانة من الحمير (ف) أو الغلاظ الشداد منها ، كالجرنبة (ق) . والصادة : جمع صائد ، كالقادة جمع قائد . والمساناة : المداراة .

بمغمَّرة(١). يسقيها المحْضَ ويشربُ السِّمار ، لِتقيدَ له الأَوابدَ ولا ضِمارَ(٢) ؛ أَو سابحٍ فى الطَّلَقِ غَمْر ، أعانت به الأَقضيةُ على إدراكِ الأَمر . فربَّه يُهينُ الإبلَ ويُكرِمُه، ويَحرِمُ عيالَه||ولا يَحرِمُه . وإنما يأْمُلُ به أموراً ليس (١٥)
هو إذا بلغهَا مقموراً(٣) : يُعِدُّه لطلبِ ثأرٍ يُحسَبُ أَخذُه أَسنَى الآثار ، أَو غارةٍ يُصَبِّحُ بها عدُوًّا ، فيطلعُ مع الأَشقرِ غُدُوًّا ، أَو نَجاءٍ فى المأْزِقِ من سيفٍ وسِنان ، إذا جشأَت النفسُ الكاذبةُ لِرُعْبِ الجَنانِ ؛ أَو صيدٍ يُشبعُ بهِ أطفالا ، ولا يوجَدُ رأْيُه فيما صنع فالًا(٤) . حتى إذا أَنفَضَ عيالُه وفنى قوتُه لولا احتيالُه ، عَرَضت له فى آخرِ السَّبْرَةِ أُتُنٌ وعِلْجٌ ، وما يُطرَحُ بقِدْرِه الفِلْجُ(٥) . فركبَ فرسَه واثقاً به فحمله على العَيْرِ وقُبِّه(٦) ، فطعنه فى الفائل أَو القُرُبِ(٧) ، فروَّى من دَمِه صادِىَ التُّربِ .

وربما كان ابنُ أَخدَرَ فى عَذاةٍ قد بعُدَ بها عن الأَذاة(٨) ، حتى إذا العطشُ حَرَّقَه وأَمرَه بالموردِ ليطُرقَه ، وردَ آمِلاً بَرْدَ الماءِ يطفئُ به ما استَعَرَّ من لَهَبِ الأَظماءِ . وقد سبقه إلى الشريعةِ أَخو قوسٍ ما يلتمس بها من أَوْسٍ(٩) .

---

(١) روض أنق : معجب . والرنق : الكدر . واللقاح : ذوات الألبان . والقباء : الضامرة . والرسل ، بالكسر : اللبن . والمغمرة : التى تشرب دون الرى (ف ، ض) .

(٢) المحض : الخالص من اللبن — ومن كل شىء . والسمار : المخلوط بالماء . والأوابد : الوحش (ف) .

(٣) السابح : الفرس يعدو كأنه يسبح . والطلق : الجرى . والمقمور : الخاسر .

(٤) جشأت نفسه ، كجعل ، جاشت من حزن أو فزع (ق) . والجنان ، بالفتح : القلب . والفال ، غير مهموز : الخطأ (ف) .

(٥) السبرة : الغداة الباردة . والأتن جمع أتان ، أنثى العلج حمار الوحش . والقدر ، بالكسر : واحد القدور . والفلج : مكيال .

(٦) القب — بالضم والتضعيف — جمع قباء وهى الضامرة (ف) من : القبب ، دقة الخصر وضمور البطن .

(٧) الفائل : عرق فى الفخذ . والقرب ، بالضم وبضمتين : الخاصرة . ج أقراب .

(٨) ابن أخدر : حمار الوحش . والعذاة : الأرض الطيبة الكريمة (ف) .

(٩) الشريعة : مورد الماء . والأوس : العوض (ف) .

بصُرَ بها فى المنبتِ وكأنها حَظوَةُ نِبالٍ ، فوقعت الحُظوةُ بها فى البال[١] ، فجعل يتعهدُها على انفرادٍ ، ويَحْمِلُ إليها ريًّا فى الشُّعوبِ لِيَصِلَ بها إلى المراد[٢] .|| ويخاف أن يصلَ إليها غَيْرُه فتسنح له بِشْرٍ طَيْرُه . وهى فى (30) شِقبٍ بين جبلين جارَةَ نَبْعٍ أعيا الثَّقَلَيْن . حتى إذا علم أنها تصلُحُ لما رَجَاه ، عَمَدَ لِعُودها بالكَرْزَنِ فنجَاه[٣]. وما برحَ إليها ينغَلُ ، والسفَنُ مرارًا يُنفِلِ ، حتى نال البِغيةَ وثوبُه شَبَارِقُ ، وقد خرقَ كلَّه خارق[٤]. فجذِل بها يستأنس مُناه ، وأيقن أنه ظفِرَ بغِناه . ومطَّعها ماءَ لحائها زماناً وأشعرها من النَّدى الساقطِ أَمَاناً ، ثم أنحى بعد ذلك عليها الطريدةَ ، فجاءت مِن ذاتِ الأَوتار فريدة . ثم قرَن بها مربوعاً فكانت للأَجلِ ينبوعاً ، واتخذ لها سهاماً صِيغةً ، تظلُّ يدُه بها الأَنفسُ مريغة[٥]. وحملها بعدُ وذهب فاتَّخذ لها بَيْتاً من صَفيحٍ لعله يظفرُ بغيرِ السفِيح . فهو فى دُجًى ليست بالمنجليةِ ، صاحبُ نفسٍ بالأَهوالِ متخلية[٦] ، قد دمَّر وما تدميرُه ؟ إنما ذلك لِيحسُنَ عَذِيرُه . يخافُ أَن تجدَ رِيحَه قُمْرٌ واردةٌ ، فترجعَ من الجزع وهى الشاردةُ . وله فى ذلك المنهلِ جارةٌ[٧] ، إذا شحَط عنها فالشحْطُ تِجارة. يسمع لها كشيشاً فى

(١) الحظوة ، بالفتح : سهم صغير قدر ذراع . وبالضم ، والكسر : ما يحظى به من مكانة وحظ من الرزق (ق) والضمير فى : بها ، للقوس ، فى منبتها .

(٢) الشعوب : جمع شعيب وهى المزادة (ف) وفى (ق) جمع شعيب ، المزادة : شعب ، بضمتين ، ككتب .

(٣) نجا العود نجواً : قطعه ، ونجا الجلد : كشطه ، كأنجاه . والكرزن ، على وزن جعفر وزبرج ، والكرزين ، كقنديل : فأس كبيرة . (ق) .

(٤) ينغل : يدخل (ف) والسفن ، محركة : جلد خشن أو حجر ينحت به القدح . والنفل : أخذ الزيادة ، والإنفال أخذ الفأس لقطع القتاد . والشبارق والشباريق : القطع والمزق . أو يقال : ثوب شبرق ، كجعفر ، وشبارق وشباريق ، مقطع كله ممزق . والشبراق من الثياب ، كقرطاس : المتخرق. والشبرقة : نهش الصيد وتمزيقه ، وقطع الثوب (ق) . والبغية ، بالكسر : المراد والطلب .

(٥) صيغة : من صياغة رجل واحد وعمله (ف) والمريغة : المطالبة فى احتيال .

(٦) يتخلى بها : يتفرغ ويخلو.

(٧) يعنى بالجارة هنا : الأفعى (ف) والسياق فيما يلى ، يؤكده .

الجندس وفحيحاً ، ويردِّدُ من الخِيفة والفرقِ نحيحاً. بُعْدًا لها فى الأَرضِ من مجاورةٍ ؛ يروعُه فى الظلَم زَمالُها ، ولا تُحدَى للظعَنِ حمالُها. تأْكل فى مَشتاها تراباً ، وتهتبلُ فى المَصيفِ آراباً. تنفُخُ كدأْبِ الملهوف ، إن ذلك لَشَرٌّ من الهُوف[١].

وعنده قِيانٌ رُمْدٌ ، وهنّ لما كُره حقًّا عُمْد ، يشربن دمَه[٢] ولا يَسقِينه ، وينفين عنه المهْجَعَ ولا يَقِينه . وكيف يهجعُ البائسُ على حِذارِه؟ أم كيف يئوب إلى أهلِه باعتذارِه ؟ حتى إذا الحُقْبُ[٣] ورَدْنَ ، وسوسَ فدعَا رَبَّه يَسأَله أَن يكشِفَ كَرْبَه ، ويُشبعَ من الوشيقِ سلقعاً لا يعرِف غيرَ الصَّيْد شِبَعا[٤]. فرَمَى واللهُ رزَقَه ، فصادفَ نَضِيُّه فريصًا خرقه[٥]. وذُعِرت الوحشُ الظامئةُ فانصرفتْ عن عينٍ طامية. فكَرَّ بين المُدرِكِ أَجَلَه ، والصادرِ ولم يَقضِ مَنْهلَه . وربما أَحسَسْنَ بالقانصِ فنفرْن ، خائفاتٍ من التلفِ وما تغَمَّرن[٦].

وهذا القَصَصُ قائمٌ به الشاهدُ من الشعرِ الأَول . ولا رَيْبَ أنه يُفعَلُ إلى اليومِ ، إذْ كان خلُقًا للصعاليكِ ، وما حَظره عليهم الإِسلام ولا تبِعهم فيه ملامٌ . قال « صخرُ الغَيِّ* » يصفُ حِمارَين[٧] :

(١) النحيح : صوت يتردد فى الخوف (ف) وفى ض : [تردد من الخيفة] وزمالها : جريها وانسيابها . والآراب : جمع إرب ، بمعنى العضو (ف) والهوف : الريح الحارة ، والريح الباردة ، ضد . ولغة فى الهيف ، لنكباء اليمن ، وهى ريح حارة تهب من نحو اليمن ، نكباء تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه (ق) .

(٢) القيان ، هنا : بمعنى الصبايا من الحيات . والضمير فى : دمه ، لطالب الصيد .

(٣) الحقب : جمع أحقب ، وهو الحمار الوحشى الأبيض موضع الحقب ، ما يلى الحقو.

(٤) الوشيق : اللحم يغلى ثم يفرم ويصفى . والسلقع : امرأة قليلة اللحم (ف) .

(٥) النضى ، كالغنى : السهم بلا نصل ولا ريش: ونضاه نضواً : جرده وسله . كانتضاه .

(٦) تغمرن : روين من الماء (ف) والضمير لحمر الوحش .

(٧) من قصيدة فى رثاء ابنه « تليد » وأبياتها فى (ديوان الهذليين ٢/٦٢) ثلاثة وعشرون بيتاً. والأبيات هنا ، على ترتيبها فى الديوان ، من البيت التاسع إلى التاسع عشر ، فى سياق قوله :

أرى الأيام لا تبقى كريماً ولا العصم الأوابد والنعاما

* صخر الغى ، ابن عبد الله، أحد بنى عمرو بن الحارث الهذلى. انظره فى (ديوان الهذليين) .

ولا عِلْجـانِ ينتابان رَوضًـا   نضيرًا نبتُـه ، عُمًّا توأما[١]
كلا العلجـين أصـعَرُ صَيعَرِىٌّ   تخـالُ نَسِيـلَ مَتنيـه الثَّغَاما[٢]
فبـاتا يأْمُـلان ميـاهَ بَدْرٍ   وخـافا راميـاً عنـه فخاما[٣]
|| فرَاغا ناجِيَين وقـام يـرمى   فآبَتْ نبـلهُ قِصَـدًا حُطاما[٤] (١٦)
كأنهمـا إذا علَـوا وَجِينًـا   ومقطَعَ حَـرَّةٍ بعثـا رِجَاما[٥]
يُثيـرانِ الجنـادِلَ كابِياتٍ   إذا جارا معاً وإذا اسـتقاما
فبـاتا يحُييـان الليـلَ حتى   أضـاءَ الصـبحُ منبلجاً وقاما
فإمَّـا ينجـوا من خوفِ أرضٍ   فقـد لَقِيـا حُتوفَهما لزاما
وقد لَقِيا مع الإشراقِ خَيْلًا   تسوفُ الوحشَ تحسَبُها خياما[٦]
بكلِّ مُقلِّصٍ ذكَرٍ عَنُـودٍ   يَبُـذُّ يدَ العَشَـنَّقِ واللجاما[٧]
فشـامَتْ فى صـدورِهما رماحاً   من الخَطِّىِّ أُشْـرِبَت السماما[٨]

وقال « امرؤ القيس* » :

---

(١) يعنى : ولا يبقى على الأيام علجان . والعلج الغليظ من حمر الوحش . والعم : الذى اعتم نبته واكتهل . والتوأم : المزدوج .

(٢) على هامش (ف) : الصيمرى : الذى يلوى عنقه . والنسيل : ما تطاير من شعره . والثغام نبت أبيض وشله (فى شرح السكرى للقصيدة) .

(٣) مياه بدر : موضع . وخاما : حادا عنه وجبنا (ف ، والسكرى) .

(٤) القصد الحطام : الكسر المهشمة .

(٥) الوجين : الغليظ من الأرض . ومقطع حرة : عند منقطعها . والرجام هنا : حجر يجعل فى طرف الحبل . وفى الطرف الآخر الدلو (ف ، والسكرى) وفى نسخة (ض) : حجر يشد فى الدلو لتسرع منحدرة .

(٦) رواية الديوان : * وقد لقيا من الإشراق خيلا *

تسوف : تصيد ، والسائف الصائد . وأصل السوف : الشم (ف) .

(٧) مقلص : مشرف طويل القوائم ، يعنى فرساً . و يبذ يده : يسبقها . والعشنق : الطويل من الرجال والخيل أيضاً (ف ، ض ، والسكرى) .

(٨) شامت : أدخلت . والخطى : رماح منسوبة إلى « الخط » ما بين عمان والبحرين . (ف ، والسكرى) . والسمام : السموم ، جمع سم .

* امرؤ القيس بن حجر الكندى ، الشاعر الأمير = ١٠٥ .

رُبَّ رامٍ مـــن بنى ثُعَــلٍ   مُخرِجٍ كفَّيْـــه من سُتَرِه[١]
عـــارضٍ زوراءَ مـــن نَشَمٍ   غـــيرَ باناة عـــلى وَتَرِه[٢]
فأَتَتْـــه الوحشُ واردةً   فتَمتَّى القَزْعَ فى يَسَرِه[٣] (32)
فـــرمَاها فى فرائصِها   من إزاءِ الحوضِ أَو عُقُـــرِه[٤]
بِـــرَهيشٍ مـــن كِنانتِه   كتلظِّى الجمـــرِ فى شَرَرِه[٥]
راشَـــه مـــن ريش ناهضـــةٍ   ثم أمهـــاه عـــلى حَجَـــرِه[٦]
فهْـــو لا تَنمِى رمِيَّتُـــه   مـــالَهُ ، لا عُـــدَّ من نَفَرِه[٧]

وقال «الراعى *» وذكر صائدًا :

وفى بيتِ الصفيحِ أخو عيالٍ   قليلُ المالِ يغتبـــقُ السَّمَارا[٨]

---

(١) بنو ثعل : بطن من طيء تنسب إليهم الرماية . ويروى : متلج كفيه فى قتره (ف) وهى فى شعراء الجاهلية (النصرانية) وفى (الاستيعاب ١٩٥٤) أنها فى عمرو بن المسبح ، من ثعل . وقد عمر ١٥٠ سنة وأدرك الإسلام.

(٢) الزوراء : القوس ، سميت بذلك لاعوجاجها . والنشم : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى . وقوله : غير باناة . أراد : غير بانية . فقلب ، وهى لغة طيء . يقال : قوس بانية إذا ألصقت بوترها (ض) ، ومثله فى الصحاح والقاموس .

(٣) فى شعراء الجاهلية (النصرانية) : * فتنحى النزع * وعلى هامشه : ويروى : * فتمنى * ولا أدرى ما ماوجهها . تمتى ، امتد . والمت والمط متقاربان (ض) والقزع ، أراد الفرس فى تقزيعه ، وهو التجرد للطرد ، وشد الحضر.

(٤) إزاء الحوض ، موقف الشاربة منه ، ومنصب الدلو . وعقره : مؤخره (ض) .

(٥) الرهيش : السهم الخفيف ، والتلظى : كالتلهب (ف) .

(٦) راشه : جعل له ريشاً . والناهضة : فرخ العقاب . وأمهاه : سقاه وأحده (ف) . وفى شعراء الجاهلية : * ثم أمحاه على حجره * ولا أدرى ما وجهه .

(٧) أنمى الصيد ينميه : إذا رماه بأمنته فغاب ثم مات . فإذا مات فى مكانه ، قيل : أصمنه . وجملة : لا عد من نفره ، دعاء عليه .

(٨) الصفيح : الحجارة العريضة . ويغتبق : يشرب الغبوق ، شراب العشى . والسمار : اللبن المخلوط بالماء (ف) .

* الراعى : عبيد بن الحصين الرئيس ، ابن معاوية النميرى من بنى الحارث بن نمير ، وفيهم بيت بنى عامر بن صعصعة (جمهرة الأنساب ٢٦٣) فى الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين (ابن سلام ٤٣٤) وغلب عليه لقب الراعى لكثرة وصفه الإبل فى شعره (الشعر والشعراء ١ / ٤١٥) وانظر مع ديوانه ، رسالة الغفران ٢٦٢ والأمالى ١ / ١١ والسمط ١ / ٥٥ .

يَبِيتُ الحَيَّـةُ النضناضُ منه ... مكانَ الحِبِّ يستمعُ السِّرارا(١)
فصـادَفَ سَهْمُـه أحجارَ قُفٍّ ... كسَـرْنَ الفُوقَ منـه والغِرارا(٢)
فجـالا جولةً لو لم يكونا ... ذَوَىْ أَيْدٍ تَمَسُّ الأَرضَ طارا

وأَمَّا الأَوعال العاقلةُ فقَعدوا لها بالأَسهُم يقيناً ليس بتوهُّم ، يرمُون الشواكِلَ ويجعلونها مآكلَ(٣) ، ويُؤْتِمون الغُفْرَ الوقِلَ ، من أَبٍ وأم كانا بالغريزة يجترئانِ على أُولاتِ السمِّ ، ويَطَّرِفان من أَشجار الجبالِ حيث لا يُفرَقُ من الليث الرئبالِ ، ويَردانِ ما جادتْ به السحبُ فى إخاذٍ وقِلاتٍ ، ويَنصَلِتان المَنْبأَةِ المستَمعةِ أَيَّما انصِلات(٤). قال « النمرُ بنُ تولب * » وذكَر الوعلَ(٥) :

بِإِسْبِيلَ أَلقَتْ به أُمُّـه ... على رأْسِ ذى شُـرَفٍ أَقْتَما(٦)

---

(١) جملة : الحية النضناض منه ، حالية .

والنضناض : المحرك لسانه . والحب ، بالكسر : القرط ، والحب أيضاً الحبيب (ف) .

ونقل القالى فى الأمالى ٢/٢٣ عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : سألت ذا الرمة عن النضناض ، فأخرج لسانه وحركه . وأنشد بيت الراعى . وفسر القالى الحب ، بالقرط من حبة واحدة . وانظر معه طبقات ابن سلام : ٤٣٤ ، والسمط ٢/٦٥٧ .

(٢) القف : ما ارتفع من الأرض . والفوق : حيث يقع الوتر من السهم . والغرار : الحد (ف) .

(٣) العاقلة ، أى فى الجبال . والشواكل : الخواصر (ف) .

(٤) يؤتمون : من اليتم . والغفر : ولد الوعل . والوقل : المرتقى فى الجبال صعودا . و يطرفان : يأخذان أطرافها . والرئبال من الليوث ، كالقارح من الخيل . والإخاذ . الغدران ، جمع وخذ . والقلات جمع قلت : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء (ف ، ض) والنبأة : الصوت الخفى . والانصلات : سرعة المضى والسبق (ق) .

(٥) أبيات النمر هنا ، من قصيدة له فى (مختارات ابن الشجرى) وأبياتها فيه اثنان وعشرون بيتاً . وتبدأ أبيات (الصاهل والشاحج) بعد البيت العاشر منها . والقصيدة كاملة فى (شرح شواهد المغنى ٦٥) مع شرح لألفاظها وتوجيه لإعرابها .

(٦) فى (طرة ف) : اسم موضع . . ذكره البكرى فى (معجم ما استعجم) بالسين غير معجمة . وأنشد هذا البيت .

وهو فى (طبعة الحلبى سنة ١٩٥٩ من معجم البكرى : ١/٦٩) : «إسبيل : حصن بأقصى اليمن ، وقيل : هو مخلاف فى ذمار» ولم يذكر شاهداً .

* النمر بن تولب ، العكلى = ١١٢ .

إذا شـاءَ طالَع مســجورةً ترى حولهـا النبعَ والسَّأسَمـا[١]
تكونُ لأعــدائه مَجْهَلا مُضِلاً وكانت لــه مَعْلَما (33)
ســقَتْه الرواعِدُ من صَيِّفٍ وإنْ من خريفٍ فلن يَعــدَما
أتاح له الدهرُ ذا وَفْضــةٍ يُقلِّبُ فى كَفِّه أسهُمَا[٢]
فأهــوَى إليــه بِحَشْــرٍ له ولن يرهبَ المرءُ أن يَكْلِمَا[٣]
فأخــرج مــن نَبْــلِه أَهْزَعاً فشَــكَّ نواهِقَــه والفَمَا[٤]
فظلَّ شــبيباً كأَن الوَلو عَ كان بغِــرَّتِه مُتْئِمـا[٥] (١٧)
أتى حِصْنَــه مــا أتى تُبَّعاً وأَبْــرهةَ المَلِكَ الأَشْــرَما[٦]

= والبيت فى رواية ابن الشجرى ؛ بإسبيل ، وذكرها فى (ق) فى سبل ، بالمهملة .

(١) البيت ، وتاليه ، فى (تهذيب الألفاظ ٥٦٠) للنمر يصف وعلا . باب المياه ، المسجورة المملوءة ، والبيت فى الإبدال : السأسم والسأسب «وقال قوم السأسم شجر الأبنوس ، ولا أحقه» . (٤٧/١) وفى (شرح أدب الكاتب ٢٨) : طالع الوعل الماء ، إذا ورده مشرفاً عليه . والمسجورة : عين مملوءة . والنبع : شجر تعمل منه القسى . والسأسم : قيل هو شجر الأبنوس .

(٢) **الوفضة : الجعبة (ف) وفى شرح ابن الشجرى : الكنانة تجعل فيها النبل ، بمنزلة الجعبة للنشاب . ج وفاض .**

(٣) **الحشر : سهم دقيق ، (ف) والكلم الجرح .**

(٤) **أنشده ابن السكيت فى تهذيب الألفاظ وقال :**

« وما فى كنانته أهزع ، لا يتكلم به إلا بالجحد . إلا أن « النمر » قال: فأخرج سهماً (البيت) فجاء به بغير جحد» وفى شرح التبريزى : الأهزع: الطويل من السهام ، وقيل آخر سهم يبقى. والنواهق من الوعل : ما حول الفم ، وقيل النواهق من الفرس العظمان اللذان فى موضع مسيل الدمع (٤٩٣) .

ورواية ابن الشجرى : * فأرسل سهماً له أهزعا * وفسر الأهزع بالطويل .

والذى فى (طرة ف) : الأهزع ، آخر سهم فى الكنانة وهو أردؤها . والناهقان : عظمان فى وجه كل ذى حافر . وانظره فى باب ما ينطق به بجحد ، فى تهذيب الألفاظ (٤٩٢) .

(٥) **الولوع : فسرهنا بالقدر والحين ، والمتئم : التوءم ، فى رواية (ف) ورواية ابن الشجرى :**

يظل فشب كأن الولوع كأن بصحبته مغرما !

(٦) **تبع : ملك العرب — التبابعة — وأبرهة الأشرم ملك الحبشة (ف) .ورواية ابن الشجرى :**

وأدركه ما أتى تبعاً وأبرهة الملك الأعظما

وقال «ساعدة بنُ جُؤَيَّةَ *» :

تاللهِ يَبقَى - على الأَيام ذو حَيَدٍ ... أَدفَى صَلودٌ من الأَوعالِ ذو خدَمِ (١)

من دونِهِ شَعَفٌ قَرٌّ وأَسفلَه ... جِيٌّ تنَطَّقُ بالظَّيَّانِ والعُتُمِ (٢)

يرودُ فيها نهارًا ثم مَورِدُه ... طامٍ عليه فروعُ القانِ والنَّشَمِ (٣)

مُوَكَّلٌ بِشُدوفِ الصَّومِ يَرقُبها ... مِن المغارب مخطوفُ الحَشَى زَرِمُ (٤)

ثم يَنوشُ إذا آدَ النهارُ له ... مع الترقُّبِ من نِيمٍ ومن كَتَمِ (٥)

حتى أُتيحَ له رامٍ بمُحدِلَةٍ ... جَشْءٍ وبِيضٍ نواحيهن كالسَّجَمِ (٦)

---

(١) الأبيات من قصيدته الميمية :

يا ليت شعرى ألا منجى من الهرم ... أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

وأبياتها فى ديوان الهذليين (١/ ١٩١) ٤٤ بيتا ، ترتيب هذه الأبيات الثمانية فيها: الثامن والعاشر والتاسع والحادى عشر والرابع عشر والثانى عشر والخامس عشر والسادس عشر !

ذو حيد ، أى فى قرنه . والأدفى : الأحدب القرن . وذو خدم : أعصم .

(٢) رواية الهذليين : * من فوقه شعف * الشعف : أعالى الجبال ، والجى مناقع الماء . والظيان : ياسمين البر . والعتم : شجر الزيتون البرى (ف) ومثله فى شرح السكرى .

(٣) رواية الديوان : يأوى إلى مشمخرات مصعدة ... شم بهن فروع القان والنشم

القان والنشم : شجران ، من شجر الجبال ، يتخذ منهما القسى (ف) ومثله فى شرح السكرى .

(٤) فى الديوان * موكل بشدوف الصوم ينظرها *

الشدوف : الشخوص . والصوم شجر يشبه الناس فهو يرقبها خشية أن تكون ناساً (السكرى) والزرم الذى قطع عليه البول قبل أن يتمه ، فلا يستقر بموضع ، وهو المراد هنا (ف) .

والمغارب : كل مكان يتوارى فيه (ف) .

(٥) فى الديوان : * بعد الترقب *

ينوش : يتناول . آد النهار : مال للزوال ، عند السكرى . وفى (طرة ف) : العشى . والنيم والكتم ، شجران ، تعمل منهما السهام (ف) .

(٦) المحدلة : القوس عطف طرفاها . والجشء : القضيب الخفيف . والبيض : السهام . والسجم : شجر له ورق تشب به النصال (شرح السكرى) .

* ساعدة بن جؤية ، من بنى كعب بن كاهل بن الحارث الهذلى . شاعر محسن قال «ابن قتيبة» إن أبا ذؤيب كان راوية لساعدة . انظره فى (ديوان الهذليين القسم الأول ، وفى مؤتلف الآمدى ٨٣ ، وفى شعراء هذيل بالشعر والشعراء ٢/ ٥٤٧ بيروت) .

دَلَّى يديه له قصـــرًا فأَلزمَه نَفَّاحَةً غيرَ إخطاءٍ ولا شَرَمِ[1]
فجال منه بأَعلى الرَّيْدِ ثم كبا على نَضِيٍّ خِلالَ الجوفِ منحطمِ[2]

وقال آخرُ يصفُ رجلًا متصعلِكاً[3] :

لا مالَ إلا العِطافُ تُؤزِرُه أمُّ ثمانينَ وابنـــةُ الجَبَـــلِ (34)
لا يرتقى النَّزُّ فى ذلاذِلِه ولا يُعَدِّى نَعلَيـــه من بَلَلِ
عُضْـــرَتُه نُطفـــةٌ إلى لَصَبٍ مما تنـــاهَى له من السبَـــلِ
ومُضْغَـــةٌ من بَنـــاتِ شـــاكِلَةٍ لو لم يُرِغْهـــا بالقوسِ لم تُنَلِ

والنَّعامُ ، ركب عليها الفارسُ فإذا بِسِنانُه وارِسٍ . حَمَلَ على خِيطٍ راتع

---

(١) على هامش (ف) : فألزمه ، رواية . ورواية الديوان :

دلى يديه له سيراً فألزمه نفاحة غير إنباء *

نفاحة : تنفح بالدم . والإنباء أن يرى السهم فينبو ويخطئ . والشرم: شق الجلد (ف ، والسكرى) .

(٢) فى الديوان : فراغ منه . . . على نضى خلال الصدر منحطم

يعنى : راغ الوعل بناحية الجبل ، ثم عثر والسهم فى صدره قد نفذ إلى الضلوع (شرح السكرى) .

(٣) روى « القالى » فى (أماليه ٢/٢٦٦) أن أعرابياً سأل الأصمعى عن معنى قول الشاعر :

لا مال إلا العطاف تؤزره أم ثلاثين وابنة الجبل
لا يرتقى النز . . . . .

فضحك الأصمعى وقال :

عصرته نطفة تضمنها لِصْبٌ تَلَقَّى مواقع السَّبَلِ
أو وجبة من جناة أشكلة إن لم يرغها بالقوس لم تنل

فأدبر الأعرابى وهو يقول : تالله ما رأيت كاليوم عضلة . ثم أنشد الأصمعى القصيدة ، لرجل من بنى عمرو بن كلاب — أو قال : من بنى كلاب — يصف رجلا خائفاً لجأ إلى جبل وليس معه إلا قوسه وسيفه . والسيف هو العطاف . ويعنى بأم ثلاثين : كنانة فيها ثلاثون سهماً . وابنة الجبل : القوس لأنها من نبع وهو لا ينبت إلا فى الجبال . والنز : الخفيف الذكى الفؤاد . والذلاذل : ما أحاط به من أسفله . وقوله : * لا يعدى نعليه عن بلل * ، أى لا يصرفها عنه ، أى ليس هناك بلل . والعصرة : الملجأ . والنطفة : الماء ، يقع على القليل منه والكثير ، وليس بِضِدٍّ . واللصب : كالشق يكون فى الجبل . والجناة ، والجنى : واحد ، وهو ما يجتنى من الثمر . والشاكلة : سدر جبلى لا يطول .

وانظر (تنبيه البكرى ٢/٣٠ والسمط ١/٩٠٥) .

لَهَا فى النهارِ الماتعِ ، ونَعِمَ فى خَصِيبِ العِشْرِقِ ، فعَادَ كلُّه بِجَرَضِ الشَّرقِ[١] فرّق بين ربداءَ وظليمٍ ، ولم يكن فى المقارنةِ بمُلِم . وطَعَنَ أمُّ الرأْلِ فَهَوَتْ بين الأَجرال . وكانت صاحبةَ أُدْحِيٍّ قد نـأَتْ عن أَهل الحَيِّ . وتلك الودائعُ ، شهدَ اللهُ ، فى ضمائرِ الزُّعْرِ المتـأَبِّدات ، أَنفَسُ من الغرائبِ البَحْرِيَّةِ عند الغِيدِ المُتقلِّدات . وربما راحَتْ وهى زعِلَةٌ تواجهُ إليه ريحاً ومَطرًا وقدِ وضعتْه فى المُقفِرةِ سَطَرًا[٢] ، كما قال «ابنُ أحمرَ*» :

فما بيضـــاتُ ذى لِبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بزاجـــلٍ حتى رَوِينا[٣]
وُضِعْـــنَ وكُلُّهن على غِرارٍ هجانَ اللونِ قد وُسِقَتْ جَنينا[٤]

وقد يُصادِفُ ثَفَلَها جانى كَمْأَةٍ أَو راعٍ ، فيفجَعُها غيرَ مُراعٍ . فتجزع لذلك الأَمَرِّينَ ، والهاً تُحرَبُ بزُهاءِ العشرين[٥] . كيف لها ، واللهُ عليم ، أَن يجعلَ خالقُكَ ريشَها نَبْلًا فترمِى بها مَنْ سَعَرَ فؤادَها تَبْلا ؛ ومنقارَها النابى

(١) الخيط ، بالكسر : جماعة النعام . لَـهَـا : فعل ماض من اللهو . رسمها فى (ف) [لَـهَـى] بالياء . والعشرق : نبات . والجرض : الغصص (ف) .

(٢) الرأل ، مهموزاً : ولد النعام ، أو الحولى منه . والأنثى رألة ، ونعامة مرئلة : ذات رئال (ق) والأجرال : الأماكن ذات الحجارة . والأدحى المكان تبيض فيه النعامة . والودائع ، هنا : البيض ، سطراً ، أى منسقة فى أسطر . ويعنى بالغرائب البحرية : اللآلئ .

(٣) يعنى بذى لبد : الظليم ، تلبد ريشه وركب بعضه على بعض . والهجف – ضبطها فى القاموس بكسر الهاء وفتح الجيم وشد الفاء : الظليم .

(٤) أنشده المبرد فى (الكامل ١ / ٣٨) على غرار : على مثال . ومنه قولهم : ولد له على غرار واحد ، أى بعضهم فى إثر بعض ، ليس بينهم جارية (ف) .

(٥) ثفلها : ما رقدت عليه من البيض : ويعنى بالأمرين : الداهية . وتُحْـرب بزهاء العشرين ، أى تسلب قدر عشرين بيضة . حربه يحربه حرباً : سلبه (ق) .

* ابن أحمر : عمرو الباهلى . من بنى فراص بن معن . شاعر إسلامى فصيح مقدم ، وأحد عوران قيس الخمسة الشعراء (رسالة الغفران ٢٣٧) رماه رجل بسهم أصاب إحدى عينيه (الشعر والشعراء ١ / ٤٨٣ معارف ، ومؤتلف الآمدى ٣٧) .

جُرازًا أو لَهْذَماً ، لتخلفَ حَبْلَ مَن عادتُه جَذمُها ؟[١] قال :

فيوماً على بُقْعٍ دِقَـــاقٍ صدورُه   ويوْماً على سُفعِ المدامعِ رَبْرَبِ[٢]

وقال « ذو الرمة* » :

وبيضاءَ لا تَنحاشُ مِنـــا وأمُّها   إذا ما رأَتنا زِيلَ منا زَوِيلُها
نَتُوجٍ ولم تُقرَفْ لما يُمتَنَى له   إذا نُتِجتْ ماتتْ وحَيَّ سَليلُها[٣] (35)

وقال « الشمَّاخ* » :

وبيضاءَ من سوداءَ قد صِدْتُ صاحبي   ولادةَ صِعْوَنَّينِ خُمْشٍ شَوَاهُما[٤]

وقل آخر :

وبيضاءَ قد رفَّعتُ عنها بقَفْرةٍ   سماوةَ صَعْلٍ كالخِباءِ المُقوَّضِ

---

(١) التبل : الحزن . والجراز : السيف القاطع (ف) . ولهذم ، على وزن جعفر ، والذال معجمة : القاطع من الأسنة . والجذم : القطع ، (ق) .

(٢) البيت سقط من متن (ف) وأضيف على الهامش لحقاً .
وقد ذكره « الجوهرى » فى (ربب) ولم ينسبه : الربرب : القطيع من بقر الوحش . والبقع : جمع أبقع وبقعاء ، فى لونه بقع من سواد وبياض ، والسفع ، جمع أسفع وسفعاء : فيه سفعة من أثر لفح السموم .

(٣) البيتان من القصيدة السبعين فى (ديوان ذى الرمة ، ط كمبردج) ، بيضاء ، يعنى بيضة نعام. لا تنحاش : لا تنفر ولا تذعر . ويقال للرجل إذا حذر الأمر وخافه : زيل منه زويله . ونتوج — فى ض [تنوح] — يعنى أن البيضة تنتج الفرخ ، ولم يمسسها ظليم . فإذا نتجت ، تهشمت وحى الفرخ الذى نتجته .
والبيت الأول ، ذكره « الميدانى » فى المثل « زيل زويله ، وزواله » يضرب لمن أصابه أمر فأقلقه.

(٤) يعنى ببيضاء من سوداء : بيضة من نعامة (ف) . والصعون ، على وزن إردب : الظليم الدقيق العنق الصغير الرأس . أو عام (ق) وتكون التثنية هنا ، على وجه التغليب ، كالوالدين والأبوين .

* ذو الرمة = ١٢٦

* الشماخ : معقل بن ضرار . شاعر مخضرم فى الطبقة الثالثة من فحول الشعراء الجاهليين. وقال ابن سلام : كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، ولبيد أسهل منطقاً ، وقال الحطيئة : أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان . وكان من مقدمى الرجاز أيضاً ، ومن أوصف الشعراء للقوس .
وانظره مع : عوران قيس ، فى (رسالة الغفران ١٣٧) .

هجومٍ عليها نفسَه غير أنه   متى يُرْمَ فى عينيه بالشبْحِ ينهضِ[١]

(١٨) || وأما أُدْمُ الظباءِ الراتعةِ وعُفْرُها ، فما أنجاها من بنى آدمَ نَفْرُها . كم جُرَّةٍ تُنصَبُ لأدماءَ حُرَّة ، وحبالةٍ جعلت الظبىَ وشِيقاً فى بالة ؟[٢] واتخذوا أُهُبَها للخَيْرِ مَواطِنَ : ففيها تُسطَرُ كتبُ اللهِ عزَّتْ كلمته ، فهل تُصيبُ من أجلِ ذلك نَوارَها رحمتُه ؟ وفيها تُكتَبُ صَدُقاتُ النِساءِ وأَوصارُ الأُمَمِ فى العاجلِ والنَّسَاءِ[٣]. ما رَقَّ الصائدُ لطَرْفٍ ما هو من الكَحَلِ بِخَلِيٍّ ، وجِيدٍ حَسُنَ وإن عَطِلَ من الحُلِيِّ . والكلابُ لصيدِها مُعَدَّةٌ ، وإذا تُوسَّدُ فإنها مُرْمَدَّةٌ[٤] ، وقد يجمعون ـ واللهُ عليمٌ ـ لِأذاتِها المُعَلَّمةَ من الكلابِ والطيرِ ، فلا إلٰه إلا اللهُ ، ما لقيتْ النافرةُ من الضيْرِ ! إن بَعُدَ بها عن النابِ الشَّدُّ ، فإنها بالصَّقْرِ تُحَدُّ . والعُقَابُ الشغواءُ اتخذها بعضُ الناس ، لِتَروعَ أَظبىَ الكناس[٥].

وأما الخُزَزُ والعِكرِشةُ والسَّمسَمُ ـ ويحه ! ـ والثُّرْملةُ ، فلَقِينَ أَصناف البُرَحِينَ مما كَلَّبَ ولدُ الإنسان . كان : الخُزَزُ فى أنيقِ أرضٍ ، مُرازِماً فى العيش

(١) السماوة : السقف . والصعل : واحدته صعلة : الدقيقة الرأس والعنق من النعام : والشبح ، محركا ، ويسكن : الشخص . ج أشباح وشبوح (ق) . فى الأمالى ٢ / ٢٩٤ : وقرأت على أبى بكر :

وبيض رفعنا بالضحى عن متونها   سماوة جون كالخباء المقوض

هجوم عليها نفسه غير أنه   متى يرم فى عينيه بالشبح ينهض

البيض : أراد بها البيض . وسماوة كل شىء شخصه ، يعنى الظليم . هجوم عليها : على البيض ، فإذا أبصر شخصاً نهض عن البيض .

(٢) الأدم من الظباء : ما يكون سوادها مشرباً ببياض . والعفر ، ما يشوب بياضها حمرة . والجرة : حبالة الصائد . والوشيق : اللحم يسلق فى ماء وملح ، والبالة : الجراب (ف ، ق) .

(٣) الأهب ، جمع إهاب : الجلد . نوارها : النافرة منها . والأوصار ، جمع وصر ، بالكسر : العهد والصك الذى يكتب فيه السجلات ، كالوصيرة . والنساء ، بفتح النون والسين مخففة : الآجل المؤخر .

(٤) الطرف ، بالفتح : العين . لا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر ، أو اسم جامع للبصر لا يثنى ولا يجمع . وقيل : أطراف . وإيساد الكلاب : إغراؤها بالصيد . والمرمدة ، من الارمداد ، كالمحمرة من الاحمرار : هائجة . وأصله من الرمد ، بالتحريك والارمداد : هيجان العين .

(٥) الشغاة : اختلاف منبت الأسنان فى الطول والعرض . وقيل للعقاب : شغواء ، لطول فى أحد منقاريها وتعقف فيه . والأظبى : جمع ظبى ، وكذلك ظباء وظبيات وظبى (ق) .

بين خلَّةٍ وحَمْضٍ ، فبَكرَ عليه القانصُ بأجْرٍ أو بازٍ ، وكلبٍ يُرتَبَطُ أبّازُ(١) .
وكانت العِكرِشَةُ حابِلًا أو خَروساً قاعدًا عن الولدِ عروساً ، فجاءها الضارى
والجارحُ بما يَسلبُ حَليلةً من حَليلٍ ويُذهِلُ الخليلَ المشفِقَ عن الخليل .
فإما أن تغدوَ أيِّماً وإما أن يكون ولدُها موتَماً(٢) .

(36) ‖ وأما الصَّيْدنُ ، فما ينقذُه من ذلك أريبُ احتيالٍ ، ولا يُفلِتُ من
القَنَصِ بالإيالِ . خرج يكتسِبُ لصِغارٍ ، فحِيلَ بينه وبين الغار . وقد تكون
الثُّرْملةُ مُرضِعاً فيعودُ السَّوْذَقُ لها مُبضِعاً(٣) .

وكلُّ ذلك بقدَرٍ من الله . وليس ابنُ آدمَ فيما فعَله بالذميم ، إنما أجرىَ من
الشيَمِ إلى ما هو مُباحٌ حِلٌّ ، وأطلقه لِلعبْدِ الإلُّ(٤) .

وقد عَمَدَ إلى ذوات الجَناح ، بمثلِ ما قصد به ذواتِ الأربعِ من الجُناح .
فبأعَدَّ لخَشاشِهن ما يُلحِقُ به أظفارَ المنِيَّةِ من المَنسِرِ أو المِخلَب ، والشرورُ
أرْدأُ المجتلَب . كم فجعوا فرخاً بحمامةٍ كانت تنزلُ على السمَامةِ ، فتركوا
جوزلَها وهو مُضَاعٌ ، إذا سمعَ حِسًّا يَنضاعُ ! وكم منعوا الحاضِنةَ من
النَّتَلةِ ، فاجتثوا أصلَها من غيرِ عَتَلة ! (٥)

وأما الضبُّ ، فما وأل بِطولِ التجربة ، من أيْدٍ للأجلِ مُقرِّبة . وقد حذَّرَ

---

(١) الخزز : ذكر الأرانب . والمرازم : الذى يأكل طعامين ، مرة من هنا ومرة من هنا . أجر : جمع جرو ، كالجراء . والأباز : الوثاب . (ض . ف) .

(٢) العكرشة : أنثى الأرنب . والحابل : الحامل . والخروس : البكر فى أول حمل لها ، والتى يعمل لها الخرسة ، بالضم ، طعام الولادة . والجارح : واحد الجوارح من الطير . والأيم : التى لا زوج لها . والموتم : اليتيم ، أيتمت الأم صار ولدها يتيماً ، فهى مؤتِم ، والولد مؤتَم .

(٣) الصيدن : الثعلب ، والثرملة : أنثاه . والسوذق : نوع من الصقور ، الشاهين (ض) .

(٤) الشيم : الطبائع . والإل : الإله .

(٥) الخشاش : صغار الطير وضعافها . والسمامة ، على وزن سحابة : ما شخص من الديار الخراب . والجوزل : فرخ الحمام . والنتلة ، بالتحريك : البيضة . والعتلة ، بالتحريك : حديدة كأنها رأس فأس ، أو العصا الضخمة من حديد لها رأس مفرطح (ق) .

الحِسَلةَ من الحَرْشِ ، فما وُدِىَ ذبيحُها بـأَرْشٍ ، ولا عَصَمه أَمثالٌ مضروبةٌ هى إليه فيما تزعُمُ العربُ منسوبة ، وأَكلوا مَكْنَه من غيرِ تحرُّجٍ ، وحالوا بين الضبَّةِ وبين التَّبَرُّجِ . وصادوه حائلا وساحياً ، وحُفِرت الكُدْيَةُ عليه ضاحِياً[1] ووجدوا فى عُنُقِه أَطواقاً بيضاءَ شهِدتْ له بذهابِ الحِقَبِ وبقائه من بعدُ قبيضاً . ما تركوه لاهياً بالعِترْةِ ولا العَرارةِ والعرفجةِ خالياً من الشرارة[2].

وقال «أبو وائل شقيقُ بنُ سلمةَ * » : « ضبٌّ مَكوىٌّ أَحَبُّ إلىَّ من دَجاجةٍ سَمِينة » فإذا قال مثلَ ذلك أحدُ التابعين ، فما ظنُّكَ بـأُشَابَةٍ راثعين ؟[3] قال الشاعر :

ذكرتُكِ ذكرةً فاصــطدتُ ضَبًّا وكنتُ إذا ذكرتُكِ لا أَخيبُ

وقال آخر :

بَشِّرْ يرابيعَ المَلَا وضِبــابَها أَنْ قد غدا حَمَلُ بنُ زيدٍ ثاويا[4]

---

(١) الحسلة : أبناء الضب ، الواحد حسل ، بالكسر : ولد الضب حين يخرج من البيضة . والحرش : صيد الضب ، حرشه يحرشه حرشاً : صاده ، بأن يحرك يده على باب جحره ، ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها ، فيصاد . والأرش : الدية . والمكن ، بالفتح ، وككتف : بيض الضب .

والتبرج : الخروج . والحائل : الذى مضى عليه حول ، كالحولى . والساحى : الذى يأكل السحاء ، وهو نبت يأكله الضب . والكدية : الأرض الصلبة . وضباب الكدا ، سميت بذلك لولعها بحفرها (ق) .

(٢) يعنى بأطواق بيضاء ، شيب الشيخوخة ، تشهد بطول عمر الضب . وقبض فى مشيه : أسرع . والقبيض أيضاً : الحاذق المكب على صنعته (ق) والعتر والعرار والعرفج : من النبات .

(٣) أشابة : أخلاط . والرثع : الطمع والحرص الشديد ، من الصحاح (ف) .

(٤) على هامش (ف) طرة : رواه الأشناندانى :

بشر يرابيع الملا وضبابها أن قد هوى شكل بن قيس ثاويا

وقال : هو رجل عرف بأكل الضباب واليرابيع . والملا : الفلاة . وفى (الصحاح : ربع) اليربوع واحد اليرابيع ، الياء فيه زائدة لأنه ليس فى كلامهم فعلول .

* شقيق بن سلمة ، أبو وائل ، من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة . تابعى كوفى ثقة ؛ يروى عن عبد الله بن مسعود (ف) . ولد فى الجاهلية و بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وشقيق فى العاشرة من عمره ، ولم تتحقق له صحبة . وهو صاحب عبد الله بن مسعود (الاستيعاب رقم ١٢٠١ ، وجمهرة الأنساب ١٨٥) حديثه عند الستة (تهذيب التهذيب ٣١٦/٤) .

|| قد كان يُذلِقُها ويُعْجِلُ بعضَها   عَبْطَ المنيَّـــةِ رائحاً ومغاديا[١] (37)

وأنشد «ابنُ السرَّاجِ * » فى كتاب المعانى :

تناولتُـــه من بيتِه أَحْرَشَ القرا   أَرَشَّتْ عليه المُدجِناتُ الهواضِبُ[٢]

تخاطَأَه المقـــدارُ حتى أصبتُه   وخُرطومُه فى منقعِ الماءِ راسبُ

وأَنشدَ «الشيبانىُّ * » أبياتاً وفيها إقواءٌ وخَرْمٌ فى غيرِ البيتِ الأَول، والأَبيات :

أَرَّى بكَفَّيـــه وأقعس رأسَـــه   وحَظْرَبَ نَفخاً مَسْكَه فهو حاظِبُ[٣]

فلما وجدتُ القَبْصَ يزدادُ فترةً   وأَيقنتُ أَن الضبَّ لا بد ذاهبُ[٤]

قُمتُ وعِيدانُ السليخةِ قد جذَتْ   جُذُوَّ المرامِى بين بادٍ وغائبِ[٥]

||وآخَرُ أَبْدَى عن ضُلوعِىَ خَدْشُه   ومستمسِكٌ نضنضمْتُه فهو ناشب (١٩)

---

(١) أذلق الصائد الضب ، وذلقه : صب الماء فى جحره ليخرج (ف ، ض) . والعبط : ذبح الدابة ، وليس بها علة .

(٢) أحرش القرا : خشن الظهر . والحرشة ، بالضم : الخشونة (ق) . والمدجنات : السحب الممطرة ، والهواضب : الدائمة المطر (ف ، ض) .

(٣) أرى ، تمسك (ض) وثبت وتمكن . وأريته : أثبته ومكنته (ق) . وحظرب مسكه : ملأ جلده نفخاً (ض) وقوسه : شد توتيرها . والحاظب : السمين ، حظب حظوباً : سمن .

(٤) القبص ، بالصاد : الأخذ بأطراف الأصابع ، دون القبض (ف ، ض) .

(٥) سليخة الرمث والعرفج ، ليس فيه مرعى وإنما هو خشب يابس . جذت : انتصبت من يبسها وجفافها .

* ابن السراج : أبو بكر ، محمد بن السرى البغدادى النحوى . من أنبه أصحاب المبرد ، وإليه انتهت الرياسة فى النحو بعد الزجاج . ت ٣١٦ هـ ، ومن كتبه : الأصول النحوية ، والموجز ، والاشتقاق ، والجمل ، وشرح كتاب سيبويه . (نزهة الألبا ٣١٣ ، وفهرست ابن النديم ٩٢ وإنباه القفطى ٣/١٤٥ وتاريخ بغداد ٥/٣١٩ والشذرات ٢/٢٧٣) .

* الشيبانى : أبو عمرو ، إسحاق بن مرار ، مولى بنى شيبان . من نحاة الكوفة المتقدمين وأعلام الرواة الذين جمعوا دواوين أشعار العرب وحفظوا اللغة . ت سنة ٢١٦ هـ فى خلافة المأمون . ومن مصنفاته : اللغات ، والنوادر ، وغريب الحديث ، وكتاب الجيم ، والإبل حديثه عند مسلم (خلاصة ٣٩٢) .

(نزهة الألبا ١٢٠ ، الفهرست ١٠١ ، تاريخ بغداد ٦/٣٢٩ . إنباه القفطى ١/٢٢١ ، وفيات ابن خلكان ١/٦٥) وانظر معها أعلام (رسالة الغفران) .

ودَبَّ على صدرى دبيباً فليتنى مع البُرْصِ الزرْقِ العيونِ الحناظبِ[١]

خليل عراب بين حَزْمَينِ يرتعى أعاشيبَ مَوْلىٍّ سقَتْه الهضائبُ[٢]

وقالوا فى الحثّ على أكل الضبّ[٣] :

إنك لو ذُقتَ الكُشَى بالأكبادْ

لَما تركتَ الضبَّ يعدو بِالوَادْ

وقالوا :[٤]

أَطْعِمْ أَخاكَ من عَقَنقَل الضَّب

إنك إنْ لا تُطعِمَنْـــه يَغضَب

---

(١) فى (طرة ف) : [*ودب على صدرى دبيباً ولبتى* كذا وقع فى – خرم تآكل، وأظنه: كتاب الجيم – لأبى عمرو الشيبانى] والحناظب، جمع حنظب: قاله «الخليل» (ق) . بضم الظاء وفتحها، والحاء مضمومة : الذكر من الجراد ، ومن الخنافس (ص) .

(٢) الهضبة ، بالفتح وسكون الضاد : المطرة العظيمة . جمعها على هضاب ، وجمع هضابٍ على هضائب ، كجمال وجمائل (ف) . وفى (ق) : الهضاب جمع هضبة ، وجمع الجمع أهاضيب .

(٣) الرجز فى (كتاب الطعام من عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٢١١) من قول راجز كما هنا. لكن «الجواليقى» فى (شرح أدب الكاتب ٢٤٧) ذكر أنه على لسان الضب : «قيل إن راكباً مر فى بعض الأيام بواد ، فلما ولى صاح به الضب :

يا أيها الراكب ينجو بالواد إنك لوذقت الكشى بالأكباد

لما تركت الضب يسعى بالواد

وهذا كما قال أمية - بن أبى الصلت – : بآية قام ينطق كل شىء . . (البيت) ولم يشر الجوهرى إلى ما ذكره الجواليقى . ورواية (الصحاح ، كشى) : *وأنت لوذقت الكشى بالأكباد* شاهدا على الكشى جمع كشية : شحمة فى بطن الضب . وانظر : الضب ومن استطابوا لحمه فى (حيوان الجاحظ : ٦/١١ ساسى) .

(٤) عقنقل الضب : انصته (ت) والمثل فى – قول المبرد – يضرب عند حثك الرجل على المواساة . وقيل إن هذا موضوع على الهزء .

وفى (أمثال الميدانى ١/٤٣١) برواية * إنك إن تمنع أخاك يغضب* أنه يضرب مثلا على المواساة ، كقولهم فى المثل : أطعم أخاك من كلية الأرنب . وعقنقل الضب فى شرحه : كرشه ، وفيه جميع ما يأكله . وأورده «الجوهرى» فى مادة (ع ق ل) قال : والعقنقل: الكثيب العظيم المتداخل الرمل. والجمع عقاقل . وربما سموا مصارين الضب عقنقلا ، قال – وأنشد الرجز .

وقالوا :[١]

عنـــدى دواءُ الهُدَبِدْ
كُشْيَـــةُ ضَبٍّ بكَبِدْ

وقال رجل من بنى سعد أتى جبلًا يقال له طِمِرَّة فأَرَكَ به وأكل من ضِبابه :

واللهِ لولا أكلةٌ بِمِـــرَّهْ بِكُشْيَـــةٍ بكَبِـــدٍ بظَهْرَه
لقـــد خَلا مِنَّـــا قَفَـــا طِمِرَّه[٢] (38)

وأما اليربوعُ ، فهو فى الوطنِ مسبوع . نَفَّقَ ورهَّطَ وعَنَّقَ لنفسِه وقصَّع ، واتخذ لنفسِه دُمَمَةً وسابِيَاء[٣] ، وكلٌّ ذلك هربٌ مِمَّا قُدِّرَ وهيهات ! «بِبَقَّةَ قُضِيَ الأَمْرُ»[٤]. «لا المرءُ فى شيءٍ ولا اليربوع»[٥].

ومشهورٌ عند رواة الأخبارِ أن طوائفَ من العربِ تـأْكُلُ الفـأْرَ . وقد ادَّعوا ذلك على «أَبِي وَجْزَةَ السعدِيِّ*» وكان أَحدَ القُرَّاءِ والمجيدين من الشعراءِ .

---

(١) فى (الصحاح) : «الهدبد ، مقصور من الهدابد : اللبن اللين الخاثر . ويقال : بعينه هدبد ، أى عمش . وقال :

إنه لا يبرئُ داء الهدبد إلا القلايا من سنام وكبد

قوله : إنه ، بضمة مختلسة» .

(٢) بظهرة ، من قولهم : ظهر للشمس ظهرة (ف ، ض) والقفا : الظهر .

(٣) نفق : حفر لنفسه نفقاً . ورهط : اتخذ راهطاء ، جحر اليربوع . والدمة والدمة ، بضمها ، والداماء : إحدى جحرة اليربوع . وتراب يجمعه اليربوع ويخرجه من الجحرفيسوى به بابه . وقد دم اليربوع جحره : غطاه وسواه . والسابياء : تراب جحرة اليربوع (ق) .

(٤) فى المثل «ببقة صرم الرأى» – أى بت – قال الميدانى : بقة ، موضع بالشام . قاله قصير ابن سعد اللخمى لجذيمة الأبرش حين وقع فى يد الزباء (١/٩٠) والقصة بتفصيل فى المثل «خطب يسير فى خطب كبير» ولفظه فيه : «ببقة خلفت الرأى» (١/٢٣٤) .

(٥) على هامش (ف) : أما قولهم : لا المرء فى شيء ولا اليربوع ، فإنه رجل من العرب كان جباناً ، إذا كانت الحرب وقف فى مآخر الناس . فبينا هوكذلك فى بعض الحروب ، رأى كأن سهماً وقع ونشب فى الأرض ، ثم اضطرب ينظر فإذا هو يربوع ، فقال هذه المقالة . . .

* أبو وجزة السعدى ، يزيد بن عبيد المدنى ، من متقدمى القراء ، وكان شاعراً مجيداً وراوية للحديث . ت سنة ١٣٠ هـ (طبقات القراء : رقم ٣٨٧٨ ، وخلاصة التذهيب : ٣٧٢ ، والشعر والشعراء ٢/٥٩٢ بيروت . ، والشذرات ١/١٧٨ ، والأغانى ١١/٧٥ – وسمط اللآلى ٢/٨٠٩) .

وفى (طرق ف) : أصله من بنى سليم ، لحق – خرم تآكل – فاشتراه رجل من بنى سعد بن بكر .

وقيل لبعضِ الأَعراب : ما تقولُ فى لحوم الحيَّاتِ ؟ قال : أنا منها بين شِواءٍ وقَدِيرٍ ، وما أَكرهُ نِيئَها إن أَعجلنى سَفَر ! [١]

وهمُ الذين عَمَدوا لبنات اللُّجَّةِ بالحِيَلِ ، فرمَوها من المأْمَنِ بالغِيَلِ . وأَىُّ شىءٍ من أَحناشِ الأَرض لم تَنزلْ به من القوم شَصِيَّةٌ ![٢] إنهم إمَّا أَكلوه وإما قتلوه . وكثيرٌ من الهوامِّ يتخذونها فى الأَشفِيةِ ، وخُطوبُهُم ليست بالمُصفِية . يُحرِّقون الشبَواتِ فى بعضِ الهنَوات[٣] ، ويستعملونها فى الأَدوية ، وإنما ذلك لحِكمةٍ غيرِ المُغوية .

فهذا كلُّه تأْسِيةٌ لكَ على ما تلقاه فى دأْبِكَ من أَيْنٍ ، واللهُ مُحصِى الأَثرِ وبادِى العَين . أَلستَ رائياً ما نزل بالجَوَارِسِ فى الأَيام الوَمِدَةِ والقوارس ؟ بكرتْ فى كَحْلَاءَ وسِحَاءٍ تكتسِبُ من غيرِ لِحاءٍ ، ما رزَقها ربُّها لغَرضٍ مطلوب ، وقضاءُ الصمَدِ غيرُ مغلوب[٤] . جمعت الضرَبَ من شَتٍّ ، وأَيقنتْ أن الأَملَ غيرُ مُنبَتٍّ ، لأَنها سَمَتْ بالأَرْى المكتَسَبِ إلى جبالٍ سامقةٍ ، تَشحَطُ عن العيونِ الوامقة . فلما ظنَّتْ أَن القدرَ عنها غافِل ، أُشِبَّ لها من الشَّارةِ غوِىٌّ قافل . فلما طلع بالمِسْأَبِ وخرصِه ، وهجم على التلفِ من حِرصه ، جلَاها بالإِيَامِ فتفرقتْ ، وفَجَعَ الثَّولَ بِقُوتٍ ، وأَصبح إلى الخَشرمِ جدٌّ ممقوت[٥]

---

(١) القدير : اللحم المطبوخ فى قدر . والنىء : الذى لم تمسسه نار (ف) .

(٢) بنات اللجة : يعنى الحيتان (ف) — والمغاربة يطلقون لفظ الحوت ، على السمك بعامة — وأحناش الأرض : ما صيلم من هوامها وصغار دوابها .

(٣) الشبوات : جمع شبوة ، وهى العقرب (ض) والهنوات : الحالات (ف) والذى فى القاموس : الهنو ، بالكسر : الوقت . ومنه هنية ، تصغير هنة ، و يروى هنيهة . ج هنات وهنوات .

(٤) الجوارس : النحل ، لأنها يسمع لها جرس (ض) . وأجرس النحل ، إذا سمع صوته(ق) . والومدة : الحارة مع سكون الريح . والكحلاء والسحاء : شجر ترعاه النحل (ض) .

(٥) الإشباب : التهييج . والشارة جمع الشارى : الذى يشرى العسل ، والسأب : الزق ، أو العظيم منه ، أو وعاء من أدم يوضع فيه الزق ، كالمسأب فى الكل ، على وزن منبر ، أو هو سقاء العسل . والإيام ، على وزن كتاب : الدنان . (ق) والخشرم والثول : جماعة النحل (ق) .

وكم قتلَ قبل ذلك من الدَّبْرِ ، وما أذاتُكَ صاحبَكَ بخسيسٍ من الشَّبْرِ[١].

إن خَطْبَ الزمانِ || لَجَلِيٌّ ، تكسِبُ النحلُ ويَشتارُ « الهذليُّ* » ، قَدَرٌ من ربِّك بَدِيٌّ ، تَجْنِى الأَرِيَّةَ عن الأنوارِ ، ما يلسَبُ[٢] فقيرٌ أزْدِيٌّ ، — « يعقوب* » يختارُ السينَ فيقول : أَسْدِى — وقد وصف ذلك جماعةٌ من القالة ، وذكروا ما يُلقَى دون ذلك من سوءِ الآلة . قال « أبو ذؤيب* » : (39)

وما ضَرَبٌ بيضاءُ يأْوِى مَليكُها ... إلى طُنُفٍ أعيا بِرَاقٍ ونازلِ[٣]
تُهالُ العُقَابُ أن تَمُرَّ بِرَيْدِهِ ... وترمِى درُوءٌ دونَه بالأَجَادِلِ[٤]
تَنَمَّى بها اليعسوبُ حتى أقَرَّها ... إلى عَطَنٍ رَحْبِ المَبَاءَةِ عاسِلِ[٥]
تدَلَّى عليها بالحِبالِ مُوَثقاً ... شديدُ الوَصاةِ نابلٌ وابنُ نابِلِ
إذا كان حَبْلٌ من ثمانينَ قامةً ... وخمسينَ باعاً ، نالَها بالأَنامِلِ[٦]
فَحَطَّ عليها والضلوعُ كأنَّها ... من الخوفِ أمثالُ السهامِ النَّواصِلِ[٧]

(١) الدبر : النحل . والشبر ، بالفتح : الحظ والعطية .

(٢) لسب العسل ونحوه يلسبه ، كمنع وضرب : لعقه (ق)

(٣) فى ترتيب الأبيات هنا، خلاف يسير عما فى (ديوان الهذليين ١/١٤٢) .

(٤) الريد : الجانب من الجبل ، والدروء : جمع دره ، العوج فيه . والأجادل : الصقور

(٥) رواية ديوان الهذليين للشطر الثانى : * إلى مألف رحب المباءة* تنمى : ارتقى وارتفع . واليعسوب : ذكر النحل . والمباءة : حيث يأوى ويثوب . (ف) وقريب منه شرح السكرى .

(٦) فى الديوان :* فلوكان حبل من ثمانين قامة وسبعين باعاً نالها بالأنامل . والضمير فى : نالها ، لحلية النحل (ف) .

(٧) فى (طرة ف) : [فى شرح شعر أبى ذؤيب، أن السهم إذا استرخى تقعقع فيسمع للضلوع مثل صوته ، تقبضاً ورجفاناً من الخوف] .

* الهذلى : أبو ذؤيب (ص ١٣٢) ، وأبو العلاء فى هذه الفقرة ، ينظر إلى الأبيات التالية من لامية (ص ١٣٢) أبى ذؤيب .

* يعقوب : أبويوسف يعقوب بن السكيت . من علماء العربية فى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة . توفى فى منتصفه ، فى خلافة المتوكل . ومن أهم مصنفاته (القلب والإبدال) . (نزهة الألبا ٢٣٨ ، والفهرست ١٠٨ ورسالة الغفران ٥٥٠) ويعقوب يختار فى الأزد، القبيلة : الأسد . بإسكان السين . والنسب إليها : أسدى . انظر البيت السابع من رائية الجعدى فيما يلى .

إذا لَسَعتْه النحلُ لم يرجُ لَسْعَها ... وخالَفها فى بيتِ نوبٍ عَوامِلِ (١)
فشَرَّجَها من نطفــةٍ رجَبِيةٍ ... سُلاسِلةٍ من ماءِ لَصْبٍ سُلاسِلِ (٢)

وقال «ساعدةُ بنُ جؤية*» :

فما ضَرَبٌ بيضاءُ يسقى دبوبهَا ... دَفاقٌ فعروانُ الكَراثِ فضِيمُها (٣)
أُتيحَ لها شَثْنُ البنانِ مُكدَّمٌ ... أخو حُزَنٍ قد وقَّرتْه كُلومُها (٤)
رأى عارضًا يَهوِى إلى مُشْبطِرَّةٍ ... قد احجَمَ عنها كلُّ شيءٍ يرومُها (٥)
قليلُ الأَتاءِ غيرَ قوسٍ وأسهمٍ ... وأخراصه يغــدو بها ويُقيمها (٦)
فما بَرِحَ الأَسبابُ حتى وضعنه ... إلى الثوْلِ يَنْفِى جَثَّهــا ويَؤُومُها (٧)

(١) فى ديوان الهذليين : «إذا لسعته الدبر .. » أى النحل . والرجاء هنا بمعنى الخوف والتهيب والنوب : النحل تجىء وتذهب عاملة ورواية الفراء فى معانى القرآن ٢٨٦/١ كما هنا .

(٢) شرجها : خلطها (ف) والشرج المزج (ق) وقوله : رجبية ، جعلها فى الشتاء وذلك أبرد . وكان شهر رجب فى ذلك الوقت شتاء . واللصب : الشق فى الجبل وهو أصفى للماء . (ف ، ض ، وشرح السكرى) والمعنى فى الأبيات ، يتم بقوله بعد هذا البيت :

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً ... وأشهى إذا نامت كلاب الأسافل

(٣) الأبيات التسعة هنا، هى كل ما فى (ديوان الهذليين ١ /٢٠٧) من هذه القصيدة لساعدة.
رواية الديوان : * وما ضرب * والضرب العسل الصلب الغليظ . والدبوب فى شرح السكرى : النور . أراد نور الأزهار التى رعتها النحل . لكن محققى الديوان عدلوا عنه إلى : غور ، وهو موضع فى بلدان ياقوت واللسان . ولا أراه الأولى هنا. ولم أجد الدبوب بمعنى نور الأزهار نصاً . ويمكن حمله على : مدب النحل حيث تجنى وترعى . أو على : عسل دبوب ، باعتبار ما يصير إليه الذى جنته من نور الأزهار التى رعتها .

ودفاق : واد ، والكراث : شجرة جبلية تنبت فى عروان وهو جبل فى الحجاز ذروته بمنزل هذيل . ضيم ، بالكسر : واد ببلاد هذيل .

(٤) الشثن : الخشن . والمكدم : الذى كدمت الصخور أظفاره . والحزن ، جمع حزنة : ما غلظ من الأرض .

(٥) ترتيب هذا البيت فى (ديوان الهذليين) بعد البيت التالى . وروايته : * يهوى إلى مشمخرة *

(٦) رواية الديوان : * قليل تلاد المال إلا مسائباً * جمع مسأب وهو السقاء . والأتاء فى رواية الصاهل والشاحج : الزاد . والأخراص، جمع خرص : عيدان يصلح بها العاسل ما اشتاره من العسل . يقيمها : يسويها (ف) ومثله فى شرح السكرى .

(٧) الأسباب هنا ، الحبال . والثول : جماعة النحل . والجث : ما اختلط بعسلها من الغثاء . يئومها : يدخن عليها ، من : الإيام وهو الدخان .

* ساعدة بن جؤية ، الهذلى = ١٤٢ .

|| فلما دنا الإبرادُ حَطَّ بِشَوْرِه ... إلى فضَلاتٍ مستحيرٍ جُمومُها[١] (40)

إلى فَضَلاتٍ من حَبِيٍّ مُجَلْجَلٍ ... أَضَرَّتْ به أَضواجُها وهُضومُها[٢]

فشَرَّجَها حتى استمرَّ بنُطفةٍ ... وكان شِفاءً شَوْبُها وصَميمُها

فذلك ما شبَّهت يا أمَّ مَعْمَرٍ ... إذا ما توالى الليلُ غارت نجومُها

وقال «نابغةُ بنى جَعدةَ*» :

وكأنَّما أنيابُها اغتبقتْ ... بعد الكَرَى من طيِّبِ الخمْرِ

شرِكاً بماءِ الذَّوبِ تجمعه ... فى طَوْدِ أَيْمَنَ من قُرى قَسْرِ[٣]

قُرْعُ الرؤوسِ لِصَوتِها جَرَسٌ ... فى النبْعِ والكَحْلاءِ والسِّدْرِ[٤]

ولِلَيْلِها جَلَبٌ إذا عَتَمتْ ... وتَبيتُ عاذبةً كذِى النَّذْرِ[٥]

بَكرتْ تَبَغّىَّ الرزقَ فى مُسُلٍ ... مخروفَةٍ ومسارِبٍ خُضْرِ[٦]

لبِثتْ قليلا ثم خالَفها ... متَسربِلٌ أَدَماً على النحْرِ

صَدَعٌ أُسَيِّدُ من شَنوءَةَ مشاءُ ... قتَلْنَ أَباه فى الدهرِ[٧]

---

(١) يعنى بالإبراد : وقت العشى . والشور : ما اشتار من العسل . والمستحير : المتحير لكثرته . والجموم ، جمع جم ، أراد ماء الغدران .

(٢) الحبى المجلجل : السحاب ، وفضلاته : ما اجتمع من مائه فى الغدير . والأضواج : نواحى الوادى حيث يتعرج وينثنى . والهضوم : المواضع المطمئنة من الأرض . وأضرت ، ها هنا ، بمعنى دنت ، فى شرح السكرى .

(٣) يعنى بماء الذوب : العسل . وقسر : بطن من بجيلة .

(٤) يعنى بقرع الرءوس : النحل . والكحلاء والسدر ، مما ترعاه .

(٥) عتمت : دخلت فى العتمة . عاذبة : لا تأكل شيئاً ، كمن يصوم نذراً .

(٦) مسل ، بضمتين : جمع مسيل ، مثل غدر وغدير . والمخروفة : التى أصابها مطر الخريف. والخريف يطلق على الأشهر الثلاثة بين الصيف والشتاء ، وعلى المطر فى ذلك الفصل . ويقال : خرفنا ، على البناء للمجهول : أصابنا ذلك المطر ، وفى الشعر والشعراء :

بكرت تعرض فى مرابعها ... فوق الهضاب بمعقل الوبر

وغدت لمسرحها وخالفها ... متسربل أدما على الصدر

(٧) الصدع فى (طرة ف) : بين الطويل والقصير . وفى القاموس : الصدع بالفتح وتحرك =

* نابغة بنى جعدة : (صفحة ١١٧) ، والأبيات الرائية هنا من قصيدته فى (الديوان ٢٥٢) وقابل عليها رواية ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١ / ١٠٩ .

يمشِى بقِربتِه ومِحْجَنِه مُتلطفاً كتَلَطُّفِ الوَبْرِ (١)
يَحْبُو إذا خافَ القِيــامَ على رَصَفٍ يَزِلُّ بِأكُرُعِ الغُفْرِ (٢)
فسمــا إليها فى مراتِبِهـا فأتى بسَبْعٍ ضَــوائِنٍ وُفْرِ (٣)
فأصــابَ غِــرَّتَها ولو علِمتْ حَذِبَتْ عليــه بِضَيِّق وَعْــرِ

وأما دعواكَ نظامَ الشعرِ ، فخَلَّةٌ لا تُفتَقَدُ معها زَلَّة . إذا جاء الروىُّ فُضِحَ الغَوىُّ . ولو قيل إن القافيةَ سُمِّيتْ قافيةً لأنها تقفو الجاهلَ بها ، أى تَعِيبُه ، لكان ذلك مذهباً من || القول . والقريضُ مشابِهٌ أُمَّ أدراصٍ ، ومَن سلكها غيرَ خبيرٍ فكأنَّما سقط من ثَبِير (٤) . (41)

نحن معاشِرَ الجَبْهةِ أَوْلى بالعَرَبِ من كلِّ الحيوان . وفينا ورَدَ جيدُ الشعرِ العتيق ، وإيانا ذكرت الفرسانُ السالفةُ والفصحاءُ المفتخِرةُ ، بالإيثارِ على العِيَال : الولدِ (٥) والأمِّ والعِرس. قال « الأخطل * » :

= الدال: الرجل الخفيف اللحم . والصدع . محركة وتسكن الدال: الفتى الشاب القوى . أو الشىء بين الشيئين من أى نوع كان : بين الطويل والقصير ، والفتى والمسن ، والسمين والمهزول .

وأسيد من شنوءة ، يعنى من أزد شنوءة ، أو أسْد ، على مذهب « يعقوب بن السكيت» .

(١) الوبر واحدته وبرة : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء (ف) .

(٢) الأكرع : جمع كراع ، على وزن غراب ، مستدق الساق . من الغفر ، بالضم ويفتح : ولد الأروية . (ق) .

(٣) الضوائن ، جمع ضائنة : إناث الضأن . أراد أنه أتى بسبع زقاق وفر ، من جلد الضوائن . ورواية الشعر والشعراء * فأصاب ما حذرت *

(٤) أم أدراص : الداهية . والأدراص أيضاً ، جمع درص : ولد القنفذ واليربوع . وفى المثل : « ضل دريص نفقه » وثبير (ق) : جبل بمكة .

(٥) من (ف) وفى ض : [الوالد والأم] والجبهة : الخيل ، لا واحد لها .

* الأخطل : غياث بن غوث بن الصلت ؛ من بنى جشم بن بكر التغلبى (جمهرة الأنساب ٢٨٨) فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين . وكان نصرانياً (ابن سلام ٣٩٦ ذخائر) وكان يشبه شاعر الدولة فى العصر الأموى . انظر مع ديوانه ، والنقائض : الشعر والشعراء ١/٤٨٣ معارف ، والأغانى ٨/٢٨٠ وأعلام الغفران .

إذا ما الخيـــلُ ضيَّعها أناسٌ ربطناها فشـــاركت العيالا

نُهِينُ لهـــا الطعام إذا اشتوينا ونكسوها البراقعَ والجِـــلالا[1]

وقال «عنترةُ* » – ويُروَى لغيره –:

لا تذكرى فرَسى وما أَطعمتُـــه فيكونَ جلدُكِ مثلَ جِلْدِ الأَجربِ

كَذَبَ العتيقُ ومـــاءُ شَنٌّ باردٍ إن كنتِ ســـائلتى غبوقاً فاشربى[2] (٢١)

(١) فى ض : [إذا اشتونا] والجلال ، جمع جل ، ماتكسى به الدابة لتصان .
والبيتان هنا ، من ديوانه : ٤٤ والنقائض .

(٢) فى (طرة ف) [أنه من مشهور شعر عنترة ، وبعد البيت الأول مما كان يجب على المعرى أن ينشده : إن الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهى ما شئت ثم تحوبى

وقوله : كذب العتيق ، أى عليك التمر . والعتيق : التمر . والعرب تقول : كذبك التمر واللبن ، أى عليك بهما . وبعض العرب ينصب – التمر – وهم مضر . وقال عمر رضى الله عنه : كذبكم الحج والقرآن ، أى عليكم بهما . وكذب هنا فعل لا يتصرف ولا يستعمل إلا فى الماضى خاصة] .

والبيتان فى (شعراء الجاهلية ٦/٨٠١) من شعر عنترة . وفى شرح المفضليات (رقم ١١٠ ص ٧٢١ ط أوربا) البيتان لعنترة العبسى ، وقوله : « فيكون جلدك مثل جلد الأجرب » أى أجتنبك ولا أقربك ، كما يتحامى البعير الأجرب . . وذلك أنها لامته على إيثاره فرسه عليها . والبيت الثانى ، فى النوادر لأبى مسحل الأعرابى ، لعنترة (والشاهد ٢٩ ص ١١٣) .

وفى (نوادر القالى ١٨٥ ، مجلس الخيل المنسوبة) الشعر قاله خزز بن لوزان – من بنى سدوس . فى فرسه الشيط ، ابن النعامة : فرس الحارث بن عباد . والبيت الثانى ذكره الجوهرى فى (ع ت ق) شاهداً على العتيق : الكريم والخيار من كل شىء : التمر والماء والبازى والشحم . . قال الشاعر : كذب العتيق (البيت) . وعلى هامشه : هو عنترة ، أو خزز بن لوذان السدوسى . وأنشده كذلك فى مادة (ك ذ ب) ولم ينسبه . وقال : « كذب قد يكون بمعنى وجب . وفى الحديث : « كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة كذب عليكم الجهاد » قال ابن السكيت : كأن كذب ههنا إغراء ، أى عليكم به . وهى كلمة نادرة جاءت على غير القياس . وجاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كذب عليكم الحج ، أى وجب . قال الأخفش : فالحج مرفوع بـ : كذب ، ومعناه نصب ، لأنه يريد أن يأمر بالحج : كما يقال : أمكنك الصيد ، أى ارمه . قال الشاعر : « كذب العتيق » البيت . وعلى هامشه : هو عنترة ، يقوله لزوجته عبلة . . وانظر تخريج البيت الثانى ، على هامش (النوادر ١١٣) .

وفى (ل : نعم) : قال عنترة

* عنترة ، بن شداد العبسى ، الشاعر الجاهلى الفارسى = ١١٣

وقال « أبو دُوادَ الإيادىُّ* » :

عَلِقَتْ هامتى ببعض مــا يَـ ... نَعُ منى الأعنــةَ الأَقدارُ[1]

وانجــرادى بهن نحو عدوٍّ ... وارتحــالى البــلادَ والتسيارُ

تلكمُ لذتى إلى يوم ِ مــوتى ... إنَّ موتاً وإن عمرتُ قُصارُ[2]

وقال « العَبْدىُّ* » :

أَلَا هَلْ أَتَاها أَنَّ شِكَّة حَازم ٍ ... لدىَّ وأنى قد صنعتُ الشَّموسَا[3]

= فيكون مركبك القعود ورحله ... وابن النعامة عند ذلك مركبى

قال ابن برى : وهذا البيت لخزز بن لوذان السدوسى ، وقبله : * كذب العتيق * البيت مع ٥ أبيات من هذه البائية .

(١) فى ض [همتى] والهامة الرأس والقامة ، الجمع هام .

(٢) القصار : المآل والغاية ، ويقال فيه : قصرك أن تفعل كذا ، وقصارك ، ويضم ، وقصاراك بالضم : أى جهدك وغايتك (ق) .

(٣) هى الأبيات الأربعة الأولى من مفضليته . وفى شرح الضبى : الشكة : السلاح . والشموس : فرس يزيد . والدواء : الصنعة للضمر .

وانظر (سمط اللآلى ٢ / ٧١٣).

* أبو دواد الإيادى : فى (جمهرة الأنساب ٣٠٨) أنه جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة ابن الشرق ، من بنى إياد .

وفى مؤتلف الآمدى (١١٥) جويرية بن الحجاج الإيادى . وعلى هامشه : فى رواية أخرى أنه جارية بن الحجاج . وهى رواية الأصمعيات (٦٥) وذكر ابن قتيبة الخلاف فى اسمه ، ولم يعقب (١ / ٢٣٧ معارف) وتكتفى أكثر المصادر ، بذكر المشهور من لقبه ونسبه : أبو داود الإيادى .

شاعر جاهلى مجيد ، يعدونه أحد نعات الخيل ، الثلاثة المشهورين — مع طفيل والنابغة الجعدى — وانظر : (الموشح ٧٣ والأمالى ٢ / ٣١٠ وسمط اللآلى ٢ / ٩٥٦ ، ورسالة الغفران ٤٠٥,٥٧٥) .

* العبدى : هويزيم بن خذاق (ف) الشنى من عبد القيس، شاعر جاهلى قديم، نقل «ابن قتيبة» فى ترجمته بالشعر والشعراء(١ / ٣٠٢) والبكرى فى (التنبيه ٢١) قول أبى عمرو بن العلاء : أول شعر قيل فى ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق :

هل للفتى من بنات الدهر من واق ... أم هل له من حمام الموت من راق

وهى المفضلية (رقم٨٠ / ٦٠٠) للممزق العبدى، وقال أبو عبيدة : هى ليزيد بن خذاق . وليزيد مفضلية الأخرى (رقم ٧٩ / ٥٩٧) منها الأبيات هنا . وانظر الأمالى ١ / ١٠ ومعجم المرزبانى ٤٩٥ .

وداويتُهـا حتى شَتَتْ حبَشيةً   كأنَّ عليها سـندساً وسدوسا[١]
قصرتُ عليهـا بالمَقِيطِ لقاحَنا   رباعية وبازلًا وسـدِيسا[٢]
فآضَتْ كتَيْسِ الرَّبْلِ تنزو إذا نزتْ   على رَبذاتٍ يبتـدرْن خنوسا[٣]

وقال آخرُ :

ويتــرك قيساً وقَيْسٌ لـه   عنـاجيجُ آخِـذَةٌ بالنَّفَسْ[٤]
يُقَــرِّبُها دونَ أبنــائه   ويُلحِفُهـا بُـرْدَه فى القَرَسْ

وقال « الضبى* » :

|| نُوَلِّيهـا الصـريحَ إذا شَتونا"   عـلى عـلاتِها ونَلِى السِّمـارا (42)
وتُمكِنُنـا إذا نحن التقَيْنا   من الأذْوادِ نَهْباً واقتِسـارا[٥]

وقال « الجُعفى* » :

باعُوا جوادَهمُ لِتسمَنَ أُمُّهم   ولكى يكونَ على فِراشهمُ فَتَى[٦]

---

(١) البيت فى (تنبيه البكرى : ٢١) شاهد على : الدواء ، بالكسر : الصنعة وحسن القيام على الدابة . وحبشية : أى اخضرت من العشب . وقيل : أراد بالدواء اللبن ، وكان أحسن ما يقومون به على الخيل . وانظره فى (الأساس : دوى) .

(٢) رواية المفضليات : * قصرنا عليها * وفى الشرح : لم يرو الضبى هذا البيت . ورواه أحمد بن عبيد .

(٣) فى المفضليات : * على ربذات يفتلين خنوسا * آضت : رجعت وصارت . والربل: نبت يتفطر فى آخر الصيف ترعاه الظباء فيتصل لها به الربيع والصيف. وفرس خنوس: لا يستقيم فى حضره (ف).

(٤) العناجيج : جياد الخيل ، واحدها عنجوج (ص) .

(٥) الذود ، من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر . مؤنثة لا واحد لها من لفظها . والكثير أذواد (ق)

(٦) الأبيات من قصيدة له أصمعية ، نقل منها « البكرى» فى (التنبيه) خمسة أبيات ، منها الأول والثانى هنا . وقال : أراد أنهم أخذوا دية أبيهم فآثروا باللبن أمهم وعيالهم ، على خيلهم . وانظر معه سمط (اللآلى ١ / ٩٤) .

* الضبى : شمعلة بن الأخضر بن هبيرة بن المنذر الضبى ، جاهلى فارس .
من قصيدة له فى قتل بسطام بن قيس الشيبانى (المؤتلف ١٤١)
والصريح : اللبن المحض . والسمار ، بالفتح : اللبن المخلوط بالماء (ف) وتسمير اللبن ترقيقه بالماء.
* الجعفى : هو الأسعر الجعفى (ف) مرثد بن حمران (انظر صفحة ٩٣) .

لكنْ قعيـــدةُ بيتِنـــا مجفُوَّةٌ باد جَناجنُ صدرِها ولها غِنَى[١]
راحوا بصائرُهم على أكتافِهم وبصيرتى يعـــدو بها عَتَدٌ وَأى[٢]

وقال «طُفَيل*»:

إنى وإن قلَّ مالى لا يفارقُنى مِثلُ النعامةِ فى أوصالِه طولُ[٣]
تقريبُه المَرَطى، والجَوْزُ معتدلٌ كأنه سُـــبَدٌ بالماء مغســـولُ[٤]

ومثلُ هذا كثيرٌ لا يُدرَك. ورُوِىَ أن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم، مسحَ وجهَ فرسِه بثوبِه..

نكونُ حُجُباً للطَّرْفِ، ونَشُمُّ أَرَجَ المُعرِسِ، وتَنْشَقُ أنوفُنا دُخانَ الرِّمْثِ

---

(١) أراد الشاعر أنه آثر الخيل على زوجته، فهى هزيلة. والجناجن: عظام الصدر، الواحد جنجن وجنجنة، بالضم. وقد يفتح (ص) والبيت فى (أمالى القالى ١/٢١، والكامل للمبرد ٣/٤٠١)

(٢) العتد: الذى ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. والوأى، الحمار الوحشى. وفى (المحكم) فى تفسير البيت: يعنى، تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا له، وطلبته أنا. والبيت فى الصحاح شاهد على: الوأى بالتحريك، الحمار الوحشى المقتدر الخلق. ونقل الجوهرى فى (ب ص ر) قول الأصمعى: البصيرة شىء من الدم يستدل به على الرمية. وقال أبو عمرو مثله. يقول الشاعر الأسعر: إنهم تركوا دم أبيهم وجعلوه خلفهم، أى لم يثأروا به، وأنا طلبت ثأرى. وكان أبو عبيدة يقول: البصيرة فى هذا البيت: الترس والدرع. وكان يرويه: * حملوا بصائرهم.. *

وانظر شرح المرزوقى للحماسة (١/١٣٤) ولم ينسبه. وخلق الإنسان (٢٤٨).

(٣) من لاميته (الديوان ٢٩، ورسالة الغفران ٥٤١):

هل حبل شماء بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٤) البيت أنشده الجوهرى شاهداً على تشبيه العربى الفرس إذا عرق بالسبد وهو طائر لين الريش إذا قطر على ظهره قطرتان من ماء جرى. ج: سبدان. والمرطى سير سريع.

* طفيل: بن عوف الغنوى، جاهلى (ف). ومثله فى (مؤتلف الآمدى ١٤٧،١٨٤)

وفى الشعر والشعراء ١/٤٥٣ معارف: طفيل بن كعب الغنوى. وهو طفيل الخيل. الشاعر المشهور، سمى «المحبر» لحسن شعره. وقال الأصمعى فى (فحولة الشعراء ١٦،٤١): «وطفيل عندى أشعر من امرئ القيس... ولم يكن النابغة وزهير وأوس يحسنون صفة الخيل، لكن طفيل الخيل غاية فى النعت» وانظر موشح المرزبانى ٣٤،٤١،٤٦،١٩٦ ورسالة الغفران ٥٤١.

وتنظرُ عيونُنا إلى نارِ الزحفتين[١] ؛ ونشاهدُ ما تَدحوه النعائم لِتَريكِها النضيدِ ، والمُكَّاءَ يتخذ عُشَّه فى اليَعضيدِ[٢] ؛ ونسمع زِمارَ النعامةِ وعِرارَ الظليم وترنمَ القائل إذا جلس فى خِبائه مع الخريدة ؛ وارتجازَ المُتَلبِّب لِلِقاءِ الكريهة[٣]. ونحن بعدُ شركاءُ القومِ فى الطعامِ والكُسْوةِ ومَحَلِّ الأَجسام. وليس فينا من يزعمُ أنه يَقدِرُ على موزونِ القولِ ، وإنما ذلك فضيلةٌ للإِنس .

أرأَيتَ[٤] السالفَ من الخيل المتقدمة ، كَ : أَعوجَ والوجيهِ ومُذهَبٍ وقَيْدٍ وبذوةَ وحَلَّاءَ وسَبَلَ وذى الصوفةِ والخُزَزِ وزادِ الركب ، وغيرهِن من فحولِ الخيلِ وإناثها[٥] ، لم يُرْوَ لِفَرَسٍ منها شعرٌ . وأَوْلاها بارتجالِ الأَوزانِ واقتضابِ الرجَزِ || والقصيدِ ، ما كان منها فى مِلْكِ الشعراءِ . لأَنها تَأْذَنُ (43) لِشَدوِهم بالأَشعارِ وهم جلوسٌ فوقَ الصهوَاتِ ، كخيل : « الكندِىِّ ، وعَدِىّ

---

(١) المعرس ، من العرس . والرمث شجر . ونار الزحفتين : نار العرفج سريعة الاشتعال ، يزحف إليها موقدها ثم يزحف عنها بعد أن تشتعل ، فهما الزحفتان .

(٢) تدحوه : تبسطه . وتريك النعامة بيضها . والمكاء : طير ، واليعضيد : نبت (ف) .

(٣) القائل : المستريح فى القيلولة . والخريدة : الجارية الحبيبة . والمتلبب : المتقلد بالسلاح (ف) .

(٤) انظر مع هذه الفقرة عن الخيل : مجلس الخيل المنسوبة (فى نوادر القالى ١٨٤) ومطلب الجوارى الخمس اللاتى وصفن خيل آبائهن ، فى (أماليه ١/١٨٦) .

(٥) أعوج : فرس كان لكندة ، لبنى آكل المرار ، تنسب إليه الأعوجيات . ثم صار إلى بنى هلال (ق ، والنوادر) .

والوجيه : فرس كريم لغنى ، قال طفيل :

عناجيج من آل الوجيه ولاحق   مغاوير فيها للأريب معقب

والمذهب ، بضم الميم : فرس أبرهة بن عمير ، وغنى بن أعصر . وقيد : فرس لبنى تغلب .
وبذوة : فرس لأبى سواج (ق ، ص) . وسبل : أم أعوج ، كانت لغنى بن أعصر .
وذو الصوفة ، ابن أعوج ، وأبو الخزز .
والخزز على وزن عمر : فرس لبنى يربوع ، وهو ابن ذى الصوفة .
وزاد الركب : فرس أعطاه سليمان عليه السلام للأزد ، حين وفدوا عليه .

وأبى دوادٍ ، وطُفيل* » .

ولم يأْتِ عنها بيتٌ من ذلك ولا مِصراع .

وتَلَاخيلَ العربِ فى التكرِمةِ ، إبلُها السائمةُ والمستعمَلة. وإنما جُمهورُ الموزونِ الذى نُقِلَ عن العرب ، فى الخيلِ والإبلِ والنساءِ. فهل سمعتَ أحدًا من الرواةِ نَسب إلى الناقةِ أو الجمَلِ بيتًا أو بيتين ؟

والمنثورُ من الكلِمِ جنسٌ للمنظوم . وعلى حَسَبِ ما يتسعُ فى القول المتكلمُ ، يتصرفُ لدى النظمِ الشاعرُ . ولذلك صَحَّ أن العربَ أوفرُ الأُمَمِ حَظًّا فى الموزون ، لأن لغتَهم تستبحرُ وإن لم تُبْنَ منها أوزانُ الشعر .

(٢٢) وقد علمتَ أن صوتَكَ له نوعان : الحَمحمةُ || والشحيج ، وكلاهما لا مَسْلَكَ له فى الموزوناتِ ، لأن الكلمةَ إذا اجتمع فيها ساكنانِ يتوسطانِها لم يُمكِنْ أن تُنْظَمَ فى حشوِ البيتِ العربى إلا فى موضع واحدٍ ، كقوله :

فَرَمْنــا القِصاصَ وكان التَّقَاصُّ فرضاً وحَتْماً على المُسلمينا

وليس ذلك بمعروفٍ ولكنه شاذٌّ مرفوض . وما شذَّ من كلِّ الأسماءِ فإنه لا ينكسِرُ به القياسُ . وإذا كان الساكنان جَمَعَ بينهما فى آخرِ الكلمة وقفٌ وسكوتٌ ، فإنما يُستَعمَلُ ذلك فى أواخرِ أوزانٍ معروفةٍ ، تسعةٍ أو عشرةٍ ، كقول القائل :

جــاءَ شَــقيقٌ عارضاً رمْحَــه إن بنى عَمِّــكَ فيهم رمــاحْ

---

* الكندى : امرؤ القيس ، وعدى : بن زيد ، وأبو دواد : الإيادى ، وطفيل : الغنوى وهم ، مع النابغة الجعدى ، أشهر نُعات الخيل من الشعراء (فحولة الشعراء للأصمعى) .

وعدى بن زيد بن حماد العبادى ، من بنى زيد مناة بن تميم ، الشاعر الجاهلى المشهور . فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام ١١٧) وفى (رسالة الغفران ١٩٣) إحدى قصائده فى وصف الخيل . وانظر مع ديوانه : الشعر والشعراء ١ / ٢٢٥ معارف ، ومعجم المرزبانى ٢٤٩ ، وموشحه ٧٢ ، والأغانى ٢ / ٩٧ بولاق ، وشعراء الجاهلية ٤٣٩ (النصرانية) .

هل أَحْـدَثَ الدهرُ لنا ضُؤلةً[١] ... أَم هل رَقَتْ أمّ شَقيقٍ سلاحْ[١]

وكقولِ «عمرو بن شاس*» :

(44) وكأسٍ كمُستدمى الغزالِ مَزجتُها ... لأَبيضَ عصَّاءِ العواذلِ مِفضالْ[٢]

كآدمَ لم يُؤثِرْ بعِـرنينِه الشَّبَا ... ولا الحبْلُ ،تخشاه القَرومُ إذا صالْ[٣]

فى أَشباهٍ لذلك .

والإبلُ أَكثرُ افتِناناً فى الأَصواتِ ، لأَن من أَصواتِها : الحنينَ والأَطِيط والسجعَ والتحوُّبَ والعجيجَ والجرجرة[٤] ، والهدرَ وأَصنافَه وهى : الفحيحُ والكتيتُ والكشيشُ والقصفُ والقرقرة والزَّغْدُ والشحشحةُ والقَلْخ[٥] . ومن أَصواتِها الرغاءُ والبُغام[٦] . وكلٌّ ذلك ، على اختلافِه ، لا تتـأَلفُ منه الأَوزانُ . وكذلك أَكثرُ أَصواتِ الحيوان ، لا تعتدلُ ولا يمكنُ دخولُها فى المنظومِ ، لأَنها تُقَطِّعُ الأَجراسَ أَو تَمُدُّ ، فيكونُ كالذى جمع بين ساكنَينِ أَو أَكثر . أَلا ترى أن العصفورَ أَقصرُ أَصواته إذا حُكِيَ ، حرفٌ متحركٌ بعدَه ساكن ،

(١) الضؤلة : الحقارة . وكانوا يقولون للرجل : سلاحك مرق ، أى لا يأتى عدوك ، وكأنه قد رقى (ف ، ض) ، والرقية ، واحدة الرقى . تقول منه : رقى فلاناً فهو راق ، واسترقيته فرقانى (ص) .

(٢) المستدمى : الأحمر كأنه مخضوب بالدم .

(٣) فى ض : [ولا الحبل] والقروم : الفحول (ف) جمع قرم ، وهو البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل ، كالمقرم ، ومنه قيل للسيد : قرم ، تشبيهاً بذلك (ص) .

(٤) الأطيط : صوت الإبل إذا أنت تعباً أو حنيناً . والتحوب : صوتها فى توجع وحين تزجر .

(٥) الفحيح هدر البعير كأنه صوت الحية أو الضب . والكتيت : أول هدر البعير ، والكشيش دون الكتيت . والقصف : صريف الفحل كأنه يرعد . والقرقرة : هدير لين يرجع فيه ، والزغد : الهدر الشديد . والشحشحة : تردد البعير فى الهدير كأنه صوت الأفعى من جلدها. والقلخ: هدر البعير الهائج .

(٦) الرغاء: صوت الإبل مجتمعة ، فى ضجة. والبغام : حنينها إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

* عمرو بن شأس : أبو عرار ، الأسدى . فى الطبقة العاشرة من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام) ، وهو شاعر مخضرم (الشعر والشعراء ١ /٣٣٨) من شعراء الحماسة (١/١٥١) ، وانظر الأمالى للقالى ١ /١٦٩ ، ٢ /١٨٩ ، ومعجم المرزبانى ٢١٢

ولو تابَعَ ذلك مُقَطِّعاً لَعُرِفَ لِصَوتِه حَدٌّ ، ولكنه يُواصِلُ بغيرِ فَصْلٍ فيخرجُ قَرِيُّه إلى غيرِ أصواتِ الآدَميين . والغُرابُ إذا حَكَوا صوتَه قالوا : غاقْ . وذلك متحرِّكٌ بعدَه ساكنانِ ، إلا أن تُكسَرَ القافُ فيصيرَ ساكناً بين مُتَحركين . ومَن تأَملَ صياحَ الغِرْبانِ وجدَها فى بعضِ الأَوقاتِ تبدأ بمتحركين بعدهما ساكنٌ ، ثم تَمُدُّ فيصيرُ ذلك فى الحكايةِ أربعةَ أحرُف . وقد يجوز أن تختلفَ أصواتُ الغربان بحسَبِ اختلاف الأَرَضِينَ والأَحيان .

وهذا الأَميرُ ـ أَعَزَّ اللهُ نصرَه ـ الذى أومأْتَ إليه ، عارفٌ بغوامِضِ القريضِ ، فإنما يُحمَلُ التمرُ من حضرتهِ إلى «هَجَرَ»[١] وتُهدَى الزَّهْرةُ من مَجلسِه إلى الروضةِ العميمةِ ، ويُسَافَرُ بالنُّغبةِ من عِلْمِه إلى البحر الزاخر . وماأَغناكَ أيها البائسُ أن يُضحَكَ منك فى الآدميين ، وأن تصيرَ هُزْأَةً فى جنسِك ![٢] .

(45) ومن بديع ما خَطَر لك ، توهمُكَ أن إلى إفهامِ || بنى آدمَ سبيلاً للحيوان : إنما يَعلمُ الرجلُ ظِمءَ فرسِه بِصَوتٍ يَسمعُه لم تَجْرِ العادةُ بمثلهِ فى حالِ الرِّىِّ . وكذلك يَعرِفُ طلبَه للقضيمِ أو المرتَعِ[٣] ، ونِزَاعَه إلى ما فارَقَ من الخيل . فأَمَّا أن يقولَ حيوانٌ ليس بالناطقِ كلاماً يفهمُه عنه الإِنْسُ فمتعذِّرٌ ذلك . وكلُّ ما تسمعُه من دَعوى العرب ، فإنما هو على معنى المجاز وتصوُّرِ الشىء بالصورةِ التى ليستْ له .

---

(١) هجر بالتحريك : اسم لعدد من البلدان ، بالبحرين واليمن وحضرموت . والتى ضربوا بها المثل ، هجر البحرين : وفى القاموس أن هجر اسم لجميع أرض البحرين ، ومنه المثل : «كمبضع تمر إلى هجر» ولفظ المثل عند «الميدانى» : كمستبضع التمر إلى هجر . ونقل فيه عن أبى عبيد ، أنه من قديم الأمثال . وذلك أن هجر معدن التمر .

ولفظه فى الصحاح : «كمبضع تمر إلى هجر» اسم البلد ، مذكر مصروف . . وقد يؤنث ويمنع . والنسبة إليه هاجرى على غير قياس ، وهجرى أيضاً ، كما فى ق .

(٢) رجل هزأة ، بضم فسكون : يهزأ منه . و بضم وفتح ، على وزن همزة : يهزأ بالناس .

(٣) القضيم : العلف (ف) .

وإنما مَثَلُكَ فيما سألتنى من إبلاغ مِدحَتِك إلى حضرة «السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ الملةِ أميرِ الأمراءِ» مَثَلُ الذئبِ لما وصفه «الحارثى*» وذكر ماءَ ورَدَه فقال :

وماءٍ كأنّ الطحلبَ الجَوْنَ فوقَه ... طروقاً على أرجائه ثائرُ الغِسْلِ[1]
وجدتُ عليه الذئبَ يَعوى كأنه ... خليعٌ خَلا عن كلِّ مالٍ ومن أَهْلِ[2]
فقلتُ له : يا ذئبُ هل لك فى أخٍ ... يُجازِى بلا غُرْمٍ عليكَ ولا خَذْلِ
فقال : هداكَ اللهُ إنك إنما ... دعوتَ لما لم يأتِه سَبُعٌ قبلى
فلستُ بآتيه ، ولا أستطيعُه ... ولَاكِ اسقِنى إن كان ماؤكَ ذا فَضْلِ[3] (٢٣)

* * *

فيجوزُ أن يُنطقَ اللهُ تعالى الشاحجَ فيقولَ :

الإكثارُ مظِنةُ العثار . ومَثَلِى ومَثَلُكَ ، مثلُ متَّخِذة النؤورِ والسيطلِ[4] .

---

(١) الطحلب الجون : نبات فطرى فوق الماء الراكد ، أخضر إلى سواد . والطروق : الإتيان بليل . والغسل : ما يغسل به الرأس .

(٢) الخليع : الذى خلعه أهله فلم يضمنوا ما جناه ، ويقال هو المقامر الذى قد قمر ، أهله وماله (ف ، ض) .

(٣) البيت من شواهد سيبويه وابن هشام. وذكره «الجوهرى» فى (الصحاح : لكن) غير منسوب إلى قائله ، وقال : أراد «ولكن» فحذف النون ضرورة ، وهو قبيح وبعض النحويين يقول : أصله إن ، واللام والكاف زائدتان ، يدل على ذلك أن العرب تدخل اللام فى خبرها ، أنشد الفراء :

* ولكننى من حبها لكميد *

(٤) النئور ، على وزن صبور : دخان الشحم . والسيطل ، على وزن حيدر : شبه طست له عروة ، وليس بالسيطل المعروف . وذكره السيوطى فى (شرح شواهد المغنى ٢٣٩) فى سياقه مع هذه الأبيات الخمسة ، للنجاشى الحارثى . مع خلاف يسير فى ألفاظ من الأبيات الثلاثة الأولى : =

* الحارثى : هو النجاشى الحارثى ، من بنى الحارث بن كعب (ف) ، وهو قيس بن عمرو بن مالك . شاعر مخضرم مجيد هجاء . وهجاؤه لبنى العجلان ، قوم ابن مقبل ، مشهور .
(الشعر والشعراء ١/٢٢٩ بيروت ، والإصابة ٦/٢٦٣) ، وانظر : رسالة الغفران ٢٤٧ ، والأمالى ٢/٢٥٦ ، وسمط اللآلى ٨٩٠ .

قرعتْه قرعةً خفيةً فأَجابَها بصوتٍ طال واتصل ، ودخل فى السمع بقُوة فأَفرط . وقد حان مُنصرَفى الليلةَ ، ولولا ذلك لكان جوابُكَ أقربَ من البُرَةِ إلى الناقةِ ومن المُرضِع إلى الإفاقة . وإن كانت لكَ إقامةٌ إلى الغدِ ، أَجبتُكَ جواباً مرضيًّا إن شاءَ الله . على أن المثلَ السائر : « ربما كان السكوتُ جواباً »[1] ؛ لا سيما إذا كان القولُ إزراءً بالمستمِع وطعناً من القائل . والعِيُّ أبـأَسُ من الشلَلِ[2] ، واللسانُ يُبِينُ عن الإنسان مثلَ || ما أنبـأَك عن لونٍ طَرْفٌ ، وخبَّركَ عن روضٍ عَرْفٌ . (46)

* * *

فيمضى الشاحجُ إلى مربَطِه ، ويبيت الصاهلُ بمكانِه .

حتى إذا الصبحُ وضَحَ ، عاد الشاحجُ على الأَدْراج ، حتى إذا كان من الصاهِلِ بالمَرْأَى والمَسْمَعِ ، أنطقه اللهُ ، إن شاءَ اللهُ ، فقال :

أَى التحيتين أَحَبُّ إليك : أَتحيةُ الجاهلية ؟ . فنَعِمَ صباحُكَ . أم تحيةُ الإسلامِ ؟ فسلامٌ عليك .

فيَردُّ الصاهلُ بِتكَرُّهٍ .

ثم يقول الشاحج :

أَما أَنفتُكَ من خُئولتى ، فإن الأَنَفَ أخو الشَّنَفِ ، وكلُّ متكبر مَقِيتٌ ،

= وماء قديم العهد بالورد آجن … يخال رضاباً أو سلافا من العسل
لقيت عليه الذئب يعوى كأنه … خليع خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له يا ذئب هل لك فى أخ … يواسى بلا من عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد إنما … دعوت (إلى آخر الأبيات)

(١) المثل بلفظه فى (مجمع الميدانى ١/٣٠٢) قال : وهذا كقولهم : ترك الجواب كالجواب . ونقل فيه قول أبى عبيد : يقال للرجل الذى يجل خطره عن أن يكلم بشىء ، فيجاب بترك الجواب . وقد أراه معبراً أيضاً عن موقف الرفض أو الإباء .

(٢) لفظ المثل عند الميدانى : عى أبأس من شلل . انظره فى أمثاله (٢/٨) .

وربَّ عبدٍ هو أزكى من سيدِه . وأَمَةٍ برئتْ من الآمَة ، أفضلُ من الحُرَّةِ لحِقتْ بها المَلامة . وأنسابُ الحيوانِ أمرٌ مخبوء . وما يدريكَ لعل « المرتجزَ » خالى ، و « الدلْدُلَ » من أسرتى ، و « يعفورًا » أبى أو عَمِّى؟[١] .

والجَسَدُ على النفسِ كريم ، ولعل فى ظنِّ المِنَنةِ أن ابنتَها أَحَقُّ بالحلى من الفتاةِ الحَسَنة . ولعل فى نفوس الكِرْوانِ أنها أحسنُ من الطواويسِ[٢] . ولولا الإسلامُ لم تُسلِمْ أَدِقَّاءُ العربِ الشرفَ إلى بنى عبدِ مَناف[٣] . و «سَلْمانُ*» عند الميزانِ أرجَحُ من الهُرْمُزانِ ، و «خَبَابُ بنُ الأَرَتِّ*» وإن كان ينتسَب إلى النَّبطِ ، قد قَرَعَ مَن ينتسبُ فى القبائلِ ذواتِ الحَسَبِ . وما تعترفُ الحبشةُ فى ديارِها أن أُمَّةً من الأُمَمِ أفضلُ منها فى السؤدد. و «بِلال بنُ حمامةَ*» لا يُدعَى لِ : «كعبِ بنِ

---

(١) الآمة ، بالمد والتخفيف : العيب ، وأصله ما تقطعه القابلة من سرة المولود (ف ، ض) ، وليال أوم : منكرة (ق) . والمرتجز : فرس كان للنبى صلى الله عليه وسلم ، والدلدل : بغلته ، ويعفور : حماره عليه الصلاة والسلام (ف ، ض) .

(٢) المننة ، على وزن فيلة : الظنبور ، وتسمى العنكبوت أيضاً مننة . والكروان ، بالكسر : جمع كروان ، بالفتح (ف) ، والضبط من (القاموس) .

(٣) أدقاء العرب : لئامهم . وبنو عبد مناف : آل النبى صلى الله عليه وسلم (ف) : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

* سلمان الفارسى : أبو عبد الله ، صاحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسابق الفرس إلى الإسلام . وخبر إسلامه فى الجزء الأول من السيرة لابن هشام ، وتاريخ الطبرى وطبقات الصحابة . ويروى أنه الذى أشار بحفر الخندق يوم الأحزاب . (الاستيعاب ، رقم ١٠١٤) .

* خباب بن الأرت : حليف بنى زهرة . ونسبه فى بنى تميم على ما ذكره «ابن عبد البر» لحقه سباء فى الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته ، فهو تميمى النسب خزاعى الولاء زهرى الحلف . قديم الإسلام والصحبة . ومن المهاجرين الأولين . انظره فى (الاستيعاب رقم ٦٢٨ ، والسيرة ١/٢٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٦/٣٤) وأعلام رسالة الغفران .

* بلال بن حمامة : هو بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو عبد الله ، مولى أبى بكر رضى الله عنه . أعتقه فكان سابق الحبشة إلى الإسلام . واسم أمه حمامة . فيما نقل ابن عبد البر عن المدائنى (الاستيعاب ٢١٣) .

والأراكةُ فى نفسِ الظَّبْيةِ التهامِيةِ ، أشرفُ من الرقلةِ عند حُرَّةٍ يمامية . والسِّدرةُ للعالقةِ أنفعُ من السَّحوقِ السامقة(١) . والسائِسُ فى الجمَّازة وهى من اللبَدِ ، يَحَسُّ الدابةَ ويَرى أنه أوْلى بناصِيَتِها من مالِكها . ويغدو الهاجرىُّ بالمِسَجَّةِ على المِجدَلِ ، وما يرتابُ فى أنه أحَقُّ بالطارقةِ من الربيبِ(٢) .

«زيدِ بنِ جُدعان*» لا يُقِرُّ بالمِنَّةِ لِ : «ابن مامةَ*» و «صُهَيبُ بنُ سِنان*»

وعلى ذلك جرت العصورُ السالفة .

وغرائزُ الحيوان قلما تعترفُ بالفضيلةِ ، بل تجدُ أدنياءَ العالَمِ يدَّعُون
(47) الفضلَ على أهلِ الأقدار ، والمُنغمِسين فى الضعَةِ || تلهَجُ ألسنتُهم بالافتخار . وربما صَوَّرت الغريزةُ لصاحبِها ما يقَعُ الإجماعُ على بُطْلانِه . تظُنُّ السمِجَةُ أنها جميلة ، والقصيرةُ أنها فارعة ، واليدُ البخيلةُ أنها سَمْحَة ؛ وإنما يَحمِلُ على ذلك قِلةُ التمكُّنِ من المعقول . ومَن كان ذا وَفارةٍ من اللُّبِّ كان بالعكسِ من هذه الصفة ، لأن عقلَه يُعلِمُه أن الله تعالى قادرٌ على أن يخلُقَ مَن يفضُلهُ . والحازمُ يرى التواضعَ فرضاً لازماً ، والأخْرَقُ يرى التكبرَ حظًّا جزيلا .

---

(١) اليمامية : نسبة إلى اليمامة . والسحوق من النخل والشجر : الطوال .

(٢) الجمازة : دراعة من صوف . والهاجرى : البناء . والمسجة : خشبة يسج بها البناء الحائط ، أى يطينه ، والمجدل : القصر (ق) . والطارقة : السرير الصغير . ويعنى بالربيب : ربيب الملك (ف) .

* كعب بن مامة الإيادى ، ابن عمرو بن ثعلبة (جمهرة الأنساب ٣٠٨) أحد أجواد العرب فى الجاهلية ، المضروب بهم المثل فى الكرم وحسن الجوار . انظره فى (أمثال الميدانى ١ ، ١٨٣ ، ٢ ، ١٧١ والأغانى ٥، ٩٧ ب ، والشعر والشعراء)

* صهيب : بن سنان ، مولى عبد الله بن جدعان التيمى . قيل إنه رومى ، وقيل إنه كان أسيراً فى أرض الروم ، ونسبه فى بنى النمر بن قاسط ، (جمهرة الأنساب ٢٨٣) ، وقد أعتقه عبد الله بن جدعان ، فبقى معه حتى مات . وأدرك المبعث فبايع النبى صلى الله عليه وسلم فى دار ابن الأرقم بمكة ، وكان سابق الروم إلى الإسلام (الاستيعاب رقم ١٢٢٦) ومنه الطرة فى (ف) .

* زيد بن جدعان : هو زيد بن عبد الله بن جدعان القرشى (ف) التيمى . انظره فى ولد عبد الله بن جدعان فى (نسب قريش ٢٩٣) ومعه : طبقات ابن سعد ١٠٣/٢ .

وكلٌّ شجرةٍ لا تقدِرُ على عُدوانِ الثمرة : فشجرةُ العَفْزِ لا تُثمِرُ بَلَساً، والسَّلَمةُ لا يُمكنُها أن تَجنِيكَ ثَعْدًا ، والأَراكةُ لا تونِعُ إلا بِمُرْدٍ وبَرِيرٍ[١]. ولو تكبَّر سِنانُ الرُّمحِ فقال فى نفسِه : إن اللهَ رفَعنى فوقَ أدواتِ الحربِ ، لجاز أن يُطعَنَ غِبَّ ذلك فينحطمَ فيصيرَ إلى الهالكىِّ ، فيجعلَه مسمارًا فى حافرِ هَجِينٍ مُقْرِفٍ[٢]. ولعلَّ النسرَ تكبر وهو فى أعلى اللوحِ وأُعجِب بأَنه ارتفع إلى مكانٍ لا يبلغُه كثيرٌ من الطيرِ ، فلم يلبث فنظر فإذا مكانُه أَخفَضُ من أماكنِ || خَشاشِ الطيرِ[٣]. ولعل الماءَ تواضَعَ وهو فى قَعْرِ البَحرِ فبعثَ اللهُ (٢٤)
[تعالى] لِساناً من السحُبِ فرفَعه إلى حَوْضِ المُزْنِ ؛ ثم إنه تكبَّرَ فنزل لِوَقتِه إلى القرارةِ المنخفضةِ ، فصار طوفاً كدِرًا تَخبِطُه أخفافُ الإبلِ ويعافُه الصادِى والعطشانُ[٤] .

وأما زعمُكَ أَنِّى ادَّعيتُ قرابتَك ، فلَونُ الحَبَشِىِّ شهيدٌ أنه حَامِىٌّ ، وتحطُّمُ الدَّرينِ أخبركَ أنه عامِىٌّ ،ومَشىُ الدابةِ على أربعٍ يُعلِمُ أنها بهيمة ، وصَئِىُّ المُقْعَدِ يَنسُبُه إلى العِكرِمَةِ دون كلِّ قُربَى[٥] .

---

(١) العدوان هنا بمعنى تجاوز الطبيعة والخلقة . والعفز : الجوز . والبلس : التين . والسلمة ، واحدة السلم : شجرة ذات شوك . والثعد : الرطب . والمرد : الغض من ثمر الأراك ، والبرير ، كأمير : الأول من ثمره (ق) .

(٢) الهالكى : الحداد . لأن أول من عمل الحديد : الهالك بن أسد (ق) . وفى (المعرب للجواليقى ١٦٥) : والهالكى الحداد ، لأن أول من عمله : الهالك بن عمرو . وقيل : إنما سمى الحداد بذلك لأنه يتهالك على الحديد إذا حلاه . ومنه سميت الفاجرة هلوكاً لتثنيها فى مشيتها . والهجين اللئيم : والمقرف ، على وزن محسن : ما يدانى الهجنة . والإقراف من جهة الأب ، أما الهجنة فمن قبل الأم (ق) .

(٣) اللوح : الهواء . ويجمع على ألواح . وخشاش الطير : ضعافها (ف) وما لا دماغ له من الدواب والطير (ق) .

(٤) الطوف ، بالضم : الغائط (ق) يعنى : الذى بالت الإبل فيه (ف) .

(٥) الدرين ، على وزن قتيل : يبيس كل حطام ، حمض أو شجر أو بقل . وأدرنت الإبل : رعت الدرين (ق) : والعامى : الذى أتى عايه عام . وصئى المقعد : صوت فرخ القطا قبل أن ينهض (ف) مثلثة ، والفعل : صأى ، كسعى . والعكرمة ، بالكسر : الأنثى من الحمام (ق) .

فالجنسيةُ قَرابَةٌ بين المتجانسات . ثم يتفرعُ ذلك إلى ترتيب الأنواع : فالحيوانُ كلُّه جِنسٌ بينه تقارُبٌ بالجِنسية ، فقد جمعتْنى وإياكَ الحيوانيةُ وكونُنا من ذواتِ الأربع قرابةٌ ثانيةٌ . وأَخَصُّ من ذلك أننا من ذواتِ الحافرِ . || (48)

وجائزٌ فى المنطقِ أن يقولَ « العبْسِىُّ عنترةُ* » للرجُلِ من ولدِ حامٍ لا تضُمُّه وأُمَّ العبسىِّ قبيلةٌ من قبائل الحبشةِ ولا بلدٌ من بلادِهم : يا خالى . وقد جاءَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول للرجلِ من هلالِ بن عامر : « يا خالى » لأن بعضَ نسائهم ولدتْ بعضَ أجدادِه صلى اللهُ عليه وسلم[١] . وقد يقولُ الشابُّ المقتَبَلُ للشيخ المُسِنِّ ، وليس بينهما قرابةٌ ولا معرفةٌ : يا عمٌّ . وهو يريد التقرُّبَ منه والتَّحنُّنَ . وكذلك يقولُ الشيخُ الكبيرُ للفتى الناشئ : يا ابنَ أخى . وجَارٍ على أَلسنةِ العامةِ والخاصةِ ، أن يقولَ أحدُ المتَجاوِرَيْنِ للآخرِ : يا أخى ؛ وأَحدُهما رومىٌّ والآخرُ فارسىٌّ أو عربى . وإنما الغرضُ فى ذلك التوددُ ، وأن آدمَ - صلى الله عليه - ولَدَ البشرَ كلَّهم ، فكما أنه يقالُ للرجلِ : ابنُ آدمَ ، وبينهما من الآباءِ ما اللهُ به عليمٌ ، فكذلك يكونُ الرجلانِ أخوَيْن للآدميةِ .

وذواتُ الجَناحِ كلُّها إخوةٌ لمكانِ الرِّيشِ ، وإن كان بعضُها يعدو على بعض ، وسباعُها تقتنِصُ بَغاثُها ، غيرَ حافلةٍ بقرابةِ الجنسِ[٢] .

وما أَفقَرَ العِلْجَ الوحشِىَّ إلى دعوى الصِّلِّيانةِ وهى فى فيهِ ! وهل يُقِيمُ

---

(١) انظر قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى هلال بن عامر بن صعصعة ، من قيس عيلان بن مضر ، فى (جمهرة أنساب العرب ٢٦٢) ذخائر

(٢) بغاث الطير : ما لا يصيد منها (ف) ضبطها « المجد » : مثلثة ، ضعاف الطير . ومنه قولهم : إن البغاث بأرضنا يستنسر ، أى : من جاورنا عزّ بنا .

* العبسى عنترة = ١١٣

الظبيُ الراتعُ بَيِّنةً على تلك الحُليةِ وقد جعلها بين فكَّيه ؟ وليس بالضبِّ حاجةٌ إلى ادعاءِ العِترةِ النابتةِ عند الكُدْيةِ ، وهي تُسمى شجرةَ الضبِّ[١] .

واللهُ تعالى جعلني وإياك قِرنَيْنِ فقال :

« والخيلَ والبغالَ والحَميرَ لتركَبوها »[٢] .

والأُتُنُ في أُكفِها لا تسلِّمُ الفضلَ إلى الخيلِ في سُروجها. والعتارفُ على السُّباطةِ لا تُقِرُّ للظُّلمانِ بالمفازة. ولو تنافَر دِيكٌ وظليمٌ لجاز أَنْ يُقضَى للديك[٣] .

وأما أَمرُكَ إِيايَ بالصبرِ ، فإنَّ فضلَ ربِّنا لا يُحظَرُ ، والفرَجُ من عنده يُنتَظَر . وكيف لا تَأْمُرُ نفسَكَ بذلك إذ تَبحثُ بِيَدَيْكَ تطلبُ الشعيرَ

|| وقد علمتَ أَنْ من أَجْلِكَ حُمِلَ على البَعيرِ وأنه آتِيكَ لا مَحالة ؟ فهلا (49)

صبرتَ ساعةً حتى يأْتيَك به سائسُكَ من قبلِ ظهورِ جَشعِكَ وحِرصِك ؟ وكذلك تُحمحِمُ تريدُ الماءَ ، وربُّك ما بسط لكَ الأَظماءَ[٤] ، وقد اشترى الشعيبَ المُوثَّقَةَ لِيرويَكَ بها من باردِ النزوع ؛ وقد رأيتَه يؤثرُكَ بِلَبنٍ صُرَاحٍ ، أَفحسبتَه يمنعُكَ من القَراح ؟ إن ذلك لَظَنٌّ أَفِينٌ[٥] .

وإنما مَثَلي ومَثَلُكَ ، مثلُ رجلٍ سأَل آخرَ أن يُرشِدَه إلى الطريقِ فأَرَاه الفرْقَدَ أو الجدْيَ ، لقد أَبعدَ عن الهَدْيِ ! أو مثلُ ظمآنَ استَسْقَى في المَقيظِ فقيل له : إن بمكانِ كذا مُدهُناً يمتلئُ من وَسْمِيِّ الربيع[٦] ، وأَنَّى

---

(١) الصليانة ، واحدة الصليان : شجر صغار ترعاه حمر الوحش (ض) والحلية ، واحدة الحلى ، على وزن غنى : ما ابيض من يبيس النصى . (ق) والعترة ، واحدة العتر : شجرينبت عند غار الضب . والكدية : الأرض الغليظة (ض) .

(٢) من آية ٨ سورة النحل . وتمامها :
« والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » .

(٣) الأتن ، جمع أتان : إناث الحمير . والأكف ، بضمتين : جمع إكاف . والسباطة : الكناسة (ف) تطرح بأفنية البيوت (ق) والمفازة : الفلاة .

(٤) ربك : يعنى به هنا : صاحبك ومالكك. والأظماء، جمع ظمء بالكسر : ما بين الشربين . وبسط بينها : باعد .

(٥) الشعيب : المزادة . والقراح : البارد الصافى . والأفين : الأحمق .

(٦) المدهن ، بالضم : آلة الدهن وقارورته ، ومستنقع الماء . أو كل موضع حفره سيل أو مطر . (ق) والوسمى : أول المطر .

له بذلك ومطلعُ الذراعِ ما كان ، لا غيرها من النجومِ الأَسَدِيَّةِ ، وإنما يُرجَى بردُ الليلِ بعد مَطلِعِ سُهَيل ؟ ومثلُ رجلٍ آخرَ استَطعم رجلًا من لحمِ جَزورِه ، فقال : ألا أَدُلُّكَ على خيرٍ من ذلك ؟ إن جبلَ كذا من أَجبالِ السَّراةِ ، وهومنا على سِتٍّ أو سَبْعٍ ، يُنبِتُ النبعَ ، فاذهبْ إليه فاخترْ حَظْوةً على عَيْنِك ، ثم اصنعْ لك منها قوساً ، فاقعُدْ بها على مَوارِدِ الأَراوىِّ ، فإن لحمَها رَخْصٌ ؛ وقد قال الأول :

أَقولُ لِعَمْرٍو إذ مرَرْنَ بَوارِحاً ... وهُنَّ لنا الإِكتابُ والصَّيْدُ مُخلِقُ[1]

(٢٥) || ألا إنما التمرُ الذى أنتَ آكِلٌ ... هوَ الأُهْبُ والمسترَخَصُ المتمزِّقُ[2]

فَعِنْهنَّ أو فاسبُبْ فتلكَ رِمايةٌ ... لها عند دَبَّاغِى تِهامةَ مَنفقُ[3]

فأحسن اللهُ جزاءه على بُعْدِ الإرشادِ !

مَن حَسُنَ عملُه حَسُنَ قولُه . وأَبَى حَفْلُ الناقةِ المعذرةَ ، ومَرَاحُ السَّوَامِ لن يُنجِىَ الباخِلَ من لذعِ اللُّوَّام . اضرِب العراقيبَ فأَشبِعْ ضيفَكَ وأَطْعِم اليعاقيبَ[4].واحلُبْ فى إنائكَ للعَيْمانِ إذا نزل بفنائك ، فرَكْبٌ || يشكرُها (50)

---

(١) البوارح من الصيد : ما مر من ميامن الصائد إلى مياسره .

والإكتاب : الدنووالاقتراب بحيث ينال (ض) ويقال : أكثبك الصيد ، أى أمكنك .

(٢) الأهب : جمع إهاب وهو الجلد ما لم يدبغ . والمسترخص — فى ض [والمستصرخ] — الذى تطلبه وتجده رخيصاً لقرب مناله . و وجه التمثيل بالشاهد هنا،أن عمراً لو اصطاد الطير البوارح، وسلخ جلدها فباعه ، لأكل بثمنه تمرا .

(٣) عنهن : فعل أمر بمعنى : ارمهن فى عيونهن ، أو فاسبب : أى ارمهن فى سُباتهن ، وهى الأدبار . واحدها سبة . قال الشاعر :

إذا ما قاتلونا سررناهم ... وإن أدبروا فهم من نسب (ص)

وفى (ض) سبه يسبه : طعنه فى السبة وهى الاست . ومثله فى (ف) .

(٤) السوام : الإبل الراعية . واضرب العراقيب ، يعنى اعقر الإبل. واليعاقيب : الطير التى فى أعقاب القوم .

لديكَ أَوْلى بما فى صَحْنِكِ ورفدَيكَ من نِساءِ يَشربْنَ المَحْضَ ويَقِينَ[١]، ولا تعرِفُ من خَبَرِهن اليقينَ. ولعل ما جَمَعْنَه فى العَضُدِ والساقِ عن ألبانِ لُقْحٍ مَنَاق، كان مُتْعَةَ مُعاديكَ، ولا يشكُرُ ما فرَط من أياديك.

وأما ذَمُّكَ بنى آدمَ وصِفَتُكَ إياهم بالعُنفِ المُفرِط، فإن إحساناً سَبَقَ فَربَقَ، وإكراماً ما ترك لكَ[٢] مَراماً: بَغَوْكَ العُضَّ بالذهب فأطعموكَ، وقربوكَ فى المنازلِ فأكرموكَ؛ وحَبَوكَ فى الربيعِ الباكرِ نضيرًا وسقوكَ فى الزمانِ الوَمدِ باردًا نَميرًا؛ ولَحفُوكَ بثيابِهم فى القَرَسِ وآثروكَ على عيالِهم بالقُوتِ واللبَنِ؛ وصَانُوكَ أن تَنْزُوَ فتضعُفَ قُوَاك، أو تَطْرُقَ حَليلاتٍ لِسِوَاكَ فيجىءَ وَلَدُكَ مشهورًا فى الحيوان! وقد زعم بعضُ العلماءِ أن «أخْدَرَ» كان فرساً لبعضِ الملوكِ، فذهب فى الأَرضِ فتوحَّشَ، فولَدُه — لَما طَرَقَ الأُتُنَ — يُضرَبُ به المَثَلُ فى حَميرِ الوحش! وهذا قولٌ حُكِيَ وما زُكِى، لأن ولدَ الفَرَسِ من الأَتانِ بَغْلٌ. وإنما ذكرتُ ذلك لأنه شىءٌ قِيلَ، ولعله من أَحاديثِ الأَعرابِ الذين يزعمون أن الجنَّ تَلِدُ فى الإنس، وأن «سِنانَ بنَ أبى حارثةَ، صاحبَ الحَمالةِ*» وهو شيخٌ فانٍ رَكِبَ ناقتَه

---

(١) العيمان: المشتهى للبن (ف) والعيمة: شهوة اللبن والماء (ق)
يقين، لعلها من التقين: التزين. ومنه القيان جمع قينة.

(٢) كلمة [لك] سقطت من (ض) وربق: قيد، من الربق: الحبل والقيد. والعض، بالضم: خليط من الشعير والحنطة لعلف الإبل. وفى (طرق ف) أنه علف أهل الأمصار.

* سنان بن أبى حارثة؛ والد «هرم بن سنان» ويعنى بصاحب الحمالة: ما حمل من الديات فى الصلح بين عبس وذبيان (ف).

أبوهرم، سنان بن أبى حارثة بن مرة من سعد بن ذبيان (جمهرة الأنساب ٢٤٠)، وكان مضرب المثل فى الحزم والحلم (مجمع الأمثال ١/٢٢١)، وقصة ذهابه فى الأرض، وهوشيخ فان، ذكرها «الميدانى» فى أمثاله (١/٤٢٥)، وقال إن العرب سمت سنان بن أبى حارثة المرى: «ضالة غطفان»، وكان قد ركب ناقته «الجهول» ورمى بها فى الفلاة فلم ير بعد ذلك. وأشار إليه «زهير» فى قوله:

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغى غطفان يوم أضلت =

والحَىُّ بنَخْلٍ ، فذهب فى الأَرضِ فلا يُعلَمُ له خبرٌ إلى اليومِ ، وأن الجنَّ أخذتْه فاستفحلتْه !

فزاد اللهُ عقولَهم من الخسارة ! وأَىُّ فِحْلةٍ كانتْ فيه وقد بلغ أَكْلاَ العُمرِ ؟ أفأَعْوَزَ الجنَّ صَبِىٌّ يأخذونه فيُربُّونه للفِحْلَةِ ويستقبلون به عُنفوانَ الشبيبة ؟

والذى يشهدُ به المعقولُ أن أَخْدَرَ حمارٌ معروف . ويقال إنه حمارٌ أَهلِىٌّ توحَّش فعَسِبَ فى عاناتِ الوحش ، ولَدُه فى سِيفِ كاظمةَ إلى اليوم[1]

وما أَحسَبُكَ تطيقُ كُلْفةَ البَرِّ . لو أَنك وردتَ ماءً بصُنَيْبِعاتَ ، ورْدَ وحوشٍ مُرتَبِعاتٍ . فألفيتَ ماءَها قد نضَبَ ، لَضاق مذهَبُكَ عليك . || أو لو (51)
زُرتَ عَيْنَ أُثالٍ وغُمَازَةَ تريدُ المورِدَ ، لَجاز أَن تُلْفِىَ عليها صائدًا يلتَمِسُ وَذْرًا من لحمِك رائدًا ، إذ كنتَ أَكثرَ من العَيْرِ نَحْضاً ، وأَشدَّ إشباعاً للدَّرْدَقِ عَدِمُوا قَرْضاً[2] . وقد علِمتَ أَن فارِسَك يَستقِيكَ من الجَرورِ المُطلِبِ إذا طلعتِ الشِّعرى العبورُ[3] . ومن إنعامِ بنى آدمَ عليكَ أَنهم حَلَّوا مركبَكَ ولجامَكَ منَ اللُّجَيْنِ والعسجدِ بمِثْلِ ما حُلِّيت الكرائمُ ، وجنَبوكَ فى الموكبِ كأَنك الهَدِىُّ ناظرًا فى عِطْفَيْكَ[4] . ولو أنك بوَجْرَةَ لَمارستَ من الرَّتَبِ

= قال الميدانى : وزعمت أعراب بنى مرة ، أن سنان لما هام، استفحلته الجن تطلب كرم نجله . وضرب به – من ثم – المثل فى اليأس من الأوب ، فقيل : لا أفعله حتى يرجع ضالة غطفان (١ / ٢٣٣).

(١) فى القاموس : وأخدر فحل أفلت ، فضرب فى حمر بكاظمة ، والأخدرية من الخيل ، منه . عسب ، بمعنى ضرب . والسيف : الساحل .

(٢) صنيبعات : ماء معروف ، ترده الوحش (ض) والضبط من (بلدان ياقوت)
وعين أثال ، وغمازة : ماءان . والدردق : الأطفال والصغار .
والوذر : القطع من اللحم ، والدردق : الصغار (ف) .

(٣) الجرور المطلب : الآبار البعيدة التى يستقى منها على ظهور الدواب (ص) والشعرى : نجم مضىء خلف الجوزاء يطلع فى شدة الحر (ف) .

(٤) الهدى : العروس .

وأُوَارِ القيظِ وصنابرِ الأَريزِ ، ما ذَرْعُكَ به غيرُ رَحِيبٍ[١] .

وأما ذِكرُكَ ما قضب « الفرزدقُ* » به الأُتْنَ ، فإنما تلك سِهامٌ ليستْ ذاتَ رِيشٍ ونصال . والشاعرُ غيرُ صادقٍ فى المدحِ ولا فى الهجاءِ . وذمٌّ القائل من الشعراءِ دَالٌّ على فَضْلِ المذمومِ مِثْلَ ما دَلَّ المدحُ عليه . لأَن المدحَ ونَقِيضَه إنما يكونان لمن عُرِفَ وشُهِرَ . والنفوسُ بُنِيَتْ على السخط وجَنْيِ الذنوب . وليس يَرضَى عن الرجُلِ ولدُه فى كلِّ الأحيانِ ، فما بالُ جارِه الجُنُبِ وعشيرِه البعيد ؟ وهل الأُتْنُ فيما قال : الفرزدقُ* » إلا كالأَينُقِ وبنى فَزارَةَ؟[٢] مالَحِقَ الإِبلَ عيبٌ فى ذلك ولا الأُنيسَ ؛ ونحوِ ما وُجِدَ فى الشِّعرِ القديم من تعييرِ قريشٍ بأَكلِ السخينةِ ، وثَقيفٍ بصيدِ الرخَمِ ، وبنى حنيفةَ بأَكلِ معبودٍ كان لهم من الحيسِ ؟[٣]

(٢٦) ما نطق ‖ به « ابنُ الزِّبعرى* » لَغَيْرُ لاحقٍ بالشِّعرَى ، وما أَرسله

(١) وجرة : مفازة بين مكة والبصرة ، أربعون ميلا ليس فيها منزل (ق) . والرتب ، محركة : غلظ العيش وشدته . وصنابر الأريز ، جمع صنبر : أشد البرد (ف) .

(٢) يشير إلى ما هجى به بنوفزارة ، من غشيان الإبل فى مثل قول الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزارى ، والى العراق ليزيد بن عبد الملك :

أوليت العراق ورافديه فزارياً أحذ يد القميص
ولم يك قبلها راعى مخاض ليأمنه على وركى قلوص

والبيتان من شواهد الصاهل والشاحج . وقال سالم بن دارة ، يهجو بنى فزارة ، وذكر البقر :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

وانظر أعاريض الشعراء فى (تنبيه البكرى ١٢٣) مع هجاء فى بنى فزارة .

(٣) السخينة ، كسفينة . طعام رقيق يتخذ من دقيق ، ولقب لقريش لاتخاذها إياه ، وكانت تعير به (ق) والحيس : تمر معجون بسمن وأقط .

* فى ض : [جرير] . والسياق للفرزدق كما فى (ف) . وانظره فى ص ١٢٠

* ابن الزبعرى ، عبد الله بن قيس بن عدى القرشى السهمى (نسب قريش ٤٠٢) . أول شعراء مكة فى (طبقات ابن سلام ١٩٥) ، كان من أشد شعراء قريش على الإسلام ، وفى (السيرة وتاريخ الطبرى : عصر المبعث) قصائده فى هجاء المسلمين من بدر إلى الفتح . وقد هرب يوم الفتح إلى نجران ثم عاد فأسلم وحسن إسلامه واعتذر عن ضلاله ، وشهد ما بعد الفتح من المشاهد (الاستيعاب رقم ١٥٣٣) .

« الحُطَيئةُ* » من كَلِمٍ ليس بِمُقانٍ[١] ، ذهب فلم يَعْلَقْ « بالزِّبرقانِ* » .

وما ضَرَّ فوارسَ المَرُّوتِ[٢] هَذْرُ « الفرزدقِ » بشِدْقٍ مهروت

وإن دَارِماً[٣] ذاتَ الشرفِ ، لم ينقص شرفَها مِنْ قَريرٍ ، تهكمٌ يُنقَلُ عن المرءِ « جرير » .

ولم يُصَدَّق « البُرْجُمِيُّ* » أنْ زَعم أن المرأةَ بالكلبِ زَنَىَ .

---

(١) ليس بمزين (ف) يكون من : قانية ، أى دانية . ومن : قانيت ، أى خلطت (ض) .

(٢) المروت ، على وزن سفود : واد لبنى كليب بن يربوع ، قوم جرير . والمهروت : المشقوق .

(٣) دارم : قوم الفرزدق ، من سادات بنى تميم . وانظر أهاجى الشاعرين فى (النقائض) .

* الحطيئة : جرول بن أوس ، الشاعر الهجاء المخضرم ، انظر مع ديوانه ترجمته فى : طبقات ابن سلام ٦٣ ، والشعر والشعراء ١/٣٢٢ معارف ، ومعجم المرزبانى ٣٣٨ ، والإصابة ٢/٦٣ ، ورسالة الغفران .

* الزبرقان : الحصين بن بدر التميمى ، من سادات بنى تميم فى الجاهلية والإسلام (جمهرة الأنساب ٢٠٨) ، وفى السيرة والاستيعاب (٨٦٦) خبر قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد أشراف بنى تميم عام الوفود . وخبر هجاء الحطيئة قوم الزبرقان ، مشهور ، وقد استعدوا عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحبسه فى قوله فيهم :

ملوا قراه وهرته كلابهم ومزقوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

* البرجمى ، هو ضابئ بن الحارث (جمهرة الأنساب ٢١٢) ، أول شعراء الطبقة التاسعة من فحول الإسلاميين (ابن سلام ١٤٤) و (الشعر والشعراء ١/٢٦٧ بيروت) وكان من خبره ، الذى يشير إليه الشاحج هنا ، أنه استعار كلباً اسمه قرحان ، من بنى جرول بن نهشل . فلما طال عنده وامتنع عن رده إليهم ، عرضوا له فأخذوا كلبهم عنوة ، فغضب ورمى أمهم بالكلب وقال فيما قال :

تجشم دونى وفد قرحان شقة تظل بها الوجناء وهى حسير
فأمكم لا تتركوها وكلبكم فإن عقوق الأمهات كبـــير

فاستعدوا عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فقال : ويحك ، ما سمعت أحداً زنَّى امرأة من المسلمين بالكلب غيرك . وحبسه (الطبرى ٥/١٣٧) . وانظر : كامل المبرد ١/٣٨٧ ، ٣٢٠ وشرح شواهد المغنى ٢٩٣

وزَلَّ قولُ «الحارثى*» فما سَلِكَ بِـ «الأَخيليةِ» وإن كان ما نطقَ، عن غير أَلِيَّة.

(52) وما غاض كرمُ ‖ «أَوْسِ بنِ حارثةَ*» فى الرِّفْهِ والعِشْرِ، لما رُوِىَ من أَشعارِ «بِشر».

و «أَعشى قيسِ بنِ ثعلبةَ*» ما رزأَ «علقمةَ*» فتيلا عن مجد.

وما قذف به «النُّمَيرىُّ*» «أَمَّ خنزرٍ*» ما مَسَّ لها ذيْلَ مِئزَر.

---

* الحارثى: النابغة الجعدى (ف) والمشهور فى كنيته ونسبه، أنه أبو ليلى قيس بن عبد الله الجعدى، من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التميمى. (انظر صفحة ١٦٥)

* والأخيلية: ليلى بنت حذيفة بن شداد بن كعب بن الأخيل بن الرحال العقيلى (جمهرة الأنساب ٢٧٤) الشاعرة الأموية المجيدة. ديوانها مطبوع فى بغداد ١٩٦٧، وترجمتها فى الشعر والشعراء ١/٤٤٨ معارف). وانظر فحولة الشعراء للأصمعى ٤٥,٣٧,٣٤,٢٧، وأمالى القالى ١/٨٦، ٩٠)، وأهاجى النابغة الجعدى فى ليلى، فى ديوانه، وفى ترجمته بطبقات ابن سلام والشعر والشعراء. وقد ردت عليه فغلبته. ومن ردها عليه، أولى قصائد (أشعار النساء للمرزبانى) مخطوط بدار الكتب المصرية

* أوس بن حارثة بن لام الطائى، من سادات العرب فى الجاهلية (جمهرة الأنساب ٣٧٦) أغرى بعض حساده الشاعر «بشر بن أبى خازم بن عمرو بن عوف الأسدى» بهجائه، فأنذر أوس بقطع لسانه. وجىء إليه ببشر، فعفا عنه أوس بمشورة أمه سلمى، وأجزل له العطاء، وأشعار بشر فى هجاء أوس، ثم فى مدحه: فى ديوانه (ط دمشق ١٩٦٠) وانظر معه: الشعر والشعراء، والمفضليات، ومختارات ابن الشجرى، وفحولة الشعراء للأصمعى

* أعشى قيس، أبو بصير = ١١٢.

* علقمة بن علاثة بن عوف، بن الأحوص بن جعفر بن كلاب (جمهرة الأنساب ٢٦٦)، تنازع الرياسة مع عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وتنافرا. وتعصب الأعشى لعامر وهجا علقمة. وقال فيما قال:

علقم ما أنت إلى عامر　　الناقض الأوتار والواتر

فنذر علقمة دمه، ثم عفا عنه فقال ينقض هجاءه الأول:

علقم يا خير بنى عامر　　للضيف والصاحب والزائر

والضاحك السن على همه　　والغافر العثرة للعاثر

وانظر مع ديوان الأعشى، ترجمة علقمة فى (الاستيعاب ١٨٤٨) ورسالة الغفران ١٧٥.

* النميرى: الراعى (= ١٣٩) هاجى «الحلال بن الأرقم النميرى» وسماه: خنزراً، وقذف أم خنزر. انظر الخبر والشعر فى: الديوان، وطبقات ابن سلام ٤٤٧، وشرح الحماسة ٤/٣٥.

ولا أَطفأَ « زيادُ* » من عَقِيقةٍ ، لما شتم بنى الشقيقة .

وما أمرُ « ذى الرمَّةِ* » بِكَيْسٍ ، إذ يقصِدُ بسَبِّه « امرأَ القيسِ* » .

وما جاءَ « زُهيرٌ* » بجدَّاءَ ، إذ يقذفُ بِـ : « يَسارٍ » آلَ الصيداء ، هلا نطق باقتصادٍ ، كما فَعل فى بنى مَصَادٍ ؟

وكذلك المديحُ فى كلِّ زمانٍ ، ما رفع قدرَ مُشئمٍ ولا يَمانٍ .

وما الذى أَفاده رسولُ الله [صلى الله عليه وسلم] لما امتدحه « كعبٌ* ، وحَسَّانُ* » .

---

* زياد : هو النابغة الذبيانى (ف) زياد بن معاوية ، فى الطبقة الأولى من فحول الشعراء الجاهليين . (طبقات بن سلام) وانظر مع ديوانه : الأغانى ١١ / ٣ ، ومختارات ابن الشجرى ، والشعر والشعراء ، ورسالة الغفران ٢٠٢ . هجا بنى الشقيقة بنت أبى ربيعة بن ذهل (الديوان ١٤١)

* ذو الرمة = ١٢٦

* امرؤ القيس : بن زيد مناة . وكان من خبر الهجاء ، أن ذا الرمة مر بمنزل به نخل اسمه « مراة » لامرئ القيس ، فلم يقره القوم . فقال يهجوهم الديوان (٦٨ / ٥٢٢) :

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت ... علينا حصى المعزاء شمس تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمنة ... عتاق وأسياف قديم صقالها

فلما رآنا أهل مرأة أغلقوا ... مخادع لم ترفع لخير ظلالها

وقد سميت باسم امرئ القيس قرية ... كرام صواديها لئام رجالها

وقال من قصيدته (رقم ٦٧ / ٥١٨) :

لعلك يا عبد امرئ القيس مقعياً ... بمرأة فعل الخامل المتذلل

عليك امرأ القيس التمس فعالنا ... ودع مجد قوم أنت عنهم بمعزل

تجده بدار الذل معترفاً بها ... إذا ظعن الأقوام لم يتحول

ولج الهجاء بينه وبين هشام المرئى الراجز . انظر مع الديوان (طبقات ابن سلام ٤٧٠) .

* زهير : بن أبى سلمى المزنى (ص١٤٣) وفى الديوان وشرحه ، تفصيل خبره وغلامه « يسار » مع بنى الصيداء بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ، من بنى مدركة بن إلياس .

* كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى . من كتيبة شعراء قريش فى حرب الإسلام ، وقد غاظه إسلام أخيه بجير بن زهير ، فهجا الرسول عليه الصلاة والسلام حتى نذر دمه . ثم قدم عليه متنكرا ، بعد منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف ، فبايعه وأنشده قصيدته المشهورة * بانت سعاد * انظره فى طبقات ابن سلام ٨٢ ، والشعر والشعراء ، والاستيعاب رقم ٢١٩١ .

* حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى الخزرجى ، أبو عبد الرحمن . الشاعر المخضرم الكبير . أسلم مع قومه الأنصار ، وكان شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإن لم يشهد معه مشهداً ، بل كان =

وهل يلتئمُ بالمدحِ شعبٌ ؟

ما قيل فى «عمرو بنِ هندٍ*» لم يجعلْه من سيلِ المنيةِ بفِنْدٍ .

وما نُظِمَ فى «النعمان *» لم يأتِه من الموتِ بأمان . لم يُثبِتْ له مَنقَبَةً ، أن يقالَ فيه الأشعارُ المتعقَّبة .

وما قُلِّدَه جِيدُ «الحجَّاج*» ليس باللؤلؤِ ولا بالجاجِ[١] . . .

وأيٌّ قولٍ ظعن فى الريح ، ولم يَفِ بهجاءٍ صريح .

وأما زعمُكَ أنى أدَّعِى نظمَ الكَلِمِ ، فقولٌ منك أنبأنا عن قِلةِ تأَمُّلِك ، وعجَلتِك فى شئونِك. إذ كنتَ لا تعدَم أحدَ أمرين : إما أن تُبطِلَ القياسَ ، وإما أن تُثبتَه .

فإن كنت تُبطِلُه على رأىِ السوفسطائية وكثيرٍ من أَصحاب الشرع ، فلا تَقِيسَنَّ «مَكَّةَ» على ظُبَّة ، ولا تزعمَنَّ اليمامةَ جرت مجرى «وَج[٢]» ،

= مجال جهاده بالشعر فى الصراع بين الإسلام والوثنية . انظر مع ديوانه : (طبقات ابن سلام ١٧٩ ، ومعجم المرزبانى ٤٠١ ، ومؤتلف الآمدى ٨٩ ، والسيرة وتاريخ الطبرى ، فى السنوات العشر الأولى للهجرة ، والاستيعاب رقم ٣٤١ ، ورسالة الغفران ٢٣٤) .

(١) الجاج : واحدته جاجة ، خرزة وضيعة لا تساوى شيئاً (ص) وظعن فى الريح ، قريب من قولنا : ذهب مع الريح .

(٢) وج : الطائف (ف)

* عمرو بن هند: هو عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن امرئ القيس اللخمى . وأمه هند بنت الحارث بن عمرو (ف) .

ملك الحيرة، وكان مقصد الكثرة من الشعراء الجاهليين فى زمنه . وتجد قصائدهم فيه فى دواوين الشعر الجاهلى .

* النعمان بن المنذر ، اللخمى ، من أشهر ملوك الحيرة المناذرة اللخميين (ص ١٠١) . وكان «النابغة الذبيانى» ممن اختصوا به ، ومعه عدد غير قليل من شعراء جيله .

* الحجاج : بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى ، من بنى عوف بن ثقيف (جمهرة أنساب العرب ٢٥٥) . أمير العراق لعبد الملك بن مروان ، وقائد جيشه الذى قضى على الزبيرية وقتل عبد الله ابن الزبير ، ورمى الكعبة بالمنجنيق (الطبرى : سنة ٧٣ هـ ٧/ ٢٠٢) .

ولشعراء الأموية والمروانية مدائح مشهورة فى الحجاج . وانظر (أمالى القالى ١/ ٨٦/ ٩٠) .

ولا تحكُمَنَّ على الصخرةِ بحكمِ الحَصَاةِ ، ولا تجعلنَّ الرِّقْلَةَ نظيرةً لِلوَدِيَّة ، ولا حُرقوصَ الجدالةِ كنواةِ المُقْلَةِ ؛ ولا تطالِبَنَّ السُّعْنَ المُرسلَ إلى الناكزِ ، بمثلِ ما طالبتَ به الغربَ المُغترفَ[١] ، وأَجِزْ فى مذهبِك أن أكونَ أقتدِرُ على النظامِ ، ولا تزعُمَنَّ أَنِّى كغيرى من البهائمِ وأَجناسِ الحيوان ...

وإنْ ثَبَتَتِ المقاييسَ على مذهبِ الجُمهورِ من أَهلِ النظرِ وأَصحابِ الأَسطوانِ الذين يُسَمَّونَ أَساطِينَ الحِكمةِ ، وعلى رأى أصحاب الطبائعِ ، فاحْمِلِ الثَّمَدَ على الغَمْرِ ، واحكُمْ على ما أَهَلَ من البهائم || بِحُكْمِ الضبِّ[٢] . (53)
ولا تُفرِدْ حُكمَ الساعةِ من حُكمِ السنةِ ، ولا حالَ الشهْرِ من حالِ الدهْرِ . وإذا جازَ أن يَنبُتَ فى المكانِ عُشبَةٌ فارِدةٌ ، جاز أن يكونَ فيه رَوْضةٌ مُكتَهلَةٌ .

أَليس الرواةُ يتناقلون أَن الضبَّ قال لوَلَدِه ، وقد احتفر عليه بعضُ المحتفِرين :

أَهَدَمُوا بَيْتَكَ لا أَبا لكا وزعموا أَنك لا أَخا لكا
وأَنا أَمشى الدَّأَلَى حَوَالَكا[٣]

---

(١) الرقلة : الغزالة الطويلة (ف) والودية : على وزن غنية ، واحدة الودى : صغار الفسيل من النخل . والحرقوص ، بالضم : دويبة كالبرغوث حمتّها كحمة الزنبور أو كالقراد . والجدالة : الأرض . والمقلة : شجرة الدوم . والسعن بالفتح : الودك ، وبالضم : قربة تقطع من نصفها ينبذ فيها وقد يستقى بها ، ج سعنة ، على وزن قردة . وتسعن الجمل : امتلأ سمناً (ق) والناكز : البئر القليلة الماء . والغرب المغترف : الدلو العظيمة (ف)

(٢) يعنى : فاحكم على البهائم الأهلية ، فى إمكان نظمها الشعر ، بحكم الضب فيما يروى عنه من ذلك .

(٣) الشطران الأول والثانى من هذا الرجز ، أنشدهما « ابن ولاد النحوى » فى باب الدال من (المقصور والممدود : ٤٠) شاهداً على : الدألى ، مقصوراً : مشية كمشى الذئب . وهما فى (الصحاح : دأل) يدأل دألا ودألاناً ، قال أبو زيد : هى مشيته شبيهة بالختل . وعن الأصمعى فى صفة مشى الخيل : الدألان مشى يقارب فيه الخطو . وقال « المبرد » فى الكامل (١٩٨/٢) وهذا من باب =

وأن النُّونَ قال للضبِّ : رِدْ يا ضبُّ . فقال :

أَصبح قلبي صَرِدا لا يشتهي أن يَرِدَا
إلا عَرادًا عَرِدَا وعَنْكَثًا مُلْتَبِدا
وصِلِّيَاناً بَرِدَا[1]

فإن زعمتَ أَن هذا سائغ للضبِّ ، فأَجِزْه لِغيرِه .

وإذا نُطِقَ باليَسيرِ من الموزونِ ، فما الذى يمنعُ من النطقِ بكثيرِه ؟ وقد تقدمَ أَن الشعرَ نوعٌ من جِنْسٍ ، وذلك الجنسُ هو الكلامُ . وإذا صَحَّ ذلك قُلنا : إن الشعرَ جنسٌ ، والرجزَ نوعٌ تحتَه . . .

وإنما ذكرتُ ذلك خشيةَ أَن تذهبَ إلى أَن الرجَزَ ليس بِشِعْرٍ ، كما قال ذلك بعضُ الناسِ مُحْتَجًا لما رُوِىَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :

= تكاذيب الأعراب . حدثنى أبو عمر الجرمى قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز :

* أهدموا . . .حوالكا * فقلت لمن هذا الشعر؟ قال : تقول العرب : هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الأشياء تتكلم / وقوله حوالكا : يقال هو يطوف حواله وحوله وحواليه — بفتح اللام — ومن قال بالكسر فقد أخطأ .

(١) روى « الميدانى» هذا الرجز بتقديم وتأخير فى الشطرين الرابع والخامس . ونقل فيه أنه من قول الضب يرد على الضفدع ، فيما زعمت الأعراب من خرافاتها (١/٣١٧) .

وقال الجوهرى فى (ض ب ب) : ومن كلامهم الذى يضعونه على ألسنة البهائم : قالت السمكة: وردا يا ضب . فقال : * أصبح قلبى صرداً * الرجز.

وذكره أيضاً فى (ص ر د) شاهداً على : صرد، بالكسر ، يصرد صرداً فهو صرد ومصراد : يجد البرد سريعاً . وصرد قلبى عن الشىء : انتهى منه . وفى (ب ر د) : وقول الساجع : * وصليانا برداً * أى ذو برودة .

والعنكث : ضرب من النبت ، والعراد كذلك ، ويقال إنه الحمض (ض) .

أَنا النبيُّ لا كذِبْ
أنا ابن عبدِ المطَّلِبْ (١)

ولِمَا جاءَ فى الرواية الأُخرى ، أنه قال :

هل أنتِ إلا إصبَعٌ دَمِيتِ
وفى سبيلِ اللهِ ما لقيتِ (٢)

فى أَشباهٍ لهذا . ويحتجون بقولهم لِلذى يُنشِئُ الرجَز : راجزٌ ، وللذى يُنشِئُ غيرَه من القَصيدِ : شاعر .

(٢٧) ||وإذا ركَّبْنا القضيةَ الثنويةَ الكليةَ ، فجعلنا المحمولَ جنساً والحامِلَ
(54) نوعاً ، فالقضيةُ|| كذِبٌ لا مَحالة .

وإذا عكَسْنا ذلك فجعلنا المحمولَ نوعاً والحاملَ جنساً ، كانت القضيةُ صِدْقاً . فنقول : كلُّ رَجَزٍ شِعرٌ ، فيكون قولًا صادقاً . وإن قيل : كلُّ شِعرٍ رَجَزٌ ، فذلك (٣) باطلٌ من المَقُولِ .

وما أَدفعُ أَن الرجَزَ أَضعفُ من القصيدِ ، ولكنهما جِنسٌ واحد .

---

(١) فى (طرة ف) : [قاله النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، ذكره « البخارى » فى كتاب الجهاد] . ومسلم أيضاً فى كتاب الجهاد والسير .

(٢) فى (السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٢٠) أن قريشاً حبست عياش بن أبى ربيعة وهشام ابن العاصى . وقيدتهما لما أسلما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهما ؟ فقال الوليد بن الوليد ابن المغيرة المخزومى : أنا لك بهما يا رسول الله . وخرج من المدينة إلى مكة مستخفياً يريدهما ، فلقى امرأة دلته على محبسهما . فأخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضرب بسيفه فقطعهما ، فسمى ذا المروة . وحملهما على بعيره وساق بهما ، فعثر فدميت إصبعه ، فقال : * هل أنت * (الرجز) وقدم بهما على رسول الله صلى عليه وسلم وهو فى كتاب الجهاد من الصحيحين وانظر معه أراجيز العرب : ٤ .

وفى (طرة ف) : [ذكره البخارى ومسلم رحمهما الله فى كتابيهما . ولفظ مسلم فيه : دميت] .

(٣) فى ض : [لذلك] . (وانظر موضع الرجز فى رسالة الغفران : ٣٧٤)

وأما النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقد اختلفتْ الأُمةُ فى شأنِه وفى قولِهِ تعالى :

« وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ومَا يَنْبَغِى لَه » .

فقالتْ طائفةٌ : لا يكونُ النبى عليه السلامُ ، إلا عالماً بجميعِ أصنافِ العلمِ الذى يعرفُه الآدَميونَ . وإنما تُعُبِّد صلى اللهُ عليه وسلم بتركِه ذلك الفنَّ – كما تُعُبِّدَ بتركِ الزنا وشربِ المُسْكِرِ – وكان ذلك خالصاً له فى نفسِه دون غيرِه من المسلمين . وإلى هذه المقالةِ ذهبتْ أَصنافُ الشيعةِ ، واحتجوا بأَن فَقْدَ المعرفةِ بهذا الجنسِ ، معدودٌ فى بنى آدمَ من النقصِ . ولا يبعثُ اللهُ جَلَّ اسمُه ، إلا أَفضلَ مَن يكونُ فى عصرِ المبعَثِ . وقد كان أَبوه ، صلى الله عليه وسلم ، وجَدُّه وأَعمامُه ينطقون بالمنظومِ : نقلت الرواةُ أن « عبدَ اللهِ بن عبدِ المطلب* » قال للكاهنةِ* لمَّا رأَت النورَ بين عينيه فدعتْه إلى نفسِها :

أَما الحــرامُ فالممــاتُ دونَه والحِلُّ ، لا حِلَّ فأَستبينَــه
فكيف بالأَمرِ الذى تَبْغِينَــه[1]

---

(١) كان من خبرها أنها لقيت عبد الله بن عبد المطلب ، وهو فى صحبة أبيه – بعد افتدائه من النحر وفاء بنذر أبيه – فى طريقهما من الكعبة إلى حى بنى زهرة ، لخطبة آمنة بنت وهب ، لعبد الله . فلمحت الكاهنة نوراً فى جبينه فدعته إلى نفسها فأبى ، ورد عليها بهذه الأبيات . وبعدها :

يحمى الكريم عرضه ودينه

* عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم : أبو محمد ، صلى الله عليه وسلم .

* الكاهنة : المشهور أنها « فاطمة بنت مر » . وفى (السيرة النبوية لابن هشام ١٤/١٦٥) أنها كاهنة من خثعم ، ومثله فى (طبقات ابن سعد ١/٨٥ أول) .

وفى (الروض الأنف للسهيل ١/١٠٢) أن اسمها ، رقيقة ، ومثله فى (نسب قريش ١٧) وفى (تاريخ الطبرى ٢/١٧٤ وكامل ابن الأثير ٢/٤) أنها فاطمة بنت مر . ومثله فى (أمثال الميدانى ٢/١٠٥) وفى (عيون الأثر ١/ ٢٣) قول بأنها أخت ورقة بن نوفل .

وأنشدت الرواةُ لِـ «الزبيرِ بن عبدِ المطلبِ*» عمِّ النبيِّ عليه السلامُ[١] :

إذا كنتَ فى حاجـةٍ مُـرْسِلًا ... فأَرسِـلْ حكيما ولا تُوصِـهِ
وإنْ بابُ أمرٍ عليكَ التوَى ... فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِـهِ

فأما «أبو طالب*» فكان أشعرَ قريش . وقد رُوِى عن «العباسِ*» شعرٌ كثيرٌ ، وكذلك عن «علىّ*» .

قالوا : فإن كان الشعرُ مَنقَصَةً ، فلمَ استعملها السادةُ فى الإسلامِ والجاهلية ؟ وإن كان فضيلةً فلِمَ || يُحَرِّمُها الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم ؟ (55)

وقالتْ طائفةٌ أخرى : قد يجوزُ أن يكونَ الأمرُ على ما ذكر هؤلاءِ ، ويجوزُ أن يكونَ على غيرِه . لأنه صلى الله عليه وسلم قال : «استعينوا على كلِّ صناعةٍ بأَهْلِها .[٢]» وفى الجائزِ أن يكونَ سُلِبَ منه العلمُ بهذا النوعِ لمَّا بُعِثَ ، فكان ذلك له مثلَ الآية . وإنما معنى قولِه تعالى : «وما علَّمْناه الشعْرَ»[٣] أنه جوابٌ لِقولِ من قال من الكفار : «الذى جاءَ به محمدٌ

(١) فى طرة (ف) : اختلف فى نسبة هذا الشعر . فقال بعضهم هو للزبير بن عبد المطلب — كما هنا — وقيل هو لطرفة بن العبد . ونسبه على بن يحيى المنجم ، لعبد — مطموس من تآكل — بن معاوية ابن عبد الله . وبعد هذين البيتين من ستة أبيات :

وذا الحق لا تنتقص حقه ... فإن القطيعة فى نقصه
ولا تذكر الدهر فى مجلس ... حديثاً إذا أنت لم تحصه
وكم من فتى عازب لبه ... وقدتعجب العين منشخصه

وفى أمثال الميدانى ١ / ٣٠٣) أن المثل «أرسل حكيما ولا توصه» قاله لقمان الحكيم لابنه . يضرب فيمن يستغنى بحكمته عن الوصية .

(٢) كشف الخفا : ١/١٣٤/ح ٣٤٠ .

(٣) من آية (يس : ٦٩) : «وماعلمناه الشعر وماينبغى له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين»

وفى القضية رسالة جامعية جليلة موضوعها (الصحابة الشعراء رضى الله عنهم) للزميل الأستاذ محمد الراوندى ، جامعة القرويين .

* الزبير بن عبد المطلب بن هاشم : عم النبى عليه الصلاة والسلام .

* أبوطالب ، والعباس : ابنا عبد المطلب بن هاشم ، وعما النبى صلى الله عليه وسلم .

* على : بن أبى طالب ، أمير المؤمنين . ابن عم النبى ، وصاحبه ، وصهره ، وأبوالسبطين الحسن والحسين رضى الله عنهم .

شِعْرٌ » لا أنه بهذه الآيةِ نَفَى عنه المعرفةَ بهذا الضرب . وكان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، إذا ذكر بيتاً صَابَاه ، أى لم يجىء به على جِهَتِه[1] ، حتى عُرِف ذلك منه . مثل قولهِ بين « الأقرع* و عُيَينة* » ، « ويأتيك مَن لم تُزَوِّدْ بالأخبار »[2] .

ومما يتصلُ بهذا ، حديثٌ ذكره « ابنُ خُرْدَاذَبَةَ* » فى (كتابِ طبقاتِ المُغَنِّين) عن « أبى سعيدِ المكى* . المغنى » — واسمُه إبرٰهيمُ ، وهو مولى لقائدٍ ، وقائدٌ مَوْلى عمرو بن عثمان* — وكان أبو سعيد هذا مُغَنياً ، وكان مع ذلك مقبولَ الشهادةِ مُعَدَّلا . وكان يقولُ الشعرَ ويُلَحِّنُه ، فكان مما قال وغنّى به هذا البيتُ :

---

(١) فى القاموس : صابى البيت : أنشده فلم يقمه ، والكلامَ : لم يجره على وجهه ، والبناء : أماله . ومثله أو قريب منه فى (طرة ف) .

(٢) من بيت « طرفة بن العبد» فى معلقته ، ووجه إنشاده :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

والحديث فى مسند أحمد ، عن عائشة رضى الله عنها .

* عيينة : بن حصن بن حذيفة بن بدر . وفى آ له بيت فزارة وعددهم (جمهرة الأنساب ٢٤٤) من المؤلفة قلوبهم . زاد الرسول عليه الصلاة والسلام فى عطائه يوم حنين . انظره فى (السيرة ٤/١٣٥ ، وتاريخ الطبرى ، وطبقات ابن سعد ٢/١١٦ ، والاستيعاب ٢٠٥٥) .

* الأقرع بن حابس بن عقال ابن مجاشع التميمى الدارمى . قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى وفد أشراف بنى تميم ، وكان من المؤلفة قلوبهم (السيرة ٤/١٣٥ ، ٢٠٦ والاستيعاب ٦٩) .

وانظر فى (يوم حنين بالسيرة وتاريخ الطبرى لعصر المبعث) خبر غضب «العباس بن مرداس السلمى» للزيادة فى عطاء المؤلفة قلوبهم ، وشعره فى ذلك .

* ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه . الأخبارى الراوية : كان مجوسياً وأسلم على يد البرامكة ، وصادق إسحق بن إبراهيم المغنى . انظر مؤلفاته فى (الفهرست ٢١٣) ومعه الأغانى ٥/١٥٧ .

* أبو سعيد المكى ، إبراهيم المغنى .

مولى قائد ، مولى « عمرو بن عثمان بن عفان (نسب قريش ١٠٤ ، وجمهرة الأنساب ٧٥ ، ٣٦١) ومعجم المرزبانى ، الكُنَى ٥١٣ .

لقد طُفْتُ سَبْعاً قلتُ لَمَّا قَضَيتُهـــا ألا ليت حَجِّى لا عَلىَّ ولا لِيَا[1]

وبعث إليه « محمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ محمد بنِ على بن عبيدِ اللهِ بن العباسِ بن عبد المطلب* » – وهو الملكُ الذى كانت تعرفُه بنو العباس بالمهدىِّ ، والِد هٰرون – وكان « أبو سعيدٍ » تَنَسَّكَ ، ولم يكن يضربُ بالعُودِ .

فلما قدِم على « محمد » قرَّبَه وأدنى مجلسَه . وقال له محمد : غنِّنى :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لما قضيتُهـــا ألا ليت حَجِّى لا علىَّ ولا ليا

– لأَبى سعيد – قال : أَو أُغنيكَ أَحسنَ منه يا أَمير المؤمنين ؟ قال : أَنتَ وذاكَ . فغناه [2] :

(56) إن هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ أَنشرَ المجـدَ بعد ما كان ماتا

(٢٨) وبنــاهُ على أَســاسٍ وثيــقٍ وعِمادٍ قد أُثبِتَتْ إثباتَا

فأَحسنه . وقال « محمد » : أَحسنتَ يا أَبا سعيد ، غَنِّنى :

* لقـــد طُفتُ سبعاً *

قال : أَو أُغنيكَ أَحسنَ منه ؟ قال : ذلك إليك . فغناه :

---

(١) فى (طرة ف) : بعد هذا البيت :

يسائلنى صحبى فما أعقل الذى يقولون من ذكر لليلى اعترانيا
إذا جئت باب الشعب من شعب عامر فأقر غزال الشعب منى سلاميا
لقد زادنى الحجاج شوقاً إليهم وقد كنت قبل اليوم للحج قاليا
وما نظرت عينى إلى وجه قادم من الحج إلا بل دمعى ردائيا

(٣) فى طرة (ف) : من قول أبى سعيد فيه أيضاً :

أيها المغذ الذى يخبط الأرضـــــــ ـــــــض دع الناس أجمعين وراكا
وائت هذا الطويل من آل حفص إن تخوفت عيلة أو هلاكا

* هو الخليفة محمد المهدى بن الخليفة عبد الله أبى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس . والد الخليفتين موسى الهادى وهارون الرشيد ، وجد الخلفاء : الأمين والمأمون والمتوكل . انظر سياق النسب بتفصيل فى (جمهرة الأنساب ١٨ : ٢١) .

قَدِمَ الطويلُ فأَشرقتْ واستبشرتْ　　أَرضُ الحجازِ وبانَ فى الأَشجارِ

فأَحسَنه وأَجاد .

فقال «محمد» مثلَ قولِه الأَول ، واقترح عليه : « لقد طفت سبعاً »

قال : أَو أُغنّيك أَحسن منه ؟ قال : قل ما أَحببت . فغَنَّاه :

إن الطويلَ من آل حفص فاعلموا　　ساد الحضورَ وساد فى الأَسفار

فقال له «محمد» : صِرْ إلى ما دعوناك إليه .

فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، ما إلى ذلك سبيل . لأَنى رأَيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مَنامى ، وكأَنَّ فى يَدِه شيئاً لا أَعلمُ ما هو . وقد رفع يده ليضربنى وهو يقول :

« لقد طفتُ سبعاً ، لقد سبعاً طفت ؟ ماذا صنعتَ بأُمتى بهذا الصوت ؟ »

فقلت : بأَبى وأُمى ، اعفُ عنى . فَوَباعِثِكَ بالحق ومُصطَفِيكَ للرسالة والنبوة ، لا غنيتُ بهذا الصوت أَبدًا .

فردَّ يدَه صلى الله عليه وسلم ، وقال : عفا الله عنك إذًا

وانتبهتُ . وما كنتُ لأُعطِىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فى مَنامى ، فأَرجعَ عنه فى يقظتى .

فبكى «محمد» وقال : أَحسنتَ يا أَبا سعيد ، أَحسن اللهُ إليكَ ، لا تَعُدْ فى غِنائه .

وحباه وكساه ، وردَّه إلى الحجار

أَلا تَرى إلى قوله : لقد سبعاً طفتُ ، كيف حَلَّ عِقْدَ النظامِ عن جهته ؟

وقال بعضُ الناسِ : لم يكن صلى اللهُ عليه وسلم يعرفُ الشعرَ ولا غيرَه
من الصنائع ، وإنما كانت || الفضيلة بالرسالة . (57)

فإن قلتَ أيها السامعُ : إن قولَ العربِ : رجزٌ وشعرٌ ، دليل على أنهما مختلفانِ في الجنسية .

فإن ذلك ليس بدليلٍ على ما قلتَ ، لأنهم يقولون : فعلتْ بنو هاشم وحمزةُ بنُ عبدِ المطلب* . وفى (الكتاب العزيز) :

« قلْ من كان عدواً لله وملائكتِه ورُسلهِ وجبريلَ وميكائيل . . . »[١] . وقد عَلِمنا أن « جبريلَ ، وميكائيلَ » من الملائكةِ . والشيءُ يُخَصُّ بالذكرِ ليرُفَعَ من شأنِه أو لِيوضَعَ بذلك من أمْرِه . ولا ريبَ أن الرجَزَ أضعفُ من القصيدِ ، فَـ « رؤبةُ* والعجاجُ* » أضعفُ في النظام من « جريرٍ ، والفرزدق* » . ومن أقوَى ما رُوِيَ في تضعيف الرجزِ أن « الفرزدقَ » قال : إني لأرى طَرَقَةً[٢] الرجز فأَدَعُه رغبةً عنه .

---

(١) من الآية ٩٨ سورة البقرة ، وتمامها : « فإن الله عدو للكافرين» والقراءات فيها : جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز (ابن كثير) وبفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة من غير ياء (أبوبكر) وحمزة والكسائي مثله إلا أنهما يجعلان ياء بعد الهمزة. والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز . وميكال : حفص وأبوعمر ، بغير همز ولا ياء ، ونافع بهمزة من غير ياء ، والباقون بياء بعد الهمزة (التيسير للداني : ٧٥) .

(٢) الطرق ، بفتحتين : ضعف في الركبة ، طرق يطرق فهو أطرق ، والأنثى طرقاء . يكون في الناس والإبل . وفيه طرقة أي استرخاء وضعف وتكسر (ف)

* حمزة : من بني هاشم ، فهو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمه هالة بنت وهب الزهرية ، خالة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

انظر ترجمة سيد الشهداء في (الاستيعاب ٥٤١ والسيرة ٣/١٦ ونسب قريش ١٧) .

* رؤبة : بن العجاج . أبو الجحاف . من فحول الرجاز في (طبقات ابن سلام ٥٧٩) وانظر معها الشعر والشعراء ٣٧٦ ، ومؤتلف الآمدي ١٢١ ، وجنة الرجز في (رسالة الغفران) .

* العجاج ، أبو رؤبة : عبد الله بن رؤبة ، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم . من أشهر الرجاز ويكنى أبا الشعثاء وهي ابنته . ولقب بالعجاج لقوله : « حتى يعج عندها عجيجاً »

انظره في طبقة الرجاز عند ابن سلام ، وجنة الرجز في رسالة الغفران .

* جرير ، والفرزدق = ١٢٠ ، ١٢٠ .

وقالةُ الرجزِ ثلاثةٌ : فرجلٌ لم يُروَ عنه غيرُه ، كَ «رؤبة ، وهِميانِ بن قحافةَ* » وغيرهما . ورجلٌ غَلَبَ عليه الرجزُ وربما جاء بالقصيدِ ، كَ «أبى النجمِ* ، والأغلبِ العِجْلِيينِ* » . ورجلٌ كانَ القصيدُ أغلبَ عليه وربما جاء بالرجز ، كَ «جريرٍ ، وذى الرُّمة* » . وربما لم يُروَ عن الشاعرِ رَجَزٌ ألبَتَّةَ مثلِ «زُهَيرٍ ، وطُفَيلٍ* الغَنوىِّ ، وقيسِ بن الخطيمِ* » .

وقد بلغنى أنَّ للسيدِ «عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ» مجلساً يجتمعُ فيه الفقهاءُ وأهلُ الكلام والأدبِ والشعراءُ . ولو تحرَّى فى التطوّعَ مُتَحوبٌ فقادنى بِرَمَنِى حتى أَقِفَ من ذلك المجلسِ بِمرأى ومَسمَعٍ لألقيتُ [مسأَلةً] [١] ثم فَرَّعتُها فخاض فيها الفقهاءُ والمتكلمون والشعراءُ سحابةَ ليلتِهم تلك . وكأَنى بك قد قلتَ فى نفسِك : ليتَ شِعرى ما تلك المسأَلةُ ؟ ثم أدركتْكَ الأَنفَةُ أَن تسأَلنى عنها . وأنا أبتدئُ لك بذكرها [٢]

(١) [مسألة] سقطت من ض ، والسياق لا يستغنى عنها .

(٢) فى ض : [بذكرها لك]

* هميان بن قحافة : السعدى الراجز . من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . راجز إسلامى محسن : (مؤتلف الآمدى ١٩٧ ، ومعجم المرزبانى ٤٩١ ، ونوادر القالى ١٦٩ ، وسمط اللآلى ١ / ٥٧٢ , ٢ / ٩٦٠) .

* أبو النجم : الفضل بن قدامة بن عبيد ، من بنى سعد بن عجل . قدمه جماعة من النقاد على الرجاز ، وكان يقول القصيد فيجيد .

* الأغلب : العجلى ، بن عمرو ، من بنى سعد بن عجل . من مقدمى الرجاز ويقال إنه أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله .

انظرهما فى طبقة الرجاز عند ابن سلام (٥٧١) ومؤتلف الآمدى ومعجم المرزبانى ، ومعها : رسالة الغفران ، جنة الرجز ص ٣٧٤ .

* ذو الرمة = ١٢٦   * زهير ، بن أبى سلمى = ١٣٤

* طفيل الغنوى = ١٦٠ .

* قيس بن الخطيم : بن عدى بن عمرو ، من بنى الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة (جمهرة الأنساب ٣٢٢) فى طبقة فحول شعراء المدينة من القرى العربية (ابن سلام ١٧٩) مخضرم . أدرك الإسلام ولقى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلم وقيل إنه انصرف على أن يسلم بعد حول ، فات فى الحول . وقيس من شعراء الحماسة ، وأمالى القالى ٢ / ٢٧٣ والشعر والشعراء ١ / ٢٧٥ .

غيرَ باخلٍ عليكَ ولا على غيرِكَ بشيءٍ مما أُحسِنُه .

كنتُ أَقولُ للفقهاءِ : ماذا تقولون فى رجُلٍ طاف بالكعبةِ سبعاً وهو يُنشِدُ : « قِفا نَبْكِ »[١]. ماذا توجِبونَ عليه ؟

(58) فإذا أَجابوا ، فرَّعتُها عليهم || . وقد عَلِمتَ أَن الضَّحضاحَ بعدَه الغَمْرُ وأَن الدخَانَ تحته اللهيبُ والجمرُ .

وكنت أَقول للمتكلمينَ : أَخبِرونى عَمَّنْ يقولُ بقِدَمِ العالَمِ : أَقِفا نَبْكِ كانت قبلَ «امرئِ القيسِ*» أَم بعدَه ؟ وأَخبرونى عن : قِفا نبكِ ، أَجَوْهرٌ هى أَم عَرَض ؟

فإن قالوا : جَوْهرٌ ، فقد أَحالوا فى رأيِ المتكلمينَ . وإن قالوا : عَرَضٌ ، قلتُ : فالأَعراضُ لا قِوَامَ لها فى أَنفُسِها وإنما تُعرَفُ إذا تعلّقتْ بالجواهِرِ .

(٢٩) وقد نجدُ رجُلَيْنِ يَقِفانِ على ضِيفَىْ وادٍ[٢] وبينهما مَدًى بعيدٌ فيُنشدُ|| أَحدُهما : قفانبك ، فيسمعُه الآخرُ . فبِمَ تعلَّقتْ حتى وصلتْ إليه ؟ ثم أُشجِرُ الكلامَ وأُشجِنه[٣] .

وكنتُ أَقولُ للشعراءِ : أَخْبرونى عن ثلاثةٍ منكم أَحضرهم «السيد عزيز الدولة وتاجُ المِلَّةِ أَميرُ الأُمراءِ » ــ أَعز اللهُ نصره ــ وكان أَحدهم يعملُ البيت من قَرِيٍّ * قِفا نبكِ * فى دقيقةٍ ، والآخرُ فى دقيقتين ، والثالثُ فى ثلاثِ دقائق . فأَمَرَهم أَن يَصنعوا بيتاً على ذلك العِراقِ ويتعاطوا

---

(١) * من ذكرى حبيب ومنزل * : مطلع لامية امرئ القيس المعلقة .

(٢) ضيفا الوادى ، بالكسر : جانباه (ق) .

(٣) أشجر الكلام : أدخل بعضه على بعض .

وأشجنه : أجعله ذا شجون ، أى فنون وأغراض متشعبة . واحدها شجن ، بالتحريك ، وهو الشعبة من كل شىء ، والغصن المشتبك ــ والهم والحزن (ق) .

* امرؤ القيس ، الكندى = ١٠٥

فيه النصَفةَ[١] ، أكان هذا ممكنٌ أم يتعذّرُ ؟ . وهل تجرى الأبياتُ كلُّها مَجرًى واحدًا أم تختلفُ لاختلافِ هيئاتِ الحروف ؟

فإن حَمَلَهم ادعاءُ الرُّتبةِ والفِرارُ من حَيَاءِ الغلبةِ على أن يقولوا : كنا نتناصَفُ ونتماثلُ ونُجيبُ « السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ أميرَ الأمراء » — خلَّد اللهُ أيامَه — إلى ما أَمَرَ ؛ قلتُ لهم : فكم المُدَّةُ التى يُنجَزُ معها فراغُ البيت ؟ فإن قالوا : لا نعلمُ ، فقد رجعوا عن دَعواهم وأقرُّوا بالعجز لمن سألهم . . . وإن قالوا : نعمَلُه فى ستةِ أجزاءٍ من أحدَ عشَرَ من دقيقةٍ : يعمل الذى جرتْ عادتُه أن يعمَلَ البيتَ فى دقيقةٍ ، ستةَ أجزاءٍ من أحدَ عشرَ من البيت . وكان يَعملُ صاحبُ الدقيقتين ثلاثة أجزاءٍ من أحَدَ عشَرَ ، وكان يعملُ صاحبُ الثلاثةِ جزءَين .

قلتُ : كيف السبيلُ إلى تناصُفِكم فى هذه القِسْمةِ ، وقد علمتم أن أحَدَ عَشَرَ عددٌ أصمٌّ ؟ وهل || فى طاقتِكم أو طاقةِ غيرِكم قِسمةُ الحرفِ الواحدِ أو الحركةِ ، على هذه الأجزاء ؟ (59)

ثم يَتنوَّعُ الخطابُ فى ذلك إلى ما شاءَ اللهُ .

وأما قولُكَ إن صوتى جنسان : حَمْحمةٌ وشحيجٌ ، وأنه لا يُبنَى منها النظامُ ، فإن الأشياءَ لها جُمَلٌ ، والجُمَلُ لها تفصيلٌ ، والتفصيلُ له تأويل « وما يَعْلَمُ تأويلَه إلا اللهُ والراسِخونَ فى العِلْمِ »[٢] .

قد جعلتَ صوتى ، لأنه جنسان[٣] ، قريباً من حَدِّ الإبانةِ. ولعله قد

---

(١) العراق : النمط . وهو من السفرة : خرزها المحيط بها ؛ ومن النهر : حاشيته من أدناه إلى منتهاه (ق) والنصفة : الإنصاف (ف) .
(٢) من الآية ٧ (سورة آل عمران) .
(٣) فى ض : [جعلت صوتى جنسين]

بلغك حديثُ «أبي مالك الأشجعيّ*» الذى يُروَى عنه أنه قال : «كنا مع عليٍّ عليه السلامُ مُنصرَفَه من صِفِّينَ ، فمرَّ بالحِيرة وهى كثيرةُ النصارى فسمِعَ صوتَ الناقوسِ فقال : ما يقولُ الناقوس ؟ فقلنا : ما يقولُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : يقول(1) :

إن الدنيا قد أغوتْنــا واســتغوتنا واستهوتنــا
لسنا نَدرِى ما قدَّمنــا فيهــا إلا لو قد مُتنا
تَفنَى الدنيا قرناً قرناً يا ابنَ الدنيــا مهلًا مهلًا
زِنْ مــا يأتى وزناً وزناً مــا من يومٍ يمضى عنا
إلَّا أَوْهى منا رُكْنَا »

أفلا ترى إلى أمير المؤمنين كيف صَرَّفَ صوتَ الناقوس وهو جنسٌ واحدٌ ، لأنه يَحدُثُ باصطِكاكِ جِسمين جَمادِيَّيْنِ؟(2) فصوتى أَوْلَى بالتفريعِ من صوتِ الناقوسِ ، وصوتُ الناقوسِ أَوْلى بالتفريع من الصَّمْتِ الدائمِ والجَمادِيِّ .

وقد رُوِىَ أَن «عَدِيَّ بنَ زيدٍ*» كان مع «النعمانِ بنِ المنذرِ» تحت

(1) جاءت هذه الأشطر على نسق النثر فى النسختين .

(2) كذا فى ض . والكلمة متآكلة فى (ف) . الجماديان : مثنى الجمادى ، نسبة إلى الجماد .

* أبو مالك الأشجعى :

سعد بن طارق بن أشيم الأشجعى ، من بنى أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ابن مضر . مشهور فى علماء التابعين ، روى عنه الثورى وطبقته . ومن أصحاب الإمام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه . وانظر يوم صفين فى تاريخ الطبرى وابن الأثير ، أحداث سنة ٣٧ هـ .

* عدى بن زيد ، العبادى = ١٦٢ .

وخبره هنا مع النعمان بن المنذر ، وحديث الشجرة ، رواه «المبرد» فى (الكامل ٢/٩١) عن العباس بن الفرج الرياشى . وروى المبرد ستة أبيات من هذا الشعر لعدى بن زيد ، على لسان الشجرة. ثم قال المبرد : فتنغص النعمان ، وهذا فى الأمثال كثير ، وفى الأشعار السائرة .

وكذلك رواه «ابن قتيبة» فى (عيون الأخبار ٢/٣٠٤) وفيه البيتان هنا ، بمثل رواية أبى العلاء . ورواية شعراء النصرانية للشطر الأول : «رب ركب» : والشطر الثالث : «عصف الدهر بهم فانقرضوا»

شجرةٍ كان يَشربُ عندها ملوكُ الحِيرة . فقال له عديٌّ بنُ زيد : أيها الملِكُ ، أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : وما تقول ؟ قال : إنها تقولُ :

رُبَّ شَربٍ قد أناخوا حولَنا يشربون الخَمْرَ بالماءِ الزلال

ثُم أضحَوا لَعِبَ الدهرُ بهم وكذاكَ الدهرُ حالًا بعد حال

أفلا تَرى كيف تأوَّل «عَدِىٌّ» صَمْتَ الشجرة ؟ وقد قال «الحارثى*» :

فأسْمَعَنا بالصَّمْتِ رجْع كلامِنا فأبْلِغْ به من ناطقٍ لم يُحاوِرِ

‖ونظائرُ هذا كثير . فكيف تمنعُ صوتى وهو يتصرَّفُ فيكونُ الرقيقَ (60)
والغليظَ والخَوَّارَ ، ويطولُ ويقصُرُ ويَنقطِعُ ويتألفُ ، ويَدُلُّ على الكراهةِ والرغبةِ وطلَبِ الحاجةِ ، من أن يَتأوَّله أهلُ الفَهْمِ على مَعانٍ مُختَلفات ويتصرفُ فى ترتيبِه أصحابُ المعرفةِ على طرُقٍ يعرفون مجارِيها ، ويَسلُكُ فيها سبيلَ الهدايةِ مَن لا يتجاهَلُها ؟

* * *

ويَقدِرُ اللهُ جلَّ اسمُه على أن يُنطِقَ الصاهِلَ ، فيقول :

ما كفاكَ أنكَ ادَّعَيْتَ‖ النظمَ الذى هو طبعٌ فى غريزةِ الآدَميين مُطلَقٌ (٣٠)

---

* الحارثى : هو عبد الملك بن عبد الرحيم (ف) أبو الوليد ، شاعر إسلامى حماسى من شعراء الشام . (ديوان الحماسة ١/٥١٠)

والبيت من مرثية حماسية لعبد الملك . وسياقه فى أبيات الحماسة :

وإنى لأرباب القبور لغابط بسكنى سعيد بين أهل المقابر

وإنى لمفجوع به إذ تكاثرت عداتى ولم أهتف سواه بناصر

فكنت كمغلوب على نصل سيفه وقد حز فيه نصل حران ثائر

أتيناه زواراً فأمجدنا قرى من البث والداء الدخيل المخامر

ولما حضرنا لاقتسام تراثه أصبنا عظيمات اللهى والمآثر

وأسمعنا بالصمت . . (البيت .

أَن يقولَهُ الصبيُّ منهم والمرأَةُ والشيخُ اليَفَنُ والعجوزُ الفانية ، وهو فى غرائزِ الأُمَم كُلِّها حتى إنه يُحكَمُ على أنه لا يَمتَنِعُ أَن يَخطُرَ الكلامُ الموزونُ لمن لم يسمعْ شِعرًا قطّ ؛

حتى ادعيتَ الأَشياءَ التى لا يُوصَلُ إليها إلا بالدُّرْبةِ الطويلةِ والتجربةِ المُكَرَّرةِ ، من العِلْمِ بالكلامِ والجَدَلِ والنظَرِ فى الفِقْهِ وأَحكامِ الشعرِ اللطيفةِ التى لعله ما ادَّعَى معرفتَها جاهِلِىٌّ ولا إسلامىٌّ من أَهْلِ النظمِ .

ومتى نُتِجتَ ؟ لعلكَ لم تُنتَجْ منذ عشرينَ حِجَّةً ، فلو أَن اللهَ مَدَّ فى عُمرِكَ حتى تكونَ من مراكبِ « شُرَيْح بنِ الحارث* » فَمَن بعدَه من القُضاةِ الراشدين إلى هذا العصرِ ، تَسمعُ كلامَهم وتعرفُ مُحاورتَهم ، لَكُنْتَ خَلِيقاً أَلا يَصحَّ هذا من دعواكَ .

ولقد ادَّعيتَ من عِلْمِ الشِّعْرِ ما تُعْلِمُنا الضرورةُ اللازمةُ أَن « زُهيرًا والنابغةَ » وغيرَهما من الفحولِ ، لم يعرفوه . فليت شِعرى ما يقولُ فيكَ أَصحابُ التناسُخِ ؟ أَفَنُقِلتْ إِليكَ رُوحُ « أَفلاطون* »؟ ومعاذَ اللهِ والعَدْلِ الشائعِ .

أَما أَنا فأَتصَوَّرُك بصورةِ الكاذبِ ، وقد رابَنى ما قلتَ فاجْعلْ بينى وبينَكَ حَكَماً تَرضاه[1] . فإن صدَّقَكَ سَلمْتُ لكَ أَنى على خطَإٍ . وإن اتَّهمكَ مِثلَ ما اتهمتُك ، علمتَ أَنى معذورٌ فى الظِّنَّةِ بكَ .

---

(١) فى ض [نرضاه] وليس الأولى .

* شريح بن الحارث : الكندى ، يعد فى كبار التابعين ، كان قاضياً لعمر على الكوفة ، ثم لعثمان وعلى — رضى الله عنهم — وكان ذا فهم وذكاء ، شاعراً محسناً (ف) .

القاضى أبو أمية ، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن الرائش الكندى (جمهرة الأنساب ٣٣٩) وفى ترجمته أنه ظل على قضاء الكوفة أكثر من ستين سنة ، لم يتعطل فيها سوى ثلاث سنوات امتنع فيها من القضاء . (العبر ، وفيات سنة ٧٨ هـ وتهذيب التهذيب ٣٢٦/٤)

* أفلاطون : الفيلسوف اليونانى أشهر تلاميذ سقراط ، وصاحب نظرية المثل ، والجمهورية

فأَمَّا الضبُّ الذى هو قاضى البهائم [١]، فبَعيدُ المنزِلِ عنى وعنكَ،
(61) ||أقربُ دِيارِهِ إلينا مَسِيرَةُ ثلاثٍ أوأربعٍ ، ولكنَّ هذه الفاختةَ [٢] قد ورَدَتْ
عليكَ الماءَ، وهى من شعراءِ الطيرِ . وإنما ادَّعيتُ ذلكَ لها ، إذ كانت حِكايةُ
صوتِها جنساً موزوناً ، ومَنْ تأَمَّلَ ذلك وجَده كما ذكرتُ . فاعرِضْ عليها
شأنَك وانظرْ ما تقولهُ ، فلو كان موافِقاً [لى فى صِفَتِك فاعلمْ أنى أردتُ
نصحَك ، وإن كان موافقاً لك] [٣] فاعلمْ أنى داجَيْتُكَ وأضمرتُ غِشَّكَ .
فاخْتَرْ أيَّنا يكونُ السائلَ لها فى ذلك . وإن شئتَ أن نجتمعَ على سؤالِها
فإن ذلك يسيرٌ قريب .

فيقدِرُ اللهُ جلَّ ثناؤه على أن يُنطِقَ الشاحج فيقولَ :

كيف رأيتَ القَذاةَ فى عَيْنِ أَخيكَ ولم تر الجِذعَ المعترِضَ فى عَيْنِك؟ [٤]

---

(١) فى حكومة الضب بين البهائم ، سار المثل : « فى بيته يؤتى الحكم» ذكره الميدانى فى أمثاله (٢/٧٢) وقال : هذا مما زعمت العرب على ألسن البهائم . قالوا : إن الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضب ، فقالت الأرنب : يا أبا الحسل . قال : سميعاً دعوت . قالت : أتيناك لنختصم إليك . قال : عادلا حكمًا . قالت : إنى وجدت ثمرة . قال : حلوة فكليها . قالت : فاختلسها الثعلب . قال : لنفسه بغى الخير . قالت : فلطمته . قال : بحقك أخذت . قالت : فلطمنى . قال : حرانتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد قضيت .

فذهبت أقواله كلها — فى هذه المحكمة — أمثالا .

(٢) الفاختة ، واحدة الفواخت : من ذوات الأطواق (صح) ضرب من الحمام المطوق (ل) .

(٣) ما بين المعقوفتين ، سقط من نسخة (ض) .

(٤) لعل أبا العلاء نظر فيه إلى بيت وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال — من شعراء الحماسة — يقوله للحجاج بن يوسف :

من مبلغ الحجاج عنى رسالة	فإن شئت فاقطعنى كما قطع السلا
وإن شئت فاقتلنا بموسى رميضة	جميعاً فقطعنا بها عقد العرا
وإن قلت لا ، إلا التفرق والنوى	فبعدا ، أدام الله تفرقة النوى
فإنى أرى فى عينك الجذع معرضاً	وتعجب إن أبصرت فى عينى القذى

وانظر معه فى أمثال الميدانى : كيف تبصر القذى فى عين أخيك وتدع الجذع المعترض فى عينيك ؟ (٢/١٥٥)

أَلستَ قد دفعتَنى عن دَعوى النظمِ بأَنك احتججتَ أَنى أَجمعُ بين الساكِنَين فى صوتٍ من غيرِ وقفٍ يُدرِكُ النَّفَسَ . وهذه الفاختةُ ، بين ابتدائها بصَوتها وسكوتِها على آخرِه ، ساكنان يلتقيانِ ليسا فى وقفٍ . لأَن العامَّةَ يقولون فى حكايةِ صوتِها : . . . يا فاختِهْ . فيكسِرون الخاءَ ، وهذه لعمرى كلمةٌ موزونة ، وهى سُدُس الرجز التامِّ ورُبْعُ المجزوءِ وثلثُ المشطورِ ونصفُ المنهوك . ومُوَازِنُ هذا من صوتِ الفاختةِ يلتقى فيه ساكنانِ وكأَنه فى التقديرِ الأَلفُ والخاءُ . ومَن تأَمَّلَ ذلك فى أَصواتِ الفَواختِ وجَده .

وكأَنى بكَ تحتجُّ علىَّ بهذا البيتِ الذى ذكره «سيبويهِ* » فى الإدغامِ وهو قولُ الراجزِ :

كأَنها بعــد كلالِ الزاجِرِ ومَسْحِه مَرُّ عُقابٍ كاسِرِ [1]

فهذا بيتٌ قد كثُر فيه الكلامُ . وأَكثرُ الناسِ لا يُثبِتُه لأَن صاحبَ

---

(١) هو من مشطور الرجز . وروايته هنا ، مثل رواية « ابن سيده » للرجز ، شاهداً على : عقاب كاسر، وهى التى تكسر جناحيها وتضمها إذا أرادت السقوط. أراد الراجز : كأن مرها مر عقاب (صح) وأنشده سيبويه : * ومسح مر عقاب كاسر * يريد : ومسحه ، فأخفى الهاء . قال ابن جنى : قال سيبويه كلاماً يظن به فى ظاهره أنه أدغم الحاء فى الهاء بعد أن قلب الهاء حاء ، فصارت فى ظاهر قوله : ومسح . واستدرك أبو الحسن ذلك عليه بأن هذا لا يجوز إدغامه لأن السين ساكنة ولا يجمع بين ساكنين .

وانظر دفاع ابن جنى عن سيبويه فيما يظن به من غلط فاحش ، فى كسر الوزن (اللسان : كسر)

مسح الزاجر الإبل ضربها ، ومسحها أيضاً ، بالفتح : سيرها . وفرس مسح بالكسر : كأنه يصب الجرى صباً . والعقاب ، الطائر المعروف . مؤنثة ، تجمع للقلة على أعقب ، كعناق وأعنق وذراع وأذرع والكثير : عقبان (الصحاح)

* سيبويه : أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، مولى بنى الحارث بن كعب . أخذ النحو عن عيسى بن عمر الثقفى ويونس والخليل ، واللغة عن الأخفش الكبير . وتصدر رياسة مدرسة البصرة وصنف (الكتاب) المشهور ، وفى الإنباه أنه أخذ جملته من (الجامع) لعيسى بن عمر ، فبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، (الإنباه : ٢/ ٣٤٦ ، وأخبار النحويين ٤٨ ، ونزهة الألبا ٧١ ، وابن خلكان ١/ ٥٤٩ وطبقات الزبيدى ٣٨ والبغية ٣٦٦ والشذرات ١ / ٢٥٢ وأدباء ياقوت ١٦ / ١١٤) وانظر « عيسى ابن عمر » فى أعلام الصاهل والشاحج .

(الكتاب» دلَّ كلامُه على أنه أدغم الهاءَ في الحاءِ . وهذا ما لا يُمكنُ . وقد حُكِيَ عن «الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الغفَّارِ الفارسيِّ النحويِّ*» أنه كان يُنشِدُ هذا البيتَ ، فيجمعُ فيه بين ساكنين ، وهو قولُ الراجز :

يا عجباً لقد رأيتُ عَجَبَا   حِمارَ قَبَّانَ يسوق أرْنَبَا (62)
خاطِمَها زامَّها أنْ تَذْهَبَا[1]

فيجمعُ بين ساكنينِ في : زامَّها . وإن صحتْ هذه الحكايةُ عنه ، فإنما يتعلقُ بالبيتِ الذى أنشده «سيبويهِ» ، والجماعةُ على خلافِه في : زامَّها ، لأنهم يُنشدون : زَأْمها ، بالهمزِ ، ويحكون أن ذلك لغةُ العرب .

وزعم «أبو زيد الأنصاريُّ*» أنه أدركتْه صلاةُ الصبْحِ عند مسجدِ «يونُسَ بن عبيد»* فدخَل فصلَّى خلفه ، فسمِعه يهمزُ : «ولا الضألين» ويقال إنها قراءةُ «أيوبَ السَّختيانى*» وقد زعموا أن «الحسنَ

(١) الرجز في أمثال الميدانى : أذل من حمار قبان ، وهو ضرب من الخنافس . وروايته : خاطمها زأمها أن تذهبا * بالهمز . والشطران الأولان في (الصحاح واللسان : قبب) شاهدا على حمار قبان دويبة ، وهو فعلان من قب ، لأن العرب لا تصرفه ، وهو معرفة عندهم ، ولو كان فعالا — أى من : قبن — لصرفته . وفي (اللسان : زمم) : واستعار بعض الرجاز الخطام في الحشرات فقال :
يا عجبا (الشطران الأولان) و بعدهما :
عاقلها خاطمها أن تذهبا   فقلت أردفنى فقال مرحبا
ورواه ابن جنى : * خاطمها زأمها أن تذهبا * بالهمز .

* الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى : أبو على ، من أئمة علماء العربية والقراءات في القرن الرابع للهجرة . من أشهر مصنفاته كتاب الحجة في القراءات ، والإيضاح في النحو . وترجمته في طبقات القراء ١ / ٢٠٦ و إنباه الرواة ١ / ٢٧٣ ووفيات الأعيان ١ / ١٣١ .

* أبو زيد الأنصارى : سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى الخزرجى . من متقدمى نحاة البصرة ، وكان ثقة ثبتا . أخذ عن عمرو بن عبيد وأبى عمرو بن العلاء . وأخذ عنه القاسم بن سلام والسجستانى وأبو حاتم الرازى . توفى بالبصرة حوالى سنة ٢١٥ هـ عن ٩٣ سنة (إنباه الرواة ٢ / ٣٠)

ومسجد يونس بن عبيد ، بناه يونس شيخ البصرة ، كان إماما علمًا وحافظًا متقنًا . ت سنة ١٤٠ هـ حديثه عند الستة (تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢)

* أيوب السختيانى : ابن أبى تميمة كيسان ، أبو بكر . سيد فقهاء البصرة من أعيان التابعين (طبقات ابن سعد ٧/٢/١٤ وتهذيب التهذيب ١/٣٩٧) .

(٣١) البصرىّ* » كان يقرأ : || « ما من دأبةٍ إلا هو آخِذٌ بناصِيَتِها »(١) .

ولا أَحسبُ هذا القولَ المروىَّ عن « الفارسِىِّ » إلا وَهْماً من راويه ، أو يكونُ قولا يَنفردُ به قائلهُ ويُخالِف إجماعَ الناسِ فيه.

ومن ظُلمِكَ وإعناتِك أنكَ دعوتَنى إلى تحكيمِ حَكَمٍ العامَّةُ تضرِبُ المثلَ بكذِبهِ فتقولُ : أَكذَبُ من فاختةٍ ! أفترُانى أَجعلُ حَكَماً على نفسى مَن قد شُهِرَ بهذه الشيمةِ ؟ ومن استرعَى الذئبَ ظَلَم ، ومن صَدَّقَ كلَّ بارقٍ أَخْلَفَ. ولكن اطلُبْ حَكَماً سِوَى هذه فقد اشتهر عنها ما تعلمُ . ولا تَدْعُنى إلى الغُرابِ فإن رسولُ اللهِ صلىٰ اللهُ عليه وسلم سمَّاه فاسِقاً(٢). ولستُ بمُحَكِّمٍ أهلَ الفِسقِ ، ولا إلى الزِّرْيابِ(٣) ، فإن به صَرعاً وإنْ كان عالماً باللغاتِ منصرفاً فى أَجناسِ القولِ . ولو عدَلتَ عن ذواتِ الجَناحِ إلى ذواتِ الأَربعِ لكنتَ أَقربَ إلى النَّصَفةِ . وهذه الإبلُ قد جاءت للوِرْدِ فإن شئت أَن تستظهرَ لِعِلْمِكَ فاجعل الحكَمَ بعضَها تُوَفَّقْ فى ذلك .

فيقدِرُ اللهُ الواحدُ على أَن يُنطِقَ الصاهلَ فيقول :

إنما اخترتُ الفاخِتةَ إذ كانت شاعرةً ، فأَردتُ أن أَستعينَ بها على

---

(١) من الآية ٥٦ : سورة هود .

(٢) انظر معه حديث السيدة عائشة وقد سئلت عن أكل الغراب ، فقالت : ومن يأكله بعد قوله – صلى الله عليه وسلم – فاسق ؟ (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير : باب الفاء مع السين) ونقل فيه قول الخطابى : أراد بتفسيقها – الغراب ونحوه – تحريم أكلها . وفى (الدر النثير للسيوطى ، على هامش النهاية) : وسمى الغراب والفأرة ونحوها فواسق لخبثهن ، وقيل لخروجهن من الحرمة فى الحل والحرم ، أى لا حرمة لهن .

(٣) الزرياب طائر أسود غرد ، ذكره المعرى فى شعر له . « وكم يخمش زريابها » وبه لقب زرياب المغنى وكان آدم اللون فصيح اللسان (ف) .

* الحسن البصرى ابن أبى الحسن ، أبو سعيد . من سادات التابعين . إمام أهل البصرة ، الفقيه العابد الزاهد الناسك . أمه مولاة السيدة أم سلمة أم المؤمنين ، وكانت رضى الله عنها ربما علَّلته بثديها حتى تجىء أمه فيدر عليه . ت ١١٠ هـ (ابن سعد ١٢٨/١/٧ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢).

أحكامِ الشعرِ. أوَ ليس قد كان الساداتُ إذا اختلفوا فى أمر الشعرِ سألوا عنه «حسانَ وجريرًا والفرزدقَ* » وغيرَهم من الطبقةِ الثانيةِ وليس فيهم من يتحرَّجُ عن الكذِبِ|| فى المنظوم، ويرضَى سائلُهم فى الحكومةِ بما يقولون؟ أوَليس (63) إلى «حسانَ» رُجعَ فى أمرِ «الزبرقان* والحطيئة* » وحسانُ مَجْلودٌ فى الإفك؟[١]

وأما قولُ العامَّةِ: «أكْذَبُ من فاختَة» فإنما هو افتراءٌ عليها، ولعلها لم تَكذِبْ قَطُّ. هم الذين تخرَّصُوا ما حَكَوه وادَّعَوا أنها فى ذلك الصوتِ الذى يصدُرُ عنها تقول: «قد جاءَ الرُّطَبُ» حتى قال قائلهم[٢]:

أَكذبُ مـــن فاختـــةٍ تقـــولُ فوقَ الكَرَب
والطَّلْعُ لم يَبْـــدُ لهـــا هـــذا أوانُ الرُّطَبِ

وقد عَلِمَ اللهُ بِعِزَّتِه أنها لم تَفُهْ قطُّ بهذه الكلمة. كما أن الطائرَ الآخرَ لم يَقُلْ:

* سقطْ رِدَاك خُـــذْهُ *

---

(١) يشير إلى قضية الخصومة بين الزبرقان بن بدر التميمي والحطيئة العبسى الذى هجاه بسينيته المشهورة. وفى الخبر أن الزبرقان استعدى على الحطيئة، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فسأله: ما قال لك؟ فقال: قال لى:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فسأل عمر رضى الله عنه حسان بن ثابت: ما تقول؟ أهجاه؟ قال: ذرق عليه. فألقاه عمر فى حفرة اتخذها محبسا، حتى استعطفه بالقصيدة الرائية:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

باختصار من ترجمة الحطيئة فى (طبقات الشعراء لابن سلام)

وقوله: وحسان مجلود فى الإفك، يشير إلى أنه كان ممن خاضوا فيه حتى نزلت آيات النور باستعظام ذلك البهتان، وشرعت حد الإفك. وتفصيل ذلك فى (السيرة ٣/٣١١، الصحيحين).

(٢) رواية الميدانى للشطر الثالث: * والطلع لما يطلع * ذكره فى المثل: «أكذب من فاختة» –

* حسان: بن ثابت، وجرير، والفرزدق = ١٧٨، ١٢٠، ١٢٠
* الزبرقان بن بدر: السعدى التميمى = ١٧٦.
* الحطيئة، العبسى = ١٧٦.

وإنما ذلك تشبيهٌ من العامَّةِ ، ووضعٌ للشيء على ما قَرُبَ منه . وتَأَملْ صوتَ الفاختةِ فإنه جنسٌ واحدٌ ، وليس ما تَدَّعِيه العامةُ عليها بصحيحٍ . وليس الصوتُ الذى تقولُ فيه بزَعمِهم : يا فاختِه ، مُخالِفاً لِلصَّوتِ الذى هو عندهم : عبدُ الصَّمدُ ، بل هما فنٌّ واحِدٌ ووَزْنٌ فى الحِسِّ مُتَساوٍ. وقد كُنْتُ أَحْلِفُ المُحْرِجَةَ فى مُعَطِّلِ الرِّمَاحِ من قَبْلِ عاذلٍ فى القَلْتَةِ أو النَّحِيرَةِ وذلك بِصَلاحٍ فى « بَكَّةَ »* : أن العامَّة كذبتْ على هذا الطائرِ كما كذبتْ على غيرِه من الطيرِ والبهائمِ[1] .

وأما قولُكَ فى التقاءِ الساكنينِ ما قلتَ ، فقد مضى فى المحاورةِ معك ما هو كافٍ . واليونانيةُ تجمَعُ فى أشعارِها بين الساكنينِ فى غيرِ آخِرِ البيتِ. وكذلك غيرُها من الأُمَمِ ما خلا العَرَبَ فإن كلامَها تَهذَّبَ ونظامَها خَلَصَ. على أن شيئاً من ذلك قد جاء عنهم . فأمَّا فى أواخرِ الأَبياتِ فالعربُ وغيرُهم لا ينفِرون من جمعٍ بين ساكنينِ .

وأما قولُكَ ، وقد استمرَّ بك عَجَبُكَ ومَدَّكَ فى المقالِ غَيُّك : إن قولَها « يا فاختة » سُدُسُ الرجَزِ التامِّ ، فكيف جعلتَها راجزةً والرجَزُ إنما تقوله العربُ
فى حُدَاءِ الإبلِ ومِرَاسِ || الأعمالِ من حَرْبٍ أو جَذْبِ غَرْبٍ أو سُرى ليلٍ أو (64)
ركوب هاجِرةٍ ؟ إنما يُحضِرونه نفوسَهم عند الونِيَّةِ[2] ليكونَ مُسْكَةً لِلمُنَّةِ وذريعةً إلى النشاطِ . والفاختةُ إنما تصيحُ هذه الأَصواتَ فى أولى أوقاتِها

(١) المحرجة : اليمين التى تحرج – أى يأثم من يحلف بها– . ومعطل الرماح : شهر رجب : أول الأشهر الحرم . وعاذل : شعبان . والقلتة : آخر ليلة من الشهر الحرام . ويقال هى أول ليلة من الشهر الحل . والنحيرة : آخر ليلة فى الشهر ، وقيل بل هى أول ليلة فى الشهر الذى يليه لأنها تنحره ، أى تطويه (ف ، ض) .

(٢) الونية : الفتور . والمنة : القوة (ف) .

* بكة : ما بين جبلى مكة (ف ، ض) وتطلق أيضاً على مكة ، لأنها تبك أعناق الجبابرة.

بالمَسَرَّةِ وأجدرِ زمانِها بالدَّعةِ . ودليلُ ذلك تـأَيُّدُها فى الصوتِ ومَجيئُها به على رِسْلٍ[١] ، ولا تصيحُ فى حالِ الطيرانِ ، وإنما تصيحُ وهى واقعةٌ على غُصْنٍ أو غيرِه . ولها إذا رِيعت فى الوَكرِ أو الهواءِ صوتٌ مخالِفٌ لهذا الصوتِ. ومن تفقدَ ذلك عَرَفَه ، فكيف حكمتَ على صوتها أنه رجَزٌ ولم تحكم عليه أنه من الكامل المُضمَر ؟|| إنك لَغَبِينُ الرأىِ فاسِدُ القياسِ . (٣٢)

وأما دُعاؤك إلى تحكيمِ بعضِ الإبلِ فصِنْفٌ من الجَهلِ مُبين : أما الناقةُ فحَسبُها من قِلَّةِ اللُّبِّ أن وَلَدَها يُذبَحُ ويُحشَى جِلدُه من الثُّمامِ فتَدُرُّ عليه وعندها أنه حُوَارُها ! وأما الجَمَلُ فأخوها ، وهل يكونُ «ابنُ دُغَةَ*» إلا على قَدْرِها ، «وابنةُ جهيزةَ*» إلا من جنسها؟ وحسبك من جهالةِ الإبِلِ أنها تَترُكُ ما لَانَ من المَرعَى وتختارُ عليه شَوْكَ السَّعْدانِ وغيرَه من الشجرِ والعِضاه[٢] ، فربما نَشِبتْ الشوكةُ منها فى بَطْنِ البعيرِ فكانت سببَ هلاكِه .

وأحسبُكَ عَدَلتَ عن ذواتِ الأَجنحةِ وهى ألطفُ أجراماً وأحسَنُ أصواتاً وأذكى قلوباً وأبعدُ فى بلادِ اللهِ سَفَرًا ، لِتَرُدَّ الحكومةَ إلى ذوات الحافِرِ ،

---

(١) الدعة : الترفه . على رسل : على تمهل (ف) .

(٢) السعدان : شجر شوكى ، والعضاه كل شجر له شوك (ف) .

* دغة : بنت معنج بن عجل- المضروب بها المثل فى الحمق – وقيل إن دغة اسم للفراشة ، لأنها تحمق بحومها على سراج حتى تحترق (ف) .

وفى المثل «أحمق من دغة» قال الميدانى إنها : مارية بنت معنج – أو منعج – بن عجل . ونقل نوادر من حمقها (١/٢١٩) وفى المادة : الدوغة الحمق (ق) : وفى فلان دوغة ، أى حمق .

* جهيزة : قيل إنها أم شبيب الخارجى وكانت حمقاء (ف) .

وفى (ص ، ق ، ل) : جهيزة ، اسم امرأة تحمق . قال ابن السكيت : هى أم شبيب الخارجى ، وكان أبوه اشتراها من السبى فلما حملت منه وتحرك الجنين فى بطنها ، قالت : فى بطنى شىء ينقز . فقيل : أحمق من جهيزة . وانظر المثل فى (مجمع الأمثال للميدانى ١/٢١٨) .

وتَخُصَّ بالنيابةِ فيها بعضَ أعمامِكَ الذين هم كما شاءَ اللهُ . ومَن يُؤمِنُ حَكَمًا يحكُمُ عليك أن تدَّعِيَ عليه التخرُّصَ والجنَفَ؟ وقد بان فيك بعضُ الفهم ، وجائزٌ أن يُوَفَّقَ لكَ مَن يجوزُ تمويهُك عليه ، فإن زمانَنا مُذْ كان ، لِلكذِبِ فيه سُوقٌ ليست للصِدقِ ، والباطلُ عِنده مسالِكُ زُوِيَتْ عن الحقِّ . وإنما ادعيتَ أنك تحمِلُ إلى السيدِ «عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ
(65) أميرِ الأمراءِ» - أعَزَّ اللهُ نصرَه - بيتينِ أو ثلاثةَ ، فلوأنكَ|| نَظَمْتَهما بِدُرٍّ ما وقعا من إرادتِك بقُرٍّ . والشاعرُ قد ينظمُ الكلمةَ بعد الكلمةِ فيُطيلُ فيها ويُجيدُ ، ثم لا يَظفرُ من الملِكِ بطائلٍ .

ومَن يَحمِلُ قَريضَك ، على سوءِ ظنِّكَ وشراسةِ خُلُقِكَ ؟ لو تحمَّله عنك مُتَحَمِّلٌ لَما أَمِنَ مع رَدِيءِ شِيَمِك أن تتَّهمَه بخيانتِك وحَسَدِك وأن تطالِبَه بالجائزةِ وهو لم يُعْطَها ، وتدَّعِيَ فى كلامِكَ الفضيلةَ ولم تُرْزَقْها . وكأنى بكَ لو نظمتَ بيتاً أو بيتين لَجعلتَ الرَّوِيَّ حَاءً أو هاءً لأنهما من شكْلِ صوتِك . ولو أنشدتنى ما قلتَ لَوقَفتُك من عيوبِه والغلطِ فيه ، على ما يُوجِبُ تسليمَها إلىَّ .

ويَقدِرُ اللهُ سبحانه على أن يُنطِقَ الشاحجَ فيقول :

إن أسأتُ الظنَّ بكَ ، فمن بعدِ إخلافِ مَخِيلتِك ، لأنى بدأتُ برَجائك ومسألتِكَ ، فلَقِيتَنى بِحَذِّ الأَمَلِ وإخلافِ الرجاءِ . ومن استكثر قليلَ الأَشياءِ فلا طمعَ فى جزيلها من قِبَلِهِ . ولو تحمَّلَ ما أقولُ مُتحمِّلٌ لَجزاه اللهُ على ذلك بأجرٍ وجزَيتُه بالثناءِ والشكرِ . ولستُ مِمَّنْ يطلبُ جائزةً على قولِ الحقِّ ، وإنما الغرضُ أن يَخِفَّ الأَوْقُ[١] ويزولَ بعضُ الأَثقال .

---

(١) الأوق : الثقل (ف) يقال : ألقى عليه أوقه . وقد أوقته تأويقاً ، أى حملته المشقة والمكروه (ص) .

وأما قولكَ : لو أنشدتَنى لفعلتُ ـ ووصفتَ صنيعَكَ ـ فلستَ بأهلٍ للإنشادِ . لأنك مِثلُ ما جاء فى الكتاب الأعزِّ :

« قد بَدَتِ البغضاءُ من أفواهِهِم وما تُخْفِى صُدُورُهم أكبَرُ »[1] .

ولو كنتَ مَرَيْتَ[2] ما عندى باللطفِ واستخرجتَ سَرائرى بِحُسْنِ الوعدِ ، لأَنشدتُكَ إنشادَ الفُحولِ وغنَّيتُك غِناءَ الحُكماءِ بأَىِّ الأَلحان الثّمانيةِ شئتَ[3] ، أو نَصِبتُ لك نصبَ العَرَبِ على مذهبِ «أَبى أُسامةَ الهمْذانى* » وهو أولُ مَن غنىَّ النَّصْبَ بالعراق[4] .

وأما إنكارُك أَنى جعلت الفاختةَ راجزةً وأَخرجتُ الرجزَ عما وُضِعَ له ، فقد وجدنا المتحققينَ بهذا الشأنِ فى قديمِ الزمانِ والحديثِ ، أَخرجوا الرجزَ عما ذكرتَ من الحُداءِ ومِراسِ الأَعمالِ ، إلى أَصنافِ المدحِ || وطبقاتِ النسيب ، (66)
وصرفوه مختارينَ فى أنحاءٍ كثيرةٍ ، وافتَنُّوا فى ذلك مِثلَ ما افتنوا فى القَصيدِ .

وأما زعمُك أَنى أُريدُ أَن أَجُرَّ الحكومةَ إلى بعضِ الأَعمام ، فليس الأَمرُ

---

(١) من الآية ١١٨ : سورة آل عمران .

(٢) مريت : استخرجت ، وأصله من : مرى الضرع وهو مسحه ليدر اللبن (ف) .

(٣) الألحان الثمانية ، أو قوانين الغناء عند العرب ، وهى فى مصطلحهم : ثقيل أول ، وخفيفه ، وثقيل ثان ، وخفيفه ويسمى الماخورى ، والرمل ، ثقيله وخفيفه ، والهزج وذفيفه .
انظرها فى تصدير الجزء الأول من (كتاب الأغانى: ٤٠ الدار) ومعه رسالة الغفران ٢١٢ : ٢١٤.

(٤) والنصب غناء العرب (ض) .
فى (الصحاح) : وغناء النصب ضرب من الألحان . وفى الحديث : لو نصبت لنا نصب العرب ، أى لو غنيتنا غناء العرب ، وهو غناء لهم يشبه الحداء إلا أنه أرق منه .
وانظر الحديث فى كتاب (النهاية لابن الأثير) باب النون مع الصاد وقد فسره ابن الأثير بمثل ما نقلنا من الصحاح . و بمزيد تفصيل فى (اللسان : نصب)

* أبو أسامة الهمدانى : اسمه أحمد . وكان ممن خرج فى بنى همدان ، مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج بن يوسف . وكان أحمد موالياً لأعشى همدان ، يقول الشعر و يغنى فيه أحمد نصباً ، وهو أول من غنى النصب فى العراق (ف) . وانظر (تاريخ الطبرى : سنة ٨١ : ٨٢ هـ) .

كما ظننتَ ؛ على أنهم أجدرُ بالخَيرِ وأَوْلى بالحِلْمِ وأبعدُ من العُبِيَّةِ[١] .

وقد مضتْ الدهورُ السالفةُ وأنا لا أعرِفُكَ ، ولعل ما غبرَ من العُمْرِ ينقرِضُ ولم أَلْقَكَ :

كِلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ونحن إذا مُتْنَا أشدُّ تَغانِيَا[٢]

وكيف آمَنُكَ على الإنشادِ وأنت لم تَثبتْ نَفسُك على ادعاءِ المعرفة ، فكيف ثَباتُها على إظهارِ الفضيلة ؟ فلَعَنَ اللهُ سِرًّا عند المُعيدىِّ ، وأمْرًا يشهدُه دون الملإِ جارُ السُّوءِ . وكيف آمَنُ أن تدَّعِىَ علىَّ الخطأَ أو الكسْرَ والإحالةَ فى المعنى ، ولا تسمح لى بالضروراتِ التى اصطلح عليها أهلُ النظام ؟

(٣٣) كحذفِ التنوينِ والتقديمِ والتأخيرِ وتذكيرِ المؤنثِ || وتأْنيث المذكر والقلْب الذى هو مُتَعارَفٌ فى المُعْتَلِّ كما قال « الهمدانىُّ* » :

---

(١) ضبطها فى (ف) بضم العين وكسرها : الكبرياء وكذلك ضبطها فى (الصحاح : عب) ضبط قلم : رجل فيه عبية وعبية : أى كبر وتجبر ، وعبية الجاهلية نخوتها .
وضبطها فى القاموس ضبط عبارة ، وقال : الكبر والفخر والنخوة .

(٢) فى الطرة (ف) هذا البيت لعبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر .
والبيت فى أمالى المرتضى (١/٣١) ولم يسم قائله وهو فى (الكامل للمبرد ١/٢٦٢) من ستة أبيات لعبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وقبله البيت السائر :

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وهو من شواهد المغنى : كلا وكلتا (رقم ٣٨٣) وذكره السيوطى فى (شرح الشواهد : ١٨٩) لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطالبى من شعراء الدولتين ، فى ستة أبيات يعاتب صديقه ابن الحسين ابن عبد الله بن عباس . ونقل عن الحماسة البصرية أنه للأبيرد الرياحى يهجو حارثة بن بدر ، وكذا فى الأغانى . وفى قول إنه لسيار بن هبيرة بن نبطى يعاتب أخويه خالدا وزياداً . والبيت فى (ذيل الأمالى ٧٣) من قصيدة ٣٢ بيتاً لسيار بن هبيرة . وفى (اللسان : غنى) للمغيرة بن حبناء . فتأمل ! ؟

* الهمدانى : هو الأجدع بن مالك ، أبو مسروق الهمدانى (ف) وفى جمهرة الأنساب : الأجدع ابن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر ، أبو مسروق بن الأجدع الهمدانى الفقيه الجليل (٣٧١) شاعر فارس مخضرم (المؤتلف ٤٩) من شعراء الحماستين والأصمعيات . وبيته هنا من حماسية له أصمعية ، وكان قد أغار فى الجاهلية على بنى الحارث ، وامرأته منهم ، فأصاب فيهم مقتلا ، ولما سألته امرأته عما غنم من إبل ومال ، قال : أسألتنى بنجائب ورجالها ونسيت قتل فوارس الأرباع

وكأَن أَعظُمَها كِعابُ مُعافرٍ   ضُربَت على شُزُنٍ فهن شَواعِ [1]

أَى شوائع . وكما قال « خُفاف* » :

فإِمَّا تَرَيْنى غيَّر الدهرُ لِمَّتى   ولاحت لَوَاحِى الشيبِ فى كلِّ مَفْرِقِ

إنما هو : لوائح ، فى قول « أَبى عبيدةَ* »

أَو تَعيبَنِى إذا قصرتُ الممدودَ الذى قصَرتْه الفصحاءُ ، وتحظُرَ علىَّ أَن أَغيرَ الاسمَ الموضوعَ عن حالِه ، وذلك كلُّه مُطلَقٌ [للشعراء] كما علمتَ ؟ ولعلى لو أَنشدتُك لَزعمتَ أَنى قد كسرتُ ، ولم تتغاضَ عن خَلَلٍ إن كان مثلَ ما تغاضى [عنه] مَن تقدَّم لِـ : « عَبيدِ بن الأَبرص* » فى قصيدتهِ ، فرُوِيَتْ فى جملةِ المنظوم إلى اليوم ؟ وكما تُرِكَ « الأَعشى* » وما || صنَع فى قولِهِ : (67)

---

(١) رواية الآمدى : * وكأن عقراها كعاب مقامر * ورواية القالى فى أماليه (١ / ٢٣) : وكأن ضرعاها . . ومثلها فى تنبيه البكرى ، والصحاح : (شعا) شاهداً على : جاءت الخيل شواعى ، أى متفرقة ، أنشده الأصمعى للأجدع بن مالك ، وقال : أراد ، شوائع ، فقلبه . والشزن ، مثال الطنب : الناحية والجانب . وهو فى اللسان (ش ى ع) : شواعى ، على القلب : متفرقة .

ويأتى شاهد آخر من هذه العينية ، وفيه : كاع ، مقلوب كائع .

* خفاف بن ندبة : أبوه عمير بن الحارث بن الشريد السلمى . وأمه : ندبة ، أمة سوداء ، إليها ينسب . وهو من أغربة العرب وشعرائها المجيدين ، ويكنى أبا خراشة . شهد فتح مكة ومعه لواء بنى سليم . انظر مع الاستيعاب (رقم ٦٧٤) مؤتلف الآمدى ١٠٨ وديوان الحماسة ، والمبهج ٣٨٠ ورسالة الغفران : ١٣٢ ، وشرح أدب الكاتب ٣١٢

* أبو عبيدة : معمر بن المثنى التيمى البصرى ، مولى تيم قريش (١١٤ : ٢١٠ هـ) من علماء العربية فى القرن الثانى للهجرة ، وكان شعوبياً يتعصب للفرس على العرب . له : مثالب العرب ، وفضائل الفرس ، ومعانى القرآن ، ومجاز القرآن ، وغريب الحديث ، وكتاب الجمل وصفين . . وهو من أعلام الغفران (الفهرست ، ونزهة الألبا ١٣٧ والإنباه ٣ / ٢٧٦)

* عبيد بن الأبرص ، بن جشم بن عامر الأسدى ، من ثعلبة بن دودان بن أسد (جمهرة الأنساب ١٨٢) فى الطبقة الثالثة من فحول شعراء الجاهليين ، ناضل بشعره لتحرير قومه بنى أسد من بغى حجر الكندى والد امرئ القيس ، وهو من شعراء المعلقات ، والغفران . عمر طويلا ، وقتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه (طبقات الشعراء ، والشعر والشعراء ١ / ٢٧١)

* الأعشى ، البكرى ميمون بن قيس = ١١٢

ألم تــروا إرماً وعــادًا أَوْدَى بها الليلُ والنهارُ

وقد حملتْ الرواةُ كلمةَ «الطِّرِمَّاح* » وهى وَزْنانِ مختلفانِ ، أعنى قولَه :(١)

طال فى رسمِ مَهدَدٍ أَبَدُهْ وعَفَى واستوى به بلده

ومَحَــاه هَطَّالُ أَسْمِيَــةٍ كلَّ يومٍ وليــلةٍ تردُه(٢)

لم يَبْقَ مِن مَرْسٍ كفُّ صاحبِهِ أخلاقُ سِرْبالِه ولا جُرُدُه(٣)

مَوعَبُ لِيطِ القَرا به قُوَبٌ سُودٌ قليلُ اللِّحاءِ مُنجَرِدُه(٤)

مُجَرَّبٌ بِالرِّهــانِ مستلِبٌ خصلَ الجَوارى طرائفٌ سَبَدُه(٥)

ولَدَىَّ بِمَنِّ اللهِ من العلومِ الغريبةِ والآدابِ الشاردةِ ما يُغنينى عن التجَمُّلِ بطويلِ القريضِ ، فكيف بقَصيرِه ؟ ويَمنعُنى من التكثُّر بمتماحِلِه وعُروجِه ، فكيف بِفَذِّه وتوأَمِه ؟(٦)

* * *

والفاخِتةُ فى هذا كلِّه واقفةٌ تسمعُ مُناجاةَ الصاهلِ وثناءَه عليها ، وأقوالَ

(١) يصف قدحاً أورده قبل هذا البيت (ف) ومهدد ، اسم امرأة ، قضى ابن سيده أنه فعلل ، الميم فيه أصل ، لأنها لوكانت زائدة لأدغموها مثل مسدد ، الدال فيه ملحقة ، والملحق لا يدغم .

(٢) البيت فى (ل ن : سما) أنشده ابن برى شاهداً على : أسمية ، جمع سماء بمعنى المطر

(٣) مرس : دلك . أخلاق جمع خلق وهو البالى ، وجرد : جمع جريد (ف)

(٤) الموعب : الذى قد استوعب قشره ، والليط : ظاهر الجلد ، والقوب : مواضع مثقوبة ، ومنه القوباء (ض) والقرا : الظهر .

(٥) الخصل : ما يقامر عليه . والطرائف من المال : المستحدثات (ض) والسبد ، ما ينبت من الشعر أو الريش ومنه : سبد الشعر بعد الحلق . وسبد الفرخ إذا بدا ريشه وشوك (ص)

(٦) الفذ والتوأم : المفرد والمزدوج (ف ، ض) .

* الطرماح ، بن حكيم ، من بنى الغوث بن طيئ (جمهرة الأنساب ٣٧٩) شاعر إسلامى فصيح ، نشأ بالشام واعتنق مذهب الأزارقة ، وكان من خطبائهم . وهو من شعراء الحماسة ، والغفران . وانظره فى (المؤتلف ١٤٨ والشعر والشعراء ٣١٨ وتاريخ دمشق ٧ / ٥٢) .

الشاحج ونقصَه منها ، فترِفُّ[١] عينُها للصاهلِ ، تَغمِزُ عليه وهو لا يراها لأنه معصوبُ العينين . وتنطلقُ إلى البعيرِ الواردِ فتَعكسُ ما قال الشاحجُ فيه وتجعلُ القولَ الذى نطق به الصاهلُ من وصفِه بالجهلِ ، محكِيًّا عن الشاحج ، تريدُ أذاتَه بذلك . فَتخبره بما قيل فيه من الصفَةِ بقلةِ اللُّبِّ ، فتملأُ صَدرَه من الغضبِ والحِقدِ . حتى إذا ورَد ، بَهَش بِفَمِه بعد الرِّىِّ إلى جحفَلَةِ ذلك المِسكينِ . فما شعَرَ حتى أَزَمَّ بها على الغِرَّةِ إزمةَ حَنِقٍ مغتاظ ، وهَدَرَ فى ذلك هَدْرَ المُوعِدِ[٢] .

فضجَّ الشاحجُ وقال : ما هذا يا أبا أيوبَ ؟ لقد سَفُهَ حِلمُك وخفَّ وزنُك ونفرتْ نعامَتُك[٣] . فما الذى حَمَلك على ما صنعت ؟ أليس على ظَهرى|| يَستقِى رَبُّكَ إذا مررتَ فى أسفارِكَ فتشرب النَّهَلَ والعَلَلَ من العذب (68) الناجعِ من غيرِ طلَبِ ثوابٍ عليه ؟ . وقد عَلِمتَ أنك تكونُ فى الحَوْمِ الوارد وقد ألهبَكَ سَعَرُ الخِمْسِ فلا تصل إلى تَغميرتِك إلا بعد عِرادِ الإبلِ ودفعِ المناكِب بِمَنكبِكَ واهتِضامِكَ ضَعفتَها عند وُرودِكَ ، واقتصارِ المصاعبِ لك وتفرُّدِها بما قُرِىَ فى الحَوضِ دونَك[٤] . وقد علمتَ أنك تَرِدُ بعد الظِّمْءِ التامِّ ، فإن يَكُنْ ساقيكَ عزيزَ الجانبِ كثيرَ النافرةِ نافذَ الأقضيةِ ، وإلا حُلِّئتَ عن المَوْرِدِ ورجع صدرُكَ بغُلَّتِه . وإن كان صاحبُكَ ضعيفاً فى قومِه غيرَ بعيدِ الصِّيتِ فى عشيرتِهِ ، ثم دنوتَ إلى الحوضِ ، حُنِيَت العَصَا لكَ أو قُذِفتَ بالحجَرِ والفِهْرِ ، فربما غارت عينُك أو دَمِىَ مِشفَرُك .

(١) ترف : تختلج (ف) والضمير فى : عليه وهو لا يراها ، للشاحج .

(٢) بهش . بفمه : تناول ، وبهش للشىء إذا تهيأ له وطلبه . وجحفلة البعير بمنزلة الشفة للإنسان ، وأزم : عض (ف) .

(٣) أبو أيوب : كنية الجمل . ونفرت نعامتك : إشارة إلى الطيش والخفة (ف) .

(٤) سعر الخمس ، توقد الظمأ وتلهبه ، حين يحال بينه وبين الرى فلا يورد إلا فى اليوم الخامس من الإظماء . والمصاعب : الفحول (ف) جمع مصعب . وقرى : جمع .

فلَكَ ولنُظَرائك إذا كان الأَمرُ على ما ذكرتُ ، قال القائلُ : ضربَه ضربَ غرائبِ الإبلِ . وقال «المثقِّبُ*» :

كأَن قِذافَ ما تَنْفِى يداها قذافُ غريبةٍ بيَدَىْ مُعينِ (١)

فإن كنتَ كريماً على المالِكِ جعلَ الشاةَ أو الشاتَين رِشْوَةً للسُّقاةِ على سَقْيِكَ . وإلى هذه الشيمةِ ذهب|| بعضُ العُلماء فى تفسيرِ قولِ الراجزِ : (٣٤)

نادِ حُمَيدًا يا خليلى لا تَنَمْ
على عبنَّى دافَعتْ عنه الغنَمْ
إن لم أُكلِّفْها جلاذِىَّ الأَكَمْ
ودَلَجَ الليلِ فخُصَّانى بِذَمْ (٢)

(١) وقع فى شعر الممزق : كأن نفى ما تنفى يداها (ف)
النفى : ما تنفيه من الحصى عن يمينها وشمالها ، وما يتطاير من الرشاء على ظهر الماتح . والغريبة : الناقة ترد حوضاً غير حوض أهلها فتقذف فتنطرد . والمعين : أن يستعين المدير بيد آخر يضعها على يده إذا أدار . وفى (ل : غرب) يقال لرحى اليد غريبة لأن الجيران يتعاورونها . وأنشد بيت المثقب .
(٢) العبنّى الغليظ الشديد، وهومن أوصاف الإبل . والجلاذى: جمع جلذاءة، الأرض الغليظة.

* المثقب : بطرة الحفصية: هوعائذ بن محصن أحد بنى نكرة بن لكيز ومثله فى المفضليات وطبقات ابن سلام . وفى (جمهرة الأنساب لابن حزم ٢٨١) ونكرة بن لكيز حى من عبد القيس، فينسب إليها المثقب النكرى العبدى . ولا عبرة بما فى شعراء النصرانية ٤٠٠ من أن اسمه العائد ، أو العائذ ، أو العابد ! فالتصحيف فيه ظاهر ، وفى (الشعر والشعراء ١ /٣٩٥) اسمه: محصن بن ثعلبة ولعله وهم ! والمثقب من فحول شعراء البحرين فى (طبقات ابن سلام) وهو من شعراء المفضليات ، وانظر أمالى القالى (٢ /٢٩٥ ، وعيون الأخبار ٣/ ١١٢ ، وأمالى اليزيدى ٥٩ ، ١١١)
والبيت من نونيته المفضلية (٤٣ بيتاً) :

أفاطم قبل بينك ودعينى ومنعك ما سألتك أن تبينى
ولا تعدى مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دونى

وفيها البيت الذى سمى به المثقب :

رددن تحية وكتمن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

وفى (الشعر والشعراء ١ /٣١١) أن أبا عمرو بن العلاء كان يستجيد هذه القصيدة ويقول : لوكان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه .

فمعنى : دافعتْ عنه الغنم ، على هذا القول ، أنه سُقِيَ بها وجُعِلَتْ رِشوةً لمن يَغلِبُ على الماءِ ، فيسقى هذا البعيرَ . وإن كنتَ للأرملَةِ أو المُغيبَةِ فإنها تجيءُ بالشيءِ النَّزْرِ إلى قيِّمِ الماءِ ، مثلَ القَعْبِ من اللبنِ واللويَّةِ من لحمِ الوحشِ[١] . وعلى حسبِ ما تُعطِي القيِّمَ يكونُ سَقيُكَ. قال الشاعرُ :

سيَكفِيكَ سَقْياً رِجلُ ظبيٍ وعُلْبَــةٌ تمَطَّتْ بها مصلوبةٌ لم تُحارِدِ[٢]

(69) ||وطالَ ما نزل رَبُّكَ ، من رغبتِه فى إروائك ، إلى البئر البعيدة القعر فطلَع وقد أَسِنَ وانجذمَ دونَه المَرَسُ فهلك . وربما وقف على المكانِ الزَّلِجِ فهوى فى القَليبِ . وفى نَحوٍ من ذلك أنشد «الأَصمعيُّ*» فى (كتاب أَوْرادِ الإِبلِ) :

يا عينُ بَكِّى عامرًا عند النَّهَلْ عند الرشاء والعشاء والعَمَلْ

يا ليتنى أَصدَرْتُهن بِغَــلَلْ ولم أُقدِّمْ عامــرًا يومَ نَزلْ

قام على مَنزَعةٍ زَلْجٍ فزَلْ[٣]

= والرجز ، ذكره الجوهرى فى الصحاح شاهداً على : العبنق ، والجلذاء ، بالكسر ، ممدود : الأرض الغليظة. والجُلذى ، بالضم ؛ من الإبل : الشديد الغليظ . والناقة جلذية . ونقل فى (ل) قول ابن شميل : الجلذية المكان الخشن الغليظ من القف المرتفع جداً يقطع خفاف الإبل ، قلما ينقاد ، لا ينبت شيئاً . وانظر تهذيب الألفاظ : ٢٩٨

(١) المغيبة : التى غاب عنها زوجها . واللوية : الشيء يخبأ للضيف والزائر (ف)

(٢) البيت فى (ل : حرد) أنشده «ثعلب» شاهداً على : حاردت الإبل حراداً ، انقطعت ألبانها أو قلت . وروايته للشطر الأول : * سيروى عقيلا رجل ظبى وعلبة *
ومصلوبة : موسومة بعلامة كالصليب

(٣) النهل : الشرب الأول . الرشاء: الحبل . الغلل : جمع غُلة ، العطش . والمنزعة : الموضع الذى يقف عليه من ينزع الدلو . والزلج : الملساء (ف) رواه فى (اللسان) : قام عن مرتبة وفى (س) : قام على مترعة .

* الأصمعى : عبد الملك بن قريب ، أبو سعيد ، من أعلام الرواة والنحاة واللغويين فى القرن الثانى للهجرة . وأكثر سماعه من الأعراب وأهل البادية . قدم بغداد أيام الرشيد فقربه ، توفى فى العقد الثانى من القرن ٣ هـ (الإنباه : ٢/١٩٧ ، نزهة الألبا ١٥٠ ، أخبار النحويين للسيرافى ٥٨ : ٦٨ ابن خلكان ١/٢٨٨) ومصنفاته فى (الفهرست ٨٢) ومنها كتاب الإبل ، ومياه العرب . ونقلها القفطى فى الإنباه ، عن ابن النديم

ولأجلك وأجل غيرك من الهَجْمةِ[١]، افتقروا إلى المُمْرِسِ والدالج وصاحبِ التعليةِ، واضطروا إلى حُكْمِ القادِسِ[٢]، واستعان المُعْرِسُ منهم بعَروسِه وبها خلوقُ العُرْسِ على إيرادِ الذَّود. قال الراجز[٣]:

لو أَن سلمى شهدتْ مظَلِّى   تَمتَحُ أَو تُدلجُ أَو تُعلِّى
إذًا لراحتْ غيرَ ذات دَلِّ

وقال آخرُ يذكر أَنه إن لم يجد مَن يعينُه على السَّقْيِ كلَّفَ عروسَه أَن تَسقَى معه:[٤]

قامت تُريكَ بَشَرا مكنونا   قد عَلِمتْ إن لم أَجدْ معينا
لَأَخلِطَنَّ بالخَلوقِ الطينـا   يا بئرَ عادٍ مَن تَهَيَّبينَا
سوف تُماحِينَ وتَدلَجينـا   وتُطرَحُ الدلوُ مكاناً بينَا

وإذا وردتَ هذه المِقراةَ فقد كُفِيتَ وكُفِيَ صاحبُك. وإنما ذلك بوَدَجٍ من آدٍ وشفيعٍ من قُوَّتى ووقتٍ يَضيعُ من عمرى ودَأْبٍ يُقَوِّضُ ما رفعه الربيعُ والعلفُ من أَجلادى[٥]. وليسَ لِسقْيكَ عُصِبتْ عيناى ولا من
(70) أَجلك قُرِىَ هذا الماءُ، وإنما تَرِدُ إن كنتَ عزيزًا ورْدَ الظالم. || فإن عجزتَ عن ذلك هجمتَ هجومَ الواغِل. أَفَصَرُورةٌ أَنت فترجو أَن حَجَّك يكفِّرُ عنك

---

(١) الهجمة: الإبل الكثيرة. الممرس: المعيد الحبل إلى البكرة. والدالج: الذى يأخذ الدلو من البئر فيجىء بها إلى الحوض. وصاحب التعلية: الذى ينزل فى البئر فيرسل الدلو بما أمسكت فيه. (ف)

(٢) القادس: حجر يوضع فى الماء يقاس به لرى الإبل، كما يقتسم بالحصاة (ف) وكذلك القدّاس والقُداس (ل. ق)

(٣) الشطران الأول والثانى فى (ل: دل ج) والدلج أن يأخذ الدلو إذا خرجت فيذهب بها حيث شاء، وروايته: لو أن سلمى أبصرت مطلى تملح أو تدلج

والتعلية: أن ينتأ بعض الطى فى أسفل البئر فينزل المعل ليخلصها ويعليها.

(٤) الشطران الخامس والسادس، ذكرهما الجوهرى فى (بين) شاهداً: على البين، بالكسر: القطعة من الأرض قدر منتهى البصر. والجمع بيون. والبشر: البشرة، ظاهر الجلد.

(٥) الودج هنا: السبب والوسيلة. المقراة: الحوض. والآد: الصلب والقوة، كالأيد (ق) وأجلاده: جسمه وبدنه (ص)

إثمك ؟ (١) أم قد سلَفَ حَجُّك ؟ فبُعدًا لكَ ! تظلم وقد رأيتَ الكعبةَ وعاينتَ ما سُفِكَ بِـ «مِنَى» من الدماءِ.

قد كان ينبغى لك ألا تسمعَ كلامَ أحدِ الخَصمَينِ قبلَ الآخر ، وأن تأخذَ بقولِ العرَبِ: وجْهُ المُحَرِّشِ أَقبحُ . ألم يبلغْكَ ضَرْبُ العامَّةِ المثَلَ بكذبِ الفاختِةِ؟(٢) أفما استحييتَ أن تنقادَ طَوْعاً لِطائرٍ ، فى وَزْنِ جَسَدِكَ بِوَزْنِه ما شاءَ اللهُ من المِرَارِ ؟ وأَىُّ صداقةٍ بينكَ وبينَ ذواتِ الأَجنحةِ ومنهن الغُرابُ الذى يَنقُرُ عَيْنَكَ وأَعيُنَ أبناءِ جِنسك ، وأنتن رَذَايا بالفَلاةِ ؟ وإنما سُمِّى ابنَ دأيةَ لأنه يقفُ على دأيةِ البعيرِ . وأَشَدُّ ما فى ذلك أنه لا يتركُه حتى تَزهَقَ نفسُه ، بل يُعْجِلُه خروجَ النفسِ ولَفْظَ المُهجَةِ وقد قال الراجز :

يا عجباً للعجَبِ العُجَـابِ
خمسةُ غِرْبانٍ على غرابِ(٣)

يعنى بالغِربانِ الخمسةِ :بناتِ دَأيةَ. وبالغراب : رأسَ وِرْكِ البعيرِ . وإنما قالوا فى المثَلِ : «أعور ، عَيْنَك والحَجَر»(٤) لأن الرجل منهم يكونُ له بعيرٌ به دَبَرَةٌ فيقعُ عليها الغرابُ فيخشى أن يرميَه فيُصيبَ الدبَرَةَ فيقول هذه المقالة . يعنى بالأعورِ الغُرابَ ، أفلا تَرى إلى سوءِ طمعِه

---

(١) الصرورة : من لم يحج ، ومن لم يتزوج اضطراراً (ف) .

(٢) فى قولهم : «أكذب من فاختة» .

(٣) الرجز ذكره الجوهرى فى (غرب) وفسره : غرابا الفرس والبعير : حد الوركين ، وهما حرفاهما الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث يلتقى رأس الورك ، عن الأصمعى .
وأنشده السيوطى فى (الألغاز) من كتاب المزهر (٥٨٠) .

(٤) بلفظه فى أمثال الميدانى (٢/٦) وفسره : يريد : يا أعور احفظ عينك واحذر الحجر ، لأن الأعور إذا أصيبت عينه الصحيحة بقى لا يبصر . وأضاف : ويقال إن غراباً وقع على دبرة ناقة فكره صاحبها أن يرميه فتثور الناقة . فجعل يشير إليه بالحجر ويقول : أعور ، عينك والحجر . . .

وحِرْصِه وقلةِ انتظارِه ما أشرَفَ على الهَلَكةِ من الرِّكاب ؟ قال الشاعر :

وإذا أَحُلُّ قُتُودَهــا بِتَنوفةٍ جعلت تُلِيحُ إلى الغُرابِ الأَعوَرِ[١]

وقد كان من الحقِّ عليكَ ألا تُصدِّق أقوالَ ذواتِ الريشِ على ذواتِ الأربعِ . ألستُن معاشِرَ الإبلِ إذا كان بِكُنَّ الدَّبَرُ جُعِلَ عليكن الريشُ يُنفَّرُ به عنكن طمعَةُ الطير ؟ قال « ذو الخِرَق * » :

لمَّا رأتْ إبلى أمستْ حُمولتُها جُرْباً عِجافاً عليها الريشُ والخِرَقُ[٢]

(71) وقال آخرُ :

ألا مَنْ لمولى لا يزال كأنه من الضِّغن والبغضاءِ ريشةُ غاربِ[٣]

---

(١) قتودها : أداة رحلها . وتنوفه : قفرة . وتليح إلى الغراب : لعله : تليح من ، لأنه يقال : ألاح من كذا إذا حاذر منه وأشفق (ف) وفى الصحاح : القتود والأقتاد ، جمع قتد ، وهو خشب الرحل . والتنوفة : المفازة ، وكذلك التنوفية ، كما قالوا : دو ، ودوية . لأنها أرض مثلها فنسب إليها . قال ابن أحمر : كم دون ليلى من تنوفية لماعة تنذر فيها النذر

وألاح البرق : أومض ، والرجل : خاف وحاذر . ويقال للغراب : أعور ، سمى بذلك لحدة بصره ، على التشاؤم .

(٢) سياق الشاهد ، مع البيت قبله :

ما بال أم سويد لا تكلمنا لما التقينا وقد نثرى فنتفق

لما رأت (البيت) وهو من شواهد (الصحاح) فى الخرقة ، القطعة من خرق الثوب ، وروايته للشطر الأول : *لما رأت إبلى هزلى حمولتها* وثلها رواية اللسان ، والبكرى فى التنبيه .

(٣) يعنى : أسود غربيب ، شديد السواد (ف)

* ذو الخرق الطهوى . فى طرة الحفصية : [قرط بن . . . أبان بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم . . . وقال الكلبى : هو أخو بنى أبى سود بن مالك بن حنظلة . . وسمى ذا الخرق بقوله :

وما خطبنا إلى قوم بناتهم إلا بأرعن فى حافاته الخرق]

وذو الخرق الطهوى ، منسوب إلى طهية بنت عبشمس بن سعد بن زيد مناة ، أم أبى سود وعون ولدى مالك بن حنظلة بن مالك بن زيدمناة بن تميم (جمهرة الأنساب ٢١٦) شاعر جاهلى فارس .

والبيت هنا من قصيدة له قافية ، يكثر الالتفات إليها فى كتب الأدب وشواهد اللغة . وقد تكرر فيها ذكر الخرق ، كما ذكر البكرى فى (التنبيه)

ولو كانَ الحديثُ كما بلغكَ لَوَجبَ أن تحتمِلَ وتصفحَ لأنك مُشاكهى في البَلْوَى بِبَنِي آدمَ ، وقَسِيمى في عناءٍ يَقَعُ بنا من البشرِ قد أُعفيَتْ منه الطيرُ لا سيما الذى لا يؤكَلُ منها . أليس الإبلِ النواضِحُ فى « يثربَ » وغيرِها من بلادِ النخلِ ، وعليهن تُقطَعُ مفاوزُ الأَرضِ وبهنَّ يُكابَدُ الهجيرُ فى اليومِ الحَمْتِ ؟ فهلَّا زجرَكَ ما تذوقُه من المشقةِ أن تعتمدَ بائِساً مِثلكَ فتُوقِعَ به الأَذيَّةَ ؟ ولعلى كنتُ أَرْثى لك ولغيرِك من ذواتِ المِشفَرِ إذا سمعت قولَ الراجز :

قد قلتُ يوماً للغراب إذ حَجَلْ
عليكَ بالقُودِ المسانيفِ الأُوَلْ
تَغَدَّ ما شئتَ على غيرِ عَجَلْ
التمرُ فى البئرِ وفى ظهرِ الجملْ[١]

فمعنى هذا أنه يَستقى الماءَ من البئرِ على ظهرِ الناضِحِ ، فإذا سَقَى النخلَ جاءَ بالتَّمْرِ .

وقد غادرتَ بجَحْفلتى حِبْراً[٢] هو أعظم من حبرِ « بنتِ مَصَّانَ* » .

---

(١) فى تنبيه البكرى (ص ٤٨) أنشد أبو العباس ، ثعلب : قد قلت قولا ... (الرجز) والذى فى مجالس ثعلب (١٣٦) :

قد قلت يوماً للغراب إذ حجل   عليك بالإبل المسانيف الأول

ومثلها رواية (اللسان : سنف) المسانيف جمع المسنف : المتقدم . وعن ثعلب : سألت ابن الأعرابى : أى شىء يقول الراجز ؟ قال : يقول : يا غراب ، إن أفنيت ما عليها من التمر ، فإن الماء إذا استقى من البئر على ظهر الجمل ، خرج الرطب وجاء التمر .

(٢) الحبر : الأثر وقيل هو الجرح . وبنت مصان امرأة من العرب ضرب زوجها من أجلها والجمع حبور . وأحبرت الضربة جلده وبجلده : أثرت فيه (ف)

* بنت مصان : فى بيت أنشده يعقوب ، شاهدا على الحبر : الأثر ، ذكره الجوهرى فى (ح ب ر) ولم يسم الشاعر . وفى (اللسان) عن الأزهرى : هى امرأة مصبح بن منظور الأسدى ، وكان قد حلق شعر رأسها ، فتظلمت إلى الوالى ، فجلده واعتقله ، ثم افتدى نفسه بحمار له وجبة دفعها إلى الوالى فأطاق سراحه ، وقال فى ذلك :

لقد أشمتت بى أهل فيد وغادرت   بجسمى حبراً بنتُ مصان باديا
وما فعلت بى ذاك حتى تركتها   تقلب رأساً مثل جمعى عاريا
وأفلتنى منها حمارى وجبتى   جزى الله خيراً جبتى وحماريا

ولو كان لى سبيلٌ ولك إلى أن نتحاكمَ إلى قاضى البهائم أبى الحِسْلِ ، إذًا لحاكمتُك إليه ؛ فلعله كان يَحكمُ لى عليك بأَن تنوبَ عنى شهرًا أو أكثرَ من شهر . فتعالى اللهُ من أين قُدِّرتَ لى فى هذا اليوم ؟ إن قالت العربُ : « جاءتْكَ بحائنٍ رجلاه[١] » فأنا أقول : جاءتْ بكَ إلى حائنٍ رِجلاكَ . أَفَما علمتَ أنك وهذه المَطايا والحَمولةَ التى فى رُفقتِك تُصيبُ نقْعاً من قِبَلِ استقائى الماءَ لِوُرودِكَ ووُرُودِهن؟ [٢] ولا أَمْنٌ عليك ذلك ، ولكنْ غَيرى أَحَقُّ بمُضارَّتك وأَوْلى بِشراسةِ خُلُقِك . فإن شئتَ أن تخرُجَ إلىَّ من حقٍّ هذا الكَلْمِ فتكونَ قد خرجتَ من حِزْبِ الظالمين ، أو أَدعُوَ عليك فى كلِّ
(72) صباحٍ ومَساءٍ وجُهْمَةٍ تُقبِلُ || وهَزيعٍ ينصرمُ وفَجْرٍ يُسفِرُ وشمسٍ تُشرِقُ.[٣]
فيجوزُ أن توافِقَ دعوتى قضاءَ اللهِ سُبحانه فتصيبَك من ذلك قوارِعُ الدهرِ فلا يُبارَكَ لكَ فى العُضِّ المُشتَرَى من سُوقِ المِصْرِ ؛ فيكونَ مِلءُ المِثْمَنَةِ عندك مثلَ الثُّمَةِ بِالكَفِّ المُقتَصِدةِ ، وتُسلَّطَ حَوِيَّتُك وقَتَبُك[٤] على تأْثيرٍ فى جَنْبِك ، فلا تَعدَم قَمْلا[٥] تدخلُ بينَ فِقارِك ، ويُمَكِّنَ منها ظِمْءُ الهواجرِ فلا يَقطعُ ذلك نَميرٌ غَمْرٌ ولو شَرَعتَ فى « دِجلةَ أَو الفُراتِ » ويُبعَثَ إليك

---

(١) أبو الحسل : الضب ولفظ المثل عند الميدانى : أتتك بحائن رجلاه . ونقل عن المفضل أن قائله « الحارث بن جبلة الغسانى » حين جيء بالحارث بن عيف العبدى وكان قد هجاه . وقيل : أول من قال المثل « عبيد بن الأبرص » حين قصد النعمان بن المنذر يمدحه ، فوصل إليه فى يوم بؤسه (١ / ٢١)
وهو فى (نوادر القالى : ١٩٥) لعبيد بن الأبرص ، قاله للنعمان بن المنذر عندما قتله يوم بؤسه

(٢) نقع الماء العطش ينقعه نقعاً ونقوعاً : أذهبه (ف)

(٣) الجهمة : قطعة من الليل، ويقال هى نحو نصفه ، والهزيع الساعة الطويلة منه (ف) وفى (ق) : الجهمة : أول مآخير الليل أو بقية سواد من آخره ، ويضم . واجتهم دخل فيه . والهزيع ، كأمير : من الليل : طائفة منه ، أو نحو ثلثه أو ربعه .

(٤) المثمنة : المخلاة . والثمة : القبضة من الحشيش ونحوه ، والحوية ، واحدة الحوايا : كساء محشو حول سنم البعير . والقتب : الإكاف

(٥) فى (ف) [فتلا] وما هنا من ض وضمير المؤنث بعده ، يرجحه . الفتل الحبل الدقيق من ليف . والقمل : دويبة من جنس القردان إلا أنها أصغر ، يركب البعير من الهزال (ص)

أجيرٌ عنيفٌ يخُصُّكَ بأثقلِ الوسوقِ ،ويَضربُكَ[١] بوبيلِهِ فى سَيْرِك بغيرِ تَعْذير ، ويَسْرِقُ عَلَفَكَ فَيَصرِفُه فى اشتراءِ الخَمْرِ وركوبِ العِصيان ؛ أو يُدرِكَك الهَرَمُ والتَّثلِيبُ[٢] فتَبقى فى نفسِك إحدى الحَسَرات ، لا أنت فى الدَّجالة ظَاعِنٌ[٣] ولا فى الراعيةِ مع الإبلِ راتع ، ولا فيك نَحْضٌ يؤكَلُ فيُرِيحُك من الحياةِ ناحِرٌ ، وأنت تدعو اللهَ على نَفسِك وأن يجعلَك قوتاً لِكِلابِ المَحَلَّةِ ، إذ كانت الحياةُ شاقَّةً عليك .

وأدعو ربَّك أن يَبلوَكَ بِهوَى ناقةٍ شارفٍ هِمَّةٍ مُشَرَّمَةٍ يفضَحُك هواها فى الإبلِ فتكونَ فى ذلك هُزْأَةً فى البَرْكِ وضُحْكَةً بين الأكوارِ[٤] ، وأقولُ فى مَظانِّ الإجابةِ[٥] : لا ملأتَ كِرْشَكَ من السَّعدانِ ، ولا شِمتَ بارقَ الغيثِ والصَّيْبِ ، ولا رأيتَ نَضْرةَ كَلَإٍ عازبٍ[٦] ، ولا سمعتَ صوتَ التلبية ولا زُرتَ النَّاسَّةَ * فى حَجَّةٍ ولا وقفتَ بِ «عَرَفةَ» . وإن كنت يمانىَّ المولدِ فلا قُدِّر لك أن تنظر إلى الفَحْل سُهَيلٍ . وإن كان مولِدُك بالشامِ فمُنِعتَ أن تلمَح

---

(١) بوبيله : بعصاه ، وركوب العصيان : غاواء السير (ف)

(٢) ثلب البعير تثليباً ، إذا أسنَّ (ض)

وفى (الصحاح) : الثلب ، بالكسر : الجمل الذى انكسرت أنيابه من الهرم وتناثر هلب ذنبه . والأنثى ثلبة ، والجمع ثلبة ، مثل قرد وقردة . تقول منه : ثلب البعير تثليباً. عن الأصمعى فى كتاب الفرق .

(٣) الدجالة : الرفقة الكبيرة (ف) وكذلك الدجال . أنشد فيه الجوهرى قول الشاعر :

* دجالة من أعظم الرفاق *

(٤) الشارف : الناقة التى تصلح لأن ترحل . الجمع شرف ، كبازل وبزل . وهزأة ، بتسكين الزاى : يهزأ به . أما الذى يهزأ بالناس فهو هزأة ، بفتح الزاى (ص) والبرك ، بالفتح فالسكون : الإبل الكثيرة . أنشد فيه الجوهرى قول الشاعر - متمم بن نويرة ، وصدر البيت من اللسان - :

[إذا شارف منهن قامت ورجعت] حنيناً فأبكى شجوها البرك أجمعا

والأكوار ، جمع كور ، وهى هنا : الجماعة الكثيرة من الإبل .

(٥) يعنى : حيث يُظن أن يجاب الدعاء

(٦) العازب : البعيد ، يعزب عن الراعية

* الناسة : مكة المكرمة ، قيل سميت بذلك لقلة الماء بها إذ ذاك ، أو لأن من بغى فيها ناسته ، أى ساقته أو أخرجته عنها ، من النوس ، السوق (القاموس : نوس) وأهملها الجوهرى .

شآمِيُّ النجومِ . كيف عَمَدت جَحفلتى بـأوازيك[١] أردتَ أن تجعلنى أَعْلَمَ مثلَك أو مثلَ «سهيلِ بنِ عمرو القُرَشى *» أو أَفْلَحَ مثل «عنترة *»

وإن خرجتَ إليَّ من حَقِّى فإنى أَغسِلُ الحقدَ عليك من قلبى وأنتزعُ
(٣٦) مَذَمَّتَك من لسانى وأَحُثُّ على مودتِك نفسى ، ولن تَستغنىَ || عن صديق من
(73) ذوَاتِ || الحافرِ كما لا أَستغنى عن صديقٍ من ذواتِ الخُفِّ ؛ وأَدعو الخالِقَ بِسعادَتِك وأَنْ يُرْعِيَكَ أُنُفَ الكَلإِ ، ويُورِدَك نَميرَ الماءِ من غيرِ أن تُعارِكَ عليه حَوْماً ، ولا تزاحِمَ عليه فى مَورِدِك عَرْجاً[٢] ، بل تنفُخُ حَبابَ الحوضِ أو الغديرِ لاهياً فى شُربِك متهنِّياً فى ذلك بِعَبِّكَ ورَشفِكَ ، لا تخافُ مِنْ عصاً تقرعُكَ ولا زَجْرٍ يَروعُك ويَذعَرُكَ ؛ وأن يُعفَى ظَهرُك من الأَعباءِ فيخلوَ جُثمانُك من الجُلَبِ والدَّبَرِ[٣] ، وتُسْرَحَ فى أَرضٍ كثيرةِ العِضَاهِ فيها القَتادانِ الأَكبرُ والأَصغرُ ، والسَّلَمُ والطَّلْحُ والعُرْفُطُ والسَّمُرُ والشَّبْهانُ[٤] — فإن

(١) أوازيك : أنيابك (ف) ولم أجده بهذ المعنى .
والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، والأفلح : المشقوق الشفة السفلى (ف ، ض)

(٢) الأنف من الكلأ ، الذى لم يُرْعَ . والحَوْم : القطيع الضخم من الإبل . والعرج — بالفتح ، وبالكسر — القطيع من الإبل . وقد يصل من خمسمائة إلى ألف (ق)

(٣) الجلب : جمع جُلبة ، قشرة الجرح . والدبَر ، بالتحريك ، قروح الدابة واحدته دَبَرة . والعضاه : كل شجر له شوك ، ومنه القتاد والسلم والطلح والعرفط والسمر والشبهان .

* سهيل بن عمرو : بن عبد شمس بن عبد ود العامرى القرشى من بنى عامر بن لؤى ، أبو زيد (نسب قريش ٤١٧) تأخر إسلامه وكان الذى تولى المفاوضة عن قريش فى الحديبية وعقد صلحها . ثم أسلم فقام فى الإسلام مقاماً محموداً وبخاصة يوم السقيفة ويلقب بالأعلم الأخطب وكان خطيباً أعلم ، مشقوق الشفة . وخرج بأهله إلى الشام مجاهداً . انظر صلح الحديبية فى الصحيحين والسيرة النبوية ، مع (الاستيعاب رقم ١١٠٦) وفى سهيل قال حسان بن ثابت :

ألا ليت شعرى هل تصيبن نصرتى — سهيل بن عمرو ، بدؤها وعقابها

وقال ابن قيس الرقيات ، يفخر بأشراف قريش :

منهم ذو الندى سهيل بن عمرو — عصمة الجار حين جب الوفاء

وانظر طبقات ابن سعد ٥ / ٣٣٥ ونسب قريش ٤١٧

* عنترة بن شداد العبسى — الفارس المشهور (ض) = ١١٣

« أبا زيدٍ الأَنصارى * » ذكر الشبهانَ فى جُملةِ العِضاهِ الشاكَةِ ولولا ذلك لم أَذكرْه لك ، إذا كان غَيرُ « أبى زيدٍ » يزعمُ أن الشبهانَ الثُّمَامُ أو شجرٌ يُشبِهُه[١] –

ويكونُ فى تلك الأَرضِ ما يُعجبُك من أَصنافِ الشجرِ الذى تَطَرَّفُ ورقَه وتَجتذبُ أَغصانَه[٢] . وينقلُ إليك اللهُ بقُدرتِه قطعةً من سعدانِ « تُوضِحَ »[٣] فيلقيَه فى أَرضِك لتُعَاقِبَ[٤] فى مرتعِك بين أَصنافِ الشجرِ والنباتِ ؛ ويرزقُك هَجْمةً عُوناً وأَبكارًا كأَنها عَذارَى عليها شارَةٌ ، ومَعَاصِرَ[٥] تتخير فيها على عَيْنِك تَخَيُّرَ « أبى قابوسَ * » فى قِيانِ العِراق . هذا إن كنت راغباً فى الضرابِ . فإن لم تكن راغباً فى ذلك ، فهو أَبْقَى لأَيْدِك وأَرْجَى لِبصيرتك وأَدْنى لِرُشْدِك وأَجدَرُ بِطُولِ عُمْرِك ، على أن العُمْرَ إلى اللهِ إن شاء قَصَّرَ وإن شاء مَدَّ .

فَيَهَشُّ البعيرُ لأَن يَخْرُجَ إليه من حَقِّه . فيقولُ : دونَك مِشفَرى فأْزِمْه[٦] .

فيقولُ الشاحجُ : كلَّا يا أَبا أَيوبَ ، ولكنى أَجعلُ عِوَضاً من ذلك تكليفَك حاجةً يسيرةً إذا قضيتَها نَعَشْتَ العَثْرةَ وجبَرتَ الكسيرَ واستللتَ

---

(١) الشبْهان : ضرب من العضاه ، ويقال هو الثمام (صح) والشاكة : ذوات الشوك .

(٢) تطرف ورقه : تتطرفه ، أى تأخذ طرفه

(٣) السعدان : نبت شوكى . وتوضح : موضع

(٤) التعاقب : التداول ، مرتعاً فى عقب مرتع .

(٥) الشارة : حسن اللباس والهيئة . والمعاصر : جمع معصر الجارية التى أدركت (ف) وبلغت عصر شبابها (ض) أنشد فيه الجوهرى قول الراجز : * قد أعصرت أو قد دنا إعصارها * ونقل عن أبى الغوث الأعرابى : الإعصار فى الجارية كالمراهقة فى الغلام .

(٦) فأزمه : فعضه (ض) فعل أمر من الأزم والأزمة : الشدة والقحط ، يقال أصابتهم سنة أزمتهم أزماً . وأزمه أيضاً يأزمه أزماً ، عضه (ص) .

* أبو زيد الأنصارى : سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى البصرى = ١٩٧

* أبوقابوس : النعمان بن المنذر (ف) = ١٠١

الصغينة ومحَوتَ الغِمْرَ[١]. وقد كنتُ كلَّفتُ نَحْوًا منها الصاهلَ وأَدْليتُ
(74) إليه بالخثولةِ ، فردَّ || الوَلَغةَ وهى صِفرٌ من البرِّ والوَفْضَةَ وهى خاليةٌ من سَهم المعاوَنةِ[٢] ، فاللهُ جازِيه بما صنَعَ . وإنى لَأَظنُّه من آل «داحِسٍ والغبراءِ*» فإنهما كانا مشئومينِ من خيلِ العربِ ، لم يقودا بِرًّا ولم يَجُرَّا صالحاً ولا نفعاً . فاللهُ يُلقِيه ما لَقِيَ الأَشقرُ[٣] ، ويجعلُ عُقباه إلى سَقَر .

وأعانتْه على أَذِيَّتى الفاختةُ . فإذا سقطتْ إلى الأرضِ لِلَقْطِ الحَبَّةِ[٤] ، فلا أَطاقت نَقْراً ، وإذا صعدت إلى الجوِّ ، فصادفتْ بازِياً أو صقرًا . بل يُقْدَرُ عليها ما هو أَشَدُّ وأَشقُّ : وقوعٌ فى الشرَكِ وقد أُحْكِمَ فلا تقدِرُ على الخلاصِ ، ثم يَعمِدُ إليها طفلٌ عارِمٌ فيَشُدُّ خيطاً فى الساقِ ويأخذُ طَرَفَه بيُمناه ويُرسِلُها من كَفَّيْه لِتطيرَ ، فإذا عَلَتْ فى الهواءِ وهى من ذلك المُرتَبَطِ فى مُهْلةٍ ، جذَبها إليه حين ترتفع إذا لم يبق مَهَلٌ من الرَّبيطِ ، فإنما يفعلُ ذلك طلَقاً أو طلَقين وقد أَعْنَتَ فَخِذَها بالجذْبِ ، فيئست عند ذلك من الحياةِ وغبرتْ فى قبضةِ يَدِ الوَليدِ : إن وَفى جَناحُها للطيرَانِ فأَعضاؤها لا تَعدَمُ عنَتاً من الهَوانِ . فإذا وُهِبَ لها الصحةُ عُدِىَ على جناحِها باليَدِ أو المِقَصَّين ،

---

(١) نعشت العثرة جبرتها . والغمر ، بالتحريك ، ويكسر : الحقد . ج : غمور . ق

(٢) الولغة : الدلو الصغيرة (ف) أنشد فيه الجوهرى قول الراجز : شر الدلاء الولغة الملازمة* وإنما كانت ملازمة لأنك لا تقضى حاجتك بالاستقاء بها — لصغرها .

والوفضة : كالجعبة من أدم ، جمعها وفاض .

(٣) الأشقر : الذى يضرب به المثل فيقال : كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر (ض)

(٤) الجمل فى هذه الفقرة دعائية ، وفيها يدعو الشاحج على الفاختة ، لما كان من افترائها عليه وإغراء أبى أيوب بأذاته .

* داحس والغبراء : فرسا قيس بن زهير العبسى . وبسببهما وقعت الحرب المعروفة فى الجاهلية ، بين عبس وذبيان . وضربوا بها الأمثال . انظر « وقع بينهم حرب داحس والغبراء » فى مجمع الميدانى .

فهى تَوَدُّ المُدية جَرَتْ على الجيدِ ، وأنها بالدَّم تُطُوَّقُ عوضاً عن التقليد[1] .

وما أُحِبُّ لها أن تُمنَى بصَقرٍ من صقورِ «السيد عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ» — أعز الله نصره . إذ كانت لو بلغتْ إلى ذلك لَرُزِقَتْ به نباهةً بعد مماتِها إذ مُنِعت من المَهَلِ فى حياتها . ولكنْ إن قُضِىَ عليها صيدُ الجارح ، فتكون فى مملكةِ خَسيسٍ من القوم حتى يكونَ أَمرُها فيما لقيتْه أَوجَعَ وحالُها أَعْنَتَ .

ولست أَسأَلُكَ ما سأَلتُ الصاهل من حَمْلِ الشعْرِ . لأَنى لم أَر بَركةً فى ذكره : أَدَّانى إلى طولِ مناقَضةٍ وأَوقع بينى وبين الفاختةِ حتى وَشَت بى إليكَ ، فصنعتَ بى ما تراه . ومع هذا فإنى كرِهتُ أَن || أَتَصَوَّرَ بصُوَرِ أَهلِ النظمِ المتكسِّبين الذين (75)
لم يَترُكْ سؤالُ الناسِ فى وجوهِهم قطرةً من الحياء ، ولا طولُ الطمَعِ فى نفوسِهم أَنَفَةً من قبيحِ الأَفعال . فعَدَلتُ عن ذلك إلى تحميلِك أَخبارًا مستطرَفةً ، لها فى السمع ظاهرٌ ولها || فى المعنى باطنٌ ، أَنْحُو بها ما نحاه «ابنُ دُرَيْدٍ*» (٣٧)

---

(١) التقليد هنا ، من القلادة ، أى الطوق فى العنق . والمعنى أنها تؤثر راحة الموت ذبحا ، على بؤس حالها وقد قص جناحها وقيدت .

* ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الفهمى الدوسى الأزدى (جمهرة الأنساب ٣٥٩) من أئمة علماء العربية فى اللغة والأنساب والرواية ، فى القرن الثالث (٢٢٣ : ٣٢١هـ) ومن أشهر مصنفاته : الجمهرة ، والاشتقاق فى اللغة ، والمقصورة ، والملاحن (نزهة الألبا ٣٢٢ ، والفهرست .. وتاريخ بغداد ٢ / ١٩٥ ، وإنباه الرواة ٣ / ٩٢ وأدباء ياقوت ١٨ / ١٢٧ ، ومعجم المرزبانى ٤٦١)

وكتابه الملاحن : أثبته فى مصنفات ابن دريد : ابن النديم فى الفهرست ، والقفطى فى الإنباه . وعرف به السيوطى فى (معرفة الملاحن ، والألغاز ، وفتيا فقيه العرب) من كتاب المزهر ٢ / ٥٦٧ . ونقل من مقدمة ابن دريد لملاحنه : «هذا كتاب ألفناه ليفزع إليه المجبر المضطهد على اليمين المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ، ليسلم من عادية الظالم ويتخلص من جنف الغاشم ، وسميناه (الملاحن) ، واشتققنا هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التى لا يشوبها الكدر ولا يستولى عليها التكلف . ومعنى قولنا الملاحن ، أن اللحن عند العرب الفطنة . ومن قول النبى صلى الله عليه وسلم : "لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته" أى أفطن لها ... وذلك أن أصل اللحن أن تريد شيئاً فتورى عنه بقول آخر ..»

طبع (كتاب الملاحن) فى ليدن — بريل — سنة ١٨٥٧ بتحقيق المستشرق رايت ، وفى غوتا سنة ١٨٨٢ بتحقيق تريكى ، ثم طبع فى السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ بتحقيق إبراهيم اطفيش الجزائرى .

فى (كتابِ الملاحِنِ) و«ابنُ فارِسٍ الرازى *» فى (فُتْيا فقيهِ العَرَبِ).

وإذا أَلقيتُ إليك ما تيسَّر منها عندى، فأَحْسِنْ حِفْظَه وخَزْنَه، وإذا

* ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، الهمذانى مقاماً. من أعيان القرن الرابع فى العلم والأدب والفقه والجدل. جمع إتقان العلماء وظرف الكتاب الشعراء. ومن تلاميذه بديع الزمان الهمذانى. توفى بالرى سنة ٣٩٥ هـ على الأرجح. ومن أشهر مؤلفاته: معجم مقاييس اللغة، والصاحبى فى فقه اللغة، وفتيا فقيه العرب (النزهة ٣٩٢، والفهرست ٢٨٠، والإنباه ١/٩٢، والبغية ١٥٣، والديباج لابن فرحون ٣٦، وأدباء ياقوت ٤/٨٠)

وكتابه (فتيافقيه العرب) ذكره ابن الأنبارى فى النزهة، وعرف به القفطى فى الإنباه، قال «وكان ابن فارس يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة، ويلقى عليهم مسائل ذكرها فى كتاب سماه (فتيافقيه العرب) يخجلهم بذلك ليكون خجلهم داعياً إلى حفظ اللغة، ويقولون: من قصر علمه عن اللغة وغولط، غلط.»

وذكره السيوطى رأساً فى (معرفة الملاحن والألغاز وفتيافقيه العرب) ونقل الأستاذ عبد السلام هارون، فى (مقدمة مقاييس اللغة) قول السيوطى: «فتيافقيه العرب، وذلك ضرب من الإلغاز، ألف فيه ابن فارس تأليفاً لطيفاً فى كراسة سماه بهذا الاسم. رأيته قديماً وليس هو عندى الآن... ثم إن ظفرت بكتاب ابن فارس ألحقت ما فيه» وعلق الأستاذ هارون: «ولكن السيوطى لم يلحق بالمزهر شيئاً من كتاب ابن فارس»

وأقول: فى الطبعة الأولى من (المزهر، ط الحلبى بالقاهرة)، ألحق السيوطى، منه: «فى فتاوى فقيه العرب: سئل عن بر سقطت فى هلال. قال: بخس. — البر: الفأرة، والهلال: بقية الماء فى الحوض — ٢/٦٣٥ ومن فتيافقيه العرب: يجوز السجود على الخد إن كان طاهراً؛ ويعنى الطريق. يفسد لعاب البعير الماء القليل: يعنى الكلب. يكره أن تطوف بالبيت عاتكة: وهى المتضمخة بالطيب. يحرم قتل العكرمة وعليه شاة: يعنى الحمامة (٢/٦٣٧).

ثم تتبع الأستاذ هارون اسم الكتاب فى كتب التراجم والفهارس: «وقد ذكر السيوطى هذا الكتاب فى البغية باسم: فتاوى فقيه العرب. وذكر ابن خلكان هذا الكتاب باسم: مسائل فى اللغة يعايى بها الفقهاء، والسيوطى فى بغية الوعاة بلفظ: مسائل فى اللغة يغالى بها الفقهاء. واليافعى فى مرآة الجنان برسم: مسائل فى اللغة يتعانى الفقهاء. وصواب هذا كله: مسائل فى اللغة يعايا بها الفقهاء. والمعاياة أن تأتى بكلام لا يهتدى إليه، وقد نبه بروكلمان أنه فى مكتبة مشهد بفهرسها: ١٥/٢٩، ٨٤» ص ٣٣ مقدمة المقاييس. ط الحلبى ١٣٦٦ هـ.

والفقرة بنصها فى مقدمة الأستاذ هلال ناجى لكتاب (متخير الألفاظ) المطبوع سنة ١٩٧٠. ومعها: سماه الدلجى فى الفلاكة ١٤١، مسائل فى اللغة يعايا بها الفقهاء، ومثله فى الديباج المذهب ٣٦، وسمى: فتاوى فقيه العرب فى هدية العارفين ١/٦٨ ومفتاح السعادة ١/١١٠ وقد نشره عن نسخة فريدة بدار الكتب الرضوية بمشهد فى خراسان «الدكتور حسين على محفوظ» فى (مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٥٨).

بلغتَ في سَفَرِك مَبارِكَ الإبِلِ من الحَضرةِ الجليلةِ فارفعْ صوتَكَ بالعجيج ، فلعله يُفهَمُ عنك. ففِي نحوٍ من حديثِنا ضُربَ المَثَلُ : كَفَى بِرُغائِها مناديًا[١]. ولا تسألْني ذريعةً بينك وبين السلطان ـ أطالَ اللهُ بقاءَه ـ فليس لى فى الحَضْرةِ الجليلةِ مَن أعتمدُ عليه فيما أذكُرُ . وأريدُ منك أن تُفَرِّغَ خاطِرَك لِحفظِ ما أُلقيه إليك ، وألا تشربَ مَدِيدًا حتى تبلغَ لىَ المَأْرُبَةَ ، فإنه يَزيدُ فى رُطوبتِك ، وأرْهبُ عليك النِّسْيانَ .

وكأنى بكَ ، أصلحك اللهُ ، تعجَبُ فى نفسِك وتَعُدُّ أن انصرافَك عنى أَحْزَمُ وإعراضَك عن قضاءِ الحاجةِ أَوْلى بك وأجمَلُ . وقد رأيتُك مُرِمًّا عند المسألةِ كإرمامِ الصاهِلِ عنها !

فيُنطِقُ اللهُ ، جلَّ اسمُه ، البعيرَ فيقول :

ما أجدرَنى بالتقصيرِ عما تسألُ ! ولكنى لا أَحْرِمُك دَأْباً فيما قلتَ . وإنما يُكَلِّفُنى عَناءً فى حاجتِك ، ما سبق إليك بالحِدَّةِ ، وفَرَطَ فى جنادعِ الغِرَّةِ[٢] . وقد رُوِىَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، وقد ذُكِرَتْ عنده الحِدَّةُ : «إنها تَعترِى الأَخيارَ من أمتى»[٣]. ولا بد للحليمِ وإن ثَقُلَ وَزنُه ، من هفَوات. فأَخبرْنى بما جمعتَ أَجْهَدْ لكَ فى إيثارِك بمشيئةِ اللهِ تعالى .

---

(١) المثل بلفظه فى مجمع الميدانى ، حرف الكاف . وفى (ل : رغا) : أى أن رغاء بعيره يقوم مقام ندائه فى التعرض للضيافة والقرى .

(٢) الغرة الغفلة (ف) والجنادع من قولهم : بدت جنادع الأمر ، أى أوائله من خير وشر . ويقال الجنادع الدواهى (ض)

وفى (الصحاح : جدع) الجنادع الأحناش ، ويقال هى جنادب تكون فى جحرة اليرابيع والضباب ، يخرجن إذا دنا الحافر عن قعر الجحر . ومنه قيل : رأيت جنادع الشر ، أى أوائله . الواحدة جندعة : وهو ما دب من الشر . وذات الجنادع : الداهية

(٣) الحديث الشريف ، شرحه ابن الأثير فى (النهاية) بمعنى الحمية قال : الحدة كالنشاط والسرعة فى الأمور ، والمضاء فيها . مأخوذ من حد السيف . والمراد بالحدة ها هنا ، فى الحديث: المضاء فى الدين والصلابة والقصد إلى الخير . وانظره فى (كشف الخفا ١/٤٢٢)

فيقولُ الشاحجُ ، وباللهِ التوفيق[١] :

(76) العِلْمُ|| يدُلُّ على أن «الحسنَ *» صلى اللهُ عليه لم يرَ الحُسينَ قطُّ . وأن «الحُسينَ *» صلى اللهُ عليه لمَ ير الحَسَنَ قط ؛ وأن «فاطمة *» – رضى الله عنها – لم ترَ فى بَيتِها عَلِيًّا[٢] ، وقد يجوزُ أن تكونَ رأتْه على بابِ البيتِ ، وأن الخَلَّ يجوزُ أن يكون فيما سلَفَ ، كان بحضرة «على بن الحسين *» [رضى الله عنهما] فيتكلمُ ويسألُهُ عن أشياءَ من أمرِ الدينِ ؛ وأن «محمد بن على الباقرَ *» عليه السلامُ ، وهو والدُ «جعفرِ الصادقِ *» لم يَرَ فى دارِه جعفرًا قط ؛ وأن «الحَسَنَ والحسينَ» كانا يأخذانِ البَثَّ بأيديهما فيجعلانه فى أفواهِهما ، ثم يَنزِلُ إلى الصدورِ منهما . وأنهما كانا يتطهران بالبُسْرِ ويغتسلانِ منه . وكان «عليٌّ *» عليه السلامُ يرحمُ الأرملةَ ويَبَرُّ اليتيمَ ويَضرِبُ بِحَدِّ سيفهِ أُمَّ الصَّبِيَّينِ ، ويقطع يَدَ الفِيلِ على

---

(١) حيثما تأتى الأسماء فيما يلى بين أقواس ، فهى من الأعلام ، وما لا نميزه منها بأقواس ، فهو من التورية والإلغاز ، يتولى أبو العلاء تفسيرها بعد أن يعاني بها الجمل أبا أيوب .

(٢) من نسخة ض . والعبارة فى (ف) مضطربة : [وأن فاطمة لم تر فى بيتها علياً صلى الله عليهم] وليس السياق .

* على بن الحسين : الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين . شهد كربلاء صغيراً مع أبيه الإمام . وحمته عمته السيدة زينب بنت الزهراء من قتلة أبيه وآله ، كما حمته من الطاغية عبيد الله بن زياد حين هم بقتله بعد كربلاء . (تاريخ الطبرى ٦/٢٦٣)

* محمد بن على ، الباقر أبو جعفر : ابن الإمام زين العابدين على بن الإمام الحسين رضى الله عنهم . أحد الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية . لقب بالباقر لأنه بقر العلم أى شقه وعرف خفيه ، وكان من فقهاء المدينة . توفى سنة ١١٤ هـ ودفن بالبقيع (انظر جمهرة أنساب العرب ٥٣)

* على بن أبى طالب ، أمير المؤمنين ، كرم الله وجهه

* جعفرَ الصادق ، : بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب (الجمهرة ٥٣)

* الحسن ، والحسين : ابنا الإمام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه . وسبطا النبى عليه الصلاة والسلام . أمهما السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها .

السَّرَقِ ، وجَلَدَه على شُرْبِ الخَمْرِ . وكان يأمرُ بقتلِ الأَعرَجِ والأُعَيْرِجِ وهما فى الحَرمِ ، ويكرَهُ دَخولَ الأَعْمَى المسجدَ . وكان يُنصِفُ الخَسيسَ من أهلِ الأَقدارِ ، ويُوطأُ الجليلُ فى زمانه بالقدمِ . وإذا رأَى نبيذًا فى الجَرِّ سأَل عن حالِه ، فإن كان معروفاً أَلزَمَ به أَهلَه ، وإن كان مجهولا أَنفق عليه من مالِ المسلمينَ حتى ينطقَ ويبلغَ الرُّشْدَ . وكان يلعَنُ البقَرَةَ ولا يقول فى الثورِ إلا خيرًا ، ويُصَلِّى إن اتفق له فوقَ العَنْزِ . وأَكلَ الصقرَ ولم يأْكل البازِى لأَنه من سِباعِ الطيرِ . وكان يُعَلِّمُ البازِىَ أَفعالَ الصالحينَ فإن قَبِلَ منه وإلا أَدَّبه بالسيفِ أَو السَّوْطِ .

ولا يُعْلَمُ أَن السيفَ والرُّمْحَ ولَدا أَوْلادًا قط. ، فأَما الصَّعْدةُ فقد وُلِدَ لها أَولادٌ قُتِلَ بعضُهم «يومَ الجمل» ، وبعضُهم فى «صفين» . وكانت الصَّعْدةُ فى أَيامِ «علىٍّ» ترجعُ إلى رأيِهِ فى الحلالِ والحرام . وكان يُعظِّمُ «مكةَ» ولا نعلمُه ذَكرَ «الطائفَ» إلا بِخَيْرٍ ، وأَمَرَ بضربِ المدينةِ إذا عَصَتْ . وكان يتصدقُ على الزَّمِنِ ولا يُنكِرُ ذبحَ المُقعَدِ بالبصرة‖ ولا بالكوفةِ ، (77)
ويُنكِرُ ذبحَه بمكةَ . ويأْمُرُ بقتلِ الهلالِ كيف قُدِرَ عليه ، ويقعُدُ فى ضوءِ القمَرِ وضوءِ الشمسِ . ويَحمِلُ القبيلةَ أَو القبيلتَين والثلاثَ ، ويَمشى بهن فى الأَسواقِ ولا يجدُ لهن مَسًّا .

ودَلَّت المعرفةُ بالفقهِ أَنه عليه السلامُ كان لا يكرهُ أَن يُبَالَ فى الخَيْلِ ويكرهُ أَن يُبالَ فى الماءِ الدائمِ ، وبذلك جاءَ الخبرُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم.[1] ولم يَمنعْ أَحدًا من إلقاءِ السُّبَاطةِ على الضرير . وكان يَلقَى الأَسدَ لا يَحفِلُ بلقائه ، ويكرهُ الضبُعَ أَن تَمُرَّ به ، ويَطأُ الأَرنبَ ولا تشعُرُ‖ بوطأَته . (٣٨)
ويُجيزَ التيمُّمَ بالترابِ وفوقه أَبوالُ البِغالِ ، ولا يجيزُ التيَمُّمَ بترابٍ نَجِسٍ .

(١) انظر باب النهى عن البول فى الماء الدائم ، بكتاب الوضوء من الصحيحين والسنن الأربعة .

ويَزوِى الماءَ عن العليلِ ويعطيه الظمآنَ . ويَسيرُ على ظَهْرِ الحيَّةِ يومَه أجمعَ ، ويكرهُ أن يطأَ على الصِلِّ . ولم يكن يَخضِبُ الشيبَ وكان يُجيزُ ذبحَ الخاضِبِ ويُجيزُ أكلَه شواءً وقديراً .

وإذا رأى يدَ رَجُلٍ معروفٍ أنكره ، ولا يستحلُّ النظرَ إلى ريحانٍ لا يَملِكُه . ومَرَّ بِسَريرٍ يَقعُدُ عليه الناسُ ويأكلون الطعامَ له آلافُ سِنِينَ منذ صُنِعَ وليس فيه سِكٌّ أى مِسْمارٌ . ولو رأى بنى إسرائيلَ يأكلون اللحمَ لم يَنهَهم ولو أكلوا لحمَ يعقوب . واستعان بالغُرابِ فى كثيرٍ من أمرِه ، وكان يستخرجُ له الماءَ من الأرضِ. ولقِيتْه عقربٌ فعمَّتْ بالأذِيَّةِ جميعَ أصحابِه ولم تَضُره فى نفسِه ، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلمَ دعا له . وكان الهُدهدُ يُكلمُه بكلامٍ كثير يفهمُه عن الهدهُدِ جميعُ الحاضرين. وكان النهرُ يَجيئه إلى « يثربَ » وهو قاعِدٌ فى منزلِه ، وكان أصحابُه يَتبايَعون الصَّمَمَ بينهم ولا يتبايعون العَرَجَ ولا الحَوَلَ ولا العَمَى . وكانت النساءُ فى زمانِه يرغَبْن فى سوادِ العُيونِ ويَشترين الزُّرَقَ مع ذلك ولا يشترين الدَّعَجَ . وكان فى زمانِهِ قومٌ يُطعِمُهم
(78) السِنَانَ من لحمِ الزُّجِّ ، ‖وقد بقيتْ منهم إلى اليوم بقيةٌ . وكان يجيءُ عليه الوقتُ من الزمَنِ فى الشتاءِ ، والبردُ أحبُّ ما يلقاه إليه . وكان طباخه يَطبُخ له بالحشيشِ وإن الحَطَبَ لَكثيرٌ موجود ، وكان يُبغِضُ الحطبَ والحَطَّابين . ويُعطى كلَّ أحَدٍ من أهلِه قِطًّا ينتفعُ به ، ولا يُحِبُّ أن تُقَرَّبَ إليه قُرَّةُ العَيْنِ . وكان يُجيزُ أن يَكرَّ على العدوِّ وهو على غير طهارةٍ ، ويتطَهَّرُ بالكَرِّ . وكان إذا أُوتِىَ بالعالِمِ أمَرَ أن يُقتَصَّ منه .

مَضَتْ أخبارُ الأئمةِ عليهم السلامُ .

وهذه أخبارٌ أذكرُها عن نفسى وعن غيرى من الناسِ والبلادِ والبهائمِ والطير :

أُشِيرُ على الصالِحِ من القومِ إذا كانت معيشتهُ وادعةً ألا يتعرضَ لجُلوسٍ فى البَزِّ ، وأَلعَنُ ، عَلِمَ اللهُ ، البزازين .

وأقولُ للعَجوزِ الصالحةِ أن تصونَ ولدَها عن لقاءِ البَزّازِ : إنه لا يُؤمَنُ على السَّرَقِ ولا على القتلِ ، إنما يبكُرُ بدهاءٍ وخَتْلٍ .

وأقولُ للذى يبيعُ البُلْسُنَ والبقلَ : إياك وجوارَ البزّازِ فإنه لا يؤمَنُ على قِدْرِك ولا مِرجَلِك ولا مِقدحَتِك .

فأما الصائغُ وبائعُ السَّقَطِ فيجبُ أن يكونَ هربُهما من البزاز شديدًا . إنه لا يأمَنُه فى الخَلوةِ أحَدٌ إلا مَن شاءَ اللهُ . وإن قدَرَ ناسِكٌ ألا يُصلى إلى جانبِ البزازِ فإنه حَسَنٌ . سَبحانَ ربِّنا العظيم ، هل يُصَلى البَزّازُ فى السفرِ لعله يُغفَرُ له ؟ أم لاَ يفتقرُ إلى الصلاةِ لِعلْمِه أنه قد حَقَّتْ عليه كلمةُ العذابِ ؟ فأَىُّ موقعٍ لِصَلاتِه وزكاته ؟ إنما يَصومُ الأبرارُ ويُزكى المتَحرِّجون . فلا تَشترِ من بزّازٍ قميصاً ، فلعله أيها الرجُلُ حَرَامٌ . وإذا رَحَلَ فى رُفقةِ الحجِّ فمن الحَزامةِ لهم أن يَطردوه . فإنْ أبَى إلّا أن يَبيتَ معهم فى المنازلِ فإن الباديةَ إذا تخَيَّلوا فى الرجلِ أنه بَزّازٌ أوثقوه وصَفَّدوه ، وإن كان قد أكل من طعامِهم ، يخافون معَرَّتَه أن تقعَ بِخَيلِهم وأنعامِهم . (79)
وإن حضَرَ « مكةَ » فطافَ ووقف بـ « عرفةَ » وقضَى المناسِكَ ولا غَرَضَ له فى الثوابِ ، وإنما ينتظرُ غفلةً من الحجيجِ فيختلسُ منهم بعضَ المتاع . لا حَجَّ له ولا عُمرة ، وإذا حَلَفَ لم يَصدُقْ ، فلا تُقبَلُ له شهادةٌ ، ولا تُجعَلُ عنده وديعةٌ ولا تُقبَلُ عليه الحَوالةُ ، ولا يَحِلُّ أن يُشرَكَ بينه وبين مَن لا يَعرِفُه شركةَ عِنانٍ ولا شركةَ مفاوضة . ولَا يُعارُ ، إذ كانت العاريةُ أمَانةً وهو لا أمانةَ له .

وإذا بلغ ابنُ البزَّاز وكان على طريقة أبيه وظفِرَ به السلطانُ ، فيجبُ أن يَستتيبَه فإن تاب وإلا وقعتْ عليه أحكامُ أبيه . قال اللهُ سبحانَه :

« إنما جَزاءُ الذينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَون فى الأَرضِ فسادًا أن يُقَتَّلوا أَو يُصَلَّبوا أَو تُقطَّعَ أَيديهم وأَرجلُهم من خلاف » . . . الآية [1] .

ولا يجبُ أن يوثَقَ به فى الكفالةِ على كلِّ حالٍ ، وإنما يَكفُل أخوالأَمانةِ .

تراه عارياً فى الحِنْدِسِ تـأخذُه من البردِ العُرَوَاءُ [2] ، وهو فى ذلك
لا يَقدِرُ على الدِّفء ، وإن البَزَّ لَمُعَلَّقٌ فى عُنُقِهِ . ||وكيف يَرجو دِفئاً من بَزِّه (٣٩)
وهو يوصَفُ بِشَبَمٍ وبَرْدٍ ؟

وإنى لَأَعجَبُ من البزازِ يطلب القِراضَ أو يطمعُ فيه . لا يَكُنْ بينك وبينه وجهٌ من المُبايَعةِ ولا المَساقاةِ ولا الزراعةِ ولا الإجارة . إنه لا يَرُدُّ اللُّقْطةَ إذا وجدها ولا يُؤمَنُ على إفسادِ الأَمَةِ إذا لَقِيهَا .

فإذا انضافَ إلى ما ذُكِرَ من أَخلاقِ البزَّازِ أنه خَزَّاز ، فإنَّا للهِ وإنا إليه راجعون ! صِلَّانِ فى الثُّمَّةِ وأَرْقَمانِ فى الهَشِيمةِ ، وشَبْوَتانِ فى سُكٍّ واحد ، وذِئبانِ وقعا فى الفريقة [3] . إلا أن البزازَ قد يكونَ غيرَ خزَّازٍ والشِرَةُ بِحالِها والشيمةُ ليست بِالمغَيَّرَةِ عن سُوئِها .

(80) والخَزَّازُ قد يكونُ غيرَ بزَّازٍ ، ||فلا يُعرفُ به بَأْس. يُؤدِّى الأَمانةَ ويَصدُقُ
فى الشهادةِ ويعترفُ بالحقوقِ ، وتَصلُحُ معه المبايَعةُ ، ويُحْكَمُ عليه فيما
صنَع ، بأَحكامِ المسلمينَ .

---

(١) ٣٣ من سورة المائدة .

(٢) العرواء ، على وزن الغلواء : قرة الحمى ومسها فى أول رعدتها (ق) .

(٣) الثمة : القبضة من الحشيش ونحوه . وشبوتان : عقربان . والسك ، بالضم : جحر العقرب . والفريقة : الغنم .

فإذا كان الرجلُ بزّازًا خزّازًا قزّازًا ، فالمُستَغاثُ باللهِ مِمَّنْ تَجتمعُ هذه الخِلالُ فيه : أمّا البَزُّ فحَدَثٌ عظيم ، وأما الخَزُّ إذا وقع فى حِينِ البَزِّ فنائبةٌ يُنسَى البَزُّ معها ويغتفِرُه الصالحون عندها ، وأما القَزُّ فأيسرُ من الخَزِّ ، وأصحابُ القَزِّ قد يكونون صُلَحاءَ أخيارًا .

ومن العجائبِ أن كلَّ مَلِكٍ من بنى أميةَ وبنى العباسِ ، كانوا فى أولِ أمورِهم قزّازين . ولو سِمعَ هذه المقالةَ بعضُ مَوالى قُرَيشٍ لَغَضِبَ منها وعَبِدَ[1] . وقد علِمَ عالِمُ الأسْرارِ أنى لم أدّعِ فى ذلك باطِلا . ومن غريبِ الحديثِ وصحيحه أنه كان « بالكوفةِ » قَزٌّ عند القزازينَ يتكلمُ ويشربُ ويأكلُ من غذائهم ، إلى أن مَلُّوه فطرَدوه . ولا يُعْرفُ أن الخزَّ والبَزَّ تكلما قط .

وفى هذه البلادِ رَجُلٌ من أغلَظِ الناسِ وأَجْفاهم بَشَرةً ، يحتطبُ مع المُحْتَطَبين ويَحمِلُ الجَنْدلَ إلى أصحابِ البناء ، يُحَاكُّ الحَجَرَ فلا يُدْمِيه . ويُمَاسُّ الحديدَ فلا يَضرُّه إذا رَفَقَ به . ومتى أصابَ جِلدَه الخزُّ أدْماه . أفليس هذا بِعَجَبٍ ، وإنما ألْيَنُ ثيابِه الكَرادِىُّ الوَخْشَةُ ؟[2]

وقد ذُكِرَ أنه كان فى الأرضِ قزّازٌ ما سُمِعَ بِشَرٍّ منه : يتعمدُ أذيَّةَ المسلمين ويقطعُ عليهم صلواتِهم ويفرحُ بانهدامِ المساجدِ وقطعِ الزكَوات ، ويَحُثُّ على الغيبةِ ويُزَيِّنُ لإمامِ القومِ أن يُصَلِّىَ بهم على غيرِ طُهْرٍ ، ويُحَسِّنُ للقُضاةِ أخذَ الرِّشوةِ ، ويتقدمُ إلى الولدِ بعُقوقِ الوالدِ ، ولو سَمِعنى يهودُ بلدنا جاز أن يظنونى عنَيتُ « القزازَ ، والدَ منشى بنِ إبرهيم * »

---

(١) العبد ، بالتحريك : الغضب ، والأنَف ، والجرب الشديد ، والندامة وملامة النفس ؛

(٢) الوخشة : الردية . يقال : ذلك من وخش الناس وأوخاشهم ، أى من رذالهم .

* منشى بن إبراهيم القزاز : من رءوس يهود حلب فى القرن ٤هـ . انظره فى (تاريخ حلب : سنة ٣٨٣) وفى الجزء الأول من (يتيمة الدهر) ثلاث قصائد هجاه بها الشاعر الواسانى .

(8I) وما عَنَيتُ ذلك ، ||والذى قصدتُه لم يَمُتْ ، وصاحبُهم قُتِلَ ابنُه ومات هو .

ولا أقولُ فى الخياطينَ إلا خيراً . إلا أن كلَّ خياطٍ وُجِدَ فى الجوامعِ والمساجد والطرق ، فقتلُه حلال. وكان فى بلدنا قاضٍ دَيِّنٌ يجيز أكل لحم الخبَّازِ والخبازةِ ، وأن يُطْبخَ باللبن والخلِّ .

وكان فى هذا البلدِ جُندىٌّ أَبَحُّ ، أقام أربعين سنةً يَدخُلُ على القُضاةِ والأُمراءِ ، وهو فى ذلك لا يذوقُ النومَ . وكان ذا وَجْهين .

وكان ها هنا قصَّابٌ يذبَحُ الضأنَ صِغارَها وكبارَها والأُمَّاتِ منها والأَولادَ ، وما ذَبَحَ خروفاً قط !

ومن زَوْلِ الدهرِ أنه كان فى هذه البلدةِ جُندىٌّ مُحارَفٌ[1] ، فنُتِجتْ فرسُه خروفاً ، ونَفَقت الفرسُ وبقىَ الخروفُ .

وحدثنى الثقةُ أن الجُندَ بخُراسانَ يركبون الخرفانَ . وأن الظِّباءَ فى نواحِى « البصرةِ » تَلِدُ الجحاشَ . والناسُ فى الشامِ يُبغِضون الأَبَّارينَ وكذلك فى العراقِ ، ولا يَرَوْن قَتْلَهم إلا بِحَقٍّ ، فأَمَّا الأَبَّارةُ فقتلُها مَباحٌ فى كلِّ الأَحيانِ .

والسنانيرُ إذا كانت فى أَرضِ الباديةِ تقلَّدتْ بالسيوفِ ولَعِبَتْ بالرِّماحِ .

وكان فى هذه الأَرضِ قاضٍ يُحِبُّ الفالوذَ فكان إذا رقَدَ وضَعه قريباً منه ، فإذا انتبه فى بعضِ الحِنْدِسِ لَمَصَ . وكانت المَضِيرةُ إذا حضرتْ بين يَديه كلَّمَتْه فسمِعَ كلامَها الشهودُ .

وكان بعده قاضٍ آخرُ يأكلُ الخَنَاثرَ ويَحتسِى الحَليبَ ويستعملُ فى
(٤٠) مطعمِه رِسْلَ المَعْزِ والضأنِ ، ويُعجبُه ||ما يُحتَلَبُ من الجواميسِ ، وما يُعْلَمُ أنه ذاقَ لبناً قط !

(١) الزول : العجب . والمحارف : الذى لا يصيب خيراً من أى وجه يوجه إليه (ف)

وفى البادية راعٍ لا يزالُ فى صيفٍ وشتاءٍ يَحمِلُ جَحْشَهُ فى يدِه ومعه جَحشانِ لا يُفارِقانه : موقعُهما بِجَنبيه ينامُ وهما معه ، وينتبهُ وهما كذلك .

وفى قريةٍ من هذا الإقليمِ أَتَانٌ يَشهَدُ الثِّقاتُ أن لها أكثرَ من ثلاث ||مائةِ سنةٍ ، وحِمارانِ يُوفِيان على هذه المُدَّةِ . ولا عجبَ من أَمْرِ اللهِ ، قد مَرَّتْ بنا منذ سنينَ جاريةٌ شَهِدَ خَلْقٌ كثيرٌ أن عُمْرَها زائدٌ على ألفِ سنةٍ . (82)

وكانت فى «حِمْصَ*» عجوزٌ لها دجاجتان أقامتا فى تابوتٍ نحوًا من سِتةِ أشهرٍ أو سبعةٍ بغيرِ عَلَفٍ ولا ماءٍ ، ثم خرجتْ بهما إلى السوقِ فباعتْهما ، ولم ينقُصْ طولُ الحَبْسِ ثمنَهما .

وكان فى «وادى بُطنانَ*» راهبٌ يشربُ بَوْلَ الأَسدِ ولا يشربُ بَوْلَ اللبوْة . وكان فى «بالِسَ*» خطيبٌ يتطهَّرُ ببولِ العِجْلِ والعجلةِ ، وإذا أصاب ثيابَه شيءٌ من بَوْلِ الثوْرِ غَسَلَه .

وكان بِـ «الرَّقَّةِ*» طبيبٌ يَفْصِدُ السواعِدَ ، ويَسْقِى الأَعِلَّاءَ فى بعضِ العِلَلِ ما يخرجُ من السواعِدِ . وإذا اعتلَّ رجلٌ بِـ «المَوصِلِ*» اشتدَّ فَرَقُه من المَحْمومِ .

وفى نواحى «نَجرانَ*» خَيْلٌ لها قُرونٌ .

وفى «دِمشقَ» عجوزٌ ولَدتْ بَيضةً فى عُمرِها ، ثم لم تَعُدْ إلى ذلك .

---

* حمص : من حواضر الشام
* بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة
* وادى بطنان : بين منبج وحلب
* الرقة : بفتح أوله وثانيه وتشديده : مدينة عراقية مشهورة على الجانب الشرق للفرات والموصل ، بالفتح وكسر الصاد : المدينة العراقية المشهورة ، باب العراق ومفتاح خراسان ، قديمة عريقة ، على طرف دجلة تجاه نينوى .
* نجران : من حواضر الجزيرة العربية

وقد شاهدتُ أنا جاموساً خرج من بَيْضةٍ ، ورأيتُ الفرسَ يخبط بِيدَيه البيضةَ فلا يَكسِرُها . ومَا عنَيتُ بَيضةَ الحديدِ ، لأن ذلك معروفٌ منها الصلابةُ .

والأَوْعالُ فى جِبالِها تُراقبُ الصومَ ، ولا تراقبُ الصلاةَ .

وفى «الرملةِ *» رجلٌ يُصَلِّى ويتحدثُ فى ذلك وهو قاعِدٌ لم يَقُمْ ولم يركَعْ ولم يسجُدْ ولم يَذكر اللهَ ، ولا هو على طهارةٍ . وقد شَهِدَ له المسلمُ والكافِرُ أنه يُصَلِّى ، وهو فى تلك الحالِ .

وفى مَذهبِ الفقهاءِ أن مَن وطِئَ الجامعَ وهو على طهارةٍ وجَبَ عليه الغُسْلُ فإنوطِئَ كنيسةً فلا شىءَ عليه .

وكان «محمدُ بنُ إدريسَ الشافِعى *» لا يَقربُ الجامعَ ويَبيتُ فى الكنيسة .

ومن رأىِ «أبى حنيفةَ *» أن مَنْ قَتَلَ حُرًّا فلا شىءَ عليه .

ويَجوزُ فى مذهبِه أن يُطبخَ لحمُ الفقيهِ ، فأَمَّا الفَرضِىُّ والنحوِىُّ فلا يُعرَضُ لهما إلا بِخَيْرٍ(١) .

---

(١) الفرضى : العارف بالفرائض ، وكذلك : الفارض والفريض (ق) .

* الرملة : مدينة بفلسطين ، كانت رباطاً للمسلمين ، بينها و بين بيت المقدس اثنا عشر ميلا .

* محمد بن إدريس الشافعى أبو عبد الله المطلبى الإمام ، أحد أصحاب المذاهب الأئمة الأربعة ، ولد سنة ١٥٠ هـ ونشأ بمكة وطلب العلم بها ثم لازم الإمام مالكاً فى دار الهجرة وقرأ عليه الموطأ ، ثم قدم بغداد سنة ٩٥ وسمع فقه أبى حنيفة ومحمد بن الحسن ، نحو سنة . وفى بغداد صنف كتابه القديم ، ولما رحل إلى مصر صنف بها كتبه الجديدة ، كالأم والأمالى والمختصر والرسالة والسنن . وفيها توفى سنة ٢٠٤ هـ .

(طبقات الشافعية للسبكى جـ ١ ، ترتيب المدارك ٥٦/٢ ، تذكرة الحفاظ ٣٦١/١ ، تاريخ بغداد ٥٦/٢) .

* أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت . مولى بنى تيم الله بن ثعلبة . تابعى ، إمام أهل العراق ، وأحد الأربعة الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية (٨٠ – ١٥٠ هـ) .

وله كتاب الفقه الأكبر . (الفهرست ٢٨٤) والجواهر المضية ٥٦/١ ، تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣ .

وَمَنْ بالجزيرةِ من العَربِ ، يأكلون|| فى السنَةِ المُجدِبةِ لحومَ الفُقهاءِ . (83)

وفى نواحى اليمنِ قومٌ فقراءُ يأكلونَ الذُّرَةَ ويَكيلونها بالذَّهبِ . ولعلَّ فيهم من لم يَملِكْ دينارًا قط . ويُقال إنهم يأكلون لحمَ الشيطانِ .

والدجَّالُ قد ظهر منذ سنواتٍ فى عَمَلِ « السيد عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ » أدام اللهُ سُلطانَه . وهو يكونُ عند بَعْضِ الجُنودِ بمدينة « حابَ » حرَسَها اللهُ .

وكذلك ياجوجُ . فأمَّا « ماجُوجُ » فلا خيرَ منهم إلا أن يدَّعىَ ذلك بعضُ المتَسامحين فى القياس .

والقاضى بـ « حلبَ » عادلٌ مُنصِفٌ ، على أنه يُجيزُ أن يُطبخَ المظلومُ بِقَديرٍ أو مِرْجَلٍ ، ويُبيحُ أن يُضرَبَ خَدُّ المظلومةِ بالفؤوسِ . وفى دِينهِ أمْرُ الظالِمِ بمعونةِ الظالمةِ . ويُحِلُّ للخَبَّازِ أن يأكلَ كَبِدَ العَجَّانِ وغيرَها من جَسدِه . ويُحِبُّ أن يَدخُلَ الجنةَ ، على أنه يُبغِضُ الحُورَ . ولا يلتفتُ إلى قولِ الغافِرِ ، ويَوَدُّ أنه غُفِرَ له . ويُطْلِقُ لأُمِّ الوَلَدِ إذا مات عنها سيِّدُها ثم تَزوجتْ ، أن تَبيعَ زَوْجَها من المُسلمِ واليهودِيِّ والنصرانى[1] .

ومن الأخبارِ الصحيحةِ أن أهلَ « سَرمينَ * » وأهلَ « قِنَّسْرينَ * » لا يَقدِرُ أحدٌ منهم أن يَمَسَّ ذَنَبَ الدجاجةِ ، فمن ادَّعى منهم أنه يقدرُ على ذلك فهو كاذب .

وههنا قريةٌ تُعرَفُ بـ « الكَفْرِ » إلى جانبها قريةٌ تُعرَفُ بـ « البارةِ * » . فأما « الكَفْرُ » فمُقيمةٌ فى الشتاءِ والصيفِ . وأما البارَةُ فتَسافِرُ فى قيظٍ وربيع .

---

(١) من (ف) . وفى (ض) : [من اليهودى والمسلم والنصرانى]

* والبارة : بليدة من قرى حلب ، ويسمونها زاوية البارة (مراصد الاطلاع)

* سرمين ، وقنسرين ، من حواضر الشام

وأهلُ الزَّوجِ لا يَفْرَقُون من الرجُلِ المُستيقظِ ، ورجالُهم ونساؤهم تَفْرَقُ من النائمِ .

وساكِنو القُرَى من الكَرَّابينَ(١) ، إذا نزل بهم الضيفُ ذبَحوا له الدَّجاجَ وصانوا عنه البَيْضَ .

والنَّصارَى ينتظرون نزولَ «المسيحِ» صلَّى اللهُ عليه . فهل شعروا أن
«السيدَ عزيز الدولة وتاجَ الملةِ‖ أميرَ الأُمراءِ» – أعز اللهُ نصرَه – إذا ركب (٤٢)
لامتحانِ الفوارِسِ فى ميدانِ السَّلْمِ نزلَ المسيحُ لا محالةَ ؟

وما فى الأَرضِ نصرانىٌّ ولا نصرانيةٌ‖ إلا وهو يَذُمُّ القَسَّ ، وإن أتَيَاه فيمن (84)
يأتيه حتى ملكُ الرومِ وبطارقتُه .

ولا يَمشِى الرجُلُ فى «تِنِّيسَ*» بِنعلٍ عربيةٍ إلا ومعه بِطْريقانِ .

وفى بِلادِ «حَلَبَ» حرسَها اللهُ ، قريةٌ تُعرَف بِـ «أُورِمَ الكُبرى*» لا يَدخلُ عيونَ أهلِها الكَرَى . والنعامةُ فى كلِّ ليلةٍ تَبْرُكُ على أهلِ «عَزَازَ*» وبِـ «الرملةِ» قَوْمٌ سَمَرَةٌ يُحرِّمونَ السبتَ ، وفى «دِمشقَ» سَمَرةٌ مسلمون يُحِلُّون السبتَ .

وخيرُ الأُمراءِ مَن يَحوطُ الرعِيَّةَ ويَمنعُ الغاوينَ من شَقِّهم عَصَا المِلَّةِ ،

---

(١) الكرابون : أهل الحرث والزراعة (ف)

* تنيس : بلدة مصرية قديمة ، لها شهرة تاريخية فى نسج الحرير ، من شطوط بحيرة المنزلة شرق دمياط .

* أورم الكبرى ؛ ضبطها «البكرى» : بالضم ثم السكون وكسر الراء . إحدى قرى أربع باسم أورم ، من قرى حلب . الكبرى والصغرى ، وأورم الجوز وأورم البرامكة .

* [عزاة] فى ض . وما هنا من (ف) وهى فى بلدان ياقوت : بليدة فيها قلعة ، شمالى حلب طيبة الهواء عذبة الماء وليس بها هوام . وربما قيلت بالألف فى أولها : إعزاز .

ويُحِبُّ القَناةَ والسيفَ ويُبغِضُ القصَبَةَ . فالحمدُ للهِ الذى جعل «السيدَ عزيز الدولةِ وتاجَ المِلةِ أمير الأُمراء» – أعز اللهُ نصرَه – كذلك .

والقاضى بِ «مدينةِ السلامِ *» لا يدخُلُ عليه عَدْلٌ مِن عُدولِه إلا ومعه دُفَّانِ ، كلٌّ واحدٍ منهما أَحَبُّ إليه من مائةِ دينارٍ ، والسَّاجُ[1] من بَعْدُ على كتفيه .

وأهلُ «مَنْبِجَ *» لا يُرَى العدلُ منهم عند أميرِهم أو قاضيهم .

وأهلُ «بَعْلَ بَكَّ *» يَفرحُ الرجلُ منهم بأَن تكونَ له الأَمَةُ ، وكلُّهم يُبغضون الحرائرَ . وبلادُهم كثيرةُ الكُرُومِ ، ولا يُرَى الرجُلُ منهم فى كَرْمٍ طولَ عمرِهِ .

و «جُوسِيَةُ *» يجوزُ أن تجتمعَ فيها الكوفةُ والبصرةُ ومصرُ ، فى يومِ خميسٍ أو جمعة .

وأهلُ «رَفَنِيَّةَ *» يأْمَنون البيتَ والمسجدَ ، ويَفرَقون من الدَّارِ .

وكانت العربُ تتشاءَمُ بالصُّرَدِ وهو طائرٌ أَخضرُ يسمى الأَخطبَ[2] ، وإياه عَنَى «امرؤُ القيسِ *» بقولِهِ :

* كما رُعَتَ فى الضالَةِ الأَخطبا *

---

(١) الساج : الطيلسان ، الأخضر أو الأسود (ق) .

(٢) الأخطب : الصرد ، سمى بذلك لغبرة لونه ، من الخطبة : غبرة ترهقها خضرة .
أنشد فيه الجوهرى مما يتشاءم به ، قول الشاعر :

ولا أنثى من طيرة عن مريرة   إذا الأخطب الداعى عن الدوح صرصرا

ومثله فى (ل : خ ط ب)

* مدينة السلام : بغداد .
* منبج : بالفتح ثم السكون و باء موحدة وجيم . من حواضر الشام ، بين حلب والفرات .
* بعل بك ، وقد توصل فى الرسم : بعلبك كما فى (بلدان ياقوت) مدينة قديمة أثرية ، – من جبل لبنان –
* جوسية : بالضم فالسكون وكسر السين المهملة و ياء خفيفة ، من قرى حمص (ياقوت) .
* رفنية : بتشديد الياء : من أعمال حمص ، و بلدة عند طرابلس من سواحل الشام (ياقوت) .
* امرؤ القيس ، الكندى = ١٠٥

وبُحتُر من طيِّئٍ لا يُرَى الرجُلُ منهم إلا ومعه صُرَدان فى لَيْلٍ ونهار ، وكذلك كان «الوليدُ بن عُبَيدٍ البُحترِىُّ*» .

وإذا ركِبَ «السيدُ عزيزُ الدولة وتاجُ الملةِ أميرُ الأُمراءُ» – أعزَّ اللهُ نصرَه – دَعَا له البُرجُ والصُّورُ بدُعاءٍ يُفهَمُ ، وكلُّ عَبيدِه يرجو البَقَّ ويُبغِضُ الذبابَ ، ولو وقف بعضُهم على ظهورِ || الأُسْدِ(١) يومَه أجمعَ لَما شعرتْ به . (85)

وهو ، أعزَّ اللهُ نصرَه ، يغضَبُ على من ينظرُ إلى غُرابٍ لا يملكهُ ، وتُثنى عليه الدُّرَّةُ وتَفِرُّ الصدَفةُ خشيةَ العقوبةِ .

وأهلُ مملكةِ «محمودٍ*» يزعمون أن له سبعَمائةِ فيلٍ ، يستعظمون ذلك . ولو أراد «السيدُ عزيزُ الدولة وتاجُ المِلةِ أميرِ الأُمَراءِ – أعزَّ اللهُ نصرَه» أن يجمعَ فى اليومِ الواحدِ عشرةَ آلافِ فِيلٍ على نَحْضٍ وثَرِيدٍ لَفَعَلَ .

ومثلُ هذه الأخبارِ كثيرةٌ لا تُحْصَى ، وأقتنِعُ بما ذكرتُ خشيةَ الإطالة .

* * *

فيجوزُ أن يُنطِقَ اللهُ البعيرَ فيقولَ :

---

(١) فى ص : [على ظهر الأسد لما شعر به] .

* الوليد بن عبيد البحترى ، أبو عبادة ، من بنى بحتر بن عتود ، من ثعل بن عمرو بن الغوث ابن طيئ (جمهرة الأنساب ٣٧٧) .

ولد بمنبج فى الشام سنة ٢٠٦ ، ثم خرج إلى بغداد فلقى أبا تمام ولزمه حتى حذق الشعر وبرع فيه وأخذ موضعه مع أبى تمام وكان من شعراء المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان . ت ٢٨٤ هـ . كما صحح ابن خلكان (٢٦١/٢) . انظر مع ديوانه وحماسته : (عبث الوليد لأبى العلاء ، والموازنة بين الطائيين للآمدى ، وطبقات ابن المعتز ١٨٦ ، وأدباء ياقوت ٢٠١/٤ ووفيات ابن خلكان ٢٦١/٢) .

* محمود بن ناصر الدولة سبكتكين ، أبو القاسم الغزنوى ولد بغزنة سنة ٣٦٠ .

تم له ملك خراسان سنة ٣٨٩ هـ وسير إليه الخليفة العباسى «القادر» خلعة السلطنة ولقبه يمين الدولة وأمين الملة ، وكان ميمون النقيبة مظفراً ، لم يزل يوغل براية الإسلام شرقاً فى الهند حتى بلغ بها إلى ما لم تبلغ من قبل . توفى بغزنة سنة ٤٢٢ هـ (تاريخ أبى الفدا) ، مع (جمهرة الأنساب ١٠٩) .

« دُهْدُرَّيْنِ ، سَعْدُ القَيْنُ »[١] ! إن جُرْفَكَ لَمُتَهدِّمٌ[٢] ، وإنك لَمجتَرِئٌ على الكذبِ . وما يَحسُنُ بِمِثلى وأنا مُخلِفُ عامَيْنِ[٣] ، أن ينقُلَ باطلا ولا يتحملَ كذباً . يا نَغْلُ يا وَغلُ[٤] ، لُعِنْتَ ورُعِنْتَ وطُعِنتَ ! رَبُّك منك ينتقمُ ، فلذلك عُقِمتَ فيمن عُقِمَ . أَعَلَى « أهلِ البيتِ » عليهم السلامُ[٥] تَلَعُ ؟[٦] لعلك لهم ناصِبٌ فيُصيبَك عذابٌ واصِبٌ . أزعمتَ أن « الرَّيحانتين* » صلى اللهُ عليهما لم يَرَ أَحدُهما الآخرَ ، وحكمتَ أن « السِّبطَيْنِ* » يَجريانِ مَجْرى القُرْطَينِ هما فى الحقيقةِ أَخَوانِ ولكنهما لا يلتقيان ؟ وهل فرَّقَ بينهما شىءٌ إلا الموتُ ؟ ولَعمرى إن « الحسنَ » قد سافر تلك السفْرةَ ولم يكن « الحسينُ » معه .

---

(١) مثل يضرب للكاذب ، والدهدر : الكذب . والقين : الحداد واسمه سعد . . (ف ، ض) والمثل ذكره ابن السكيت فى (تهذيب الألفاظ ٢٦٢) يقال للشىء إذا كان باطلا . وذكر الميدانى فى (أمثاله : حرف الدال) اختلاف العلماء فيه : قيل إن رجلا كان معه نوعان من الخرز فقال لبعض تجار العجم يلبس عليهم : ده درين ، يعنى نوعين من الدر . وقيل : هومثى دهدر ، من أسماء الباطل ، ثنوه للمبالغة ، وأضافوه إلى سعد القين لأنهم عرفوه بالكذب .

وانظره كذلك فى (دهدر) من (ق ، ص ، ل ، ت) والرفع فيها على النداء : يا سعدُ القينُ .

(٢) يقال للكذاب : إن جرفك لمتهدم . ويجوز أن يقال الذى فيه تسرع إلى الباطل (ض) .

(٣) المخلف من الإبل الذى جاوز البازل ، الذكر والأنثى فيه سوء . يقال : مخلف عام ومخلف عامين . أنشد فيه الجوهرى قول الجعدى * أخلف البازل عاماً أو بزل *

(٤) النغل : الفاسد الساقط ، من قولك : نغل الأديم إذا فسد . والوغل : الذى يدعى نسباً ليس منه ، والداخل على القوم ليس منهم (ف ، ض) .

(٥) [صلى الله عليهم] فى ض .

(٦) تلع : تكذب (ف) من : ولع يلع ولعاً وولعاً ، محركة : استخف وكذب . وولع بحقه : ذهب . والوالع : الكذاب ، والجمع : ولعة - كقاتل وقتلة - وولع والع : مبالغة ، أى كذب عظيم (ق).

والجمل ، أبو أيوب يبدأ من هنا ، فى تتبع ما سمع من رسالة الشاحج ، على وجه الإنكار والسخط والاستحماق ، وقد أخذها على ظاهر ألفاظها ، دون فطنة إلى ما نبه عليه الشاحج — ابتداء — من عمده فيها إلى التورية ، على طريقة ابن دريد فى (الملاحن) وابن فارس فى (فتيا فقيه العرب) .

ثم يأتى بعد تعليق الجمل ، رد الشاحج ، وتفسيره لما قال .

* الريحانتان يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما (ف) .

سبطا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وريحانتا أهل الجنة .

وزعمت أن «محمدَ بنَ عَلِيٍّ» لم يرَ جعفرًا فى دارِه ، فمن الذى نقل ذلك إليك ؟ أليسا «بالمدينة» كانا قاطنين ؟ أفتظُنُّهما كانا لا يتزاورانِ ؟ لقد كذَب ظَنُّكَ ولم يُوَفَّقْ رأيُكَ . إنما يتركُ الزيارةَ مَن يُنسَبُ إلى العقوقِ. فأما الولَدُ البَرُّ والأبُ المُشفِقُ فلا بُدَّ لهما من الزيارةِ . وقد دلَّت الأخبارُ أن «جعفرًا» عليه السلامُ كان يسكُنُ مع أبيه فى الدارِ بُرهةً من الدهرِ .

وأما قولُك إن «الزهراء» صلى اللهُ عليها ، لم تر «عَلِيًّا» رضى اللهُ

(86) عنه فى بَيتِها ، فعليكَ بهَلةُ اللهِ ، || أين كانت تَلقاه؟أفى بيوتِ الناسِ أم على ظهورِ الصُّعُدَاتِ ؟

(٤٢) || وزعمتَ أن الخَلَّ كان يحضرُ مائدةَ «علىِّ بن الحسين» فيسألُ عن الحلال والحرام . وهل لِلخَلِّ أَرَبٌ فى ذلك ؟ ما يَشْعُرُ الخَلُّ ، وجَدِّكَ ، أفى خابيةِ خَلٍّ أُلقِيَ أم لِشَاكى صَفراءَ سُقِى ؛ ولا يُبالى أَطُبِخَ به لَحمُ خِنزيرٍ أو لحمُ فَصيلٍ ؛ ولا يَحفِلُ أَأَدَمَ به الناسِكُ رغيفاً أم تصبَّغتْ به الفاجرةُ حليفةُ العِهارِ ، ولا يُحِسُّ أَجَمَدَ فى شتاءٍ باردٍ أم غَلَتْ به البُرْمَةُ فوق الجَمْرِ الواقِد . وهل هو فيما زعمتَ إلا كماءِ الكَحْبِ والسَّليطِ. وما يُعتَصَرُ من الثمارِ والوَرْدِ ؟ وما يؤمِنُكَ إذا ادَّعيتَ ذلك أن يدَّعِيَ مُدَّعٍ لِلخَمرِ أنها لقيت بعضَ الأئمةِ فسألَته عن نفسِها فزعم أنها حَلال ؟ وما تُنكِرُ ، إذا قلتَ ذلك ، أن يقولَ قائلٌ : إن نبيذَ التَّمْرِ فَقِيهٌ يُفْتِى فيما يَرِدُ من المسائلِ ؟

ثمَّ زعمتَ أن «عَلِيًّا» ــ صلى الله عليه ــ كان لا يَكرَهُ أن يُبالَ فى الخلِّ . فبُعدًا لك من مُناقِضٍ بين خبرَيْك ! فالعجبُ من كِلَا أمْرَيْكَ : بينما جعلتَ الخَلَّ مُتَفَقِّهاً ، عُدْتَ فزعمتَ أنه لا حُرْمَةَ له كغيرِه من الأطعمةِ والأشربة . ومَعاذَ اللهِ ، لو جَازَ أن يُفعَلَ ذلك بالخلِّ ، لجاز أن يُفعَلَ ذلك باللبَنِ والزيتِ .

وزعمت أن «السِّبطين» كانا يتطهران بالبُسْرِ ويغتسلانِ منه. فما الذى تقصدُ بهذا القولِ ؟ لو جاز التطهرُ بالبُسْرِ لَجاز بالعِنَبِ والبلَسِ وكلِّ الثمارِ . اللهمَّ إلا أن تَعنِيَ أنهما كانا يُعطِيانِ البُسْرَ لمن يجيئُهما بالماء . فإن كنتَ أردتَ ذلك فأَيُّ فائدةٍ فى كلامِك ؟ تجوزُ الطهارةُ على هذا بالإِهْلِيلِجِ والصبرِ وكلٍّ ما ينتفعُ به الآدميون .

وزعمتَ أنهما كانا يأْخذانِ البَثَّ بأَيديهما فيضعانِه فى أفواهِهما . وذلك من المنكَراتِ : إنما يؤخَذُ باليدِ ما تُشغَلُ به الأَماكِنُ . فأَما الأَعْراضُ فلا يَقدِرُ أَحَدٌ أن يدَّعِيَ فيها ذلك . هل يمكنُ رجلا أن يقبِضَ على السَّوادِ (87) أو البياضِ أو الرائحةِ ؟ ولكنْ قد اختلف المتكلمون فى الحركةِ ، وهى عَرَضٌ ، فقالت طائفةٌ : الحَرَكةُ لا تُرَى ، وهو مذهبُ النحويينَ . وقالت طائفة أُخرى : بل الحركةُ مَرئيةٌ وليس لها تعلُّقٌ بهذا القول . وقد نفى بعضُ المتكلمين الأَعراضَ ، وإلى ذلك ذهب «الأَصمُّ»* ومَن أخذ بقولِه .

ولو جاز أن تقبِضَ الكَفُّ على البثِّ ، جاز أن تقبضَ على السرورِ وعلى الغيبةِ وعلى الظنِّ وعلى غيرِ ذلك من الأَعراضِ .

وأَمَّا زعمُكَ أن «عَلِيًّا» كان يضربُ أَمَّ الصَّبِيَّينِ بسَيفهِ ، فإنما فعل ذلك لِحَدَثٍ أَحْدثتْه أَوجَبَ لها أن تُضرَبَ .

وادِّعاؤكَ أنه كان يكرهُ دخولَ الأَعمى المسجدَ ، كَذِبٌ لم يَروِه أَحدٌ من الشيعةِ ولا من غيرِهم . وما خَلَتِ المساجدُ فى عصرِه ، عليه السلامُ ، من المكفوفين يقرأُون القرآنَ فى المساجدِ ويُقرِئونه الناسَ ويَؤُمُّونَ بالجماعاتِ . وقد كُفَّ قومٌ من أَصحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فما رُوِى أَن

* الأصم ، محمد بن سيرين ، أبو بكر البصرى إمام وقته . من سادات التابعين الفقهاء ، لم يكن بالبصرة أعلم منه بالقضاء (تهذيب التهذيب ٣٣٦/٢١٤/٩)

أحدًا منهم مُنِعَ من المسجدِ . وقد نُقِلَ فى الأَخبارِ أن « ابنَ أُمِّ مكتومٍ * » — وكان اسمُه عَمْرًا فَسمَّاه رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : عبدَ اللهِ — شكا إليه مجيئَه للمسجدِ وكان بَعِيدَ الدارِ ، وبينه وبين المسجدِ أَشَبٌ ، أى شجرٌ مُلتَفٌّ . فلم يُرَخِّصْ له صلى اللهُ عليه وسلم فى ذلك . — وابنُ أُمِّ مكتومٍ من المهاجرين ، عامر بن لُؤَىٍّ ، واسمُ أُمِّ مكتومٍ « عاتكةُ ابنةُ عبد الله ابنِ عَنْكَثَةَ بن عامر بنِ مخزومٍ * » .

(88) أَوَ ليس « أُبَىُّ بنُ كعبٍ * » كان يُقرِئُ الناسَ القرآنَ || فى مسجدِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؟ والمسلمون بعدُ مُجمعون على أن الأَعمى مندوبٌ إلى حُضورِ الجماعاتِ إذا كان يقدرُ على ذلك . وقد رُوِى عن « أَبى حنيفةَ »
(٤٣) أنه كان يكرَهُ إمامةَ الأَعمى ، والناسُ على خِلافِهِ . || والإمامةُ لَعَمرِى غيرُ الدخولِ ، ولو سَمِعَ هذه الحكايةَ عنكَ أَضِرَّاءُ المساجدِ الذين يُقرِئون فيها القرآنَ ويُلقِّنونه الناسَ ، لابتهلوا عليكَ فى أعقاب الخَتَماتِ ، فلقِيتَ من العقوبةِ ما يتعوَّذُ من قليلِه الكفَرَةُ والمؤمنون . ولو عَلِمَ هذا منك قومٌ يتوسَّلون فى المساجدِ يَخبِطون الأَرضَ بالعِصِىِّ ، لَوقفوا لك فى بعضِ طرقِك وخبَطوك بِعِصيِّهم خَبْطَ الراعِى السَّلَمَةَ ، فما أَجدرَ دَمَكَ عند ذلك أن يكونَ فَرْغاً جُبَارًا[١] ؛ ولدَيها تَنْسَى ما لقيتَ من وَبيلِ الغُلامِ الغارمِ الذى يُستأْجَرُ

(١) أى هدراً (ف ، ض) ذهب دمه فرغا وجبارا : هدراً لم يطلب به

* ابن أم مكتوم، القرشى العامرى ، قديم الإسلام والصحبة ، وكان أعمى. واشتهر بكنيته ، ولا خلاف فى اسم أم مكتوم .

* عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر ، من بنى مخزوم . وإنما اختلفوا فى اسمه واسم أبيه. فى (الإصابة) أن اسمه عمرو أكثر ، وهو ابن خال السيدة خديجة أم المؤمنين . وذكره ابن عبد البر فى (الاستيعاب) فى « عبد الله بن أم مكتوم » رقم ١٦٦٩ وفى عمرو بن قيس بن زائدة (١٩٤٦).

* أبى بن كعب : بن قيس بن عبيد ، من بنى مالك بن النجار الخزرجى (جمهرة الأنساب ٣٢٨). شهد العقبة وبدرا ، وكان من فقهاء الصحابة وأقرئهم للقرآن . انظر مع (الاستيعاب رقم ٦) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرؤكم أبى » فى مناقب أبى ، رضى الله عنه ، بالصحيحين .

لِسَوْقِكَ[١].

ثُمَّ أضفتَ إلى دعواكَ هذه ، أنه كان لا يمنعُ أن تُلقَى السُّبَاطةُ على الضريرِ . ولو بلغتْ هذه المقالةُ رجلا فى هذه البَلدةِ وهو ضرير حِنْزَقْرٌ أعجرُ[٢] قد جعل له «السيدُ عزيزُ الدولةِ وتاجُ المِلَّةِ أميرُ الأُمراءِ» - أعز الله نصره - جِرايَةً فى وَقْفِ الجامع «بمعرة النعمانِ» فخَظِىَ وبَظِىَ وقويت نفسُه ونَفَذ عزمُه ، لَقعدَ لكَ فى بعضِ المَضايِقِ ومعه عِرْزَجْلَةٌ عَجْراءُ ، هى فى العِصِيِّ مِثله فى الناس قصيرةٌ غليظة ، فاستقبلَكَ بها لَبْناً وبَزْرًا بزرًا[٣] وهو يرتجزُ بِصَدْرِ هذه الآيةِ :[٤]

ليس على الأَعمى حَرَجْ ولا على الأَعرجْ حَرَجْ

وتَحمِلُه الرغبةُ فى إقامةِ الوزنِ على أن يُسَكِّنَ جيمَ حرجْ وجيمَ الأَعرجِ . فأَمَّا تسكينُ جيم حرج ، فكما تُسكنُ الحروفُ فى القوافى. وأما تسكين جيم الأَعرجِ ، فضرورةٌ ، كما || قال الشاعِرُ : (89)

إنكِ لو باكرتِ مشـــمُولةً حمراءَ مثلَ الفرسِ الأَشقَرِ
رُحْتِ وفى رِجْلَيْكِ ما فيهما وقد بدا هَنْكِ من المِئْزَرِ[٥]

---

(١) الوبيل : العصا . والعارم : الأشر الشرس .

(٢) السباطة : الكناسة. والحنزقر : القصير الذميم ، والأعجر : الذى فيه عجر ، وهى عقد الجسد. فإن كانت فى الطرفين فهى بجر ، وإن كانت فى الرأس فهى كعابر . الواحدة : عجرة ، وبجرة ، وكعبرة (ض).

(٣) خظى وبظى ، أى كثر لحمه واكتنز . والعرزجلة العجراء : العصا القصيرة ذات عجر . واللبن ، بفتح فسكون : الضرب الشديد . وبزره بالعصا بزراً : ضربه بها .

(٤) صدر آية النور ، رقم ٦١ :
« ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج . . » .

(٥) على هامش ف طره مطموسة ، يقرأ منها : [جاء سيبويه بهذين البيتين فى كتابه]
ومحل الشاهد : تسكين النون من : هنك ، وإنما هو بضمها مرفوعا .
والبيت الأول رواه « ثعلب » فى (مجالسه : ١١٠) :

وإنما قلتُ : يرتجزُ بصدرِ هذه الآية ، لأن أشياء فى (الكتاب الكريم) قد استعانَ بها الشعراءُ فى النظم ، ففيه آيتانِ مُتصلتان حذفتْ منهما لامٌ واحدة ، ووصَلَهما «الحَكَمِىُّ* » بالوزنِ الخفيفِ فقال :

أَرأيتَ الذى يُكذبُ بالدينِ   فذاكَ الذى يَدُعُّ اليتيما(١)

وآيةٌ أخرى(٢) إذا حُذِف منها إن ، أمكن أن توصلَ بالضربِ الأولِ من السريعِ فيقال :

يا أيها الناسُ اتَّقُوا ربَّكم   زلزلةُ الساعةِ شىءٌ عظيم

ويْحَك ! ألم يكفِكَ أنكَ ادَّعيتَ كراهتَه لدخولِ الأعمى المسجدَ ، حتى جعلتَه لا يمنعُ أن تُلقَى السباطةُ على الضريرِ ؟ فإن كان مؤمناً فكيف يأْمرُ بذلك ؟ وإن كان كافرًا فغيرُ هذا الصنيع يجبُ أن يكونَ عُقوبةً للكافرِ .

والعَجَبُ كلُّ العجبِ لهذا الضريرِ(٣) ، له جُزْءٌ فى مِلْكِك وهو يسمَعُ خبطَ حوافِرِك والنَّبْأَةَ من شَحيجِك فى ليلٍ ونهارٍ ، كيف لا يَزجرُك عن هذه المقالةِ إن كان قد علِمَها منك ؟ وكيف يَصِلُ إلى علمِ تلك ؟ هيهات هيهات !

= وأنت لو باكرت مشمولة   صفراً كاون الفرس الأشقر

شاهداً على : صفراً ، وهذا الجنس ممدود .

(١) «أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم» الماعون ١ ، ٢ .

(٢) الآية الأولى من سورة الحج :

«يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم» .

(٣) حديث الجمل ، أبى أيوب ، فى هذه الفقرة ، عن «أبى العلاء المعرى» الضرير .

* الحكمى ، الحسن بن هانئ (ف) .

أبونواس ، الشاعر العباسى المشهور ، عرف بالمجون ، وبرع فى الخمريات ، ت ببغداد سنة ١٩٩ هـ . فى خلافة الأمين ، عن ٥٢ سنة . انظر مع ديوانه (مطبعة مصر بالقاهرة) طبقات ابن المعتز ٨٧ ، والشعر والشعراء ٥٠١ ، ونزهة الألبا ٩٦ ، ووفيات ابن خلكان ١/١٣٥ وتاريخ بغداد ٧/٤٣٦

ولو عَلِمَ كان ضعيفاً ركيكاً خليقاً أن يحتملَ كلَّ ضَيْمٍ وأن يَصبِرَ على كلِّ أذاةٍ . وبعضُ مَن لا يعرفه من العامَّةِ يظُنُّ أنه من أهلِ العلم . كذَبت الظنونُ ، لو كان كذلك لَوَلب[1] من حضرةِ « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ » – أعز اللهُ نصرَه . لأنه كما قيل فى المثَلِ : لا مَخْبأَ لِعِطْرٍ بعد عروس .

ولكنه ، المسكينَ[2] لا يَبْهَجُ لِثَناءٍ يُكذَبُ عليه .

وزعمتَ أنه كان يُجيزُ التيممَ من الترابِ وعليه أبوالُ البغالِ . فمَن حَدَّثَكَ هذا ؟ أَبَغْلٌ أَسْنَدَه لك عن بغل ؟ لا اختلافَ بين الفقهاء أن بَوْلَ ما لا يؤكلُ لحمُه ليس بِطاهرٍ . وإنما || جاءت الرُّخصةُ فى أبوالِ الإبلِ ، (90)
أفحسدتَنا على ذلك يا لعينُ ؟ أليس رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أمَرَ العُرَنيِّين[3] أن يخرجوا إلى الإبلِ فيُصيبوا من أبوالِها وألبانها ؟ والعربُ إلى اليومِ فيهم مَن يشربُ أبوالَ البَكَراتِ فى الربيعِ من غيرِ عِلَّةٍ دَعتْهم إلى ذلك . أذكرتَ ما ذكرتَ لِيفتخرَ به رَهْطُك ، وإنهم من ذلك الفخرِ || لبُرآءُ ؟ (٤٤)

وذكرتَ أنه أَحَلَّ قتلَ الأَعرجِ والأُعيرج فى الحَرَمِ . وما ذَنبُهما حتى يُقتَلا ؟ أليس « أبو الأَسودِ الدؤلىُّ* » من عِلْيَةِ أصحابِ « علىٍّ »

---

(١) لولب : لدنا (ض) من : ولب إليه يلب ولوبا : دخل ، وأسرع ووصل إليه كائنا ما كان (ق ، ص) .

(٢) بعدها فى متن (ض) وحدها : [نصب على الترحم] والراجح أنها جملة شارحة للتوجيه الإعرابى وليست من أصل المتن . يشير بالمسكين إلى ضرير المعرة « أبى العلاء » .

(٣) العرنيون : قوم من عرينة (ف ، ض) .

وعرينة : حى من قضاعة ، وهى من بجيلة من قحطان . وهم المعنيون بالحديث ، كما فى شرح صحيح مسلم . وانظر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم من عرينة فى الصحيحين : البخارى كتاب ٥٦ باب ١٥٢ ومسلم ك ٢٨ الحديث ٩ : ١٤ .

* أبو الأسود الدؤلى : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندب من بنى عدى بن الدئل من كنانة (جمهرة=

رضى اللهُ عنه ؛ ولا اختلافَ أنه كان أعرجَ . والعُرْجانُ فى العربِ أكثرُ من أن يُحْصَوا فى الجاهلية وفى الإسلام ، ما أحَلّ العرجُ لهم دَماً ولا أباح منهم محظورًا . ولو بلغ قولُك هذا رجلا يُعرَف بالأعرجِ يَخدُمُ فى العَرْصَةِ ، لما أغفلَك من مكافأةٍ . وَأقلُّ ما يُخشَى منه أن يأْخذَ من فنادِقِ العَرْصةِ ما قَدَرَ عليه من ذى بطن الفارةِ[١] ، فيجمعَه فى رُدْنهِ ، فيُلقِيَه فى مِعْلَفِك .

وزعمتَ أنه قطع يدَ الفيلِ على السَّرَق. فمَن فتَح لكَ هذه الطرُقَ من الكذبِ ؟ والذئبُ والثعلبُ يسرقانِ منذ كانا ، وهما ذليلانِ خَسِيسانِ ما قُطِعَتْ أيديهما على ذلك . فكيف تُقطَعُ يدُ الفيلِ ، والأسدُ يَستَخذِى منه ؟ وإنه لَيكونُ فى الجحفلِ العظيمِ فلا يكونُ هنالكَ أعزُّ منه ، وإنما يَحضُرُ لِنُصرةِ الملوكِ ، والسرَقُ من أخلاقِ السفِلَةِ . وكيف[٢] يَسرِقُ الفيلُ ولو غصَبَ أجَلَ قائدٍ فى العسكرِ لنَفَذَ له الحكمُ عليه ؟ والحيوانُ إذا قَدَر على الغَصْبِ لم يَعرِضْ لِلسرَقِ . فبُعْدًا لك ! لم يُقنِعْكَ أن تكذبَ على نفسك ونظائرِك وصِغارِ الدوَابِّ ، حتى كذبتَ على أعظمِ دابَّةٍ تُعرَفُ . لو عَلِمَ بهذه الزَّلَّةِ أبو دَغفلٍ لما غَفَلَ ولو أضاع الدَّغْفَلَ[٣] .

= الأنساب ١٧٥) البصرى ، مخضرم من كبار التابعين . وهو معدود فى طبقات التابعين والمحدثين والنحاة والقراء والشعراء ، وكان أعرج بخيلا . ت بالبصرة سنة ٦٩ هـ عن خمس وثمانين سنة :

(نزهة الألبا ٦ ، طبقات القراء ١/٣٤٥ ، وفيات الأعيان ١/٢٤٠ ، ابن سعد ٧/٩٩ ، معجم الشعراء ١٥١ ، إنباه الرواة ١/١٣) .

(١) الفندق ، كقنفذ : خان السبيل . وهو الفنتق أيضاً — (ق) . وعلى هامشه للشارح « قوله : الفنتق ... أهمله الجوهرى . وقال ابن عباد : هو خان السبيل لغة فى الفندق ، بالدال . وأنكره الخفاجى فى (شفاء الغليل) . قلت : وهو غير متجه ، فقد قال الفراء : سمعت أعرابياً من قضاعة يقول فنتق ، للفندق ، وهو الخان » اهـ شارح .

من ذى بطن الفارة : يعنى زبل الفارة (ف) وهى الإبل يفوح جلدها إذا نديت بعد الورد . ويقال لفوح جلودها عندئذ : فارة .

(٢) [فكيف] فى ض .

(٣) أبو دغفل : كنية الفيل . والدغفل : ولده (ف) .

وكيف تَفرَقُ من الكذبِ على الفيلِ وقد كذبتَ على «عَلِيٍّ» عليه السلامُ وولدِه الصالحين ؟

وزعمتَ أنه كان يلعَنُ البقرةَ ولا يقولُ فى || الثورِ إلا خيرًا. فتُرْبٌ لكَ وجندلٌ ! ما الذى جَنَتْه البقرةُ حتى يلعنَها أميرُ المؤمنين ؟ أليست أمَّ الثورِ وأُختَه وابنتَه ؟ فكيف وجَبَ له خيرٌ مُنِعَتْ منه ، وهى أَلْيَنُ عريكةً وأذلُّ نفساً وأقَلُّ جنايةً بالقَرْنِ ؟ أليستْ تَكْرُبُ الأرضَ مع الثورِ وتُشارِكُه فى جَرِّ النَيَارِجِ[١] ، ولا تَمتنِعُ من أعمالِ الآدَميين ؛ وربما حُمِلَ عليها الرَّاكبُ فى السفرِ فبلَّغتْه ما يريدُ ؟ وأَحسِبُكَ من جَهلِك ذهبتَ إلى بَقَرةِ بنى إسرائيلَ التى أمَرهم «موسى» أن يَذْبحوها فى القِصةِ المعروفةِ . فإن كانت تستوجبُ اللعنَةَ لأن ذَبحَها مأمورٌ به ، فقد وجبَت اللعنةُ على «كبْشِ إبراهيم» وعلى عَتَائرِ[٢] الناسِ بِـ «مِنًى» فى أنواعِ النُّسُكِ من التطوعِ وجزاءِ قتلِ الصيدِ وما يَفعلهُ المُحْرِمُ من لُبْسِ ثوبٍ أو مَسِّ طِيبٍ . (91)

وإنى لأرى فى قَرَاحٍ على طريقِك إذا انصرفتَ ، باقرًا ترتَعُ ، ولو عَلِمتْ إناثُه بدَعواك لعَمَدتْ لكَ فى رَوْحتِك بصَياصِيها المُذَلَّقةِ فرُحْتَ إلى مَرْبِطكَ وما فى جسَدِكَ عُضْوٌ إلا وهو كَسِيرٌ أو دَامٍ[٣] . هذا إن سلِمتَ من إتيانِها على نفسِك . أفحسِبتَ «السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ أميرَ الأُمراءِ» أطال اللهُ بقاءَه — كان يُعدِى على البقَرِ وقد بلغه الحديثُ المروىُّ : «العجماءُ جُبَار» ؟[٤] ولعلك تَظنُّ فى نفسِك أنك يُقادُ بكَ ، وهيهات ،

(١) جمع نيرج ، وهو النورج ... خشباً كان أو حديداً (ف) وفى القاموس : النورج سكة الحراث ، كالنيرج ، وما يداس به الأكداس ، من خشب كان أو من حديد .

(٢) العتائر : الذبائح ، جمع عتيرة : ما يذبح فى «منى» (ف) .

(٣) قراح : مزرعة . والباقر : جماعة من البقر . وصياصيها المذلقة : قرونها المحددة (ف) .

(٤) يعدى : يعين عليها . والعجماء البهيمة لأنها لا تنطق . والجبار التى لا دية فيها (ف) وانظر الحديث ، فى صحيحى البخارى ومسلم (اللؤلؤ والمرجان ٢٢١/١) كتاب الحدود ، باب جرح العجماء جبار

لا قَوَدَ فى البهائِم إلا أن يقتُلَ بعضُها بعضًا فى المعترَكِ فتكونَ دماؤهن هَدَرًا . ولذلك قالوا فى المَثَلِ : « باءَتْ عَرَارِ بكَحْلَ »[1] وهما بقرتانِ كانتا فِى الدهرِ الأَولِ . ولو أُقِيدتْ بقرةٌ بِبغلٍ لَسُبَّ من يفعلُ ذلك كما سُبَّ «رَبيعٌ العامرىُّ » فقيل فيه :

شهدتُ بأَن اللهَ حقٌّ لِقاؤه وأَن ربيعَ العامرىَّ رقيع
أَقادَهمُ كلباً بِكلبٍ ولم يَدَعْ دماءَ كلابِ المسلمين تضيعُ[2]

والبقرةُ خيرٌ منك ، لأَن لحمَها يُتَقَرَّبُ به إلى اللهِ سبحانه فتُجزِئُ
(92) عن سبعةٍ . ولِىَ الفضيلةُ عليها إذ || كنتُ مَطيةَ الصالحين[3] ، لأَنى أُجزِئُ عن سبعةٍ أيضًا ، وأَنا أكثرُ بَضِيعاً منها . فأَما لحمُكَ فرِجْسٌ نَجِسٌ إنما يرغبُ فيه كلبٌ أَو نحوُه .

وزعمتَ أنه كان يأْكلُ الصَّقْرَ . وقد علم رَبُّك بُطلانَ ما تذهبُ إليه . أَ « عَلِىٌّ » عليه السلامُ يفعلُ ذلك وقد جاءَ « محمد » صلى الله عليه وسلم بتحريمِ سِباعِ الطيرِ صقرِها وبازِها وعُقَابِها وغيرِ ذلك من الصوائد ؟

ولم يكفكَ ادعاؤك أنه كان يأْكلُ الصقرَ حتى زعمتَ أنه كان يُعَلِّمُ

---

(١) بلفظه فى مجمع الأمثال (١/٩١) وقال الميدانى : هما بقرتان انتطحتا فاتتا جميعاً ، وعرار ، مبنى على الكسر مثل قطام. يضرب لكل مستويين يقع أحدهما بإزاء الآخر. وذكر فيه بيت « كثير ابن شهاب الحارثى » :

باءت عرارِ بكحلَ فيما بيننا والحق يعرفه ذوو الألباب

وذكره الفيروزابادى فى (العر) ، قال : وكقطام اسم بقرة ، ومنه « باءت عرار بكحل» وهما بقرتان انتطحتا فاتتا جميعاً ، أى باءت هذه بهذه . يضرب لكل مستويين .

(٢) القود : القصاص . وأقدت القاتل بالقتيل ، أى قتلته به. واستقدت الحاكم : سألته أن يقيد القاتل بالقتيل (ص) :

(٣) [إذ كانت مطية للصالحين] ، من (ف) وحدها .

البازىَ أخلاقَ الصالحين . وما نعلَمُه علمَّ طائرًا شيئاً من ذلك . وكيف صار البازى أَوْلى بتعلُّمِ صالحِ الشيَمِ من الشاهِينِ والحمامةِ وغيرِهما من الطيرِ الوادِعةِ المُتظاهِرةِ بتَرْك الشرور ؟ وكيف زُوِيَتْ هذه المنفَعةُ عن الدِّيك وهو وأُسْرَتُه يتوارثون الأَذانَ من عهدِ «بلالِ بنِ رَبَاحٍ*» ولا يزَالُ مُؤَذِّنٌ منهم في أوقاتِ الصلواتِ ما بَقِيَ في الأَرضِ إسلامٌ ؟ أليس في الحديثِ الذى يُحْكى عن «العُزَيْر*» أن اللهَ اختارَ من البهائمِ الضائنةَ ومن الطيرِ الحمامةَ ومن الشجرِ الحَبْلَةَ ؟[1] والدِّيكُ لا يُرتابُ في أنه من صُلَحاءِ الطيرِ. (٤٥)

أَلم تَبلغْكَ تلك الحكايةُ أن امرأةً سمِعتْ قولَ الشاعرِ :

وكأْسِ عُقَارٍ يَحْلِفُ الديكُ أنهـا لدى المزجِ ، من عينيه أصفَى وأَنْوَرُ[2]

فقالت : الديكُ من صُلَحاء الطيرِ ولم يكنْ يَحلِفُ إلا صادِقاً ؟

ولعلك زَوَيتَ هذه الفضيلةَ عن الديكِ لأنه رُبَّما أَذَّنَ بالصبوحِ فنهض إلى الكأْسِ الشَّرْبُ كما قال «عَبَدةُ بن الطبيبِ*» :

إذ أَشْرفَ الديكُ يدعو بعضَ أُسْرتِهِ إلى الصَّبوحِ وهم قومٌ مَعازيلُ[3]

---

(١) والحبلة : الكرمة (ف) .

(٢) على هامش (ف) طرة مطموسة يقرأ منها : قال أبو على فى الأمالى ..]

وفى (أمالى القالى ٢/١٣٦) عن ابن دريد بإسناده إلى الأصمعى ، أن أعرابية سمعت رجلا ينشد :

وكأس سلاف يحلف الديك أنها لدى المزج من عينيه أصفى وأحسن

فقالت : بلغنى أن الديك من صالح طيركم ، وما كان ليحلف كاذباً .

(٣) البيت من مفضلية عبدة (رقم ٢٦) - ويأتى منها أربعة أبيات أخرى فى شواهد الصاهل - =

* بلال بن رباح : هو بلال بن حمامة - أمه (=١٦٧) مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ف) .

* عزير: اسم نبى، وهو ينصرف لخفته وإن كان أعجمياً، مثل نوح ولوط (ل) .

* عبدة بن الطبيب ، من بنى عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم (جمهرة الأنساب ٢٠٥) من شعراء المفضليات .

وانظره فى (الشعر والشعراء ٢/٦١٣ بيروت، والأغانى ١٨/١٦٣ والسمط ٦٩، ١٢٠، ٦٠٤) مع المفضليات، والإصابة ٥/١٠١ وأمالى القالى ٤/٢٦، ٢٧٣ ونوادره : ١٦٩ والكامل ٢/١٤٦

وقال « الجعدى* » (١) :

وَدَسْكَرةٍ صَوْتُ أبوابِها كصوت المواتحِ بالحَوْءَبِ
سبقتُ إليها صياحَ الديوك وصوتَ نواقيسَ لم تُضْرَبِ

أتؤاخِذُ المؤمنَ من الديوك بذَنْبِ الكافِرِ ، وتُلزِمُ بَرَّها جريمةَ الغَوِىِّ ؟ إن ذلك لَجَهلٌ منك ،وكلُّ العالَمِ فى الإسلامِ لا يَخْلُون من قُرَناءِ كانوا على الكُفْرِ ، حتى اختلفت الأئمةُ فى آباءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأجدادِه فقالت الشِّيعةُ : لم يكن بينه صلى الله عليه وسلم وبين آدمَ إلا رجلٌ مؤمِنٌ . ورَوَى غيرُهم أحاديثَ فى ضِدِّ ذلك كثيرةً ، منها أنه [صلى الله عليه وسلم] قال لِ « عَدِىِّ ابن حاتم الطائى* » وقد قال له : يا رسولَ الله ، أخبرنى عن حاتم . فقال : « أبى وأبوك فى النار » وفى حديثٍ أنه قال : « اطَّلعتُ فى النار فرأيتُ فيها قُصَىَّ ابن كلابٍ يَجُرُّ قُصْبَه ، فسألته عن مَن بينى وبينه من الآباء فقال: هلكوا »(٢).

= والشاحج وأنشده الجوهرى فى (عزل) شاهداً على المعازيل ، جمع معزال ، وهو الذى يعتزل بماشيته ، أو أهله بمعزل عن الناس .

(١) البيتان من شواهد رسالة الغفران (٥٦٤) بهذه الرواية . وروى « الميدانى » الشطر الأول من البيت الثانى : * سبقت صياح فراريجها * ٢ / ٣٩٠

الحوأب : ماء من مياه العرب. والدسكرة هنا : بيت من بيوت الخمر . وهي القرية والصومعة أيضاً .

(٢) الآباء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر ، وهم قريش : عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى. وانظر طبقات ابن سعد ١ ؛ ٣٦٠ ، والقصب ، بالضم : الأمعاء . ذكره ابن الأثير فى (النهاية) : « رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه إلى النار » .

* هو النابغة الجعدى (ف) = ١١٧

* عدى بن حاتم ؛ بن عبد الله الطائى . صحابى، قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة للهجرة ، وحسن إسلامه ، وكان خطيباً فاضلا كريماً . وأبوه حاتم الطائى مضرب المثل فى الجود . انظر ترجمة عدى فى (الاستيعاب رقم ١٧٨١) ونسبه فى (جمهرة الأنساب ٣٧٨) مع معجم الشعراء للمرزبانى ٢٥٠م. وانظر فيه الأحاديث : ٣٧٨/٤ من مسند أحمد ، ١٠٤ من الموطأ ، والسيرة لابن هشام جـ ٤ .

فى أحاديثَ كثيرة . وفى (الكتابِ العزيز)[١] :

«وإبراهيمَ الذى وفَّى * ألَّا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخرى » .

وقرأ «المَدَنى* » :

«ولا تَسأَلْ عن أَصحابِ الجحيم » بالجزم ِعلى النَّهىِ[٢]. فجاء فى التفسير أن قال صلى الله عليه وسلم : ليت شعرى ما فعل أبواى ؟ فقيل له : «ولا تسأَلْ عن أَصحابِ الجحيم » .

ولعلكَ تؤاخِذُ الدِيكَ بما قال «بَشار* » فيه :

يا أَطيبَ الناسِ رِيقاً غَيْرَ مُخْتَبَرٍ　　إلا شهادةَ أَطــرافِ المساوِيكِ
قد زُرتِنِـــا زَورةً فى الدهرِ واحدةً　　عُودِىْ ولا تجعليها بَيضةَ الديك[٣]

(١) الآيتان ٣٧، ٣٨ : من سورة النجم

(٢) الآية ١١٩ من سورة البقرة . «قرأها نافع بفتح التاء وجزم اللام: "تسألْ"، والباقون بضم التاء والرفع : تُسألُ» التيسير للدانى : ٧٦

(٣) البيتان فى (مطلب ما قيل فى الريق) من الأمالى (١/٢٢٨) ورواية القالى للبيت الثانى :

* منيتنا زورة فى النوم واحدة * ونبه عليه البكرى ،قال : والمحفوظ فى هذا البيت :

* قد زرتنا زورة فى الدهرواحدة * وعلى هذا يصح البيت لأنه أثبت زورة واحدة وسأل أن تثنى . وعلى رواية أبى على رحمه الله، مَنَّتْه فى النوم زورة لم تف بها، فكيف يسألها أن تثنى ما لم يتقدم له إفراد؟ إلا إن كان يريد أن تمنيه مرة أخرى ، وهذا لا يتمعنى – أى لا يتجه معناه ولا يصح– (التنبيه ٧٢)

وبيضة الديك ، هى بيضة العقر. قال الجوهرى فى (عقر) : زعموا أنه يبيض فى عمره بيضة واحدة .. ومنه قولهم : كانت بيضة العقر ، للعطية إذا كانت مرة واحدة . وقال بعضهم: إنما هو كقولهم : بيض الأنوق ، والأبلق العقوق ، فهومثل لما لا يكون .

* المدنى : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى، مولاهم. قارئ أهل المدينة المنورة، وأحد القراء السبعة الأئمة . وقراءته بروايتى قالون المدنى وورش المصرى . توفى الإمام نافع رضى الله عنه بالمدينة سنة ١٦٩ هـ. انظر مع طبقات القراء لابن الأثير الجزرى ، التيسير للدانى : ٤

* بشار : بن برد . أبومعاذ العقيلى ولاء. نبغ فى العصر الأموى وأدرك الدولة العباسية فعق ولاءه فى بنى عقيل ، وتعصب للفرس على العرب ، وبشار أكبر الشعراء من مخضرمى الدولتين ، وكان أعمى مجدوراً ، قتله المهدى العباسى فى الزندقة .

وبشار من شعراء الغفران ، وانظر مع ديوانه : طبقات ابن المعتز ، والشعر والشعراء لابن قتيبة :

وما الذى يَلحقُ الديكَ فيما قال «بشارٌ» من المَسَبَّةِ أو المأْثم ؟ وهل هو فى هذا إلا مِثلهُ فى قولِ «ذى الرُّمَّةِ*» لما وصف سِقْطَ النارِ فقال :

وسِقْطٍ كعَيْنِ الديكِ نازعتُ صُحْبَتى ... أباها ، وهيَّأْنا لموضِعِها وَكْرا[١]

فلمَّا بدتْ كفَّنتُها وهى طفلة ... بطَلْساءَ لم تكملْ ذراعاً ولا شِبْرا[٢]

وقلتُ له ارفَعْها إليكَ وأَحْيِها ... بِرُوحِكَ واقْتَتْ لها قيتةً قَدْرَا[٣]

وظاهِرْ لها من يابِسِ الشخْتِ واستَعِنْ ... عليها الصَّبا واجعل يَدَيكَ لها سِتْرا[٤]

فلما تَنَمَّتْ تأْكلُ الرِّمَّ لم تدَعْ ... ذوابلَ مما يجمعون ولا خُضْرَا[٥]

(94) ولما جَرَتْ فى الجَزْلِ جَرْياً كأَنه ... سَنَا الفجرِ ، أَهْلَلْنا لخالِقِها شُكرا[٦]

فلا فضيلةَ للدِّيكِ فى أن «ذا الرُّمَّةِ» شَبَّه عَيْنَه بِسِقْطِ النارِ . كما أنه

(٤٦) لا عار عليه فيما ذكر «بشار» . ولو أدركه من ذلك عَيْبٌ لَكان من يذكُرُه الشعراءُ من النساء فى النسيبِ ومَن يَعمِدون له بِكذبٍ وهجاءٍ ، غيرَ مُتَعَرٍّ من

---

(١) الأبيات الستة ، من القصيدة الرابعة والعشرين فى ديوانه . وموضعها منها : البيت الثامن والعشرون ، ثم الأبيات من الثانى والثلاثين إلى السادس والثلاثين .

ورواية الديوان للبيت الأول هنا : * وسقط كعين الديك عاورت صاحبى * ورواه الجواليقى فى (شرح أدب الكاتب) : *عاورت صحبتى * شاهدا على التعاور : التداول والشىء يكون بين اثنين . والسقط : النار تقدح من الزند . ويعنى بأبيها : الزند نفسه .

وانظر المثل : «أصفى من عين الديك» فى أمثال الميدانى : حرف الصاد

(٢) كذا فى ف ، وهى رواية الديوان . وفى ض [وهى جونة] وهى رواية فى البيت . والطلساء : الحمرة تضرب إلى السود .

(٣) أى انفخها واجعل لها من نفسك قوتاً (ف) وفى شرح الديوان : انفخها نفخاً رقيقاً ، واجعل فوقها قوتاً من الحطب بقدر

(٤) المظاهرة : أن يجعل شيئاً فوق شىء . والشخت : الرقيق من الحطب (ف)

(٥) تنمت : قويت : والرم : البالى واليابس من حطام العيدان (ض)

(٦) فى الديوان : * فلما جرت* والجزل : ما غلظ من الحطب. أهللنا : رفعنا أصواتنا بالتكبير ، وأصل الإهلال رفع الصوت (ض)

* ذو الرمة = ١٢٦

القالةِ ولا برىءٌ من القَصْب[١]. ولعلكَ سمعتَ ما يتحدثُ به الناسُ عن الزمانِ القديمِ من أن الدِّيكَ والغُرابَ كانا صَديقين فى الدهر الأوَّلِ ، وكانا يتنادمانِ . فشربا عند خمَّارٍ أياماً فلما نَفِدَ شرابُ الخمَّارِ وأَحَسَّ الغُرابُ أنه يريدُ الثمنَ ، أصبحَ يوماً والديكُ نائمٌ فقال للخَمارِ : إنى ماضٍ فآتِيكَ بحقِّكَ ، وصاحِبى هذا رَهْنٌ عندَك على مالِكَ . وذهب فلم يَعُد[٢] . وذكر ذلك «أُميةُ بنُ أبى الصَّلتِ الثقَفِىُّ*» قال :

بـآيةِ قام يَنطِقُ كلُّ شىءٍ ... وخان أمانةَ الدِّيكِ الغُرابُ
أقاما يشربانِ الخَمْرَ دَهْراً ... فخانَ العهدَ إذ نَفِدَ الشرابُ

فمِثلُ هذا الحديثِ لا ينبغى أن يُلتَفَتَ إليه ، وإنما تلك أكاذيبُ تحدَّث بها أهلُ الكتُبِ من اليَهودِ والنصارى وسمِعَها «أميةُ بنَ أبى الصلْتِ» وغيرُه فنُظِمتْ فى الشِعرِ . و «أمَيَّةُ» توجَدُ فى شِعرِهِ أخبارٌ كان ينقلُها من الكتُبِ الموجودة فى أيدى أهلِ المِلَّتين المُخالِفتين . منها أن الهُدهُدَ قبَرَ أمَّه فى رأسِه ، فلذلك ريحتُه مُنتِنَةٌ . قال :

(١) القصب : الشتم والعيب (ف) .

(٢) القصة بتفصيل فى حيوان الجاحظ (٣/٥١١) وأشار إليها ابن قتيبة فى شرحه لبيت أمية : * بآية قام ينطق كل شىء * (الشعر ١/٣٧٠) .

* أمية بن أبى الصلت ، بن ربيعة بن عوف ، من بنى ثقيف بن بكر بن هوازن ، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف (جمهرة الأنساب ٢٥٧) وأبوه أبو الصلت بن ربيعة ، شاعران من ثقيف ، كما فى شعراء الطائف فى طبقات ابن سلام (٢١٧) والشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٣٦٩ بيروت) .

وأمية بن أبى الصلت أشعر ثقيف فى الجاهلية قرأ كتب الأديان ورغب عن عبادة الأوثان وأكثر فى شعره من ذكر آيات الخالق ، والبعث والحساب ، وبشر بمبعث نبى كان يرجو أن يكونه ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، جحد أمية الإسلام حسدا منه .

غَيْمٌ وظلماءٌ وفضـــلُ سَحابةٍ أيامَ كَفَّنَ واســتزادَ الهُدهدُ
يَبْغِى القرارَ لأُمِّه لِيُجِنَّهـــا فبَنَى عليها فى قَفاه يَمْهَدُ[١]

ولعلك إذا صَحَّ معك هذا الحديثُ ، تَعِيبُ الديكَ بالغَفلةِ والبَلَهِ وتقول :
(95) قد جرى له مع الغرابِ || ما سَلَفَ وكان ينبغي أن يتأدب ، لأن المثلَ القديمَ : «لا يُلْسَعُ المؤمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتين »[٢]. وقد قيل إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال ذلك لِـ «أبى عَزَّةَ* » الشاعرِ وكان يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم . فأُسِرَ «يومَ بَدْرٍ » فأطلَقه . فلما وَصَلَ إلى «مَكَّةَ » عاد إلى ما كان فيه من الهجاء . فأُتِىَ به مَرَّةً أخرى أسِيرًا فسأله الإطلاقَ فقال عليه السلامُ : «لا يُلْسَعُ المؤمِنُ من جُحْرٍ مرتين »[٣].

وإنما تَعنِى برُجوعِ الديكِ إلى مصاحبةِ الغرابِ قولَ الشاعِرِ :

---

(١) بعدهما فى الشعر والشعراء (١ / ٣٧٠) :

فيزال يدلح ما مشى بجنازة منها ، وما اختلف الجديد المسند

يعنى بالجديد المسند : الدهر .

(٢) متفق عليه بلفظ : «لايلدغ المؤمن من جحر مرتين» قال ابن الأثير فى (النهاية : لسع) : اللسع اللدغ ، والجحر ثقب الحية . وهو استعارة هنا ، أى لا يدهى المؤمن من جهة واحدة مرتين ، فإنه بالأولى يعتبر .

(٣) فى مجمع الأمثال (٢ / ٢١٥) . وذكر الميدانى فيه كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى عزة الشاعر وقد أتى به أسيراً يوم أحد ، وكان قد أسر يوم بدر فمن عليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن عجب أن نقل فيه (٢ / ٢٠٨ ، ليس لرجل لدغ من جحر مرتين عذر) : « وأول من قاله الحارث ابن خزاز ، من قيس ثعلبة ، وكان أخطب بكرى بالبصرة . خطب الناس لما قتل يزيد بن المهلب : " أيها الناس ، إن الفتنة تقبل بشبهة وتدبر ببيان . وليس لرجل لدغ من جحر مرتين عذر . فاتقوا عصائب تأتيكم من قبل الشام كالدلاء قد انقطعت أوذامها " ثم نزل . فروى الناس خطبته ، وصار قوله مثلا» وأراه نظر فيه إلى الحديث الشريف . وانظره فى كشف الخفا : ٢/٥٠٥ ح ١٣٣٢) .

* أبو عزة الجمحى ، عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب ، من بنى جمح (جمهرة الأنساب ١٥٣) من شعراء مكة الفحول فى عصر المبعث (طبقات ابن سلام : ٢١٢) أسر يوم بدر ، ومن عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعاهده على ألا يعين عليه . لكن قريشاً أغروه فخرج إلى بنى كنانة فحرضهم بشعره على قتال المسلمين . وأسر يوم أحد ، فسأل المصطفى أن يمن عليه ، ثانية ، فأبى ، وقتل (السيرة ٣ / ١١٠) .

ولاحِقةٍ بأَعْجازِ المطايَا ... يَقيلُ الديكُ فيها والغُرابُ[1]

وليس فى هذا البيتِ دليلٌ على اجتماعِ هذين ، وإنما هو بيتُ مَعْنًى ، يعنى بقوله * ولاحقةٍ بأعجازِ المطايا * الظلالَ . والديكُ والغُرابُ وكلُّ الحيوانِ الذى فى الأَرضِ يَقيلُ فى الظلالِ إلا أن يكونَ الحِرباء وما هو مثلُه فى البُروزِ لِلشمسِ . ولعلك لَحِقَكَ حَسَدٌ للديكِ لَمَّا سمعتَ قولَ القائل :

كأنَّ الديكَ ، دِيكَ بنى نُمَيْرٍ ... أميرُ المؤمنين على السريرِ[2]

فهذا تشبيهٌ لا فخرَ للديكِ به . أليس «علىٌّ» رضى اللهُ عنه قد مَرَّ بِ«عبدِ الرحمن بن عتَّابٍ*» وهو مقتولٌ ، فقال : هذا يَعْسُوبُ قريش ؟ فأَى فخرٍ لِليعسوبِ بذلك ؟ وفى حديثٍ آخر : « فَعِندها يَضربُ يَعسوبُ الدين بذنَبِه فتجتمعُ إليه فِرَقُ المسلمين كما تَجتمعُ قُزَعُ الخريفِ »[3] وإنما اليعسوبُ ذَكَرُ النحلِ ، وقد يُسمَّى ذكَرُ الجَرادِ يَعسوباً وكذلك بعضُ الجِعْلانِ . ولا فضيلةَ للشىء من أَحْناشِ الأَرضِ وقع به التشبيه . وإنما هذا البيتُ لرجُلٍ يَصِفُ نفسَه بالسُّكرِ وزوالِ العَقْلِ ، وأَنه قد بلغ إلى حالٍ يتصورُ فيها الأَشياءَ بِغَيرِ ما هى عليه . والأَبياتُ :

---

(١) قال يقيل قيلولة ، وهى نومة الظهيرة . والقائلة الظهيرة. وأعجاز المطايا ، يعنى بها الظلال

(٢) السرير : قد يعبر به عن الملك (ل) ويأتى البيت فيما يلى ، فى سياقه من القصيدة .

(٣) انظر شرح الحديث الشريف فى (النهاية : عسب) .

* عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد. أمه جويرية بنت أبى جهل بن هشام المخزومى ، تزوجها عتاب بعد أن انصرف عنها على بن أبى طالب ، وكان رضى الله عنه قد خطبها ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع ابن عمه على ، بين بنت نبى الله وبنت عدو الله (نسب قريش ٣١٢) .

وكان عبد الرحمن يقود الجمل ، يوم الجمل ، ويرتجز : * والموت دون الجمل المجلل *

فسارت كلمته مثلا ، ذكره الميدانى فى أمثاله (٢/ ٣١١) وذكر معه كلمة الإمام على فى عبد الرحمن ، وقد قتل يومئذ وقطعت يده فعرفت بخاتمه : «هذا يعسوب قريش ، جدعت أنفى وشفيت نفسى.» وانظر يوم الجمل فى تاريخ الطبرى سنة ٣٦ هـ . وكلمة على ، كرم الله وجهه ، فى (النهاية فى غريب الحديث : عسب) .

شربْنَا شَربةً من ذاتِ عِرْقٍ — بأطرافِ الزُّجاجِ من العَصيرِ
(96) وأخرى بالمُرَوَّحِ ثم رُحْنَا — نرى العُصفورَ فى خَلْقِ البَعيرِ
كأن دجائجاً فى الدارِ رُقْطاً[1] — وفودُ الرومِ فى قُمُصِ الحَريرِ
(٤٧) كأن الديكَ ، ديكَ بنى نُميرٍ — أميرُ المؤمنين على السريرِ
ورُحْتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ — تنالُ أناملَ الرجُلِ القَصيرِ
أُدافِعُهنَّ عن رأسِى بِكَفِّى — وأَمْسَحُ جانبَ القَمرِ المُنيرِ

وإن كان فى الدِّيكِ بعضُ البَلَهِ ، فإنه مما يُوصَفُ به أَهلُ الخَيرِ . وقد جاء فى الحديثِ عن «المسيحِ عليه السلامُ» : كونوا بُلْهاً مثلَ الحمامِ . وفى الحديثِ المأثورِ أنه دخلَ الجَنَّةَ فوجَدَ عامَّةَ أَهْلِها البُلْهَ[2] . فأَمَّا التَّبالُهُ فخَلَّةٌ يُمدَحُ بها الرجلُ إذا وُصِفَ بالكرمِ . قال «أبو دَهْبَلٍ الجُمَحِيُّ*» :

تَخَالُ فيه إذا حاوَرْتَه بَلَهاً — عن مالِه وهو وافى العَقْلِ والوَرَعِ[3]

فأَمَّا النساءُ فقد كثُرَ وصفُهن بالبلَه . قال «حَسَّانُ*» :

---

(١) لم يذكر الجوهرى دجائج فى جمع دجاجة . وأهمله كذلك المجد فى القاموس . وفى (اللسان) : الدجاجة ، الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، مثل حمامة وبطة ، ألا ترى إلى قول جرير :

لما تذكرت بالديرين أرقنى — صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

إنما يعنى زقاء الديوك . والجمع دَجاج ودِجاج — والفتح أفصح — ودجائج .

(٢) فسره ابن الأثير فى (النهاية) : جمع الأبله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير . وقيل : هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس . . . فأما الأبله وهو الذى لا عقل له ، فغير مراد فى الحديث .

(٣) فى ترجمة الآمدى لأبى دهبل ، أربعة أبيات من هذه القصيدة العينية . ولكن البيت فى (أمالى القالى ٢/١٥٩) أنشده أبو عثمان المازنى للفرزدق . وروايته « تخال فيه إذا ما جئته بلها »

* أبو دهبل الجمحى : وهب (بن وهب) بن زمعة بن أسيد ، من بنى خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح (جمهرة الأنساب ١٥١ ونسب قريش ٣٩٣) شاعر إسلامى حماسى محسن ، نشر المستشرق كرنكو شعره ، برواية الزبير بن بكار ، فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩١٠ . وانظره فى (الشعر والشعراء ٢/٥١٢ ب والمؤتلف ١١٧ والأغانى ٦/١٤٩ . وحماسة أبى تمام ٢:٣٨٩) .

* حسان ، بن ثابت الأنصارى = ١٧٨

مِنْ كلِّ ناعِمَةٍ غَضيضٍ طَرْفُها   بَلهاءَ غيرِ وشيكةِ الإقدام

وقال «أبو النجمِ*»:

مِنْ كلِّ عَجْزاءَ سَقِيط البُرْقُعِ   بلهاءَ لم تُحفَظْ ولم تُضيَّعِ[1]

وقال «المرقِّش*»:

فى كلِّ يومٍ لها مِقْطَرَةٌ   فيها كِباءٌ مُعَدٌّ وحَميمْ[2]

لا تصطَلِى النارَ بالليلِ ولا   توقَظُ للضيفِ، بلهاءُ نَئُومْ[3]

ولعلك تُؤاخِذُ الديكَ، فَحلَ الدجاجِ، بما جناه المعروفُ بِه «ديكُ الجن*» الشاعرُ، فإنه كان شِرِّيبًا سِكِّيرًا، وربما نَطق بالإلحادِ، وهو القائلُ:

---

(١) أنشده المفضل الضبى فى شرحه للبيت التالى من مفضلية المرقش، وفسره بأنها بلهاء عن الفواحش (٥٠٥) ورواه البكرى فى (التنبيه على أمالى القالى): «من كل بيضاء سقوط البرقع» وخرجه الميمنى فى (سمط اللآلى ٦٨٤) مع الرواية الأخرى فيه: من كل عجزاء.

(٢) فى شعره: *فى كل مَمسى لها مقطرة* هكذا أنشده أبو على فى إيضاحه. والمقطرة المبخرة التى يتبخر بها. أخذت من القطر أى العود (ف) وهى رواية المفضل للبيت (٥٠٣) والكباء، بخور. وحميم: ماء حار (ف).

(٣) رواية المفضل للشطر الثانى: * توقظ للزاد بلهاء نئوم *

* أبو النجم، الفضل بن قدامة = ١٨٩

* المرقش: الأصغر، ربيعة بن قيس بن سعد بن مالك بن ضبيعة، من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة (جمهرة الأنساب ٣٠٠) وهو فى رواية المفضل الضبى: ربيعة بن سفيان بن سعد، وفى مؤتلف الآمدى: ربيعة بن حرملة بن سفيان، وذكر ابن قتيبة الروايتين فى (الشعر والشعراء)، والمرزبانى فى معجمه!

شاعر جاهلى من عشاق العرب، وهو من شعراء المفضليات والغفران.

والبيتان من ميميته المفضلية المقيدة:

لابنة عجلان بالجو رسوم   لم يتعفين والعهد قديم

* ديك الجن، الحمصى: عبد السلام بن رغبان، من شعراء العصر العباسى الأول المجيدين. ولد بمدينة حمص سنة ١٦١ هـ وظل بالشام حتى وفاته سنة ٢٣٥ هـ واشتهر باللهو وإتلاف المال، وكان يتشيع، وله مراث جياد فى الإمام الحسين رضى الله عنه. وهو من شعراء الغفران، وانظره فى الشعر والشعراء والأغانى.

هى الدنيا وقد نَعِمُوا بأُخرى وتسويفُ الظنونِ من السَّواف[١]

(97) || إلاَّ أنه قد أَقرَّ فى بَعْض شِعرِه بذنبِه واستغفر . وقد جَرَى على أَلسُنِ العامةِ : المُقِرُّ بذنبِه كالتائبِ إلى رَبِّه . وإنما عنيتُ قوله :

أَستَغفِرُ اللهَ لذنبى كلِّه قتلتُ إنسانًا بغير حلِّه
لُحسْنِ عينيه وحُسْنِ دَلِّه وانصرم اليومُ ولم أُصَلِّه

وقد مَرَّ من قولِ الصاهلِ مِنْ أَنَّ توافُقَ الأَسماء لا يُوجِبُ اتفاقَ المعانى المَقصودةِ ، مافيه كِفايةٌ . وليس لكَ حُجَّةٌ فى أَن النحويِّين ربما أَعملوا الحَرْفَ عَمَلَ الحَرْفِ إذا كان فى لَفْظِه ولم يَكُنْ فى مَعناه . وكذلك قالوا فى بيت «الفَرزدَقِ * » :

لو لم تَكُنْ غطفانُ لا ذُنوبَ لها إلىَّ زادتْ ذوو أَحسابِها عُمَرَا

فزعموا أَن «لا» ها هنا زائدةٌ ، وأَنها عَمِلتْ عمل النافيةِ ، والمعنى أَنه أَثبت الذنوبَ لِغطفانَ . وكذلك قولُ الآخرِ[٢] :

يُرَجِّى المرءُ ما إن لا يَراهُ وتَعْرِضُ دونَ أَدناه الخُطوبُ[٣]

فَ : إنْ الخفيفةُ قد جرتْ عادتُها أَن تدخُلَ زائدةً بعد ما النافيةِ ، كما قال «فروةُ بن مُسَيْكٍ المُرادِى* » :

---

(١) البيت من شواهد الغفران (٤٤٦) والسواف : الهلاك .

(٢) قال ابن الأعرابى فى نوادره : هو لجابر بن رالان الطائى . ويقال : لإياس بن الأرتّ (شرح شواهد المغنى ٣٢) وجابر وإياس ، من شعراء الحماسة

(٣) البيت من شواهد المغنى (رقم ٢٦) على زيادة « إن» بعد « ما» الموصولة . وانظر شرحه للسيوطى : ٣٢

* الفرزدق = ١٢٠

* فروة بن مسيك ، بن الحارث المرادى ، من بنى مراد بن مالك بن أدد(جمهرة الإنساب ٣٨٢)=

وما إن طِبُّنَا جُبْنٌ ولكنْ منايانا ودولةُ آخَرِينا[١]

وهو كثيرٌ فى الشعرِ وغيرِه . فلَمّا كانت « ما » فى قولِه * يُرَجِّى المرءُ ما إن لا يراه * على لفظِ النافيةِ ، دخلتْ بعدها إنْ ، وإن كانت فى معنى : الذى. وهذا شاذٌّ لا يُقَاسُ عليه ، ولا يُسَلَّمُ لك أن تَحتجَّ بمثلِه .

ولعلك تزعُمُ أن الديكَ مُغَنٍّ ، وتَحتجُّ بالأَبياتِ التى أنشدها «أبو ربيعةَ» فى (كتابِ النسيبِ) ، والأَبياتُ :

حلفتُ يميناً للأُضاخِيِّ بَرَّةً وأخرى على أمثالِها أنا حالِفُ[٢]
لقد شاقنى تَحنانُ عَجْلَى ودونَها من الدَّرْب بابٌ مُغْلَقٌ وسَقائِفُ
لَعَمْرى لَئِنْ أصبَحت فى دارِتَوْلب يُغَنِّيك بالأَسحارِ ديكٌ قُراقِفُ[٣]
لقد طال ما غنَّيتَ فى الشَّوْلِ لم تَزُرْ خليلاً ولم يَأْلَفْ بكَ الحَيَّ آلِفُ (98)
وكم من حبيبٍ قد أَزَرْتِ حبيبَه وآخرَ قد نجَّيتِه وهو ذائِفُ[٤] (٤٨)
وكلُّ المطايا بعدَ عَجْلَى ذميمةٌ قلائدُ والمُبْرَياتُ الطرائِف[٥]

=شاعر حماسى مخضرم، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم عام الوفود، مفارقاً ملوك كندة ، وكان من وجوه قومه (الاستيعاب ٢٠٧٧ والسيرة لابن هشام ٤/٢٢٨) وانظر (سمط اللآلى : ٣٦٦)

(١) البيت من شواهد سيبويه (باب إن) على : إن ، تصرفها «ما» إلى الابتداء ولم يسم قائله . وهومن شواهد المغنى (رقم ٢٤) بمثل رواية أبى العلاء، شاهدا على زيادة إن ، بعد ما النافية ، إذا دخلت على جملة اسمية . وأنشده الجوهرى شاهداً على قولك : ما ذاك بطِبى ، أى بعادق . ولم يسم الشاعر . وهو فى (ل : طب) فى ثلاثة أبيات ، لفروة ابن مسيك المرادى. ومثله فى(شرح الشواهد للسيوطى ٣٠) ورواية ابن إسحاق، فيما نقل ابن هشام بالسيرة (٤/٢٢٨) للشطر الثانى :

* منايانا وطعمة آخرينا * من قصيدة قالها فروة بن مسيك يوم الردم –لهمدان على مراد– وبعد البيت :

كذاك الدهر دولته سجال تكر صروفه حينا فحينا

(٢) الأضاخى : نسبة إلى أضاخ ، وهوجبل . وعجلى : اسم ناقة (ف) انظرها فى (ل : عجل)

(٣) القراقف من الديوك : الذى يحرك رأسه إذا صاح وهومن القرقفة أى الرعدة (ف ، ض)

(٤) ذائف : هالك ، ولعله من الذواف ، والذيفان السم الناقع .

(٥) البيت مطموس فى (ف) . وعلى هامش النسختين: [عجلى : اسم ناقته . والمبريات التى قد جعل لها برى ، جمع برة]

فإنما قال : يُغنِّيكَ ، حتى يتفقَ له الوزنُ . ولو كان وزنُ الشعرِ[1] يَصِحُّ بقولهِ : يؤذِّنُ لك ، أو : ينبهك ، أو : يُطرِبُكَ ، لعدَلَ إليه .

ولا رَيْبَ أنك لم تَرَ الحمامةَ أهْلاً لتَعَلُّمِها أحكامَ الدِّينِ ، كما رأيتَ البازِىَ أهلاً لذلك . لأن الحمامةَ بِظَنِّكَ مُغَنِّيَةٌ ، وتَستَدِلُّ على مَذْهبِكَ بإجماعِ الشعراء . لأنها تُوصَفُ بالغِناءِ فى سالفِ الدهرِ ، وقد لَزِمَها ذلك إلى هذا العَصْرِ ، وإذا لم تَظهر التوبةُ من المُغَنِّيةِ وجَبَ أن لا يُحكَمَ عليها بالدِّينِ . وهؤلاء الذين شَهِدوا عليها بالغِناء يَصِفونها أيضاً بالنِّيَاحَةِ والبكاء. فهذانِ القولان مُتناقِضانِ : أحَدُهما وَصْفٌ بالفرَح والآخرُ وصفٌ بالحُزنِ والتَّرَحِ . فعلَى أىِّ القولين تقول ؟ إن كانت نائحةً بأجْرٍ فلَعَمْرِى إن ذلك لَمِنَ المنكراتِ ، وإنها لأثْبَتُ على هذا الخُلُقِ من « ابنةِ الجوْنِ* » النائحةِ المشهورةِ التى كانت فى العرب . وقد ذكرها « المُثَقَّبُ* » فقال :

= وأذكر مع هذه الأبيات فى « عجل» ما رواه القالى فى أماليه (١/١٤٠) من إنشاد أبى بكر ابن دريد عن عبد الرحمن – ابن أخى الأصمعى – عن عمه ، للشاعر هلال المازنى ، واغترب عن قومه :

أقول لناقتى عجلى وحنّت — إلى الوقبى ونحن على جراد
أتاح الله يا عجلى بلاداً — هواك بها مربات العهاد
فما عن بغضة منا وزهد — تبدلنا بها عليا مراد
ولكن الحوادث أجهضتنا — عن الوقبى وأطراف الثماد

(١) فى ض : [ولوكان الشعر]

* ابنة الجون : نائحة من كندة كانت فى الجاهلية ، (اللسان : جون) وأنشد بيت المثقب العبدى. قال ابن برى : وقد ذكرها « المعرى» فى قصيدته التى رثا بها الشريف الطاهر الموسوى ، فقال :

من شاعر للبين قال قصيدة — يرثى الشريف على روى القاف
جون كبنت الجون يصدح دائبا — ويميس فى برد الجوين الضافى

* المثقب ، العبدى ، من قصيدته المفضلية . = ٢٠٨

كأنما أَوْبُ يَدَيْها إلى حَيْزُومِها فوق حَصَى الفرقدِ
نَوْحُ ابنةِ الجَوْنِ على هالكٍ تَندُبُه رافعةَ المِجْلَدِ[١]

وإن كانت تنوحُ لنَفْسِها دونَ غيرِها من الأَنيسِ والطيرِ ، فلعلَّكَ تؤاخِذُها بالحديثِ المرويِّ عنه صلى اللهُ عليه وسلم[٢] : «ثلاثةٌ من أمرِ الجاهلية : النياحةُ ، والطعنُ فى الأَنسابِ ، والأَنواءُ » .

وهذه كلُّها دعوى من أهلِ الشعرِ ، وليست الحمامةُ فى الحقيقةِ مُغَنِّيةً ولا نائحةً . وقد ادَّعى عليها «صخرُ الغَيِّ*» إبانَةً عمَّا فى الصَّدْرِ فقال وذكر الحمامةَ :

||تَجِهْنا غادِيَيْنِ فساءَلتْنى بواحِدِها ، وأَسأَلُ عن تَليدِ[٣] (99)
فقلتُ لها : فأَمَّا ساقُ حُرٍّ فبَانَ مع الأَوائلِ من ثمودِ[٤]
فقالت : لن تَرى أَبدًا تليدًا بعَيْنِكَ آخرَ الدهرِ الجَديدِ
كِلاَنا رَدَّ صَاحبَه بيَأْسٍ وأَشجانٍ وتأْمِيلٍ بعيدِ[٥]

وقد بَلغَكَ دعوةُ « نوح » صلى الله عليه وسلم لَها ، وأَداوُها الأَمانةَ له

---

(١) الأوب : الرجع ، وسرعة تقليب اليدين والرجلين فى السير. والمجلد :قطعة من جلد كانت النائحة تلطم به وجهها(الصحاح) ومثله فى الطرة على هامش النسختين. ومعه: فإذا كان خرقة فهو ميلاء .

(٢) زاد فى رواية : «الفخر بالأحساب» صحيح مسلم ، ك الجنائز ، باب التشديد فى النياحة . وانظر معجم ألفاظ الحديث ، مادة (ن و ح) ١٧/٧

* صخر الغى ، الهذلى = ١٣٨
والأبيات من قصيدته الدالية فى رثاء ابنه تليد – فى شواهد الصاهل والشاحج ، ديوان الهذليين ٦٧/٢ .

(٣) تجهنا : ضبطه فى الديوان بكسر الجيم . وعلى هامش ف : بالفتح والكسر .
ومعناه : تواجهنا وتقابلنا ، غدوت وغدت هى فسألتنى عن فرخها ، وأنا أسأل عن ابنى « تليد » .

(٤) فى طرة ض : [ساق حر ، يقال هو الفرخ الذى تبكيه الحمام فى الهديل ، ويقال: سى ساق حر ، حكاية صوت الحمام] .

(٥) رواية الديوان للشطر الثانى : * وتأنيب ووجدان بعيد *

لما أرسلَها . قال الشاعر:

وقد هَاجَنى صوتُ قُمْرِيةٍ ... هتوفِ العَشِىِّ طروبِ الضُّحَا[١]
مُطَوَّقةٍ كُسِيَتْ حُلَّةً ... بدَعوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا[٢]
من الوُرْقِ نوَّاحَةٍ باكرتْ ... عَسِيبَ أَشَاءٍ بِذَاتِ الأَضَا[٣]
تغَنَّتْ عليه بشَجْوٍ لها ... يُهَيِّجُ للصبِّ ما قد مَضَى[٤]

ألا تَرى إلى مناقَضتِه كيف جعَلها نوَّاحَةً مُغَنِّيةً فى حالٍ واحدةٍ ؟ ولعلَّ صَوْتَها تسبيحٌ لِلقادرِ المَجيدِ ، ليس بِنِيَاحةٍ ولا غِناء .

وقولُكَ فى الحكايةِ عن «عَلِيٍّ» عليه السلامُ : أنه كان يُوطَأُ الجَليلُ فى زمانِه بالقدَم. فإنه كان لا يَزِيدُ جِلَّةَ القومِ عنده إلا رِفْعَةً ما ثبَتوا على الديانةِ. فإذا زاغوا عن المَنْهج وعَدَلوا عن المَحَجَّةِ خَشَّ أنوفَهم بالذلَّة وعَرَنَها بالصَّغَارِ[٥].

وقولُكَ : إنه كان إذا رأى نبِيذًا فى الجَرِّ سأَل عنه ، فإن كان له أَهْلٌ أَلزَمَهم النفَقةَ عليه وإلا جعلَ نفقَتَه من بَيتِ المالِ .

---

(١) الشاعر هو «أبو صفوان الأسدى» وقصيدته التى منها هذه الأبيات، رواها القالى كاملة فى أماليه (٢٣٧/٢) وأبياتها ثمانية وستون بيتاً ، من إنشاد ثعلب عن ابن الأعرابى . ومطلعها :

نأت دار ليلى وشط المزار ... فعيناك ما تطعمان النوى

وترتيب الأبيات الأربعة فيها : ١٦ ، ١٩ ، ١٧ ، ١٨ ورواية القالى للبيت الأول :

وقد شاقنى نوح قمرية ... طروب العشاء هتوف الضحى

(٢) رواية الأمالى للشطر الأول : * مطوقة كسيت زينة * .

(٣) رواية الأمالى للشطر الثانى : * عسيب أشاء بذات الغضى * العسيب : السعف. والأشاء الصغار من النخل .

(٤) رواية الأمالى للشطر الأول : * فغنت عليه بلحن لها *

(٥) خش أنفه ، جعل فيه الخشاش ، وهو البرة من صفر والخزامة من شعر أو خشب (ص) ومنه قيل : خش فلاناً ، شنأه ولامه ، وغض منه . عرنها : أذلها . من : عرن البعير يعرنه ، جعل فى أنفه العران ، وهو عود يجعل فى وترة أنفه (ق) .

فنبيذُ الجَرِّ إن كان مما يجوزُ أن يُشرَبَ فأَىُّ نفقةٍ تلزَمُ عليه ؟ وإن كان مُسكرًا أُرِيقَ ، فأَىُّ فَرْقٍ بين نبيذٍ فى الجَرِّ ونبيذٍ فى السغدِ أو المَشاعلِ ؟[١] ألا تَسأَلُ ربَّكَ أن يَحُلَّ عُقْدَةَ الكذبِ عن لسانِك ؟ وإنما دَعواك هذه الباطلةُ كدَعواكَ فى الخَلِّ .

وزعمتَ أنه كان يُعَظِّمُ « مكةَ » || ولا يقول فى « الطائفِ » إلا خيرًا ويأْمُرُ (100)
بِضَربِ المَدينةِ إذا عَصَتْ . وأىّ مَعْصِيةٍ تُخشَى من « يثرب » وقد دعا (٤٩)
لها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؟ وهل تأْلَمُ لِضَرْبٍ لو عَصَتْ أو تُعلمُ به إذا عوقِبتْ ؟ أفأَرْضُها كانت تُعتَمدُ بالضربِ أَم جُدُرُها المُشيَّدةُ ؟

أما الأَرضُ فقد قال النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم : « تمسَّحُوا بالأَرض فإنها بكم بَرَّةٌ »[٢] فأَحسبُ مَنْ ضَربها بعد ذلك مُتَعَدِّيًا غيرَ مُصيبٍ . وأما الجُدُرُ فما الذى جَنَيْنَ حتى يُضرَبْنَ ؟ إنما هى حِجارةٌ وطينٌ . ولعلك تذهبُ إلى أن السارقَ إذا نَقَبَ وأخذ مَتاعَ البيتِ وجَبَتْ على الحائط عقوبةٌ . ولم يقُلْ[٣] ذلك أحدٌ من المسلمين . فإن عنَيتَ بِقَولِك إنه كان يأْمر بِضَربِ المَدينةِ إذا عَصَتْ ، أهلَ المدينة ، كما قال [تعالى] : « واسأَل القريةَ التى كُنَّا فيها »[٤] ، فما الفائدةُ فى إفْرادِكَ مكانًا دونَ مكانٍ؟ لو قُلتَ كان يأْمرُ بِضَرْبِ مَكَّةَ إذا عَصَتْ ، لَكنتَ قد ذهبتَ فى ذلك مذهبًا .

وأَمَّا ادعاؤكَ أن الصعْدَةَ كانت تَلِدُ فى زمانِه ، فليتَ شِعرى

---

(١) المشاعل : جمع مشعل ، شبه الدلو (ف) وفى (ق) : شىء من جلود له أربع قوائم ينبذ فيه .
(٢) « أراد به التيمم » ابن الأثير ، أخرجه الطبرانى فى معجمه الصغير : ١٤٨ .
(٣) فى ض : [ولم ينقل] .   (٤) من آية ٨٢ (سور يوسف) .

ما أولادُها فى زَعْمِك ؟ ومَن زوجُها فيما يَحْضُرُك ؟ لو قلتَ إن الجعْبةَ كانت تَلِدُ ، لَسُوِّغ لك ذلك لأَنها قد سُمِّيتْ أُمًّا وقد جُعِلَ السهامُ لها أولادًا.

قال الشاعرُ – ويقال إنها لتأَبَّط شرًّا* :

هى ابنةُ حَوْبٍ أُمُّ تسعينَ آزَرَتْ　　أخا ثِقَةٍ تَمْرِى جَباها ذوائبُهْ[1]

أَفَتُجيزُ عليها أن تُحْدِث فتُجلَدَ أو تُرجَم ؟ وما الذى أَوجبَ زَعمك أن الصعدةَ كان لها أَبناءٌ شهدوا « يومَ الجَمَلِ ، وصِفِّينَ » ونَفَيْتَ ذلك عن الرمحِ والسيفِ ؟ لو ولَدَتْ الصعدةُ لولدتْ القَوْسَ. ولو سأَلتْ عن الحلالِ والحرامِ لم يَعْجِز السيفُ المُهَنَّدُ عن السؤالِ فى مِثْلِ ذلك ، لأَنه أَوْلى بالمعرفةِ وأَحَقُّ . ورُوِى أن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « الخَيْرُ || فى السيفِ والخَيرُ بالسيفِ والخيرُ مع السيفِ» . (101)

وزعمت أَن أَصحابه ، عليه السلامُ ، كانوا يتبايَعون الصَّمَمَ بينهم ولا يتبايَعون العَرَجَ ولا الحَوَلَ . وأَىُّ قيمةٍ للصَّمَم فيُباعَ ؟ فإن كنتَ عنَيتَ أَن الرجلَ يَضربُ الرجلَ فيذهبُ سمعُه بِالضَّرْبةِ فتجبُ عليه الدِّيَةُ ، فلا يَمتنعُ مثْلُ ذلك . ولكنْ مَنَعَ من هذا التأَوُّلِ أَنهم كانوا لا يتبايعون العرجَ ولا العَمَى . فليت شِعرى عن « هَمْدَانَ » ــ وكان فيما يقالُ يَصحبُ « عَلِيًّا[2] » منهم خَلْقٌ كثيرٌ بآذانِهم الصمَمُ ــ هل كانوا

(١) ابنة حوب : هى الكنانة ، والحوب الجمل لأنه يزجر بذلك ، يقال : حوب حوب . وآزرت : أعانت (ض) . والشاهد بروايته هنا ، فى اللسان والتاج (حوب) : لشاعر ، لم يسمه – يصف كنانة عملت من جلد بعير وفيها تسعون سهماً . وقال فى اللسان ، فجعل الكنانة أماً للسهام ، لأنها قد جمعتها . وأخو ثقة : يعنى سيفا . جباها ، حرفها .

(٢) انظر بنى همدان مع الإمام على يوم الجمل / تاريخ الطبرى سنة ٣٦ هـ وما بعدها .

* تأبط شراً : ثابت بن جابر بن سفيان بن كعب الفهمى ، من بنى فهم بن عمرو بن قيس عيلان (جمهرة الأنساب ٢٣٢) الشاعر الجاهلى الفارس ، من الصعاليك الفتاك . وهو من شعراء المفضليات والحماستين والغفران. وانظر الشعر والشعراء ١ / ٢٢٩ والأغانى ٦ / ١٣٦ وأمالى القالى ٢ / ٢٧٧ .

يشترون ذلك بِنَقْدٍ أو نَسيئة ؟ وقد كان « الكُمَيتُ بنُ زَيْدٍ* » يوصَفُ بالصمم ، وكان من الشيعة إلا أنه لم يُدْرِكْ أيامَ « عَلِيٍّ » ، أفَتُرَاه اشترى الصمَمَ أم أُهدِي له أم وَرِثَه أم أخذه جائزةً على قصيدة ؟ والذى يُخبِرُ به المعقولُ أن « الكُمَيتَ » وَدَّ أنه يبتاعُ فَقْدَ الصمَمِ بِمَالٍ كثير .

وزعمتَ أن النساءَ في أيام « عليٍّ » كُنَّ يتبايَعن الزرَقَ بينهن ولا يتبايَعْنَ الكَحَلَ ولا الدَّعَجَ . وكذبتَ ، ما في الأرضِ امرأةٌ كحلاءُ تَوَدُّ أن عَيْنَيها من الزُّرْقِ . ومَنْ لِ « زرقاءِ اليمامة* » أن تكونَ كحلاءَ وأن يَذهبَ لها سَوَامٌ ونخيلُ ؟ وكذلك « الزرقاءُ أُمُّ عَمْرِو بن الزرقاءِ » الذى تُروَى له أحاديثُ مع « تأبَّط شرًّا » ويقال إنه المَعْنيُّ بقول القائل[1] :

حَمَلَتْ به في ليلةٍ مَزْءودةٍ   كَرْهًا وعَقدُ نِطاقِها لم يُحْلَلِ

والزَّرَقُ من عيوبِ العيونِ ولا سيما في العربِ[2] ، لأن زُرْقَةَ العيونِ

---

(١) هو أبو كبير الهذلى ، عامر بن الحليس . والشاهد من قصيدته :

أزهير هل عن شيبة من معدل   أم لا سبيل إلى الشباب الأول

مزءودة : فزعة . وكان أبو عبيدة يرويها بالنصب على الحالية . والأصمعى بالجر ، صفة الليلة . (ديوان الهذليين ٢ / ٨٨) وانظر معه (رسالة الغفران : ٣٤٢ ذخائر، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ٦٥)

(٢) من أمثالهم : هو أزرق العين . قال الميدانى : يضرب فى الاستشهاد على البغض . ونقل عن=

* الكميت بن زيد : الشاعر ، وهو أسدى ، من أسد بن خزيمة (ف) أحد ثلاثة شعراء من بنى ثعلبة بن دودان بن أسد ، أسماؤهم : الكميت (جمهرة الأنساب ١٨٢) وقد ذكرهم ابن سلام فى ترجمته لأوسطهم : الكميت بن معروف بن الكميت الشاعر الأسدى (١٦٣) قال : والكميت بن زيد أكثرهم شعرا ، والأوسط أجودهم قريحة . وقال الآمدى بعد ذكر الثلاثة : والكميت بن زيد مكثر جدا ، له فى أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهى أجود شعره (١٧٠) وترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٢ / ٤٩٠ بيروت)

* زرقاء اليمامة : نقل الميدانى عن الجاحظ ، أن كانت زرقاء ، وكذلك الزباء والبسوس — خالة جساس بن مرة ، وصاحبة الناقة المشئومة — واسم زرقاء اليمامة : عنز . من بنات لقمان بن عاد . يضرب بها المثل فى قوة البصر فيقال : أبصر من زرقاء اليمامة . انظره فى مجمع الأمثال (حرف الباء) ويقال إنها المعنية بفتاة الحى فى قول النابغة للنعمان : « واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت » الأبيات =

ليست غريزةً تكثر فيهم ، وإنما تكون فى الرجُلِ بعدَ الرجلِ .

وكأنى بكَ يسبقُ إلى ظنِّك الاحتجاجُ بقولِ الشاعر :

لا عَيْبَ فيها غير زُرقةِ عَيْنِها كذاكَ مُلوكُ الطيرِ زُرْقٌ عيونُها

فإنما ذكر الشاعرُ هذا محتالا يَحتَجُّ به ، ولعله يُضمِرِ غيَره .

(102) وزعمتَ أنه كان لا يكرهُ || الصلاةَ فوقَ العَنْزِ إذا اتفق ذلك له . والعَنْزُ ليستْ مما يَركبُه بنو آدمَ فيُصَلُّوا فوقه . لو قلتَ : إنه يُصَلِّى فوق الناقةِ والجَمَلِ والفَرَسِ وغيرِها من المَركوباتِ ، لجُوِّزَ لكَ ذلك لأن النوافِلَ تُصَلَّى على أكوار الإبِلِ وسُروجِ الخيل ، وقد يُسمَحُ بِصلاةِ الفريضةِ على ظهْرِ الراحلةِ والفَرسِ عند شِدةِ الخوف والمُسايَفةِ[1] .

وزعمتَ أنه كان يأمرُ بقتلِ الهِلالِ أين طَلَعَ . وأىُّ ذَنْبٍ أذنبَ إليه الهلالُ ؟ ومَن يَقدرُ عليه من بنى آدمَ ؟ لو جاز قتلهُ لجازَ قتلُ القَمَرِوالشمسِ، ولم استحقَّ الهلالُ || أن يُؤْمَرَ بِقتلهِ. وفى (الكتابِ الكريم) : (٥٠)

« يسألونَك عن الأهِلَّةِ قُلْ هى مواقِيتُ لِلنَّاسِ والحَجِّ »[2] .

ولعلكَ تذهبُ إلى أنه غُمَّ ليلةً فى أوّل شهر رمضانَ أو فى آخِرِه فصامَ الناسُ يومَ فِطرِهم أو أفطروا يوماً من صَوْمِهم . وأىُّ ذنبٍ له فى ذلك ؟ لو استوجبَ القتلَ بذلك لاستوجبَتْه الشمسُ التى تطلُعُ بِأُوارٍ ولهيبٍ فتشتدُّ على زُوَّار « البيتِ الحرامِ » حتى يَهلِكوا من العطشِ .

= الأصمعى : هو من صفات الأعداء ، وكذلك : هو أسود الكبد .... (٣٨٥/٢) .

(١) المسايفة : المضاربة بالسيوف (ف) وانظر فى الصحيحين حديث الصلاة إلى عَنَزَةٍ ، فى كتاب الصلاة (اللؤلؤ والمرجان : باب سترة المصلى ١٠٩/١) .

(٢) من الآية ١٨٩ : سورة البقرة .

ياجاهلُ ، لو أمكنَ قتلُ الهلالِ لَبَقِيتْ السماءُ بلا قَمَرٍ لأن القمرَ هو الهلالُ . وكيف يَدَّعى أرْضِيٌّ يأكلُ الطعامَ أنه يَصِلُ إلى مَساءةِ الهلال؟ أفٌّ لكَ ولِرأيكَ فإنه أفِينٌ .[1]

وزعمتَ أنه كان لا يُنكرُ ذَبْحَ المُقْعَدِ بالبَصرةِ ولا الكوفةِ ، ويُنكرُ ذَبحَه بمكةَ . فمَعاذَ الله ! أميرُ المؤمنين كان أرأفَ وأعْدَلَ مما تَصِفُ ،[2] وكم من مُقعَدٍ نالتْه بركةُ أمير المؤمنين !

وما الذى بينك وبين أهلِ العاهاتِ والمِحَنِ؟ تزعمُ أنه يُطلِقُ أذاتَهم وقتلَهم حتى تُغرِىَ بذلك لِئامَ الناسِ! وما خرج سهمُ الأعمى ، إلا فائزًا فى قِسمتِك[3] : زعمتَ أنه كان يكرَهُ دخولَه المسجدَ ، وهذا أيْسَرُ من الذبحِ والقتلِ. فظَهرَ سِرُّك واستَسَرَّ عَلَنُك ، أقول ذلك داعياً عليك .

وزعمتَ أنه كان يَحملُ القبيلتين والثلاثَ || ويمشى بهن فى الأسواقِ. (103
فأحسبُكَ نُصَيْرِيَّ المذهب تدَّعى لِـ «علىٍّ ، عليه السلامُ» ماليس فى قُوَى المخلوقين . ولو أن هذه القبائلَ التى ذكرتَ ذَخْوةُ وذُحَيَّةُ والوَقعةُ ، وهى قبائلُ صِغَارٌ ، لَتعذَّر ما زعمتَ فيهن .

وزعمتَ أنه كان يَسيرُ على ظهْرِ الحَيَّةِ عامَّةَ يومِه. فَلا دارتْ عَذَبَةُ لِسانِك بِكلِمةٍ ![4] أحَيَّةُ بَرٍّ هذه أَمَ حَيَّةُ بَحْرٍ ؟ إنما ادَّعى أهلُ الكتابِ

---

(١) الرأى الأفين ، الذى لا إصابة فيه . يقال : رجل أفين ومأفون ، يوصف بقلة اللب (ض) وفى القاموس : المأفون الضعيف الرأى والعقل . . كالأفين وفى المثل : إن الرقين تعطى أفن الأفين. أى أن المال يستر عيب صاحبه . وقد أفن ، كفرح ، أفنا ، ويحرك .

(٢) فى ف : [أمير المؤمنين أرأف وأعدل]

(٣) الفائز الرابح والخاسر . والفوز فى اللغة : النجاة والظفر بالخير ، والهلاك (ضد) والمفازة : المنجاة والمهلكة ، والفلاة لا ماء بها .

(٤) عذبة لسانك : طرفه . وعذبة كل شىء طرفه (ف) والجملة دعاء على الشاحج .

أن الحيةَ كانت فى خَلْقِ الجمَلِ أو الناقة ، فقد ذكر ذلك «عَدِىُّ بن زيدٍ* » فى أبيات ـ وتُروَى «لأُمَيَّةَ بن أبى الصلْتِ الثقَفى* » قال(١) :

اسمَعْ حديثاً كما يوماً تُحدِّثُه عن ظهرِ غَيْبٍ إذا ما سائلٌ سَأَلاَ
كيف بدا ثُمَّ رَبُّ اللهُ نعمتَه فينا وعَلَّمنا آياته الأُوَلاَ
كانت رِياحٌ وسيلٌ ذو عُرانيةٍ وظُلمةٌ لم تَدَعْ فَتْقاً ولا خَلَلاَ
فأمَرَ الظلمةَ السوداءَ فانقشعتْ وسَيَّرَ الماءَ عما كان قد شغلا
وجعلَ الشمسَ مِصْرًا لا خفَاءَ به بين النهار وبين الليلِ قد فَصَلا
وفى السماءِ مصابيحٌ تَضِيءُ لنا ما إنْ تُكَلِّفُنا زَيْتاً ولا فُتُلاَ(٢)
قَضَى لِستَّةِ أَيَامٍ خَليقتَه وكان آخِرُ شىءٍ صَوَّر ، الرَّجُلا
فأخَذَ اللهُ من طِينٍ فَصوَّره حتى إذا مارآه تَمَّ واعتدَلاَ
دعاه آدمَ صوتاً فاستجاب له ونفَخَ الروحَ فى الجِسْمِ الذى جَبَلاَ

(١) ورد هذا الشعر فى ذيول ديوان عدى بن زيد العبادى (ف) ولم أعثر على هذه الأبيات فى شعر أمية بن أبى الصلت ، ولا فى شعر عدى بن زيد ، بكتاب (شعراء النصرانية/بيروت ١٨٩٠) وهى فى شعر عدى بكتاب (عدى بن زيد) للزميل محمد على الهاشمى ، ط حلب ١٩٦٨ وعدد أبياتها فيه ثمانية عشر بيتاً ، وروايتها كما هنا مع خلاف يسير (ص ١٦١ : ١٦٣) والبيت الأول لعدى بن زيد فى (الإنصاف لابن الأنبارى : ٣٤٤) وأنشده ثعلب فى (مجالسه : ١٥٤) غير منسوب ، شاهداً على الرفع بعد «كما» بمعنى كى ، على مذهب البصريين . والكوفيون يقولون : كما ، مثل كى .

والبيت الثالث فى (ل : عرن) لعدى بن زيد العبادى شاهد على : العرانية مد السيل .

لكن البيت الخامس ، فى (ل : مصر) لأمية يذكر حكمة الخالق تبارك وتعالى . وأنشده الجوهرى شاهداً على المصر : الحاجزوالحد بين الشيئين ، ولم يسم قائله

وكذلك البيت الثانى عشر ، أنشده فى (ل : ليط) لأمية ، شاهداً على : لاطه الله ، لعنه . يصف الحية ودخول إبليس جوفها : فلاطها الله (البيت) أراد أن الحية لا تموت بأجلها ، حتى تقتل .

(٢) سقط هذا البيت من المتن فى النسختين ، وأضيف على هامش (ف) لحقاً . والفتل جمع فتيل ، كسبيل وسبيل ، وهى الذبالة .

* عدى بن زيد = ١٦٢
* أمية بن أبى الصلت الثقفى = ٢٤٩

لم يَنْهَهُ رَبُّه عن غيرِ وَاحدةٍ ‌‌ ‌ من شجَرٍ طيِّبٍ إنْ شَمٍّ أو أَكَلاَ
وكانت الحيَّةُ الرقشاءُ إذ خُلِقَتْ ‌ ‌ كما ترى ناقةً فى الخَلْقِ أو جملا
فلاَطها اللهُ إذ أَطْغَتْ خَليفتَه ‌ ‌ طولَ الليالى ولم يجعل لها أجَلاَ
(104) ‖ تَمشِى على بَطْنِها فى الأرض ماعَمِرتْ ‌ ‌ والتُّرْبَ تأكلهُ حَزْناً وإن سَهُلاَ

لو كانت الحيَّةُ التى ذكرتَ ،ا لحوتَ الذى يَحملُ الأَرضَ لجَازَ ما وَصَفْتَ.

وزعمتَ أن العَقْربَ كانت تَلقاه فتَعُمُّ أَصحابَه بالأذية ولا تَضُرُّه فى نفسه.

وأَىُّ شىءٍ العَقربُ حتى تصلَ إلى ذلك ، وابنُ السِّتِّ والسَّبْع يَقتلُها بالغَريفة[1] والعَدَدَ الكثيرَ من جِنسِها ؟ ولكنكَ اجترأتَ على الكذبِ فقُلتَ ما شِئتَ . ولَعَمرِى إذا كانت الحَيَّةُ يُسَارُ على ظَهْرِها المراحِلُ ، فيَجِبُ أَن تكونَ العقربُ على حَسَبِ ذلك .

(٥١) وزعمتَ أنه كان لا يَخضِبُ الشَّيْبَ ويجيز ذَبْحَ ‖ الخاضبِ ويُحِلُّ أَكلَ لَحْمِه شِواءً أو قديرًا .

فأَمَّا تَرْكُ الخِضاب فقد رُوِىَ عنه . وقيلَ إنه خَضَبَ مَرَّةً ثم لم يَعُدْ له .

وادعاؤك أنه أَطلقَ ذَبْحَ الخاضِبِ ، حَدَثٌ عظيم . وَيْحَكَ ! أَلم تعلمْ أن « الحُسَيْنَ » * كان يَخضِبُ ؟ ومنه الحديثُ الذى يَرويه «عبيدُ اللهِ بنُ الحُرِّ* » أنه قال : «نظرتُ إلى الحُسَينِ وكأَن لِحْيَتَه جَناحُ

---

(١) الغريفة : النعل (ف) ، أو النعل الخلق (ق)

* الحسين : الإمام ، ابن الإمام على كرم الله وجهه

* عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد الجعفى ، أبو الأشرس ، من بنى جعفى بن سعد العشيرة . وكان شاعراً فتاكاً فارساً ، عثمانى الهوى ، شهد صفين مع معاوية (جمهرة الأنساب ٨٥) وفى أحداث فاجعة كربلاء ، ذكر الطبرى فى تاريخه (٦/٢٣١ : سنة ٦١ هـ) لقاء ابن الحر بالإمام الحسين ، كان الإمام قد مر بفسطاط له فأرسل إليه يدعوه فاعتذر قائلا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله ما خرجت=

غُرابٍ ، فقلتُ : أَشَبَابٌ ما أرى يا ابنَ بِنْتِ رسولِ الله ؟ فقال : يا ابنَ الحُرِّ عَجَّلَ عَلَيَّ الشيْبُ . فعلمتُ أنه خضاب » .

وقد روَت الشيعةُ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كان يَخضِبُ . أما الصحابةُ والتابعون فالخِضابُ فيهم كثير[1] .

وهل بلغت المَعصيةُ بالخاضبِ إلى أن يُذبَحَ؟[2] وإنما أكثرُ ما يُكرَهُ من الخِضابِ أن يَغُرَّ به الرجُلُ امرأةً فى التزويجِ فتظَنَّ أنه شابٌّ . وقيل لِ « ابنِ سيرينَ* » : ما تقولُ فى الخِضابِ بالسَّوادِ ؟ فقال : ما لم تَغُرَّ به امرأةً مسلمةً فلا بأس به .

وكان « عُقبةُ بن عَامرٍ* » يَختضِبُ بالصَّبيبِ . وقيل إنه ماءُ وَرَقِ السمْسِمِ ، ويقالُ إن الصبيبَ شجرٌ طيِّبُ الرائحةِ . قال « علقمةُ* » فدَلَّ على أن الصبيبَ مُتغيِّرُ اللونِ : [2]

=من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد أن أراه ولا يرانى . فذهب الإمام إليه فى فسطاطه ، ودعاه إلى الخروج معه ، فأعاد ابن الحر مقالته . فقال الإمام : فإلا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك . قال ابن الحر : أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله . وانظر معه : (تاريخ الطبرى ٧/١٦٧ : ١٧٥ ونوادر القالى ١٧٢) وكان يقال: ما كان فى الأرض عربى أغير على حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب ، من عبيد الله بن الحر .

(١) انظر الخضاب ، فى (مفتاح كنوز السنة : ١٧٥ ، ومعجم ألفاظ الحديث ٣٨/٢) .

(٢) البيت ملحق ببائية علقمة المفضلية ، إحدى سمطى لؤلؤه (المفضليات ٧٧٥) وهو من مختار المبرد فى الكامل ، من عجيب التشبيه فى وصف الماء الآجن (٣/ ٣٤)

* ابن سيرين : محمد بن سيرين ، أبو بكر . شيخ البصريين من فقهاء التابعين ، كان غاية فى العلم نهاية فى الصلاح والعبادة ، روى عن كثير من الصحابة وروى عنه كثير من التابعين ، وأريد على القضاء فهرب إلى الشام ثم أتى المدينة. قال الأصمعى : إذا حدثك الأصم– يعنى ابن سيرين– فاشدد على يديك – ١١٠ هـ (تاريخ بغداد ٣٣١/٥ ، تذكرة الحفاظ ٧٧/١)

* عقبة بن عامر ، بن عبس الجهنى القضاعى. من الصحابة. سكن مصر وكان واليا عليها . روى عنه الحديث عدد من الصحابة وكثير من التابعين (الاستيعاب : رقم ١٨٢٤)

* علقمة ، بن عبدة ، الفحل = ١٢٣

فأَوْرَدْتُها ماءً كأَنَّ جِمَامَه من الأَجْنِ حِنَّاءٌ معاً وصبيبُ

وهَبِ الخاضِبَ جَنَى جنايةً فاستحقَّ أَن يُذبَحَ ، فكَيف يجوزُ أَن (105
يُقتَدَرَ لحمُه ويُتخذَ منه الشواءُ ؟ هذا كَذِبٌ لا يسوغُ فى الإسلامِ . وقد زعمت الرواةُ أن «عمرَو بنَ قعَّاسٍ *» سَكِرَ فذبَح ابنَه ، وقال الأَبياتَ المعروفةَ يقولُ فيها :

ولَحْمٍ لم يَنَلْه الناسُ قبْلِى أَكلتُ على خَوَاءٍ واشتَويتُ[1]

---

(١) على هامش (ف) طرة مطموسة متآكلة ، بقى منها آثار البيتين بعد ، مع عبارة : [فى الكتاب ، وقبل البيت] .

وفصل السيوطى فى (شرح الشواهد ٧٧) القول فى البيت ، فى سياق عشرة أبيات من هذه القصيدة التائية ، نقلها من شرح الزمخشرى لشواهد الكتاب ، وأولها :

ألا يا بيت بالعلياء بيت ولولا حب أهلك ما أتيت
ألا يا بيت أهلك أوعدونى كأنى كل ذنبهم جنيت

ولم يشر أحد ، فيما قرأت ، إلى ما ذكره أبو العلاء هنا من زعم الرواة أن « عمرو بن قعاس » شرب فذبح ولده وأكله

ورواية الزمخشرى فى (شرح شواهد الكتاب) فيما نقل السيوطى ، تختلف عن رواية الشاهد هنا ، وسياقها فيه :

إذا ما فاتنى لحم غريض ضربت ذراع بكرى فاشتويت
كنت متى أرى زقاً مريضاً يصاح على جنازته بكيت
ثى فى سراة بنى غطيف إذا ما ساءنى ضيم أبيت
أرجل لمتى وأجر ذيــلى وتحمل بزتى أفق كميت
وبيت ليس من شعر وصوف على ظهر المطية قد بنيت

فأقرب ما يفهم من قوله : * ضربت ذراع بكرى فاشتويت * أنه البكر من الإبل ، أى الفتى .

* عمرو بن قعاس ، بن عبد يغوث ، المرادى من بنى مراد بن مالك بن أدد بن سعد العشيرة ، ثم من كهلان بن سبأ (جمهرة أنساب العرب ٣٨٢) شاعر جاهلى ، ترجم له المرزبانى فى معجمه (٢٣٦) وذكره شراح الشواهد النحوية واللغوية لبيت من هذه التائية ، أنشده سيبويه فى (الكتاب) وابن هشام فى (المغنى) : حرف ألا :

ألا رجلا جزاه الله خيراً يدل على محصلة تبيت

ورواه الجوهرى فى (ح ص ل) : ألا رجل . ومثله فى اللسان .

وفى (أخبارِ ابنِ دَأْب *) أو غيره، أن «مَعَدَّ بنَ نِزَارٍ*» نزل به رَكبٌ من جُرْهُمَ فى سَنَةٍ مُجدِبةٍ فذبح لهم ابناً كان له وقال:

نِعمَ إدَامُ الضيفِ والرفيقِ لحمُ غُلامٍ ماجدٍ عريقٍ
يُلَتُّ بالأحسابِ لا السَّوِيقِ[1]

فهذا فى الجاهليةِ الجهلاءِ يُدْفَعُ ولاَ يَصِحُّ، فَمَا بالُهُ فى الإسلامِ ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول: «الإسلامُ قَيَّدَ الفَتكَ»[2] ويقولُ: «مَن قتلَ نفساً مسلمةً أو مُعَاهِدَةً لم يَرَحْ رائحةَ الجَنَّةِ»[3] ويوجِبُ للرجُلِ من الموالى أن يُقتَصَّ له من الصميم؟

وزعمتَ أنه كان يَزْوِى الماءَ عن العَليلِ، فما الذى أوْجبَ ذلك له؟ أليس فى (الكتابِ العزيزِ): «وجَعَلْنا من الماءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ»؟[4]

---

(١) السويق: طعام يتخذ من حنطة أو شعير. لته: بله، دون البس

(٢) انظر شرح الحديث «الإيمان قيد الفتك» فى (النهاية فى غريب الحديث: فتك)

(٣) قال ابن الأثير فى النهاية: لم يرح أى لم يشم: ريحها، راح يريح، وراح يراح، وأراح يريح: إذا وجد رائحة الشىء والثلاثة قد روى بها الحديث. وانظر تخريجه فى المعجم، مادة روح ٣١٦/٢.

(٤) من الآية ٣٠: سورة الأنبياء

(*) ابن دأب: أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب.. من رواة الأخبار، وكذلك أخوه يحيى بن يزيد، وأبوهما يزيد بن بكر، وكان أيضاً عالماً بأخبار العرب وأشعارها، وكان شاعراً. «والأغلب على آل دأب الأخبار» — الفهرست ١٣٣ —

* معد بن نزار

كذا فى النسختين، واحتمال الوهم فى أن يكون: معدا أبا نزار، أو: نزار بن معد: غير قريب. سيما مع وجود طرة على الحفصية، تآكل بعضها وبقى منها: [بن قحطان . . .]

وليس فى نسب قحطان، فيما راجعت من مصادر، معد بن نزار (جمهرة الأنساب ٣١٠: ٤١١)

كما لا خلاف على الإطلاق، فى أبى مضر: نزار بن معد بن عدنان، الجد الأعلى لقريش وسائر العرب العدنانية.

(انظره فى: نسب قريش، وجمهرة أنساب العرب، وسياق النسب الزكى فى الجزء الأول من: السيرة، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبرى)

وقد يجوزُ أن تَعنِيَ استِغناءَ العليلِ عن ذلك . فإن كنتَ أردتَ هذا الغرضَ فلا فائدةَ فى كلامِكَ . كُلٌّ مَن لا حاجةَ بِهِ إلى الشرْبِ فقد وَجَبَ أن يُزْوَى الماءُ عنه إذ كان سَقْىُ مَن لا ظمأً به مُؤَدِّياً إلى ضِدِّ الصِّحَّةِ .

وزعمتَ أنه كان يُجيزُ الكَرَّ على العَدُوِّ وهوعلى غَيرِ طهارةٍ ويتطهَّرُ بالكَرِّ .

فهذا يَحتملُ مَعْنَيين : أحدُهما أن تَعنِيَ أنه إذا كان على غيرِ طهارةٍ تَجوزُ بها الصلاةُ ثم كرَّ على العدُوِّ تَطهَّرَ بالكرِّ ، فجاز له أن يُصَلِّيَ . فهذا فاسدٌ لم يُجزْه أَحَدٌ من المسلمين .

والآخرُ أن تَعنِيَ أنه يَتقرَّبُ إلى اللهِ بالكَرِّ عليهم ، لا أنه يقومُ مقامَ الطهارةِ لِلصلاةِ . فهذا يجوزُ أن يكونَ كما قال تعالَى :

« خُذْ مِنْ أَمْوالِهم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتزكِّيهِمْ بها »[١] لا يُرِيدُ أنهم إذا || كانوا غيرَ مُتَأَهِّبِين للصلاةِ قامتْ لهم تلك الصدَقةُ مَقامَ التأَهُّبِ ، ولكنه يريدُ أنها تمحو ذنوبَهم ، كما قال« كعبُ بنُ زُهَيْر* » : (106)

يَتَطَهَّرون كأنه نُسُك لهم بِدِماء مَن عَلِقوا من الكُفَّارِ[٢]

---

(١) من الآية ١٠٣ : سورة التوبة

(٢) مدح كعب بهذه القصيدة ، الأنصار رضى الله عنهم (ف)

وفى الخبر أن كعب بن زهير ، لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبايعه وهوملثّم – وكان قد أهدر دمه – أنشده لاميته المشهورة « بانت سعاد» وقال فيها يعتز بقريش :

فى فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف يوم اللقاء ولا سود معازيل

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل

حتى إذا بلغ قوله ، معرضاً بالأنصار :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل

قامت قائمة الأنصار ، ثم لم يهدأ غضبهم حتى قال فيهم كعب :

من سره كرم الحياة فلا يزل فى مقنب من صالح الأنصار =

* كعب بن زهير ، بن أبى سلمى = ١٧٨

وزعمتَ أنه مَرَّ على سَرِيرٍ له آلافُ سِنينَ منذ صُنِعَ .

فليت شِعرى من أىِّ خشَب هذا ؟ ما نَعلَمُ أحدًا فى الأَرضِ يَدَّعِى أن شيئاً من سفينة «نوح» صلى الله عليه ، بَقِىَ إلى اليومِ . والنصارى تكونُ معهم أشياءُ يَدَّعون أنها من الخَشَبةِ التى صُلِبَ عليها «المسيحُ» عليه السلامُ . فإن كان هذا السريرُ ظاهِرًا للسماءِ يُصيبُه المطرُ والحَرورُ، فلا يجوزُ أن يبقى شىءٌ من الخشَبِ على ذلك . وإن كان مُتوَارياً فما أدْرِى ما أقولُ . إنك لَتَجِىءُ بالمُنكراتِ .

وأما قولُكَ إنه كان يستعين بالغُرابِ على طلبِ المِياهِ ، فلم يرْوِ ذلك أحَدٌ من أصحابِ الأخبارِ . وأىُّ عِلْمٍ لِلغُراب بِمكانِ الماءِ || وهو يَسْلُكُ (٥٢)
القَفْرَ فيموتُ فيه من العطشِ ؟ ولو قلتَ إن الهُدْهُدَ كان يُعينُه على ذلك لَذهبتَ مَذهباً ، لأنه جاءَ فى الحديثِ أن «سُليمانَ» صلى الله عليه ، كان يستعينُ بالهُدهُدِ على طلبِ الماءِ لأنه كان قُبَاقِباً ، أى مُهندساً ![1]

وادَّعيتَ أن الهدهدَ كان يُكلِّمُه بِكلامٍ يفهمُه الحاضرونَ ، فَكَذَبْتَ وأَحَلْتَ . مازعمَ ذلك زاعِمٌ سِوَاكَ . ولو أن «عَلِيًّا» فَهِمَ كلامَه بِخَاصَّةٍ يهبها اللهُ له ، لَما جاز أن يَفهم كلامَه غيرُه . كما أن «سُليمانَ» لم يكن أحدٌ من أهلِ عصرِه يدَّعِى المعرفةَ بِكلامِ الهدهدِ ولا أغراضِ النَّملِ .

وقد قال بعضُ الفلاسِفَةِ إن قولَه تعالى حكايةً «عن سليمانَ» :

«ياأيها الناسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطيرِ»[2] .

= البـــاذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون (البيت) – السيرة ج٤ ، وترجمة كعب فى طبقات الصحابة والشعراء

(١) لم أجد قباقباً فى المعاجم ، بهذا المعنى . فهل هو من صانع القبة ؟ أو من : القب ، الرئيس ؟ وفى المادة : القبقاب ، الجمل الهدار ... كالقباقب ، والقباب من السيوف : القاطع . وقبب الرجل : عمل قبة .

(٢) من الآية ١٦ : سورة النمل .

إنما يَعنِى بذلك عِلمَ الموسيقى ، لأنه تغلغل فى معرفةِ الحروفِ واللغاتِ والأصواتِ !

وزعمتَ أنه كان لا يُعجبُه أن تدنوَ || قُرَّةُ العَينِ إليه . (107)

فهذا الإفكُ المُبِينُ : « إنا لله وإنا إليه راجعُونَ »[١] ما أجرأَكَ على قِيلِ البُهتان ! ما بَعثَ اللهُ من نبيٍّ ولا كان فى أهلِ الأَرضِ صَالحٌ إلا وهو يَسُرُّه أن تَقَرَّ عينهُ . أليس فى (الحديثِ المأثورِ) : «وقُرَّةُ عَيْنِى فى الصلاةِ ؟»[٢]

ولعلكَ تَعنِى بِقُرَّةِ العينِ امرأَةً كان اسمُها كذلك فى زمانه[٣] . فما بلغنا أن امرأَةً من أَهلِه ولا أزواجِه ولا إمائه كانت تُعرَفُ بقُرةِ العينِ . ولكنْ قد يجوزُ فى المُمكنِ أن يكونَ كما ذكرتَ ، وإنْ صَحَّ ما ادَّعيتَه من هذا القولِ فيجبُ أن تكونَ قُرَّةُ العينِ امرأَةً ليستْ له بِمَحرَمٍ ، وقد جاءَ فى بعضِ الحديث : « لأَنْ أُزاحِمَ جَمَلاً قد طُلِىَ بِقَطِرانٍ أَحَبُّ إلَىَّ من أن أُزاحِمَ امرأَةً عَطِرةً »[٤] فإذا كان الأَمرُ على هذه الجهَةِ فلا فائدةَ فى خُصوصِيَّتِكَ قرةَ العينِ دون غيرِها من النساءِ المعروفات بـ : هِنْدٍ ودَعْدٍ وجُمْلٍ .

وزعمتَ أنه كان يواجِهُ الأَسَدَ ولا يحفِلُ به ويكرَهُ أن تَمُرَّ به الضبُعُ .

وقد كانت الشجاعةُ مُسَلَّمةً له ، ولا أَعرِفُ معنى دَعواكَ فى أمرِ

---

(١) من الآية ١٥٦ : سورة البقرة

(٢) الحديث فى (سنن النسائى ٣٦/١) وفى مسند أحمد : (٣/١٢٨ ، ٢٨٥)

(٣) الضمير ، للإمام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه

(٤) انظر : كراهية خروج المرأة متعطرة ، فى (مفتاح كنوز السنة : الطيوب ص ٣١٦) ومعه باب العطر فى (النهاية فى غريب الحديث)

الضَّبُعِ وقد رَوَى عنه بعضُ أصحابِ الأخبارِ أنه سُئِلَ عن امرأةٍ تزوجَها فقال : وجدتُها ضَبُعاً طُرْطُبَّةً(١) .

أفعنَيتَ هذا الحديثَ أم تعتقدُ أنه كان يتطيَّرُ بالضَّبُعِ ؟(٢) وحَاشَ لله ، قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : «لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا هامَةَ ولا صَفَرَ» (٣) وقد جاء فى بعضِ الحديثِ : «إنْ تكن الطِيَرةُ فى شىء ، ففى المرأةِ والدابَّةِ والدارِ» (٣) وكانت العُقَلاءُ من العربِ فى الجاهلية تَعيبُ الطِيَرةَ وأَهْلَها . ورَوَى أصحابُ الأخبار أن «النابغةَ الذبيانىَّ* ، وزَبَّانَ بن سَيَّارٍ *» خرجا فى سَفَرٍ فلقيَتْهما جَرادةٌ فتطير «النابغة» فرجَع ، ومضى «زَبَّانُ» لوجهِه فأصاب خيرًا . ولَقِيه ، فقال :

يُلاحِظُ طيْرَه أبدًا زيادٌ لِتُخبرَه ، وما فيها خبيرُ

---

(١) الطرطبة الضبع ، ويراد بها القصيرة العظيمة البطن من النساء ، على التشبيه . والطرطبة : العظيمة الثديين (ض) وفى (ق) : الطرطب ، كقنفذ وأسقف : الثدى الضخم المسترخى . ويقال للواحد طرطبى ، فيمن يؤنث الثدى . والطرطبانة الطويلة الضرع ، كالطرطبة .

(٢) الضبع : السنة الشديدة المجدبة ، والشر (ف)

وفى (النهاية فى غريب الحديث) أن رجلا أتاه – صلى الله عليه وسلم – فقال : «قد أكلتنا الضبع يا رسول الله» يعنى السنة المجدبة ، وهى فى الأصل : الحيوان المعروف ، والعرب تكنى به عن سنة الجدب ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه : خشيت أن تأكلهم الضبع .

(٣) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان : ك السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة) .

* النابغة الذبيانى = ١٧٨

* زبان بن سيار : بن عمرو الفزارى ، من بنى فزارة بن ذبيان الغطفانى . شاعر جاهلى من شعراء المفضليات . وهو جد «خولة بنت منظور بن زبان» تزوجها الإمام الحسن رضى الله عنه (جمهرة الأنساب ٢٤٦) وانظر (ذيل الأمالى ٥١) وذكر ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ١/١٠١) أن زبان ابن سيار وأخاه ، كلما النعمان بن المنذر فى العفو عن النابغة ، حين غضب عليه لمدحه الغساسنة . فاستجاب لهما وأمنه ، وصحباه فى رحلته إلى الحيرة .

|| أَقامَ كأَن لُقمانُ بنَ عادٍ* أشارَ له بِحكمتِه مُشيرُ (108)
تَعَلَّمْ أنه لا طيرَ إلا على متطيِّرٍ وهى الشرورُ
بَلى شىءٌ يُوافِقُ بعضَ شىءٍ أحايِيناً وباطِلُهُ كثيرُ

وقال آخرُ:(١)

طال الثَّواءُ بمَأْرِبٍ ومكثتُ فيها غيرَ رائم
فلئن هلكتُ فُربَّ با كِيَةٍ وقاعِدَةٍ وقائمْ
ومُشَقِّقاتٍ للجيوبِ عَ لَيَّ كالبقَرِ الحوائمْ
مَن مبلغ عمرَو بنَ لأْيٍ حيث كان من الأَقاوِمِ
لا يَمنعَنَّكَ من بقاءِ الـ خيرِ تَعقادُ التمائم
فلقد غدوتُ وكنتُ لا أغدو على واقٍ(٢) وحاتِمْ
|| فإذا الأَشائمُ كالأَيا مِنِ والأَيامنُ كالأَشائمْ (٥٣)
وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك فى السُّطو رِ الأَوَّليَّاتِ القدائمْ

أَم تزعمُ أن «عَليًّا» رضى اللهُ عنه ، كان يُبغِضُ الضبُعَ لِحُمْقِها ولما تَحكِيه العربُ عنها ، وقد جاء فى الحديث عن «عَلِيٍّ» أنه قال :

(١) فى طره (ف) : نسبه الأصمعى لخزز بن لوذان السدوسى .
والأبيات الثلاثة من ٦ : ٨ أنشدها ابن العميد فى رسالته إلى ابن سمكة ، ونسبها إلى المرقش
والأبيات من الخامس إلى العاشر ، فى مادتى (حتم ، ويمن) من اللسان : للمرقش السدوسى وتروى لخزز بن لوذان .

(٢) قال التوزى : كان أصحاب الغريب يقولون : واق اسم الغراب ، وحاتم : اسم الصرد .
وليس عندى كذلك ، وإنما الواق ما وقاك ، والحاتم ما حتم عليك (ف)
وفى (المحكم) قال ابن سيده : والحاتم غراب البين لأنه يحتّم بالفراق . وقال اللحيانى : هو الذى يولع بنتف ريشه وهو يتشاءم به . وقيل : الحاتم الغراب الأسود (ح ت م)

* ولقمان بن عاد ، الذى يتمثل به زبان ، هو لقمان الحكيم مضرب الأمثال العربية فى الحكمة والفطنة وحضور البديهة وسرعة الجواب وطول العمر ، تجده فى كثير من أمثال الميدانى. وفى (الصاهل والشاحج) مزيد من خبره = ٨٩ ، ٣٣٤ .

« لا أكونُ كالضبُعِ تَسمَعُ اللَّدْمَ ثم يُدخَلُ عليها فتصادُ »[١] .

ومن أحاديثِ الأعرابِ أن الضبُعَ وردَتْ غديرًا فوجدتْ فيه تَودِيَةً فجعلتْ تشربُ وتقول : ياحبذا طعمُ اللبن . فلم يَزَلْ ذلك دَأْبَها حتى انشقَّ بطنُها من الكظَّة[٢] .

والتوديةُ عُوَيدٌ صغيرٌ يُشَدُّ على خِلْفِ الناقةِ إذا صُرَّتْ . وبعضُ الناسِ يَروِى فى قصيدةِ || « سُحَيمٍ * » هذا البيتَ :

وما ضَرَّنى أنْ كانت اُمِّى وليدةً　　　تَصُرُّ وتَبْرِى لِلِّقَاحِ التواديَا[٣]

و « عَلِيٌّ » عليه السلامُ ، كان أفضل من أن يُبغِضَ على الحُمْقِ ، إذ كان غريزةً لا يَصِلُ إليها الدواءُ . أم تَرى أنه أبْغَضَها لما يُقالُ إنها تفعلُ بالقَتْلَى إذا خاسَتْ جيفُهم مِمَّا يُكنَى عنه ؟ وعلى ذلك فسَّروا قولَ الأوَّلِ :[٤]

فلو ماتَ منهم مَن قَتلنا لأصبحَتْ　　　ضِباعٌ بأكنافِ الشريفِ عَرائِسا

---

(١) اللدم : صوت الشيء يقع على الأرض من الحجر ونحوه (ف) لدم يلدم فهو لادم ، والجمع لدم ، كخادم وخدم (ق)

(٢) جمع التودية : التوادى (ق : ودى) وذكر الميدانى فى المثل (أحمق من ضبع ١/٢٢٥) أن الأعراب تزعم أن أبا الضباع وجد تودية - العود يشد على رأس الخلف لئلا يرضع الفصيل - فى غدير . فجعل يشرب ويقول : حبذا طعم اللبن . ويقال : بل كان ينادى : واصبوحاه ! حتى انشق بطنه ومات .

(٣) من لاميته :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا　　　كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فى ديوانه ومنها أبيات فى الشعر والشعراء (١ / ٤٠٨ معارف) وطبقات ابن سلام ١٥٧ . والإصابة ٣/١٦٣ والأغانى ٢٠/٣ والسمط ٧٢١ ، ٦٩٢ وتأتى أبيات منها فيما يلى من شواهد الصاهل والشاحج

(٤) البيت فى (مجمع الأمثال ١/٢٣٩) للعباس بن مرداس السلمى - يأتى فى أعلام الصاهل والشاحج - ورواية الميدانى :

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت　　　ضباع بأعلى الرقمتين عرائسا

* سحيم ، عبد بنى الحسحاس ، كان حبشياً شاعراً محسناً . مخضرم ، وضعه ابن سلام فى الطبقة التاسعة من فحول الشعراء الجاهليين وقال : وهو حلو الشعر ، رقيق حواشى الكلام طبع ديوانه فى دار الكتب المصرية . وانظر أعلام الغفران والشعر والشعراء ١/٤٠٨ معارف ، وسمط اللآلى ٧٢١

وذكرتَ أنه كان لا يَستحِلُّ أن يَنظُرَ إلى رَيْحانٍ لا يملكهُ .

وما الذى منعه من ذلك ؟ هل يَنقُصُ الريحانَ وهو لِزَيد ، أن يَنظرَ إليه عَمْرُو ، أو يُدرِكُ صاحبَه من عيبٍ ؟ ولو صَحَّ هذا فيه ، لَوجَبَ فى الشَّجَرِ المُزهِرِ كلِّه وأصنافِ الأَنوارِ والثمارِ . ولعلك تريدُ بهذا القول المبالغةَ ، كما يقولُ القائلُ إذا نَهاكَ عن الرجَلِ وأَذيَّته : لا تُؤذِه ولا تنظُرَنَّ إليه ؛ وإنما ذلك مبالغةٌ فى النَّهى .

ودلَّ كلامُكَ على أنه لو رأَى بنى إسرائيل يأكلون لحْماً لم يَنْهَهم عنه ولو أنه لحمُ يعقوبَ .

وبنو إسرائيلَ لِعِظَمِ « يعقوبَ » فى نفوسِهم يُضيفون اسمَ اللهِ إليه فيقولون: إلٰهُ إسرائيلَ كان يفعلُ كذا ، وإلٰهُ يعقوبَ يفعلُ كذا . و « يعقوبُ » هو إسرائيلُ ، فكيف يُقدمون على أكلِ لَحمِه وهو عندهم من الشرفِ بحيث هو ؟ و « علىٌّ » كان يَغضبُ للمرأةِ الذمِّيةِ أن تُهتَضَمَ ، فكيف كان يصبِرُ على أكلِ لحمٍ ـ قد حُرِّم أكلهُ ـ من نَبىٍّ عند اللهِ كريمٍ ؟ وإذا أَجَزتَ لهم أن يأْكلوا لحمَ « يعقوبَ » فما الذى « يمنع إسحٰق وإبراهيم » عليهما السلامُ ؟

وقولُك إنه كان يأْتيه النهرُ وهو فى « يثربَ » قاعِدٌ فى بَيْتِه . فهذا ، عَلِمَ خالقَكَ ، كذِبٌ حَنبريتٌ . ما رُوِىَ أنه كان بيثربَ نهرٌ قط . وهذه أَخبارُ « أبي كَربَ * » مع أهلِ « المدينةِ » فى سالفِ الزمَنِ ، ليس فيها ذكرُ نهرٍ إلى اليومِ .

* أبو كرب : لم يذكره ابن النديم فى الإخباريين والرواة ، ويأتى اسمه فى أسانيد عدد من كتب الأمالى والأدب . وقد يراد به هنا « أبو كرب ، أسعد بن مالك الحميرى » من ملوك التبابعة . (جمهرة الأنساب : ٤١٣ والسيرة النبوية لابن هشام : الجزء الأول)

غيرَ أن ما قلتَ له مَسَاغٌ فى وجهٍ من القياسِ ، وهو أن تريدَ كان : يأتيه ماءُ النهرِ ، كما قال تعالى : « واسأل القريةَ »(١) أى أهلَ القريةِ ؛ وكما قال الراجزُ(٢) :

كأن قَزًّا تحته وبَزًّا أو فُرُشاً مَحْشُوَّةً إوَزًّا

أى : ريش إوَز .

ولم نعلم أن شِرْبَ أهلِ « يثربَ » إلا من القُلُبِ دون غيرها من المياه .

وذكرتَ أنه كان إذا رأى يَدَ رجُلٍ معروفٍ أنكرَه . فما الذى عَنَيتَ باليَدِ ها هنا ؟ آلنعمةَ يُسْدِيها الرجلُ ، أم العُضْوَ ؟ وكلاهما قد أحَلْتَ فيه : كيف يُنكِرُ رجُلاً من الناسِ لنعمةٍ أنعمها أو يَدٍ أسداها ؟ أم كيف يُنكِرُ مَن رآه لِرُؤية يَدِه دون قدَمِه ووجهِهِ ؟ وأحسبُك أخذَكَ دُوَارٌ من طولِ العملِ فاضطرب عليكَ رأيُكَ . وقد يُدرِكُ أخا اللُّبِّ مثلُ ذلك عن المرضِ أو عن السِّنِّ . والذى نزل بك شَرٌّ من هذين . إنك لمَعْذورٌ فيما تقولُ .

٥٤) أتَشُكُّ فى أن « النمرَ بن تولبٍ * » كان من حُكماءِ العرب ، وأنه تغيَّرَ || فى آخرِ عُمره فَلَهِجَ بأن يقولَ : اسقوهم صبوحاً اصبحَوا الركبَ اغبِقوا الركب . وأُهترت(٣) امرأةٌ فى ذلك الزمان فكانت تقولُ : زَوِّجونى زوجونى . فقال بعضُ وُلاة الأمر لقَومِها : مالَهِجَ به أخو عُكْلٍ أحسَنُ مما لهجتْ به أختُكم .

(١) من آية ٨٢ سورة يوسف : « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها و إنا لصادقون »

(٢) الرجز فى (مجالس العلماء للزجاجى) أنشده ثعلب عن ابن الأعرابى . وروايته :

كأن قطناً تحته أو قزا أو فرشاً محشوة إوزا

يريد : ريش إوز ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (المجلس رقم ١٤٣)

(٣) أهترت : ذهب عقلها من كبر (ف)

* النمر بن تولب ، العكلى = ١١٢

وكان «النمرُ» أحدَ الأَجْوَادِ. وكان «مُساورُ بن هِنْدِ بن قَيس ابن زُهَيْر*» سيِّدًا من سادات غطفان وشاعرًا من شعرائها، فأُهْتِرَ فعُزِلَ فى بيتٍ وجُعلتْ معه امرأةٌ تَحفظُه. فنظر إليه رجلٌ فى بعضِ الأَيامِ وقد أخذ بَعرتين فأَرسلَهما من يَدِه وقال:

* أُرسلتْ الحَوَّاءُ والبَلَنْدَحُ *

وكأَن الحَوَّاء والبَلندحَ فى الأَصل اسمانِ لِناقتَين أوفرسَيْنِ. فجاءتْ المرأَةُ التى قد وُكِّلَتْ به لِتَردَّه إلى البيتِ، فلما رآها عادَ إليه مُسْرعاً، وقال:

سَوِّى لى لُعَيقَةً إمَّا لا[1].

فغَيرُ آمِنٍ أَخو الحِلْمِ أن يُزيلَ حِلمَه أمرٌ من القدَرِ غيرُ مردودٍ.

وزعمتَ أنه كان يُعطِى كلَّ واحدٍ من أَهْله قِطًّا يَنتفعُ به. وقد يكونُ فى الدارِ العشَرةُ || أو العشرونَ فيَنتفِعون بالهِرِّ الواحدِ أو الهِرَّةِ، وإنما الغَرضُ (111)
فى الهِرِّ الراحةُ من الرَّثائِم[2]. فلقد ادَّعيْتَ أن أهلَ البيتِ عليهم السلامُ يَرغبون فى كَثرةِ ذلك النوع فى بيوتِهم لِغَيرِ الحاجةِ. ولَعَمْرِى لقد جاء فى الحديثِ: «ليست الهِرَّةُ بنَجَسٍ، إنها من الطَّوَّافينَ عليكُم والطَّوَّافاتِ»[3]

---

(١) العيقة، تصغير لعقة، وهى بالفتح كالمرة من لعق، أى لحس. وبالضم ما تأخذه فى الملعقة.

(٢) الرثائم: . . الفأر (ض). وفى (ق): الرثيمة، كسفينة: الفأرة. وعلى هامشه: «صوابه القارة، بالقاف» شارح»

وفى (اللسان): والرثيمة الفأرة. وعلى هامشه من تعليق مصححه: «قوله: الفأرة، كذا فى الأصل، والقاموس والتكملة، بالفاء. ولينظر من أين لشارح القاموس أن صوابه: القارة، بالقاف»

(٣) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى، فى كتاب الطهارة.

* المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسى الغطفانى (جمهرة الأنساب ؛ ٢٣٩). شاعر حماسى من سادات عبس وشعرائها، عمر طويلا وهلك بعمان فى عصر بنى أمية. وكانت بينه وبين المرار الأسدى مهاجاة. انظر ترجمته فى (الشعر والشعراء ١/ ٢٦٥ بيروت، والإصابة لابن حجر ٦/ ١٧١ ق ٣ ت ٨٣٩، والحماسة ٢/ ٤٣٠).

وقد يكونُ فيهن ما يأكلُ الحيَّاتِ والعقاربَ ، فلعلكَ إلى هذا تذهبُ .

وزعمتَ أنه كان يَطَأُ الأَرْنبَ فلا تَشعُرُ به .

وكيف خَصَصتَ الأَرنبَ بذلك دُونَ الظَبْيَةِ ودونَ الغَزالِ ؟ ولِم استحقَّتْ أن تَخِفَّ عنها الوطأَةُ؟ وكيف لا تَنفِرُ من الوطْءِ وإنها لَتكونُ نائمةً في ظِلِّ الحَبْلةِ[1] فيَمرُّ المارُّ في طريقِه ولا يَعرِضُ لها ، فلا تَتركُ نِفارَها عند ذلك ؟ ولَعلَّكَ ذهبتَ إلى أنها مُغَفَّلَةٌ كثيرةُ الوَسَنِ . وليستْ كذلك ، بل هي كغيرِها من صِغارِ البهائِم . وقد سَمَّوها مُقَطِّعةَ القُلوبِ ومُقَطِّعَةَ السُّحُورِ ، يَعْنون جَمْعَ سَحْرٍ وهي الرِّئَةُ . وإنما يريدون أنها تُتْعِبُ من طَلَب صَيدَها على رِجْلَيه[2] . قال الشاعر :

كأَنِّي إذ مَنَنْتُ عليكَ فَضْلِي ... مننتُ على مُقَطِّعَةِ القُلوبِ

أَوَ لم تَسمعْ قولَ الآخرِ :

فيومًا ترانا في مُسوكِ جيادنا ... ويوماً ترانا في مُسُوكِ الأَرانِب[3]

---

(١) الحبلة : شجرة الكرم (ف)

(٢) في (ص : نوط) : والنياط عرق علق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه .. ويقال للأرنب : مقطعة النياط ، كما قالوا مقطعة الأسحار . وفي مادة سحر : السحر : الرئة والجمع أسحار ، مثل برد وأبراد . وكذلك السحر والسحور ، مثل فلس وفلوس . ويقال للجبان : انتفخ سحره . ومنه قولهم للأرنب : المقطعة الأسحار ، والمقطعة السحور ، والمقطعة النياط – بفتح الطاء المشدودة فيها – على التفاؤل . وفي المتأخرين من يقول المقطعة بكسر الطاء ، أي من سرعتها وشدة عدوها .

(٣) في طرة (ف) : [قال البجيرمي : فيوماً ترانا في طباع جيادنا * يريد أن الخيل الجياد تحمل على الإقدام والجرأة لما في طباعها من الجرأة . وفسره الأشناندانى في كتاب المعاني فقال : فيوماً نؤسر فيجعل من جلود جيادنا قد فنشد به ، ويوماً نهزم ونروغ كما يروغ الثعلب] .

والبيت في (ل : مسك) أنشده « المفضل» شاهداً على قول العرب : نحن في مسوك الثعالب ، إذا كانوا خائفين. وروايته للشطر الثاني* ويوماً ترانا في مسوك الثعالب*جمع مسك . قال : في مسوك جيادنا ، معناه أنا أسرنا فكتفنا في قدود من مسوك خيولنا المذبوحة ، وقيل : في مسوك ، أي على مسوك مسوك جيادنا ترانا فرساناً نغير على عدونا ، ثم يوماً ترانا خائفين

وأنشده البكري في (التنبيه على أوهام القالي) وفسره ، قال : يريد ، فيوماً ترانا في طباع الخيل من الشدة والجرأة والإقدام والصبر ، ويوماً نروغ ونجبن إذا كان ذلك أحزم . وهنه « الميمني » في سمط اللآلي . (١/ ٣٤٤) وأخذ فيه بتفسير الأشناندانى الذى نقلناه أعلاه، من الطرة الحفصية .

أراد أنهم يَفِرُّون من القتلِ كما تفرُّ الأَرنبُ. فهذا يَدلُّكَ على صِفَتِه إياها بالجِدِّ فى الهربِ والروَغانِ . وقد رُوِىَ هذا البيت : * فى مسوكِ الثعالب * والمعنى مُتقارِبٌ . وهى عندهم من حُكَماءِ البهائمِ ولذلك قالت العربُ على لسانِ الأَرنبِ : « اللهمَّ اجْعَلْنى حُذَمَةً أُزَمَهْ ، أَسبِقِ الطالعَ فى الأَكمَهْ »[١] .

وفى حديثٍ يُروَى عن «عَمرو بن العاصى*» أنه كان فى بعضِ أسفارِهِ فَقَرُبَ من «مُسَيْلَمَةَ الحَنفىِّ*» ليختبرَ ما عنده . فلما رآه «مُسَيْلِمةُ» قال : ما نزلَ على صاحِبكم فى هذه الأَيام ؟ فقال : ‖ نزل عليه : (112)

« والعَصْرِ * إن الإنسانَ لَفِى خُسْرٍ * إلا الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصالحاتِ وتواصَوْا بالحقِّ وتواصَوا بالصَّبرِ » .

فقال مُسَيلمةُ : قد نَزَلَ عَلَىَّ نَحوٌ من هذا : يا وَبْرُ يا وَبْرُ ، مَنْكِبَان وصَدْر ، وسَائرُكَ حَفْرٌ نَقْر . كيفَ تَرى يا عَمْرو ؟ .

وفى الحكايةِ ، إنْ كانت صادقةً ، أَن «عَمْرًا» قال له : إنك لَتَعلَمُ أَنى أَعْلَمُ أنك تكذِبُ ، إنما تقول العربُ : اسْتَنَّت الوَبْرةُ[٢] والأَرنبُ

---

(١) الحذم ، بضمتين : الأرانب السراع ، واللصوص ، وكصرد : القصير القريب الخطو. والأزم : القطع بالناب ، والعض بالفم كله (ق)

(٢) الوبرة : دويبة على هيئة السنور من دواب الفلاة (ف)

* عمرو بن العاصى بن وائل السهمى القرشى ، أبو عبد الله (جمهرة الأنساب ١٥٤) من فرسان قريش وأبطالها فى الجاهلية . أسلم قبل فتح مكة . وفتح مصر للإسلام ، وكان من ذوى الرأى والدهاء حكم لمعاوية يوم التحكيم بعد صفين (الاستيعاب رقم ١٩٣١ وتاريخ الطبرى ، السنوات من فتح مصر إلى صفين سنة ٣٧ هـ) .

* مسيلمة الحنفى ، الكذاب : ابن ثمامة (بن كثير) من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب البكرى (جمهرة الأنساب ٢٩٢) ارتد عن الإسلام وادعى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرى شره حتى سير إليه أبو بكر ، خالد بن الوليد ، رضى الله عنهما ، فحسم الفتنة ،وقتله « وحشى » انظر حروب الردة فى سنتى ١١ ، ١٢ هـ من تاريخ الطبرى .

فقالت الوبرةُ : أران أرانِ ، رأسٌ وأُذْنانِ ، وسائِرُك أُكْلتانِ . وقالت الأرنبُ : يا وَبْرُ يا وَبْرُ ، مَنكِبانِ وصدر ، وسائرُك حَفْرٌ نَقْرٌ[1] .

–والأشْبَهُ ألاَّ يكونَ «عَمرٌو» واجَه «مسيلمةَ» بالتكذيبِ، لأنه قد كانَ صارَ له رَهطٌ وأشياعٌ – .

أفلا تَرى كلامَهم على لِسانِ الأرنب ، وإنما يتكلمونَ على لسانِ ذِى الفِطْنةِ والحسِّ النافِذِ ، عِندهم ؟

وادَّعيتَ أنه كان يَجىءُ عليه الوقتُ فى الشتاء، وأَحَبُّ الأشياءِ إليه البَرْدُ.

وقد يُصيبُ الإنسانَ من الأعراضِ ما يُرَغِّبُه فى الانكِشافِ للهواءِ والتعرُّضِ لشفيفِ الريحِ[2] . وربما كانَ ذلك عن المرضِ أو إفراطِ الدفءِ . وأَهْلُ الدينِ يجوزُ أن يَرغَبوا فى البَرْدِ ، لأحاديثَ رُوِيَتْ فى ذلك ، منها فَضْلُ الوُضوءِ فى السَّبَرات[3] . || وفى الحديث : «الشتاءُ رَبيعُ المؤمنين ، (٥٥)
بَرَدَ عليهم النهارُ فصامُوا ، وطال عليهم الليلُ فقامُوا» وفى حديث آخر : «إن القُلوبَ تَلِينُ فى الشتاء لأنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ من طِينٍ» .

فإذا كان الصالحون يَرغبون فى الشتاء لهذه الجهاتِ ، فكيف ذكرتَ ماذكرتَ جاعِلاً له فى المُستَطرَفاتِ ؟

وزعمتَ أنه كان فى عَصْرِه قومٌ يُطعِمهُم السِّنانَ من لَحْمِ الزُّجِّ . وقد عِلمتَ أن السَّوْطَ يُتَّخَذُ من الجلودِ ، وهى أَوْلَى بِالنَّخْضِ من العِصِىِّ

(١) استبت الوبرة والأرنب : تسابتا . أران : مأخوذة من : أرنب .

(٢) شفيف الريح : برد مع ندوة . والشفاف الريح الباردة مع المطر (ح) .

(٣) السبرات : الغدوات الباردة ، جمع سبرة .

وانظر الحديث فى (نهاية ابن الأثير ، سبر) وتخريجه فى (كشف الخفا ٦/٢ ح ١٥٣٣) .

والزجاج . وإذا ضرَبوا المَثَلَ بِقِلَّةِ لحمِ الرجُلِ قالوا : كأنه أَثْنَاءُ سَوْطٍ .
قال الشاعرُ يَرثِى « هشامَ بنَ || المُغيرةِ المخزومىَّ* » : (113)

أَصبحَ بَطْنُ مكةَ مُقْشَعِرًّا كأَنَّ الأَرضَ ليس بها هشامُ[1]
يَظَلُّ كأَنه أَثْنَاءُ سَوْطٍ وفوقَ جِفانِه شَحْمٌ رُكامُ

وزعمتَ أَن طبَّاخَه كان يَطبخُ له بالحَشيشِ وإن الحَطَبَ لَكثيرٌ موجود .

فهذا من سُوءِ رأىِ الطبَّاخِ . ولعلكَ تَحمِلُ ذلكَ على ما ذكرتَه من أنه كان يُبغِضُ الحطبَ والحطَّابين . ولِمَ يبغضُهم ، والحَطَبُ آلةٌ عظيمةٌ من آلاتِ المَعاشِ ؟ لولا الحَطَبُ لعُدِمَ الجَمْرُ ، ولو عُدِمَ لَتفاقَمَ الأَمْرُ . أَوَ ليس العربُ يَفتخِرُ أَحدُهم بأَنه يَحْطِبُ أَهله وأَصحابَه ، ويَذُمُّون مَن عجَزَ عن ذلك ؟ قال الراجزُ[2] :

تَسأَلُنِى عن بَعْلِها أَىُّ فَتى خَبٌّ جَبَانٌ وإذا جاع بَكَى
لا حطَبَ القومَ ولا القومَ سَقَى[3]

---

(١) كذا بالخرم فى النسختين . ومثلها رواية أبى العلاء فى (رسالة الغفران : ٥٤٩ ذخائر)
ورواه « المبرد» فى الكامل (٢/١٤١) : * فأصبح بطن مكة مقشعرا *
وأبو الفرج فى (الأغانى ١٥/٨ بولاق) : * وأصبح بطن مكة *
وانظر (الإبدال لأبى الطيب اللغوى ١/١٦٣ دمشق)

(٢) الشماخ (انظر ديوانه ١٠٧ واللسان : حطب)

(٣) الشطران الثانى والثالث ، أنشدهما الجوهرى فى (حطب) – ولم يسم الراجز ، شاهداً على : حطبك فلان ، إذا أتاك بالحطب . وهما فى (ل : حطب) للشماخ . =

* هشام بن المغيرة ، بن عبد الله بن عمر المخزومى ، أحد بنى ريطة السهمية ، ومن سادات قريش ورؤسائها فى حرب الفجار . وقد أرخت قريش بوفاته إعظاماً له (نسب قريش ٣٠١ وجمهرة الأنساب ١٣٥)

وفى الكامل للمبرد (٢/١٤٢) : وكان هشام بن المغيرة أجل قرشى حلماً وجوداً ، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل ، قال الشاعر : * زمان تناعى الناس موت هشام *
وفيه قال آخر : فأصبح (البيت) وآخر :

ذرينى أصطبح يا سلم إنى رأيت الموت نقب عن هشام .

وقال آخرُ :

أَلا ليت شعرى هل أَبيتَنَّ ليلةً بِسُعْدٍ ولمَّا تَخْلُ من أَهلِها سُعْدُ
وهل أَخْطِبَنَّ القومَ والريحُ قَرَّةٌ فُرُوعَ أَلاءٍ حَفَّهَا عَقِدٌ جَعْدُ[1]

وزعمتَ أنه كان إذا أُتِىَ بالعالِمِ أَمَرَ أن يُقتَصَّ منه. وأىُّ فرقٍ فى القِصاصِ بين العالمِ وبين الجاهلِ ؟ أليس فى الحديثِ المشهورِ : « المسلمونَ تتكافأُ دِماؤهم ويَسْعَى بذِمَّتِهم أدناهم، وهم يَدٌ على مَن سِواهم ؟ »[2]

ولعلك تذهبُ إلى أن العالِمَ تَشتدُّ عقوبتهُ على قدرِ عِلمِه . وليس الأَمرُ كذلك ، القِصَاصُ يتساوَى فيه الجاهِلُ وسِواه .

ولقد سَمِعتُك أطنبتَ فى ذمِّ البَزَّازينَ ، فليتَ شِعرى ما حَمَلَك على ذلك وإنَّ فيهم لَرجالاً صالحينَ يُقيمون الصلاةَ ويؤتون الزكاة ويتفقهون فى الدينِ ويَتْلُون كتابَ اللهِ، ويَصدُقون الحديث ويَكفُّون أَلسنتَهم عن قولِ المُنكَرِ ولا يَرغبون فى استماعِ الغِيبةِ ؟ وفيهم جُهَّالٌ كما يكونُ ذلك فى أَهْلِ الصنائع . وكيف السبيلُ إلى أن يكونَ الناسُ كلُّهم سَواء فى الخَيْرِ ؟ هذا مالم تَجْرِ العادةُ بِمثلِه . أليس فى الحديث : « لا يزالُ الناسُ بِخَيرٍ ما تَفاضَلوا ، فإذا تَساوَوا هَلَكوا » ؟[3] وكذلك قالوا (114)

= والرواية فيها للشطر الثانى : * خب جروز وإذا جاع بكى * الخب اللئيم ، والجروز الأكول. ورواه ابن جنى فى (خص ٢ /٣٣٧) فصل الساكن والمتحرك، : * خب حطبء * بكسر الحاء والطاء وتشديد الباء ، وهوعنده من حركات الإتباع .

(١) سعد : موضع . والألاء ، بالفتح : شجر حسن المنظر مر الطعم (ق : ألا) والعقد : الرمل المتعقد (ص) .

(٢) انظر الحديث الشريف فى الصحيحين ، وشرحه فى (النهاية فى غريب الحديث : ذمم)

(٣) قال ابن الأثير فى شرح الحديث : معناه أنهم إنما يتساوون إذا رضوا بالنقص وتركوا التنافس فى طلب الفضائل ودرك المعالى . وقد يكون ذلك خاصاً فى الجهل ، وذلك أن الناس لا يتساوون فى العلم وإنما يتساوون إذا كانوا جهالا (النهاية فى غريب الحديث : باب السين مع الواو) .

فى المَثَلِ إذا ذَمُّوا القومَ : هم سَواسِيَةٌ كأسنانِ الحمارِ ، أى لا يَفضُلُ بعضُهم بعضاً . ولو كان الناسُ كلُّهم على الطريقِ الأَمْثَلِ لم تُعرَفْ لأهلِ الخيرِ فضيلةٌ .

ولو سَمِعَ هذه المقالةَ منكَ البَزّازونَ فى مَدينتِكَ هذه ، لَجَازَ أن يَحْلِفُوا بالمُغَلَّظَةِ من الأَيْمانِ لا باعُوا صَاحِبَكَ عَباءَةً يَدفعُ عنك بها مَعَرَّةَ القُرِّ وأذيَّةَ الكِدَانِ[1] .

وذكرتَ أن الناسَ يَفْرَقون من البَزّازينَ ويتوقَّعون الدوَاهىَ مِنْ قِبَلِهم .

ولا نعرفُ شيئاً مما قلتَ . بل أهلُ البَزِّ أصحابُ رِفقٍ ودَعَةٍ . رِيحهُم ساكنةٌ وطَيرُهم واقِعَةٌ وليلهُم نائمٌ ونهارُهم قارٌّ . ورُبَّ خطيبٍ فى بَلَدِه وآخَرَ يَؤُمُّ فى مَحَلَّتِه ، لا صِناعةَ لهم إلا بيعُ البَزِّ . وطال ما دَخَلَ المُضطَرُّ إلى المِصْرِ ومعه مالٌ ومتاعٌ يُريدُ أن يضَعَه عند أهلِ الثقَة ، فيُشاوِرُ أهلَ النصيحةِ فيُرشِدونه إلى بَزّازٍ فى ذلك المِصْر .

لعلك اشتُرِى لك فى بعضِ الأيامِ عَباءَةٌ فوجدتَها غيرَ موافِقةٍ فوَقَرفى نفسك بُغْضٌ للبزازين . وإنما تُؤخَذُ لك العَباءَةُ من قومٍ يَبيعون الخُلْقَانَ يَغلِبُ عليهم السَّفَهُ ويظهرُ منهم الطمعُ . وليس ينبغى أن تَلْعَن مُرادًا أو السَّكُونَ[2]

---

(١) من معانى العر فى اللغة : الشدة والأذى . والمعرور : المقرور ، ومن أصابه أذى لا يستقرعليه (ق) والكدان : الحبل

(٢) [أو السكون] من (ف) وحدها .

مراد : بطن من يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهومراد بن مالك بن أدد بن زيد ، أخوسعد العشيرة .

والسكون ، بفتح السين : بطن من كندة ، وهو السكون بن أشرس بن كندة ، كهلانى كذلك ، يلتقى نسبهم مع مراد ، عند أدد بن زيد بن يشجب .

(جمهرة الأنساب ٣٨٢ : ٤٠٣) .

لأَجْلِ ما صنعه «ابنُ مُلْجَمٍ*» من المُنْكَرِ. ولا يَجِبُ أن يُحكَمَ على ثقيفٍ كلِّها بالكُفْرِ لمكانِ «الحجَّاج*» . قد علمتَ أن الأَخَوين لا يَستَويانِ فى الخَلِيقةِ ولا فى المَنظَرِ ، فكيف يَستوى أصنافُ الناسِ فى آفاقِ الأَرَضِينَ؟

(٥٦) وذكرتَ || شَظَفًا من عَيْشِ البَزَّازِ وأنه يكونُ عارياً لا يَصِلُ إلى الدِّفْءِ . وقد شهِدَ رَبُّكَ على كذبِكَ . إنهم لَأَصحابُ ملابسَ ومطاعمَ ، وفيهم

(115) الغنِىُّ || والواجدُ ، يلبَسُ الشُّفوفَ القِبطيةَ إذا صاف ، والسُّبوبَ الغاليةَ إذا شتَا الناسُ[1] . وفيهم أهلُ مروءةٍ يَنَالُ بِرَّهم الضعيفُ الطارئُ وعابرُ السبيلِ . وكلُّ مِصْرٍ تَسلُكُ فيه تجدُ أهلَ هذه الصناعةِ من أَحْسَنِ أهلِه لِباساً فى قُرٍّ وحَرُورٍ .

ونَفَرتَ من الخزَّازِ نِفارَ مُبغِضٍ مُثيرٍ للشَّحناء .

وزعمتَ أن الرجلَ إذا كان بَزَّازًا خزَّازًا فإنه من قِصَّتِه ومن شأنِه . .

ومِن أين لك عِلمٌ بالخَزَّازين ، وما بَلَدُك بلَدَ خَزٍّ ولا قَزٍّ ؟ لو كنتَ بِـ «دمَشق أو الكوفةِ» لَجازَ أن تدَّعِيَ عِرفاناً بالخزازين ! ورُبَّ خَزَّازٍ «بالكوفةِ» أجمع على صَلاحِه الناسُ .

(١) السبوب : جمع السب ، بالكسر : العمامة ، وشقة رقيقة ، كالسبيبة . ويجمع أيضاً على : سبائب (ق) .

* عبد الرحمن بن ملجم، المرادى الخارجى، لعنه الله . اغتال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، بضربة فى يافوخه ، صبيحة يوم الجمعة وهو خارج إلى الصلاة ، فى السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ . وذكر المؤرخون أن «قطام بنت شجنة بن عدى الذهلية» وكانت خارجية، قتل أبوها شجنة وأخوها الأخضر بن شجنة يوم النهروان. وخطبها ابن ملجم فجعلت مهرها قتل أمير المؤمنين الإمام على . انظر مع تاريخ الطبرى وابن الأثير ، أحداث سنة ٤٠ هـ: (مقاتل الطالبيين للأصفهانى، وجمهرة الأنساب لابن حزم : ١٨٩ ، والإصابة ٥٠١/٢ ، وابن سعد ٣ - ١١/١ .

* الحجاج بن يوسف الثقفى = ١٧٩ .

وانظر نسبه فى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن ، فى (جمهرة أنساب العرب ٢٥٥).

وعظمتْ مَذَمَّتُك للرجُل إذا كان بزَّازًا خزَّازًا قزَّازًا . وما أنت وأهلَ هذه الصنائعِ ؟ إنما حاجَتُكَ إلى عَبَاءةٍ من اللَّبَدِ وصُوفٍ يُملأُ به قُرطانُك[١] . فإن استعملك صاحبُكَ فى حَمْلِ الوُسُوقِ فما أَحْوَجَكَ إلى إكافٍ ! فأَمَّا الخَزُّ والبَزُّ والقَزُّ فشَغَلَه عنك الأَغنياءُ من بنى آدَمَ. ولَعَمْرِى إن المُلوكَ ربما جَلَّلَت الخَيلَ الكريمةَ بالغالِيَةِ من الثيابِ[٢]. فأَمَّا أنت ورَهْطُك فما أَبْعَدَكَ من وَشْيٍ وحرير ! وربما[٣] مُسِحَتْ وجوهُ الخيلِ المجاهدةِ بالخُمُرِ ونحوها . ولمَّا فتح رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ « مكَّةَ » لَقِيَتْه النساءُ يَمْسَحْنَ وجوهَ خَيْلِه بالخُمُرِ يَتَبَرَّكن به صلى الله عليه وسلم . فالتفت إلى أَصحابِه وهو يتبسَّمُ فقال : « كأَن ابنَ الفُرَيْعَةِ* ينظرُ إلينا » يعنى قول « حسانَ » :

* يُلَطِّمُهنَّ بالخُمُرِ النساءُ *[٤]

---

(١) قرطانك : برذعتك (ف) .

وفى اللسان : القرطان ، والقرطات ، بضمها وتكسر القاف فيهما : للسرج ، كالوليَّة لرحل الدواب .

(٢) فى ض : (الغالية من الثياب) وتجليل الفرس ، إلباسه الجل ، بالضم ، واحد جلال

(٣) [ربما] فى (ض) .

(٤) صدر البيت : * ينازعن الأعنة مسرعات * يعنى الخيل . من همزية حسان بن ثابت فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

أخرج « البيهقى » فى الدلائل عن عبد الله بن عمر ، قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ، رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم وقال : يا أبا بكر ، كيف قال حسان؟ فأنشده :

عدمت ثنيتى إن لم نزرها تثير النقع مطلعها كداء
ينازعن الأعنة مسرعات يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها من حيث قال حسان » نقله السيوطى فى (شرح شواهد المغنى ٢٨٨) .

* ابن الفريعة : هو حسان بن ثابت (ف) = ١٧٨

أمه « الفريعة بنت خالد الأنصارية » من بنى الخزرج بن كعب بن ساعدة (الاستيعاب ٥٠٧) .

وأما ذِكرُكَ الرجلَ الموصوفَ بالجَفاءِ وغِلَظِ البشرةِ وخشونةِ المَلبَس . وزعمتَ أن الخَزَّ يُدْمِي جِلدَه . فإنْ كان كلُّ ناعمٍ يُدْمِيه ، فلعلَّ تلك خاصَّةٌ فى ذلك الرجُلِ كما أن الجِعلانَ تَضرُّ بها الرائحةُ الطيِّبةُ . فإن زعمتَ أن تلك عادةٌ لِلخَزِّ معه ، دون الوشْيِ والحريرِ وغيرِهما من الناعماتِ ، فقد || أَحَلْتَ فى إخْبارِك وناقَضتَ[١] . (116)

وسَمِعتُكَ أَحْلَلتَ قتلَ الخيَّاطِ أينما وُجِدَ فى طريقٍ أو مسجدٍ ، ولم تَقُلْ فى جماعةِ الخياطين إلا خَيْرًا . فكأنك ذهبتَ إلى الحديثِ المَروِيِّ : « الواحِدُ شيطانٌ والاثنانِ شيطانانِ والثلاثة نَفَرٌ » . وإلى حديثٍ يُروَى عن «مُعاذِ بنِ جَبَلٍ* » أنه قال : «عليكم بالجَماعةِ فإن الذئبَ إنما يَطمَعُ فى الشاةِ القاصِيَةِ » وفى حديثِ « ابنِ الشَّنِيَّة* » أنه قال : دخلتُ المسجد فإذا رجُلٌ مُلْتَفٌّ بعَباءَةٍ قاعدٌ وحدَه وهو يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول : «الوَحْدةُ خيرٌ من جليسِ السوءِ ، وجَليسُ الصدْقِ خيرٌ من الوَحدةِ ، والسكوتُ خيرٌ من إملاءِ الشرِّ ، وإملاءُ الخَيرِ أفضلُ من السكوتِ» فسألتُ : مَن هذا ؟ فقيل : «أبو ذَرٍّ ، صاحبُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم* »[٢]

فكيف بلغتَ فى عقوبةِ الخيَّاطِ إذا انفردَ ، إلى القتلِ ولم تَقتصِرْ به

(١) أحلت : ذهبت إلى المحال (ف) .

(٢) تخريجه فى (كشف الخفا ٢/٤٤٥ ح ٤٨٩٣) وانظر أيضًا فى المستدرك من التوضيح على هامش الإكمال ٥/٨٦ .

* معاذ بن جبل ، بن عمرو بن أوس ، من بنى جشم بن الخزرج ، الأنصارى الخزرجى ، أبو عبد الرحمن . أحد الذين شهدوا العقبة الكبرى من الأنصار . ثم شهد بدراً والمشاهد كلها (الاستيعاب رقم ٢٤١٦) وانظر حديث معاذ فى الصحيحين :

* ابن الشنية : عبد الله بن الشنية ، تابعى روى عن أبى ذر حديث الوحدة (الإكمال ، هامش ٥/٨٦) .

* أبو ذر الغفارى الصحابى : المشهور فى اسمه : جندب بن جنادة ، من بنى حرام بن غفار . من السابقين الأولين . (الاستيعاب رقم ٣٣٩ ؛ جمهرة الأنساب ١٧٥) .

على الزجْرِ والتعزير ؟ إنك لَقليلُ المعرفةِ بالفِقه. ربما كان الخياطُ ناسكاً قارئاً وبُلِيَ بمجالسة قَوْمٍ أَوْغابٍ[١] فاختار الوَحدةَ ليَبعُدَ من أولئك القومِ .

وقتلُ الخيَّاط أيسرُ من أكلِ لحمِ الخَبَّازِ والخبَّازةِ ، لأنهما لا يؤكَلانِ وهما في الحياة . اللهمَّ إلا أن يكونَ أكلُ المَيْتةِ جائزًا في مَذهبِك عند غيرِ الحاجةِ والضرورةِ . ولو عرَف باعةُ الخُبزِ هذا من رأيك ، لَما وصَلَ أَحَدٌ يَعْلِفُك ويَسقيكَ إلى ابتياعِ قُرْصٍ من بُرٍّ أو شعيرٍ ، حِقدًا عليك وإنكارًا لما قَبُحَ من سَريرتِكَ . فكان يُدرِكُ نَكَدُك مَن يَسُوسُكَ .

وإن كنتَ عنيتَ بما ذكرتَ ، الغيبةَ من قوله تعالى :

« ولا يَغتَبْ بعضُكم بعضاً أيُحِبُّ أحَدُكم أن يأْكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فكرهتموه »[٢] .

فإن الغيبةَ مَنهِيٌّ عنها في كلِّ المِلَلِ . وفي بعضِ الحديثِ : « مَا كرهتَ أن تُواجِه به أخاكَ فهو غيبةٌ » وفي حديثٍ آخَرَ : « اذكروا الفاسقَ || بما فيه »[٣]. (117ا

فكأنك ذهبتَ إلى أن الخبَّازَ فَسَقَ فحلَّت غِيبتُه للمغتابين . فأىُّ فائدةٍ في هذا القولِ ؟ إذا صَحَّ هذا الحديثُ فكلُّ مَن فَسَقَ من المسلمين لم تُحظَرْ غيبتُه على الناسِ .

وقد فهمتُ قولَكَ عن القاضي الذى تتكلمُ [المَضِيرةُ بين يديه . ومن اجترأ على الكذبِ لم يَرْضَ منه بالقليل . لو جاز أن تَتكلَّمَ المَضيرةُ] [٤]

(١) أوغاب : حمق (ف) جمع وغب – كوغد وأوغاد – وهو الأحمق ، واللئيم الرذل ، وسقط المتاع (ق) .

(٢) من الآية ١٢ : سورة الحجرات . والخطاب فيها للذين آمنوا .

(٣) أخرجه الخطيب أبو بكر في (الكفاية ٤٢ ط الهند بلفظ مقارب ، وهو مخرج في كشف الخفا ١١٤/١ ح ٣٠٥ .

(٤) ما بين المعقوفتين ، سقط من متن (ف) وأضيف على الهامش لحقاً .

ومعه الطرة « المضيرة : طعام يطبخ باللبن الماضر وهو الحامض » (ف) .

لجَاز أَن تَخطُبَ الهَرِيسةُ فتقولَ إذا وُضِعَتْ بين القومِ : « رِفْقاً رِفقاً ،
(٥٧) لقد لقيت من بنى || آدمَ بَدِيعاً ، إذ جمَعونى من شَتٍّ ثم جعلونى فى قِدْرٍ ولم يَقتنعوا لى بالنارِ والحَطَبِ حتى ضربونى بالمِخْبَطِ كأَنى زانيةٌ أَو مُفتَرِيَةٌ ، ثم قرَّبونى بعد ذلك فأَكلونى . الأَكلُ سَلَجَانٌ والقَضاءُ لَيَّانٌ[1] ، يا ابنَ آدمَ أَكلاً أَكلاً وشُرْباً شُرباً . سوف يأْكلُكَ القَدَرُ ويَشربُكَ ، ولِكُلِّ أَجَلٍ كتابٌ » .

ولو خَطَبَت الهرَيسةُ ، لجَاز أَن تكون السِّكْبَاجُ صاحبةَ خبَرٍ على طاهى السُّلْطانِ ، فتُنهِيَ إليه ما صنَع فى مَطبَخه من خِيانةٍ وتفريطٍ . ولو فعلتِ الصفْصَفةُ ذلك ، لم يَمتنعْ أَن تُغَنِّيَ الطَّبَاهِجَةُ[2] ، ولجَاز أَن يوضَعَ الحَمَلُ على الخِوانِ فيسأَلَه الحاضرون لأَكْله : كيف كان تَنُّورُكَ ؟ فيقول : كان حارًّا مُنضِجاً . ويُخبرُ عمَّا أَخذَه من المِلْحِ ، أَبِقَدَرٍ كان أَم بِسَرَفٍ أَم بتقصيرٍ ؟ ويقولُ لبعضِ الآكلينَ : كُلْ من مَوْضِعِ كذا منى فإنه أَطيَبُ وأَنْضجُ . ولجَاز أَن يُخبِرَ عن حرارةِ المُدْيةِ وهل أَحَسَّ بَرْدَ حَدِيدِها فى وَدَجَيْه ؟ ولجَاز أَن يُحدِّثَ عن حالِه فى السَّمْطِ . وهل كان الذى فعل به ذلك رفيقاً فيما صنعَ أَم عنيفاً ؟

وما تُنكِرُ ، إذا زعمتَ أَن المَضِيرةَ تتكلمُ ، على مَن يَزْعُمُ أَن الجُوذابَةَ[3]

---

(١) سلجان ، مصدر سلجه إذا بلعه . وليان : مصدر لوى (ف ، ض) والمثل بلفظه فى (مجمع الأمثال ١/٤١) فسره الميدانى : السلج البلع ، يقال : سلجت اللقمة ، بلعتها . والليان : المدافعة ، ومثله اللى . ومنه : لى الواجد ظلم . . . يضرب لمن يأخذ مال الناس فيسهل عليه ، فإذا طولب بالقضاء دافع وصعب عليه .

(٢) الصفصفة ، يقال إنها السكباج أيضاً (ض) .
وفى القاموس : الصفصفة ، السكباجة ، والصفيف : ما صف على الجمر لينشوى .
والطباهجة : طعام فيه دجاج وسكر وأرز وشحم (ف) .

(٣) الجوذابة : أهمله الجوهرى . وفى (ق : جذب) : الجوذاب بالضم ، طعام يتخذ من سكر ورز ولحم .

تقولُ الشِعْرَ وأَنّ الفالوذَ مُسَامِرٌ وصاحبُ مَلاَه ؟

وذكرتَ أَن أَهلَ الشامِ كلَّهم يُبغضون الأَبَّارِينَ وكذلك أَهلُ العِرَاقِ ، ولا يُبيحون قَتلَهم إلا بحَقٍّ .

فما الذى فعَلهُ بكَ الأَبارون ؟ لولا الإِبرُ لَفُقِدتْ السرابيلُ ، وإنما تصيرُ السبيبةُ || ثوْباً بالإبرةِ. وغيرُ الأَبَّارينَ أَوْلَى بالمُقْتِ . إنما يَنبغى أن يُمقَتَ الهالِكِى الذى يَعْملُ الأَسِنَّةَ ونِصالَ السهام ويَطبَعُ السيوفَ فيكونُ ذلك مؤدِّياً إلى هلاكِ سُوَقٍ من القومِ ومُلوك . ولعل فى الأَبَّارينَ من لم يَسْفِكْ دمَ مُسلمٍ قطُّ ؛ وأَكثرُهم على هذه الحالِ . فأَما الإبرةُ فليستْ من آلاتِ القتلِ . وما نعلمُ أَحدًا قُتِلَ بإِبْرةٍ إلا أَن يَجىءَ نادرًا من القَدَرِ . فأَما السيفُ والسِّنانُ والنَّصْلُ فقَتلاهُنَّ تَحدُثُ من الدهرِ الجديدِ . (118)

ثم أَطلقتَ القتلَ على الأَبَّارةِ ؛ والمرأَةُ أَضعفُ من الرجُلِ وأَحَقُّ بالصيانة . فما جَرَّت البائسةُ عليكَ . ولعلها من اللواتى قال فيهن رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « أنا وَسفعاءُ الخَدَّين يومَ القيامةِ كهاتين »[1] يعنى بِسفعاء الخدَّين امرأَةً أَشبَلَتْ على ولَدِها وصبرتْ على الشقاءِ . ولم تَجْرِ عادةُ النساءِ أَن يَلِينَ شيئاً من هذه الصنائعَ : قَلَّما ترى امرأَةً حَدَّادةً ولا نَحَّاسةً ولا نَسَّاجَةً كما ينسِجُ الرجَالُ فى الأَمصار . فإن اتفقَ أَن تُرَى امرأَةٌ صَنَّاعَةً فتلك من نوادِرِ الزمنِ . وإنما يحمِلُها على ذلك مِراسُ الشِّقوةِ ، والشفقَةُ على الأَطفالِ .

وفهمتُ ماذكرتَ عن القاضى الذى وصفتَه باستعمالِ صنوفِ اللبَنِ ثم نفَيتَ ذلك عنه ؛ غيرَ جامعٍ بين آخرِ كلامِكَ وأَوَّلهِ ولا ناظرٍ فى

(١) بعده : وضم إصبعيه . فسره ابن الأثير : السفعة نوع من السواد ليس بالكثير . وقيل هوسواد مع لون آخر . أراد – صلى الله عليه وسلم – أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى شحب لونها ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها والحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب ح ٥١٤٨ .

معنى ما قلتَ . فمَثَلُك فيما فَرَطَ منك مَثَلُ الذى يُكذِّبُ نفسَه فيما قال فيُثبتُ شيئاً ثم يَنفيه ، أَو يَنفيه ثم يُثبتُه كما قال «زُهَير* » :

قِفْ بالديارِ التى لم يَعْفِها القِدَمُ   بَلَى وغَيَّرها الأَرواحُ والدِّيَمُ[١]

وقال «أبو عطاءِ السِّنْدىُّ* » :

فإنك لم تَبْعُدْ على مُتَعَهِّدٍ   بَلَى كلُّ مَنْ تحتَ الترابِ بعيدُ[٢]

ومن بديعِ ما ادَّعيتَ ، أن قَصَّاباً يذبَحُ صِغارَ الضأْنِ وكبارَها (II9) ولم يذبَحْ خروفاً قط ! ولو سَمِعَكَ أَهلُ هذه || الصناعةِ لهَزِئوا منك . ولووجدك قصَّابٌ وأَنت قد خُلِّيتَ وشأنَك لزَمَانتِك وعجزِك ، فقَدَرَ أن يَبيعَ لَحمَكَ على أنه لَحْمُ خروفٍ ، لَفَعلَ . وكيف له أن يَجِدَك فى بعضِ الظروفِ ولا بَقِيَّةَ فيك فيَبيعَكَ على أنك خروفٌ رضيعٌ ! وأَخبارُ العرب لا تمتنعُ من ذبحِ الخروفِ والشاةِ فكيف يَمتنعُ من ذلك مَن هو متعيِّش به ؟ قال الشاعر :

تركتُ ضأْنى تَوَدُّ الذئبَ راعيَها   وأَنها لا ترانى آخِرَ الأَبدِ

---

(١) مطلع قصيدته الميمية ، يمدح هرم بن سنان بن حارثة المرى . قيل : عنى أن بعضها عفا وبعضها لم يعف . وقال أبوعبيدة : أكذب نفسه فى: لم يعفها، ثم رجع فقال : بلى (شرح الديوان : ١٤٥) . والأرواح جمع رياح ، والديم جمع ديمة (ف) .

(٢) يرثى عمر بن هبيرة ، وقبله :

فإن تمس مهجور الفناء فربما   أقام به بعد الوفود وفود

أنشدهما فى (ل : عهد) — لابن عطاء السندى ، شاهداً على المتعهد : المحافظ للعهد . والقصيدة ، أوأبيات منها، فى الحماستين ، والشعر والشعراء ، وأمالى القالى (١ / ٢٧١) والذيل (٤٥) وسمط اللآلى (١ /٦٠٢) وشرح أدب الكاتب (١٢٤) لابن عطاء السندى يرثى ابن هبيرة . وهى فى (أمالى المرتضى ١ /٢٢٣) لمعن بن زائدة فى رثاء ابن هبيرة !

* زهير ، بن أبى سلمى = ١٣٤

* أبو عطاء السندى : مرزوق، أفلح بن يسار ، مولى بنى أسد بن خزيمة . من شعراء الدولتين وشعراء الحماستين. وانظر (الشعروالشعراء ٢ / ٦٥٢ ب ، ومعجم المرزبانى ٤٨٠ ، وتاريخ الطبرى ٩/١٤٦) .

الذئبُ يطرُقُها فى الدهرِ واحِدةً   وكُلَّ يومٍ ترانى مُدْيَةٌ بيَدِى[١]

(٥٨) وهم يفتخرون بذبحِها للضيفِ وسلخِها بأَيديهم .

قال الشاعرُ :

إذا لم يكنْ رِسْلٌ ببَرْقٍ فمُدْيةٌ   وحبلٌ به أَوصالُ بَرْقٍ تُطوَّحُ[٢]

بِكفَّىْ فتىً لم يَدْرِ ما السَّلْخُ قبلَها   تَجولُ يَداه فى الأَديم وتَجْرَحُ

وقال آخرُ :

كأَنكَ لم تذبَحْ لِأَهلِكَ نَعجةً   فيُصبِح مُلْقًى بالفِناءِ إهابُها[٣]

أَتظُنُّ القَصَّابَ يَرحمُ الخروفَ لِصِغَرِ سِنِّه؟ فما الذى صَرف رحمتَه عن الرِّخْلِ[٤] وهى إذا أُعفِيَتْ من المُديةِ كانت أَخلقَ بمنافعِ الناسِ ، لأَنها[٥] تَصيرُ شاةً تُحلبُ وتُنتَجُ ، ويجوزُ أن يَنمِىَ من الشاةِ الواحدةِ وَقيرٌ عظيم[٦] ؟ وإذا تُرِك الخروفُ فإنما المنفعةُ به جَزُّه أَو فِحْلَتهُ ، والكَبْشُ الواحدُ يُغْنِى للفِحْلةِ عن اتخاذِ ما كثرَ من فحولِ الغنمِ . وإنما الفضيلةُ عند الصُّعْلوكِ لِلشاةِ لا لِلكَبْشِ ، لأَن المنفعةَ بالشاةِ أَعَمُّ .

---

(١) البيت من شواهد (الكتاب ، والمغنى) على جواز الابتداء بالنكرة إذا وقعت فى أول جملة حالية : مدية بيدى. والبيتان من مختار أبى تمام من شعر (الأضياف والمديح) ولم ينسبها لقائلها.وروايته فى (ديوان الحماسة ٢/٣٦٦) كما هنا . وانظر أقوال النحاة فى إعرابها ، بشرح شواهد المغنى : ٢٩٢ .

(٢) الرسل ، بالكسر : اللبن . وقد أرسل القوم أى صار لهم اللبن من مواشيهم . أما الرسل بالتحريك . فهو القطيع من الإبل والغنم . والجمع أرسال (ص) . وبرق : ناقة (ف) والتطوح : أن تذهب وتجىء فى الهواء (ص) .

(٣) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ . والجمع : أُهُب ، على غير قياس ، مثل أديم وأدم . وقد قالوا : أهب ، بالضم ، وهو القياس (ص) .

(٤) الرخل : الأنثى من أولاد الضأن . والجمع رخال ، بالضم ، ويجوز بالكسر (ص) .

(٥) فى ض [لأنه]

(٦) الوقير : القطيع الضخم من الغنم ، زعموا أنه خمسمائة (ف) .

ولعلكَ تَعنِي أن الخروف ها هنا اسمُ إنسانٍ بعينهِ ، لأَن الأَسماءَ يتسعُ فيها المُسَمُّونَ ، فيكونُ خروفٌ ها هنا مِثلَ قيراطٍ فى قول الراجزِ :

شَربتُ بقيراطٍ وروَّيْتُ صُحْبَتِى ورُحتُ ولى عند التِّجارِ دراهِمُ

|| وقيراطٌ : اسمُ مُهْرٍ كان له . (120)

وإن كان القصابُ يتكبرُ عن ذبحِ الخروفِ، يُريدُ ماهو أَكبَرُ منه ، فَلَعمرى إن الخروفَ مما يُتَهاوَنُ به . قال الشاعرُ :

عتَبتْ عَلَىَّ لِأَنْ شَربتُ بِصُوفٍ ولئن عتبتِ لأَشربَنْ بِخروفِ[١]

ولئن عتبتِ لأَشربَنَّ بِنعجةٍ ذَرآءَ من بعد الخروف سَحُوفِ[٢]

---

(١) البيت الأول ، من شواهد المغنى (رقم ٣٨٧) وروايته :

غضبت على لأن شربت بجزة فلإذ غضبت لأشربن بخروف

قال ابن هشام : وأغرب ما دخلت عليه اللام : إذ ، وذلك لشبهها بأن . ونقله السيوطى فى شرح الشواهد : * فلأن غضبت لأشربن بخروف * من قصيدة لذى الرمة أنشدها الجاحظ فى البيان والتبيين .

والذى فى البيان (٣/٢٠٦ ط التجارية بالقاهرة ١٩٣٦ بتحقيق الأستاذ السندوبى) أن البيتين قالهما عبدٌ راع ، لم يسمه الجاحظ .

والأبيات الفائية ، رواها القالى فى أماليه (١/١٥٠) بإسناد إلى الأصمعى ، قال : اشترى أعرابى خمراً بجزة من صوف فغضبت عليه امرأته ، فأنشأ يقول : الأبيات . وروايته فى البيت الأول : * غضبت على * ثم فى الأبيات الأربعة بعده * « ولئن غضبت *

وفسر القالى الغريب فيها : الصفوف التى تصف بين رجليها عند الحلب ، ويقال التى تصف بين محلبيها . والسحوف : التى لها سحفتان من الشحم أى طبقتان .

نقله السيوطى أيضاً فى (شرح شواهد المغنى ٢٠٧) ثم نقل بعده ، عن (كتاب الجليس) رواية المعافى بن زكريا عن أبى نصر عن الأصمعى ، للأبيات ، بمثل رواية أبى العلاء هنا . وأضاف إليه قول أبى بكر بن الأنبارى : وجدت بغير هذا الإسناد ، أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة أو أن تلذ بلقحة وخروف

فاشرب بكل نفيسة أوتيتها وملكتها من تالد وطريف

وارفع بطرفك عن بنى فإنه من دونه شغب وجدع أنوف

وعن السيوطى ، نقلها السندوبى فى شرح البيان للجاحظ .

(٢) ذرآء : فى رأسها بياض . وصفوف – فى البيت بعده – جامعة بين محلبين فى حلبة وحداة . والقريف : الهجين (ف) .

وَلَئِن عَتَبتِ لأَشربَنَّ بلِقْحَةٍ صهباءَ مائلةِ الإِناءِ صَفوفِ
ولئن عتبتِ لأَشربنَّ بِسَابحٍ ما فيه من هُجْنٍ ولا تقريفِ
ولئن عتبتِ لأَشربنَّ بواحدى ويكونُ صَبْرِى بعد ذاك حليفِى
ولقد شربتُ الخَمرَ فى حانوتِها صهباءَ صافيةً بأَرضِ الريفِ

أَلا ترى إلى تفضيلهِ النعجةَ على الخروفِ ، وتصييره إياها دون غيرِها من المتلَفات ؟

وزعمتَ أن فرسَ الجُندىِّ نُتِجَتْ خروفاً . وهذا مالا يُمكِنُ إلا أن يكونَ اللهُ قد مسخ الفرسَ شاةً . وقد جاء فى بعضِ الحديثِ أن رجُلاً من بنى إسرائِيلَ كان من أزهدِهم وأعبَدِهم ، فجعلوه حَكَماً بينهم لما عرفوه عنده من الأمانةِ . فاختصَمَ إليه يوماً رجُلانِ فى عِجْلٍ ، وكان أحد الرجلين له حمارة ، فمرَّ بالعجْلِ ضالاً فى الطريق فأَخذَه . وجاءَ صاحبُ العِجلِ فعرَفه فى يدِ صاحبِ الحمارة . فلما صارا بين يدى الحاكمِ قال لصاحب الحمارة : من أَين لك هذا العجل ؟ قال : ولدتْه حمارتى . قال الحكَم : لا أَقدرُ أَن أَقضِىَ بينكما فى هذا اليوم لأَنى طامثٌ . فإذا طهرتُ قضيتُ بينكما . قالا : وهل تطمثُ الرجال ؟ قال : وهل تَلِدُ الحميرُ البقرَ ؟

فعرف صاحبُ الحمارة أنه قد ظَهَر كذِبُه .

وادعيتَ أَنَ الجُندَ بخُراسانَ يركبون الخرفانَ . وكذَبتَ . قد سافرتُ إلى خراسانَ ورأَيتُ || الجُنْدَ بها يركبون بَراذِينَ غلاظاً قِصارَ الأَعناقِ . (121)

وقد جئتَ بما هو أَنكرُ من هذا فزعمتَ أَن الظِّباءَ بنواحى البَصْرةِ تَلِدُ الجحَاشَ . وأَبعدَك اللهُ كيف تشتملُ الظبيةُ على جحش ؟ وقد علِمتَ أَن ولَدَ الحِمارِ من الرَّمَكَةِ لا يُسَمَّى حِمارًا ولا بِرْذوناً ، وأَنَّ ولدَ الذئبِ من الضبُعِ لا يُسمَّى ذئباً ولا ضبعاً ؛ بل يُطلَبُ للجنسِ المُتَوَلِّدِ

من جِنْسَين ما يُخَصُّ به من الأسماء . فأَىُّ فَحْلٍ ينزو على الظبية حتى يكونَ ولدُها جَحْشاً ؟ أَحِمَارٌ أَهْلِىٌّ أم حمارٌ وحْشِىٌّ وذلك مُتَعَذِّرٌ فى القياس ؟ ولو صَحَّ ما ادعيتَه لجَازَ أن يَصِحَّ ما ادَّعاه الأعرابُ فى وَلَدِ «عمْرِو بنِ يربوع ابنِ حنظلةَ * » : يَزعمون أنه تزوج من السِّعْلاةِ فولَدتْ له أولادًا وأنْ أهلَها قالوا له : إنك ستَجِدُها خيرَ امرأةٍ ما لم تَر بَرْقاً . فكان «عمرٌو»
(٥٩) إذا رأى || البَرْقَ أَسْبَلَ على السعلاةِ السُّتُورَ . فغَفل يوماً عنها ولاحَ البرقُ فقعدتْ على بَكْرٍ من الإبلِ وقالت

أَمْسِكْ بَنيكَ عمرُو إنى آبِقُ بَرْقٌ على أَرْضِ السعالى آلِقُ[1]

وذهبَتْ ، فكان آخرَ عهدِه بها . فقال « عمرٌو » شِعرًا يقولُ فيه :

رأى بَرْقاً فأَوضَعَ فوق بَكْرٍ فلا بِكَ ما أسالَ ولا أغاما[2]

ـ ذكَّرَ ، وهو يريدُ السِّعلاةَ ، لأنه قد ذهَبَ إلى الخَليلِ أو الحَبيبِ أو نحوِ ذلك ـ فقد ذكرَ هذا الحديثَ «أبو زَيْدٍ * » فى «(نوادِرِه) وحَكَاه عن «المفَضَّلِ بنِ محمدِ الضبِّىِّ * » واشتهر هذا الخَبرُ فى العربِ حتى سَمَّوا ولَد

---

(١) الشاهد ، بروايته هنا ، فى نوادر أبى زيد وتنبيه البكرى ، والجمهرة ، مع خبر عمرو والسعلاة.

(٢) رأى : أراد السعلاة ، وتذكير الفعل ، ذهب به إلى الخليل أو الحبيب . كما وجهه أبو العلاء فى الفقرة بعد البيت . أسالَ وأغام : أتى بالسيل و بالغيم .

* عمرو بن يربوع بن حنظلة ، بن مالك بن زيد مناة بن تميم (جمهرة الأنساب ٢١٣) انظر خبره مع السعلاة فى : جمهرة ابن دريد ٣ /١٥٢ وتنبيه البكرى ٢ /٦٨ وسمط اللآلى ٢ /٧٠٣ ونوادر أبى زيد ١٤٧ .

* أبو زيد : سعيد بن أوس الأنصارى الخزرجى البصرى. = ١٩٧ ..إ وكتابه (النوادر) ، ذكره القفطى مع ترجمة أبى زيد سعيد ، فى (إنباه الرواة ٢ /٣١) .

* المفضل بن محمد الضبى : أبو العباس من بنى ضبة بن أد (جمهرة ١٩٤) . الكوفى اللغوى الراوية الإخبارى . كان ثقة مأموناً ، قال ابن سلام فى (الطبقات ١٦) : أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقه ، من غير أهل البصرة ، المفضل الضبى : اختار للمهدى العباسى القصائد (المفضليات)=

عمرِو بنِ يربوعٍ : بَنِى السعلاةِ . قال الراجز(١) :

ياقبَّحَ اللهُ بنى السعلاةِ عمرَو بنَ يَربوعٍ شرارَ النَّاتِ
ليسوا بأَخيارٍ ولا أَكياتِ

(122) وقد زعم بعضُ أصحابِ الأَخبارِ || أن « يَلمَقَة بنتَ يَلْبَ شرْحَ » وهى الملكةُ التى تُسمى « بِلقِيسَ* » كانت أمُّها من الجنِّ . ومن الأَخبارِ التى يرويها « ابنُ دَأْبٍ* » أن « مَعَدَّ بنَ عدنانَ » تزوج امرأةٍ من الجنِّ فجاءه منها ولدٌ يُسمى « الضحَّاكَ »* ، وأنه لَحِقَ بالشياطين وهو الذى يُسمى : المُذهَبَ ، يَعْرِضُ للقُرَّاءِ والمتَنَسِّكينَ يوهمُهم أن طُهورهم لم يَصحّ ، حتى يُعيدُوه .

= المشهورة . نشرها المستشرق ليال سنة ١٩٢٠م ، ثم طبعت فى مطبعة اليسوعيين ببيروت ، ودار المعارف بالقاهرة . وذكر له ابن النديم مع المفضليات ، كتابه الأمثال ، ومعانى الشعر ، والألفاظ . ترجمته بتفصيل فى (نزهة الألبا ٦٧ ، وطبقات القراء ٢/٣٠٧ ، والإنباه ٣/٢٩٨ وتاريخ بغداد ١٣/١٢١) — وانظر تقديم الأستاذ الطحاوى لكتاب (الفاخر ، لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم — ٢٩١ هـ) .

(١) الراجز : علباء بن أرقم ، كما فى نوادر أبى زيد ١٤٧ وتنبيه البكرى ، عنه . والرجز فى (كتاب الإبدال) أنشده أبو الطيب اللغوى فى (باب التاء والسين ١/١١٧) والقالى فى أماليه (٢/٦٨) ونقل البكرى فى التنبيه قول الأخفش : هذا من قبيح البدل ، وإنما أبدل السين من التاء لأن فى السين صفيراً فاستثقله ، وهو من أقبح الضرورة ١/٤٥١ .
وانظر علباء بن أرقم اليشكرى فى معجم المرزبانى ٣٠٤ .

* يلمقة : بلقيس .
فى نسب التبابعة (جمهرة الأنساب ٤١٠ ، ٤١١) : منهم بلقيس بنت أيلى ، وأشرح بن ذى جدن بن أيلى . قال ابن حزم : « وفى أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ، ونقصان وزيادة . ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير ، لاضطراب رواتهم وبعد العهد »
والذى فى الموسعات من كتب التفسير من مقحم الإسرائيليات ، أن « أم بلقيس كانت من الجن ، يقال لها « بلعمة بنت شيصان » ! أما بلقيس فهى بنت شراحيل ، انظر تفسير آيات النمل ٢١ ، ٢٢ فى الطبرى ، والقرطبى (١٣/١٨٣)

* ابن دأب = ٢٦٨

* الضحاك بن معد بن عدنان ذكره « ابن حزم » ، (الأنساب ٨) مع نزار وإياد وقنص ، ولد معد بن عدنان . دون أن يشير إلى زواج معد من جنية . وفى (ق ، ص ، ت) المذهب : شيطان يتصور للقراء فيفتنهم عند الوضوء !

ولستُ مصدِّقاً شيئاً من هذه الأخبار ، وإنما قابلتُ كذبَك بمثله .

وذكرتَ أن راعياً فى الباديةِ يَحمِلُ جَحْشَه على يَدِه ومعه جَحْشانِ لا يُفارقانه ، مَوقِعُهما على جَنبيه .

ففِى أىِّ بادية تزعمُ ذلك ؟ أفى بادية مُضَرَ ، أم فى باديةِ ربيعةَ ، أم فى باديةِ اليمَن ؟ وهَبْه حَمَلَ جحشَه على يَده ، فكيف يكونُ معه جحشانِ موضِعهُما على جنبيه لا يُفارقانه إذا رقَدَ وإذا انتبه ؟ لقد وصفتَ هذا الراعِى بإلفِ الجِحاش ، فلعلكَ تزعمُ أن أباه كان حمارًا ، فليس ذلك بعجيب من قولِك .

وكأنى بك(١) ، لِسُوءِ رَأيكَ وفسادِ مَعْقولِك ، تَحتجُّ بما تَحكِيه الفقهاء فى المسأَلةِ المشتركةِ : هَبْ أن أباهم كان حِمارًا ؛ وأى حُجَّةٍ لك فى هذا ؟ لا يَدُلُّ هذا القولُ على أن الحِميرَ تَلدُ الأَنيسَ . ولو ادَّعيت أن هذا الراعى كان يـألَفُ الجحاش ويُرَبِّيها ، لَجاز أن يُسمعَ قولُك . لأَن الإِنْسَ ربما سَدِكَ به بعضُ البهائِم إذا أَحْسَنَ إليه . وقد رُوِىَ أن «عَمْرًا ذا الكلْبِ الهُذَلِىَّ*» إنما سُمِّىَ ذا الكلبِ لأَنه كان له كلبٌ لا يفارقُه أين ذهَبَ . و «عَمْرَةُ أختُ ذى الكلبِ*» هى الشاعرةُ الهذليةُ .

(١) فى ف : [وكأنى لسوء رأيك] .

* عمرو ذو الكلب الهذلى: شاعر جاهلى فارس، انظر مع ديوان الهذليين، معجم المرزبانى ٢١٦

* عمرة أخت عمرو ذى الكلب الهذلية : وقع فى ديوان شعراء هذيل أن اسمها جنوب (ف) .

الأبيات البائية لعمرة هنا ، فى (ديوان الهذليين ٣/١٢٤) من شعر «جنوب» ترثى أخاها عمراً ذا الكلب . ومعها مرثيتان أخريان لجنوب فى أخيها ، وهى الشاعرة الوحيدة التى ذكرت فى (شعراء الهذليين) برواية السكرى طبع دار الكتب المصرية .

وفى مختار المراثى بحماسة البحترى ، عشرة أبيات من هذه البائية ، ومعها المرثية اللامية : من مراثى أخت عمرو فى ديوان الهذليين :

سألت بعمرو أخى صحبه فأفظعنى حين ردوا السؤالا =

وكان « تـأَبَّط شرًّا * » وأَصحابهُ قَتلوا « عَمْرًا » فقالت أختُه :

أَبْلغْ بنى كاهلٍ عنى مُغَلْغَلَةً   والقومُ من دونِهم سَعْيًا ومركوبُ(١)

والقومُ من دونِهم أَيْنٌ ومَسْغَبةٌ   وذاتُ رَيْدٍ بها رَضْعٌ وأُسْلوبُ

فإِن ذا الكلبِ عَمْرًا خيرهم نَسَباً   ببَطْنِ شِريانَ يَعوِى حوله الذيبُ (123)

تَمشى النسورُ إليه وهى لاهيةٌ   مَشْىَ العَذارى عليهن الجلابيبُ

الطاعِنُ الطعنةَ النجلاءَ يَتبَعُها   مُثعَنْجِرٌ من نجيعِ الجوفِ أُسْكُوبُ(٢)

والمُخرِجُ الكاعبَ الحسناءَ مُذعنةً   فى السَّبْىِ يَنفحُ من أَردانِها الطِّيبُ

فاجزُوا تـأَبَّطَ شرًّا لا أَبا لكُمُ   صاعاً بِصاعٍ فإِن الذل معيوبُ(٣)

=والقصيدتان فى حماسة البحترى لعمرة أخت عمرو ذى الكلب .

وفى (اللسان : دعب ، سكب) بيتان من هذه المرثية البائية ، لجنوب الهذلية ترثى أخاها عمراً ذا الكلب .

ونقل السيوطى فى (شرح شواهد المغنى ٣٩) ٢٢ بيتاً من المرثية اللامية ، « عزاها أبو عمرو بن العلاء لعمرة بنت العجلان بن عامر الهذلية ، ترثى أخاها عمرا ذا الكلب ، وقيل : اسمها جنوب » .

ولكن الغريب من الأمر ، أن المرزبانى ترجم فى معجمه لعمرو ذى الكلب الهذلى ، بأنه شاعر قديم يقول :

كل امرئٌ بطول العيش مكذوب   وكل من غالب الأيام مغلوب

وهو مطلع القصيدة البائية لأخته « جنوب » فى ديوان الهذليين ، أو « عمرة » كما فى حماسة البحترى ، ورواية أبى عمرو بن العلاء فى شواهد المغنى ، وأبى العلاء ، هنا .

(١) فى طرة الحفصية : أول هذا الشعر :

كل امرئٌ طوال العيش مكذوب   وكل من غالب الأيام مغلوب

وكاهل : أبو قبيلة من أسد بن خزيمة . وسعياً ومركوب : موضعان .

(٢) فى الديوان : مثعنجر من دماء الجوف أثعوب * ويروى : « من نجيع الجوف أسكوب »

وفى الصحاح واللسان : * من دماء الجوف أسكوب *

النجلاء : الواسعة . والمثعنجر : الدم الذى يسيل يتبع بعضه بعضاً . والنجيع الدم الخالص .

(٣) فى شرح السكرى أن عمراً كان يغزو فَهماً ، قوم تأبط شراً ، فوضعوا له رصداً على الماء فأخذوه وقتلوه .

* تأبط شرا = ٢٦٠

وفهمتُ قولَكَ فى الأَتانِ . ولو أنها أنثى الحِمارِ الذى ذكَره اللهُ سبحانه فقال : «وانظرْ إلى حِمارِكَ »[1] لمَا زادَ على هذا الحديثِ . أفتدَّعِى أنها أمُّ حِمارِ المَسيح .، أم ابنتُه أم أختُه ؟ كيف للمَلِكةِ التى فى « جزيرة النساء » بأن تنالَ مثل هذا العمر؟

وهل تَدرِى ما جزيرةُ النساء ؟ هى جزيرةٌ فيها مَلِكةٌ لها جيش نِساءٍ ليس فيهن رجُلٌ . ويقالُ إنها تغزو وتحارِبُ وتستظْهِرُ فى كثيرٍ من المِرَار ، ولا يَدْخلُ جزيرتَها رجلٌ ألبَتَّةَ . ويقالُ إن المرأَةَ منهن إذا أرادت الحَمْلَ خرجَتْ إلى جزيرةٍ أخرى فصَاحَبَتْ مَن تختارُ من الرجالِ . وهذا حديث تناقَله أهلُ العلمِ بالمسالكِ والمَمالكِ . ويُقالُ إن مُلْكَها باقٍ إلى اليوم تَخلُفُ عليه امرأَةٌ بعد امرأةٍ . وقد ادَّعى بعضُ الناسِ أنَّ من شأنِ الهواءِ أن يُلْقِحَ النساءَ فى تلك الجزيرةِ فيَحْبَلن ولا يَحْتَجْنَ إلى الرجالِ . فإذا ولدتْ ذكَرًا أخرجتْه إلى جزيرةٍ أخرى .

والقولُ الأَولُ أَصَحُّ وأَشبَهُ ، وإن كان اللهُ تعالى يَقدرُ على كلِّ شىءٍ .

ولَعلك ، بِجَهلِكَ ، تَظُنُّ هذه الأَتانَ حِمَارةَ « بَلعَمَ » وهو الذى نزلتْ فيه هذه الآيةُ :

«واتْلُ عليهم نبأَ الذى آتيناه آياتِنا فانْسلَخَ منها فأَتبَعَهُ الشيطانُ فكانَ من الغاوينَ »[2]

وبمَ استحقَّتْ « حمارةُ بَلعَمَ » أن تُعَمَّر هذا العُمْرَ الطويلَ ، والفقهاءُ

(١) من الآية ٢٥٩ : سورة البقرة .

(٢) الآية ١٧٤ من سورة الأعراف .

— ومن الإسرائيليات فى تفسير الآية ، ما فى كتب التفسير من « قصة ذكرها أهل الكتاب» : وبما قيل فى الذى أوتى الآيات ، أنه « بلعام بن باعوراء» ويقال : بلعم . القصة بتفصيل فى تفسير القرطبى للآية (٣/٣١٩ دار الكتب) وقال إن خبرها بكماله قد ذكره الثعلبى — فى (العرائس) .

يَرَون || أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أَمَرَ بِقتلِ مِثلِها من البهائم ؟ (124)

وفى أَمْرِ الحمارَيْنِ اللَّذيْنِ ذكرتَ ، عَجَبٌ للمتأملين ! أفتدَّعِى أن أحدَهما «يَعْفورٌ» حِمارُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، والآخر حِمَارُ « المَسيحِ » عليه السلامُ ؟ ويجب أن يكونا من آلِ هذه الأُتانِ وأخوَيْها لا محَالةَ . وقد قالوا فى المَثَلِ[1] : « أَصَحُّ من عَيْرِ أَبى سَيَّارَةَ العَدْوانى* » ويُقالُ إنه دفَعَ عليه من « المزدلِفةِ » أربعينَ سنةً . وكيف للذَّائد والحَرُون وغيرهما من فُحولِ الخَيلِ أَن تُعَمَّرَ مِثلَ هذا العُمْرِ الطويلِ ؟ وقد حُكِيَ أَن الفيلَ الذى سَجَدَ لِ « النُّعْمانِ بنِ المنذرِ » عُمِّرَ أَرْبَعَمائة سَنةٍ ، ولم يَصِحّ ذلك .

ولعلَّ هذين الحِمارَيْنِ كانا مع « الإِسْكَندرِ* » فِى الظلمات فشرِبَا

---

(١) لفظ المثل فى (مجمع الميدانى : ١/٤١٠) : أصح من عير أبى سيارة . قال : وهو من بنى عدوان ، اسمه عميلة بن خالد بن الأعزل . أجاز الناس على حمار له أسود ، من المزدلفة إلى منى أربعين سنة . وفيه يقول شاعرهم :

خلوا الطريق عن أبى سياره ... وعن مواليه من بنى فزاره
حتى يجيز سالماً حماره ... مستقبل القبلة يدعو جاره

وقال الجوهرى فى (الصحاح : سير » والسيارة القافلة ، وقولهم : أصح من عير أبى سيارة ، هو أبو سيارة العدوانى كان يدفع بالناس أربعين سنة على حماره ، قال الراجز — وأنشد الرجز أعلاه كما فى أمثال الميدانى — وقال فى (جوز) : وأجزته أنفذته . قال الراجز : خلوا حماره

لكن الرجز فى (السيرة النبوية لابن هشام : ١/١٢٨) من شعر أبى سيارة نفسه . ونقل عن ابن إسحاق ، أن أبا سيارة ، عميلة بن الأعزل ، هو آخر من تولى من بنى عدوان ، الإفاضة بالناس من المزدلفة ، وكان قومه يتوارثونها كابراً عن كابر .

* وأبو سيارة العدوانى : من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان . واسمه عميلة بن الأعزل ، كان أحد من يدفع الناس من المزدلفة فى الجاهلية (ف) .

وفى (جمهرة الأنساب ٢٣٢) فى نسب بنى عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر : أبو سيارة الذى كان يدفع بالناس فى المواسم ، وهو عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث العدوانى .

* الإسكندر : المقدونى .

من عين الحيوانِ فَبَقِيَا إلى اليوم . وكيف للإسكندر أن يكونَ وصلَ إلى هذه الفضيلةِ وقد جاءَ فى (الكتابِ العزيزِ) :

«أَرَأَيتَ إذ أَوَيْنَا إلى الصَّخرةِ فإنِى نَسِيتُ الحُوتَ وما أَنسانيهِ إلا الشيطانُ أَنْ أَذكرَه »[1]

فجاء فى بعض التفسيرِ أنه كانت معهما سمكة مشويَّة فأكلا بعضَها ثم قام أحدُهما يتطهَّرُ فأصاب شىءٌ من طُهورِه ما بقِىَ من الحُوتِ فرجعتْ إليه الحياةُ ، فدخل فى البحرِ ، فأراد أن يُحدِّثَ صاحبَه ، فنَسِىَ.

وقد رُوِىَ غيرُ ذلك ، واللهُ أَعْلَمُ بيَقِينِ الحديثِ .

والجُندى الأَبَحُّ الذى زعمتَ أنه أَقَامَ أربعينَ سَنةً لا يَذوقُ النومَ ، شىءٌ لا يُسَلِّمُه أحدٌ لك. وهل فى طاقةِ آدمىٍّ أن يُقِيمَ شهراً لا يذوقُ النومَ ؟ وإذا سُلِبَ الغَمْضُ من العَيْنِ فلا ثباتَ لحيوانٍ على السهَرِ . فكم تزعُمُ أنه بَقِىَ على فقدِ النومِ «حَسَّانُ بنُ تُبَّعٍ بن الأَقْرَنِ بنِ الشَمِرَ بن إفْرِيقِسَ ابنِ أَبرهةَ بن الحارثِ الرائِشِ* » ؟ وكان «حسانُ» هذا قتل أخاه ، وكان أخوه مَلِكَ حِمْيَرَ فظلمَهم واشتدتْ وطأتُه عليهم . فاجتمع إليه أهلُ || مملكةِ أَخيه وسألوه أن يُريحَهم منه ويأخذَ المُلْكَ إليه. وكان فى (125) حِمْيَرَ رجلٌ يُقال له «ذو رُعَيْنٍ* » قد قرأَ الكُتُبَ السالفةَ وأتاه اللهُ بَصِيرةً . وكانت حِمْيَرُ تزعمُ أنه مَنْ قتلَ أَخاه غَدْرًا سُلِبَ منه النومُ إلى أن يموتَ . فنهاه «ذو رُعَيْنٍ» عن قَتْلِ أَخيه فلم يسمَعْ منه وأَصغَى إلى ما يقولهُ أهلُ

[1] من الآية ٦٤ : سورة الكهف .

* و «حسان» فى نسب بنى حمير بن سبأ بجمهرة الأنساب (٤٠٩) : حسان بن أسعد تبع ، ابن تبع الأكبر ، بن تبع الأقرن بن شمر بن الإفريقيس بن أبرهة ذى المنار بن الحارث الرائش .

* ذو رعين ، من بنى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظره فى (جمهرة الأنساب ٤٠٧) .

المملكةِ فكتب «ذو رُعَينٍ» هذين البيتين ودفعهما إلى «حَسّانَ»[1]. والبيتانِ :

أَلا مَن يَشترى سُهْدًا بنومٍ   سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَريرَ عَينِ
فإنْ تَكُ حِمْيرٌ غَدَرَتْ وخَانتْ   فمَعذِرةُ الإِلٰهِ لِذى رُعَيْنِ[2]

فقتل «حسانُ» أخاه فأَخذه السهادُ حتى ماتَ . وعاد على أَهْلِ مَملكته باللومِ ، إلا «ذا رُعَينٍ» . [ويُقالُ إنه عاوَدَه النومُ لما قتلَ قتلةَ أخيه][3]

ومَن الجاريةُ التى مَرَّتْ عليكَ فشَهِدَ الثقاتُ أن عُمْرَها أكثرُ من ألفِ سنة ؟ أَسوداءُ هى أم بيضاءُ ؟ أَرُومِيَّةٌ أم حبَشِيَّةٌ ؟

هذه المقالةُ تَصِحُّ إن كان فى الدنيا قومٌ يُسَمُّون اليومَ سَنةً . أو لعلكَ صحَّفْتَ فأَردتَ سَبَّةً ، فقلتَ : سَنة ، فالتصحيفُ قد جاءَ عن كثيرٍ من العُلَماءِ ، فمن ذلك ما يُرْوَى عن «المُفَضَّلِ*» فى قوله[4] :

وذاتُ هِدْمٍ عَارٍ نواشِرُها   تُسْكِتُ بالماءِ تَوْلباً جَدِعا

---

(١) القصة بمزيد تفصيل فى (مجمع الأمثال للميدانى : ١/٧٣) وفيه أن ذا رعين الحميرى لما رأى إصرار حسان على قتل أخيه الملك عمرو بن تبع ، بمشورة قومه . كتب هذين البيتين فى صحيفة ختمها بخاتم الملك وأودعها لدى حسان . فلما قتل أخاه وسلط عليه السهر ، قتل من أشاروا عليه بقتل أخيه ، من أقيال حمير . وهمّ بأن يقتل «ذارعين» معهم ، لولا أن سأله قراءة ما فى الصحيفة التى أودعها إياه.

والقصة مروية بتفصيل كذلك فى (السيرة لابن هشام ١/٢٨) ولكن القاتل فيه هو عمرو ، زين له القوم قتل أخيه حسان بن تبان أسعد أبى كرب . فقال شاعر من حمير أبياتاً منها :

لاه عينا الذى رأى مثل حسا   ن قتيلا فى سالف الأحقاب

وسلط السهر على عمرو بن تبان ، ثم ما كان من خبر ذى رعين . والرواية الإسلامية فى (السيرة ١/٣٢ وتاريخ الطبرى) أن ذا نواس هو زرعة أخو حسان بن تبان أسعد . وكان صبياً صغيراً حين قتل أخوه ، فلما شب بعث له القاتل من يغتاله ، فواثبه ذو نواس فقتله ، واجتمع عليه قبائل حمير واليمن فملكوه فكان آخر ملوك حمير . وهو صاحب الأخدود – يأتى فيما يلى .

(٢) رواية السيرة ، للشطر الأول : * فإما حمير غدرت وخانت *

(٣) لحق على هامش (ف) ولست على يقين أهى لسقط من المتن أم إضافة هامشية من الناسخ ؟

(٤) هو أوس بن حجر . هدم : ثوب خلق . تولبا : يريد ولدها ، والتولب ولد الحمار (ف) .

* المفضل ، الضبى = ٢٩٤ وانظر موشح المرزبانى : ٦٣ .

أى سَيِّئ الغِذاء . أنشده « المفضَّلُ » : جَذَعًا . وصَحَّفَ بعضُ أهل العِلْم :

عَنَناً باطِلاً شَدُوخاً كما تُعْ تَرُ عن حَجرةِ الرَّبيضِ الظباءُ[1]

فقال : كما تُعنَزُ . وصحَّفَ بعضُهم قول « أبى ذُؤيْب* » :

* بِذَمائه أو ساقطٌ مُتجَعْجِعُ *[2]

(٦١) فقال : بدِمائه . وصحَّفَ آخرون قولَ « الكُمَيت * » :

= والبيت من عينية أوس . يرثى فضالة بن كلدة :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

عن الأصمعى : لم يبتدئ الشعراء مرثية أحسن من مرثية أوس بن حجر – وأنشد الأبيات الثلاثة الأولى منها – رواه القالى فى ذيل الأمالى ، ونقل القصيدة كاملة (٣٤) .

والشاهد ، يأتى فى الديوان ، وذيل الأمالى ، والكامل للمبرد ، والشعروالشعراء ، والصحاح واللسان – على الرواية الصحيحة : « تولباً جدعاً » شاهداً على : صبى جدع : سيء الغذاء . والنواشر عروق ظاهر الكف. ثم نقل (فى ص . ل) رواية المفضل : تولباً جذعا ، بالذال المعجمة ، ورد الأصمعى عليه .

والخبر بتفصيل فى ترجمة المفضل الضبى بالإنباه ٣/٣٠٢ . ومجالس العلماء ١٤ – ١٥ .

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى ، من قصيدته المعلقة :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وفى المجلس التاسع من (مجالس العلماء لأبى القاسم الزجاجى) ، بإسناده إلى أبى عمرو الشيبانى ، أن الأصمعى أنشد بيت الحارث :

عنتاً باطلا وظلماً كما تعنز عن حجرة الربيض الظباء

قال أبوعمرو : سبحان الله ، تعتر من العتيرة . فقال الأصمعى . تعنز من العنزة – عصا فيها سنان كسنان الرمح . ورد الشيبانى : لو صحت إلى التناد ، ماكان إلا : تعتر ، ولا ترويه بعد اليوم إلا تعتر (١٨) أى تنحر فتصير عتائر ، جمع عتيرة ، ما يذبح قرباناً . ومثل ما رواه الزجاجى ، نقله القفطى فى ترجمة أبى عمرو الشيبانى بالإنباه (١/٢٢٣) .

(٢) صدر البيت ، وروايته فى الديوان ، ومثلها فى (س) :

فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع

يذكر صائداً ، وحمر الوحش . والذماء : بقية النفس . ومتجعجع : لاصق بالأرض قد صرع .

وعلى هامشه فى الديوان : وروى : بالدال المهملة . وروى : أوساقط (١/٩) .

* أبوذؤيب ، الهذلى = ١٣٢ من عينيته يرثى بنيه ، وهى أولى القصائد فى ديوان الهذليين :

* الكميت ، بن زيد = ٢٦١

وخُضْنَا بالقُرَاتِ إلى تَميمٍ   وقد ظنَّتْ بنا مُضَرُ الظُّنونا[1]

|| فقالوا: القُراتِ. ومِثلُ هذا كثيرٌ. وهذه دَعْوَى من بعضِ العُلَماءِ (126) على بعضٍ. وقد يجوزُ أن يكونَ مَن ادُّعِيَ عليه التصحيفُ، سَمِعَه من العربِ كذلك. ودخل بعضُ البَصْريينَ على «الفَرَّاء*» فسمِعَه يُمْلِي بيتَ «القَتَّالِ الكلابى*»:

يا قاتَلَ اللهُ صِبْيَاناً تَجيءُ بهمْ   أمُّ الهُنَيْبِرِ من زَنْدٍ لها وَارِي[2]

فقال «الفراء»: أمُّ الهُنَيَّيْنِ. فتركه حتى إذا قام الناسُ قال: أصلحَكَ اللهُ، إنما هو: أمُّ الهُنَيبِرِ. فأَفْكَرَ «الفراءُ» قليلا ثم قال: يَرحَمُ اللهُ أبا الحَسَنِ* - يَعنى الكِسائىَّ - ربما أنشدَنا البيتَ والبيتين على غيرِ سَماع.

---

(١) القرات، كغراب: واد بين تهامة والشام (ق) ونونية الكميت فى الخزانة ١/٤٣٣.

(٢) من قصيدة للقتال، يرد على من ذكر خموله (الأمالى ٢/٢٢٥) ذكره الجوهرى فى (هبر) من إنشاد أبى زيد، شاهداً على: أم الهنبر من أسماء الضباع، فى لغة بنى فزارة. ولم يسم الشاعر. وهو فى اللسان فى مادة (هنر) للقتال الكلابى، ويروى: يا قبح الله ضبعانا.. من زند لها حارى وانظر فى أمثال الميدانى: أحمق من أم الهنبر (١/٢٢٨)

* الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد، مولى بنى منقر: أمير المؤمنين فى النحو، ومن أئمة مدرسة الكوفة فى القرن الثانى للهجرة. (نزهة الألبا ١٢٦، والفهرست ١٠٠، وطبقات القراء ٢/٣٧١).

* القتال الكلابى: عبد الله بن مجيب بن المضرحى من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (جمهرة الأنساب ٢٦٢. والمؤتلف ١٦٧) وفى أمالى القالى ٢/٢٢٥: عبيد بن المضرحى، ومثله فى طرة (ف) وفى (ل: هنر): شاعر إسلامى فارس من شعراء الحماستين. وترجمته فى الشعر والشعراء (٢/٥٩٤) وانظر تنبيه البكرى ٢٦ والمحبر لابن حبيب ٢١٣، ٢٢٦.

* أبوالحسن، الكسائى: على بن حمزة، مولى بنى أسد. أحد أئمة القراء السبعة، وشيخ مدرسة الكوفة فى النحو، وهو أستاذ الفراء. من كتبه: معانى القرآن، والقراءات (الحجة) والنوادر. انظر مع الفهرست: طبقات القراء ١/٥٣٥، ونزهة الألبا ٨١، وإنباه القفطى ٢/٢٥٦، ووفيات الأعيان ١/٣٣٠. والعبر ١/٣٠٢ وفيات سنة ١٨٩.

وروَوا أن « يعقوبَ بنَ السِّكِّيتِ * » صحَّفَ قولَ « عَدِيِّ بنِ الرِّقَاع * » :

وعَلَا الصُّلْبُ فاستتبَّ إلى حَيْـ ـثُ يكون العُرشانِ منه الفِقَارُ[1]

فقال : الفرسان . ومِثلُ هذا كثير .

والدجاجتانِ البَيضاوانِ أقامتَا بزَعمِكَ سِتَّةَ أشهر أو سبعةً لا تأكلانِ ولا تشربانِ !

فلو أنهما من الحُورِ العِينِ لَسُوِّغَ لكَ ما ادَّعَيْتَ . وليس فى طاقة حيوانٍ أَرضِيٍّ أن يُقيمَ هذه المُدَّةَ بِلا غِذاءٍ . وقد كان رجلٌ فى زمانِ « الحَجَّاجِ * » يوصفُ بأنه يَطوِى الأيامَ الكثيرة بِلا طعام . فيُقالُ إنه حبَسَه خمسةَ عشَرَ يوماً لا يُطعِمُه ولا يَسقِيه ، ثم فُتِح عليه البابُ فوُجِدَ قائماً يُصَلِّى ، فعَجِبَ منه وصَرفه . والنصارَى يدَّعُون أن « المَسيحَ » عليه السلامُ ، أقام أربعين يوماً لا يأكُلُ ولا يَشربُ . واختلفت الحكايةُ عن « عبدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ * » :

---

(١) العرشان ، مثنى عرش : جانبا مركب الكاهل فى العنق ، وقال قوم هما موضع الحجمتين ، وإذا قالوا : ثل عرشاه ، إذا قتل ، فإلى هذا يذهبون (ض) ، وهما عصبتان تكتنفان العنق (ف) . وفى (صح) عرشا العنق لحمتان مستطيلتان فى ناحيتى العنق . وأضاف فى (ق) أو موضعا المحجمتين ، وفى (ل) والأذنان يسميان عرشين لمجاورتهما عرشى العنق

* يعقوب بن السكيت ، أبو يوسف . = ١٥٣

* عدى بن الرقاع زيد بن مالك العاملى ، من بنى عاملة القضاعية وهى أم بنى الحارث بن عدى ابن الحارث بن مرة بن أدد الكهلانى (جمهرة الأنساب ٣٩٤) . شاعر إسلامى محسن ، فى الطبقة السابعة من فحول الشعراء الإسلاميين ، قيل إنه أحسن من وصف الظبية (ديوانه طبع المجمع العلمى بدمشق ، والشعر والشعراء ٢ / ٥١٥ ، وانظر أمالى القالى ١ / ١٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢ / ٦١) .

* الحجاج ، بن يوسف الثقفى = ١٧٩

* عبد الله بن الزبير ، بن العوام بن خويلد بن أسد ، القرشى حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأمه : ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق . هاجرت حاملا به فكان أول مولود للمسلمين بدار الهجرة . شهد الجمل مع أبيه وخالته السيدة عائشة وامتنع عن بيعة يزيد بن معاوية ، ولاذ بالحرم المكى ، فبويع بالخلافة سنة ٦٥ هـ وقتله الحجاج سنة ٧٣ هـ بعد أن حاصره بمكة ورماها بالمنجنيق . (الاستيعاب ١٥٣٥ ، وجمهرة الأنساب ١١٣ مع تاريخ الطبرى) .

فرَوَى «المدائنى*» أنه كان يُقيمُ خمسةَ عشَرَ يوماً لا يَطعَمُ ولا يشربُ .
وقال غيرُ «المدائنى» : سبعةَ أيامٍ ، ثم يكونُ أولُ ما يُصِيبُ سَمْناً عَتِيقاً
يَتَحَسَّاه . ومُرَادُه – فيما رُوِىَ – أن يَفْتِقَ مِعَاه . (127)

وزعمتَ أنك رأيتَ جاموساً خرَجَ من بيضةٍ ! فَعلى أىِّ وَجْهٍ أَحْمِلُ
كذبَكَ ؟ مَثَلِى معَكَ مَثَلُ الرجُلِ مع «عمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ*» لما قال له :
ما تقولُ فى رجُلٍ ظَحَّى بِضَبْىٍ ؟ فقال عُمَرُ : قُلْ : ضَحَّى بِظَبْىٍ . فقال :
إنها لُغَةٌ . فقال «عُمَرُ» : انقضى العِتابُ .

وقد ادَّعيتَ على البَيْضِ والبيضةِ أشياءَ منها هذا القولُ. ومنها قولُكَ
إن عجوزًا بدِمَشقَ ولدَتْ بيضة . فإلى أىِّ طريقٍ أَصْرِفُ مُرادَكَ ؟ إن
الإنسَ لا تَبِيضُ . وقد زعم بعضُ الناسِ أن «إبليسَ» لعَنه اللهُ
لمَّا سُخِطَ عليه باض عشرين بيضةً ! فلعلَّ هذه العجوزَ عِنْدَكَ من ولَدِ
إبليسَ. أَولعلكَ ممن يُصدِّقُ بالسِّحْرِ الذى يُجعَلُ به الرجلُ حِماراً أو المرأةُ فأْرةً.
وكأنِّى بكَ يَعرِضُ لك أن تحتجَّ بِحَدِيثِ المرأةِ مع «هَاروت ، وماروتَ*»

---

* المدائنى : أبو الحسن على بن محمد المدائنى البصرى الأخبارى مولى شمس بن عبد مناف ، كان من مقدمى الرواة العلماء بالمغازى والأنساب توفى سنة ٢٢٤ هـ عن ثلاث وتسعين سنة (العبر : ٣٩١/١) وانظر ثبت كتبه فى (الفهرست ١٤٧) .

* عمر بن عبد العزيز، بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس. أمير المؤمنين التقى العادل . أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . بويع بالخلافة فى شهر صفر سنة ٩٩ هـ بعد سليمان بن عبد الملك ، بعهد منه . فكان رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين ، أعدل بنى مروان . تفقه فى الدين ، وكان مع فقهه وعدله وزهده ، حليما رقيق الطبع . توفى رضى الله عنه سنة إحدى ومائة . انظر مع تاريخ الطبرى ، نسب قريش : ١٦٨ وابن سعد ٢٤٢/٥ .

* هاروت وماروت ،
فيهما نزل قوله تعالى فى آية البقرة ١٠٢ ، فى سياق الحديث عن بنى إسرائيل: «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ..»

وأن اللهَ مَسخَها الزُّهَرَةَ . وبالحديثِ الآخَرِ أن سُهَيْلاً كانَ يهودِيًّا عَشَّارًا باليمنِ .[١] وهذه الأَحاديثُ من فِرْيَةِ أهلِ الكتاب الأول ، كثَّروا بها عند السَّفِلةِ وأهلِ الجَهلِ[٢] . ومن أحاديثِ الجاهلية أن الطاغوتَ الذى يُسمَّى ذا الخَلَصَةِ فى اليمن[٣] ، كان امرأةً وكانت فاجرةً ساحِرَةً ، فدَعَتْ غُلاماً من أهلِ اليَمَنِ إلى نفسِها فأَبَى عليها ، فسحَرَتْه فصارَ نَعامةً . وكانتْ له أُمٌّ صالحةٌ فدَعتْ عليها اللهَ فمُسِخَتْ حَجَرًا . وقد قال بعضُ المفسرين أن اللاتَ فى قوله تعالى : «أفرَأَيتُم اللاتَ والعُزَّى »[٤] كان رجُلاً يَلُتُّ السَّويقَ لِلحَاجِّ . ولا أدرى لم استحق عندهم أن يُمسَخَ حجَرًا . وقد رُوِىَ عن «ابنِ عامرٍ*» قارئ

(١) من الأقوال فى تفسير الآية ، ما روى عن كعب الأحبار من أن هاروت وماروت كانا ملكين فتنهما الله فأنزلهما إلى الأرض وركب فيهما الشهوة ، فما مر بهما شهر حتى فتنتهما امرأة اسمها بالنبطية: بيدخت ، وبالفارسية: ناهيل، وبالعربية، الزهرة. وقد صعدت إلى السماء فسخها الله كوكباً: (بتفصيل فى تفسير القرطبى : سورة البقرة) .

ومنها أيضاً ، أن سهيلا كان رجلا عشاراً – يقبض العشر – باليمن، يظلم الناس (القرطبى) .

(٢) فيما نقل القرطبى من الإسرائيليات فى تفسير آية البقرة ١٠٢ ، ما روى من أن عبد الله ابن عمر ، رضى الله عنهما، كان إذا رأى الزهرة وسهيلا سبهما وشتمهما ويقول . إن سهيلا كان عشاراً باليمن يظلم الناس ، وإن الزهرة كانت صاحبة هاروت وماروت. وقال القرطبى : هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شىء، فإنه قول تدفعه الأصول فى الملائكة ... وهم المنزهون عن كل ما ذكره ونقله المفسرون « سبحان رب العزة عما يصفون ».

(٣) ذو الخلصة : بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة، وقيل الكعبة اليمانية التى كانت باليمن : فأنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلى فخربها(النهاية، والسيرة ج٤ والأصنام ٣٤) .

(٤) الآية ١٩ من سورة النجم: اللات صنم كان لثقيف،والعزى لقريش (الأصنام١٦ / ١٩) .

* ابن عامر : عبد الله بن عامر اليحصبى، أبو عمران . قارئ أهل الشام، أحد الأئمة السبعة القراء . من سادات التابعين ، ولى القضاء فى دمشق للوليد بن عبد الملك . أخذ القراءة عن أبى الدرداء عويمر بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن المغيرة بن أبى شهاب المخزومى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقراءة ابن عامر ، برواية ابن ذكوان القرشى الدمشقى ، وهشام بن عمار السلمى القاضى الدمشقى . توفى ابن عامر ، بدمشق سنة ١١٨ هـ . انظر مع طبقات القراء : ٤٢٣/١ ، تيسير الدانى : ٧ ، وخلاصة التذهيب للخزرجى : ١٧١ ، والعبر ١٤٩/١ .

أهلِ الشام » أنه قرأ : « اللاتّ والعُزّى » بالتشديدِ[١] . فهذا يدُلُّ على ما تقدم من الحديث . ولا يُمكِنُ أن يُستَشهدَ على : اللات – إذا شُدِّدَتْ التاءُ – بِشِعْرٍ ، لأنه يَلتقِى فيه ساكنان[٢] ، وليس هو جارياً مجرى : التقاصِّ والتذامِّ والدوَابِّ ، فيدخُلَ فى الموضعِ || الذى دخلتْ فيه . (128)

وقد ذكرت الفقهاءُ أحكاماً للساحِرِ ، فهذا يدلُّ على أن السِّحْرَ عندهم صحيحٌ . وفى (الكتاب العزيزِ) :[٣]

« فيَتَعَلَّمون منهما ما يُفَرِّقونَ به بَيْنَ المرءِ وزَوْجِه »[٤] .

فأما سَحَرَةُ « فِرعونَ » فقد اختلفَ فيهم الناسُ . والصحيحُ أنهم كانوا يُخَيَّلون أن العِصىَّ والحِبالَ ساعيةٌ || فيما تَرى العَيْنُ . (٦٢)

فأما نقلُ الطائرِ إلى غيرِ جنسِه والرجلِ إلى النعامةِ والطيرِ ، فهذا أمرٌ يَشهَدُ المَعقولُ بأنه مُحَالٌ . وقد روَى بعضُ أصحاب[٥] الحديثِ أن الضَّبَّ قُدِّم إلى النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : « إن أُمَّةً مُسِخَتْ » . فلا أدرِى لعلَّ هذا منها[٦] .

ورُوِى فى مَسْخِ ابنِ مِقْرَضٍ وابنِ عَمْرٍو[٧] والغُرابِ والفيلِ ، ماهو

---

(١) القراءة بتشديد تاء « اللات» لم يذكرها الدانى فى (التيسير) لابن عامر ولا غيره من القراء السبعة الأئمة (ص ٢٠٤) وذكر مفسرون أنها قراءة لابن عباس ومجاهد . وأن اللات كان رجلا يلت السويق للحاج ، ذكره البخارى عن ابن عباس . (تفسير القرطبى : سورة النجم) .

وفى كتاب الأصنام أن اللات بالطائف وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت السويق عندها.

(٢) فى ض : [يلتقى ساكنين .]

(٣) فى ض : [الكتاب الكريم] .

(٤) من الآية ١٠٢ : سورة البقرة .

(٥) فى ض [روى أصحاب]

(٦) انظر كتاب الصيد والذبائح من صحيح مسلم ، (ح ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١) .

(٧) رسم كلمة [ابن مقرض] يحتمل القراءة بالقاف وبالفاء. وابن مقرض، بكسر الراء : دويبة=

مشهورٌ . ولا ندفعُ أن الله تعالى يقدِرُ على نَقْلِ الأعيانِ . وإنما الكلامُ فى إجرائه ذلك على أيدى الآدميين .

فأما العربُ فى الجاهلية فقد كانوا لا يَشُكُّونَ أن الجنَّ تَظهرُ لهم فى صُوَرِ الحيَّاتِ وغيرِها من صُوَرِ الحيوانِ . وحديثُهم عن «عَبِيدِ بنِ الأبرصِ*» والشُّجَاع الذى أبصره رَمِضاً ، معروفٌ عند العامَّة . وذكر «أبو مَعْشَر المَدَنى*» فى (كتابِ المَبْعثِ) أن قريشاً وجَّهَتْ «عمرو بنَ العاصِى السَّهمِى*» ، وعُمَارةَ بنَ الوليدِ المخزومىَّ*» إلى النجاشىِّ لمَّا هاجَر إليه أصحابُ رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، يُرِيدون أن يُوغِروا صَدرَه عليهم . ووجَّهوا معهما ألطافاً مِمَّا يكونُ فى أرضِ العربِ . فركِبَ عُمارةُ وعمرُو فى البَحْرِ ومع «عمرِو بن العاصِ» امرأةٌ له . فشَرِب خَمْرًا فلما انتشى عُمارةُ بنُ الوليدِ» رَاوَدَ امرأةَ عمرو بن العاصى على أن يُقَبِّلَهَا . فمنعه عَمرو بنُ العاصى ، فحَمَله فَطرحَه فى البحرِ . فاستمسك عَمرُو برِجْلِ

=تقتل الحمام. و بفتح الراء : ذو القوائم الأربع الطويل الظهر ، القتال للحمام (ل : قرض) أما المفرض ، بالفاء وراء مشددة ، فهو الجعل (ل) .

ولم أجد ابن عمرو فى مثل هذا السياق . وفى المادة : العوامر الحيات ، وأم عمرو وأم عامر : الضبع

* عبيد بن الأبرص الأسدى = ٢٠٥

* أبو معشر المدنى: نجيح بن عبد الرحمن، كان مولى لامرأة من بنى مخزوم، وعتق بالمكاتبة: من مقدمى الإخباريين والرواة ، ليس بالعمدة ، واشتهر بكتابه المغازى . ت سنة ١٧٠ هـ كما فى (الشذرات ١/ ٢٧٨) ، وانظر فى الفهرست : نجيح المدنى : ١٣٦ .

* عمرو بن العاصى السهمى = ٢٧٩ وقد تحذف ياء « ابن العاص » فى الأصول وفى المصادر .

* عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، أخو خالد ، من فتيان قريش جمالا وشرفاً . وهو الذى ساومت به قريش أبا طالب ، على ابن أخيه المصطفى عليه الصلاة والسلام . (السيرة ١ / ٢٨٥) وفى نسب قريش (٣٢٢) خبر وفادته مع عمرو بن العاصى إلى النجاشى فى أمر المهاجرين الأولين رضى الله عنهم ، وسحر النجاشى إياه ، وخروجه هائماً مستوحشاً يرد الماء مع الوحش فى جزيرة بأرض الحبشة ، وخروج عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى فى طلبه. ثم موت عمارة. وليس فى خبره إشارة إلى ذلك الموقف على السفينة . والقصة بتفصيل فى الأغانى ٨/٥٣ والروض الأنف ٢/٩٢ . لكن الذى فى السيرة لابن هشام ١/٣٥٦ أن وافدى قريش إلى الحبشة ، كانا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة .

السفينةِ حتى ارتفع . فقال : لو كنتُ أعلمُ أنك تعُومُ ما طرحتُكَ ـــ هكذا فى النقل . والأشبهُ أن يكون : لولا أنى كنت أعلم أنك تَعُومُ ـــ فاصطحبا حتى بلَغا النجاشىَّ . والحديثُ مشهورٌ معه . إلا أن فى حديثِ ‖ « أبى (129) مَعْشَرٍ المَدنىِّ » زيادةً . قال المَدنىُّ :

ثم قال عمرٌو لعُمارةَ : إنك رجلٌ جميلٌ ، فصَادِق امرأةَ المَلِكِ لعلها تكونُ لنا وسيلةً إليه . فصادَقها عُمارةُ فأَخبرَ عَمْرًا بذلك فقال : ما أراها صَدَقَتْك الحُبَّ حتى تُرسِلَ إليكَ من ثِيابهِ وطِيبه . فأَرسل إليها : أن أَرْسِلى إلىَّ من ثياب المِلكِ وطِيبِه . فبعثتْ بِثَوبَيْنِ مُعَصْفرَيْنِ[1] وبِطِيبٍ من طِيبه . فلمَّا لبسهما ورآهما عَمْرٌو عليه ، قال عمرو بن العاصى للنجاشى : لا أَكونُ فى أَرْضٍ إلا نَصَحْتُ لِملِكها ، إنى لكَ ناصِحٌ ، إن صَاحِبى قد خانَكَ فى أَهْلِكَ فأَرسلْ إليه فإن ثوبين من ثيابِكَ عليه ، وطيباً من طيبِك . فأَرسلَ النجاشىُّ فوجده كما قالَ . فلما جاءوا به قال : إنى أَكرَه أن أَقتُلَ أَحدًا من قُرَيشٍ . وقال لأَصحابه : هَلُمَّ شيئاً يُشبِهُ الموتَ . قالتْ كَهَنَتُه عنده : نعم ، ننفُخ فى إحْلِيلهِ شيئاً فيتوحَّشُ مع الوَحْشِ ، ففعلوا به ذلك ، فرجَع عمرٌو إلى مكةَ فأَخبر قريشاً بالذى فعل النجاشىُّ . وقال عمرو فى ذلك شعرًا :

أَأَنْ كنتَ ذا بُرْدَيْنِ أَحْوَى مُرَجَّلاً ... فلَستَ براعٍ لابنِ عَمِّكَ مَحْرَمَا
إذا المرءُ لم يتركْ طعاماً يُحِبُّه ... ولم يَنْهَ قلباً غاوِياً أَينَ يَمَّمَا
قَضَى وَطَرًا منها وغادَرَ سَوْأَةً ... إذا ذُكِرتْ أَمثالُها تَملأُ الفَمَا
تَعَلَّمْ عُمَارَ أَنَّ مِنْ شَرِّ شِيمةٍ ... على المرءِ أَن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابنَمَا

(١) بثوبين معصفرين : مصبوغين بالحمرة (ف) .

وذكرَ « العَدَوىُّ » وهو من ولَدِ « أَبى جَهْمِ بن حُذيفةَ * » ، أَن « عُمارة ابنَ الوليد » تبَرَّر فى الجبالِ ، وأنه عاشَ حتى ولِىَ «عبدُ اللهِ بنُ أَبى ربيعةَ * » اليمَنَ — وهو أَبو الشاعِرِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بن أَبى ربيعةَ — وذلك بعدَما قُبِضَ النبىُّ صلى اللهُ عليه بزَمَنٍ طويلٍ . فقيل لعبدِ الله بنِ أَبى ربيعةَ : إن ببَعْضِ الجزائرِ التى تَقْرُبُ من اليمَنِ عُمَارةَ بن الوليد متوَحِّشاً . فوَجَّه إليه فأُتِىَ به فجعل يَصِيح :|| يا حَىُّ ياحَىّ؛ حتى مات فى (130)
أَيديهم . وكانوا يَرَوْن أَن الذى فُعِلَ به ضَرْبٌ من السِّحْرِ ..

فلعلكَ تذهب إلى أَن هذه العجوزَ[1] مُسخَتْ دَجاجةً فباضَتْ بيضةً واحدةً ثم رَدَّها اللهُ الواحدُ بِقُدْرتِه إلى حَال الآدَميَّةِ ! كأَنى بك ، لِسُوءِ رأْيكَ ، تتـأَوَّلُ فى قولِ « الطائى* » ضروباً من التـأَوُّلِ الفاسِدِ ، أَعنى قولَه :

لِلهِ دَرُّكَ أَىُّ مَعْبَرِ قَفْرَةٍ   لا يوحِشُ ابنَ البيضةِ الإِجْفِيلا[2]

وأَمَّا القومُ الذين زعمتَ أَنهم يَذبَحون لمِنْ نزل بهم الدَّجاجَ ويَصونونَ

---

(١) فى ض [هذا العجوز] .

عود إلى الحديث عن العجوز التى ولدت بيضة ، فى أحاجى الشاحج .

(٢) ابن البيضة الإجفيلا : أى الظليم السريع الفار (ف) .

وفى الصحاح : ظليم إجفيل ، يهرب من كل شىء ، والإجفيل : الجبان .

* العدوى ، من ولد أبى الجهم بن حذيفة :

أبو الجهم ، عبيد الله بن غانم العدوى ، صحابى نسابة ، ذكر ابن حزم أنه كان من أعلم الناس بالأنساب (الجمهرة ١٤٩/٤) والإصابة ٢١٣٢ — ومن ولده : حميد بن سليمان بن حفص بن عبدالله ابن أبى الجهم العدوى ، نسابة عالم راوية (جمهرة الأنساب ١٤٨) .

* عبد الله بن أبى ربيعة ذى الرمحين ، بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، من أشراف قريش فى الجاهلية ، ومن مسلمة الفتح . (الاستيعاب رقم ١٥٢٨) .

* الطائى : حبيب بن أوس (ف) أبو تمام ، الشاعر العباسى العلَم (١٨٨ : ٢٣١ هـ) الذى شغل النقاد فى عصره وبعد موته . له مع ديوانه ، مختاراته فى (ديوان الحماسة) وانظر أخبار أبى تمام للصولى ، والموازنة بين الطائيين للآمدى ، وطبقات ابن المعتز ١٣٢ والشعر والشعراء ٥٣٨ .

وأبو تمام من أعلام الغفران ، ولأبى العلاء شرح لديوانه (ذكرى حبيب) .

البيضَ ، فما الذى لَحِقَكَ من العجَبِ لهذا الفِعْلِ ؟ || من شأنِ الناسِ (٦٣)
إكرامُ النازلِ ، فإنْ قَدَرُوا على نَحْرِ الناقَةِ لم يَقنَعوا بالشاةِ ، وإن قدَروا على الشاةِ لم يَرضَوْا بالحمَلِ ، وإن أمكنهم الفَريرُ لم يَرضَوْا بالدجاجةِ . ولقد وَصَفْتَ هؤلاءِ القومَ بأنهم يبذلونَ الجَهدَ لمن نزلَ بهم . على أن العربَ فى القديمِ يَعيبون الدجاجَ ، وإنما ذلك إنكارٌ لِلحَضَرِ ، لأن جُمهورَهم وفُصَحاءَهم أَهْلُ بَدْوٍ . قال « النمرُ العُكْلِيُّ * » :

ونـأْمُرُنى ربيعةُ كلَّ يومٍ ... لِأُهلِكَها وأَقتَنِىَ الدَّجَاجَا
وما تُغنِى الدجاجُ الضيفَ عَنى ... وليس بنافِعِى إلا نِضَاجاَ

وأنشد « علىُّ بنُ حمزةَ العَلَوِىُّ * » وزعَم أنه سَمعَ أعرابَ نَهْدٍ تُنشِدها فى قُطْرِ نَجرانَ :

تَبَدَّلتِ يا حَمراءُ أحمرَ ناجرًا ... وبُعْدَ الفيافى بالقُرى والحَواضِرِ
وشُرْباً بأعناقِ الجِرَارِ وطالَما ... شربتِ بغيثٍ آخرَ الليلِ ماطرِ
ولِعْباً بأولادِ الدجاجِ وربما ... لعبتِ بأَولادِ الظباءِ النوافرِ

وأمَّا الراهبُ الذى زعمتَ أنه يَشربُ بَوْلَ الأَسَدِ ولا يَشربُ بَوْلَ
اللبوْةِ ، فكيف فرَّقتَ || بين هذين ؛ ولعَمْرِى إن بعضَ أهلِ اللغة ذكر أن (131)
بَوْلَ اللَّبُؤَةِ يُسمَّى الكِظْرِمَ ، ولم يذكر شيئاً فى بَوْلِ الأَسَدِ ؟

وقد علمتَ أن الرُّهْبانَ يكونون فى الصوامعِ ، وأكثرُهم لا يقدِرُ

---

* على بن حمزة العلوى ؟ المشهور بهذا الاسم ، هو السيد أبو الحسن على بن حمزة العلوى الموسوى ، مسند هراة ، ت ٥٥٩ هـ ـ هبة الله العلوى ، ابن الشجرى ـ وهو متأخر عن عصر أبى العلاء . فهل على بن حمزة هنا ، هو الكسائى ؟ لانعلم له نسبًا فى العلويين ، ولاء . وإنما هو مولى بنى أسد . وكذلك « على بن حمزة البصرى » المتوفى سنة ٣٧٥ هـ صاحب كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة .

* النمر العكلى ، هو النمر بن تولب (ف) = ١١٢

على النزولِ . وأَقَلُّ ما يكونُ بين الراهبِ وبينَ الأَسَدِ من المسافةِ ، أن يكونَ الراهبُ فى القَوسِ والأسدُ تحته فى القَرَقُوسِ[1] ، فكيف له بما ذكرتَ ، ولو تتبَّع أَثرَه فى الآجامِ والمَأْسَدَة من الأَماكنِ لما أمكنه أن يأخذَ من بَوْلِه ما يشربُه ؟ إلا أن تَدَّعىَ أن للأُسْدِ وقائعَ تَقصِدُها إذا أرادت البَوْلَ[2]. إنما يُعرَفُ شُرْبُ أَبوالِ الإِبلِ للعربِ ، وقد ذكر بعضُهم شربَ أبوالِ الخَيْلِ عند الحاجةِ فقال :[3]

وكان لهم إذ يَعصِرون فُظوظَها ... بدِجْلةَ أو فيضِ الأُبُلَّةِ مَوْرِدُ[4]

إذا مااستبالوا الخَيلَ كانت أَكُفُّهم ... وقائعَ للأَبوالِ ، والماءُ أَبْرَدُ[5]

وقد ضربت العربُ المثلَ فى الجَهْلِ بِمَن يَطلبُ أبوالَ الأَسَدِ ، فقال «الفرزدقُ*» :

---

(1) القوس : صومعة الراهب ، والقرقوس : القاع المطمئن الأملس (ض) .

(2) الوقائع ، جمع وقيعة وهى مثل النقرة فى الصخرة يجتمع فيها الماء .

(3) مالك بن نويرة اليربوعى ، من قصيدة له أصمعية نقلها البكرى فى التنبيه على أوهام القالى ، وروايته للشطر الأول: «يخال لهم إذ يعصرون فظوظها» وهى فى العقد الفريد (٣/٣٣٩) لمالك ، أيضاً . وانظر تخريج «الميمنى» فى سمط اللآلى (٣٤٧) .

(4) الفظوظ الماء الذى يخرج من كرشها (ف) .

والبيت فى (ل : فظظ) شاهد على : الفظ ماء الكرش يعتصر فيشرب منه عند عوز الماء فى الفلوات ، وقيل الفظ الماء يخرج من الكرش ، لغلظ مشربه ، والجمع فظوظ . وروايته للشاهد ، ولم يسم قائله :

كأنهم إذ يعصرون فظوظها ... بدجلة أو ماء الخريبة مورد

أراد : أو ماء الخريبة مورد لهم ، يقول : يستبيلون خيلهم ليشربوا أبوالها من العطش فإذا الفظوظ هى تلك الأبوال بعينها . وفظه وافتظه ؛ شق عنه الكرش أو عصره منها .

(5) أنشده فى (ل : وقع) بمثل روايته هنا ، شاهداً على الوقيعة مكان صلب يمسك الماء وكذلك النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء وجمعها وقائع (الشاهد) يقول : كانوا فى فلاة فاستبالوا الخيل فى أكفهم فشربوا أبوالها من العطش .

* الفرزدق ، (= ١٢٠) من قصيدته يشكو إلى عبد الله بن الزبير رجالا من قومه أعانوا زوجته النوار فنازعته وادعت عليه طلاقاً (طبقات ابن سلام ٢٨١) والديوان ، والكامل للمبرد ٢/٤٣ .

وإنى كما قالتْ نَوَارُ أَنِ اجتَلَتْ على رجُل ما شدَّ كفِّى خَليلُها
وإن الذى يَسْعَى لِيُفسِدَ زوجتى كَساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها[١]

وأمَّا الخطيبُ الذى زعمتَ أنه يتطهَّرُ ببَوْلِ العِجْلِ والعِجْلةِ ، فهذا شيءٌ يُحكَى عن المَجوسِ ، ولا يَعترِفُ به بعضُهم . وإنما هذه دَعْوى منكَ لا يَحسُنُ إليها الإصغاءُ ، مثلَ ما ادَّعى «جَرير*» على العِقَالِيَّةِ أنها تَطلَّى ببولِ الوَبْرِ ، قال :

وسَوْداءِ المحاجِرِ من عِقَالٍ يَشِينُ سَوادُ مَحْجَرِها النِّقابا[٢]
تَطَلَّى وهْىَ سَيئةُ المُعَرَّى بِصِنِّ الوَبْرِ تَحسبُه مَلاَبا[٣]

(132) || وصِنُّ الوَبْرِ: بَوْلُهُ .

والمحمومُ الذى زعمتَ أن أهلَ الموصِل* » إذا مَرِض أَحَدُهم فرِقَ منه ، لا أدْرِى ما غَرضُك فيه ؟ لا نَعلَمُ أحدًا يَفرَقُ من المحموم . وإنما كانت قريشٌ فى الجاهليةِ تُبعِدُ الأَبْرَصَ وتتوقاه . وكان ذلك شيئاً أخذتْه عن

---

(١) أنشده ابن السكيت فى الألفاظ (٣٥٦ ، ٤٨١) شاهداً على : يقال هى زوجه وزوجته . ومثله فى أمالى القالى ١ / ٢٠ — والشرى : موضع كثير الأسد .

(٢) طرة (ف) : [وقع فى شعر جرير : * وخضراء المحاجر من نمير *] . وهى رواية الديوان (ص٧٣) من قصيدة جرير البائية ، يهجو الراعى النميرى :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

وعلى هامشه : ويروى : «وسوداء المحاجر» ، جمع محجر : ماحول العين من أسفل .

(٣) الشطر الثانى ، ذكره الجوهرى فى (لوب) شاهداً من بيت جرير ، على الملاب ضرب من الطيب كالخلوق .

وأنشد البيت كاملا فى (صنن) شاهداً على الصن : بالكسر ، بول الوبر وهو منتن جداً . والوبر ، بالتسكين : واحدته وبرة ، دويبة أصغر من السنور طحلاء اللون لا ذنب لها .

* جرير = ١٢٠

اليَهودِ . فأَصاب «أَبا عزةَ *» الشاعِرَ بَرَصٌ فى جَنبِهِ ، فاجتنبته قريش لا تُجالِسُه ولا تُواكِلهُ . فعَظُمَ ذلك عليه وتمنَّى الموت . فأَخذ سكيناً وطلع إلى بعضِ الجبالِ لِيقتُلَ نفسَه فيستريحَ . فلما وضع السِّكينَ على ذلك البياضِ وحرق الجِلْدَ ، هابَ الموتَ وأَمْسَكَ ، فسالَ من ذلك الموضِع ماءٌ فبَرأَ من الداءِ الذى كان بهِ . وقال :

لاهُمَّ رَبَّ عامِرٍ ونَهْدِ ورَبَّ مَن يَسْعَى بأَرضِ نَجْدِ
أَصبحتُ عبدًا لكَ وابن عَبْدِ أَبرأْتَ منى بَرصاً بِجِلدى
(٦٤) من بعدِ ما طعنتُ فى مَعَدِّ[١]

وقد حُكِيَ أن «الحارثَ اليَشكُرِى *» قام بِكلمتهِ[٢] بين يَدَى «عمرِو بنِ هِنْدٍ» وكان الحارثُ به بياضٌ ، فلمَّا خرج من بين يدى المَلِكِ غُسِلَ الموضعُ الذى وقف فيه بالماء .

فى أَشباهٍ لهذا كثيرة .

فأَمَّا المَحْمومُ فما نَفَرَ منه أَحدٌ فيما نعلمُ . وقد حُمَّ جماعةٌ من أَصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالمدينةِ ، فما فَرِقَ منهم أَحدٌ بل

(١) المعد : اللحم الذى تحت الكتف (ف) وفى (ق) : المعد ، كرد : الجنب ، والبطن ، واللحم تحت الكتف. وانظر الخبر والرجز ، فى (المحبر : ٣٠١) مبحث البرص الأشراف.

(٢) يعنى بكلمته : همزية الحارث بن حلزة المعلقة :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد روى ابن قتيبة أنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ، فى خصومة بين بكر وتغلب بعد الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف ، للبرص الذى كان به ، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً لها . وكان الحارث متوكئاً على عنزة — عصا قصيرة فيها سنان — فارتزت فى جسمه وهو لا يشعر (الشعر والشعراء) : ١/١٩٧ معارف .

* أبوعزة ، الجمحى = ٢٥٠

* الحارث بن حلزة اليشكرى ، فى الطبقة السادسة من فحول الشعراء الجاهليين ، من بنى يشكر بن بكر ابن وائل (جمهرة الأنساب ٢٩١) ومن شعراء المفضليات ، والمعلقات ، والغفران .

كانوا يُعَادونَ ويُعَلَّلُون. وحديثُ «عامرِ بن فُهَيْرَة*» معروفٌ. وقد رُوِى حديثٌ معناه أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم جاءَه جبريلُ ومعه الحُمَّى والطاعونُ فأَمْسَكَ الحُمَّى بيثربَ وبَعثَ الطاعونَ إلى الشامِ. وفى أَرضِ العربِ مَحَمَّةٌ لا نَعلمُ أحدًا من سُكانِها هرب منها، إلا أن يَتفِقَ له الرحيلُ عن الأَرضِ المُحَمَّةِ كما يتفِقُ له الرحيلُ عن الأَرضِ المحمودةِ. وهم يَضرِبون المثلَ|| بحُمَّى (133)
«خيبَر» وحُمَّى «القَطِيفِ» والقطيفُ بنواحِى اليَمَن. قال «الشمَّاخُ*»:

كأَن نَطاةَ خيبرَ زوَّدتْه بُكورَ الوِرْدِ رَيِّثةَ القلوعِ[1]

وكانت اليهودُ إذا طمعتْ فى الرجُلِ يَقدَمُ عليهم، يقولون له على سبيلِ السخرية: اعْلُ تلك الرابيَةَ فانْهَقْ عليها نُهاقَ الحِمَارِ عشرَ مَرَّات لتأْمَنَ بذلك حُمَّى خيبرَ. ونَزل بهم رجُلٌ من العربِ فقالوا له مثلَ ذلك فقال:[2]

تقولُ: اعلُ وانهَقْ لا تضرُّكَ خَيبرٌ وذلك من دِينِ اليهود وَلُوعُ

---

(١) البيت فى شرح المفضليات، مما أنشده الأصمعى، تفسيراً لقول الأخنس بن شهاب فى مفضليته (٤١/٤١٠):

ظللت بها أعرى وأشعر سخنة كما اعتاد محموماً بخيبر صالب

قال الأصمعى: وإنما خص خيبر لأن حماها أشد الحمى – وأنشد بيت الشماخ. قال يعقوب: نطاة، موضع بخيبر، ريثة القلوع: بطيئة الإقلاع. والورد: يوم الحمى. ومعه البيت – وهو لأوس بن حجر –:

كأن به إذ جئته خيبرية يعود عليه وردها وملالها

وانظر (عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٢٧٤) وأمثال الميدانى: «به الورى وحمى خيبرى» ١/١٠٦.

(٢) البيت الثانى فى (ل: عشر) لعروة بن الورد، وروايته للشطر الأول:

* وإنى وإن عشرت من خشية الردى *. عشر الحمار تعشيراً: والى بين عشر ترجيعات فى نهيقه. =

* عامر بن فهيرة، مولى أبى بكر الصديق، أبو عمرو، من السابقين إلى الإسلام، وكان رفيق الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فى الهجرة إلى المدينة. وشهد بدراً، وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة (الاستيعاب ١٣٣٨) والسيرة لابن هشام ٢/٢٤٧.

* الشماخ، معقل بن ضرار= ١٤٥

لَعمرى لئن عَشَّرتُ من خشيةِ الردَى ... نُهاقَ الحمارِ ، إننى لَجزُوعُ

وأمَّا قولُك إن فى نواحى «نجرانَ» خيْلا لها قرونٌ . فليس ببديع من قُدرةِ الله ، ولكنا لم نَسمعْ به . وكم تدَّعى أنه يكونُ للفرَس ؟ أقَرْنٌ أم قرنانِ أم أكثر ؟ فقد زعم «ابنُ الأعرابى*» أن الهِرْميسَ هو الكَرْكَدَنّ ، وهو دابّةٌ أصغرُ من الفِيلِ ، له قرنٌ واحدٌ . قال الراجزُ :(١)

بالموتِ ما عيِّرتِ يالَمِيسُ
قد يهلِكُ الأرقمُ والفاعوسُ
والأَسَدُ المُذَرَّعُ الحَوُوسُ
والفِيلُ لا يَبقى ولا الهِرميسُ(٢)

وحدَّثَ بعضُ الناسِ أن قرنَ الكركَدَنِ تُعمَلُ منه المَناطِقُ ، وذلك أنه أبيَضُ ، فيقطعونه على مِقدارِ الحِلْية .

= ورواه «الميدانى» : * لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى * وقال : التعشير نهيق الحمار عشرة أصوات فى طلق واحد . وذكر البيت ولم يسم قائله ثم أضاف : وذلك أنهم كانوا إذا خافوا من وباء بلد ، عشروا تعشير الحمير قبل أن يدخلوه . وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم ، فقيل فى المثل : عشر والموت شجا الوريد . يريد : قرب الموت منه . يضرب المثل لمن يجزع حين لا ينفعه الجزع (٢/٤٢) .

(١) الشماخ = ١٤٥

(٢) الفاعوس : الأفعى (ف) الشطران الثانى والثالث فى (ل : ذرع) للأسد المذرع : على ذراعيه دم فرائسه ، وروايته ، أنشده ابن الأعرابى : * والأسد المذرع المنهوس * والشطر الثالث ، فى (ل : هرمس) أنشده الليث شاهداً على الهرميس : الكركدن ، قال : وهو أكبر من الفيل ، له قرن ، يكون فى البحر أو على شاطئه . وأتى بالرجز فى ستة أشطر فى (فمس) وروايته للشطرين الأول والثانى كما هنا ، وبعدها :

والأسد المذرع النهــــوس ... والبطل المستلئم الحووس
والعلع المهتبل العسوس ... والفيل لا يبقى ولا الهرميس

* ابن الأعرابى : محمد بن زياد ، أبو عبد الله . مولى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس . من أعلام الرواة فى القرن الثانى وأوائل الثالث للهجرة ، وكان نحويًّا كثير السماع والحفظ راوية لأشعار القبائل . توفى سنة ٢٣١ هـ ، عن إحدى وثمانين سنة . (نزهة الألبا ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ ، ابن خلكان ١/٤٩٢ ، الفهرست ١٠٢ ، إنباه القفطى ٣/١٢٨ ، العبر ١/٤٠٩) .

وقد قال بعضُ أَهلِ اللغةِ : الشَّقحطَبُ كبشٌ له أَربعةُ قرون[١].

فلذلك سأَلتُك عن عِدَّةِ قرون هذه الخَيْل .

وأَما قولُكَ إن الأَوْعَالَ فى جبالِها تُراقِبُ الصومَ ولا تراقِبُ الصلاةَ؛ فما غرَضُها عندكَ بما تصنعُ ؟ أَتَصُومُ وعندها ما ترعاه ؟ أَتُظنُّها ترجو رحمةً من اللهِ بذلك؟ وأَىُّ صَوْم للذى ينبذُ الصلاةَ خَلفَه ؟ وقد رُخِّصَ فى تَرْكِ الصوم لِلشيخ الكبيرِ ، ‖ فأَما تركُ الصلاة فمَا رُخِّصَ فِيه ، بل يُصَلى الرجلُ كيف أَمكنه ، حتى يُصَلِّىَ الغريقُ وهو على رَفٍّ سَفينةٍ والمريضُ وهو لا يقدِرُ على التوجُّهِ إلى القِبلةِ . (134)

وادَّعيتَ على الفُقهاءِ أَنهم يُوجِبون على مَنْ وطِئَ الجامعَ الغُسْلَ وإِن كان طاهرًا . أَفتزعمُ أَن هذا الغُسْلَ فرضٌ أَم سُنَّةٌ ؟ فإن زعمتَ أَنه فرضٌ فكذبتَ . وإن زعمتَ أَنه سُنَّةٌ فقد أَخطأْتَ. لأَن الغُسْلَ إنما نُدِبَ إليه فى يوم الجُمعةِ قبل وطء الجامع ، فأَما بعده ، فَلا . وفى الحديثِ : «من تَوضأَ فبِها ونِعمَتْ ، ومن اغتسلَ فالغُسْلُ أَفضلُ»[٢] .

على أَن الناسَ لا يُمكِنُ كثيرًا منهم ذلك ، فكم من خطيبٍ يخطُبُ على مِنْبَرٍ فى يومِ جُمعة ، عهدُه بالغُسْلِ بَعيدٌ .

وزعمتَ أَن «محمدَ بن إِدْرِيسَ الشافعىَ*» كان لا يَقرُبُ من الجامعِ ويَبيتُ فى الكنيسة ، فجَحدتْ بِلادُك : أَتدَّعِى على رجُلٍ من قُرَيشٍ مُطَّلِبِىٍّ معروفٍ بالفِقْهِ أَنه كان يَهجُرُ الجوامعَ ويُكثِرُ المَبِيتَ فى الكنائسِ؟ وما الذى أَفقره إلى المَبيتِ فى الكنيسةِ وهِجرانِ الجوامع ؟ أَمَيْلٌ إلى

---

(١) الشقحطب ، ضبطه المجد فى (شقب) على وزن سفرجل : الكبش له قرنان أو أربعة .

(٢) تخريجه فى كشف الخفا ١١٧/٢ ح ٢٤٤٧ .

* محمد بن إدريس الشافعى ، الإمام = ٢٣٠

الإنجيلِ عن الكتابِ الكريم ورغبةٌ فى صُحبةِ قومٍ ليسوا على دينِه ولا من أهلِ مِلَّتِه ؟ ولعله لم يَبِتْ فى كنيسةٍ قط ، ولا تَرَكَ الجامعَ فى يومِ جمعةٍ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ . والمَوضِعُ الذى كان يَجلِسُ فيه بجامع المدينةِ ، مدينةِ أبى جَعْفرٍ[١] ، معروفٌ إلى اليومِ ، يجلِسُ فيه الفُقهاءُ ببغدادَ .

(٦٥) || وادَّعيتَ على « أبى حَنيفةَ* » أنه كان يأْكلُ لحمَ الفقيهِ دون الفَرَضِىِّ والنحوىِّ .

أفترى « أبا يوسفَ* ، ومحمدًا* » وافقاه فى هذه المسأَلةِ على رأيِك ؟ وقد كان فى زمنه فقهاءُ كثيرٌ ، ولو عَلِموا هذا من رأيه لم يُقَارُّوه ولم يُساكِنوه . وما رأْيُكَ فى « زُفَرَ* » ، أكان يُتابِعُه على هذا القولِ ؟

« أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ على الكاذبينَ »[٢]

(135) وادَّعيتَ || على أهلِ الجزيرةِ أنهم يأْكلون لحومَ الفُقهاءِ فى السَّنة المُجْدِبةِ . وكذبتَ على القومِ . مازال بينهم رجالٌ من أهل الفقه منذ اشتملَ على ديارِهم مُلْكُ الإسلامِ . ولم يَرِبْ أَحَدًا منهم رَيْبٌ إلا كما يَرِيبُه فى غيرِ الجزيرةِ من البِلادِ .

---

(١) مدينة أبى جعفر ، المنصور : بغداد .   (٢) من آيتى : الأعراف ٤٣ ، هود ١٨ .

* أبوحنيفة ، النعمان بن ثابت ، الفقيه (ف) = ٢٢٨

* أبويوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، القاضى الفقيه الحافظ . صاحَب أبا حنيفة فغلب عليه الرأى ، وولى القضاء ببغداد إلى أن توفى بها سنة ٢٨٢ فى خلافة الرشيد . له نحو أربعين كتاباً فى الفقه ، منها كتاب الخراج ، والحدود ، والفرائض ، واختلاف الأمصار . انظرها فى الفهرست ٢٨٦ .

* محمد بن الحسن الشيبانى ، أبو عبد الله ، مولى بنى شيبان . ولد بواسط ونشأ بالكوفة فطلب الحديث وسمع من الأوزاعى والثورى . وصاحب أبا حنيفة فغلب عليه الرأى . ولى قضاء الرقة للرشيد ، وتوفى بالرى سنة ١٨٩هـ . وله نحو سبعين كتاباً فى الفقه ، منها الجامع الكبير ، والصغير ، والحيل ، والعارية ، والوديعة ، والإقرار والإكراه ، والوصايا ، والشهادات . انظرها مع ثبت مؤلفاته فى الفهرست ٢٨٨ .

* زفر بن الهذيل بن قيس العنبرى ، أبو الهذيل . تفقه على أبى حنيفة ، وغلب عليه الرأى . مات بالبصرة سنة ١٥٨ هـ (الفهرست ٢٨٥ ، العبر ٣٢٩/١ ، الفوائد البهية ٧٥).

وزعمتَ أن قوماً بنواحى اليمَنِ يأْكلونَ الذُّرَةَ ويكيلونَها بالذهَبِ ، وإن بعضَهم يجوزُ ألا يكونَ مَلَكَ دينارًا قط .

فمَن يُضرَبُ له مَكُّوكٌ من الذهبِ أو صَاعٌ أو مُدٌّ ، كيف لا يُضرَبُ له دينارٌ ؟ هذه الفِريةُ ، فبِفيكَ التُّرابُ .

ولقد جئتَ بالنكراء فى ادِّعائكَ أن لحمَ الشيطانِ يؤكَلُ . وقيل لـ « عامرٍ الشَّعْبِىِّ* » ماذا تَقولُ فى لحم الشيطانِ ؟ فقال : إن قدَرْتَ عليه فَكُلْهُ . فأَبعَدكَ اللهُ ، أليس فى (الكتابِ العزيزِ) :

« والجانَّ خلقناه من قَبْلُ من نارِ السَّمُومِ »[(١)]

وفى موضعٍ آخَرَ :

« وخَلَقَ الجانَّ من مارجٍ من نارٍ »[(٢)]

فأَىُّ لَحْمٍ له وهو نارِىٌّ ، والنارُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ ليس يَجرِى مُجرَى الطينِ ؟

ولعلك تذهبُ إلى أن الشيطانَ ليس هو الجانَّ الذى عُنِىَ[(٣)] ، وذلك خطأٌ منك . أليس فى الكتابِ الكريم :

« إلا إبليسَ كان من الجنِّ ففَسَقَ عن أمْرِ ربِّه »[(٤)]

وكيف تظُنُّ أنهم يتوصَّلون إلى أكلِه ؟ أيَصِيدونه بفَخٍّ أم شَرَكٍ ؟

---

(١) الآية ٢٧ : سورة الحجر.

(٢) الآية ١٥ : سورة الرحمن.

(٣) [عنى به] ض .

(٤) من الآية ٥٠ : الكهف ، وصدرها : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا إلا إبليس ...».

* عامر الشعبى : أبو عمرو ، عامر بن شراحيل بن معبد الشعبى ، — شعب : بطن من همدان — من أعلام التابعين ، اشتهر بقوة الحفظ وظرف النكتة وحضور البديهة . يروى عنه أنه أدرك خمسمائة من الصحابة . (تاريخ بغداد ٢٢٩/١٢ تذكرة الحفاظ ٧٩/١ تهذيب التهذيب ٦٥/٥) .

أم يَحفِرون له زُبيَةً كَزُبْيَةِ الأَسَدِ؟[١] ولو صدَقتَ لَكان غَثُّ اللحمِ خَبيثَه .

ولم يَكفِكَ ما ادَّعيته من الكذِبِ ، حتى ادَّعيتَ أن الدجَّالَ قد ظهر منذ سِنينَ فى أعمالِ « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأُمَراءِ » — أَعَزَّ اللهُ نصره . وأنه يأوى إلى بعضِ الجُندِ .

ولو علم — خلَّد اللهُ مُلْكَه — لَتقرَّبَ بِدمِه إلى اللهِ سبحانه وأراحَ من أذاتِه المسلمين .

وله شروطٌ وآياتٌ تكونُ قبلَ خروجِه ، لم يظهر منها شىءٌ . وقد كان بالمدينة قومٌ يظنون أن « عبدَ اللهِ بنَ صائدٍ* » هو الدجالُ . فأسلم عبدُ الله بنُ صائد وغزا مع المسلمين . وقال « جابرُ بنُ عبدِ اللهِ* » ، || أو غيرُه (136)
من الصحابة : مازلتُ فى شَكٍّ من عبدِ الله بن صائد ، حتى قُبِرَ .

وكذلك قولُك فى « يأجوجَ » كأنك لم تسمع بقوله تعالى :
« حتى إذا فُتِحَتْ يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنسِلون »[٢].

وكيف لم يظهر الدجالُ ويأجوجُ إلا فى عمَلِ « السيد عزيزِ الدولةِ وتاجِ الملةِ أميرِ الأُمراءِ » — أطال اللهُ بقاءه — وهو من أوسَطِ البلادِ ؟ وإنما جاء

---

(١) الزبية : حفرة للأسد ، وقد زباها تزبية وتزباها (ق) .

(٢) الآية ٩٦ : سورة الأنبياء .

* عبد الله بن صائد :

المشهور فى اسمه أنه « ابن صياد الدجال » قال ابن الأثير : « وقد اختلف الناس فيه كثيراً . وهو رجل من اليهود أو دخيل فيهم ، واسمه : صاف ، فيما قيل ، وكان عنده شىء من الكهانة والسحر . وجملة أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة . ثم إنه مات بالمدينة على الأكثر : قيل إنه فقد يوم الحرة فلم يجدوه . والله أعلم » النهاية فى غريب الحديث :

وانظر حديث الدجال فى صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، وفى مسلم كتاب الفتن .

* « جابر عبد الله » الأنصارى السلمى الصحابى رضى الله عنه (الاستيعاب : ٢٨٦) والسيرة ٣٧٣/٣ وتذكرة الحفاظ ٤٣/١

فى بعضِ الحديث أنه يخرُج فى يهود إصبهانَ . وقال « كعبُ الأَحبار* » لِرَجُل من أَهل البَصْرَةِ : أَفى بلادكم ماءٌ يُقال له كذا ؟ ـ وأَحسِبُه قال : سَفَوانَ ـ قال : نعم . قال : إنه لأَوَّلُ ماءٍ يَرِدُه الدجالُ ، من مِيَاهِ العرب .

وزعمتَ أَن قاضِىَ « حَلَبَ » حرَسَها اللهُ . عادِلٌ مُنصِفٌ ، إلا أَنه يُجيزُ طَبْخَ المظلوم بِقِدْرٍ أَو مِرْجَلٍ .

فما تقومُ شهادتُكَ له بالعدلِ ، بِدَعواك هذه العَظيمة ؟ وقد أَدْرَكْنا بعضَ الناسِ يُحدِّثون عن بعضِ آل كَيْغَلَغَ ـ وأَحسبه إسحٰقَ المعروف بأَبى يعقوبَ* ـ أنه كان يَطْبُخُ مَن يَقَعُ فى يَدِه من الجانِينَ ويُطعِمهُ بعضَ الجُناة الأَحياء . وهذا إفراطٌ فى العقوبةِ لم يُطلِقْه كتابٌ من الكتُبِ ولا سُنَّةٌ . وما زالتْ قُضاةُ حلبَ ، حرَسَها اللهُ ، عادلينَ راشِدين لا يُجيزون ذبحَ الفَرْخِ إلا بحَقٍّ ، فكيف حَسُنَ فى نفسك أَن تَنطِقَ بما نطقتَ ؟

وأَعجبُ من هذا القولِ ، زعمُك أنه يُبيحُ ضَرْبَ خَدِّ المَظلومةِ بالفُؤُوسِ ؛ فإنا للهِ وإنا إليه راجعونَ . لولا أَن أُمَّكَ وأَبَاكَ معروفانِ لَزعمتُ أَنك من القومِ الذين مُسِخوا وقيل فيهم : « كانوا لا يَتَناهَوْن عن مُنْكَرٍ فعلوه »[١] .

وقولُك : إنَّ من دِينِه أَن يأْمُرَ الظالمَ بمعونةِ الظالمة . فمَعاذَ اللهِ ما شهِدْنا إلا بما علمنا « وما كُنَّا للغيبِ حافظين »[٢] .

وادَّعيتَ على هذا القاضِى ، أنه يُحَلِّلُ لِلخَبَّازِ أَن يأْكلَ ‖ كَبِدَ العَجَّانِ (٦٦)

(١) من الآية ٨٢ : سورة المائدة ، فى الذين كفروا من بنى إسرائيل .

(٢) من الآية ٨١ ، سورة يوسف

* كعب الأحبار : ابن ماتع الحميرى (جمهرة الأنساب ٤٠٧ وخلاصة التذهيب ٣٧٣) . من يهود عصر المبعث . أسلم فى زمن أبى بكر رضى الله عنه ، فعد من التابعين . وكان عنده علم بالكتاب والآثار ، بث كثيراً منها فى تفسير القرآن . توفى سنة ٣٢هـ كما فى (طبقات ابن سعد) وجاء فى الشذرات أنه توفى سنة ٣٥هـ . (١/٤٠)

* اسحق بن كيغلغ : أمير حمص ، انظره فى سنتى ٣٣٢ ، ٣٤٧هـ من (تاريخ حلب)

(137) وأىَّ عضوٍ شاءَ من جَسَدِه ؛ فما الذى خَصَّ العَجَّانَ بذلك ، وقد أعان الخبَّازَ على البُغيةِ ومَهَنَ فيما أراد ؟

وأنتَ منذ اليومِ تجيزُ أن يُؤكَلَ لُحومُ الناسِ كأنَّهم ضأْنٌ فى تَوَهُّمِك أو مَعِيزٌ .

وادَّعيتَ على قاضى حلبَ ـ حرسها اللهُ ـ أنه يُحِبُّ أن يدخلَ الجَنةَ ، وأنه مع ذلك يُبغِضُ الحُورَ العِينَ .

وما بلَغَتْ بأَحَدٍ من أهل الأَرضِ بِغْضَةُ النساءِ والغِنَى عنهن ، أن يُبغِضَ الحُورَ العِينَ ! ولأَىٍّ شىءٍ يُبغِضُهن ، وهنَّ لم يُرَيْن قطُّ . ولم يَظهرن لبنى آدمَ وهم فى الحياة ؟

وقد اختلف الناسُ فيهن ، فقال قوم : هن خَلقٌ يخلقُه اللهُ عَزَّتْ قُدرتُه ، ليس من بَنى آدمَ ، واحتجوا بالآيةِ :

« إنا أنشأْناهُنَّ إنشاءً * فجَعلناهن أَبْكَارًا * عُرُباً أترابأ * لأَصحابِ اليمينِ »[1] .

وسُئلَ بعضُ أَصحاب رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم عن الحُورِ العِين فقال: « هن عجائزُكم هؤلاءِ الدُّرْدُ الشُمْطُ » . يَحْتَجُّ بأَنهن يُخلَقْنَ خَلْقاً ثانياً .

وكيف يُبغِضُ الإنسانُ مَن لم يَرَه قطُّ ، وقد وُصِفَ له بالخيرِ دون غيرِه من الشرورِ؟ وإنما يُبغِضُ الإنسانُ مَن لا يَعرفُه إذا وُصِفَ له بالشرِّ .

ولعلَّ «جِرَانَ العَوْدِ النُّمَيرِى* » لو قيلَ له إن امرأتيه «رَزِينةَ وأمَّ

---

(١) الآيات ٣٥ : ٣٨ من سورة الواقعة .

* جران العود ، النميرى : عامر بن الحارث ، من بنى نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر =

حَازم * » تكونانِ فى العاقِبةِ من الحُور العِينِ ، لَصَبَرَ لهما على الأَذاةِ المؤلمةِ إلى آخرِ الدهرِ . وكذلك صاحبُ «جَيْداء*» — وهو ابن أخى «عبدِ الله ابنِ أمٍّ أوفى » صاحبِ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم — ولو قيل له إن جيداءَ امرأتَه تكونُ فى العاقبةِ من الحُورِ العِينِ ، لجَاز أن يُشغَفَ بها شغَفَ «عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ* » بِلَيْلَى ابنةِ الجُودِىِّ* » و «عُروةَ بن الوَرْدِ* » بسَلْمَى امرأتِه لمَّا طلَّقها فقال :

سقَوْنى النَّسْءَ ثم تكنَّفونى عُدَاة اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

— ابن هوازن ، من قيس عيلان بن مضر . وسمى جران العود بقوله يتوعد امرأتيه ، رزينة وأم حازم :

خذا حذراً يا جارتى فإننى رأيت جران العود قد كاد يصلح

أراد بجران العود سوطاً قده من جران عود نحره ، وهو أصلب ما يكون . وديوانه مطبوع فى دار الكتب المصرية ، وهو من شعراء الغفران . وانظر (الشعر والشعراء ٢/٦٠٥ب ، وذيل الأمالى ١٠٢ ، والتنبيه عليه ، مع سمط اللآلى ٤٤٧) .

* صاحب جيداء : يأتى شعر له فيها ، فيما يلى .

وعمه عبد الله ابن أم أوفى الأسلمى ، آخر من بقّ بالكوفة من الصحابة . توفى بها سنة ست وثمانين . (الاستيعاب ١٤٧٨) .

* عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، شقيق السيدة عائشة أم المؤمنين ، أمهما : أم رومان بنت عامر الكنانية . وكان عبد الرحمن من أشجع فتيان قريش وأرماهم بسهم . تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح ، ثم أبلى فى الجهاد أحسن البلاء . وخبره مع :

* ليلى ابنة الجودى الغسانية ، مشهور . وفى (نسب قريش ٢٧٦) أنه رآها فى الشام فهام بها وأكثر من ذكرها فى شعره ، وفيها يقول :

تذكر ليلى والسماوة دونهـا وما لابنة الجودى ليلى وماليا

وفى (الاستيعاب ١٣٩٤) أن ليلى أخذت فى فتح دمشق ، فنفلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، عبدَ الرحمن

* عروة بن الورد ، العبسى (= ١١٧) ، وموجز خبره مع : سلمى الغفارية ، أنه كان قد سباها فى بعض غزواته ، فأعتقها وتزوجها ، وعاشا معاً سنين عدداً أطيب عيش ، وولدت له بنيه.

لكنها ظلت تضيق بما تسمع من نساء قومه : جاءت أمة عروة ، ونعامت أمة عروة . فسألته أن يردها إلى أهلها حتى تخرج إليه من عندهم شأن الحرائر . فاستجاب لها ، فكان أن سقوه الخمر وحملوه على طلاقها فى سكره .

والبيت من شواهد الكتاب ، باب الفاعل ، لقوله : « سقونى . . عداة الله » ورواية سيبويه : سقونى الخمر . وهو فى (صح ، ل) بروايته هنا . وانظره فى شواهد رسالة الغفران .

ــــ وأصلُ النسْءِ : لبنٌ يُخلَطُ بماءٍ ، ويقال إنه أراد به ها هنا الخَمرَ[١] ـــ وكان أهلُه سَقَوْه فلما سَكِرَ وَشَوْا إليه بامرأتِه سَلْمى وعابُوها عنده وسألوه أن يُفارِقَها ففعل . فلما صحَا نَدِمَ .

(138) وقصيدةُ || « الجرانِ » فى ذَمِّ امرأتيه مَعروفةٌ ، ومنها :

ألا لا تَغُرَّنَّ امْرأً نوفليةٌ ... من الناسِ يوماً أو تَرِيبٌ وُضَّحُ[٢]
ولا فاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأنه ... أَساوِدُ يَزْهاها لعينِكَ أَبْطَحُ
فإن الفَتَى المغرورَ يُعطِي قِلادةً ... ويُعْطِي المُنَى من مالِه ثم يُفضَحُ
فتلكَ التى أرضَيْتُ بالمالِ أَهْلَها ... وما كُلُّ ذى بَيعٍ من الناس يَرْبَحُ
جَرَتْ يوم سِرْنا عامدين لأَرضِها ... عُقَابٌ وشَحَّاجٌ من الطيرِ مِتيَحُ[٣]
فأَما العُقابُ فهى منها عُقوبَةٌ ... وأَما الغرابُ فالغريبُ المُطَرَّحُ
أُلاقِى الأَذى والبَرْحَ من أمِّ حَازمٍ ... وما كنتُ أَلقَى من رَزِينةَ أَبْرَحُ[٤]

وهى طويلةٌ . وقال « صاحبُ جيداء »[٥] :

---

(١) نقل فى (ل : نسأ) تفسير الأزهرى للنسء : اللبن المخلوط بالماء ، ومعه تفسير ابن الأعرابى بأنه الشراب الذى يزيل العقل ، ويؤيد ذلك رواية سيبويه : سقونى الخمر .

(٢) قصيدة الجران ، من مختار ابن قتيبة من شعر «جران العود» . قابل روايته فى الشعر والشعراء (٢/ ٦٠٥) على رواية أبى العلاء هنا .

النوفلية : ضرب من امتشاط النساء (خص ٢/ ٤١٤) والترائب مجال القلادة من العنق ، واحدتها تريبة (ض) .

والبيت فى (ل : نفل) شاهد عليه . وروايته للشطر الثانى « على الرأس بعدى ، والترائب وضح » وروى البيت بعده : « أساود يزهاها مع الليل أبطح » الفاحم : يعنى شعراً أسود (ض) .

(٣) الشحيج بالبغل والحمار أخص ، وغراب شحاج ، كثير الشحيج ، وقيل : شحيج الغراب ترجيع صوته ، فإذا مد رأسه قيل نعب . ومتيح : مقدرومتاح . قال الراعى :

أفى أثر الأظعان عينك تلمح ... نعم لات هنا إن قلبك متيح

(٤) أم حازم ورزينة : زوجتا الجران . (ل : تيح)

(٥) صاحب جيداء : ابن أخى الصحابى « عبد الله بن أم أوفى الأسلمى » .

جزاكِ اللهُ ياجيداءُ شرًّا لبذلةِ أَهْلِ بيْتٍ أو لِصَوْنِ
تُعينُ عليَّ دَهْرِى ما استطاعت وليستْ لى على دَهرِى بِعَوْنِ

وزعمتَ أنه لا يَلتفِتُ إلى كلام ِ الغافرِ ، ويُحِبُّ أن يُغْفَرَ له .

فوَيْلَكَ ، ما الذى عَنَيْتَ بالغافرِ ؟ أرجُلاً من بنى آدمَ أم سِوَاه ؟ إنك لَتقولُ قولاً عظيماً .

وزعمتَ فى حكايتِكَ عن هذا الرجُلِ ، أنه كان إذا مات عن أُمِّ الوَلَدِ سَيِّدُها فتزوجتْ ، أجاز لها أن تَبيعَ زوجَهَا من اليَهودىِّ والمُسلمِ والنصرانى .

فهذا أمْرٌ ماذكره صاحبُ خَبَرٍ ولا راوى سُنَّةٍ . وكيف يُجيز قاضى عَدْلٍ[1] أن تبيعَ المرأةُ زوجَها من اليهودىِّ والمُسلمِ والنصرانى ، || والمِلْكُ (139)
والزوجيَّةُ لا يجتمعان ؟ || ما أحسِبُ أن فاركاً من الفوَارِكِ بلغَ بها الفِرْكُ (٦٧)
المتظاهِرُ إلى بَيْعِ الزوجِ . وقد سبَقَ من القولِ أن المِلْكَ والزوجيةَ لا يَجتمعان . وفى الطلاقِ مندوحةٌ إذا رغِبتْ فيه المرأةُ . وقد رُوِىَ أن « دَخْتَنوسَ ابنةَ لقيط.* » كانت عند « عَمْرِو بنِ عُدُسٍ* » وكان شيخاً كبيرًا وبه وَضَحٌ . فوضَع يوماً رأسَهُ فى حِجْرِها فسمِعَتْ جَخِيفَه ، أى غطيطَه ، فقالتْ : اللهمَّ أرحْنِى منه . فوقَعتْ كلمتُها فى أُذُنه فَطَلَّقَها ، فتزوجَتْ شابًّا من بَنِى عمِّها ، وكان الشابُّ فقيرًا . فمَضَتْ تَستَسْقِى لَبَناً من « عَمْرِو

---

(١) فى متن(ف) [قاض عدل] وصححها على هامشه : [قاضى عدل] ومثله ما فى متن ض.

* دختنوس ابنة لقيط بن زرارة التميمى الشاعرة الجاهلية ، ذكرها ابن إسحاق وابن الأثير فى يوم شعب جبلة ، مع شعرلها فى رثاء أبيها لقيط ، الشاعر الفارس (الكامل ١ / ٢١٢) ، وذكرها ابن قتيبة فى ترجمة أبيها لقيط بن زرارة ، وأنشد لها شعراً ترثى زوجها عمير بن معبد بن زرارة . وذكرها الميدانى فى أمثاله ، ويأتى فى (الصاهل والشاحج) مزيد من خبرها ، مع أبيها « لقيط » .

* عمرو بن عدس ؛ الزوج الأول لدختنوس. يذكر مرة باسم عمرو بن عمرو ، وأخرى باسم عمرو بن عمرو بن عدس ، وهوقائل المثل : « الصيف ضيعت اللبن » حين جاءته دختنوس تستسقيه لبناً ، —

فقال : « الصيفَ ضيعتِ اللبنَ » فذهبتْ مَثَلاً . فقالت : « هذا ومَذْقُه ، خيرٌ »(١) فذهبتْ مثلاً أيضاً .

ولو تزوجت « الخنساءُ* » « دُرَيْدًا* » لم يُخطُرْ ببَالِها بَيْعُه(٢) . وإن كانت قد هَجَتْه فقالتْ :

مَعَاذَ اللهِ يَنكِحُنى حَبَرْكَى قصيرُ الشِّبْرِ من جُشَم بنِ بَكرِ(٣)
يَرى مَجْدًا ومكرُمةً أتاها إذا عَشَّى الصديقَ جريمَ تَمْرِ
لَئِنْ أَصبحتُ فى جُشَمٍ هَدِيًّا لقد أودى الزمانُ إذًا بِصَخْرِ

وقال :

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آل عَمْرٍو من الفِتْيانِ أمثالِي ونَفْسِي

= بعد أن طلقها لما سمع من ضيقها به (أمثال الميدانى ١/ ١٨٠) وانظر خبر أسره يوم شعب جبلة ، فى (كامل ابن‌الأثير ١/ ٢١٣) .

(١) المثل لدختنوس بنت لقيط ، تعنى أن زوجها الثانى ، ابن عمها ، على فقره ، خير من عمرو بن عدس على غناه . والمذق اللبن المخلوط بالماء (الميدانى ٢/ ٦٨) واسم زوجها الثانى ، عمير بن معبد بن زرارة . وقد مات عنها فقالت شعرا ترثيه (الشعر والشعراء) :

أعينى ألا فابكى عمير بن معبد وكان ضروباً باليدين و باليد

(٢) يشير إلى المشهور من خطبة دريد بن الصمة تماضر الخنساء وردها إياه ، وقالت فى ذلك شعراً منه الأبيات الرائية هنا. القصة بتفصيل فى الأغانى والشعر والشعراء ، وأمالى القالى (٢/ ١٦١) وانظر معها كتابى « الخنساء » ط دار المعارف بالقاهرة .

(٣) رواه الجوهرى فى (حبرك) :

فلست بمرضع ثديي حبركى يقال أبوه من جشم بن بكر

والحبرك القراد ، وربما شبه به الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين .

* الخنساء : تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى ، من بنى سليم بن منصور ، من قيس عيلان ابن مضر (جمهرة الأنساب ٢٤٩) ، فى طبقة فحول شعراء المراثى عند ابن سلام ، لقيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنشدته بعض مراثيها فى صخر ، وانظر مع ديوانها (ط بيروت) طبقات الصحابة ، وطبقات الشعراء . والخنساء من شعراء الغفران .

* دريد بن الصمة ، بن بكر بن علقمة الجشمى . سيد بنى جشم بن بكر بن هوازن (جمهرة الأنساب ٢٥٨) ومن شعرائها الفرسان ، وكان ميمون النقيبة ، لكن حمية الجاهلية أخذته فلم يسلم .. وانظر مؤتلف الآمدى ١١٤ .

ولا تَلِدِى ولا يَنكِحْكِ مِثْلِى ... إذا ماليلةٌ طرقَتْ بِنَحْسِ
وقالت : إنه شيخٌ كبيرٌ ... وهل خبَّرتُها أنى ابنُ أَمْسِ

وأشباهُ هذا كثيرٌ .

وادَّعيتَ على أهل «سَرْمين ، وقِنَّسْرِينَ» أن أحَدًا منهم لا يَقدِرُ أن يَمَسَّ ذنَبَ الدجاجةِ .

فلعلكَ عنيتَ دَجَاجةً من الدجاج التى عَنَى «عَبَدَةُ*» بقوله :

فى كَعْبَةٍ زانها بانٍ ودَلَّصَها ... فيها ذُبالٌ يُضِىءُ الليلَ مَفتولُ
|| لدى سُتُورٍ وأبوابٍ يُزَيِّنُها ... من جَيِّدِ الرَّقْمِ أزواجٌ تهاويلُ (140)
فيه الدجاجُ وفيه الأُسْدُ مُخْدَرَةٌ ... فى كلِّ شىءٍ يُرى فيه تماثيلُ[(١)]

ولَعَمرى إن هذا الدجاجَ المذكورَ ، متعذِّرٌ على من هو فى هذا الزمان أن يَمَسَّ دجاجةً منه ، لأَنها صُورٌ دارِسَةٌ وتماثيلُ مُتَغيرةٌ . والبلادُ التى كان فيها «عَبَدَةُ» نائيةٌ عن هذه البلادِ . ولو سَمِعَ هذه المقالةَ عنكَ أهلُ التسَرُّعِ والخِفَّةِ من شُبانِ هذين الموضعين ، لَجاز أن يَقصِدَك بِمَحلَّتِكَ أربعون منهم أو خمسونَ ، كلُّهم قابِضٌ على ذَنَبِ دجاجةٍ . يُكذِّبونك بذلك ويُعلِمونَ الناسَ تخَرُّصَك .

وقُلتَ : ما فى الأَرضِ نَصرانىٌّ ولا نصرانيةٌ إلا وهو يَذمُّ القَسَّ وإن كانا يأْتيانهِ فيمن يأْتيه ، حتى مَلِكُ الروم وبطارِقتُه .

فأُمُّ القَسِّ وأُختُه وبِنتُه ، أَلَسْنَ من جُملةِ النصارَى ؟ وكذلك بَنُوه

---

(١٠) دلصها : ملسها وصقلها . والكعبة : كل بيت مربع . مفتول : فتيل . تهاويل : تصاوير (ف ، ض) .

* عبدة بن الطبيب = ٢٤٥
من لاميته المفضلية ، مضت شواهد منها فى صفحة ٢٤٥ .

وإخوتُه وأبوه . ولو سألتَ أقاربَ القُسوسِ من كلِّ بَلَدٍ ، لجاز ألا يقولوا فيهم إلا خيرًا . وإذا كان مَلِكُ الروم يَذُمُّ القَسَّ ، فما الذى يَمنعُه من صَرفِه ؟ ولعلكَ تزعمُ أنه يخافُ من أن يَعقِدَه أو يُحَرِّمَ عليه كما تقول النصارى . وإن ذلك لَخَطَلٌ من القول .

وزعمتَ أن الرجلَ بِـ« تَنِّيسَ » لا يَمشى فى النعلِ العربيةِ إلا ومعه بِطريقان.

ويْحَكَ ؛ ما أبعدَك من الصدقِ ! وفى هذه البلدةِ خَلْقٌ كثيرٌ من الرجالِ ، وأحذيتُهم النِّعَالُ العربيةُ ، فمن أين لهم هذه البطارقةُ كلُّها ؟ والذين يَدَّعون الخِبْرَةَ بِمُلْكِ الروم ، يزعمون أن عددَ بطارِقَتِهم اثنا عشَر بطْرِيقاً ، لا يَزيدون على[1] هذه العِدَّةِ ولا ينقصون . فإذا فُقِدَ منهم رجلٌ جعلوا مكانه سِواه . وهذا ترتيبٌ يَجِبُ أن يكون إلى مَلِكِهم : إن شاء جعلهم عشرينَ وإن شاء جعلهم عشرة . فأما ادعاؤكَ لِهذه المحَلَّةِ أن فيها
(141) ‖ من البطارقةِ آلافاً ، فكذِبٌ لا ريب فيه .

وزعمتَ أن « السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ أميرَ الأمراءِ » ـــ أعَزَّ اللهُ نصرَه ـــ إذا حَضَر مَيْدانَ السِّلْمِ نزل المَسيحُ .

(٦٨) ‖ ولو صَحَّ هذا عند البَطْرَك لقَصَدَ ميدانَه ـ أعزَّ اللهُ نَصْرَه ـ حتى يَنظُرَ صِحَّةَ ما تقولُ ، ولَبَطَلَ حَجُّ الأفرَنْجِ وغيرِهم من أهلِ دينهم إلى « بَيْتِ المقدِسِ » ولنَقَلُوه إلى مَيْدانِ « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ الملَّةِ أميرِ الأُمراءِ » ـــ خلَّدَ اللهُ أيامَه ، ولَجاءتْ الرهبانُ من نجرانَ والحبَشةِ وآفاق الأرضِ وتركوا الصَّوامعَ ، رَغبةً فى النظرِ إلى « المسيحِ » عليه السلامُ .

وقولُكَ إن رجلاً ببَلَدِ كذا يَفعَلُ ويصنع ـــ وذكرتَ أشياءَ تَنقُضُ

(١) [يزيدون من] فى ض .

الصلاةَ ــ ثم قلتَ إن المسلمينَ واليهود والنصارى يَشهدون أنه يُصَلِّى فى تلك الحال .

فيجوزُ أن تكونَ أردتَ بقولِك : يُصَلِّى ، فى آخرِ كلامِكَ ، ما يَستَقْبِلُ من الزمانِ . وقد يجوزُ للرجُلِ أن يَرى السابحَ فى الماءِ وصائدَ السمَكِ ، ويشهدُ فى تلك الحالِ أنه يُصَلِّى فيما بعدُ .

وادَّعيتَ على القَصَبَةِ المسكينةِ ، أن « السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ الملةِ أميرَ الأُمراءِ » ــ أعزالله نصرَه ــ يُبغضُها ، وكذلك غيرُه من الأُمراءِ الراشدين .

ولو صَحَّ ما زعمت لأَحْرَقَ بالكتابِ الواحدِ من الحَضْرةِ العاليَةِ جميعَ قَصباءِ الشامِ حتى لا يَجِدَ أحدٌ قَصَبةً يَستعينُ بها فى بناءٍ ولا يَشُدُّ فيها المِخَمَّةَ لِسَفْرِ ما غزلَه الشِّبْثَانُ عند الرَّوافِدِ وأَعالِى الجُدُرِ ، ولما وجَدَ رَاعٍ قَصَبَةً يَتخِذُ منها نَقيباً لِيُشَايعَ بين الإبلِ(١) .

ولِمَ رَمَيْتَ القَصَبةَ بهذه العظيمة ؟ لعلكَ شربتَ يوماً ماءَ القَصْباء فاستوْبَلتَه . فيقال إنه ماءٌ ردىءٌ للشاربِ . وقد اختلفوا فى قولِ « الهُذَلِىِّ* » :

متى ما أشَأْ غيرَ زهو الملو ... كِ أَتْرُكْكَ رَهْطاً على حُيَّضِ
|| وأَكْحَلْكَ بالصَّابِ أو بالجَلَى ... ففَتِّح لِكُحلْكَ أو غَمِّضِ (142)
وأُسعِطْكَ فى الأَنفِ ماءَ الأَبا ... ءِ مِمَّا يُثَمَّلُ بالمخْوَضِ

(١) المخمة : المكنسة (ف) خمت البيت : كنسته ، والخمامة الكناسة . والسفر الكنس أيضاً (ق) . والشبثان : العنكبوت (ف) ، جمع شبث بالكسر . والروافد : خشب السقف ، والنقيب : المزمار . وشايع الراعى الإبل ، إذا زمر لها فسمعت صوت المزمار فاجتمعت ، ويقال للمزمار شياع أيضاً (ض) .

* الهذلى : هوأبوالمثلم (ف) .

والأبيات هنا ، لم أجدها فى شعر أبى المثلم بديوان الهذليين ، والبيتان الثانى والثالث منها ، فى (ل ، ت : أبأ) لأبى المثلم الهذلى . قاله الزبيدى : وقرأت فى مشكل القرآن لابن قتيبة ، فى باب=

فقيل : أراد بماء الأَباءِ عُصارةَ ورَق القَصَبِ ، وهو من القَواتِلِ . وقيلَ : أراد الماءَ الذى يَنبُتُ فيه القَصَبُ .

وادَّعيتَ أن بدِمَشْقَ سَمَرةً مُسْلِمين يُحِلُّون السبتَ ، وما حَدَّثَ بما قُلتَ خبيرٌ . إنما السَّمَرَةُ قومٌ من يَهودَ .

وادَّعَيتَ أن « البارَةَ » تُسافِرُ كما يسافِرُ الركْبَانُ . وقد رُوِىَ عن « ابنِ عباسٍ* » أن بعضَ جبالِ « مَكَّةَ » ـ وأَغلَبُ ظَنِّى أنه أبو قُبَيسٍ ـ كان من جبالِ خراسانَ فجاءَ مهاجرًا إلى مكةَ . ولَعَمْرى إن جبالَ مكةَ تَستوجبُ أن تظهرَ لها المُعجزةُ وتَنزِلَ عليها الآياتُ ، فأَما « البارَةُ » فَقريَةٌ من قُرَى الشام دَامِرةُ المسجدِ ليس بينها فَرْقٌ وبين غيرِها من غُنِّ القرياتِ(1) . وقد كان وقع بها حَريقٌ من الرومِ وغيرِهم ، فليتَ شِعرى فى ظنِّك ، هل أَحدثَتْ لها النارُ مِزاجاً حَيوانيًّا تَقدِرُ به على السَّفرِ ؟

= الاستعارة ، قول الهذلى وهو أبو المثلم :

وأكحلك بالصاب أو بالجلا ففتح لكحلك أو أغمض

وأسعطك فى الأنف .. البيت .

قال : الأباء : القصب — واحدته أباءة ، كعباءة — وماؤه شر المياه . ويقال : الأباء هنا : الماء يبول فيه الأروى فيشرب منه العنز فيمرض . أهـ . والمخوض ، للشراب ، كالمجدح للسويق .

والبيت الأول ، جاء به الجوهرى فى رهط) — غير منسوب إلى قائله — شاهداً على : الرهط جلد قدر ما بين السرة إلى الركبة ، تلبسه الحائض . وأضاف : وحكى النضر بن شميل : الرهاط جلود تشقق سيوراً ، واحدها رهط ، والحيض : جمع حائض .

وأنشده ابن السكيت فى (باب الثياب) من كتاب الألفاظ(٦٦١) ، لأبى المثلم الهذلى ، يخاطب عامر بن العجلان . وروايته :

متى ما أشا غير زهو الملو ك أجعلك رهطا على حيض

(١) الدامرة : الدارسة ، دمَّر المكان يدمُر دماراً ، درس أثره. والغُنّ من القريات : الغناء العامرة بالأهل والبنيان . ومن الرياض الكثيرة العشب .

* عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم (نسب قريش ٣٨) ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه (الاستيعاب ١٥٨٨)

سُبحانَ الله وتعالى عما يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا[١].

وادَّعَيتَ أن أَهلَ الزَّوْجِ يَفْرَقُونَ من النائِمِ .

فيا للَعجبِ ، أيأْمَنونَ الحَىَّ ويَخافون مُناسِبَ المَيِّتِ ؟[٢] قال اللهُ تعالى :

« اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حينَ موتِها والتى لم تَمُتْ فى مَنامِها »[٣].

وقيلَ لِبَعضِ الحُكماءِ : صِفْ لنا الموتَ . فقال : نَومَةٌ طويلةٌ . فقالوا : صِفْ لنا النومَ . فقال : مَوْتَةٌ قصيرةٌ .

وأما القَريةُ المعروفةُ بِـ « أَوْرَمَ » ، فقد نزلتُ فيها[٤] صيفاً وعايَنتُ بها شُباناً لا يَرفعون رُءُوسَهم من النوم . وبِتُّ بها لَيَالِىَ وأحسستُ غطيطاً من كلِّ جهة[٥].

وزعمتَ أن العَدْلَ من عُدُولِ القاضى بمدينة السلامِ ، لا يدخُلُ عليه إلا ومعه دُفَّانِ كلُّ واحدٍ منهما أَحَبُّ إليه من مائةِ دينار .

ولو أنهما مأْشوَرانِ من خَشَبِ القُطْرِ[٦] لمَا زادَ الأَمرُ على ما ادَّعيتَ. (143)
وما حاجَةُ العَدْلِ إلى حَمْلِ الدُّفَّيْنِ ؟ أيَكتبُ فيهما ما يَسمَعُ من العلمِ ؟ فبعضُ الناسِ تكونُ معه أَلواحٌ صِغارٌ يَكتبُ فيها ما يَسنَحُ له من الفوائد ، وأَغلاها قِيمةً لا قَدرَ له .

---

(١) تضمين لآية الإسراء ٤٣ « سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيراً » .

(٢) يعنى بمناسب الميت : النائم . وانظر أهل الزوج وخوفهم ، فى أحاجى الشاحج . ص ٢٣٢ .

(٣) من الآية ٤٢ : سورة الزمر .

(٤) كذا فى متن الأصلين . وعلى هامش (ف) : [بركت فيها] .

(٥) الغطيط : صوت النائم (ف) .

(٦) كذا فى (ف) والقطر ، بضم فسكون ، و بضمتين : العود الذى يتبخر به .
وفى ض : [من خشب العطر] .

وقد يجوزُ أن تَعنيَ رغبةَ الرجُلِ فيما يُستودِعُه الدقيقَ من العلمِ ، فإن الكلمةَ الواحدةَ ربما عَدَلتْ عند العالمِ بَدْرةً أو أكثرَ . والمعروفُ من أهل العِرَاقِ أنهم يكتبونَ العلمَ فى الجَيِّدِ من وَرَقِ خُراسانَ ، ولا نَعلمُ أحَدًا من عُدُولهِم يَحضُرُ مجلسَ القاضِي ومعه دُفَّانِ بهذه الصفة .

(٦٩) وادَّعيت || أن حاملَ الدُّفَّيْنِ يَكونُ الساجُ على كتفَيْه[١].

وهذه المُثْلَةُ لا يَرْضَى بها الباعةُ ولا أَهْلُ الدناءَةِ ، فكيف يَحتمِلُها العَدْلُ المَرْضِيُّ ، وإنما تُقْبَلُ شهادة الرجُلِ إذاجمع بين الدينِ والمُروءَة؟ وما الذى أفقَره إلى أن يَحمِلَ الساجَ على كتفيه كأنه مُكترى لِلمِهْنَة أو غُلامُ نَجَّارٍ من بعضِ العامة ؟ ولَعمرى إن الدفَّ الذى يُلعَبُ به ، فيه لُغتان[٢] ومَعاذَ الله أن يَحْمِلَ ذلك رجلٌ فيه خيرٌ ، وإنما تَحمِلُه الجَوارى الناشئاتُ والعجائزُ يَتكلَّفْنَ حَمْلَه فى الولائم. يَقولُ النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم : « أَعْلِنوا النكاحَ واضرِبوا بالدُّفِّ »[٣] وقال الراجزُ :

وطالما سُقْنا المطِيَّ زَفًّا
ليلاً وأَنتِ تقرعِين الدُّفا

وإنما يُعَيَّرُ الرجلُ بِحَمْلِ الدُّفِّ إذا هُجِيَ . والمُرادُ بذلك أنه من أهل التَخنيث . قال الشاعر :

أَنِّى لعَفَّانٍ أَبيكَ سَبيكةٌ صفراءُ والنهرُ العُبابُ الأزرقُ
وورِثْتَه دُفًّا له ويَراعةً جوفاءَ كان بِنَفْخِها يَتَمطَّقُ[٤]

---

(١) الساج — فى معناه القريب كما فهم الجمل — خشب يجلب من الهند (ف) .

(٢) الدف ، بالفتح والضم ، واحد الدفوف ، والضم أعلى (ق) .

(٣) المراد بضرب الدف : إعلان النكاح قاله « ابن الأثير » فى (النهاية) — باب الدال وتخريج الحديث فى (كشف الخفا ١/١٦٢ ، ح ٤٢٢).

(٤) البراعة : القصبة المثقوبة . يتمطق : يسمع لفمه صوت ، وهوكالتطعم بعد الأكل (ض).

وزعمتَ أن أهلَ «عَزازَ» فى كلِّ ليلةٍ تَبرُكُ|| عليهم النعامةُ . وتلك (144)
أَرْضٌ لا يَطرُقُها النعامُ إلا بعد أن يُصادَ . فلو ادَّعيتَ ذلك لِلمَزالفِ من
الأَرضِينَ لَكان أَوْلى بكَ وأَخْلَقَ . ومثلُ هذا الكلامِ تقولهُ العربُ على
سبيلِ التقليلِ والاحتقارِ، كما قال :(١)

ولو أن عُصفورًا يَمُدُّ جَناحَه على آلِ طَيْئٍ كلِّها لَاستظَلَّتِ

وقال «زيادُ الأَعجمُ*» :

زعمتْ غُدانةُ أن فيها سَيِّدًا ضخماً يُواريه جَناحُ الجُنْدُبِ
يُرْويه ما يُرْوى الذبابَ فينتشى سُكرًا، ويُشبِعُهُ كُراعُ الأَرنب

وقد يجوزُ أن تعنِيَ بقولِكَ: تَبرُكُ عليهم النعامةُ، أى عندهم وفيهم.
كما يقالُ : نزلنا على بنى فُلانٍ . ولا يُرادُ أنهم نزلوا بأَجسامِهم على
أجسامِ أولئكَ ، وإنما يُرادُ أنهم كانوا تَضيَّفوا القومَ أَو نزلوا بين ظهورِهم .
وإنما يَنبغى أن تدَّعىَ مِثلَ هذا فى الأَرضِ يَكثُرُ بها خِيطُ النعامِ .
وأَمَّا أَرضٌ لا تمرُّ بها النعامةُ إلا وهى مَصيدَةٌ ، فمُحَالٌ .

وزعمتَ أَن العدلَ من أهل «مَنْبِجَ» لا يُرَى عند قاضِيهم أَوْ وَاليهم مُسَلِّماً.

---

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت ، وأراه غير بعيد من قول الطرماح يهجو بنى تميم :

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكر على صفى تميم لولتِ
ولو أن حرقوصاً يزقق مسكه إذن نهلت منه تميم وعلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لأكنت

(الشعر والشعراء ٢/٤٩٠) وانظر الموشح ٢٤٤ .

* زياد الأعجم : أبو أمامة بن جابر – أو : ابن سليم ، أمه – من بنى عبد القيس ، وقيل ولاهم . شاعر إسلامى مجيد ، فى الطبقة السابعة من فحول الإسلاميين ، ومن شعراء الحماستين . وكان ينزل باصطخر . وفى (ذيل الأمالى : ٩) قصيدة حائية من مختار شعره ، أبياتها خمسون بيتاً . كان « القالى» يظنها للصلتان العبدى ، وقال ابن دريد إنها مما أنشده الأخفش لزياد الأعجم ، فى رثاء المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة . وانظر ترجمة زياد فى : (مؤتلف الآمدى ١٣١ والشعر والشعراء ١/٣٤٣ وأدباء ياقوت ، والأغانى ١٤/٩٨) مع أمالى اليزيدى ١/١ وشرح شواهد المغنى ٧٠ .

ولو ذهب رسولٌ قاصدٌ يَكشِفُ عما قلتَ لَوجَدك مُبطِلاً متخرِّصاً . ولا بُدَّ لِعُدُولِ البَلَدِ وأَمَاثِلِ أَهْلِه ، من السلام على الوالى والقاضِى . وبهذه العادةِ جَرَتْ أَخلاقُ الناسِ فى كلِّ الأَوطانِ .

وزعمتَ أن السنانيرَ إذا كانت فى الباديةِ تقلَّدتِ السيوف ولَعِبتْ بالرماحِ .

ولا يَلعَبُ بالرُّمْحِ إلا مَن يَقدِرُ أن يطعنَ به . فلو صَحَّ هذا من دَعواكَ لاجتمعتْ سنانِيرُ هذا الإقليم فصَدَّت الجيشَ الذى يَعْمِدُ لأَهلِه بالأَذاةِ . لأَن أهلَ كلِّ دارٍ لا يَعدَمون سِنَّورًا من السنانير .

وادَّعيتَ أن أهلَ « بَعْلَبكَّ » يَفرَحُ كلُّ واحدٍ منهم أن تكونَ له أَمَةٌ وأن كلَّهم يكرهون الحرائرَ .

(145) وهذا خُلُقٌ ليس عليه أَحَدٌ من أهل البلاد . || ويَجوزُ أن تتفقَ هذه الشيمةُ فى الرجُلِ بعد الرجُلِ ، فأَما أن يكونَ أَهلُ البلدِ كلهُّم مُصْفِقينَ على هذا الرأى ، فمستحيلٌ فى النظرِ والمعقولِ . وما الذى يَكرهون من الحرائرِ ويُؤْثِرونه من الإماءِ ؟ وليس أَحدٌ فى الأَرضِ يختارُ أن يكونَ أُمُّه أَمَةً . ومن أَيْمان العرب : أُمِّى قَينةٌ إن كان كذا . ومن أَمثالِهم : لا تَبُلْ فوق أَكَمةٍ ولا تُحَدِّثْ سِرَّكَ ابنَ أَمَةٍ . وما زال ذمُّ الإماءِ موجودًا فى منثورِ كلامِهم والمنظومِ . وفى كلامٍ يُروَى عن « لُقمانَ بن عادٍ* » فى حديثِ حُزَيْنٍ الذى يذكرُه أصحابُ الحديث ، ذَمٌّ لابنِ الأَمَةِ ، وذلك أن « لقمانَ بنَ عادٍ » كان له سَبعةُ إخوةٍ فخطبُوا كلُّهم امرأَةً واحدةً وخطبَها لُقمانُ معهم . واتفقوا على أن يصفَ لُقمانُ كلَّ واحدٍ منهم فتختارَ أَيَّهم شاءت .

---

* لقمان ، بن عاد = ٨٩ ، ٢٧٤ و « حزين » سادس إخوته .

فقال « لقمانُ » : خُذِى منِّى أَخى ذا البجَل ، إذا كلأَ القومُ غفل ، وإذا سَعَى القومُ نسَل[١] ، وإذا كان الشأنُ اتَّكل .بعيدٌ من نَبِيءٍ قريب من نضيج . فلَحْياً لِصاحبِنا لَحْياً .

ثم قال : خُذِى مِنِّى أَخِى ذا الثَّجْلَة[٢] ، يَخْصِفُ نَعْلِى ونَعْلَه ، ويُطعِمُ أَهْلِى وأَهلَه ، وإذا كان يومُه قُدِّمتُ قبلَه[٣] .

ثم قال : خُذِى منى أَخى ذا العِفاقْ ، أَفاق صَفَّاقْ ، يُعمِلُ الناقَةَ والسَّاق[٤] .

ثم قال : خُذِى منى أَخى ذا النَّمِرْ ، حَيِّيٌّ خَفِرْ ، شجاعٌ ظَفِرْ ، أَعجبنى وهو خيرٌ منه إذا سَكِرْ .

ثم قال : خُذِى منى أَخى ذا الأَمَد ، بَحْرٌ ذو زَبَد ، وجَوَّابُ لَيْلٍ سَرْمَد .

ثم قال : خُذِى منى أَخى ذا الحُمَمَة ، يهَبُ الناقَةَ السَّنِمَة ، والمائةَ البقرةَ العَمَمَة ، والمائةَ الشاةَ الزَّهِمَة ، وإذا كان على عادٍ ليلةٌ مظلمة ، قال : اكفُونى الميمنةَ وأَكفِيكم المَشأَمَة ، وليس فيه لَعْثَمَة ، سوى أنه ابنُ أَمَة[٥] .

ثم قال : خُذِى منى أَخى حُزَيْنا ، أَوَّلنا إذا غَدَوْنا ، وآخرنا إذا استجبنا ،|| ومُطعِمِ أَبنائنا إذا شَتَوْنا ، وفاصل خطَّةٍ أَعيَتْ علينا ، ولا يَعُدُّ فَضْلَه لَدَيْنا . (146)

---

(١) البجل : كثرة اللحم ، والضخامة . كلأ القوم : حرسهم . نسل : أسرع (ض) .

(٢) الثجلة : عظم البطن (ف) ثجل ، كفرح : عظم بطنه واسترخى (ق) . يخصف : يرقع .

(٣) يعنى : يوم موته (ف) ، وهومثل الدعاء الشائع : جعل الله يومى قبل يومك .

(٤) ذو العفاق : سيار فى الأرض كثير التردد لا يزال يجىء و يذهب ، وأفاق : طواف ، بالآفاق . صفاق ، من الصفقة فى التجارة ، يعمل الناقة والساق ، يعنى : يركب و يمشى (ف) .

(٥) السنمة : ذات السنام الضخمة. والغممة : الطوال . والزهمة : السمان ذات الدسم . عاد : يعنى قومه ، والمشأمة الميسرة ، ولعثمة : توقف وتردد (ف) .

ثم قال: أنا لُقمانُ بنُ عاد، ابنُ عاديةٍ لِعادٍ[1]، أَضْطجِعُ فلا أَجْلَنْظِي، ولا تملأُ رِئَتِي جَنْبِي. إنْ أَرَ مَطعمي فحِدَاءُ تَلمَعُ، وإلاَّ أَرَ مَطعمي فوقَّاعٌ بِصُلَّعٍ.

ألا تَرى إلى قولِه: سِوَى أنه ابنُ أَمَة، كيف عابَه بذلك؟ وإنما تُعَابُ الأَمَةُ إذا كانتْ مُبتذَلَةً. فأَمَّا إذا حَصَّنها مولاها، فلا فَرْقَ بينها وبين الحُرَّةِ، قال الشاعِرُ:

وكائِنْ تَرى فينا مِن ابنِ سَبِيَّةٍ ... إذا لَقِيَ الأَبطالَ يَضربُهم هَبْرا[2]
فمَا زَادَها فينا السِّباءُ نَقِيصةً ... ولا احتَطبتْ يوماً ولا طبخت قِدْرا
ولكنْ خلَطنَاها بِخَيْرِ نِسائنا ... فجاءَتْ بهم بِيضاً وجُوهُهُمُ زُهْرَا

ورُبَّ سَيِّدٍ من القوم ومَلِكٍ عظيمٍ ونبيٍّ عندَ اللهِ كريمٍ، قد ولَدَتْه الإِماءُ. ولمَّا فتحَ «قُتَيبَةُ بنُ مُسْلِمٍ*» بعضَ بِلادِ الأَعاجم: الصُّغدَ أو غيرَها من البلادِ، وجَد فيها امرأَةً شريفةً من بَنَاتِ بعضِ الملوكِ، فلما نظر إليها قالَ لأَصحابِه: «ما تَرَوْنَ فى ابنِ هذه؟ أيكونُ هَجِيناً؟» فقالوا: «مِن قِبَلِ أَبيه». يَشهدُون لها بالصراحةِ والفضلِ. فبعَث بها

---

(١) ابن عادية لعاد، يعنى من فرسان عاد، والعادية الجماعة تعدو. ولا يمتنع أن تكون عادية مراداً بها أمُّه. أجلنظى: أستلقى على الأرض وأرفع رجلى. حداء: جمع حدأة، الطائر المعروف. تلمع: أى تحوم إذا أطعمت فتلمع بالجناح. وصلع: جبل صغير لا نبت عليه، أخذ من الصلع (ف، ض).

(٢) يضربهم هبراً: يقطع اللحم قطعاً كباراً (ف).

* قتيبة بن مسلم، بن عمرو بن الحصين الباهلى، صاحب خراسان، ذو الآثار المشهورة (جمهرة الأنساب ٢٣٤) من كبار قادة الفتوح الإسلامية فى العصر الأموى، فتح خراسان وبلاد صاغان من الترك صلحًا، وغزا فرغانة فافتتحها منتصرًا وولى خراسان سنين، وقتل فى أواخر سنة ٩٦ بسيف الفاتك وكيع بن حسان بن قيس اليربوعى. (جمهرة الأنساب ٢١٥، ٢٣٤، تاريخ الطبرى من سنة ٧٦ إلى سنة ٩٦، والعبر ١١٤/١).

إلى « الحَجَّاجِ * » وحُمِلَتْ إلى « الوليدِ بنِ عبد الملكِ * » فولدتْ له « يَزِيدَ بنَ الوليدِ : الناقِصَ * » وكان من أَفضلِ مُلوكِهم . وإنما سُمِّيَ الناقِصَ لأَنه نَقَصَ أعطِياتِ الجُنْدِ . وقد كان « عليُّ بنُ الحُسينِ * » رضى اللهُ عنه ، ابنَ أَمَةٍ .

وزعمتَ أن أهلَ « بَعْلَ بَكَّ » لهم كرومٌ كثيرةٌ ، وأن الرجلَ منهم لا يُرَى في كَرْمٍ طولَ حياته .

فمن الذى يَنوبُ عنهم فى اتخاذِ العُنْجُدِ وعَصْرِ العِنَبِ واجتِناء الثمَرة ؟ أَرجالٌ منهم أم نِساءٌ ؟ إن كانوا يَصُونون نِساءَهم عن ذلك فلا بُدَّ من استِعانتهم بقَومٍ ليسوا منهم يَجْنُون لهم || ما أَينع من الثمارِ، (147)
ويَضَعون ما قُطِفَ من العِنَبِ فى الجَوْخَانِ[1] . ولقد وصفتَ هولاء القَومَ بِضِدِّ ما وَصَفَ به « أبو محْجَنٍ * » نفسه فقال :

---

(١) العنجد ، ضرب من الزبيب (ص) وحب العنب أو ثمره ، والجوخان : الجرين (ق : جاخ).

* الحجاج = ١٧٩ .

* الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم ، ولى الخلافة بعد أبيه عبد الملك، سنة ٨٦ هـ. توفى فى جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ .

* يزيد ، الناقص، بن الوليد بن عبدالملك .. أمه أم ولد من بنات الأكاسرة: شاهفريد بنت كسرى بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار ملك الفرس (جمهرة الأنساب ٨١) ولى يزيد الخلافة فى جمادى الآخرة سنة ١٢٦ بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ومات يزيد فى ذى الحجة سنة ١٢٦ هـ سمى ناقصاً لأنه نقص الجند أعطياتهم ، وكان فيه زهد وعدل وخير(الطبرى سنة ١٢٦ هـ) .

* على بن الحسين ، بن على بن أبى طالب : الإمام زين العابدين (= ٢٢٢) أمه أم ولد (نسب قريش ٥٨) بنت يزد جرد آخر ملوك الفرس. وأختاها أم القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأم سالم بن عبد الله بن عمر. كان أهل المدينة يكرهون السرارى ، حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة ففاقوا فقهاء المدينة ورعاً ، فرغبت الناس فى السرارى . وفى الإمام زين العابدين بقية ولد الإمام الحسين رضى الله عنهما. ت سنة ٩٤ ودفن بالبقيع .

* أبو محجن الثقفى ، مالك بن حبيب بن عمر ، من بنى ثقيف بن بكر بن هوازن (جمهرة الأنساب ٢٥٧) أسلم مع وفد ثقيف عام الوفود: وهو من الشعراء الفرسان الأبطال، من فحول شعراء الطائف فى طبقات ابن سلام (٢١٧ ذخائر) — معه: مؤتلف الآمدى ٩٥، والشعر والشعراء ١/٣٣٦ — بيروت =

إذا متُّ فادفِنّى إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ   تُرَوِّى عِظامى فى المماتِ عُروقُها(١)
ولا تَدفِنَنِّى فى الفَلاةِ فإننى   أخافُ إذا ما مِتُّ ألاَّ أذوقُها(٢)

ورَوَى «الأَصمعىُّ*» بإسنادٍ له ، أن قبرَ «أبى مِحْجَنٍ» بإرمينيةَ فى كَرْمٍ تحت الشجَرةِ الرابعةِ منه ، وكان غزا بإرمينيَةَ فمات هناك .

وزعمتَ أن الكوفةَ والبصرةَ ومصرَ يجوز أن يجتمعن بِجُوسِيَةَ فى يومِ خميسٍ أو جُمُعةٍ .

وما عَلِمنا أن أرضاً من الأَرَضِينَ سارتْ من مكانِها إلى سِوَاه . وإنما قالوا : لا أفعل كذا ما رَسَا ثبيرٌ وما أقام عسيبٌ . لِعلْمِهم أن الجبالَ لا تَنتقِلُ . والأَرضُ التى عليها الجبَلُ ، أَوْلَى بالثباتِ منه لأنها أثقَلُ ، ولأن الجبلَ رُبَّما شُبِّهَ بالراكِبِ أو القائمِ وهما أقربُ إلى المشى من الأَرضِ المَدْحُوَّةِ(٣). ولم تزل الشُعراءُ يَدُلُّ كلامُها على ثَباتِ الأَرضِ والجبالِ .

وليست «جُوسِيَةُ» أَرضَ المَحْشَرِ فَتَدَّعى أن غيرَها يُضهَلُ إليها يومَ القيامة(٤) ، ولعلك تَحتجُّ بِقولِ الشاعرِ الذى أنشده «أبو الغَوثِ بنُ

=وله بلاء مشهود فى فتح القادسية ، ذكره مترجموه فى طبقات الصحابة (الإصابة جـ٧ والاستيعاب رقم ٣١٦١) وابن سلام فى الطبقات . وفصله الطبرى فى فتح القادسية (٤/ ٨١) والسيوطى فى شرح شواهد المغنى ٣٧ . أمه كنود بنت عبد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

(١) رواه ابن حزم فى جمهرة الأنساب : « تروى عظامى عند ذاك» ورواية ابن قتيبة والسيوطى للبيت الأول : « تروى عظامى بعد موتى» وفى يوم القادسية (بتاريخ الطبرى .) من خبر هذا الشعر ، أن سعد بن أبى وقاص حبس أبا محجن فى خمريته هذه ، وكان القتال محتدماً بين المسلمين والفرس ، فتوسل أبو محجن إلى امرأة سعد فأطلقته ليشارك فى معركة النهر ، وأبلى يومئذ بلاء مشهوداً ، ثم عاد إلى محبسه حتى عفا عنه سعد . بتفصيل فى تاريخ الطبرى ٤ /٨١ وشرح شواهد المغنى ٣٧ .

(٢) البيت من شواهد النحاة ، على رفع الفعل بعد أن ، مخففة من أن الثقيلة (المغنى رقم ٣٦) وروايته كرواية أبى العلاء هنا . ورواه ابن قتيبة فى الشعروالشعراء : ولا تدفننى بالفلاة .

(٣) المبسوطة (ف) .   (٤) يضهل إليها : يرجع اليها (ف) .

* الأصمعى = ٢٠٩ .

البُحتُرِيّ* » عن أبيه عن « حبيبِ بن أَوْسٍ* » :

أَيا جَبَلَيْ بَطْنِ العِدَانِ هل أنتما ... إنِ احتملَ الأُلَّافُ مُحتَمِلانِ
كأنكما فى الآلِ لَمَّا نهضتما ... حِصَانانِ فَاتَا الخيلَ مُطَّرِدان
|| كأنَّهما قُدَّامَ جَيْشٍ طليعةٌ ... على جانب الحَوْمَاء يَرْتَبِئانِ (٧١)
وقد زعموا أن العِدَانَ أبوهما ... وأَنَّ إلى الحَوْماء يعتزيانِ
|| وذاكَ أَبٌ بَرٌّ وأُمٌّ لَطِيفةٌ ... ولا صَبْرَ عن أَرضٍ بها أَبَوانِ[1] (148)

ـــ هكذا الروايةُ عن « أبي الغَوْثِ » وفى (كتابِ النسيبِ) :

* وذاكَ أَبٌ فَظٌّ وأُمٌّ غَلِيظةٌ * وفيه : الحَزْمَاء ، مَكانَ : الحَوْماء .

وفيه : العَدَان ، بِفَتح العَيْن ـــ

فكأنكَ تَظُنُّ أن قولَه : * هل أنتما ... إن احتمل الأُلَّاف محتملان *

دَليلٌ على أنهما يَنهضانِ للرِحْلةِ . وهيهات ! إنما هذه المَقالةُ منه على سَبيلِ الأَسَفِ والتقرير أنهما لا يظعنان أبدًا ، كما قال الآخرُ[2] :

هل أنتَ ابنَ لَيْلَى إنْ نظَرتُكَ رائحٌ ... مع الركْبِ أَو غادٍ غَدَاةَ غدٍ مَعى؟

أَى : إنك لا تبرَحُ أَبدًا . وقال « لبيد* » :

---

(١) بطن العدان ، موضع . احتمل الألاف : ارتحل الأصحاب . الآل : السراب . يرتبئان : يرصدان . يعتزيان : ينتسبان (ف) .

(٢) البيت لأرطاة بن سُهية المرى ، من شعراء الحماسة. وسهية أمه، وأبوه : زفر بن عبد الله ابن مالك ، من سعد بن ذبيان . شاعر إسلامى فصيح ، كان مقرباً من بنى أمية .

الشاهد هنا من مرثية له حماسية (١/٥١٩) ورواية أبي تمام ، كرواية أبي العلاء . وبعده:

وقفت على قبر ابن ليلى فلم يكن ... وقوفى عليه غير مبكى ومجزع

* أبو الغوث بن البحترى الوليد بن عبادة الطائى . من رواة شعر أبيه وأخباره . يذكر معه فى التراجم الموسعة لأبيه البحترى . وانظر مقدمة الحماسة ، للمرزوقى . ط مجمع دمشق .

* البحترى ، = ٢٣٤ ، وحبيب بن أوس ، أبو تمام = ٣١٠

* لبيد : بن ربيعة العامرى = ٩٣

وهل عايَنْتَ من أخَوَينِ دَامَا على الأيامِ إلا ابْنَى شَمامِ[1]؟
وهما جَبَلانِ .

وزعمتَ أن أهلَ « رَفَيَّةَ » يـأمَنونَ البيتَ والمسجِدَ ويفرَقُون من الدَّارِ
وما الذى أَوْجَبَ فَرَقَهم منها ؟ وهل البيتَ إلا جُزءٌ من أجزائِها ؟

وأما قولُكَ إن العربَ كانت تتشاءَمُ بالصُّرَدِ[2] ، فذلك معروفٌ منهم .
أنشد « ابنُ الأعرابيّ* » .

تَغْتَالُ عَرْضَ النُّقْبَةِ المُزالَهْ ولم تَبَطَّنْها على غِلالهِ
إلاَّ بِحُسْنِ الخُلْقِ والنَّبَاله آذنَ بالبَيْنِ صُرَيْدُ الضالَهِ
فظلَّ منه القلبُ فى بَلبَالَه يَنزو كنَزْوِ الظبْى فى الحِبَالَه[3]

---

(١) البيت السادس والعشرون من ميمية لبيد ، فى ديوانه (٢٠١ ط الكويت) :

ألا ذهب المحافظ والمحامى ومانع ضيمنا يوم الخصام

ورواية الطوسى للشاهد هنا : «فهل نبئت عن أخوين داما» — ورواية الميدانى : «فهل نبئت ... على الأحداث» قال : وشمام مبنى على الكسر عند الحجازيين ، وهو جبل له رأسان يسميان ابنى شمام . ويضرب بها المثل : أثقل من ابنى شمام (١/ ١٥٠) .

وفى شرح الطوسى : شمام جبل بالعالية ، له رأسان يسميان ابنى شمام .

(٢) فى التشاؤم بالصردان ، روى القالى فى أماليه (٢/ ١٥٩) من إنشاد الزبير ، لعبد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

غراب وظبى أعضب القرن نادياً بصرم وصردانُ العشى تصيح
لعمرى لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق أليح
أروح بهم ثم أغدو بمثله ويحسب أنى فى الثياب صحيح
فإن كنت أغدو فى الثياب تجملا فقلبى من تحت الثياب جريح

(٣) تغتال ، أى تملأ بعظم خلقها ، وهو من قولهم : اغتاله إذا ذهب به. والنقبة. لباس أعلاه كالسراويل وأسفله كالثوب. والمذالة ، أى ذات الذيل . لم تبطنها ، أى لم تكن فى بطنها ، من قولهم : تبطنت الوادى إذا سكنت بطنه. والغلالة ها هنا ثوب تعظم به المرأة عجيزتها (ض ،ف) .

* ابن الأعرابى = ٣١٦

وأنشدَ «أبو الفضلِ ابنُ العَميدِ* » فى رسالتهِ إلى «ابنِ سَمَكة* » :

دَعَا صُرَدٌ يوماً على غُصْنِ شَوْحَطٍ   وصاحَ بِذاتِ البَيْنِ منها غُرابُها

فقُلتُ : أتصريدٌ وشَحْطٌ وغُرْبَةٌ   فهذا لَعمرى شَحْطُها واغترابُها

وأمَّا الذى حَكَيْتَ عن «بُحْتُرَ» فأَمْرٌ لا يُسَلَّمُ لكَ . وهذه أخبارُ (149)
«البُحتُرىِّ الشاعرِ* » تُقرأُ وتُنسخُ ، لم يَزعمْ أحدٌ من الرواةِ أنه كان يَستَصْحِبُ صُرَدًا أو غيرَه من الطيرِ . وفى «مَنبِجَ* » رِجالٌ من ولَدِه لا يُرَى مع أحَدٍ منهم صُرَدٌ ، ولعلّ فيهم مَن لم يسمعْ باسمِه قطُّ .

وأمَّا قولُك : إن «السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ أميرَ الأُمراءِ» ـ أعَزَّ اللهُ نصرَه ـ إذا ركِبَ دَعا له البُرْجُ والصُّورُ بِدُعاءٍ يُفْهَمُ ،

فيجوزُ أن تكونَ عَنَيْتَ بِدُعائِهما له ، حُسْنَ أَثَرِه فيهما . فإن مِثلَ هذا يوجدُ فى كلامِ العربِ وغيرِها كثيرًا . وفى (الكتابِ الكريمِ) :

«وإنْ مِنْ شىءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْده »(١)

---

(١) من الآية ٤٤ : سورة الإسراء .

* أبو الفضل بن العميد : محمد بن الحسين ، ذو الرياستين من أعيان الكتاب وأئمة المترسلين البلغاء فى القرن الرابع للهجرة ، وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وزر لركن الدولة البويهى فضبط الملك وأحسن السياسة . مدحه عدد من الشعراء ومنهم المتنبى . توفى ابن العميد سنة ٣٦٠ هـ . ، وله : ديوان رسائله ، وكتاب المذهب فى البلاغات . وانظر ترجمته بتفصيل فى وفيات الأعيان ، والعبر ٣١٧/٢ ، وأمراء البيان ٩٤٦/٢ .

* ابن سمكة : فى طرة الحفصية أنه أحمد بن إسماعيل بن سمكة . . . ومثله فى رجال النجاشى ، فيما نقل «كرد على» على هامش صفحة ٥٥١/٢ من أمراء البيان . وذكره ابن النديم فى الفهرست (٢٠٠) باسم محمد بن على بن سعيد . وهو فى (إنباه الرواة ٢٩/١) : «أحمد بن إبراهيم بن سمكة القمى ! النحوى اللغوى الأديب المؤدب ، انقطع إلى آل العميد لتأديبهم وصنف لهم . توفى حوالى سنة ٣٥٠ هـ . ومن تصانيفه الحسان : كتاب فى الأمثال ، وكتاب فى العسل » .

* البحترى = ٢٣٤ وفيها نسبه فى بنى بحتر الطائيين

* منبج : بلد البحترى ، من حواضر الشام .

فتَسبيحُ الحَجَرِ وما جَرَى مَجْرَاه ، إنما هو أثرُ الصَّنْعةِ فيه ، وشهادته للعاقلِ إذا رآه : أنَّ له بارئاً قديرًا يفعَلُ ما يُرِيدُ .

وقال الشاعرُ يَمدَحُ رجُلاً :

خَبِّرَ عن فَعالِكَ الأَرض واستَنْـ ـطَقَ منها اليَبَاب والمَعْمُورا

وقد كثُرَ فى الأَشعارِ الحكايةُ عن الطلَل والرَّبْعِ ، ومُخاطَبَةُ الشاعر لِمَا يَحِنُّ إليه من جَبَلٍ أَو ماءٍ . ويُرْوَى لِـ «حاتِم الطائىِّ*» :

أَتَتْنِى من الرَّيَّانِ أَمْسِ رِسالةٌ وغَدْوًا يَجِىءُ ما يقول مُوَاسِلُ[1]
هما يسأَلان مافَعلتُ ، وإننى كذلك عما أَحْدَثَا أنا سَائِلُ
فقلت : أَلا كيف الزمانُ عَليكما فقالا : بِخَيْرٍ ،كلُّ أَرضِكَ سائلُ

فحَكَى عن الريان ومُواسِل كلاماً لا يَقدِرُ عليه إلا مَن يَعقِلُ ، وهما موضعان فى جَبَلَى طيِّئْ . ويقالُ إنه كان عند بعضِ الملوكِ فدَعاه إلى المُقام عنده وتركِه وطنَه . فقال له حاتمٌ : لى صَدِيقانِ ، أنا أُشاوِرُهما فى ذلك . ثم دخل على (٧٢)
الملكِ ‖ بعد أيامٍ فأنشده هذا الشعرَ ‖ يُوهِمُهُ أن الريَّانَ ومُوَاسِلاً رجُلان[2]. (150)

(١) نقله لويس شيخو فى شعراء نصرانيته (١/١١٥) : «وغدراً يحى ما يقول مواسل» (؟)
وعلى هامشه : ويروى : وغدواً يحى . . (؟)
وانظر الريان ومواسل وأقوال الشعراء الطائيين فيهما ، فى بلدان ياقوت .
وقوله : وغدوا ، أى : غدا . أصله غدو ، وأكثر ما يجىء على الأصل ، فى الشعر . قال لبيد يرثى أخاه أربد :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدواً بلاقع

وقال الراجز : * إن مع اليوم أخاه غدوا * وهو من شواهد الصاهل والشاحج .
(٢) فى سبب قول حاتم هذه الأبيات
– نقل لويس شيخو فى (شعراء الجاهلية ١/١١٥) أن حاتماً أتى محرقاً الملك ، فقال له : بايعنى. فقال حاتم : إن لى أخوين ورائى فإن يأذنا لى أبايعك وإلا فلا . قال محرق: فاذهب إليهما فإن أطاعاك فائتنى بهما وإن أبيا فأذن بحرب . فلما خرج حاتم ،قال هذه الأبيات .
* حاتم الطائى = ١١٨

وهذا نحوٌ مما قال الآخرُ[١] :

وددْتُ وأبْرَقُ العَيْشوم ِ أنَّا نكونُ معاً جميعاً فى رِداء
أُبَاشِرُه وقد نَديَتْ رُباه فأُلْصِقُ صِحَّةً منه بِدَاء

فجعلَ أبْرَقَ العيشوم ِ يَوَدُّ .

وفى (الكتاب الكريم ِ) فى صِفَةِ جَهنَّمَ :

«تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلَّى»[٢].

فذهب بعضُ الناسِ إلى أنها تتكلمُ بإذنِ اللهِ فى ذلك اليوم ِ كما يتكلمُ الآدَميونَ . وقال آخرون : أَخْذُها لهم هو دُعاؤُها إيَّاهم .

وإن كنتَ أردتَ أن البُرجَ والصُّورَ يتكلمان ، فقد جرَيْتَ على عادتِك فى الإحالةِ .

وزعمتَ أنَّ عَبِيدَه ــ أعز اللهُ نصرَه ــ يَرغبون فى البَقِّ ويُحبونه ، ويُبغِضون الذبابِ .

وإنَّ البقَّ والذبابَ لَبَغيضانِ إلى كلِّ حيوان . ألم تسمعْ قول «جرير*» :

ظَلِلْنا بِمُسْتَنِّ الحَرورِ كأَننا لدَى فَرس مستَقبِلِ الريح ِ صَائِم[٣]

---

(١) «السرى بن معتب» من بنى عمرو بن كلاب. (بلدان ياقوت) ورواية ياقوت فى أبرق العيشوم : البيت الأول :

وددت بأبرق العيشوم أنى وإياها جميعاً فى رداء

(٢) الآية ١٧ من سورة المعارج .

* جرير = ١٢٠

من نقيضة جرير ، يرد على الفرزدق ، ومطلعها فى الديوان ٥٥٣ :

لا خير فى مستعجلات الملاوم ولا فى خليل وصله غير دائم

(٣) على هامش الحفصية طرة مطموس أكثرها من تآكلها، قرأت منها :[قال سيبويه : جعل صائماً صفة : مستقبل].

من البُلْقِ رَمَّاحٍ يَظلُّ يَشُقُّه أَذَى البَقِّ إلا ما احتمى بالقوائمِ[١]

فوصَفَ أذاةَ البَقِّ الأَبلَقِ. وإنما يَصفُ بيتاً بَنوه لهم على قِسِيٍّ وسيوفٍ. كما تَذكرُ العربُ فى الشعرِ أنها تفعلُ إذا نزلتْ فى الهاجرةِ .

وقال آخَرُ وهو يصفُ بَيْتاً بُنِيَ على نحو ماذكره « جرير » :

ومُجَوَّفٍ قَلِقِ القوائمِ سابحٍ تَهفُو قوائمُه ولَمَّا تَبرَحِ
سَلِسِ القِيادِ متى تُنازِعْ جانِباً منه يَرُعْكَ شِماسُه أو يَرْمَحِ

فإذا كانتِ الخيلُ تَأذَى بالبَقِّ ، فبنو آدمَ أَوْلَى بالأَذاةِ . قال الشاعرُ :

يا حاضِرِى الماءِ لامَعروفَ عندكمُ لكنْ أَذاكُمْ إلينا رائِحٌ غَادِ
(151) بِتْنَا عُذوباً وباتَ البَقُّ يَلسِبُنا نَشْوِى القَراحَ كأَنْ لا حَيَّ بالوادِ[٢]
إنى لَمِثلِكُمُ فى سوءِ فِعلكمُ إن جِئتُكم أبدًا إلا مَعِى زَادِى

والذبابُ وإن كان مكروهاً ، فإنه دليلُ الخِصْبِ وكثرةِ النباتِ .

أَلم يَبلُغْكَ قولُ « المتلمِّس* » :[٣]

= والبيت الأول فى (ل : سنن) شاهد على : استن ، مضى على وجهه . عنى بمستن الحرور ، موضع جرى السراب ، وقيل موضع اشتداد حرها كأنها تستن فيه علوًا . وفى (مح : سنن) قال ابن سيده : وقد يجوز أن يعنى مجرى الريح . وانظر مجالس ثعلب : ٧١.

(١) رواية الديوان (٥٥٤) للشطر الأول من الشاهد : * أغر من البلق العتاق يشفه *

(٢) بتنا عذوباً : جمع عاذب وهو الذى لا يطعم شيئاً . نشوى القراح : نسخن الماء لنستطيع شربه ، لأن برده يمنع شربه (ض) . والبيت فى (ل) أنشده ابن الأعرابى ، فى مادتين : (لسب) لسبته الحية والعقرب والزنبور ، بالفتح ، تلسِب وتلسَّب : لدغته . وأكثر ما يستعمل فى العقرب . قال ابن سيده : وقد يستعمل فى غير ذلك ، وشاهده البيت هنا .

وفى (شوى) أنشد البيت شاهداً على استعمال يشوى ، فى تسخين الماء : نشوى القراح أى نسخن الماء فنشربه لأنه إذا لم يسخن قتل من البرد . وانظر المثل « بات يشوى القراح» فى الميدانى ١ / ١٠٩

* المتلمس : جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد ، من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار (جمهرة ٢٧٦) شاعر جاهلى من فحول المقلين ، شعراء الطبقة السابعة فى الجاهلية (ابن سلام ١٣١)
(٣) وانظره فى(الشعر والشعراء ١ / ١٧٩ معارف)

هَلُمَّ إليها قد أُثيرتْ زروعُها ... وعادَتْ عليها المَنْجَنُونُ تَكدَّس
فهذا أَوَانُ العِرْضِ جُنَّ ذبابُه ... زنابيرُه ، والأَزرقُ المُتَلَمِّسُ (١)

وقال «أبو النجم*» :

مُسْتَأْسِدٌ ذِبَّانُه في غَيْطَلٍ ... يقولُ للرَّائِدِ أَعْشَبتَ انْزِلِ (٢)

وقال «عَنْتَرةُ*» ووصفَ كثرةَ الغَيثِ في الروضة :

وخلا الذبابُ بها فليس ببَارِحٍ ... غَرِدًا كَفِعْلِ الشاربِ المترنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَه بِذِراعِه ... قَدْحَ المُكِبِّ على الزنادِ الأَجذمِ (٣)

---

(١) رواه ابن جنى فى باب الحذف من (خص: ٢/٣٧٧): «فهذا أوان العرض حى ذبابه» العرض : واد باليمامة . وبهذا البيت سمى الشاعر : المتلمس (ف) وهومن قصيدته الحماسية التى قالها بعد أن ألقى فى كافر – نهر الحيرة – الصحيفة التى كتبها عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين ليقتل طرفة والمتلمس . وقد قتل طرفة ونجا المتلمس ، وقال :

من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... خبراً فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذى حمل الصحيفة منهما ... ونجا حذار حبائه المتلمس

وانظر المثل : «صحيفة المتلمس» فى المجمع : حرف الصاد .

(٢) مثله فى (س ، أسد) . والذى فى أمالى القالى (٢/١٤٥) : «مستأسد ذبابه فى غيطل» شاهدًا على الغيطلة ، واحدة الغيطل : الظلمة واختلاط الأصوات المنجنون : المحالة التى يستقى عليها . قال ابن السكيت : وهى مؤنثة على فعلول ، والميم من أصل الكلمة ، لأنها تجمع على مناجين .

* أبوالنجم = ١٨٩ من أرجوزة له طويلة ، كان يسميها : أم الرجز . نشرت فى مجلة المجمع العلمى بدمشق (١٩٢٨/٨) .

٢ الرواية المشهورة للشطرين ، فى سياق ما قبلهما :

حتى تحنى وهو لما يذبل ... مستأسداً ذبانه فى غيطل ... يقول للرائد أعشبت انزل

رواه ثعلب فى مجالسه (٢٣٠) والزمخشرى فى (س: نزل) والجاحظ (فى الحيوان ٣/٣١٤) ومثلها فى طبعة الكويت من (ت: أسد) مصححة عن: * مستأسد أذنابه فى عيطل * كما فى (ل: أسد) تحريف. المستأسد : الذى بلغ غايته من الطول والقوة : والغيطل : الغيضة ، والشجر الملتف .

* عنترة ، بن شداد العبسى = ١١٣

(٣) البيتان ، من معلقته (١٨ ، ١٩ فى شرح التبريزى) والضمير فى : بها ، للروضة فى=

فكيف جعلتَ عَبيدَه ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ يُحبّون البقَّ ويُبغِضون الذبابَ؟ لعلكَ ذهبتَ إلى وُقوعِه على الشرابِ والطعام ، ولعلهم يُحبون البَقَّ لأَنّ من شأنه أن يُسْهِرَ ويَمنعَ النومَ ، فكأنَّهم يرغبون فى السهر مَخافةَ أن تَعرِضَ لهم خِدْمةٌ وهم نيام !

وزعمتَ أنَّ عَبيدَه ـ أعز اللهُ نصره ـ لو وَقف أَحَدُهم على ظُهورِ الأُسْدِ يومَه أجمعَ ، لم تَشعُرْ به ؛

فما الذى قَصلتَ فى زعْمِك ؟ لقد نُسِبَتْ الأُسْدُ إلى إفراطِ النومِ وثِقَلِ رؤوسِها فيه ، فكأنَّها قد هَمَّتْ أن تموتَ ، كما قال الراجزُ يَصِفُ الإبلَ :

فَصَبَّحتْ حَوْضَ قِرًى بيوتاً   يَلْهَمْنَ بَرْدَ مائه سُكوتاً
سَفَّ العجوزِ الأَقِطَ الملْتُوتا   وتركتْ راعيَها مَسْبُوتا
|| قد هَمَّ لما نامَ أن يموتا[1]   (152)

وزعمتَ أنه ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ يَكرَهُ أن يَنظُرَ الرجلُ إلى غرابٍ لا يَمْلِكه .

(٧٣) ومَن الذى يَرغَبُ فى مِلْكِ الغربانِ وليست حَسَنةً || فى المنظرِ ولا مليحةَ الأَصْواتِ ولا ذواتِ بركَةٍ عند الناس ، وليس أَكْلُها بمُطلَقٍ؟ والوِلْدانُ يَرغبون فى مِلْكِ الحَمائمِ والحَجَلِ والسوذانقاتِ[2] ولا يَرغبون فى مِلْكِ الغربان. وما زالت

ـــــــــــــــ

=البيت الخامس عشر قبلهما. وأنشدهما الأصمعى فى (فحولة الشعراء ٦٣) مع الخبر : « قال الرشيد : أتعرف يا أصمعى تشبيهاً أفخر وأعظم ، فى أحقر مشبه وأصغره ، فى أحسن معرض ، من قول عنترة الذى لم يسبقه إليه سابق ولا نازعه منازع ولا طمع فى مجاراته طامع ، حين شبه ذباب الروض فى قوله :
* وخلا الذباب . . هزجاً يحك * (البيتان) ثم قال : يا أصمعى هذا من التشبيهات العقم التى لا تنتج . فقلت : كذلك هو يا أمير المؤمنين»
والبيتان ذكرهما ابن قتيبة فى باب حسن التشبيه من الشعر ، بكتاب العلم والبيان من (عيون الأخبار ١٨٦/٢) .

(١) يلهمن : يبتلعن . والمسبوت الذى أصابه السبات (ف) والشطران الثانى والثالث فى (ل . ت : سكت) أنشدهما ابن الأعرابى شاهداً على : السكوت من الإبل التى لا ترغو عنه الرحلة. ونقل فى (ل) قول ابن سيده : عنى بالرحلة ههنا وضع الرحل عليها . قال: ورواية أبى العلاء (؟): « يلهمن برد مائه سفوتاً» من قولك : سفت الماء إذا شرب منه كثيراً فلم يرو ، وأراد : بارد مائه ، فوضع المصدر موضع الصفة .

(٢) السوذانقات: الزرازير ، وتسمى فى العراق السوذانقات (ض) ، وهو بالسياق أولى=

الشعراءُ تَدعو على الغُرابِ وتَلْعَنُه(١) فى الجاهليةِ والإسلامِ . وانضافَ إلى ذلك إباحةُ قَتْلِهِ فى الحَرَمِ . قال « الطِّرِّماحُ* » وقد أنشده « ابنُ العميدِ* » .

وَدَعَا بالذى يُخاف من البيْـ ـنِ لَعِينٌ يَنُوضُ كلَّ مَناضِ(٢)
صَيْدَحِىٌّ الضُّحَى كأَنَّ نَساه حين يَحْتَثُّ رِجْلَه فى إباضِ(٣)

وقال آخرُ ، وذكَرَ الغِربانَ :

من اللائى لُعِنَّ بِكُلِّ أَرضٍ فليس لهن فى أَرضٍ مَقِيلُ
يُباكِرْنَ الديارَ يَجُلْنَ فيها وبئس من المليحاتِ البَديلُ

وزعمتَ أن « أَميرَ الأمراءِ عزيزَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ » - أَعز اللهُ نصرَه - تُثنِى عليه الدُّرَّةُ وتَفِرُّ منه الصَّدفةُ خشية العقوبةِ ؛

وهو لَعَمرى جَديرٌ بالثناءِ من الدرةِ واللؤْلؤةِ والشَّذْرةِ والشَّنْفِ والعِقْدِ وجميع الحُلِىِّ(٤). ولكنْ ، ما بالُكَ خَصَصْتَ الدرَّةَ بذلك ، وليست جاريةً مَجْرَى البُرْجِ والصُّورِ ؟ لأَنَّ ذَينِكَ يَقومُ حُسْنُ الأَثرِ فيهما مَقامَ نُطْقِهما

= السوذنيق والسوذانق أى الصقر أو الشاهين (ق : سذق) ومثله فى (ل) وأنشد بيت لبيد :

وكأنى ملجم سوذانقا أجدلياً كَرُّه غير وَكِلْ

(١) [وتلعنه] من ض ، وهامش (ف) لحقاً .

(٢) ينوض كل مناض : أى يروم كل مرام ، من قولهم : نضت الغصن إذا أردت أن تتناوله (ف ض) وفى (ص) : إذا عالجته لتنتزعه .

(٣) صيدحى شديد الصوت . النسا : عرق فى الفخذ ، وإباض : رباط (ف) .

(٤) الشذرة واحدة الشذر : قطع الذهب ، وقيل خرزات يفصل بها النظم ، وقيل هو اللؤلؤ الصغير (ف) .

والشنف ، بالفتح - وبالضم لحنٌ - القرط الأعلى ، أو ما عُلق فى أعلى الأذن ، أما ما عُلق فى أسفلها فقُرط . ج : شنوف (ق) .

* الطرماح ، بن حكيم = ٢٠٥

* ابن العميد ، أبو الفضل = ٣٤١

بِما يُفهَمُ . قال « نُصيب* » :

فعَاجُوا فأثْنَوا بالذى أنتَ أهلُه ولو سَكتوا أثنَتْ عليك الحقائبُ[١]

فأمّا الدُّرّةُ فكيف يَظهرُ ثناؤها على « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلّةِ
(153) أميرِ الأُمراءِ » أعز اللهُ نصرَه ، وليستْ بِلادُه بِلادَ دُرٍّ ولا لؤلؤٍ وإنما هن بلادُ جهادٍ وحماية ؟ وما ذَنبُ الصدَفةِ حتى تَفِرَّ خشيةَ أن تقعَ بها العقوبةُ من « السيدِ عزيزِ الدولة وتاجِ الملةِ أميرِ الأمراءِ » ــ خَلَّدَ اللهُ أيامَه ؟ إنْ كانت لم تَضَمَّنْ دُرّةً ولا لؤلؤةً فلا ذَنبَ لها فى الأقضية ، لأن اللهَ لم يُودِعْها نَفيساً من الجَوْهرِ . وأىُّ ذنبٍ لِلمَنزِلِ إذا لم يَسْكُنْه رَجُلٌ شريفٌ ، والمدينةِ الآهِلَةِ إذا لم يَلِهَا وَالٍ عادل ؟ ولو وَجَبَت على الصدَفةِ عقوبةٌ إذا لم يوجدْ فيها لؤلؤةٌ ، لوَجَبَ عقوبةُ الشجَرِ إذا لم يُثمِرْ ، وتحريقُ الهِمْيان[٢] أو تَخريقُه إذا لم تكن فيه دراهمُ أو دنانيرُ .

وإن كانت الصدَفَةُ قد ضَمِنتْ دُرّةً أو لؤلؤةً وأدَّتْها إلى بنى آدمَ ، فقد استحقّت الشكرَ بأداءِ الأمانةِ ، لأنها حَفِظتْ لهم النفائِسَ .

---

(١) من أبيات أنشدها « سليمانَ بن عبد الملك » وكان قد استنشد الفرزدق قبله فقال يفخر بآبائه :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح وهى تلفهم على شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

وفى ذيل الأمالى للقالى : أن سليمان تغير وجهه ، ثم سره قول نصيب فأجازه (ص ٤٠) .

وذكر « المبرد » فى الكامل (١/١٨٤) أن سليمان أمر لنصيب بالجائزة ، وللفرزدق بأن يلحقوه بنار أبيه . وأبيات الفرزدق عند المبرد ، لا تتضع عن أبيات نصيب .

(٢) الهميان ، بالكسر : كيس للدراهم (ق : همى) .

* نصيب بن رباح ، عبد بنى الحسحاس ، كان حبشياً مفلفلاً ، وشاعراً محسناً فى الطبقة السادسة من فحول الإسلاميين عند ابن سلام (٥٤٤) اختص بآل مروان ، وكان ولاؤه لعبد العزيز بن مروان . وانظره فى الشعر والشعراء ، والكامل ، وأدباء ياقوت ، وأغانى الدار ١/٣٣٧ مع : تنبيه البكرى ، والسمط ١/٢٩١ .

وحَسْبُها من الفضيلة أن الدرَّةَ تُنسَبُ إليها فتُسَمَّى صَدَفيةً. قال «النابغةُ*» :

كَمُضيئةٍ صَدَفيَّةٍ غوَّاصُها بَهِجٌ متى يَنظُرْ إليها يَسجُدِ(١)

و «السيدُ عزيزُ الدولةِ وتاجُ الملةِ أَميرُ الأُمراءِ» ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ أفضَلُ من أن يَظلِمَ الصدَفَةَ أو غيرَها من الأشياء. وما أَحسبُكَ إلا كاذباً فى دَعْواكَ، فإنها تَجرى من افترائِكَ على عادةٍ، وتَرجعُ من التخَيُّلِ الفاسدِ إلى سَجيةٍ.

وزعمتَ أن أهلَ مملكةِ «محمودٍ*» يزعمون أن له سبعمائة فِيل، يستعظمون ذلك من مُلْكِه، وأن «السيدَ عزيزَ الدولةِ وتاجَ الملةِ أميرَ الأمراءِ» ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ لو أراد أن يَجمَعَ فى اليومِ الواحِدِ عشرةَ آلافِ فِيلٍ على نَحْضٍ وثريدٍ، لَفَعَلَ.

فَأَوَّلُ كَذِبِكَ أنك ادَّعيتَ لِلفيلِ أكلَ النَّحْضِ، وهذا مالا يُعْرَفُ. لو كان كذلك لَفَرَسَ كما تَفْرِسُ السِّباعُ.

ومِنْ أين لِمَلِكٍ فى الشام فِيلٌ واحدٌ(٢) [أو فيلان، وقدكان بحَلَبَ ـ حرسها اللهُ ـ مُلوكٌ كثيرٌ لم نعلم أحدًا منهم مَلَكَ فِيلاً قطُّ؟ وإنى لَأَظُنُّ الصاهِلَ أصاب فى جَفوتِك ووُفِّقَ لما أَعْرَضَ عن النهوضِ فى حاجتِك.

---

(١) البيت فى (ل : هلل) للنابغة «يذكر درة أخرجها غواصها من البحر».
والأولى أن يقال : إنه يشبه غانية، بدرة . . . . وسياق البيت، فى القصيدة، مع قوله قبله :

فى إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

ورواية الديوان للشاهد هنا : * بهج متى يرها يهل ويسجد *

ومثلها رواية اللسان . . الإهلال : التكبير ورفع الصوت بالدعاء والتحميد.

(٢) هنا تنتهى صفحة 153 من النسخة الحفصية (ف) وتأتى صفحة 154 بعد نحو ثلاثين صفحة ضاعت من هذه النسخة، ولم يتنبه إليها فى ترقيم صفحاتها.

ويبدأ السقطمن قوله : [أوفيلان]، إلى قوله : [من لايحفل برؤيتك] ص ٤٠٥ من طبعتنا. وننقلهمن النسخة الحضرميةوحدها (ض) ويقع فيها من السطر الرابع صفحة ٧٣ إلى السطر الخامس من صفحة ٨٦.

* النابغة، الذبيانى = ١٧٨ من داليته التى مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

* محمود، بن سبكتين = ٢٣٤

ولعله لم يَضِحْ له من أمرِك وكَذِبِك ما قد وضح لى واستنارَ . فَبُعْدًا لك ، وإلى ربِّكَ مَآبُكَ ، فيَغفِرُ لك أو يُعاقِبُك ، وهو علاَّمُ الغُيوبِ .

* * *

(٧٤) فيَقدِرُ اللهُ سبحانه أن يُنطِقَ الشاحجَ فيقول :

إنَّ الشَّكْلَيْنِ مُتباعدانِ : أُرِيها السُّها وتُرِينى القَمَرَ(١)

ليست النخلةُ بأُخْتٍ للسِّدْرَةِ. أَخْلَفَ وَعْياً مَظِنَّةٌ ، وإن الظنَّ لَيَتقَيَّلُ(٢) ، وإن العَيْنَ لَتَكذِبُ ، وإن فراسةَ العاقلِ ربما تَخِيبُ .

كأَنَكَّ ، شهِدَ اللهُ ، كُوْسِىٌّ قَدِم الساعةَ من بُلغَارَ أو جَوْخانَ(٣) ، لم تَطرُق أذنيه كلمةٌ عربيةٌ قطُّ . وإن المُوَصَّيْنَ بنو سَهْوَانَ(٤).

ألم أَبدأ فى خطابِكَ بأَنى قد جمعتُ أَخبارًا على نحوِ ماذكره « ابنُ دُرَيد » فى (الملاحِنِ) و « ابنُ فارِسٍ » فى (فُتْيافقيهِ العربِ) ؟ (٥) فإنما

---

(١) المثل بلفظه فى مجمع الميدانى ، يضرب لمن يغالط فيما لا يخفى ، ونقل فيه عن الشرقى بن القطامى : قاله ابن ألغز الإيادى فى امرأة كانت فى الجاهلية تتحدى الرجال ، لكمالها وجمالها (١/٢٩٠) .
وفى شرح أدب الكاتب (١٨٢) : هى امرأة كان رجل يكلمها بما خفى وغمض ، وتكلمه فيما ظهر ووضح ، وهذا المثل لابن ألغز الإيادى « فلما كان زمن الحجاج شكا الناس إليه خراب السواد ، فحرم أكل لحوم البقر ليكثر الحرث ، فقال بعض الشعراء :

شكونا إليه خراب السواد فحرم فينا لحوم البقر
فكان كما قيل فى بعده أريها السها وتريني القمر »

(٢) يتقيل : يتشابه ، من قولهم : تقيل أباه ، إذا أشبهه .

(٣) الكوسى : الفرس الهجين ، ويقال للبرذون كوسى . وجوخان ، يجلب منها المسك (ض) . وهى فى بلدان ياقوت : بليدة من نواحى الأهواز .

(٤) ذكر فيه الميدانى ، قول الراجز ، أنشده ابن الأعرابى :

لم يلههما عن همها قيدان ولا الموصون من الرعيان
إن الموصين بنو سهوان

قيل فى معنى المثل : إنما يحتاج إلى الوصية من يغفل ويسهو . وقيل : أراد ببنى سهوان جميع الناس لأنهم يسهون. واختار الميدانى : أن الذين يوصَّون بالشىء يستولى عليهم النسيان حتى كأنه موكل بهم (١/٩) .

(٥) ارجع إلى تنبيه الشاحج ، فى صفحة ٢٢٠ . وفيها ترجمة ابنى دريد وابن فارس : وتعريف بكتابيهما .

للهِ وإنا إليه راجعون : إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدا عَلَمٌ[١] ، استَجَرْتُ من الرمضاء بِنَارٍ[٢] ، وفَرَرْتُ من السيْلِ الراعِبِ إلى المعْطشَةِ المهلكةِ[٣] ،

« فصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ المُستَعانُ على ما تَصِفُونَ »[٤].

إنما الحَسَنُ والحُسَينُ *كثيبا رَمْلٍ* ، ألغزتُهما عن « الحَسَنِ والحسين » صلى اللهُ عليهما . قال « الضَّبِّى* » :

لِأُمِّ الأَرضِ وَيْلٌ ما أَجَنَّتْ بِحيثُ أَضَرَّ بالحسَنِ السبيلُ[٥]

وقال « الحارِثِىّ* » :

---

(١) فسره الميدانى فى أمثاله (٤٢١/١) : العلم الجبل ، والمعنى : إذا فرغن من أمر حدث أمر آخر ، وأنشد فيه من أرجوزة جرير ، فى مدح « الحكم أبى مروان » :

أقبلن من جنبى فتاح وإضم على قلاص مثل خيطان السلم

قد طويت بطونها طى الأدم إذا قطعن علماً بدا علم

حتى تناهين إلى باب الحكم وانظر (أراجيز العرب : ٥٥)

(٢) انظر المثل : كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فى أمثال الميدانى (٣٧٥/١) .

(٣) انظر فيه المثل : اضطره السيل إلى معطشة (مجمع الأمثال ٤٢١/١) .

(٤) من الآية ١٨ : سورة يوسف .

* الحسن والحسين : كثيبان معروفان فى بلاد بنى ضبة (بلدان ياقوت) أورملتان (معجم البكرى) . وفى (مح : حسن) قال ابن سيده : الحسن اسم رمل لبنى سعد ، قتل عليه بسطام بن قيس ... ومثله فى (ص : حسن) وقال الجوهرى : هما جبلان أو نقوان يقال لأحدهما الحسن .. وفى (ل) الحسن نقا فى ديار بنى تميم ، معروف . عن الأزهرى .

وجاء فى الشعر : الحسنان ، يريد الحسن ، وهو هذا الرمل بعينه . قال الشاعر :

ويوم شقيقة الحسنين لاقت بنو شيبان آجالا قصارا

* الضبى : عبد الله بن عنمة ، من الشعراء الصحابة . يأتى مع بيت من مفضلية له فى شواهد الصاهل والشاحج (ص ٤٨٨) .

(٥) يرثى بسطام بن قيس الشيبانى ، فارس بكر .

* الحارثى : هدبة بن الخشرم بن كرز ، أبو سليمان من بنى الحارث بن سعد بن هذيم بن زيد القضاعى (جمهرة الأنساب ٤١٩) ، شاعر إسلامى فصيح من بادية الحجاز ، من شعراء الحماسيين. كان راوية للحطيئة وجميل. روى المرزبانى وابن قتيبة فى الشعر والشعراء وابن حزم فى جمهرة الأنساب ، قصة مقتله قوداً فى رجل من قومه ، رفض ابنه مسمى السادة فى أن يقبل عشر ديات فيه . وفى (كامل =

تركْنَا بالثنيَّةِ من حُسَيْنٍ نِساءَ الحَىِّ يَلقطن الجُمانَا(١)

وهذا الذى عَنيْتُ بقولى : إن « الحسَنَ » صلى الله عليه وسلم ، لم يَرَ الحُسَينَ . لأنّا لم نعلم أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأى هذا الكثيبَ قطُّ . وفيه وَجْهٌ آخرُ ، وهو أن يكونَ : لم يَرَ ، من قولهم : رَآه يَرْآه إذا ضربَ رِئَتَه . ثم خُفِّفَتْ الهمزةُ . كما قالوا : تَنَا ، فى : تنأَ(٢) . أنشد « أبو إسحقَ الزَّجَّاجُ * » فى كتابه المعروف بـ« جامعِ المنطق » :

أَقولُ والعيسُ تَنَا بِوَهدِ إنْ تَنزِلا أَكفِكُما بِجُهدى
فطالَ ما سُقْتُ المطِىَّ وَحْدِى

والعَلِىُّ : الفِراشُ الشديدُ الصلبُ . والاشتِقاقُ يَدُلُّ على أنه العالى. فهذا الذى عَنيتُ بقولى : إن « فاطمةَ » ــ صلى الله عليها ــ لم تَرَ عَلِيًّا فى بيتِها .

والخَلُّ : الرجلُ المَهزولُ . ويجوزُ أَن يكون المُختَلَّ الحالِ . وهذا الذى

= المبرد ٤/٨٥) مشهد جنازة هدبة ومراثى القوم فيه، وخبره بتفصيل فى (شرح شواهد المغنى ٩٦) وانظر معجم المرزبانى ٤٨٣ ومؤتلف الآمدى ٤٣ والشعر والشعراء ٢/٥٨١ .

(١) أنشده الجوهرى فى: حسين، جبل. وروايته للشطر الأول : * تركنا بالنواصف من حسين * ومثلها فى (ل) ورواه البكرى، مما أنشده ثعلب: * تركنا بالعويند من حسين * وشرحه: حسين ، جبل . وتعقبه « الميمنى » فى سمط اللآلى : « وقول البكرى : حسين جبل ، كذا ، وهو غلط يكثر ... والصحيح : حبل ، بالحاء » .

= أقول إن الحسنين ، وهما كثيبا رمل – يذكران فى (ص ، ل) ، بوصفهما جبلين ، منظوراً فيهما إلى كثيبين ، وأما حبلان ، بالحاء . فباعتبار الرمل .

(٢) تنأ بالبلد تنوءاً: قطنه، فهو تانئ وهم تناء البلد والاسم التناءة (صح) .

* أبو إسحاق الزجاج : إبراهيم بن السرى بن سهل النحوى . من تلاميذ المبرد وشيوخ أبى على الفارسى . توفى فى العشر الثانية من القرن الثالث ومن مصنفاته : معانى القرآن ، وما فسر من جامع المنطق – صنفه للمعتضد ، شرحاً لكتاب أبى جعفر العسكرى – وشرح أبيات سيبويه ، وفعلت وأفعلت، وما ينصرف ومالا ينصرف (نزهة ٣٠٨ ، أخبار النحويين ١٠٨ ، الإنباه ١/١٥٩ والشذرات ٢/٢٥٩ ، والفهرست :

عَنَيْتُ بِقَولى : إن الخَلَّ يجوزُ أن يكونَ فيما سلف، كان يَحضُرُ مائدةَ «علىّ بن الحسين» — صلى الله عليه وسلم .

والجعفَرُ : النهرُ الكثيرُ الماء . فهذا الذى عنيتُ بأن «الباقرَ» — عليه السلامُ — لم يَرَ جَعفرًا فى داره قطُّ . ألغزتُه عن «جعفر الصادقِ» — صلى الله عليه وسلم .

والبَثُّ : تَمْرٌ مُفتَرِقٌ لم يُجَدْ كَنْزُه . فهذا الذى عنيتُ بأن «الحسنَ والحسينَ» كانا يأخذان البثَّ بأيديهما . ألغزتُه عن البَثِّ الذى يَجِدُه الرجلُ فى نفسه . ومعلومٌ أنهما — صلى الله عليهما وسلم — كانا يأكلانِ التَّمْرَ .

والبُسْرُ : الماءُ القريبُ العهدِ بالسحابِ . قال «أبو ذؤيب*» :

فجاء وقد فَصلتْه الجنو ... بُ عَذبَ المَذاقَةِ بُسْرًا خَصِرْ[1]

وأمُّ الصبيَّينِ : الهامَةُ . قال «تأبط شرًّا*» :

إذا أفزعُوا أمَّ الصبيينِ طيَّروا ... عَفارِىَ عنها ضافَةً لم تُرَجَّلِ[2]

ألغزتُ بأمِّ الصبيَّينِ عن المرأةِ التى لها صَبِيَّانِ ، لأن العربَ تردِّد ذلك ، فيقولون : أم الصبىِّ ، وأمُّ الصبيين . أنشد «الفراء*» :

* أبو ذؤيب الهذلى = ١٣٢ .

(١) من قصيدته التى مطلعها ، فى ديوان الهذليين (١/١٤٦) :

عرفت الديار لأم الرهيـ ... ـن بين الظباء فوادى عشر

وروايته الشاهد هنا : «فجاء وقد فصلته الشمال ...»

البسر : الغض . والخصر : البارد .

(٢) العفارى ج عفرية وهى الشعر فى وسط الرأس . وضافة : مثل ضافية (ض) ، وفى (ص) الضفو : السبوغ ، ضفا يضفو فهو ضاف : سابغ . وضافى الرأس : كثير الشعر . والعفرة ، بالضم : شعرة القفا من الأسد والديك وغيرهما وهى التى يردها عند الهراش . وكذلك العفرية والعفراة ، بالكسر فيهما . ويقال : جاء نافشاً عفريته ، إذا جاء غضبان . والعفرنى : الأسد ، لشدته . النون فيه للإلحاق بسفرجل . وعفرين : مأسدة .

* الفراء = ٣٠٣ .

* تأبط شراً = ٢٦٠ .

ألا زعمتْ أمُّ الصبىِّ خزايَةً ... على فزارةَ أنْ عرفتُ بنى عَبْسِ

والأعرجُ الذى عَنيتُ أنَّ «عَلِيًّا» ــ صلى اللهُ عليه ــ كان يأْمُر بقتْله فى الحرمِ ، هو الغُرابُ أو الذئبُ . لأنهما أعرجَانِ ، وقَتلُهما مُبَاحٌ فى الحرمِ مندوبٌ إليه .

والأُعَيْرِجُ : ضَربٌ من الحَيَّاتِ .

والأعمى : السيلُ والفَحلُ الهائجُ من الإبِلِ . ويُقالُ : أعوذ بِاللهِ من الأعميين . وهما الأيهمان[1]. ويُقال إنهما فى البادية ، كما مضى . وفى الحاضرةِ : السيْلُ والحَرِيق . ولا رَيْبَ أن «عَلِيًّا» عليه السلام ــ كان يَكره دخولَ هذه الأَشياء المسجدَ .

والجليل الذى ذكرته فى حديث «عَلِىٍّ» عليه السلام ــ يَحتمِل أمرين : أحدهما أن يُعنَى به الثمام ، ومنه البيت المروىُّ عن «بِلالٍ*» :

ألا ليت شِعرى هل أبيتنَّ ليْلةً ... بِوَادٍ وحَوْلى إذخَرٌ وجَلِيل[2]

والآخرُ ، أن يُعنى به الجِلَّة . يقال: جَلَّت الأمة تجِلُّ ، فالشىء مجلولٌ وجليل .

---

(١) من أمثالهم : «سلط الله عليه الأيهمين» – ويقال : الأعميين ، بالعين المهملة – يعنون : السيل ، والجمل الهائج (الميدانى ١ / ٣٤٤) . ونقل فى (الصحاح : يهم) عن ابن السكيت : الأيهمان عند أهل البادية : السيل والجمل الهائج الصول ، يتعوذ منهما ، وهما الأعميان . قال : وعند أهل الأمصار ، السيل والحريق . قال أبو عبيد : وإنما سمى أيهم لأنه مما لا يستطاع دفعه ، ولا ينطق فيكلم أو يستعتب ، ولهذا قيل للفلاة التى لا يهتدى فيها الطريق : يهماء ، وللبر : أيهم . قال الأعشى :

* ويهماء بالليل غطشى الفلاة *

* بلال بن رباح ، مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام = ١٦٧ .

(٢) والبيت من شعر تغنى به فى هذيان الحمى أول مقامه بدار الهجرة . – ومثلها رواية القالى ١ / ٢٤٦ – وانظر السمط ١ / ٥٥٧ ، ورواية (السيرة ٢ / ٢٣٩) لابن إسحاق ، للشطر الثانى :

«بفخ وحولى إذخر وجليل» ورواية الجوهرى فى جلل : بمكة حولى . وبعده :

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنة ... وهل يبدُوَنْ لى شامة وطفيل

فخ : موضع بظاهر مكة . والإذخر : نبات طيب الرائحة . وشامة وطفيل : جبلان بمكة .

وإنما قلت : وكان يُنصِفُ الخَميسَ || منْ أَهلِ الأَقدار ، إلغازًا ليتوهَّمَ السامعُ أن الجليلَ هاهنا ، يُعنى به الجليلُ من الناس . (٧٥)

والنبيذُ : فى معنى المنبوذِ ، وهو الصبى الذى قد نُبِذَ . أَلغزتُه عن النبيذِ المشروبِ .

والجَرُّ : أَصلُ الجَبَلِ . أَلغزتُه عن الجَرِّ من الفُخَّار . قال « النابغة »[1] :

لولا بنو عَوْفِ بنِ بُهْثَةَ أَصبحت بالجَرِّ أُمُّ بنى أَبيكَ عقيما

وقولى : كان يَلعَنُ البَقرةَ . عنيتُ به جَمْعَ باقِرٍ ، وهو الذى يَبْقُرُ بَطْنَ المرأة أو الرجُلِ . مثلَ مارُوِى عن « الجَحَّافِ بن حكيم السُّلَمِى* » أنه غزا بنى تَغْلِبَ فقتلَ الرجالَ وبَقَرَ بطُونَ الحَبَالى . ومعلومٌ من سِيرةِ « عَلِىٍّ » صلى الله عليه وسلم . أنه كان يَلعَنُ مَن فعلَ ذلك ، وذكرتُ الثورَ بعد ذلك مُلغِزًا .

---

(١) رواية ابن السكيت فى الديوان (١٧٩) الشطر الثانى :

« بالنَّعف أم بنى أبيك عقيما» من قصيدة النابغة يرد على « يزيد بن سنان» الذىجمع عدداً من القبائل فى حلف على بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة :

جمِّع محاشَك يا يزيد فإننى أعددت يربوعاً لكم وتميماً

* الجحاف بن حكيم السلمى بن عاصم بن قيس ، من بنى سليم بن منصور ، من سادة بنى سليم وفرسانها الفتاك (الجمهرة ٥٢) ذكر ابن قتيبة من خبره ، أنه لما قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمى ، أنشد الأخطل التغلبى عبد الملك بن مروان ، والجحاف عنده :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر ؟

فخرج الجحاف من فوره فأغار على بنى تغلب يوم البشر — جبل بالجزيرة — وقتل منهم ثلاثة وعشر ين رجلا ، و وطئهم وطأة ساحقة ، وقال يرد على الأخطل :

أبا مالك هل لمتنى مذ حضضتنى على القتل أم هل لامنى منك لائم

متى تدعنى أخرى أجبك بمثلها وأنت امرؤ بالحق ليس بعالم

ومضى الأخطل إلى عبد الملك فأنشده :

لقد أوقع الجحاف بالبِشْر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

وضرب به المثل : « أفتك من الجحاف» انظره فى الميدانى (٢ / ٨٨) والجحاف من شعراء الحماستين . وانظر فى يوم البشر نقائض جرير والأخطل . مع (مؤتلف الآمدى ٧٦ والشعر والشعراء ٣٩٥) .

والعَنْزُ : الأَكمةُ السوداءُ . قال الراجزُ(١) :

وعَلَمٍ أخرَس فوق عَنْزِ

والصَّقْرُ : الدِّبْسُ ، أَلغزتُه عن الصقرِ من الطيرِ .

والبازى الذى كان يُعلِّمهُ أَخلاقَ الصالحين : هو البازى فى معنى الظالم القاهر . ويُقالُ : بَزَاه إذا ظلمه وقَهَره .

والصَّعْدةُ : المرأَةُ الحسَنةُ القوامِ ، شُبِّهتْ بالصَّعْدةِ وهى القناةُ المستويةُ قال الشاعرُ :

وثَدْيانِ كالحُقَّيْنِ فى صَدْرِ صَعْدَةٍ　　تَحيَّر فيها الحُسْنُ فاعتَمَّ واعتدلْ(٢)

والمَدينةُ : الأَمَةُ . أَلغزتُها عن «المدينةِ» مدينة الرسولِ صلى الله عليه وسلم . ومن المَدينةِ الأَمَةِ قولُ «الأَخطل» :

رَبَتْ ورَبَا فى كَرْمها ابنُ مَدينةٍ　　مُكِبٌّ على مِسْحَاتِه يتَرَكَّلُ(٣)

---

(١) الراجز : رؤبة بن العجاج = ١٨٨

— أنشده الجوهرى فى (عنز) وروايته : * وإرم أخرس فوق عنز * وفسره : وهو الأكمة ، أى علم مبنى من حجارة فوق أكمة ، وكل بناء أصم فهو أخرس . وبمزيد تفصيل فى (ل : عنز)

(٢) اعتم : كمل وتم ، يقال للشاب إذا طال : قد اعتم . والنبت : اكتهل . وقولهم : استوى فلان على عممه ، يريدون به تمام جسمه وشبابه . وامرأة عميمة : تامة القوام والخلق (ص) .

(٣) البيت بهذه الرواية ، من شواهد رسالة الغفران (٣٤٦ ذخائر) مع أحد عشر بيتاً من لامية الأخطل فى (ديوانه ص ٥) ، التى مطلعها :

عفا واسط من آل رضوى فنبتل　　فمجتمع الحرين ، فالصبر أجمل

ومنها أبيات فى نوادر القالى ٢٥٤ والتنبيه عليه ، والسمط ١/٨٨٨ .

والضمير فى : «ربتْ» بالشاهد هنا ، لخمر بيسانية . ويقال : فلان ابن مدينتها ، كابن بجدتها ، أى العالم المختص بها . والمدينة أيضاً : الأمة . وبكليها فسروا بيت الأخطل .

ورواية البيت فى جمهرة ابن دريد ٢/٣٠١ ، والإبدال ٢/٣١٧ :

ثوت وثوى فى كرمها ابن مدينة　　مقيما على مسحاته يتركل

ورواه أبو الطيب اللغوى فى (شجر الدر ١٨٩) :

ربت وربا فى حجرها ابن مدينة　　يظل على مسحاته يتركل

* الأخطل = ١٥٦

والمُقْعَدُ : الفَرْخُ . وهو أحدُ القولين فى قولِ الراجزِ :[١]

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَدِ وصيغةٌ مثلُ الحَميمِ المُوصَدِ
ومؤمنٌ بما تَلاَ مُحَمَّدِى

هكذا يُروَى هذا البيتُ بالياءِ ، على الإضافة . ألغزتُه عن المُقعَدِ من الناسِ.

وذكرتُ : الزَّمِنَ ، توْرِيةً . والحَمامُ وفِراخُها ، لا تُذبَحُ بِمَكَّةَ .

والهلالُ : ضرْبٌ من الحَيَّاتِ . ويُقالُ هو الذكرُ منها . قال الراجزُ يَصِفُ دِرْعاً :

ونَثْرةٍ تَهزَأُ بالنصَالِ
كأنها من خِلَعِ الهِلاَلِ[٢]

وذكرتُ : الشمسَ والقمَر ، مُورِيًا

والقبيلةُ ، تَحتمِلُ وجهين : إنْ شئتَ كانت من قبائِلِ الرأسِ وهى ثلاثٌ تَصِلُ بينها الشئونُ .

وإنْ شئتَ كانت من قبائلِ الثوبِ ، وهى رِقاعُه. ألغزتُها عن القبيلةِ من العرَب.

والخَلُّ : الطريقُ فى الرَّمْلِ[٣]. قال « كثير* » :

---

(١) عاصم بن ثابت الأنصارى ، رضى الله عنه ، قابل على رواية ابن إسحاق فى (السيرة ٣ / ١٧٩) . والرجز فى (ل : قعد) شاهد على المقعد : فرخ النسر ، وريشه أجود الريش . عن ثعلب . وقيل هو اسم رجل كان يريش السهام ، أى : أنا أبو سليمان ومعى سهام راشها المقعد فما عذرى ألا أقاتل . ورواية اللسان للشطر الثانى :

« وضالة مثل الجحيم الموقد » والضالة من شجر السدر يعمل منها السهام ، شبهها بالجمر لتوقدها .

(٢) فى (ل : هلل) أنشده ابن الأعرابى شاهداً على : الهلال الحية إذا سلخت . يصف الراجز درعاً شبهها فى صفائها بسلخ الحية . وروايته للشطر الأول : « ونثلة تهزأ بالنصال »

وهزؤها بالنصال : ردها إياها . وبالحية فسر الجوهرى بيت الطرماح :

إليك ابتذلنا كل وهم كأنه هلال بدا فى رمضه يتقلب

(٣) قال ابن سيده : الخل الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة ، سمى خلا لأنه يتخلل . وقيل : هو الطريق فى الرمل أيا كان . (ل) وقال الجوهرى : الخل طريق فى الرمل ، يذكر ويؤنث (ص) .

* كثير ، عزة : ابن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى أبو صخر ، من بنى خزاعة =

تَحمِى الخلَّ ممن دنا لها(١)

والسُّباطةُ : الكُناسةُ والضريرُ : جانبُ الوادى . ألغزتُه عن الضريرِ من الناسِ . قال « أَوْسُ بنُ حَجَرٍ * » :

فما خليجٌ من المَرُّوتِ ذو حَدَبٍ يَرمى الضريرَ بِخُشْبِ الأَثْلِ والضَّالِ(٢)

والضبُعُ : السَّنةُ الشديدةُ . ومنه الحديثُ المرفوعُ أن رجلاً جاء إلى النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : « أَكلتْنا الضَّبُعُ وتقطعت عنا الخُنُفُ »(٣).
ولا شكَّ فى أنه صلى اللهُ عليه وسلم كان يَكرَهُ السنةَ الشديدةَ .

= من لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر (جمهرة الأنساب ٢٢٧) ، فى الطبقة الثانية من فحول الشعراء الإسلاميين (ابن سلام ٤٥٧) ومن مشهورى عشاق العرب وشعراء الغزل ، (الشعر والشعراء ١/٥٠٥ معارف) وصاحبته عزة ، وإليها ينسب، هى بنت جميل بن حفص بن إياس ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (جمهرة الأنساب ١٧٦) وانظر أعلام الغفران .

(١) تمام البيت ، من (إصلاح المنطق ٩/١ :

كأنهم آساد حلية أصبحت خوادرَ تحمى الخل ممن دنا لها

أنشده ابن السكيت شاهداً على الخل : الطريق فى الرمل .

* أوس بن حجر ، بن عتاب بن عبد الله بن عدى بن نمير ، من بنى تميم بن مر (جمهرة الأنساب ٢٠٠) الشاعر الجاهلى المشهور ، أول شعراء الطبقة الثانية من فحول الجاهليين ، وذكروا أنه كان فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه ، وكان من أوصف الشعراء للحُمر والقوس ، وسبق إلى دقيق المعانى وكثير من الأمثال . وهو من شعراء الغفران ، وانظر مع ديوانه وطبقات الشعراء : الشعر والشعراء ١/٢٠٢ ، والأغانى ١٠/٨٠٦ وشعراء الجاهلية ، النصرانية ٤/٤٩٢ .

(٢) المروت : من ديار بنى تميم (ياقوت والبكرى) وقال الجوهرى : ومنه يوم المروت بين بنى قشير وتميم. والحدَب : حدور فى صببٍ. والضرير . أحد جانبى الوادى ، وبه فسروا بيت أوس. وروايته فى (ص : مرت ، ل : ضرر) :

وما خليج من المروت ذو شعب يرمى الضرير بخُشب الطلح والضال

(٣) فسره ابن الأثير فى (النهاية) : يعنى السنة المجدبة ، والضبع فى الأصل الحيوان المعروف ، العرب تكنى به عن السنة المجدبة. وقوله : وتقطعت عنا الخنف ، فى رواية : تخرقت عنا الخنف ، واحدها خنيف ، وهو جنس من الكتان أردأ ما يكون (ل) .

والأَرنبُ : المُرتفعُ من الأَرضِ . ومنه قولُ الشاعرِ :[١]

كما قال سَعدٌ لا بنِه إذ يقودُه　　أَصَعْصَعَ جَنْبَىَّ الأَرانبَ صَعْصَعا

وأَبوالُ البغَالِ : السَّرابُ . وهو أَحَدُ القَوْلَين فى قولِ « ابنِ مُقْبِل* » :

* بِسَرْوِ حِمْيَرَ أَبوالُ البغالِ به *[٢]

والعليلُ : المعلولُ ، وهو الذى قد سُقِىَ عَلَلاً بعدَ نَهَلٍ .

والحَيَّةُ : الأَرضُ التى قد سقاها الحَيَا . وفى (الكتابِ الكريمِ) :

« فأَحْيَا به الأَرضَ بعد موتِها »[٣] .

والصِّلُّ : ذَكَرُ الحَيَّاتِ . ولا يكونُ إلا مُنْكَرًا .

---

(١) المخبل السعدى ، كما فى (الميدانى) فى سياق المثل : « لقد كنت وما يقاد بى بعير » (٢ / ١٨٠) وسعد : هو ابن زيد مناة بن تميم . وروايته للبيت ، ورواية ابن حبيب فى (المحبر ٣٣٨) :

كما قال سعد إذ يقود به ابنه　　كبرت فجنبنى الأرانب صعصعا

(٢) رواية الديوان ، مع تمام البيت :

من سرو حمير أبوال البغال به　　أنى تسدَّيتِ وهناً ذلك البِينا

والخطاب فى تسديت ، لابنة البكرى ليلى فى البيت قبله :

لم تسر ليلى ولم تطرق لحاجتها　　من أهل ريمان إلا حاجة فينا

فانظر فى (ص ، ل) : أنى تسديت ، يخاطب الخيال !

وسرو حمير : أعلى بلادها . وأبوال البغال : السراب ، على التشبيه بنطف البغال لأنها لا تلقح . والشاهد فى (ص ، ل : بين) للبين ، بالكسر : القطعة من الأرض قدر منتهى البصر . وواحد البيون : التخوم وورواية البيت فيها : « بسرِ وحمير » كما هنا ، وعلى هامش اللسان نقل مصححه قول الصاغانى : والرواية : من سرو حمير ، لا غير .

(٣) من آية البقرة ١٦٤ ومعها : النحل ٦٥ ، والجاثية ٥ .

* ابن مقبل : تميم بن أبى بن مقبل العجلانى ، من بنى العجلان بن عبدالله بن كعب بن ربيعة العامرى ، من قيس عيلان بن مضر (جمهرة الأنساب : ٢٧١) الشاعر المخضرم الفحل ، فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء الجاهليين (طبقات ابن سلام) أدرك الإسلام فأسلم ، وعمر طويلا . ديوانه مطبوع فى دمشق ١٩٦٢ ، وهو من شعراء الغفران . وانظر الشعر والشعراء ، وجمهرة أشعار العرب .

والبيت من قصيدته : إحدى مشوبات العرب السبع الجياد ، التى شابهن كفر وإسلام ، ومطلعها :

طاف الخيال بنا ركباً يمانينا　　ودون ليلى عوادٍ لو تُعدينا

والخاضبُ : الظليمُ الذى قد أكَلَ الربيعَ فاحمرَّت ساقاه . وقال بعضُهم :

يَحْمَرُّ أطرافُ قَوادِمِه من الحِلِّ المساريعِ[1] .

والمعروفُ : الذى قد أصابتْ يَدَه عَرْفَةٌ ، وهى قَرْحةٌ .

والريحانُ : النساءُ ، فى هذا الموضعِ . وقد ذكر ذلك أهلُ العِلْمِ .

وقال «خالدُ بنُ صَفْوانَ* » لِـ «السَّفَّاحِ* » : عِندك رَيحانةٌ من رَيْحانِ بنِى مخزوم . يعنى امرأتَه «أمَّ سَلَمةَ* » .

والسريرُ . أكرمُ موضعٍ فى الوادى . وهو مِثْلُ السَّرَارةِ .

(٧٦) واليَعقوبُ : ذَكَرُ الجَمَلِ . ويستقيمُ لُغْزِى فى الوَقْفِ ، || لأنَّه مَصْروفٌ و «يَعقوبُ* » النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — غيرُ مصروفٍ .

والغُرابُ : حَدُّ الفأْس . قال «النابغةُ* » :

أكَبَّ على فَأْسٍ يَحُدُّ غُرابَها مُذَكَّرةٍ من المَعاولِ باتِرَه[2]

---

(١) الخاضب : الظليم الذى اغتلم فاحمرت ساقاه ، خاص بالذكر . وقيل هو الذى أكل الربيع ، فتصبغ الأنوار أطراف ريشه . ونقل فى (ل) عن بعض الأعراب : إذا كان الربيع فأكل الظليم الأساريع — جمع أسروعة ، يتعلق بها العنب ، وهى رطبة حامضة — احمرت رجلاه ومنقاره احمرار العصفر .

(٢) يذكر النابغة رجلا أراد ليثأر لأخيه من حية ذات الصفا ، وكانت قد لدغت أخاه

* خالد بن صفوان ، بن أمية بن خلف بن وهب الجمحى (جمهرة الأنساب ١٥٠) من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وأحد خطبائهم المعدودين وحكمائهم البلغاء (الفهرست ١٨١) ، وفيه صنف المدائنى (كتاب خالد بن صفوان) كما صنف الجلودى الإخبارى ، عبد العزيز بن يحيى المصرى — ت ٣٣٠ هـ — كتاب (أخبار خالد بن صفوان) وتجد مختارات من خطبه وحكمه فى كتب الأدب والأمثال ، كالكامل ، وأدب الكاتب ، والأمالى ، وعيون الأخبار ، وأمثال الميدانى .

* السفاح : أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس . أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ، وتوفى بالأنبار سنة ١٣٦ هـ . (تاريخ الطبرى ، وجمهرة الأنساب ١٨) .

* أم سلمة ، زوج العباس : هى أم سلمة المخزومية ، ولدت للسفاح ابنه محمد . انظر نسبها فى بنى مخزوم من (جمهرة الأنساب ١٣٨) .

* النابغة ، الذبيانى = ١٧٨ من قصيدته ، وهى من شواهد الغفران :

ألا أبلغا ذبيان عنى رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائره

والعقربُ : سَوْرةٌ من سَوْراتِ البَرْدِ ـ وأصحابُ الأنواءِ يقولون : عقاربُ البَرْدِ ثلاث : فالأولَى فى تشرينَ الثانى ، والثانيةُ فى الأشهبين ، والثالثةُ فى شباطَ ـــ وهذه مُلغِزَةٌ عن العقربِ التى تَلدَغُ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يقال ، دَعا لِ « عَلِيٍّ » عليه السلامُ ألا يُصيبَه بَرْدٌ ولا حَرٌّ .

والهُدْهُدُ : الخَصمُ الذى بين يَدَى القاضِى .

والنهَرُ : الضوءُ والسعَةُ ، وهو أحَدُ ما قيل فى قوله تعالى : « فى جَنَّاتٍ ونَهَرٍ »(١)

والصمَمُ : الفَرَسُ الصُّلْبُ . قال الشاعرُ :

سَمَّيْتَ نفسَكَ فيها سَلْهباً صَمَماً ‏ ‏ ‏ ‏ وكان غيرُك فيها السلْهَبُ الصَّمَمُ(٢)

والزَّرَقُ : ضَرْبٌ من الخَرَزِ .

والزُّجُّ : جمعُ زَجَّاء وهى النعامةُ الطويلةُ الساقَينِ . قال « لَبيد* » :

يَطرُدُ الزُّجَّ يُبارِى ظِلَّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ بِأَسِيلٍ كالسِّنانِ المُنتَخَلْ(٣)

والمعنى أن قوماً كانوا يصطادون النَّعامَ على الخَيلِ فى زمانه فيطعنونها بالرماحِ .

والبَرَدُ : النَّوْمُ . وهو أحَدُ القَوْلَين فى قوله تعالى :

= وسياقه فى القصيدة :

وإنى لألقَى من ذوى الضغن منهم ‏ ‏ ‏ ‏ وما أصبحت تشكو من البيت ساهره

كما لقيت ذات الصفا من حليفها ‏ ‏ ‏ ‏ وكانت تديه المال غباً وظاهره

فلما رأى أن ثمّر الله ما له ‏ ‏ ‏ ‏ فأصبح مسروراً وسدّ مفاقره

أكب على فأس (الشاهد) والأبيات من شواهد رسالة الغفران ، وبرواية أبى العلاء هنا . وانظر (أمثال الميدانى ٢/١٤٦) .

(١) من آية القمر ٥٤ : « إن المتقين فى جنات ونهر » .

(٢) السلهب من الخيل ما عظم وطال ، وفرس مسلَهِبّ : ماض (ت) .

(٣) الزج : السنان ، وقيل النعام . الواحد أزج وهو البعيد الخطو ، والأنثى زجاء . والأسيل صفة الخد (شرح الديوان : ١٨٧)

* لبيد = ٩٣ يصف الفرس ، وقبله البيت ، وهو من شواهد الصاهل والشاحج :

بأجش الصوت يعبوب إذا ‏ ‏ ‏ ‏ طرق الحى من الغزو صهل

« لا يَذُوقون فِيها بَرْدًا ولا شرابًا »[١].

والحَشيشُ : فى معنى المَحْشوش ، من قولِكَ : حَشَشتُ النارَ بالحَطَبِ إذا جمعتَه فيها ، وحَشَشتُ الجَمْرَ ، إذا جمعتَه لِتوقدَه .

والحَطَّابُ : النَّمَّامُ . والحَطَبُ : النميمةُ : وكذلك فُسِّرَ فى (الكتابِ الكريم)[٢] .

والقِطُّ : النصيبُ .

والقُرَّةُ : الضِّفدعُ الصغيرةُ .

والعَيْنُ : عَيْنُ الماءِ .

والكَرُّ : الغديرُ والحِسْىُ . قال « كُثَيِّر* » :

وما سَالَ وَادٍ من تِهامَةَ طيِّبٌ به قُلُبٌ عادِيةٌ وكِرَارُ[٣]

والواحِدُ كَرٌّ وكُرٌّ .

---

(١) سقطت كلمة [فيها] من الأصل . وسياق الآية ، من سورة النبأ :
« إن جهنم كانت مرصاداً * للطاغين مآباً * لابثين فيها أحقاباً * لايذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا حميماً وغساقاً* جزاءاً وفاقاً » ٢١ : ٢٦ .

(٢) يعنى فى آية المسد « تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب » . ولم ترد كلمة (الحطب) معرفة بأل ، إلا فى هذه الآية . ووردت مرة نكرة ، فى آية الجن ١٥ : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » وهما كل ما فى القرآن الكريم من المادة .

(٣) البيت فى (ل : كرر) لكثير ، بمثل روايته هنا ، وأورد الجوهرى عجزه ، ولم يسم قائله ، شاهداً على : الكر ، بالفتح والضم من أسماء الآبار ، مذكر . وقيل هو الموضع يجمع فيه الماء الآجن ليصفو وروايته فى (ص) : « بها قلب عادية وكرار » ونبه ابن برى فى (ل) على الرواية الصحيحة : به قلب . على أن الشاهد تكرر فى (ل : عود) برواية أخرى لبيت كثير : « به قلب عادية وكرور » شاهداً على : بئر عادية ، والعادى الشىء القديم ، نسب إلى عاد . وقبل هذا البيت ، قول « كثير » :

أحبك ما دامت بنجد وشيجة وما ثبتت أبلى به وتعار

الوشيجة : عرق الشجرة ، وأبلى وتعار : جبلان .

* كثير ، عزة = ٣٥٧ .

والعالِمُ : الذى يَعْلَمُ الشفةَ العُلْيا ، أى يَشقُّها

والبَزَّازُ : الذى يَسْلُبُ الناسَ ثيابَهم . من قولِهم : مَن عَزَّ بَزَّ .

والخَزَّازُ : الذى يَخُزُّ بِالطعْنَةِ أو الرمْيةِ ، أى يَشُكُّ المَرمِيَّ أو المَطعونَ .

والقَزَّازُ : الذى يَثِبُ . وجاء فى الحديثِ : «إن إبليسَ لَيَقُزُّ القَزَّةَ من المشرقِ إلى المَغربِ[1] » ، وعنَيتُ بالقزازِ إبليسَ ، وهو فعَّالٌ من: قَزَّ يَقُزُّ .

والقَزُّ الذى يتكلم ، هو من قولِك : رجُلٌ قَزٌّ ، إذا كان يَعْرِفُ الأَشياءَ .

والبَزُّ الذى ذُكِرَ عند ذِكْرِ العُرَواء ، هو السَّيْفُ .

والخَيَّاطُ : من قولِكَ : خاط الأَرْقَمُ وغيرُه من الحيَّات ، إذا وثَبَ وثباً مُتَتابِعاً .

والجُنْدىُّ الأَبَحُّ : الدينارُ . قال «الجَعدى*» :

وأَبَحَّ جُنْدىٌّ وخالِصةٍ سُبكتْ كثاقبة من الجَمْرِ[2]

والخروفُ : المُهْرُ . قال الشاعرُ :

بِمُرِشَّةٍ نجلاءَ يَهْدِرُ فَرغُها سَنَنَ الخَروفِ من الرباطِ الأَشقَرِ[3]

والجِحاشُ : أَولادُ الظِّباء . يُقالُ لِوَلَدِ الظبيةِ جَحْشٌ. قال «أبوذُؤَيب*» :

بِأَسْفَلِ ذاتِ الدَّيْرِ قد ضاع جَحْشُها فقد وَلِهَتْ يومَيْنِ فهى خَلوجُ[4]

---

(١) فسره «ابن الأثير» فى (النهاية) : أى يثب الوثبة .

(٢) أنشده فى (س ، ت بحح) للجعدى يصف ديناراً ، وروايتهما لصدر البيت :
وأبح جندى وثاقبة * أراد بالأبح ديناراً أبح فى صوته . جندى : ضرب بأجناد الشام .

(٣) طعنة مُرِشَّة ، تُرِش الدم إرشاشاً. والفرغ سعة الطعنة ، ومنه قيل: طعنة فرغاء . والخروف ، نقل فيه الجوهرى : ربما سمى المهر إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة ، خروفاً . حكاه الأصمعى . ومثله فى (ل : خرف) .

(٤) تقرأ فى النسخة : [بأسفل ذات الدير] بياء مثناة. وهو فى (ديوان الهذليين) «ذات الدبر» مصححة عن الأصل : الدير ، بالياء : موضع ، فى شرح السكرى . والخشف ولد الظبية . ولهت :=

* الجعدى ، النابغة = ١١٧

* أبو ذؤيب = ١٣٢ من قصيدته ، الديوان ١ / ٥٠ :

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت لها بالأنعَمين حدُوج

والأَبَّارُ : الذى يَعِيبُ الناسَ . يقالُ : أَبَرَهم بِلِسانِه . ويُقال : أَبَرَتْه العقربُ . وهى الأَبَّارَةُ . أَلغزتُها عن التى تَبِيعُ الإِبَرَ .

والسِّنَّورُ : السيدُ[1] وفى (كتابِ السِيَر) المنسوبِ إلى « أبى عَمرٍو إسحاقَ ابنِ مِرَارٍ الشيبانى* » أن الأَعجميَّ قال لِبَنى القَيْنِ : مَن سِنَّوْرُكم ؟ فقال « قُطبةُ بنُ الخضراء* » : أَقولُها يابني القين؟ قالوا : نعم ، وأنتَ لها أهلٌ. فقال: أنا سِنَّورُهم .

والمَضِيرةُ : المرأةُ التى قد لَحِقَها الضيرُ. ضَارَها فلانٌ يَضِيرُها فهى مَضِيرةٌ .

واللبن : أن يشتكى الرجُلُ عنقَه من الوِسَادِ .

والأَتانُ : صَخْرةٌ فى وادٍ يَمُرُّ بها السَّيْلُ ويَبقَى عندها قليلٌ من الماء . وهى التى تُسمَّى أَتَانَ الضَّحْلِ ، والضحْلُ الماءُ القليلُ . وذِكرُها يتردَّدُ فى الشعْرِ ، ويُشَبِّهون بها ما صَلُبَ من النُّوقِ .

(٧٧) والحِمَارانِ : حَجَرانِ ‖ عَرِيضانِ يُجَفَّفُ عليهما الأَقِطُ .

والجحشةُ : التى يَحمِلُها الراعِي على يَدِه ، عَمِيمةٌ من الصُّوف يَغْزِلُها .

والجحشانِ اللذانِ على جنبيه : من قولِك : جُحِشَ جَنبُه ، وهو أن يَتقشَّرَ الجِلْدُ ولا يَسيلُ الدمُ . وهو قريبٌ من الخَدْش . وفى الحديث أنه صلى اللهُ عليه وسلم سقَطَ عن فرَسٍ فجُحِش جَنبُه[2].

= ذهب عقلها على ولدها ، والخلوج : التى انتزع ولدها منها واختلج . والبيت فى (ل : جحش) بمثل روايته هنا ، شاهداً على : الجحش ولد الظبية ، هذلية :

(١) الجمع سنانير : رؤساء كل قبيلة ، والسنور السيد (ل : سنر) .

(٢) فى رواية : « فجحش شقه الأيمن » . متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان . ك الصلاة ، باب ائتمام الإمام بالمأموم) .

* أبو عمرو الشيبانى ، إسحاق بن مرار = ١٤٩

* قطبة بن الخضراء ، سيد بنى القين وهم ولد النعمان بن جسر من بنى قضاعة . وكان عبد لهم يقال له القين ، حضن النعمان ، فغلب عليه ، فهو القين بن جسر (جمهرة الأنساب ٤٢٤) .

والجاريةُ : الشمسُ ، لأنها تَجرِى . وفى (الكتاب الكريمِ) :

«والشمسُ تَجرِى لِمُسْتَقَرٍّ لها»(١)

والدجاجةُ : الكُبَّةُ من الغَزْل .

والأَسَدُ : من النجومِ . وبَوْلهُ : مَطرُه .

والعِجْلُ والعِجْلةُ : المَزَادةُ . قال «المنخلُ بنُ سُبَيْع العَنبَرِى*» :

أُولاَكَ بَنو عَمْرٍو إذا ماذكرتُهم   بكيتُ بِعَينٍ ماءُ عَبْرتِها عِجَلُ

وقال «الأَعشى*» :

* على أَعجازِها العِجَلُ *(٢)

والسواعِدُ : مَجارِى اللبَنِ فى الضرْعِ قال «حُمَيْدُ بنُ ثورٍ*» :

---

(١) من الآية ٣٨ سورة يس ، وتمامها : «ذلك تقدير العزيز العليم» .

(٢) تمام البيت :

والساحبات ذيول الخز آونــة   والرافلات على أعجازها العجل

أنشده فى (ل) شاهداً على : العجلة المزادة ، وقيل قربة الماء ، والجمع عجل – كقربة وقرب – .
قال ثعلب : شبه أعجازهن بالعجل المملوءة .

* المنخل بن سبيع ، بن زيد بن معاوية بن الحارث ، من بنى جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مر ، روى له الآمدى «قصيدة جيدة» فى أخويه حين هاجرا ، منها :

نهيــت خليلىّ اللذين تحمــلا   فلله من خوف الردى من نهاهما

فما انتهيا حتّى تصدعت النوى   وطارت شعاعاً فى البلاد عصاهما

(المؤتلف : ١٧٨) وانظر معه (معجم المرزبانى : ٣٨٧) وأمالى اليزيدى : ٨٤ .

* الأعشى ، ميمون بن قيس = ١١٢

* حميد بن ثور : الهلالى ، من بنى هلال بن عامر بن صعصعة . (جمهرة الأنساب ٢٦٢) صحابى ، فى الطبقة الرابعة من فحول الشعراء الإسلاميين عند ابن سلام (٤٩٦) وهو من شعراء الغفران .
وقد لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأنشده الدالية :

أضحى قلبى من سليمى مقصدا   إن خطأ منها وإن تعمدا

انظر مع الاستيعاب رقم ٥٤٦ : ديوان حميد . ط دار الكتب المصرية .

فجاءتْ بِمَعْيُوفِ الشريعةِ مُكْلَعٍ . أَرَشَّتْ عليه بالأَكُفِّ السوَاعِدُ[1]

والمحمومُ : القِدرُ . من قولِك : حُمَّ فهو محمومٌ .

والقُرونُ التى فى ذِكْرِ الخَيْلِ : تَحتَمِلُ وَجهين: أَحدُهما أَن تكونَ مُرَادًا بها الرِّماحُ. قال بعضُ العربِ فى وصِيَّتِهِ : أَطِيلوا الرماحَ فإنها قُرونُ الخَيْلِ .

والآخَرُ ، أَن تكونَ القرونُ : الدُّفَعَ من العَرَقِ . قال «زُهيرٌ*» :

* تُسَنُّ على سَنابِكِها القُرونُ *

والبَيضةُ : المرأَةُ الكريمةُ . ولذلك قالوا : بيضةُ الخِدْرِ وبيضاتُ الخُدور .
والبيضةُ : الأَرضُ البيضاءُ أَيضاً .

والصَّوْمُ : ضربٌ من الشجَرِ . قال «الهُذَلى*» :

مُوَكَّلٌ بِشُدوفِ الصَّومِ يَرقُبُها من المغاربِ مخطوفُ الحَشَى زَرِمُ[2]

---

(١) البيت من داليته فى وصف امرأة نزل عليها هو وصاحب له اسمه «أبو الخشخاش» ومطلعها.

جلبانـــة ورهـــاء تخصى حمارها بنى من بغى خيراً إليها الجلامد

وفى رسالة الغفران منها ١١ بيتاً ، منها الشاهد هنا . والقصيدة فى الديوان سبعة وعشرون بيتاً .
(٦٥) وروايته للشطر الثانى من البيت : * أرست عليه بالأكف السواعد *

المعيوف : المكروه ، أراد القعب . والشريعة : مورد الشاربة ، والمكلع : الذى تلبد عليه الوسخ ، وأصله أشد الجرب .

(٣) أنشده القالى فى أماليه (١/٢٥) شاهداً على شدوف : جمع شدف وهو الشخص . ونقل فيه قول الأصمعى : الصوم شجر يشبه الناس فهو يرقبه يخشى أن يكون ناساً . ومثله أو قريب منه فى (ل : شدف) .

* زهير بن أبى سلمى (= ١٣٤) وصدر البيت ، يصف طراد الصيد بالخيل :

« نعودها الطراد فكل يوم » ويروى : « تضمر بالأصائل كل يوم» من قصيدته لبنى تميم ، وبلغه أنهم يريدون غزو غطفان :

ألا أبلغ لديـــك بنى تميم وقد يأتيك بالنصح الظنون

وفى شرح ثعلب للشاهد هنا : يسن ، يصب . ويقال : سال عليه قرن من عرق ، أى : دفعة — فى الشوط من الجرى — والسنابك : مقدم الحوافر . (الديوان : ١٨٤)

* الهذلى : ساعدة بن جؤية . والشاهد هنا ، من أبيات فى الوعل ، من قصيدته :

« يا ليت شعرى ألا منجى من الهرم » وقد سبق شرحه مع عشرة أبيات منها (ص ١٤٢) .

ويَصْلَى : من قولكَ : صَلَيْتُ الشيءَ على النار ، إذا لَوَّحْتَه عليها .

والجامعُ : المرأةُ التى قد جمعتْ عليها الثيابَ : الإزارَ والخِمارَ والدِّرْع .

والجامعُ ، التى بعدها ، هى : الأَتَانُ الحاملُ .

والجُرُّ : ضربٌ من الحَيَّاتِ خفيفٌ . ويقالُ هو ولَدُ الحَيَّة .

والفَقِيهُ : من قولِهم : فَحْلٌ فَقِيهٌ إذا كان حاذِقاً بالضِّرابِ .

والذَّهَبُ : مِكْيَالٌ معروفٌ[١] .

والشيطانُ : ضَرْبٌ من الحَيَّاتِ خَفيفٌ .

والدَّجَّالُ : فِرِنْدُ السيفِ . ويقال هو الذهبُ أو ماؤه . قال «نابغةُ بنى جَعدةَ *» :

ثم نزلنا وعطلنا الرماحَ وجَرَّ دْنا سيوفاً كساها القينُ دَجَّالاَ[٢]

ويأجوج : من قولِهم : حِمارٌ ياجوجُ ، إذا كان يتلفتُ من النشاطِ . كأنه مأخوذٌ من : أجَّ يَئِجُّ إذا سُمعَ حَفيفُه فى عَدْوِه ، وأنشد «الشيبانى *» لِـ «أحمرَ بن شجاعِ الكلبى *» :

---

(١) فى القاموس: مكيال لأهل اليمن، الجمع ذهاب وأذهاب، وجمع الجمع أذاهيب (ذهب).

(٢) أنشده فى (ل : دجل) شاهداً على : الدجال الذهب ، وقيل ماء الذهب ، حكاه كراع :

ثم نزلنا وكسرنا الرماح وجر دنا صفيحاً كسته الروم دجالا

قال ابن خالويه : ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبى عمر - الزاهد - قال : الدجال المموه ، يقال دجلت السيف ، موهته وطليته بماء الذهب ، قال : وليس أحد جمعه - على دجاجلة - إلا مالك بن أنس - الإمام - فى قوله : هؤلاء الدجاجلة .

* نابغة بنى جعدة = ١١٧

* الشيبانى ، أبو عمرو = ١٤٩

* الأحمر بن شجاع ، بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن ضمضم ، من بنى كلب بن وبرة ، شاعر إسلامى فارس ، انظره فى (مؤتلف الآمدى : ٣٥)

يَخشَيْنَ منه عُراماتٍ وغَيْرتَه   وأنه رَبِذُ التقريبِ ياجُوجُ[١]

ويَصِحُّ لُغْزُه فى الوقفِ ، مثلُ يعقوب .

والمَظلومُ : من قولِكَ. ظلمتُ اللبَنَ ، إذا شربتَه أو سَقيتَه وهو لم يَرُبْ .

والمظلومةُ : الأَرضُ يُحفَرُ فيها لم تُحفَرْ قبل ذلك ، ويقال هى الأَرضُ الصُّلْبةُ تُحفَرُ .

وخَدُّها الحَفْرُ الذى فيها . وهو مِثلُ الأُخدودِ .

والظالِمُ : الذى يَحفِرُ القبرَ . قال الشاعرُ :

إن الذى بين الحمائرِ والسَّفَا   بالسىِّ حيث يخط. فيه الظالمُ[٢]

والعَجَّانُ من قولِهم : عَجَن البعيرُ ، إذ خبط. بيدِه الأَرضَ .

وكذلك الخَبازُ ، فيما تقدمَ ، لا فى هذا الموضع .

والحُورُ : النَّقْصُ . قال الشاعرُ :

* الذمُّ يَبقَى وزادُ القومِ فى حُورِ *[٣]

والغافِرُ : من قولِكَ : غفَرَ المحمومُ ، إذا هَذَى . وهذا الحرفُ من الأَضدادِ. يقال : غَفَرَ المريضُ إذا بَرُؤَ ، وغُفِرَ إذا انتكس. قال الشاعِرُ :[٤]

---

(١) العرامة حدة النزق وفورة الصبا. والربذ : خفة القوائم فى المشى(ض) والأجيج : تلهب النار . أج الظليم فى يئج ويؤج : عدا وله حفيف . والياجوج ، منه . ومن لا يهمزه ويجعل الألف زائدة ، ياجوج من : يججت . وماجوج من مججت (ق ، ل) .

(٢) الحائر . حجارة تنصب حول الحوض وبيت الصائد واحدها حارة . والسفا التراب، والظالم الحافر فى غير موضع الحفر .

(٣) صدر البيت : * واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا * أنشده الجوهرى فى (حور) شاهداً على الحور بمعنى النقصان ، مع المثل : حور فى محارة ، أى نقصان فى نقصان . يضرب مثلا للرجل إذا كان أمره مدبراً . ومثله فى (ل) .

(٤) الشاعر : المرار الفقعسى يأتى فى أعلام الصاهل والشاحج (ص ٥١٨) .

رواية الجوهرى للشطر الأول : * لعمرك إن الدار غفر لذى الهوى * فى (ل : غفر) قال ابن برى : البيت للمرار الفقعسى ، وصواب إنشاده : * خليل إن الدار غفر لذى الهوى * بدلالة قوله بعده : =

خَلِيلَىَّ إن الدارَ غَفْرٌ لِذِى الهَوَى ‌‌ ‌ كما يَغفِرُ المحمومُ أوصاحبُ الكَلْمِ

والزوجُ : النَّمَطُ من الديباج . ومنه قولُ « لبيدٍ* » :

* زَوْجٌ عليه كِلَّةٌ وقِرامُها *(١)

وذَنَبُ الدجاجة : نجمٌ معروفٌ فى السماء .

والبَارَةُ : جمعُ بائرٍ – مثلُ حائكٍ وحاكةٍ ، وبائعٍ وباعة – من قولِك : بُرْتُ الشيء ، إذا اختبرتَه .

والنائِمُ ها هنا : الأَسَدُ. من قولك : نامَ فى صوتِه يَنِيمُ. وهو صوتٌ خَفِىٌّ.

والبيضُ : النساءُ .

والمَسِيحُ : العُرُوقُ .

(٧٨) والقَسُّ : || النميمةُ .

والبِطريقان : جانبا شِراكِ النَّعْلِ العرَبية .

والكَرَى : ضَرْبٌ من الطيرِ . ويقالُ : هو الكَرَوانُ . قال « الفرزدق* » :

على حين أنْ جَرَّبتُ وابيض مِسْحَلِى ‌ ‌ وأطْرَقَ إطراقَ الكرَا من أحاربُه(٢)

= * قفا فاسألا من منزل الحى دمنة * والرواية فى إصلاح المنطق ٢٠٦/١ ، كما هنا .

والشاهد فى الأمالى ٩٧/١ ، لم يسم الشاعر . قال القالى : غفر ارجل يغفر غفراً ، إذا برأ من مرضه وغفر – على مالم يسم فاعله – إذا انكس . وقال ثعلب فى مجالسه (٩٩) الغفر النكس ، ويقال نُكُس مثقلة.

(١) صدر البيت : * من كل محفوف يظل عصيه * المحفوف : الهودج حف بالثياب وعصيه : خشبه . والزوج : النمط من الثياب والكلة : الستر الرقيق . والقرام : الغطاء المرسل على جوانب الهودج . انظره فى (الديوان ٢٠٠ ، وشرح القصائد العشر للتبريزى) .

(٢) يعنى الشيب . والمسحل : الصدغ ، والمسحلان جانبا اللحية (ل . س) .

ورواية الديوان لصدر البيت : * أحين التق ناباى وابيض مسحل * ورواية (ل : كرا) : * على حين أن ركيت وابيض مسحلى * أنشده الأصمعى شاهداً على « الكرا » لغة فى الكروان . وقيل : أراد الكروان ، فحذف للضرورة .

=

* لبيد = ٩٣

* الفرزدق = ١٢٠

والنعامةُ : ظلمةُ [الليل] [١] .

والمُسلِمُ : الذى يَدبَغُ بِالسَّلَمِ .

والسَّمَرَةُ : جمعُ سامِرٍ ، من قولِكَ : سَمَّرْتُ [٢] المِسْمَارَ ؛ مثل عالِمٍ وعَلَمَةٍ ، وحازِمٍ وحَزَمَةٍ .

والدُّفَّانِ : الجَنْبان . قال « الراعى * » :

* ما بالُ دَفِّكَ بالفِراشِ مَذِيلا *

والساجُ : الطيْلَسانُ .

والبُرْجُ : جمعُ أَبْرَجَ ، وهو الواسِعُ العَيْنِ .

والصورُ : جمع أَصْوَرَ ، وهو المائلُ العُنُقِ . إمَّا خِلقةً وإما أن يكونَ لمرض . ويَصِحُّ لُغْزُه على رأيِ من قال : صُورُ المَدينة ، بالصادِ . أخذه من قولِهم : صَارَ النَّاسَ ، أى ضَمهم .

والبَقُّ : كثرةُ العطاء . قال « عُوَيفُ القوافى * » : [٣]

=وفى المثل : * أطرق كرا إن النعام فى القرى * نقل الميدانى قول الخليل : الكرا الذكر من الكروان . ويقال أيضاً : «أطرق كرا ، يحلب لك» : يضرب مثلا للرجل يخدع بكلام لطيف يمنيه الباطل فيصدق (١ / ٤٣١) .

وأرى الفرزدق نظر فى بيته إلى بيتى الحماسة للحارث بن وعلة ، وهما من شواهد الصاهل والشاحج :

آلآن لمـــا ابيض مسربتى وعضضت من ناب على جذم

ترجو الأعادى أن أسالمهـا سفهاً لعمرى رأى ذى الحلم

(١) رسمه فى ض : [ظلمة اليل] ومن معانى النعامة فى اللغة : الظلمة (ق) .

(٢) كذا بالتضعيف فى الأصل . وفى القاموس : سمر الشئ يسمره ويسمره ، وسمره تسميراً : شده بالمسمار ، واحد مسامير الحديد .

(٣) أنشده فى (ل : بق) ولم يسم قائله ، شاهداً على : بق يبق بقاً ، أوسع من العطية . وبق لنا العطاء أوسعه . والشاهد فى أرجوزة لعويف القوافى ، يرثى سليمان بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز ، اختار « المبرد » فى (الكامل ٢ / ٢٧٨) ثمانية عشر شطراً منها ، أولها :

لاح سحاب فرأينا برقـــه ثم تدانى فسمعنا صعقه

وراحت الريح تزجى بلقه ودهمه ثم تزجى ورقـــه

* الراعى ، النميرى (= ١٣٩) مطلع قصيدة له مشهورة ، يشكو إلى عبد الملك ابن مروان بغى الجباة والعمال . والقصيدة كاملة فى الديوان ، وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ : ١٧٦ ، وفى طبقات ابن سلام ثمانية أبيات منها . وانظر رسالة الغفران ٢٦٣ والشعر والشعراء ٣٢٧ .

* عويف القوافى : ابن معاوية بن عقبة — فى معجم المرزبانى : ابن عتيبة — بن حصن بن حذيفة =

وبَسَطَ الخيْرَ لنا وبَقَّه
والناسُ طُرًّا يأْكلون رزقَه

والذبابُ : بَقِيَّةُ الدَّيْنِ. وإن شئتَ كان الذبابَ الطائرَ ، أوذبابَ السيفِ[١] .

والأُسْدُ : جمعُ إسادٍ ، ويقال وِسادٌ وإسادٌ ، كما يُقالُ : وِشاحٌ وإشاحٌ .

ألغزتُه عن الأُسْدِ : جَمْعِ أَسَدٍ .

والغُرابُ : الغَدِيرةُ من شَعْرِ المرأة . وكذلك فَسَّروا قولَ الشاعرِ :

وشَعشعَتْ للغُرابِ الخَمْرَ واتَّخذتْ ثَوْبَ الأَميرِ الذى فى حُكمِه قَعَدَا[٢]

ـ كانت امرأةُ المَيِّتِ إذا غَسلتْ غديرتَها بالخمْر بعد أن تحلقَها ، عَلِمُوا أنها لا ترغبُ فى زوجٍ بعده . واتخذتْ ثوبَ الأَميرِ ، أى الحِداد . لأن أمراءهم فى ذلك الزمانِ كانوا يَلبَسُون السواد ـ

والصُّرَدُ : واحِدُ الصردَيْنِ وهما عِرْقَانِ يَكتنِفانِ اللسانَ . قال الشاعرُ :[٣]

---

(١) فى القاموس : الذبابة ، كثمامة : البقية من الدين . والذباب معروف ، والنحل . واحدته بهاء ، ومن السيف : حده أو طرفه المتطرف .

(٢) شعشع الشراب : مزجه بالماء ، قال ابن شميل: وهو فى الخمر أكثر . (ل) .
ومن معانى الغراب فى اللغة : سواد الشعر . وشاهده فى (ل) قول الشاعر :

زمان علىَّ غراب غداف فطيَّره الشيب عنى فطارا

إنما عنى به شدة سواد شعره ، ولم يرد أن جوهر الشعر زال ، لكنه أراد سواده ، أزاله الدهر .

(٣) الشاعر : يزيد بن الصعق ، يأتى فى أعلام الصاهل والشاحج .

والبيت فى (الصحاح : صرد) ليزيد بن الصعق ، يهجو النابغة . رواه الجوهرى شاهداً على الصردين ، وهما عرقان يستبطنان اللسان . وفسره فى الشاهد : أى ذربان . ومثله فى (ل) .

=ابن بدر الفزارى ، وفى بنى بدر بيت فزارة بن ذبيان وعددهم ، وكان يقال لحذيفة بن بدر : رب معد ابن عدنان (جمهرة الأنساب ٢٤٤ ، ٢٤٥) شاعر إسلامى حماسى سمى عويف القوافى بقوله :

سأكذب من قد كان يزعم أننى إذا قلت قولا لا أجيد القوافيا

وانظر مع الجمهرة والمعجم والحماسة ١٣٧/١ : أمثال الميدانى ١١٦/٢ ، ٤٤٢ ، وذيل أمالى القالى : ٧٧ ، وتنبيه البكرى : ١١١ .

وأيُّ الناسِ أغدرُ من شَآمٍ له صُرَدان مُنطلِق اللسانِ

والحرائرُ : جمعُ حَرُورٍ . ألغزتُ عن الحرائرِ من النساء .

والكَرْمُ الذى زعمتُ أن الرجُلَ من أهْلِ «بعلَ بَكَّ» لا يُرَى فيه ، هو القِلادةُ . أما ترى أنك تقول : رأيتُ المرأةَ فى كَرْمٍ وفى عِقْدٍ ؟

والبَصرةُ : الحجارةُ البيضُ .

والكوفةُ : ما استدار من الرَّملِ .

والمِصْرُ : تُرابٌ أحمرُ يُصبَغُ به . وقال بعضُهم : هو ترابٌ أَصْفَرُ .

والدَّار ، فى قِصَّةِ أَهْلِ « رَفَنية » : هى فى معنى الدارِى الخاتل ، وحُذفَت الياءُ للوقفِ .

وألغزت الكلمة عن الدارِ المسكونة . وهذه الياءُ يَجوزُ حذفُها مع الألفِ واللام ، وإثباتُها أكثَرُ . وقد قرأت القُراء هذه الآيةَ بالحذفِ والإثباتِ . وهى قوله تعالى :

«سَواءٌ العاكفُ فيه والبادِ»[1] .

فأما عند الوقفِ فحَذْفُها أَوْجَهُ منه فى الوَصْل . ويُقَوِّى الحذف أن تكونَ فى فاصلةِ آيةٍ أو قافيةِ بيتٍ . قال الراجزُ :

أنفِقْ على نفسِكَ منها والجارْ
إنك لا تَدرى ولا يَدْرِى الدارْ

(١) من الآية ٢٥ ، سورة الحج ، وتمامها :

«إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» .

قرأها «حفص» : سواءً العاكف فيه والباد ، وقرأها الباقون بالرفع .

وفى ياء «البادِ» انظر (باب ذكر أصول القراء فى الياءات المحذوفات من رسم المصحف) فى كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى : ٦٩

أأنتَ تحويهن أم لِصٌّ قار
من شَمَجَى أو مِلْقَطٍ كالمسعارْ(١)

وكثُر حذفهُم هذه الياءَ فى : الوادِى ، حتى أجْرَوه فى الوصلِ مُجْرَاه فى الوقفِ . قال الشاعرُ(٢) :

لا صُلْحَ بينى فاعلموه ولا بَيْنَكمُ ما حملَتْ عاتِقِى
سَيفِى وما دمنا بنجدٍ وما قَرْقَرَ قُمْرُ الوادِ بالشَّاهِقِ

و « سيبويهِ* » يذكرُ قولَ « الأعشى* » :

وأخو الغوانِ متى يشأْ يَصْرِمْنَه ويَصِرْنَ أعْدَاهُ بُعَيْدَ وِدَادِ

فى جُملةِ الضروراتِ . وغيرُه يزعمُ أن ذلك لُغَةٌ للعربِ(٣).

والدُّرَّةُ التى تُثْنِى على « السيدِ عزيزِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ أميرِ الأمراء أعز اللهُ نصرَه : مُرادٌ بها المرأةُ الكريمةُ . قال الشاعرُ :

يا سُلَيمَانُ إن تُلاقِ الثريا تَلْقَ عَيْشَ الخُلودِ قبلَ الهِلَالِ

(١) محل الشاهد فى الشطر الثانى : ولا يدرى الدار ، أى الدارى ، حذف الياء فى القافية . والشمجى : الناقة السريعة ، على التشبيه بها . والملقط : الملقاط . والمسعار من قولهم : إنه لمسعر حرب ، أى تحمى به وتستعر ، واستعر اللصوص اشتعلوا .

(٢) أنشده ابن جنى فى (خص ٢/ ٢٩٢) فى حذف التعويض . وقبلهما :

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الفتق على الراتق

وأنشدها فى (ل) فى العاتق : ما بين المنكب والعنق ، مذكر . وقد أنث ، وليس بثبت . وزعموا أن هذا البيت مصنوع . وقال ابن برى : والعاتق مؤنثة ، واستشهد بهذه الأبيات ، ونسبها لأبى عامر جد العباس بن مرداس . وقال : ومن روى البيت الأول : * اتسع الخرق على الراقع * فهو لأنس بن العباس بن مرداس. وقال اللحيانى : العاتق مذكر لا غير . وهما عاتقان والجمع عتق وعواتق . ثم أنشده فى (ودى) لأبى الربيس التغلبى :

(٣) الشاهد فى قوله : الغوان ، بحذف الياء من : الغوانى ، وهو عند «سيبويه» من ضرورات الشعر وقيل : إنما أراد الغوانى فحذف الياء تشبيهاً للام المعرفة بالتنوين ، من حيث كانت هذه الأشياء =

* سيبويه = ١٩٦ * الأعشى ، ميمون بن قيس = ١١٢

دُرَّةٌ من عقائل البَحْرِ مِيزَتْ   لم تَنَلْها مَثَاقِبُ اللآلِ[1]

(٧٩) والصَّدَفَةُ : جمعُ صادِف ، وهو الذى يَصْدِفُ عن الحقِّ ، أى يميلُ .
أَلغزَتْ عن صَدَفةِ الدُّرَّة .

والفِيلُ : الرجُلُ الأَحْمَقُ . أَلغَزتُه عن الفيلِ المعروفِ . قال « الكُمَيتُ* » :

بَنِى رَبِّ الجوَادِ فلا تَفِيلُوا   فما أنتم ، فنَعذِرَكم ، لِفيلِ[2]

* * *

وإيَّاىَ أَلحقُ اللائمةَ : [إذا] كان[3] الصاهلُ حَسَدَنى ، فالهادِرُ أَوْلَى أَن يُبعِدَنى ، لأَنَّ الحافِرَ أَقربُ إلىَّ من المنسم . ولعلك من ولدِ « عَسْكرٍ » الذى أهداه « الثقَفِى » إلى « ابنةِ أَبى بَكْرٍ* » فشهدتْ عليه يومَ الجَمَلِ !![4]

* * *

=من خواص الأسماء، فحذف الياء لأجل اللام كما تحذفها لأجل التنوين. وانظر مع الشاهد فى (ل : غنى) ، مختلف الأقوال فى غانية وغوان .

(١) فى (ل : لألأ) أنشده الليث ، وروايته :

درة من عقائل البحر بكر   لم تخنها مثاقـــب اللآل

قال : اللآل صاحب اللؤلؤ ، حذفوا الهمزة الأخيرة حتى استقام لهم فعال (البيت) ولولا اعتلال الهمزة ما حسن حذفها ، ألا ترى أنهم لايقولون لبياع السمسم : سمّاس ، والقياس واحد؟ وقال الفراء: سمعت العرب تقول لصاحب اللؤلؤ : لآء ، وكره قول الناس : لآل . قال على بن حمزة : خالف الفراء فى هذا كلامَ العرب والقياس ، لأن المسموع لآل ، والقياس لؤلؤى .

(٢) الشاهد فى (ص ، ل) : رجل فيل الرأى ، أى ضعيف ، والجمع أفيال . وقد فال الرأى يفيل فيولة ، وفيّل رأيه تفيلا أى ضعفه . وانظر (إصلاح المنطق ١٦٣/١) .

(٣) فى ص : [إذ كان] وليس السياق .

(٤) فى تاريخ الطبرى وابن الأثير ، حوادث يوم الجمل سنة ٣٦ هـ ، أن السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، أم المؤمنين ، خرجت إلى يوم الجمل على جمل يدعى عسكراً ، حملها عليه «يعلى بن أمية » اشتراه بمائتى درهم . وفى نسب ثقيف : أمية بن أبى العاصى بن بشر ، من بنى منبه بن بكر بن هوازن (جمهرة الأنساب ٢٥٤)

* الكميت ، بن زيد = ٢٦١

* ابنة أبى بكر ، عائشة بنت أبى بكر الصديق ، أم المؤمنين – رضى الله عنها .

[1] قال «أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سُلَيمْنَ» رضى الله عنه إملاءً :

فيقدرُ اللهُ تعالى على أن يُنطِقَ البعيرَ فيقول :

البعيرُ إنما قيل [له] جَمَلٌ[2] ، لأنه يَصبرُ ويتحمَّلُ ويجملُ . وليس للبهائم الراعيَةِ من أُذُنٍ واعية. ما أفرقُ بين نيَّةٍ مُعْتَمِرٍ وغازٍ ، فكيف أشعرُ بمكانِ الألغاز ؟ لم تَترك مُناصاةُ السَّلَمةِ من حَصَاةٍ لحفْظِ الكلِمَة[3]. وما يَلِجُ قولُك الثانى ، فى مَسمَعى ، إلا والأوَّلُ قد مُحِىَ من خَلَدى . فاطلُبْ لرسالتك غيرى . والصاهِلُ عجَزَ عن حَمْلِ الأخَفِّ وهو المنظومُ ، فكيف أحمِلُ الأثقلَ من النثرِ ، ولو بيوتاً من الشعرِ كثيرة ؟

وأمَّا تخويفُك إيَّاى بدُعائكَ ، فإن الوحشَ الراتعةَ تَبتهِلُ على الأسَدِ منذ كانت الخليقةُ ، وما لَقِىَ من دعائها إلاَّ خيْرًا ؛ وكذلك خَشاشُ الطيرِ يَدعون على البازِ والأجْدَلِ ، وما يَزدادانِ بذلك إلا رغبةً فى صَيْدِهن. والظِباءُ والسُّماسِمُ[4] يَرغَبن إلى اللهِ فى هلاكِ الذئبِ والكَلْبِ الصائدِ ، فما سُمع منهن دُعاءٌ .

وأنا أختصِرُ لك معنًى فى إبطالِ غرضِك :

لى مَأْرُبةٌ فى وردةٍ من هذا الوَرْدِ المُعَلَّقِ فى الأغصانِ ، فإن قَدَرْتَ أن

---

(١) بنسقه فى النسخة الحضرمية . وما هنا يدخل فى الصفحات الضائعة من الحفصية (ف) .

(٢) فى الأصل : [قيل جمل] .

(٣) المناصاة : الممارسة مع عناء . والحصاة هنا : العقل والرأى . ويقال منه : الحصى ، كغنى ، للوافر العقل . وأحصى الشىء عده أو حفظه وعقله (ق) .

(٤) السماسم ، والسمسم : الثعلب الصغير . والسماسم كعلابط والسمسمانى : الخفيف اللطيف السريع . والسمسمة : عدو الثعلب (ق) .

تسألَ صاحبَ القَراحِ والمُتَوَلِّيَ سَقْيَ هذه الجِرْبةِ أن يُسعِفَني بواحدةٍ منه ، ضمنتُ لك أن أحملَ رسالتَك إلى حضرةِ «السيدِ عزيزِ الدولةِ أميرِ الأُمراء» أعز اللهُ نصرَه . وإن عجزتَ عن إفهامِ رَجُلٍ من العامَّةِ لا هَيْبَةَ له في قلبِك ، يَقرَعُ سَمْعَكَ بلفظه في كلِّ الأحيانِ وتَنظُرُ إلى شخصِه في رَوْحتِكَ وبُكُورِك ، فأنا عمَّا سألْتَنيه أعجزُ . لأنَّ الهَيبةَ عظيمة ، والهيْبةُ قارَنتْها الخَيْبةُ .

ومَن الذى أوْهَمَكَ أنَّ مِثْلَكَ يُسمَعُ له قولٌ أو يُعرَفُ منه إيماءٌ ؟ إنْ كان بلَغكَ ذلك من أهلِ «حلبَ» حرَسَها اللهُ ، فإن حُبَّ «السيِّدِ عزيزِ الدولةِ أميرِ الأُمَراءِ» أعزَّ اللهُ نصرَه ، قد غَمرَ قلوبَهم وغَطَّى أعيُنَهم .

ومن الكلامِ القديمِ : حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ[1] لا سيما قَوْمٌ عُدولٌ يُعرَفون بِـ «بَنِي سنانَ» يَغلُون في وصفِ هذا السُّلطانِ – أطال اللهُ بقاءَه – فيَزعمون أن كَفَّه أسْمَحُ من اللافظة[2] وأنَّ قلبَه أشجَعُ من قلبِ أُسامةَ ، وأنه بالرَّعيَّةِ أَبَرُّ من الوالِدةِ ، وأنَّ رأيَه أهْدَى للضُّلَّالِ من جَدْيِ الفرْقَدِ بل من الشمسِ الطالعة[3] ؛ ويَدَّعُون له ضُروباً من فضائلَ مُتَبايِنَاتٍ لا يَجتمعُ مِثلُها في الآدَميِّين . ولَعلَّك بلَغك عن هؤلاءِ القومِ أنهم يَدَّعُون للسيد «عزيزِ الدولةِ أمير الأُمراءِ» أنه أوتِيَ ما أوتِيَه «سُلَيمنُ» – صلى اللهُ عليه .

---

(١) ذكره الميداني في أمثاله (١/١٩٦) وجعله من مثل قولهم : الهوى شريك العمى (١/٧٨) .

(٢) ذكره ابن السكيت في باب السخاء ، بلفظ «هو أسمح من لافظة» وهي التي تغر فرخها لاتبقى في حوصلتها شيئاً ، وقيل هو البحر ، وقيل : العنز تدعى للحلب فتلفظ جرتها . (تهذيب الألفاظ ٢٤)

وفي (أمثال الميداني) أنهم اختلفوا في «أسمح من لافظة» قيل هي العنز تلفظ بجرتها فرحاً بالحلب ، وقيل : الحمامة لأنها تخرج ما في حوصلتها لفرخها ، وقيل : الديك يأخذ الحبة بمنقاره فيلقيها إلى الدجاجة ، والماء ، على هذا القول ، للمبالغة (١/٣٥٣) .

وفي أمالي القالي (١/٢٤٤) عن الأصمعي : أراد بلافظة البحر . وذكر السيوطي معه ، في (المزهر ٢/٥٠٥) : ويقال هي الرحى .

(٣) انظر المثل : أهدى من النجم ، في (الميداني ٢/٤٠٩) وأشجع من أسامة ، أي الأسد (١/٣٩١) .

من معرفةِ كلامِ البهائمِ والطيْرِ وصنوفِ الحيوانِ . فإن كان نُقِلَ إليك هذا الخَبَرُ فمِثلهُ يَحْمِلُك على تكليفِ حاجَتِك مَن يَمُرُّ بكَ . وهل تُقبَلُ شهادةُ «جَميلٍ*» لِ «بُثينةَ» أو «كُثيِّرٍ*» لِ «عَزَّةَ» ؟

وما أُنكِرُ أن «السيدَ عزيزَ الدولةِ أميرَ الأُمراءِ» – أعز اللهُ نصرَه – كما وَصَفَ هؤلاءِ ، غيرَ أنى لا أزْعُمُ أنه يَفهَمُ أصواتَ الحيَوانِ ، وهل يَعلمُ ذلك أحَدٌ إلا اللهُ ؟

ومَثَلُ المحبَّةِ مَثَلُ الخَمْرِ: كلما دَبَّتْ فى الجِسْمِ ، كان أبْلَغَ لها فى تعبيرِ الحُلْمِ . قال الشاعِرُ :

وَنَدْمانٍ يَزِيدُ الكأْسَ طِيباً سَقيتُ الجاشِرِيَّةَ أو سقانى[1]
إلى أنْ خِلْتُ أنَ أبا قُبَيسٍ وهَضْبَ عَمَايةٍ فَرَسَا رِهانِ

فهذا من فرطِ الإذهانِ ، ظَنَّ جبَلين من جِبَالِ الأَرضِ فَرَسَى رِهَانٍ[2] .

* * *

(١) أنشده فى (ل : جشر) بمثل روايته هنا ، ولم يسم قائله ، شاهداً على : الجاشرية الشرب مع الصبح ، ويوصف به فيقال شربة جاشرية . وأنشد معه ، فى (ص) بيت الفرزدق :

إذا ماشربنا الجاشرية لم نُبَـلْ أميراً وإن كان الأمير من الأزد

ويقال : اصطبحت الجاشرية ، ولا يتصرف له فعل .

(٢) الإذهان النسيان ، أذهنى أنسانى وألهانى . واستذهنه حب الدنيا : ذهب بذهنه .

* جميل : بن عبدالله بن معمر بن الحارث بن ا لخبير ، من بنى عذرة بن سعد هذيم القضاعى : العاشق العذرى الشاعر . فى الطبقة السادسة من فحول الشعراء الإسلاميين . وانظر مع طبقات ابن سلام ٥٢٩ الشعر والشعراء ١ / ٤٣٤ معارف . وجمهرة الأنساب ٤٢٠ .

وحبيبته : بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهود ، عذرية كذلك : (الجمهرة ٤٢٠)

* كثير : بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعى أبو صخر = ٣٥٧ .

وحبيبته «عزة» ، بنت جميل بن حفص الغفارية (الجمهرة ١٧٦)

(٨٠) ‖فيَقدِرُ اللهُ سبحانه على أن يُنطِقَ الشاحجَ فيقول :

أمّا وصْفُكَ نَفسَكَ بالنِّسيانِ وقِلَّةِ الفهم، فصَدَقْتَ ! وفيك قال القائلُ :

لقَد عظُم البعيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ   فلم يَستغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ[1]

وأمّا تكْليفُكَ إيَّايَ أن أسأَلَ صاحِبَ القَراحِ في إعطائكَ وَرْدَةً ، فلا وَجْهَ له ، قد أُوتيتَ من طُولِ العُنُقِ والأَجْلادِ ما عَلِمْتَ ،فامْدُدْ عُنُقَكَ فخُذْ ما شِئتَ من الوَرْدِ وغيرِه مِمَّا في الحائطِ[2] .

وأمّا القومُ الذين يُعرَفون ببني سِنَانَ ، فلا أَعْرِفُ أسماءَهم ولا شُخوصَهم ، ولا اقتنعتُ من معرفةِ شِيَمِ « السيد عزيزِ الدولةِ أميرِ الأُمراءِ » ـ خلَّدَ اللهُ أيَّامَه ـ بأَقوالِ الأَنيسِ دون غيرِهم من الحيوانِ . ولقد طَرَقَنا في الوَارِدةِ أسرابُ قَطًا كُنَّ لمَّا هَبَطَ « السيِّدُ عزيزُ الدولةِ » بلادَ الشام هَرَبْنَ من

---

(١) من قصيدة حماسية ، أنشدها أبو تمام للعباس بن مرداس السلمى . والشاهد ذكره « الميدانى » فى المثل : « أخف حلمًا من بعير » ـ ١ / ٢٥٤ ـ ولم ينسبه لقائله . وكذلك ثعلب فى مجالسه : ١٦٢ .

وهو فى (أمالى القالى : ١ /٤٧) وشرح شواهد المغنى (٢٥) من قصيدة للشاعر كثير عزة ، حين دخل لأول مرة على « عبد الملك بن مروان» فقال له : أنت كثير عزة ؟ تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » فأنشأ كثير يقول :

ترى الرجل النحيف فتزدريه   وفى أثوابه أسد هصـــور

. . . .

وقد عظم البعير بغير لـــب   فلم يستغن بالعظم البعـــير

إلى آخر الأبيات وفى (ل : قلت) بيت منها ، «لكثير أو غيره» :

بغاث الطير أكثرها فراخاً   وأم الطير مقـــلات نزور

والبيت نفسه، أنشده ابن السكيت فى (الألفاظ) : لعباس بن مرداس ويروى لغيره (تهذيب الألفاظ ٤٥٩) .

وبيت آخر منها فى (ل ، ص : مزر) :

ترى الرجل النحيــف فتزدريه   وفى أثوابه أسد مزيـــــرُ

للعباس بن مرداس ، ويروى : * أسد هصور *

وأنشده « ابن حزم» فى جمهرة الأنساب (٢٦٦) لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب !

(٢) الحائط هنا ، بمعنى البستان . والجمع حوط (ق) .

البُزاةِ والصقورِ فى نواحِى الأَرضِ ، فأَتَيْنَ بلادَ الهندِ وأوطانَ الحبشةِ ومخاليفَ اليَمَنِ وفَلَواتِ المَغْربِ . ثم أجْمَعْنَ الرجوعَ ، فجَعَلْنَ يَتَراطَنَّ بينهن ويزعُمن أنهن لم يَرَيْنَ مثلَ هذا السلطانَ - أطالَ اللهُ بقاءَه - فى آفاقِ البسيطةِ ، وأنهن عن رَغْبَةٍ فى الموتِ فى جِوَارِهِ ، مُتَشرِّفاتٌ أن يُصيبهَن مَخالبُ صُقورِه !

أفترى القَطَا يكذِبْن ، مَعاذَ اللهِ ، والمثلُ السائرُ : أَصْدَقُ من قَطاةٍ؟[١] .

قال « النابغةُ » :

تَدْعو القطا وبه تُدْعَى إذا انتسبتْ يا صِدْقَها حينَ تَلقاها فتَنْتسبُ[٢]

وأمّا قِلَّةُ مُبالاتك بالدعاء ، فبَغْيٌ منك ! وعَلَيَّ أن أنتظِرَ بكَ مُنصِلَ الألِّ ثم أستَقبِلُ زَمَمَ العُرُشِ فأَقول :[٣]

---

(١) المثل بلفظه فى أمثال الميدانى (١/٤١٢) وقال : لأن لها صوتاً واحداً لا تغيره ، وصوتها حكاية لاسمها ، تقول : قطا قطا ، ولذلك تسميها العرب : الصدوق . وكذلك قولهم : « أنسب من قطاة » لأنها إذا صوتت عرفت . ومثله فى (ل) للنابغة ونقل فيه عن التهذيب : دل بيت النابغة أن القطاة سميت قطاة بصوتها .

(٢) من قصيدة النابغة :

لقد لحقت بأولى الخيل تحملنى كبداء لا شنج فيها ولا طنب

ورواية ابن السكيت فى الديوان ، للشاهد هنا ، مع البيت قبله : - وهى الرواية المشهورة :

حذاء مدبرة سكاء مقبلة للماء فى النحر منها نوطة عجب
تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت يا صدقها حين تلقاها فتنتسب

ومثلها فى (تنبيه البكرى) على أول الأمالى

فى الشرح : أى إذا صاحت قالت : قطا قطا ، و إذا دعيت قيل لها كذلك ، فما أصدقهن إذ يدعونها وما أصدقها إذ تدعوهن .

والبيت فى الشعر والشعراء ، أورده ابن قتيبة شاهداً على : أصدق من قطاة ، وروايته إذا نسبت * يا حسنها حين تدعوها فتنتسب * (١/٩٧ بيروت) ولا محل لشاهد فيه على هذه الرواية .

ورواه القالى فى أماليه (١/١٨) ، للنابغة ، ونبه البكرى : هذا البيت من شعر النابغة فى رواية بعض الرواة وقد قيل إنه منحول .

وفى سمط اللآلى ١/٧٨ من تعليق «الميمنى» : له - النابغة - فى : خلق الإنسان للأصمعى ١٧١ والشعراء ٧٤ وفى ١٤ بيتاً من ديوانه ، ولكن الأصبهانى نسبها للعباسى بن يزيد بن الأسود ، هكذا ذكره ابن الكلبى .

(٣) منصل الألّ ، أى : شهر رجب ، سموه منصل الأل لأنهم كانوا ينزعون فيه أسنة =

يا عَوْدُ ياعَوْدُ ، لا قُدِّرَ لكَ جَوْدٌ . نَقِبْتَ وحَقِبتَ ، وأصبتَ الفاحشةَ فعُوقِبتَ ، ومُنِيتَ بالأَوْقِ المُثقِلِ فى [صعود] ذات الزَقبات تحتَ الهاضِبَةِ فى الأرضِ المقدِرةِ ، وكمِمْتَ كَمَنَاجِذَ ، وصَممتَ كالزُّبَابِ وعَرِجْتَ كالقَزْلاء ، وفَلِجْتَ كفالجِ أبان ، ولا طلَعتَ من هذا النَّقْبِ إلا وحَلمُكَ مُشابِهٌ حَلَمَ السَّقْبِ[١] ، حتى يَهزأَ بك فُصْلانٌ من وَلَد ولِدَى ، وحتى تكونَ الناضِرةُ بينها وبين مشفرِك قِيدُ الأَنمُلَة فلا تراها عَيْنُك ولا يَسُوفُها أنفُكَ ، فتَميلَ بها إلى الحِربِشِّ النائمةِ فيَلسُّها فمُك . وحتى يُشايِعَ الراعى بالإبِلِ فتُقبِلَ إليه من عُوطٍ وعِشارٍ جَمعَها بالزَّمْجَرةِ من بَعيدِ الغِيطانِ ، وأنتَ قائم لا تَسمَعُ ، ولو وُضِعَت اليَراعةُ على سَمِّ أذنِكَ[٢] . وحَرَّقَكَ الظمأُ ثم صادَفَك ماءٌ مِلحٌ :

=الرماح ، لحرمة القتال فيه . والألة : الحربة عريضة النصل ، والجمع : أل ، وأنشد فى (ص ، ل : ألل ، نصل) بيت الأعشى :

تداركه فى منصل الأل بعدما مضى غير دأداء وقد كاد يعطب

وزم العرش : يعنى تجاه مكة . وفى حديث سعد ، وقد قيل إن معاوية نهى عن متعة الحج : « لقد تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية كافر بالعرش» فسره ابن الأثير : العرش ، جمع عريش ، أراد بيوت مكة ، وأراد بقوله : كافر ، الاختفاء والتغطى ، أو قبل إسلامه (النهاية ، العين مع الراء) ونقله فى (ل : عرش) .

والمعنى : علىّ أن أنتظر شهر رجب وأستقبل مكة وأدعو عليك .

(١) فى الأصل [الصعود] الجود : المطر الغزير ، أو ما لا مطر فوقه . النقبة : قرحة تخرج فى جنب البعير ، والجرب . والحقب : احتباس البول . والأوق : الحمل . والزقبات : الطرق الضيقة ، ج زقبة ، بالتحريك . والكم غطاء البصر كأن عليه كامة . والمناجذ : جمع جلد – على غير واحده – وهو الفأر الأعمى (ق : جلد) والزباب ، كسحاب : فأر ضخم أصم . والقزل : أسوأ العرج ، ويقال للذئب أقزل والأنثى قزلاء . والفلج : الشلل . والحلم : الجلد أفسده الحلم ، وهو القراد ، وقيل الحلمة دودة تقع فى جلده فتأكله ، وحلم السقب : لحاء الغصن الغليظ .

(٢) الحربش : الأفعى (ض) : وقد تشدد الشين . أو الأفعى الكبيرة الخشناء فى صوت مشيها (ق) والس : الحس والأكل . والعوط من النوق ، جمع عائط وهى التى عاطت سنين لم تحمل ، من غير عقر . والعشار جمع عشراء ، وهى من الإبل كالنفساء من النساء أو التى مضى على حملها عشرة أشهر ، وقيل هى النوق ينتج بعضها وبعضها ينتظر نتاجه . شايع بإبله : صاح ودعاها . اليراعة : مزمار الراعى (ص ، ق)

وأَكَلَكَ البُرَامُ الطَّلْحُ[1] ؛ وغُودِرتَ بِمَلاعِبِ الوحشِ ليس في جَسدِك مَجَذٌّ أُعِلَّ إلاَّ وقد اجتمع فيه عَلاَّن[2] . وإن أصابَكَ قطَمُ الفحولِ الساميَةِ فسَدِمْتَ[3] ، وإن نبا بك المرتَعُ فهزِمْتَ . ونَبَحكَ أحدُ الحامياتِ وأنتَ من صَمَمِكَ لا تسمعُه ولا تراه حتى تَطأَه فينشبَ نابُه في سَعْدانتِك ، فيُصيبَكَ مما صَنَعَ بكَ داءُ الكَلَب — أفتظُنُّ أن مثلَكَ يُطلَبُ له دماءُ الملوكِ حتى تُخلَطَ له بالأَشفيةِ[4]؟ — وجُمعَ لكَ الدِّبَغُ والسَّرَرُ والجزَلُ والصَّبُّ والعَضَدُ والهَلَكُ

(١) ضربان من القراد (ض) ومثله في (ل ، ق) .

(٢) ملاعب الوحش ، أي في الفلاة . ومن أمثالهم أيضاً : تركته بملاعب الجن ، أي حيث لا يدرى أين هو . والمجذ : موضع الجذ . أعل ، على البناء للمجهول : أصابته علة . وعلان : مثنى عل بالفتح والتضعيف ، وهو القراد الضخم . .

(٣) القطم ، بالتحريك : الشهوة . والسامية من : سما الفحل ، تطاول على شوله . والسدم ، محركة : الهم مع ندم أو غيظ مع حزن ، وفحل سدم ومسدوم ومسدم : وهو الهائج الممنوع من الضراب .

(٤) من أمثال العرب : « دماء الملوك تشفى من الكلب » ، ويروى : شفاء الكلب . قال الميداني : تزعم العرب أن من كان به كلب من عض الكلب الكليب — وهو شبه الجنون يعترى من عضه ذلك الكلب — ثم سقى دماء الملوك شفى . ودفع هذا بعض أصحاب المعاني ، فقال : معنى المثل أن دم الكريم هو الثأر المنيم كما قال القائل :

كَلِبٌ من حِسِّ ما قد مسه وأفانين فؤاد مختبِلْ

وكما قيل : « كَلِب بضرب جماجم ورقاب » فإذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك ثأره ، فذلك هو الشفاء من الكلب ، لا أن هناك دماً يشرب في الحقيقة (مجمع الأمثال ١ / ٢٧١) . وانظر فيه : دماء الملوك ، في (حيوان الجاحظ ٢/٣)

وأنشد فيه ، في (شرح أدب الكاتب) بيت الشاعر ، قيل هو عمرو بن حممة الدوسي :

وإن تشرب الكلبى المراض دماءنا برئن ويبرى ذو نجيش وذو خبْلِ

وفي شرح المفضل لقول عوف بن الأحوص من مفضليته (٣٤١) « دماء القوم للكلبى شفاء » نقل عن الأصمعي : فهذا سمعناه من كثير من العرب ، وبعضهم لا يصححه ، والذين يصححونه يقولون إن الكلب إذا قطر له من دم رجل شريف شربه فبرئ ، وينشدون قول زهير — الديوان ١٠٢ :

وإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم وكانوا قديماً من مناياهم القتل

وفي عيون الأخبار (٢ / ٧٩) قال ابن قتيبة : والعرب تقول : دماء الملوك شفاء من عضة الكلب الكلب ، والجنون والخبل . قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبْلِ

والفَنينُ والخُمالُ والهُيَام[١] ، ولا رُزِقتَ مُمَارِساً مثل «عُبَيْدٍ*» فيُدَاويك من هذا الكَيْدِ. وسَقَطَ فُوكَ حتى لا تَصِلَ إلى أكْلِ الورَقةِ من الشجَرِ كما تأكلُها الإبِلُ. ومَسَّتْ عَيْنَك شوْكةٌ فإذا هي بإذن الله فَقِيءٌ، وبَقِيتَ رذيًّا في القَفْرَةِ وعُوَيْرٌ يَنقرُ كريمَتيكَ ، وأبو مَذْقَةَ يَنُوشُ رِزْقاً في عَجُزِكَ وأنتَ حَيٌّ بالرَّمَق ما قِئتَ جُرَيْعَةَ الدَّقر ، وأوْقَدَ على كبدك نارَه العُشَرُ[٢] ، حتى إذا دنَوتَ للمَشْرَبِ فلَقِيَكَ دُونَه المُصَرِّدُ، فمكَثْتَ لا تَصدُرُ ولا تَرِدُ. ولا طُلَّتْ أجزاعُكَ ، ولا فارَقَكَ نِزاعُك . وسَالَتْ مُهْجَتُك من شَوقِكَ إلى السَّيَال[٣] ، وسَدِرَتْ عَيْنُك فلم تَرَ السِّدْرَ ، وضَوُلَ شَخْصُكَ فلم تَصِلْ إلى الضَّالَةِ ، وطُلِحْتَ دونَ الطَّلحَة ، ولا سَلِمْتَ لِذَوائب السَّلَمِ ، ولا مَرَّتْ سَعْدَانَتُك على السَّعْدان . وإذا رأيتَ البارقَ فطربتَ[٤] ، ولا أُعِدَّتْ لك عَنيَّةٌ متى جَرِبْتَ . وقُدِّرَ لكَ عَرٌّ وعُرٌّ فيَفِرُّ منك عَبْدٌ وحُرٌّ[٥] ، وخَشِيتَ

---

(١) السرر : داء يأخذ البعير في سرته ، أو وجع في كركرته من دبره ، فهو أسر . والجزل ، بالتحريك : أن يصيب الغارب دبرة فيخرج منه عظم فيتطامن موضعه ، فهو أجزل . والصب : داء في مرفق البعير أو ورم في صدره وفي خفه ، ضب يضب فهو أضب . والعضد : داء في أعضاء الإبل . والهدل : أن تأخذ البعير قرحة تهدل مشفره فيسترخي . والفنين : ورم في إبطه . والخمال ، بالضم : العرج ، وظلع في قوائم الإبل . والهيام : داء يصيب الإبل ، لا تروى . (ص ، ق ، ل)

(٢) عوير : الغراب ، كالأعور . والكريمتان : العينان . وأبو مذقة : الذئب . والدقر : الامتلاء حتى القيء ، دقر يدقر دقراً : قاء من الملء . والعشر : من العضاه ، عريض الورق فيه حراق مثل القطن يقتدح به (ق ، ص) .

(٣) السيال : نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع منه خرج ما يشبه اللبن ، وما طال من السمر . واحدته سيالة ، كسحاب وسحابة (ق) .

(٤) طربت ، ها هنا ، بمعنى حزنت . وفي (القاموس) : الطرب ، محركة : الفرح والحزن ، ضد ، أو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك . وتخصيصه بالفرح وهم .

(٥) العنية : أخلاط من بعر وبول ، تحبس زماناً في الشمس ، ثم تعالج بها الإبل الجربى ، وعنيت البعير طليته بالعنية . والعر ، بالفتح : الجرب ، وبالضم : القروح .

* عبيد : اسم بيطار جاهلي ، قال الأعشى :

لم تعطف على حوار ولم يقـ　　طع عبيد عروقها من خمال

الإبِلُ عَدْواكَ فلم تَشْرَبْ معك من حَوْضٍ ، وهابَتْ أن تُرَاعِيَكَ فى الرَّوْضِ ؛ بل تُغادِرَكَ خَوْفاً مما قُدِر ، غِدَارَ البادية غريباً جُدِرَ. ورُمِيتَ بالشوق|| الطارق إلى أَليفِكَ المُفارِق ؛ وأَضعَفَ السُّقْمُ حِسَّكَ حتى يوجَدَ (٨١)
هَديرُك القاصِفُ كفَحِيحِ الأَفْعَى الفانيةِ .

هذا مُضافٌ إلى ما أَسلَفْتُكَ من الدعَواتِ . ولَأَزيدَنَّكَ من الابتهالِ :

[1]أُلْقِيَتْ صَحِيفَتُك إلى المُجَلِّدِ ، وحُدِيتَ بالرجَزِ وأَخذَ القَصِيدُ منك ، ولا فارَقتْ مسمَعَكَ قصيدةٌ إما قصيرةٌ وإما طويلةٌ . ولا بَرَكْتَ إلا على ضَبٍّ ، وأَلِفَكَ ابْنَا دَايَتِك ، وزايَلكَ بإذنِ الله غُرَاباكَ[2]. وعَظُمَتْ سَعْدانتُك فسُرِرْتَ ، بل طارَتْ حَمامَتُك ووقَعتْ رَخمتُك[3] ، وغَضِبَ عليك سِنَّورُ أَهْلِك ، ولا ساعَفَكَ بالوِصَالِ قطٌّ . ودخل بِرٌّ بين جوانبك . وقُرِّبتَ من الشَّبيبةِ وأَبعدَكَ خالِقُك من الشِّيبِ . ولا زِلْتَ أَخَا صَادٍ بَعِيدًا من دَالٍ . وبايَنْتَ القَسَّ ولا رأَيتَ الكافِرَ ، فأَمَّا الشَّمَّاسُ فلا أَبْخَلُ عليكَ به أَنْ تَدنُوَ منه . ولا بَقِيَ مِلْحٌ فيما قِبَلَكَ ،وفارَق الصليبُ جَسَدَك . وطارَ شَرَرٌ من قَيْنِك ، ولا شَممتَ الفارَةَ بَقِيَّةَ عُمْرِك . وأُخِذَ من جِلْدِكَ العَنْبَرُ ، ودَنَوْتَ من القَصبَةِ . وضَحِكَ صَبِيٌّ فى وَجْهِكَ ، ونـأَى شَيْخٌ عن بِلادِك . وأَخَذَ يَربوعٌ من مَتْنِك ، وطُيِّرَ ذُبابٌ من عَيْنِك . وقُرِّبَ إليكَ التِّبْنُ المُبَيَّضُ فأَخَذَكَ شِبْهُ الجُنونِ . وعُضِدْتَ ، لا عَلَى معنى المساعدةِ . وكُلِيتَ

---

(١) فى هذه الفقرة من دعاء الشاحج على الجمل ، يستخدم التورية البديعية فى ألفاظه ، ثم يعقب عليها فيما يلى ، ببيان المعنى المراد من كل لفظ ، وراء ظاهر دلالته وقريب معناه .

(٢) من أمثال العرب : « طائر طائر فلان » إذا استخف . ذكره الميدانى : ١/٤٣٣ .

(٣) انظر المثل « وقعت عليه رخمته » فى الميدانى (١/٢٦١) ويبدو أنه دعاء لمن تقال له ، بأن تقع عليه الرخمة ، وهى قريب من الرحمة . فإذا قيل له . وقعت رخمتك ، فهو دعاء عليه ، بمعنى سقطت وضاعت .

والكالِي غيرُ نائم. ورآكَ مَنْ لا يَحفِلُ برُؤيتك ،وقَلَبَكَ مَن يَتنفعُ بقَلبكَ ، ورُكِبْتَ وراكِبُك مَالِكٌ لَكَ والمِعْضدُ بيَده والودَانُ. وعَصَاك الشابُّ المُقتَبَلُ فأَمّا الهَرِمُ فما يَهيدُك. وسَحَرَك ساحِرٌ لا يَأْثمُ فيك. ولا حُمِلَ فوقَ ظَهْرِك المِلْحُ ، وأخطأتْ أرضَك مُصيبةٌ سوداءُ ، ولا سَمِعتَ صوتَ المَرتجِز.

(١)وكأَنِّى بكَ لِجَهلِك وقِلَّةِ خِبْرَتِكَ تقولُ فى نفسِك : مامعنى قوله : أَلقِيتْ صحيفتُك إلى المُجَلِّد ؟ وأَىّ صحيفةٍ تَفتقرُ إلى التجليد ؟ تَظُنُّها إحدى الصُّحُفِ ، والمُجَلِّدَ مُجَلِّدَ الكُتُبِ . وأَخطأتَ ، ليس هذا بعُشِّك فادْرُجى . إنما عَنَيتُ بالصحيفةِ : جِلْدَةَ الوَجْه ، وبالمُجَلِّد : الذى يَسْلُخُ الإبِلَ . يُقال : جلَدَ البعيرَ ، كما يُقالُ : سَلَخَ الشاةَ .

وكأَنِّى بكَ تحسبُ قَولى لك : حُدِيتَ بالرجَزِ ، مَعْنيًّا به الرجَزُ من الشعرِ . والجَهْلُ يَحملُك على أَكثرَ من ذلك . ولو كنتُ أَردتُ ما ظننتَ ، لَكُنتُ داعِياً لك ، لا داعِياً عليك . وهل تُحْدَى أَنت ورَهْطُكَ إلا بالرَّجَزِ من الشعرِ ؟ والحُدَاءُ غِناؤك وغِناءُ أَصحابِك . قال الراجزُ :

فغَنِّها وهى لكَ الفِداءُ
إنَّ غِناءَ الإبِلِ الحُداءُ

وقد رُوِى أن « ذا البجادَيْنِ* » حَدَا بالنبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال :

تَعَرَّضِى مَدارِجاً وسُومِى تَعَرُّضَ الجوزاءِ للنجومِ

(١) من هنا يبدأ الشاحج ، فى تفسير ما ساقه فى الفقرة السابقة من دعاء على الجمل ، على وجه التورية .

* ذو البجادين . عبد الله بن عبد نهم المزنى ، سمى ذا البجادين لأن قومه أخذوا ثيابه إلا بجاداً غليظاً خشناً ، ليحولوا دون خروجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فهرب منهم وشق بجاده اثنين – وفى رواية : شقته له أمه – وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، واستشهد غازياً فى تبوك (الاستيعاب ١٦٩٢ والسيرة لابن هشام : ١٧/٤ ، ١٧٢) ومنح المدح لأبى الفتح اليعمرى حرف الذال .

هذا أبو القاسمِ فاستقيمى(١)

وأَمَرَ صلى الله عليه وسلم «ابنَ الأَكوَعِ*» أن يَحْدُوَ به فى بعضِ الغزَواتِ. فنزلَ فقال: (٢)

لا همَّ لولا أنت ما اهتديْنا ولا تَصدَّقْنا ولا صلَّيْنا
فأنزِلَنْ سَكينةً علينا وثَبِّتِ الأَقدامَ إنْ لاقَيْنا

وحَدَا «عبدُ اللهِ بنُ رَواحَةَ*» فى [غزوةِ مؤتَةَ] (٣)– وفيها قُتِلَ– فقال:

(١) ابن إسحاق فى السيرة ٣ / ٣٤٢ وابن سعد فى الطبقات ٢ / ٥١ فى المسير إلى خيبر. والرجز أنشده الجوهرى فى (عرض) لذى البجادين دليل الرسول عليه الصلاة والسلام، وفسره: تعرض الجمل فى الجبل إذا أخذ فى مسيره يمينًا ويسارًا لصعوبة الطريق. وفى (ل: عرض) أى خذى يمنة ويسرة وتنكبى الثنايا الغلاظ.

(٢) فى رواية ابن إسحاق وابن سعد، لرجز عامر بن الأكوع يوم خيبر:

تالله لولا الله ما اهتدينا وما تصدقنا وما صلينا

ورواه ابن سعد فى غزوة الأحزاب قبلها، كرواية أبى العلاء هنا وبعده:

إن الألى لقد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ونقل «ابن سعد» بإسناده إلى البراء بن عازب، قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل معنا التراب – فى حفر الخندق – ويقول (هذا الرجز) يرفع صوته بكلمة: أبينا.

(٣) [غزوة تبوك] فى الأصل. والراجح أنه من سهو ناسخ. فغزوة تبوك كانت فى رجب من السنة التاسعة للهجرة، ولم يشهدها عبد الله بن رواحة، لأنه استشهد قبلها فى غزوة مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان، قبل فتح مكة. انظر: (طبقات ابن سعد ٢/٩٤، ٣/٧٩، والسيرة لابن هشام ٤/١٥، ١٥٩ والاستيعاب، وتاريخ الطبرى وابن الأثير، السنة الثامنة للهجرة).

* ابن الأكوع: هو هنا، عامر بن عمرو الأسلمى الصحابى، عم سلمة بن الأكوع الصحابى أمهر الرماة بالنبل (من أعلام الصاهل والشاحج انظره فى ص ١١٠). وقد استشهد عامر رضى الله عنه فى خيبر، وكان حين خرج إليها، يرجز بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بهذا الرجز (طبقات ابن سعد ٢/٨١ والسيرة ٣/٣٤٢).

* عبد الله بن رواحة، بن ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجى الأنصارى الشاعر. شهد العقبة وكان من نقباء الخزرج فيها، وشهد بعدها المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه فى مؤتة، قبل فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة، وكان أميراً على الجيش بعد استشهاد زيد بن حارثة، ثم ذى الجناحين جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما (الاستيعاب رقم ١٥٣٠، وطبقات ابن سعد ٣/٧٩ والسيرة ٤/١٥) ومعها: (وطبقات ابن سلام ١٨٦).

يازَيدُ زيدَ اليَعملاتِ الذُّبَّلِ(١)

تطاوَلَ الليلُ عليكَ فانزِلِ

– وهذه الأشعارُ التى ذكرتُ ، رَجَزٌ عند العربِ ، وإن زَعَمَ «الخليلُ*» أن بعضَها من السريعِ . ومِثلُها كثير –

أَوَ لستَ أنت وشِيعَتُكَ ، إذا سمعتَ الحادِينَ بالرجزِ رَجَبَتْ خطوتُك

(١) فى (السيرة لابن هشام ٤/١٩) أن عبد الله بن رواحة قال هذا الرجز فى طريقه إلى مؤتة غازياً . وبعده : * تطاول الليل هديت فانزل *

وزيد ، فى الرجز ، هو زيد بن أرقم ، وكان يتيماً فى حجر عبد الله بن رواحة . واليعملات جمع يعملة ، وهى الناقة القوية . والذبل : الضامرة . أضاف زيداً إلى اليعملات ، لأنه قوىّ على ضبطها .

وهو من شواهد (الكتاب) لقوله : يا زيد زيد اليعملات ، كرر للبيان ، وقال الزمخشرى فى شرح شواهد الكتاب : هذا رجز لعبد الله بن رواحة ، قاله فى توجه جيش المسلمين إلى مؤتة . وروايته :

يا زيد زيد اليعملات الذبل وزيد دارى الفلاة المجهـل

تطاول الليل هديت فانزل فانقض زيد كانقضاض الأجدل

وهو أيضاً من شواهد المغنى (رقم ٦٩٨) لم يسم قائله ، وفى شرح الشواهد قال السيوطى : هو لعبد الله بن رواحة ، يخاطب زيد بن أرقم ، وقد خرج به غازياً إلى مؤتة (٢٨٩) .

ورواه المبرد فى (الكامل) لعمر بن لجأ ، وعلى هامشه قال المرصفى : «هذا غلط ، صوابه : لعبد الله بن رواحة الخزرجى» على أن السيوطى نقل فى شرح شواهد المغنى : «وقال السخاوى فى شرحه : ذكر المبرد وغيره أنه لعبد الله بن رواحة ، وفى قول سيبويه إنه لبعض أولاد جرير» : والرجز فى (ل : عمل) أنشده ابن برى ، لراجز ، لم يسمه ، شاهداً على اليعملات جمع يعملة ، وهى الناقة السريعة . المطبوعة على العمل قال : وذكر النحاس فى الطبقات أنه لعبد الله بن رواحة

* الخليل ، بن أحمد . أبو عبد الرحمن الفراهيدى الأزدى ، من الفراهيد بنى زيد بن شبابة ابن مالك بن فهم الدوسى (جمهرة الأنساب ٣٥٨) ، واضع علم العروض ، ومن أئمة اللغويين والنحاة ، صاحب معجم العين . توفى سنة ١٧٥ هـ عن خمس وسبعين سنة .

(نزهة ٥٤ ، أخبار النحويين ٣٨ ، طبقات القراء ١/٢٧٥ ، إنباه القفطى ١/٣٤١ وفيات الأعيان ١/١٧٢ ، الفهرست ٦٣) وانظره فى أعلام الغفران .

وامتدتْ عُنُقك ، وأدركَتْك أَريَحيَّةٌ فى سَيْرك ؟

وإنما عَنَيْتُ الرجَزَ داءً يَلْحَقُكَ فى عَجُزِك فلا تَقدرُ على القيام . قال «أوسُ بنُ حَجَر* » : (١)

ألا تقبل المعروفَ منى تعاوَرَتْ منولة أسيافاً عليكَ ظِلالُها
هَممْتَ بمعروفٍ فقصَّرتَ دونَه كما هَمَّت الرَّجْزاءُ شُدَّ عِقالُها

وقال آخرُ : (٢)

أَلِيحَ بأَعْلاهُ وأبْقَى شَريدَه روائمُ وُرْقٌ بينهن خَدِيجُ
ثلاثٌ صَلَيْنَ النارَ حَوْلاً وأَرْزَمَتْ عليهن رَجْزاءُ القيام هَدُوجُ (٨٢)

يَعْنى برجزاءِ القيامِ : قِدْرًا أو رِيحاً ، استعاره من الناقة .

وإذا وقَعَ فى ظنِّكَ ما وقَعَ من تَأَوُّلِ الرجَزِ ، فلا ريبَ أنك تحسبُ قولى : وأُخِذَ القصيدُ منك ، مَعْنِيًّا به القَصيدُ من الشعرِ . وأىُّ رُزْءٍ يَلْحَقُكَ فى ذلك ؟ فتقول فى نفسك : إذا تُرِك لى الرجَزُ فما أَحْفِلُ بِفَقْدِ الشعرِ بعدُ . وهل أدركتْنى المنفعةُ بما رُوِىَ عن «امرئ القيسِ* » وغيرِه إلى اليومِ ؟

ولم أَعْنِ القصيدَ من الشعرِ ، وإن كان الرُّكبانُ ربما تَغَنَّوا فوقَ الإبلِ على غيرِ مَعنى الحَدْوِ فأَذِنَتْ لِذلك . قال «النميرىُّ* » :

(١) يهجو الحكم بن مروان بن زنباع . والبيت الثانى فى (ص، ل) لأوس ، شاهد على : الرجز ارتعاد يصيب الإبل عند القيام ، والرجزاء الناقة لا تكاد تنهض إلا على عسر ومشقة .

(٢) الراعى النميرى ، يصف الأثافى . والبيت الثانى أنشده فى (ل : رجز) للراعى : يعنى ريحاً تهدج لها رزمة أى صوت . ويقال أراد برجزاء القيام قدراً كبيرة ثقيلة ، وهدوج : سريعة الغليان .

والخديج : الناقة ألقت ولدها قبل تمام حمله . والرزمة حنينها على ولدها حين ترأمه . وفى المثل: أرزمة ولا درة ؟ يضرب لمن يعد ولا يفى .

* أوس بن حجر ، بن عتاب التميمى ، = ٣٥٨
* امرؤ القيس ، الكندى = ١٠٥
* النميرى ، الراعى = ١٣٩

وخُودٌ منَ اللاتى تَسَمَّعْنَ بالضحَى   قَريضَ الرُّدافَى بالغناء المُهَوَّدِ[١]

وقال «ذو الرُّمَّة*» : [٢]

خَلِيلَىَّ أدَّى اللهُ أجْرًا إليكما   إذا قُسِمَتْ بين العِبَادِ أجورُها

بِمَىٍّ إذا أدْلجتُما فاطرُدَا الكرَى   وإن كان آلَىَ أهلُها لا نَطُورُها

وقال آخرُ :

فقُلتُ لِرِدْفِى نالَكَ الخَيرُ غَنِّنَا   بِأَسماءَ وارفَعْ من صُدورِ الركائبِ

فهذا يَدُلُّ على غنائهم بالنَّسِيبِ وهم فى أكوارِ الإبِلِ[٣] ، يُعَلِّلون الأَنفُسَ بذلك .

وإنما عَنَيْتُ بالقَصِيدِ : المُخَّ الغليظَ ، وهو دليلٌ على السِّمَنِ وحُسْنِ الحَال ، فأَردتُ : أن يَطِيرَ مُخُّكَ رِيرًا من ضرِّك وهُزَالِك .

ولعلَّك تَعجَبُ فى نفسِكَ من قولى : أُخِذَ منكَ القَصِيدُ ، ثم أقول بعد ذلك : لا فارَقَتْ مسمَعَك قصيدةٌ إما قصيرةٌ وإما طويلة . فتقول :

---

(١) ناقة وخود ، الواو أصلية وليست بواو عطف ، من وخدت تخد إذا أسرعت فهى وخود . والشاهد فى (ل : هود) للراعى يصف ناقة ، التهويد : السير الرويد ، وكذلك فى المنطق ، ومنه غناء مهود ، وشاهده بيت الراعى . وفى (ق) : هو الترجيع بالصوت فى لين ، والتطريب .

وفى (ل : ردف) أنشده أبو عبيد للراعى ، والردافى كحبارى : الحداة الأعوان ، جمع رديف .

(٢) والبيتان من القصيدة الأربعين فى (ديوان ذى الرمة) ط أوروبا . وروايته للشطر الأول : * خليلى أدى الله خيراً إليكما * وللبيت الثانى : لا أطورها . أى لا أحوم حولها . والإدلاج : سير الليل . (ص ٣٠٤) وفى (ل : طور) الطور والطوار ما كان على حذو الشىء أو بحذائه ، وطوار الدار وطوارها ما كان ممتداً معها من الفناء ، وفلان لايطورنى ، أى لا يقرب طوارى ، ويقال لاتطر حرانا ، أى لا تقرب ما حولنا . وفلان يطور بفلان ، أى كأنه يحوم حواليه ويدنو منه . ولا أطور به أى لا أقربه .

(٣) الأكوار جمع كور ، بالضم ، وهو رحل الناقة بأداته ، قال ابن الأثير : وكثير من الناس بفتح الكاف وهو خطأ . والأكوار أيضاً ، جمع كور ، بالفتح وهو القطيع الضخم من الإبل (ل) .

* ذو الرمة = ١٢٦

ما معنى هذا الكلام المُتَناقِضِ ؟ ولا تَشعُرُ أنى عَنيتُ بالقصيدةِ : العَصَا ، لأنها تُقْصَدُ من الشجَرِ ، أى تُكْسَرُ ، قَصَدتُ العودَ فهو مَقصودٌ . قال «أبو زُبَيْدٍ الطائيُّ*» :

فدعَا دَعوةَ المُخَنَّقِ والتَّلْبيـ ـبُ منه بِعَامِلٍ مَقْصُودُ[1]

ولعلَّكَ سَبَقَ إلى وَهْمِكَ أنى أردتُ بِقَوْلى : لا بَرَكْتَ إلاَّ على ضَبٍّ ، هذا الضبُّ الذى يُحتَرَشُ ، فتقول فى نَفْسِك ، من غَباوَتِكَ : وما الذى يَلْحَقُنى من ضَبٍّ أبرُكُ عليه ؟ ليس بِأَفْعَى تنكزُ ، ولا ذى شَرٍّ يُرهَبُ ، وإنْ كان حَيًّا هَرَبَ منى إن اتَّفقَ لى أن أبرُكَ عليه . وإن كان مَيِّتاً فإنه والأرْضَ لَمُتَساوِيانِ .

وإنما الضبُّ الذى عنيتُ : داءٌ يُصيبُ خُفَّكَ فيَرِمُ منه صَدْرُك ، ويُقال لك : أَسَرُّ ، عند ذلك[2] ، ولا يُمكِنكَ أن تَبْرُكَ إلا مُتَجافِياً فى المَبْرَكِ قال الشاعرُ :

وأَبِيتُ كالسَّرَّاءِ يَربُو ضَبُّها فإذا تَحَزْحَزُ عن غِداءٍ ضجَّتِ[3]

---

(١) اللبة : المنحر ، واللبب : ما يشد على صدر الناقة أو الدابة ، ولببت الفرس فهو ملبب إذا جعلت له لبباً . ومنه التلبيب ، أن تجمع ثياب الرجل عند نحره ثم تجره فى الخصومة. وتلبب الرجل تحزم وتشمر . والعامل هنا ، عامل الرمح ، وهو ما يلى السنان . والمقصود : المكسور . ومنه القصدة ، بالكسر : القطعة من الشىء إذا انكسر ، والجمع قِصَد (ل ، ق) .

(٢) الضب : ورم يصيب البعير فى فرسنه ، تقول منه . ضب البعير يضب بالفتح ، فهو بعير أضب وناقة ضباء بينة الضبب (ص) . سره : طعنه فى سرته . ذكر فيه الجوهرى بيت الشاعر :

نسرهم إن هم أقبلـــــوا وإن أدبروا فهم من نَسُبّ

أى نطعن فى سبتهم . . . وبعير أسر : إذا كانت بكركرته دبرة بين السرر ، والناقة : سراء . وشاهده فى الصحاح قول معديكرب يرثى أخاه شرحبيل :

إن جنبى عن الفراش لناب كتجافى الأسر فوق الظراب

(٣) البيت أنشده فى (ل: ضبب) بمثل روايته هنا ولم يسم قائله ، شاهداً على الضب : =

* أبو زبيد الطائى = ١٢٥ .

وهل وقَعَ فى نفسِك أن قولى فى الدعوةِ عليكَ : وألِفَكَ ابنَا دايتِكَ ، أريدُ بهما ابنَى ظِئرِك ؟ فما كنتُ إذًا إلا فى حاجَتك !

وإنما عَنيتُ بابنى دَايَتكِ : غُرابَيْنِ يَنقُرانكَ ويُعْجِلانِكَ زُهوقَ النفْسِ ، لا تَقدِرُ لهما على أذَاة .

وتَظُنُّ أن قَولى : زايَلَكَ غُرابَاكَ ، مُرَادٌ به أن يَطِيرَ عنك الغُرابانِ ؟

وهيهات ! إنما أردت بهما رُءوسَ الورْكَيْنِ. وأىُّ خَيْرٍ يَبْقَى عِندك إذا زايَلاكَ ؟ قال « ذو الرُّمَّة * » :

وقَرَّبْنَ بالزُّرْقِ الجمائلَ بعدما تَقَوَّبَ عن غِرْبَانِ أوْرَاكِها الخَطَرُ[1]

وكأنّى بكَ تُفكِّرُ فى معنى قولى : عظُمَتْ سَعْدانتُك فسُرِرْتَ . وتقولُ فى ضَميرِك : ما يَضُرُّنى من عِظَمِ سَعْدانَتى ؟

وإنما الغَرَضُ : أن يُصِيبَكَ داءٌ فى سَعْدانتِك فترِمَ ، فيَيأَس منك صاحبُك فيَسُرَّك ، أى يطعنك فى سُرَّتكَ .

وهل تعجَّبتَ من قولى : طارَتْ حمَامَتُك ووَقَعَتْ رَخمتُك ؟

=ورم فى صدر البعير. وقيل هو أن يحز مرفق البعير فى جلده. والعداء ، ككتاب الموضع المتمادى والتحزحز التجافى وأنشده فى (سرر) : * وأتيت كالسراء* ونبه عليه مصحح اللسان فكتب على هامش الشاهد فى (ضبب) : « أبيت » من البيات ، بالباء الموحدة كما فى التهذيب . . ووقع فى مادة (سرر) : وأتيت ، بالتاء المثناة الفوقية ، خطأ » .

(١) البيت من القصيدة التاسعة والعشرين فى (ديوان ذى الرمة) وجاء فى شرحه : الزرق ، أكثبة بالدهناء ، والجمائل جمع الجمالة : قطعة من الجمال. يعنى بالغربان الأوراك خلف الظهر . وقيل الغراب رأس الورك . وتقوب : انقطع وانقشر ، فذلك من الخطر (ص ٢٠٩) .

وأنشده فى (ل) شاهداً على : الغربان جمع غراب ، والغرابان حرفا الوركين فوق الذنب وملتقى رأسى الورك اليمنى واليسرى. وأراد : تقوبت غربانها عن الخطر ، فقلبه، لأن المعنى معروف . كقولك : لا يدخل الخاتم فى إصبعى ، أى لا يدخل إصبعى فى الخاتم (غرب) .

* ذو الرمة = ١٢٥

وقَصْدِى بالحمامةِ هنا : سَعْدَانتُك ، وهى كِرْكِرتُك . تُسَمَّى بهذين الاسمَيْنِ ، استُعِيرَا لها من الطائرِ لأَن الحمامةَ يقال لها : سَعْدانةٌ .

قال الشاعرُ :

إذا سَعْدانةُ الجَبَلَيْن ناحَتْ عَزَاهِلُها سمعتَ لها عَرِينا[1]

والمعنى : أنكَ تُنْحَرُ فتؤخَذُ كِرْكِرتُك . يقال ، طارَ بِيَدِه كذا إذا أَخَذَه .

وقولى : وقَعَتْ رَخَمَتُك ، يَحتَمِلُ وجْهَين :‖ أَحدُهما ، أَن تَموتَ حَتْفَ أَنفِكَ ، أَو بِسَيْرٍ مهلِكٍ ، فتَبقَى خائِسَتُك للطَّيرِ العافِيَةِ . (٨٣)

والآخرُ ، أَن تُنحَرَ فيقَعَ الرخَمُ على ما يَبقى فى الأَرضِ من أَثَرِك . وهذا المعنى قَصَدَ الشاعرُ بِقَولِهِ ، وذكر إبلاً :[2]

وتَرى لها حَدَّ الشتاءِ على الثرَى رَخَماً وما تَحْيَا لهن فصَالُ

وهل ضَحِكْتَ من قَولى : غَضِبَ عليك سِنَّوْرُ أَهْلِكَ ، وقُلتَ : ما هذه الدعوةُ الدالَّةُ على قِلَّةِ اللُّبِّ ؟ وأَىُّ مُلابَسَة بينى وبين السِّنَّوْرِ ؟ وإنما أنا

---

(١) فى (ل : عرن) أنشده الأزهرى : * إذا سعدانة السعفات ناحت * العرين : صياح الفاختة .

ثم أنشده فى (عزهل) بمثل روايته هنا ، شاهداً على : العزهل وهو : ذكر الحمام ، وقيل فرخها ، وجمعه العزاهل . والبيت شاهده ، ولم يسم قائله . والعرين : الصوت ، عن ابن الأعرابى . والسعدانة : الحمامة .

(٢) البيت من شواهد الغفران ، لطفيل الغنوى : قال أبو العلاء إن « بعض الرواة يزعم أن طفيلا أدرك الإسلام ، وروى له مدح فى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم أسمعه فى ديوانه ، وهو :

وأبيك خـــير إن إبل محمد غزل تناوح أن تهب شمال
وإذا رأين لدى الفناء غريبة فاضت لهن من الدموع سجال
وترى لها حد الشتاء على الثرى رخماً وما تحيا لهن فصـــال

(رسالة الغفران ٥٤٢) ذخائر .

وطفيل (= ١٦٠) مرت أبيات له ، من شواهد الصاهل والشاحج .

طولَ دَهْرِى فى السَّفَرِ ، وربما أسمَعُ صِياحَ السنانيرِ إذا جُبْتُ القريةَ أو المدينةَ فلا أَحْفِلُ بهن .

ولا تَعْلَمُ أن السِّنَّوْرَ : السيدُ ـ وقد مَرَّ ذِكْرُ ذلك ـ وإذا غَضِبَ عليكَ سَيِّدُ أهلِكَ ، فكَمْ فى ذلك من الهَوانِ والشِّقوَةِ ! ويأْمرُ بكَ أَنْ يُوجَعَ ضَرْبُك ويُنقَصَ عَلَفُكَ ، ولا يُتَعَهَّدَ سَقْيُكَ . وربما تَقَدَّمَ بِنَحْرِك والصدَقةِ بك على المساكينِ ، فلا يَبْقَى فى المِصْرِ الواسِعِ أخو عاهَةٍ إلا وقد غَلَتْ قِدرُه بِنَحْضٍ منك

وهل عجِبتَ من قولى : ولا ساعَفَكَ قِطٌّ بِوِصَالٍ ، وقلتَ : أَىُّ وِصَالٍ بينى وبين القِطِّ ؟ إنما أَرغَبُ فى وِصالِ الناقة البائك[١] .

ولا تَدرِى أن القِطَّ : الحَظُّ والنصيبُ . وقد مَرَّ ذِكْرُ ذلك .

وهل سَرَّكَ قولى : دَخَلَ برٌّ بين جوانِحِك ، وقلتَ : وأَىُّ خَيْرٍ فِيمَن لا يَسكُنُ جوانِحه برٌّ ؟ !

وإنما عَنَيتُ : الفأرَةَ [٢] . من قولِهم : ما يَعرِفُ هِرًّا من بِرٍّ . وأُقسِمُ ما تدخُلُ فَارَةٌ بين جوانِحك إلا وقد نَزَل بك خَطْبٌ جَليلٌ .

وهل ظننتَ قولى لك : قَرُبتَ من الشبيبةِ ، دعاءً لك بأَن تَعودَ بَكْرًا شابًّا تَمرَحُ بين بَكَراتِ الإبلِ وأبكارِهن؟ ومَن لِـ « نوحٍ » ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ وغيرِه من الأنبياءِ ، بأَن تَرجِعَ إليه الشبيبةُ فيُصيبَ من لَذَّاتِ العَيْش ؟

---

(١) فى صحاح الجوهرى عن الكسائى : باكت الناقة تبوك بوكاً ، سمنت وحكى ابن السكيت : ناقة بائك ، إذا كانت فتية حسنة ، والجمع البوائك (ب و ك) . قال ذو الخرق الطهوى :

فما كان ذنب بنى مـــالك   بأن سُب منهم غلام فسب
عراقيب كوم طوال الذرى   تخر بوائكها للركـــب

(٢) من معانى البر فى اللغة : الفأرة ، والجرذ ، وولد الثعلب (ق) .

وإنما عَنيتُ بالشبيبَةِ : النارَ ، فَعِيلةٌ بمعنى مفعولة ، من : شبَبْتُها فهى مشبوبةٌ . والمعنى : أنك تُنْحَرُ فيَشتوَى لَحْمُك على النارِ[١] .

وهل عرفتَ معنى قولى : أبْعَدَكَ خالِقُكَ من الشِّيْبِ ؟ وهل ظننتَ أن الشِّيبَ جمعُ أَشيبَ وشيباء ، فقلتَ فى نفسك : وما يَضُرُّنى من بُعْدِ الشِّيبِ ، والشبابُ أقْوَى على إيرادِ الحَوْمِ وأَصبَرُ على تتَبُّعِ الكلإِ ، وإن كان الشيبُ من الرُّعاةِ أعرَفَ بمرَاسِ الشدائدِ وأَثبَتَ على غُبْرِ السنواتِ ، والمثلُ السائرُ : رأىُ الشيخِ خَيرٌ من مَشْهدِ الغُلام ؟[٢]

وإنما عنَيتُ بالشِّيبِ حِكَايةَ شربِ الإبِلِ . قال الراجزُ :

يالَكِ من خزَايةٍ وتَعذِيبْ
إذا تداعَيْن بأَسماءِ الشِّيبْ

وقال آخرُ[٣] :

مالى أرى يَومَكُما عَصِيبَا
أنِمتُما أم خِلْتُنى مغلوباً
قد ركبَتْ أحفافُها العُجوبا
والشِّيبُ منهن يُنادى الشيبا

وهل جال فى خاطرِكَ أنَّ قولى لك : ولا زِلْتَ أخا صَادٍ وبَعيدًا من

---

(١) شوى اللحم شياً فاشتوى وانشوى ، وهو الشواء بالكسر والضم ، والشوى ، كغنى (ق) .

(٢) فى (مجمع الأمثال للميدانى) أن هذا المثل قاله « الإمام على » رضى الله عنه ، فى بعض حروبه (١/٢٩٢) .

والسنوات ، جمع سنة ، بمعنى الجدب والقحط هنا . ويقال : سنة سنواء : شديدة .

(٣) فى (اللسان) : الشيب ، بالكسر ، حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال «ذو الرمة» ، ووصف إبلا تشرب فى حوض متثلم ، وأصوات مشافرها " شيب شيب " :

* تداعين باسم الشيب فى متثلم *

والعجوب : جمع عجب ، وهو من الكثيب آخره المستدق منه (ل) .

دَالٍ ، مَعْنِيٌّ به الصَّادُ والدالُ من حروفِ المُعجَمِ ؟

فخابَ طائرُكَ ياغَبِيُّ ! إنما أردتُ بالصَّادِ أَحَدَ أمريْنِ :

إمَّا الصادُ وهو الداءُ الذى يُصِيبُكَ فى رأسِكَ[1] من قولِ «الراعى*» :

* يُدَاوَى بها الصادُ الذى فى النواظِرِ *

وإمَّا صادٍ من الصدَى ، وهو العَطَشُ .

وأردتُ بِقولى : دالٍ ، أَحَدَ وجهين :

إمَّا فاعِلاً من : دَلاَ يَدْلُو دَلْوَه ، إذا أخرجها . وهذا أَجْوَدُ الوَجهين .

وإمَّا فاعِلاً من: دَلاَ الإبِلَ يَدْلوها. إذا رَفِقَ بها فى السَّيْرِ[2] . قال الراجزُ :

لا تَقْلُوَاها وادلُواها دَلْوَا

إنَّ مع اليومِ أخاه غَدْوَا[3]

---

(١) من : الصيَد ، بالتحريك ، وهو داء يكون فى رأس البعير ، فيرفعه لا يستطيع منه الالتفات ، فهو أصيد . قال الجوهرى : ومنه قيل للملك أصيد لأنه لا يلتفت يميناً ولا شمالا ، وكذلك الذى لا يستطيع الالتفات من داء . وإنما صحت الياء فيه لصحتها فى أصله لتدل عليه (ص ى د) .

وفى اللسان : ودواء الصيد فى البعير أن يكوى موضع بين عينيه . وأنشد :

* أشفى المجانين وأكوى الأصيدا * أما صادٍ من العطش ، فبابه الألف ، من الصدى وهو العطش ، صدى يصدى صدى فهو صدٍ وصاد وصديان (ص) .

(٢) المعنيان فى الدالى ، ذكرهما الجوهرى فى (دلو) : دلوت الدلو ، نزعتها ، وأدليتها أرسلتها فى البئر لتمتلئ . . . ودلوت الرجل وداليته ، إذا رفقت به . ومنه قول عمر رضى الله عنه فى الاستسقاء : دلونا به إليك ، أى استشفعنا به .

(٣) الرجز فى (مجمع الأمثال : ١/٣٩٤) قال الميدانى : يقال : دلوت الناقة أى سيرتها سيراً رويداً .

وأنشده ابن السكيت فى (باب نعوت المشى) شاهداً على : قلوت الإبل قلواً ، وهو السوق الشديد ، ودلوتها دلواً وهو السوق اللين . وشرحه التبريزى : إن لها بعد هذا اليوم الذى تسير فيه ، أياماً تحتاج إلى أن تسير فيها حتى تبلغ الموضع الذى تقصده . (تهذيب الألفاظ : ٢٩١) .

* الراعى ، النميرى = ١٣٩

ولعلَّكَ يَجرِى فى نفسِكَ عَجَبٌ من قولى لك : بايَنْتَ القَسَّ ، فتقول : وما يَغُولُنى من بَيْنِ القَسِّ وفَقْدِ الراهِبِ ؟

ولا تَشعُرُ أن القَسَّ هو حُسْنُ القِيامِ عليكَ وتَتبُّعُ المَرعَى بك . يُقال : قَسَسْتُ الشىء ، إذا تتبعتُه . قال الراجزُ :[1]

يُمسِينَ عن قَسِّ الأَذَى غوافلا
لا جَعْبَرِيَّاتٍ ولا طَهامِلا

وهل أنكرتَ قولى فى الدعاءِ : ولا رأَيتَ الكافرَ ، فقلتَ : وأَىُّ رَغبةٍ لى فى أهلِ الكُفْرِ ؟

وإنما عنَيْتُ بالكافرِ : الزارِع . وعلى ذلك فسَّرُوا قَولَ الشاعرِ :[2]

وخَبَّرها الوُرَّادُ أَنْ ليس بينَها وبَيْنَ قُرَى قَسْرٍ ونجرانَ كافِرُ

---

(١) أنشده ابن السكيت ، لرؤبة فى (إصلاح المنطق ٤٨/٢) كما هنا ، وفى (تهذيب الألفاظ ٢٩١) فى (باب الدمامة والقصر) وروايته :

يمسين عن قس الأذى غوافلا لا جعظريات ولا طهاملا

وفى شرحه : والرواية : جعبريات ، والقس تتبع الشىء وطلبه ، ومعنى جعبريات وجعظريات واحد ، القصيرات الكثيرات العضل. والطهامل : الضخام المسترخيات . وصف هؤلاء النسوة بحسن الخَلق والخُلق ، يريد أنهن يمسين عفيفات لا يتبعن شيئاً من الريب ولا يذكرن جارة لهن بقبيح .

ورواه الجوهرى فى (قس) : * يصبحن عن قس الأذى غوافلا* ورواه فى (جعبر) : يمسين عن قس الأذى . ولم يسم الراجز .

وهو فى اللسان ، فى المادتين (قس ، جعبر) لرؤبة بن العجاج ، والرواية فيهما : يمسين .

(٢) الشاعر : معقر البارق ، كما فى : (مؤتلف الآمدى ٩٢، ١٣٤ ، ومعجم المرزبانى ٢٠٤ ، وأمثال الميدانى ١/٣٦٤ ، ٢/١٠١) شاعر جاهلى محسن متمكن ، من بنى سعد بن عدى بن حارثة ابن عمرو بن عامر . وبارق جبل نزل به بنوسعد ، فنسبوا إليه .

والبيتان من « قصيدته المختارة » بعبارة الآمدى، و « قصيدته المشهورة » بعبارة المرزبانى ،وروايته :

تهيبك الأسفار من خشية الردى وكم قد رأينا من ردى لا يسافر
وخبرها الورَّاد أن ليس بينها وبين قرى نجران والدرب كافر

(٨٤) ‖ فأَلْقَتْ عَصاها واستقَرَّ بها النوَى كما قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المسافرُ

وإنما قِيلَ للزارعِ : الكافِرُ ، لأَنه يَكفُرُ الحَبَّ فى الأَرضِ ، أَى يَستُرُه .

وهل ذَهَبَ وَهْمُك إلى أَنى عَنَيْتُ بالشَّمَّاسِ شَمامِسَة النصارَى ، وقوَّى ذلك فى نَفْسِك أَنى ذكرتُه قريباً من القَسِّ ؟

وإنما عَنيتُ : الشَّمَّاسَ من الخيلِ ، وهو فَعَّالٌ من : شَمَسَ يَشمُسُ . فرجوتُ أن يُصِيبَكَ بِحَافِرٍ منه

وكيف تأْوِيلُكَ لِقَولى : ولا بَقِيَ فيما قِبَلَكَ مِلْحٌ ؟ أَتحسبُنى عنَيْتُ ملحَ [الطعام]؟ وأَىُّ حاجةٍ بك إلى المِلْحِ ؟

وإنما قصَدتُ بالمِلْحِ : البرَكةَ . وإن كانت العربُ قد ذكرت المِلْحَ فى القَسَمِ ، فإنما ذلك لأَنها عندهم من البَركةِ . ولِذلك قال القائلُ[1] :

لا يُبْعِدِ اللهُ رَبُّ العبا دِ والمِلْحِ ما ولَدتْ خالِدَه

= وأنشده ابن برى فى اللسان (كفر) ، ولم يسم قائله :

وجدنها الرواد أن ليس بينهـا وبين قرى نجران والشام كافر

والبيت الثانى فى (عصا) لمعقر بن حمار البارقى يصف امرأة كانت لا تستقر على زوج ، حتى تزوجها رجل رضيت به. ونقل ابن منظور قول ابن برى: هذا البيت لعبد ربه السلمى ، ويقال لسليم ابن ثمامة الحنفى ، وأول الشعر :

تذكرت من أم الحويرث بعدما مضت حجج عشر وذو الشوق ذاكر

وفى (شرح شواهد المغنى ١٠٩) نقل السيوطى أن راشد بن عبد ربه السلمى ، فيما ذكر المدائنى ، هو صاحب البيت المشهور : فألقت عصاها ..

(١) الشاهد أنشده المبرد فى الكامل (٢/٩٣) وابن سيده فى الملح بمعنى الرضاع (مح : ملح) ولم يسم قائله . وهو فى (الفاخر : ١٠) والأساس (ملح) لشتيم بن خويلد ، وبعده :

فإن يكن القتل أفناهم فللموت ما تلد الوالده

ومثله فى (ل : لوم) وقال ابن برى : وقيل إن هذا الشعر لسماك أخى مالك بن عمرو العاملى ، ونقله السيوطى فى (شرح شواهد المغنى ٩٤) مما أنشده ابن الأعرابى فى نوادره، لرجل من بنى عاملة=

فالمِلحُ ، ها هنا ، على وجوهٍ ، يُحتملُ أن تكونَ : البَركةَ ، والرضاعَ ، والمِلحَ المعروفةَ[١] .

وأقْسموا بالملحِ والرمَادِ ، لأَن المِلْحَ يُفتَقَرُ إليها فى الأَطعمة ، والرمادُ لا يكونُ إلا عن نارٍ ، والنارُ يُتَوَصَّلُ بها إلى إنضاجِ المطاعِمِ وهِدايةِ الحَيْرانِ ، ويُدْفَعُ بها مَعَرةُ القُرِّ . قال الشاعرُ :

أقسمتُ بالمِلْحِ والرَّمَادِ وبال عُزَّى وباللاتِ نُسْلِمُ الدَّرَقَه[٢]

وما قولُك أَيُّها المُغَفَّلُ فى قولى : فارَقَ الصليبُ جَسدَك ؟ أَتُرانى عنيْتُ به صليبَ النصارَى فتقولَ فى نفسِك : وهل أَنا نَصرانىٌّ فأُعَلِّقَ صَلِيباً علىَّ ؟

= يقال له سماك فتلته غسان ، فى أبيات آخرها :

فأم سماك فلا تجزعـــى فللموت مــا تلد الوالده

وقال السيوطى : ثم رأيت فى كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) للمبرد ، ما نصه : قال ابن الزبعرى :

لا يبعد الله رب العبـــا د والملح مــا ولدت خالده
وهم مطعنون صدور الكـما ة والخيل تطرد أو طــارده
فإن يكن الموت أفنـــاهم فللموت مــا تلد الوالده

وفى أمثال الميدانى (١/١٢٨) المثل : فللموت ما تلد الوالدة ، قاله سماك بن عمرو ، وكان أحد ملوك غسان احتبسه وأخاه ، وقال إنى قاتل أحدكما ، فأيكما أقتل ؟ فجعل كل منهما يقول : اقتلنى مكان أخى ، فخلى سبيل عمرو ، وقال سماك حين عرف أنه مقتول ، شعراً فيه :

وأقسم لوقتلوا مــالـــكا لكنت لهم حيــة راصــده
برأس سبيـــل على مرقــب ويوماً على طرق وارده
فأم سماك

(١) ذكر الجوهرى فى الملح بمعنى الرضاع ، بيت أبى الطمحان وكانت له إبل فسقى قوماً من ألبانها ، ثم أغاروا عليها فأخذوها فقال ، أنشده الأصمعى :

وإنى لأرجو ملحها فى بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

(٢) أنشده فى (ل : حلق) شاهداً على الحلقة من القوم ، بالتحريك . حكاه يونس عن أبى عمرو بن العلاء ، وبالسكون عن ابن السكيت . ورواية اللسان :

حلفت بالملح والرماد وبالنـــ ار وبالله نسلم الحلقـــــه
حتى يظل الجـــواد منعفــراً ويخضب القيل عروة الدرقه

وإنما عنيتُ بالصليبِ : وَسْماً تُوسَمُ به أنت ونُظَراؤكَ. قال « ذو الرُّمَّةِ » * :

* تَحجيبُها وصليبُها *[١]

ويَجوزُ أن أَعنىَ بالصليبِ : الوَدَكَ .

وهل خطَرَ لك أن قولى : طار شَرَرٌ من قَيْنتِك ، أُريدُ به القَيْنَ الحَدَّادَ ، فتذهبَ إلى أنى عنيتُ القَيْنَ الذى صَنَعَ بُرَتَكَ ، لأن « الهِلالىّ * » قال[٢] :

حَلَّيْتُها حينَ رابَتْنِى بِمَعصِيةٍ ... من حِلْيَةِ القَيْنِ فى عِرنينِها خُرُصَا

فتقول : وأى قَيْنٍ لا يَطِيرُ منه الشررُ أَخْوَلَ أَخْوَلَ ؟ قال الشاعرُ[٣] :

يسَاقِطُ عنه رَوْقُه ضارياتِها ... سِقاط شَرارِ القَيْنِ أَخوَلَ أَخْوَلا

وإنما عَنَيتُ بِقَيْنَيْكَ : حَرْفَ وظِيفِك ، وهما القَيْنانِ. قال « ذوالرُّمَّة * » :

كأَنَّنى من هَوَى خَرْقَاءَ مُطَّرِفٌ ... دَامِى الأَظَلِّ بَعيدُ السأْوِ مَهْيومُ

دَانَى له القَيْدُ فى دَيْمومةٍ قُذُفٍ ... قَيْنَيه وانْحسَرتْ عنه الأَناعِيمُ[٤]

---

(١) تمام البيت ، وهو من القصيدة الثامنة فى (ديوان ذى الرمة / ط أوروبا) :

وأشعث مغلوب على شدَنية ... يلوح بها تحجيبها وصليبها

وفى شرحه : أشعث ، يعنى رجلا أشعث الرأس من السفر ، ومغلوب : غلبه النعاس . والشدنية منسوبة إلى شدن ، وهو فحل . والتحجيب : وسم ، والصليب : وسم على رسم الصليب (٦٨) .

(٢) الشاهد لم أجده فى الأبيات الصادية بديوان حميد بن ثور الهلالى . والعرنين : الأنف أو ما صلب من عظمه . والخرص، بالضم : الحلقة الصغيرة ، كهيئة القرط ، والجمع خرصان (ل)

(٣) نسبه الجوهرى فى الصحاح ، إلى ضابئ : وروايته للشطر الثانى : * سقاط حديد القين * يقال : تطاير الشرر أخول أخول ، أى متفرقاً ، وهو الشرر الذى يتطاير من الحديد الحار إذا ضرب (خ ول) . والبيت فى (ل: خ و ل) لضابئ البرجمى، يصف الكلاب والثور . وكذلك أنشده ابن جنى فى (خص ١ / ٢٢٢) . * سقاط حديد القين أخولا أخولا * أى شيئاً بعد شىء وانظر (الأساس : خول)

(٤) البيتان من القصيدة الخامسة والسبعين فى (ديوان ذى الرمة) . وفى الشرح : المطرف : بعير=

* ذو الرمة ، = ١٢٦

* الهلالى : حميد بن ثور ؟ = ٣٦٥

فأَرَدْتُ : أنه يُلْقَى فى النارِ ، على وجهِ الإحْراقِ ، فيطير منه الشررُ .

وكيف صَرفْتَ قولى فى الدعوةِ : ولا شممْتَ الفارَةَ بقيَّةَ عُمْرِك ؟ أَحسبْتَ أَنى عنَيتُ الفارَةَ المُفسِدَة؟ فذلك دعاءٌ لك لا عليك، أم حسبتَ أَنى عنيتُ فارَةَ المِسْكِ ؟ وما لَكَ ولعتائرِ الهندِ ؟[1] شغَلَها عنك .المُترَفون! فكأَنك يقَعُ فى وهْمِك أَنى دعوتُ عليك أَلا تكونَ فى اللَّطِيمةِ وهى العِيرُ التى تَحمِلُ المِسْكَ . ولعلكَ وأَبَاكَ وجَدَّك لم يكن أَحدٌ منكم فى عِيرٍ تحمِلُ الطيبَ.

وإنما عَنيتُ : فارَةَ الإبِلِ ، وهى رائحةٌ طيِّبةٌ تَفُوحُ منها إذا رعَتْ أَزهارَ الربيعِ . قال «الراعِى* » :

لها فارَةٌ ذفراءُ كلَّ عَشيَّةٍ كما فتقَ الكافورَ بالمِسْكِ فاتِقُه[2]

وما ظَنُّك بقولى : وأُخِذَ عَنْبرٌ من جِلْدِكَ ؟ أَتحسبُ أَنى عنَيتُ العنبرَ المَنْشُومَ ؟ فلو أَنك بعضُ مُلوكِ فارسَ والتَّبابِعَةِ لَجاز أَن يَسْبِقَ ذلك إلى وَهْمِك ، لأَنهم يُطلَوْن بالطِّيبِ . ولذلك قال «أميةُ بن أَبى الصَّلتِ* »

= اشترى حديثاً — فهو قلق — والأظل: أصل الخف. والسأو : داء ، مهيوم : من الهيام وهو داء تستحر منه جلود الإبل تأخذها كالحمى ، تشرب فلا تروى . وأراد بدامى الأظل : الثور الوحشى . وديمومة قذف : فلاة بعيدة . وقيناه : عظما ساقيه . والأناعيم جمع نعم ، الإبل (٥٧٠) .

وانظر فيه (الموشح ١٨١) .

(١) من معانى العترة ، بالكسر : القلادة تعجن بالمسك . . والقطعة من المسك الخالص (ق)

(٢) أنشده الجوهرى للراعى يصف إبلا ، وقال : فارة المسك ، غير مهموزة : النافجة ، وفارة الإبل أن تفوح منها ريح طيبة وذلك إذا رعت العشب وزهره ثم شربت وصدرت عن الماء ، نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك فارة الإبل، عن يعقوب . ومثله فى(ل . فأر)ومعه : وعقيل تهمز الفأرة — والجؤنة والمؤسى والحؤت

والشاهد فى (صح ، ل : فتق) للراعى ، فتق المسك : خلطه بعود وغيره ، واستخراج رائحته بشيء تدخله عليه وبيت الراعى فى (حيوان الجاحظ ، ٩٤/٧ ساسى .

* الراعى ، النميرى = ١٣٩
* أمية بن أبى الصلت = ٢٤٩

لِسَيفِ بن ذى يزنَ الحِمْيَرِىِّ* :(١)

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتَفِقاً　　فى رأسِ غُمدانَ طنفٌ منك مِحْلالا(٢)

والتطَّ بالمِسْكِ إذ شَالتْ نَعَامَتُهم　　وأَسْبِلِ الآن من بُرْدَيْكَ إِسْبَالا(٣)

وإنما عنيتُ : العَنْبَرَ الذى هو التُّرْسُ . وأردتُ : أن يُتَّخَذَ من جِلْدِك ذلك . وإنما تُصنَعُ التِّرَسةَ من جلودِ الإبِلِ بعد النَّحْرِ .

وما رأيُك فىْ قولى لكَ : ودَنَوتَ من القَصَبةِ ؟ أظننتَ أنها الواحدةُ من القَصَبِ ، وذهب ظنُّكَ إلى أن الإبلَ يُشَبَّهُ حَنِينهُا بِصَوْتِ|| الزمَّارةِ (٨٥)

(١) والبيتان فى (طبقات ابن سلام) لأبى الصلت بن أبى ربيعة ، وقد ذكره ابن سلام فى شعراء الطائف ، مع- ابنه - أمية بن أبى الصلت ، فهما شاعران من ثقيف وكذلك ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ٣٧٢/١) ، - وهم لويس شيخو فجعلهما شاعراً واحداً : « أمية بن أبى الصلت ، هو أبو الصلت بن أبى ربيعة » شعراء النصرانية ٢١٩ -

من قصيدة لأبى الصلت ، يمدح الفرس وسيف بن ذى يزن لإخراج الحبشة - الجيش : فى شعراء النصرانية ؟ - وبعدهما البيت المشهور :

تلك المكارم لاقعبان من لبن　　شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

على أن البيتين أنشدهما المبرد فى (الكامل ٤٤/٢) لأمية بن أبى الصلت ، وأنشد معها - على التنظير - قول شاعر من الرى يكنى أبا يزيد ، لعبد الله بن طاهر :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً　　فى شاذمهر ودع غمدان لليمن

فأنــت أولى بتاج الملك تلبسه　　من هوذة بن على ، وابن ذى يزن

قال المبرد : ذكر الشاعر ابن ذى يزن ، لقول أمية فيه (البيتان) وذكر هوذة بن على ، وإن لم يكن ملكاً ، لقول الأعشى :

من ير هوذة يسجد غير متئب　　إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

(٢) رواية ابن سلام : « فى رأس غمدان داراً منك محلالا »

(٣) رواية ابن سلام : « واضطم بالمسك / وأسبل اليوم فى برديك » ورواية ابن قتيبة : ثم اطل المسك » وشالت نعامتهم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، وشاهده فى اللسان (شول) البيت ، فى حديث ذى يزن :

أتى هرقلا وقد شالت نعامتهم　　فلم يجد عنده النصر الذى سالا

* وسيف بن ذى يزن الحميرى ، الذى استرد بلاد اليمن من الحبشة ، بمعونة جيش كسرى أنوشروان كامل ابن الأثير ١٥٨/١ وجمهرة الأنساب ٤٠٩)

المُتخذَةِ من القَصْباءِ ؟ كما قال «عنترة *» :

بَركتْ على جَنب الرِدَاعِ كأنَّما ... بَركتْ على قَصَبٍ أجَشَّ مُهَضَّمِ [١]

وقال آخرُ ، وذكَرَ إبلاً تَحِنُّ :

تَبيتُ أُسارَى فى الحِبالِ ومالها ... ذُنوبٌ ، ولكنْ حُبُّ نَجْدٍ ذنوبُها .

كأَنَّ اليَرَاعَ الجُوفَ من تحتِ لَحْيِها ... إذا أَسْعَطَتْها نَشْرَ نَجْدٍ جَنوبُها [٢]

وقال آخرُ :

وحَنَّتْ قُلوصِى واستَمعتُ لِسَحْرِها ... بِرَملةِ لُدٌّ وهى معقولَةٌ تَحْبو

فما بَرِحت حتّى كأَنّ يَرَاعةً ... بِأَرْآدِ لحيَيْها يُقَلِّبُها شَرْبُ [٣]

وذلك غَرَضٌ فاسِدٌ . وكيف أدعو لكَ بذلك أو عليك ؟ ولا عنيتُ القَصبَةَ التى يُشايعُ بها الراعِى بين الإبِلِ .

وإنما عنيتُ بالقصبة : جَمْعَ قاصِبٍ ، وهو مِثْلُ القَصَّابِ . مأْخوذٌ من : قَصَبَ اللحمَ ، إذا قَطعه . ومن ذلك قيل : جَمَلٌ قاصِبٌ ، إذا قطعَ الشربَ .

---

(١) من معلقته ورواية التبريزى فى (شرح القصائد العشر) : *بركت على ماء الرداع* ويروى : على جنب الرداع. والضمير فى : بركت، للناقة فى قوله : * هل تبلغنى دارها شدنية* والرداع : مكان . الأجش الذى فى صوته جشة ، والمهضم المخرق . والمعنى أنها حنت فشبه صوت حنينها بصوت المزامير ، وقيل إنما يصف بروكها على موضع حسر عنه الماء وجف ، فله صوت. والمعنى الأول أجود لأن القصب الأجش معروف أنه قصب الزمر (١٨٨) .

واختاره المبرد فى (الكامل ٣/١٢٢) قال : إنه يخرج منها الحنين كأشجى صوت ، كأنها بركت على القصب الذى يزمر به ، قال الأصمعى : هو الذى يقال له بالفارسية ، ناى .

(٢) اللحى ، بالفتح : منبت العارض ، جمعه ألح ولحى ولحاء . واللحيان : حائطا الفم ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم ، يكون للإنسان والدابة (مح : لحى) .

وأسعطها : من السعوط ، وهو ما ينشق أو يصب فى الأنف. والجنوب : ريح تخالف الشمال، تأتى عن يمين القبلة. قال ثعلب : الجنوب من الرياح ما استقبلك من شمالك إذا وقفت فى القبلة (ل : جنب) .

(٣) السحر ، بالفتح : صوتها وقت السحر ومنه : استحر الديك : صاح فى ذلك الوقت . والأرآد : جمع رأد ، وهو أصل اللحى .

* عنترة ، بن شداد العبسى = ١١٣

وأىُّ شىء وقع فى خَلَدِكَ لمَّا قلتُ لك : وضَحِكَ صَبِىٌّ فى وَجْهِكَ ؟ أتعتَقِدُ أنه بعضُ هؤلاء الصِّبيانِ ؟ وهيهات ! ما عليك فى ذلك من المَضَرَّةِ ، وقد عَلِمْتَ أنه لو استغربَ شيخٌ أو كهْلٌ أو غُلامٌ فى وجْهِك لم تُضَرَّ بذلك ، ولو انتحبَ عندك المُنتَحِبون وندَبت النوادِبُ ، لماهادَكَ[١] ما فُعِلَ من ذلك؟

وإنما عنيتُ بالصَّبِىِّ : حَدَّ السَّيْفِ . وقال قومٌ : الصبِىُّ . عَيْرُ السيفِ[٢] وعلى هذين القولين فُسِّرَ قولُ « الهُذَلِىِّ* » :

أنْحِى صَبِىَّ السيفِ فوقَ بيوتِهِم كَرَّ المُعَيِّثِ فى أديمِ المِلْطَمِ[٣]

وما الغرضُ فى قولى : ونَأَى شيخٌ عن بلادِك ؟ لعلك تظنُّه بعضَ شيوخِ الآدميين ، فتذهبَ إلى أنى أردتُ أن الشيخَ له تدبيرٌ وحَزْمٌ يَصلُحُ معهما السَّوَامُ ، لأن رأىَ الشيخِ والكهْلِ أفضلُ عندهم من رأىِ المقتبَلِ . ولذلك قالوا فى الرجُلِ إذا وصفوه بالحُنْكَةِ والتجربةِ : قد عَضَّ على ناجذِه ، وإنه

---

(١) هاده الشىء ، يهيده هيداً وهاداً ، أفزعه وكربه وحركه ، وكذلك هيده . وهاده أيضاً : زجره ، وهاد : زجر للإبل (ق : هيد) .

(٢) فى (ل : صبا) والصبى من السيف : ما دون الظبة قليلا ، وصبى السيف حده ، وقيل عيره الناتئ فى وسطه ، وكذلك السنان .

وقال فى (عير) : وعير النصل : الناتئ وسطها ، وأنشد فيه بيت الراعى ، وهو من شواهد الصاهل والشاحج ، وذكر الصائد :

فصادف سهمه أحجار قف كسرن العير منه والغرارا

(٣) فى شرح السكرى : أنحى : أعتمد صبى السيف ، أى حرفه . والمعيث : المفسد . والملطم : أديم يقابل به آخر ، فذاك لطمه . ورواية الديوان : وسط بيوتهم *

* الهذلى : هو عبد مناف بن ربع الجربى الهذلى ، من سعد بن هذيل ، ثم من بنى جريب . والشاهد هنا من قصيدة له فى شعره بديوان الهذليين (٢/ ٣٨ : ٥٠) مطلعها فيه :

ولقد أتاكم ما تصوب سيوفنا بعد الموادة كل أحمر صمصم

لَمُنجَذٌ من القوم ِ . قال « الحارثُ بنُ وَعْلةَ * » :

آلآنَ لما ابيَضَّ مَسرُبَتى وعَضِضتُ من نابٍ على جِذْمِ[1]
ترجو الأَعادِى أَن أسالمَها سَفَهًا لَعَمْرِى رأى ذى الوهْمِ

وقال آخَرُ :

يَمنَعُها شَيخٌ بِخَدَّيْه الشَّيبُ
لا يَرْهَبُ الريبَ إذا خِيفَ الرِّيبُ

---

(١) البيتان من ميميته الحماسية. وأولها فى (أمالى القالى ٢٦٢/٦٩) أنشده ابن دريد الحارث ابن وعلة ، شاهداً على المسربة : الشعر المستدق الذى يأخذ من الصدر إلى السرة . وأنشده الجوهرى فى (سرب) للذهلى ، والبيتان فى اللسان (سرب) مع بيت ثالث بينهما :

وحلبت هذا الدهر أشطره وأتيت ما آتى عـلى عـلم

الحارث بن وعلة الذهلى . قال ابن برى : « هذا الشعر ظنه قوم للحارث بن وعلة الجرمى ، وهو غلط . وإنما هو للذهلى كما ذكرنا » ومثله فى (التاج : سرب) ، وقابل على حماسة البحترى : ٢٣ .

وقوله : وعضضت من نابى على جذم ، أى كبرت حتى أكلت على جذم نابى (ل) .

ورواية (اللسان والتاج) للبيت الثانى :

ترجو الأعادى أن ألين لها هذا تخيل صاحـب الحلم

* الحارث بن وعلة ، بن المجالد بن اليثربى بن الريان الذهلى ، من بنى شيبان بن ذهل بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . (جمهرة الأنساب ٢٩٨) وهو جد الحضين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة بن المجالد ، صاحب راية ربيعة كلها للإمام على يوم صفين ، وفيه قال ، كرم الله وجهه :(تاريخ الطبرى ٢٠/٦ والجمهرة ٢٩٨)

لمن راية سوداء يخفق ظلهـا إذا قيل:قدمْها حُضينُ ، تقدما

والحارث بن وعلة الذهلى شاعر حماسى ، قال الآمدى : « وهو صاحب القصيدة المختارة - منها الشاهدان هنا - :

لمن الديار بجانـب الرضم فدافـع التر باع فالرجـم

التى اختارها أبو تمام فى الحماسة » وأولها - فيها :

قومى قتلوا أميم أخـى فإذا رميت يصيبنى سهمى

(المؤتلف ١٩٨ ، وانظر معه معجم المرزبانى ٢٠٩) .

وقد تأتى أبيات من ميميته الحماسية فى بعض كتب الأدب ، الحارث بن وعلة ، فيختلط بالحارث ابن وعلة الجرمى من شعراء المفضليات ، والجرمى أيضاً ، من أعلام الصاهل والشاحج - انظر ص ١١٦ بيت الجرمى ، من مفضليته - وترجم له الآمدى فى (المؤتلف ١٩٧) قبل الحارث بن وعلة الذهلى .

وقال آخر :

رائعةٌ تَحمِلُ شَيخاً رائعًا
مُجَرِّباً قد شَهِدَ الوَقائعا[1]

وقالتْ امرأةٌ من العربِ :

فيارَبِّ لا تَجعَلْ شبابى وجِدَّتى لِشَيخٍ يُعَنِّينى ولا لِغُلامِ
ولكنْ طِمِرٌّ قد علا الشيبُ رأسَه شديدِ مَنَاطِ القُصْرَيَيْنِ حُسَامِ[2]

وإنما عَنيتُ بالشيخِ : أَوَّلَ الوَسْمِيِّ من المَطَرِ ، وذلك أَبلغُ فى مَساءتِك من فِقدانِ الشيخِ الآدمِيِّ .

وهل عرفتَ معنى قولى : أُخِذَ يُربوعٌ من مَتْنِك ؟

وإنما أَردتُ باليَربوعِ : لحمَ المَتْنِ .

وهل تردَّدَ عجبٌ فى صَدْرِك لمَّا قلتُ لك : وطُيِّرَ ذُبابٌ من عينِك ، وقُلت : إنه لَيُعجِبُنى أن يُطَيَّرَ ذُبابٌ عن عَيْنى ، وإن الذبابَ لَكثيرُ الأَذاةِ للإبلِ والخَيْلِ ؟

وإنما عنَيتُ بالذبابِ : إنسانَ العين .

وهل كثُرَ عندكَ التفكُّرُ من قولى : وقُرِّبَ إليك التِّبْنُ المُبَيَّضُ فأَخذك شِبْهُ الجنونِ ، فقلتَ فى نفسك : وما الذى أَكْرَهُ من التبنِ وإن الحاجةَ إليه لدَاعيةٌ ؟

وإنما عنيتُ بالتبْنِ : القدَحَ العظيمَ ؛ والمُبَيَّضُ المملوءُ . يُقالُ : بيَّضتُ الإناءَ ، إذا ملأْتُه . وذلك دعاءٌ عليك بالكَلَبِ ، لأَن من شأنِ

---

(١) أنشده فى (ل : روع) بمثل روايته هنا ، شاهداً على : فرس رائعة تروعك بعتقها وصفتها.

(٢) الطمر ، بتشديد الراء : القوى الموثق الخلق ، قال السيرافى : هو مشتق من الطمور أى الوثب ، وقيل : هو المدمج (ل : طمر) .والقصريان ، الضلعان التاليان للشاكلتين ، أسفل الأضلاع .

الكَلِبِ أن يَكرَه الماءَ . قالَ الشاعرُ ، وذكرَ رجلاً أصابه الكَلَبُ :

ويَدعو بِبَرْدِ الماءِ وهو بَلاؤه وإمَّا سَقَوه الماءَ مَجَّ وغَرغرا

|| وما الغَرَضُ في قولي : عُضِدتَ ، لا على معنى المساعدة ؟ (٨٦)

والمُرادُ : أن يَضربَك ضاربٌ في عَضُدِك . يقال : عَضَدتُه عضدًا ، إذا ضربتُ عضُدَه ، كما يُقالُ : رأَستُه ، إذا ضربتُ رأسَه .

وهل تَدرِي ما قصدتُ في قولي : وكُلِيتَ والكالِي لكَ غيرُ نائم ؟

وإنما أردتُ كُلِيتَ من قولِهم : كُلِيَ الصَّيْدُ . إذا أُصيبَتْ كُلْيَتُه . فألغزتُه عن قولِهم : كُلِئت ، من الكلاءَةِ وهي الحِراسةُ . وجعلتُ الهمزةَ ياءً ، لأنها ساكِنةٌ وقبلَها كَسْرةٌ . كما يقولون : شيتُ وجيتُ ، فيجعلون الهمزةَ ياءً خالصةً .

وما معنى قولي : ورآكَ مَن لا يَحفِلُ برؤيتك؟][1] || أيُّ شيءٍ خطَر لكَ (154) في هذا التأويلُ ؟ وهل وقع في نفسِك أني عنيتُ بِهِ : رآكَ رؤيةَ العينِ فقلتَ : وأيُّ إنسانٍ لا يراه مَن لا يحفل برؤيتِه ، وهل في الأرض مِلكٌ أو سوقةٌ إلا وربما رآه من هو غيرُ مُبالٍ بالغيبةِ عنه ؟

وإنما أردتُ بِهِ : رأى ، ضربَ الرئة . يقال : رآه أي أصاب رئتَه .

وماالذي اعتقدتَ في قولي : وقلبَكَ مَنْ ينتفع بقلبِك ؟ وهذه الدعواتُ متجانساتٌ ، ومعنى قَلَبَكَ : أصاب قلبَكَ . وكذلك قولي : رُكِبْتَ ، أي أُصيبت رُكبتُك . والراكبُ فاعل من : ركبتُ أركبُ . والمِعضَدُ[2] سيفٌ رديء

---

(١) إلى هنا ينتهي الساقط في الصفحات الضائعة من النسخة الحفصية (ف) انظر بدء السقط في صفحة ٣٤٩

(٢) على هامش ا حاشية باهتة قرأنا منها : أنشده ابن الأعرابي ، ولعله أراد عمرو بن كلثوم الذي ضرب به المثل « أفتك من عمرو بن كلثوم . ذكره الميداني في أمثاله (٢ / ٨٩) وقال : فإن خبر فتكه يطول ، وجملته أنه فتك بعمرو بن هند الملك في دار ملكه بين الحيرة والفرات ، وهتك سرادقه وانتهب رحله ، وانصرف بالتغالبة إلى باديته بالشأم موفوراً لم يكلم أحد من أصحابه ، فسار بفتكه المثل. والمعضد : سيف يمتهن في قطع الشجر ، والددان ، من السيوف نحو الكهام ، غير الماضي المقاطع.

يُمتَهَنُ به فى قطعِ الشجرِ ونحوِه . والدَّدَانُ الكهامُ من السيوف. وقد يجوز أن تُسمَّى الفأسُ مِعضدًا لأنه يعضَدُ به الشجرُ أى يقطع . قال الشاعر :

فلا فَتْكَ إلا فخرُ عمرٍو ورهْطِه بما أخذوا من مِعْضَدٍ ودَدَانِ[1]

والمعنى أن الرجل يضرب ركبتَك بالمعضدِ أو الددانِ وهو مالكٌ لكَ فلا تلحقه فيما صنع إحدى التبعات .

وقولى : عصاكَ الشابُّ المقتَبَلُ ؛ هل وقع فى ظنِّك أنى عنيتُ العِصيانَ ؟ ومن الذى يُطيعك من الشبانِ أو الشيوخ حتى أدعوَ عليك بأن يَعصِيَك الشابُّ المقتبَلُ ؟ وإنما عنيتُ بقولى : عصاكَ ، أى ضربك بالعَصَا ، لأن ضربتَه شديدة ، ولأن الهَرِمَ لا قوةَ له . ويحتملُ : عصاكَ ، وجهاً آخرَ وهو أن يكون من : عصِيتُه بالسيفِ ، إذا ضربته به ، وقُلبت الياءُ ألفاً على لُغَةِ طيئٍ ، كما يقولون : قد رضَاه ، يريدون : قد رضِيَه ، ومُتَغَنَّاةٌ يريدون : متَغنِّيَة ، وباناةُ يريدون : با نية . وأنشد «أبو زيد *» :

* وأسمرَ خطىٌّ رَضَاه ابنُ عازبة *[2]

وأنشد أيضاً :

(155) ثم غَدَتْ تنفُضُ أَحرادَها إن مُتَغنَّاةً وإن راعِيَه[3]

---

(١) على هامش (ف) طرة ، باهتة قرأت منها : [أنشده ابن الأعرابى ، . . . ولعله أراد عمرو بن كلثوم الذى ضرب سبه المثل : أفتك من عمرو بن كلثوم] .

ذكره الميدانى فى أمثاله (٨٩/٢) وقال : فإن خبر فتكه يطول ، وجملته أنه فتك بعمرو بن هند الملك فى دار ملكه بين الحيرة والفرات . وهتك سرادقه وانتهب رحله ، وانصرف بالتغالبة إلى باديته بالشام موفوراً لم يتكلم أحد من أصحابه ، فسار بفتكه المثل .

(٢) الخطى : الرمح ، نسبه إلى الخط : مرفأ السفن بالبحرين تجىء من الهند . وفى (ل) عن أبى حنيفة الدينورى : وليس الخطى ، الرماح . من نبات أرض العرب ، وإنما تجىء من الهند ، وقد كثر فى أشعار العرب .

(٣) البيت من شواهد (اللسان) على أحراد الإبل : أمعائها . قال . وخليق أن يكون واحدها حرداً ، لواحد الحرود التى هى مباعرها . ورواية الشاهد ، أنشده ابن الأعرابى :

* ثم غدت تنبض أحرادها ... وإن حاديه* تنبض : تضطرب ، ومتغناه : متغنية ، كقولهم فى الناصاة : ناصية .

* أبو زيد ، اللغوى = ١٩٧

يريد : متغنية . . وقال آخر :

وما الدنيا بباقاةٍ لِحَيٍّ   ولا أَحدٌ على الدنيا بباقِ

يريدون : بباقية . وهو كثير فى أشعار الطائيين . وربما وُجِدَ فى أشعارِ غيرِهم من العربِ ، وقد كان جاوَرَهم «امرؤ القيس*» فجاء بشىءٍ من هذه اللغةِ كقولِه[1] :

* غيرَ باناةٍ على وَترهْ *

أى غير بانية . وكقولِه[2] :

لها مَتْنانِ خَظاتَا كما   أَكبَّ على ساعِديه النَّمِرْ

يريد : خظِيَتا ، فقلب الياء ألفاً . هذا رأى أهل البصرة من أصحاب النظر. وقال بعضُ الناس : أراد «خظاتانِ» بالنونِ ، وهو تثنية خظاةٍ كما قال الآخر[3] :

---

(١) امرؤ القيس = من قصيدته الرائية ، مضت أبيات منها ، وصدر البيت ، وهو مطلعها :
* عارض زوراء من نشم * من شواهد (اللسان) على : قوس بانية ، بنت على وترها إذا لصقت به حتى كاد ينقطع . ورجل باناة كذلك ، منحن على وتره عند الرمى . أما البائنة فهى التى بانت عن وترها وهو عيب .

(٢) لامرئ القيس ، من قصيدته الرائية المقيدة :

أحارِ بن عمرو كأنى خَمِر   ويعدو على المرء ما يأتمر

والشاهد هنا من أبيات يصف فيها فرسه وخروجه للصيد ، وهو من شواهد (المغنى : رقم ٣٢٤) على إثبات الألف للضرورة فى : خظاتا ، على أنها فعل وفاعل ، ووحد الضمير لأن الرفيقين ليسا باثنين معينين (شرح الشواهد للسيوطى : ٢١٧) وأنشده التبريزى ، والمرزوقى ولم ينسباه .
وهو فى (اللسان : خ ظ ا) شاهد على : خظا يخظو خظوا ، اكتنز لحمه . وعن الكسائى : «أراد : خظتا ، فلما حرك التاء رد الألف التى هى بدل من لام الفعل لأنها إنما حذفت لسكونها وسكون التاء ، فلما حرك ردها» ويلزمه على هذا أن يقول فى قضتا وغزتا : قضاتا وغزاتا ، إلا أن له أن يقول إن الشاعر لما اضطر أجرى الحركة العارضة مجرى الحركة اللازمة فى نحو : قولا وبيعا . وذهب الفراء إلى أنه أراد : خظاتان ، فحذف النون استخفافاً اهـ . وانظر شرح المرزوقى للبيت (ص ١ / ٨٠) .

(٣) أبو دواد الإيادى = ١٥٨ أنشده له فى (ل : خظا) شاهدا على حذف النون من : خظاتا ، استخفافاً على مذهب الفراء . والزحلوف : المكان الزلق .

ومتنانِ خظاتانِ كزُحلوفٍ من الهَضْبِ

فحذف نونَ التثنية للضرورة .

ولا تذهبَنّ فى قولى : سحَرَكَ ساحر لا يأثم فيك ؛ إلى أنى عنيت السِّحرَ المنهىّ عنه ، وإنما عنيتُ بالساحر الذى يصيب سَحْرَك أى رئتَك ، يقال : سَحَرَه فهو مسحور .

وما تأولتَ فى قولى : ولا حُمِلَ فوق ظهرِك الملحُ ؟ هل عرَض لكَ أنى عنَيتُ الملْحَ المعروفةَ فقلتَ فى نفسك : شهِدَ اللهُ ما أَحْفِلُ أَحمِلَ فوقَ ظَهْرِى بُرٌّ أم تَمرٌ أم مِلْح وكلٌّ ذلك سواء علىّ ؟ وإنما أردت بالملح الشحْمَ ، وهو أَحَدُ ما قيل فى قول «مسكين الدارِمى*» :

أصبحت جارتُنا مُهتاجَةً قرِمَتْ بل هى وحْمَى للصِخَبِ(١)
أصبحتْ تثقلُ فى شحْمِ الذُّرَى وتعدُّ القَولَ دُرًّا يُنتَهب(٢)

---

(١) رواية ابن السكيت : * أصبحت عاذلتى معتلة * ومثلها فى الأمالى ، من إنشاد ابن دريد عن ثعلب . وفى تنبيه البكرى * أصبحت صاحبتى طاحة *

الوحمى. من نسوة وحامَى، والوحم شهوة الحبلى بخاصة (ض) وقرمت : اشتهت ، جعله هاهنا للصخب .

(٢) رواية ابن السكيت والبكرى :

أصبحت تبرق من شحم الذرى وتعد اللوم درًّا ينتهب

* مسكين الدارمى ، ابن عامر بن أنيف بن شريح ، من بنى عبد الله بن دارم التميمى (جمهرة الأنساب ٢٢١)شاعر إسلامى أموى كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة (طبقات ابن سلام ٢٥٩) وفى (الشعر والشعراء ٢/ ٥٤٥) أن اسمه ربيعة بن عامر بن أنيف ، ومسكين لقب له ، بقوله :

وسميت مسكيناً وكانت لحاجة وإنى لمسكين إلى الله راغب

وهو من شعراء الحماستين وانظر مختار شعره فى (عيون الأخبار ٢/ ١٩٣) وأبياته البائية هنا ، فى باب الغضب والحدة والمداوة ، من (تهذيب الألفاظ لابن السكيت ٨٩) وفى أمالى القالى ١/ ١٣٨ وتنبيه البكرى عليه ، والسمط ١/ ٣٥٢ ، والفاخر : ١٢ ، وأمثال الميدانى (٢/ ٢٦٩) .

|| لا تَلُمْها إنها زِنْجِيَّةٌ مِلْحُها موضوعةٌ فوقَ الرُّكَبْ[١] (156)

|| فقال قوم : أَرادَ الشحمَ لأَن سِمَنَ الزنج فى أَفخاذها وأَوراكِها . وقال (٨٧)
آخرون : إنما هو من قولِهم: مِلْحُه فوقَ رُكبتِه، إذا وُصِف بالغَدْرِ وقلَّةِ الوفاء .

والعجبُ كلُّه عِندكَ من قولى : أَخطأَتْ أَرضَكَ مصيبةٌ سوداءُ . أَظننتَ أَنى دعوتُ لك بإِخطاءِ الشدائدِ بِلادَكَ ؟ وإنما عَنَيْتُ بالمُصيبةِ السحَابةَ ، يقال : أَصابنا مَطَرٌ وأَصابتْنا سحابةٌ .

وهل ظننتَ أَنى أَخطأَتُ فى قولى : ولا سمعتَ صوتَ المُرتَجِزِ ؛ فقلتَ : قد قال فى أَول كلامِه : وحُدِيتَ بالرجَزِ ، فما أَراد بقوله : ولا سمعتَ صوتَ المرتجز ؟ وإنما عنيتُ ارتجازَ السحابِ بالرعْدِ ، يقال : ارتجز السحابُ فهو مُرْتَجِز ، وكأَنه شُبِّهَ بِصوتِ الراجزِ ، قال «الهُذَلى*» :

سَقى الرحمنُ حَزْمَ يُنابعاتٍ من الجوزاءِ أَنواءً غِزارَا
بِمرتجزٍ كأَنَّ على ذُراه رِكابَ الشامِ يَحمِلْنَ البُهارا[٢]

* * *

ويَقضِى اللهُ سبحانه أَن تَرِدَ الضَّبُعُ ، وذلك بأَغْباشِ السَّحَر ، ــ لأَن الشاحِجَ إذا صَخدَت الهاجرةُ وصافَ الزمانُ باتَ يَدأَبُ فيما هو فيه[٣] فتقولُ ، إن قضَى اللهُ : ”السلامُ عليكَ أَيها الشاحجُ ، إنَّ لما تَسأَلُ جِهةً ومَنفَذًا ، وفى نَفْسِى سُؤالٌ كنتُ أُرِيدُ أَن أَسأَلَ عنه بعضَ العُلَماء ،

---

(١) الرواية فى أكثر مراجعنا : « لا تلمها إنها من نسوة » وفى الفاخر : من أُمَّةٍ »
(٢) ينابعات : موضع. والبهار : حمل مقداره ثلاثمائة صاع (ض .ف)
(٣) أغباش الليل : اختلاط ظلمته فى ابتدائه وانتهائه ، وأكثر ما يستعمل فى اختلاط الظلمة بالضوء . وصخدت عين الشمس : اشتد حرها . وصاف الزمان : دخل فى فصل الصيف (ض)
* الهذلى : البريق ، عياض بن خويلد . انظره فى الجزء الثالث من (ديوان الهذليين) وفيه الرائية التى منها هذان البيتان .

وقد سَمعتُ مخاطبتَك للجمَلِ فدلَّتْنى على فَهْمِك ومعرفتِك ، وقد عزمتُ أن أسأَلَك مُسترشدةً فأَخبرْنى بِما عِندكَ أَسْعَ لَكَ فيما تُحِبُّ إن شاءَ اللهُ" .

وقد علم الشاحجُ أنها من أحمقِ البهائم ، فيقدرُ اللهُ سبحانه أن يُنطقَه فيقولَ : هَلُمِّى لِلَّه أبوكِ . فتقول : لى ثلاثُ كُنَى متجانساتٌ[1] فى اللفظ : أمُّ عامرٍ وهى المشهورةُ ، وأُمُّ عُوَيْمِر ، وأُمُّ عمرو ، قال الراجز : (157)

يا أُمَّ عمرو أَبشِرى بالبشرى
موتٌ ذريع وجَرَادٌ عَظْلَى[2]

وقال «قيس بن عَيْزارَة*» :

فإنكَ إذ تحدوكَ أُمُّ عويمرٍ لَذو رَجْلةٍ حافٍ مع القوم ظالعُ[3]

فأَخبرْنى أصلحكَ اللهُ ، أَإياى عَنَى القائلُ بقوله ؟ :

نَصُدُّ الكأسَ عنا أُمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مَجراها اليمينا[4]

---

(١) كذا ضبطه فى (ف) مرفوعاً ، صفة لثلاث . وضبطه فى (ض) بالكسر ، صفة لكُنى .

(٢) الرجزفى (أمثال الميدانى ١ /٢٣٩) وقال البكرى فى التنبيه : أم عمرووأم عامر : كنيتان للضبع. على أن «ابن ولاد النحوى» أنشده فى باب العين من كتاب (المقصور والممدود) شاهداً على : جراد عظلى وعظالى ، إذا ركب بعضه بعضاً ، وقال فى أم عمرو : أراد يا أم عامر ، فقال : يا أم عمرو ، وهى الضبع (٧٥) وهو فى (س ، ل : عظل) شاهد على جراد عاظلة وعظلى: متعاظلة لا تبرح . عن الأزهرى: أراد أن يقول يا أم عامر ، فلم يستقم له البيت ، فقال: يا أم عمرو. وأم عامركنية الضبع

(٣) رواية الديوان : * لذو حاجة حاف من القوم ظالع* يخاطب «تأبط شراً» وأم عويمر : الضبع . والظالع : الضعيف . يريد : تسوقك الضبع تريد أن تأكلك (من شرح السكرى)

(٤) البيت رواه «التبريزى» فى القصائد العشر ، لعمرو بن كلثوم التغلبى ، من معلقته :

* ألا هبى بصحنك فاصبحينا *

وأشار فى شرحه إلى أن بعضهم يرويه لعمرو بن عدى اللخمى . وهو فى (معجم المرزبانى) لعمرو ابن عدى . وصح عند أبى العلاء كذلك (فى رسالة الغفران ٢٧٨) أن البيت لعمرو بن عدى اللخمى .

* قيس بن العيزارة : الهذلى . قال السكرى : العيزارة أمه ، وبها يعرف، وهو ابن خويلد الهذلى (شعراء الهذليين ٣/٧٦)

فيعجبُ الشاحجُ من حُمْقِها ويقول مُتهزئاً : وهل عَنَى غَيرَك ؟ وإياكِ عنَى «جرير*» بقوله :

يا أمَّ عمرٍو جزاكِ اللهُ مغفرةً رُدِّى علىَّ فؤادى كالذى كانا

وكلُّ ما تسمعينه فى الشعر الغَزِل من أمِّ عمرو وأمِّ عامر ، فإياكِ عَنَى به الشاعرُ ، إذ ليس فى الأرض بهيمةٌ أحسن منكِ ، لا سيما مَشيُكِ ، ألم تسمعى قولَ الشاعرِ فيكِ ؟[1]

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها تَمشِى الهُوَينا كما يَمشِى الوَجِى الوَحِلُ
كأَنَّ مِشيتَها من بيتِ جارتِها مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجَلُ

فيسمعُ الجَمَلُ ذَرْءَ[2] قولِه فيقولُ :

– يا جَعَارِ ، كم لَحِق بكِ من عار ! إنكِ لَبَغِىٌّ أَتْلَى[3] ، هل لكِ فى رجالٍ قَتْلَى ؟ إن هذا الكذَّابَ يهزأ بك وأنتِ لا تشعرين .

فتقولُ : أَحسَبُكَ صادقاً أبا أيوبَ ، لقد سمعتُ هذه الأبياتَ[4] ، وهى فى امرأةٍ يقالُ لها «هُرَيْرَةُ»

فيقولُ الشاحجُ : أَنشُدُكِ اللهَ هل تعلمين أنكِ تَهِرِّينَ عند المَطْعَم ؟

فتقول : اللهمَّ نعم .

---

(١) الأعشى ، البكرى ميمون بن قيس (= ١١٢) من لاميته المعلقة :
ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(٢) ذرء قوله : أى شىء يسير منه . وأكثر ما يستعمل ذلك فيما يكره (ض)

(٣) جعار : من أسماء الضبع . وأتل : مبطئة ، من قولك : أتل يأتل إذا قارب الخطو (ض)
وفى (ل) عن ابن سيده : ومن كلامهم للضبع : أبشرى بجراد عظل وكم رجال قتلى

(٤) اللامية ، من معلقة الأعشى ، فى هريرة : صاحبته

* جرير (= ١٢٠) من قصيدته يهجو الأخطل (الديوان ٥٩٤) :
بان الخليط ولو طووعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

فيقول : أنتِ هُريرةُ لا مَحَالة .!

فتقول : الآنَ علمتُ صدقَكَ وتحامُلَ أبى أيوبَ عليك . ولى صديقٌ
(158) ‖ من كلاب «حَلَبَ» حرسها اللهُ ، يخرج إلىَّ فى الليالى المقمرة ، وبينه وبين بعضِ كلابِ الصيدِ مودةٌ . فألْقِ إلىَّ ما تريدُ ، أُلْقِه إلى الكَلْبِ الحَلبىِّ ، يُلْقِه الكلبُ إلى صديقِه من الكلابِ الصائدةِ ، يُلْقِه ذلك إلى البازى فيَبلُغ لك مافى نفسِك .

فيقولُ : جُزيتِ خيرًا . إن إسنادَكِ لَبَعيدٌ[1] ، وقد يَئستُ من بلوغِ الأُمنية واليأْس إحدى الراحتين ، وصبَرتُ على أمرِ اللهِ لأَنى سمعتُ فى الكتاب الكريم:

«واصبرْ وما صَبْرُكَ إلا باللهِ ولا تَحْزنْ عليهمْ ولا تَكُ فى ضيقٍ مما يَمْكُرُون»[2] .

* * *

(٨٨) ‖ ويجىءُ الثعلبُ واردًا ، فيقولُ وقد كان بلَغَه ما فى نَفْسِ الشاحِجِ : السلامُ عليكَ ، إن لكَ معى بُشارة[3] ، وذلك أنى صحبتُ[4] فى بعضِ الطرُقِ رجلاً من الشركاءِ فى هذا القَرَاح ، فسمعتُه يُحَدِّثُ رِفاقَه أنه قد عَزَمَ على تضمينِه لأَن الفائدةَ عُدِمتْ فيه إلا للمباشرِ عملَه بِنَفسِه .

فيَقدرُ اللهُ سبحانه على أن يُنطِقَ الشاحجَ فيقول : ما لخالقِكَ من غالبٍ ، فبُورِكَ صباحُ الثعالب . ما زلتَ ميموناً من رَهْطٍ مَيامِينَ ،

(١) يعنى بالإسناد البعيد: اتصال الرسالة من الضبع ، إلى صديقها الكلب الحلبى ، إلى صديقه من كلاب الصيد ، إلى البازى .

(٢) الآية ١٢٧ من سورة النحل.

(٣) بضم الباء وكسرها فى (ف) وبالضم فى (ض) فى القاموس : البِشارة ، كالبشرى ، ويضم. وفى ص : الاسم البِشارة . والمصدر البشارة بالضم ويكسر .

(٤) كذا فى الأصلين . وعلى هامش ف : [صاحبت] .

فعُمِرَ بكَ ناديكَ ، ولا فَقَدَ خيرًا وَاديك ؛ وسكنتَ فى أرضٍ كثيرة الوُجُرِ والدِّحال[١] ، ييأَسُ الكلبُ الصائدُ أن يصل بها إليكَ ، ومَنَعكَ فيها الضراءُ والأَشَبُ من أن يطمعَ فيكَ جارحٌ من الطيرِ ؛ وساعَفَتْكَ الثُّرْمُلَةُ ، ولا نـأَتْ عن وجارِك سَمَلَةٌ ؛ ومرَّتْ بفِنائكَ الرِّطَانةُ وقد نُهِقَ منها بعيرٌ بل وُقِصَ ، فتركوه فى أرضكِ لِتَأَنَّقَ فى غريضٍ من اللحم مَصيفَكَ ، وتدخرَ للشتاء ما شئتَ[٢] ؛ وغَفَلَ عنك حافظُ المكثوءةِ حتى تلجَ وأنتَ آمِنٌ فتصيبَ من القُشْعُرِ والحَدَجِ ما تريدُ ؛ ورقَدَ ناطُورُ الجَنَّةِ عنكَ حتى تَمَكَّنَ فى رَأْدِ نهارِكَ من وفرِ وَيْنٍ كدوارع || المدام ومُلاحِيٌّ القِرْطَةِ فى آذان الكواعبِ ذواتِ الخِدَام[٣] ولو قبلتْ كلابُ المِصْرِ وصيَّتى لأوصيتُ لك بأطيبِ بضعة مِنى ، لا بل بالثُّلُثِ من لَحمى ولكنها جَشِعةٌ حريصةٌ لا تَقْبَلُ وَصَاتى . وأما الضبُعُ فأكرهُ أن تُصيبَ منى شيئاً لأنها حمقاءُ مومِسة ، لا آمنُ أن تُطعِمَ بَضيعى سِلْقا يَعْرِضُ لها بالعِهارِ ، لأنها إحدى المومِسَات[٤] . وكأنى بها تُزاحِمُ الكلابَ على أَوْصالى . وإن فَعَلتْ ذلك فقَبْلِي ما خَشِيَها فِتيانُ القومِ ، قال «مالكُ بنُ نويرة»* : (159)

(١) الوجر : جمع وجار . والدحال : جمع دحل ، هوة فى الأرض يضيق أعلاها ويتسع أسفلها (ض) والحمل فى هذه الفقرة ، دعائية .

(٢) الضراء : ما يواريك من شجر ونحوه . والأشب : ملتف الشجر . الثرملة : أنثى الثعالب . والسملة : بقية الماء فى الحوض (ف) الرطانة الإبل التى تحمل من بلد إلى بلد (ض) فى (ق) : إذا كثرت الإبل وكانت رفاقاً ومعها أهلها فهى الرطانة والرطون . ونهق ، على البناء للمجهول ، أثقله الحمل فأعيا . وقص ، دق عنقه .

(٣) [المكثوءة] مطموسة فى (ف) وفوقها : موضع القثاء . والقشعر : صغار القثاء . والحدج : صغار البطيخ قبل أن ينضج . والناطور ، والناطر : حافظ الكرم الجمع نواطير (ص)

والجنة هنا بمعنى البستان. وكلمة وين ، رسمها فى ض : [رين] وفى (ف) : [وين] وفوقها : العنب الأسود. وهو ما فى القاموس .

والقرطة ، جمع قرط : حلى الأذن . والخدام : الخلخال (ف) ومثله فى (ق) بالكسر .

(٤) السلق : الذئب . والعهار : الزنى (ف)

* مالك بن نويرة : بن نمرة كما فى (جمهرة الأنساب ٢١٣) ويأتى فى المراجع الأخرى : =

لَهفَاهُ من عَرْفَاءَ ذاتِ فَليلةٍ تـأتى إلىَّ على ثلاثٍ تَخْمَعُ[١]

وتظَلُّ تَنْشُطنى وتُلحِمُ أجرَياً وسْطَ العرينِ وليس حَىٌّ يدفَعُ[٢]

لو كان سَيفى باليَمينِ ضَربتُها عنى ولم أُوْكلْ وجَنْبى الأضيعُ

هذا الضَّيَاعُ فإنْ حَزَزْتُ بِمُديةٍ كَفِّى فقُولى هَيِّنٌ ما تصنع[٣]

وقال آخرُ* [٤] :

وجاءت جَيْأَلٌ وأبو بَنيها[٥] أحمُّ المأقِيَين لـه خُـمَاعُ

بِلَيلٍ يَنْبُشَانِ التُّرْبَ عنى وما أنا ويبَ غيركِ والضباعُ

* * *

= ابن جمرة ، وابن حمزة ! - بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمى . كان من سادة بنى يربوع وفرسانها وأرداف الملوك . فى الجاهلية شريفاً ذا خيلاء. أسلم وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه بنى يربوع ، وقتله «خالد بن الوليد» فى حروب الردة ، فى عهد أبى بكر الصديق . ومالك من شعراء المفضليات وترجمته فى (المؤتلف ١٩٤ ، والشعر والشعراء ٢٥٤ والكامل ٤/٨١) وانظر مع الاستيعاب (رقم ٢٣٠٣) وتاريخ الطبرى (حروب الردة) مراثى متمم بن نويرة أول طبقة الفحول من شعراء المراثى عند ابن سلام .

(١) أبيات « مالك » العينية هنا ، من مفضليته (رقم ٩ ط أوروبا) :

صرمت زنيبة حبل من لا نقطع حبل الخليل وللأمانة تفجع

ورواية المفضل : يا لهف من عرفاء .. جاءت إلى على ثلاث تخمع . ومثلها فى الروض الأنف ٣/ ١٣٣ . عرفاء ، لها عرف من قفاها . والعرفاء : الضبع ، ذات فليلة : ذات شعر : تخمع : تظلع (ف)

(٢) تنشطنى : تطعننى . تلحم أجريا : تطعمها اللحم ، والأجرى : جمع جرو (ف) كالجراء ، والأجرية نادر

(٣) رواية المفضل : ذاك الضياع . . . فقولى محسن ما تصنع

(٤) مشعث العامرى فى (معجم المرزبانى) والبيتان فيه وأحسبه لقباً . وفى (الأصمعيات ٤٣) لرجل من بنى عامر ، يقال له مشعث :

تمتع يا مشعث إن شيئاً سبقت به الوفاة هو المتاع

وأنشدهما الميدانى فى المثل : « أنبش من جيأل» والبيت الأول فى اللسان (جأل) أنشده ابن برى لمشعث . والثانى فى (خ م ع) لمثقب ، أنشده ابن برى أيضاً . ولعله من تحريف النساخ

(٥) انفرد المرزبانى بروايته : * وجاءت جيأل وبنو أبيها * وليس السياق . وفى شرح المفضل لبيت مالك ، أنشد بيت مشعث : * لجاءت جيأل *

وعلى هامش(ف) : الجيأل : الضبع ، وأحم : أسود . خماع : ظلع (ف)

فبينما الشاحجُ يُناجى الصابِحَ ، سَمِعا لَجَّةً فى المصرِ ، فيقولُ الشاحجُ : ألا تعلمُ لنا الخبرَ يا ثُعالَ ؟

فيمضى ثعالةُ مُبادِرًا ، ثم لا يلبثُ أن يعودَ فيقول : العَامَّةُ يُخبرون أن زعيمَ الروم قد نَهدَ إلى أرضِ المسلمين .

فيَجِمُ الشاحجُ هُنَيهةً ثم يقولُ : بِنْتَ بَرْحٍ شرُّكِ على رأسِك ، سِمْعٌ لا بِلْغٌ ، صَمِّى صَمامِ ، صَمِّى يا ابنةَ الجبل ! هذه الخَنْفقِيقَ(١) ، والسيدُ «عزيز الدولة وتاجُ المِلةِ أميرُ الأُمراءِ »* — أَعزَّ اللهُ نصرَه — بِرَدِّها ‖ حقيقٌ . وإنى لأَحسَبُ هذا الخبرَ كذباً إن شاءَ اللهُ ، لأَن مَثَلَ (160)
السيدِ «عزيز الدولة وتاج المِلَّةِ أميرِ الأُمراءِ ، أعز اللهُ نصرَه » ومَثَلَ زعيمِ الروم ، مثلُ بازِيَيْنِ لكُلٍّ واحد منهما فِرَقٌ من الطيرِ تَحمِلُ إليه الإتاوةَ ، وقد تعاقد البازيانِ ألا يَعرِضَ واحدٌ منهما لما فى حَيِّزِ الآخرِ من الخشَاشِ ، فالطيرُ لما هى عليه من الخِفَّةِ والجهلِ بغوامضِ الأمورِ ، إذا رأَت البازىَ الذى ليست هى فى مِلْكه قد نظر إلى شَطْرِها عن غَيرِ تَعَمُّدٍ ، أدركها

---

(١) بنت برح : الداهية ، والدواهى بنات برح . وفى أمثال الميدانى : إذا سمع الرجل الخبر لا يعجبه قال : اللهم سمع لا بلغ ، كما يقال : سمعا لا بلغاً (١/ ٣٤٤)

والمثل : « صمى صمام» ، يقال للداهية والحرب ، وصمام مبنى على الكسر ، مثل قطام وحذام . ويقال فى المثل أيضاً «صمى يا ابنة الجبل» وأصلها الحية انظر المثلين فى(الميدانى ١ /٣٩٦)والضبط من(س)

والخنفقيق : الداهية ، ويقال : داهية خنفقيق والنون الزائدة ، قاله سيبويه ، جعلها من خفق الريح (ص : خ ف ق) وأمثال الميدانى ١ /٦٤

* عزيز الدولة ، وتاج الملة أمير الأمراء :

فاتك الرومى ، أبو شجاع ، مولى منجوتكين غلام العزيز بالله صاحب مصر . ولى فاتك حلب العزيز بالله الذى لقبه : أمير الأمراء عزيز الدولة وتاج الملة ، فى ثانى رمضان سنة ٤٠٧ هـ وظل عليها إلى أن قتل فى عهد الظاهر ، فى ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ بتدبير عمة الظاهر ، ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمى » وذلك لما كاتب بسيل إمبراطور الروم ، لتسليم حلب ، عندما تغير عليه الحاكم بأمر الله . انظر مع المدخل ، الجزء الثالث من النجوم الزاهرة ، والأول من تاريخ حلب ، أحداث سنة ٤٠٧ : ٤١٣ هـ وأبو العلاء يبدأ من هنا ، فى رصد الأحداث السياسية والاجتماعية للعصر ، وتفسيرها .

من الفَرَقِ بالطبع ما يحملها على ترك الوُكنات وطيرانها فى الآفاق . وهى لا تعلمُ بما فى نفوس البازِيَيْنِ ، لأن كلَّ واحدٍ منهما لو عَرَضَ لِطَيْرِ الآخرِ بِسُوءٍ لم يأمَنْ أن يَعرِضَ لِطيرِه بمثله أو شرٍّ منه وقد تأملتُ العوالِمَ فوجدت عالَمَ الجمادِ يُشبِهُ العالَم النامِى من جهاتٍ ، ووجدت النامىَ يشبه العالمَ الحىَّ غيرَ الناطقِ شَبَهاً أغلبَ من الجمادِ بالنامى ، ووجدتُ الحىَّ غيرَ الناطقِ يُشبِه الناطقين شبَهاً أغلبَ من الذى قبله ، ووجدتُ الناطقين يشبهون عالَم نُطقهم فى بعض الشئون . وإنما قلتُ ذلك لكَ ، لأن الملوكَ إذا وقع بينها الخُلْفُ ، لقيت الرعيةُ مَشقةً من الحياةِ حتى تُحمَدَ الوَحْدةُ ويُثْنَى على العُقْمِ ، وحتى يَصحّ قولُ النبى صلى الله عليه

(٨٩) وسلم : ‖ « يأتى على الناسِ زمانٌ يكونُ أروَحَ الناسِ فيه الخفيفُ الحاذِ » قيل : يا رسولَ الله ، وما الخفيف الحاذِ ؟ قال : « الذى لا أهلَ له ولا مالَ » فمثَلُ الوحيدِ مَثلُ الحَرْفِ الفاردِ ، إنْ لَحِقَه تغييرٌ فيَسيرٌ ، والغالبُ عليه أن يثبُتَ على أمرٍ لا يتغيرُ ، مثالُ ذلك البَاءُ الزائدةُ ،

(161) والكافُ الزائدةُ ، ألا ترى أن الباءَ تثبتُ على الكَسْرِ ، والكافَ تثبت ‖ على الفَتْح ؟ والذى يَلْحَقُه من الفارِدةِ تغييرٌ مِثلُ لام المِلْكِ كانت فى الظاهرِ على هيئته فقلتَ : لِزَيْدٍ ولِعَمْرو ، وجاءتْ فى المضمَر على سوى ذلك فقلتَ : لكَ ولَهُ . ولو تكلَّفَ تغييرَ الفاردِ مُتكلِّفٌ لم يُمكنْه فيه إلا أربعةُ أصنافٍ : الضمُّ والفتحُ والكسرُ والإسْكانُ ، فهذا مَثَلُ الوحيد من بنى آدم يكونُ له التغييرُ أقلَّ ، فإذا كان الرجلُ له صاحبٌ أو صاحبةٌ فمَثَلُه مثلُ ما كان على حَرْفَين مِثل دَم ويدٍ ، يتغيران بالقَلْبِ . وتلك الحادثةُ[1]

---

(١) يعنى : خروج زعيم الروم إلى أرض المسلمين . وهو « بسيل » تأتى ترجمته فى ص ٥٧٧ مع أحداث الجفلة .

قد أمنَها الوحيدُ لأَن القَلْبَ إنما يُمكِنُ فى الاثنين فتقول : دَمْ مَر . ويلحقُ الدالَ والميمَ صنوفُ التغييرات من الإعرابِ والسكونِ عند الوقفِ ، أَفَلاَ تنظرُ إلى زيادةِ الاثنين فى تغيير النوائبِ على الواحدِ ؟ فإذا كان للرجلِ عَيِّلانِ فصاروا ثلاثةً كان التغييرُ أَزيَدَ وأَوجَدَ ، ألا ترى أن الثلاثىَّ من الأَسماءِ مثلَ جَمْرٍ وعمْرٍو تنقلبُ حروفهُ ستَّ مراتٍ[1] ، والثنائى إنما ينقلبُ مرتين ؟ فإذا كان للرجلِ ثلاثةٌ من العَيْلةِ كان فِعلُ الزمنِ فى تغييرِهم أكثرَ تَصرُّفاً منه فى تغييرِ صاحبِ الاثنين والواحدِ . والأَربعةُ أَشدُّ حَمْلاً للغيَرِ من الثلاثةِ ، ألا ترى أَن جعفرًا وزهْلقاً[2] وما كان مِثلَهما من الرباعى ، تنقلب حروفُه أَربعاً وعشرينَ قَلْبَةً ؟ فإذا كان للرجل أَربعةٌ من العَيْلةِ فصاروا خمسةً كان التغييرُ لهم أَكثرَ ، وذلك أَن الخُماسِىَّ من الأَسماءِ مثلَ فَرزْدَقٍ وسفَرجلٍ ، تنقلبُ حروفُه مائةً وعشرين قَلْبةً ؛ ثم تنتهى حالُ الأَسماءِ الأَصليةِ حروفُها فى العددِ ، ولا تنتهى حالُ الرجلِ فى العَيْلَةِ . ولو جاءَ شىءٌ من الأَسماءِ على سِتةِ أَحرُفٍ من الأُصولِ لا نقلب سبعمائة وعشرينَ قلبةً ، فما ظنُّكَ|| بالمسكينِ آدَمَ تكونُ له العَشَرةُ من العَيْلَةِ وأَكثرُ ، وإنه لَلصُّعْلوكُ الفقير ؟ ولَعلَّ ذاهباً يَذهبُ إلى أَن الوحيدَ من بنى آدمَ لا بُدَّ له من أَن يَتَّصِلَ بغيرِه ، فمثَلُه مَثَلُ الحرفِ الواحدِ ، ألا ترى أَنك إذا أَمرْتَ[3] مِنْ : وفَى يَفِى ، ومن : وَعَى يَعِى ، لم يمكنْكَ أَن تنطقَ بذلكَ حتى تَصِلَه بغَيرِه ، فإن لم يكنْ لكَ غرَضٌ فى الوصْلِ جئتَ بهاءِ الوقفِ فقلتَ : فِهْ ، وعِهْ ؟ ولا يَخفى هذا الوضعُ على مَن مَثَّلَ ابنَ آدمَ بالحرفِ . (162)

(١) المرات الست : جمر ، جرم ، رجم ، رمج ، مجر ، مرج .

(٢) الزهلق : النهر الصغير ، وهو أيضاً : الحمار الوحشى (ف) .

(٣) يعنى : جئت بفعل الأمر .

ولكنَّ اتصالَ الفاردِ بغيرِه مِمَّنْ لا يَحفِلُ به ، أهوَنُ من اتصالِه بمَن فِراقهُ عزيزٌ عليه وبمَنْ هو جَارٍ مَجرى أعضائه ، لأنَّ مَن كان له صديقٌ فبَايَنَهُ وجَدَ العِوَضَ منه ، ومَن كان له ابنٌ أو أخٌ أو والدٌ لم يجد العِوَضَ منهم . ألا ترى أن كافَ كَمْ ، ولامَ لِمْ ، إذا فارقتْهما الميمُ لم يُعرَفْ لهما معنى ولم يَصْلُحْ أن يتصلا بشيء من اللفظِ ؟ والكافُ واللامُ اللتانِ أصلُهما الانفرادُ ليستا كذلك ، لأنكَ إذا قلت : كزيدٍ ولِعَمْرٍو ، ثم بَدا لكَ أن تُخرِجَ الكافَ واللامَ عن هذينِ الاسمَينِ ، صلَح ذَلك ولم يكنْ فيه مشقّةٌ وأدخلتَهما على أيِّ الأَسماء شئتَ . فكذلكَ الرجلُ يتصلُ بالقوم فيكونُ معهم ، أو بالصاحبِ فيصاحبُه ، لا مَشقةَ عليه فى فِراقِه إذا لم يَكُنْ ثَمَّ نسبٌ قريبٌ . ومَثَلُ أصحابِ السيوفِ مثَلُ الأَسماء ، ومثَلُ غيرِهم من الناسِ مثَلُ الأَفعالِ وحروفِ المعانى ، ومثَلُ الدُّوَل مثلُ الجُمَلِ من الكلامِ . وقد يُمكِنُ بناءُ الجملةِ من الأَسماءِ والأَفعالِ والحروفِ ، ولا يُمكِنُ بناؤُها من الحروفِ والأَفعالِ دونَ الأَسماء . وأفعالُ السيدِ «عزيزِ الدولةِ وتاج
(163) المِلَّةِ أميرِ الأُمراء ، أعزَّ اللهُ نصرَه » مِثلُ الأَفعالِ المتعدِّيةِ || إلى ثلاثةِ مَفعولينَ ، ففِعْلُه — خلَّدَ اللهُ مُلْكَه — يرفعُ نفسَه ، وإنما عنيتُ رفْعَ المحَلِّ وعُلُوَّه ، ثم يكونُ رفْعُ اللفظِ تابعاً لذلك . ومفعولاتُه الثلاثةُ : الأَولُ منها الرعيَّةُ ، والثانى العَرَبُ ، والثالثُ الرُّومُ . وهو بتدبيرِه وسياستِه يَعمَلُ فيمن بَعُدَ منه ، فمثَلُهُ مثَلُ إنَّ وأَخواتِها تتخَطى ما بَيْنَها وبين مَعمولِها من المعترضاتِ حتى تَعملَ فيه . ألا ترى إلى قولِه تعالى : «إنَّ فى خَلْقِ السمواتِ والأَرضِ واختلافِ الليْلِ والنهارِ والفُلْكِ التى تجرى فى البحر » الآية ، إلى قولِه [تعالى] : « لآياتٍ لِقومٍ يَعقلون »[١] كيف تخطتْ

(١) من (ض) وفى (ف) : « إن فى خلق السموات والأرض » إلى قوله « لآيات لقوم يعقلون » =

(٩٠) "إنَّ" ألفاظَ الآيةِ وهى كثيرةٌ || ولم يمنعْها من العملِ فى «آياتٍ» دخولُ اللامِ المعترضة ؟ فكذلك هو – أعزَّ اللهُ نصرَه – وإن كان مقيماً فى «حلَبَ» حرسَها اللهُ ، يؤثرُ فعلُه وسياستُه فيمَن وراءَ الدروبِ وإنْ فصَلَ بينهما أعلامٌ وسُهوبٌ .

وزَعَمتِ العامَّةُ بجَهْلِها أن رسالتَه إلى زعيمِ الروم أمْسَكَ عن جوابِها لأَمْرٍلا يُعْلَمُ ، فهل شَعَروا أن مَثَلَ رسالتِه مَثَلُ واوِ القَسَمِ يجىءُ جوابُها بَعْدَ المُهْلَةِ المتراخيةِ وإنْ ظنَّ السامعُ أن الكلامَ قد انفصَلَ بعضُه مِنْ بعضٍ ؟ ألا ترى أن الواوَ فى قوله تعالى : «والفجرِ» جاءَ جوابُها متراخياً بَيْنَه وبَيْنَها ألفاظٌ كثيرةٌ وجُمَلٌ معترضةٌ ، وهو قولُه [تعالى] : «إنَّ ربَّك لَبِالمِرْصادِ» ؟[1]

ولَعَلَّ زعيمَ الرومِ يَخافُ إنْ بَرَزَ إلى بلاد المسلمينَ أن يَفعلَ به «السيدُ عزيزُ الدولة» ما فَعَلَ بِابنِ الصَّعِقِ* »

= الآية ١٦٤ من سورة البقرة . وتمامها .

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون »

ومن سياقها كاملة ، يتبين موضع الاستشهاد بها لعمل إن فى اسمها «لآيات» مع طول الفصل بينهما .

(١) تمام الآيات من سورة الفجر :

« والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل فى ذلك قسم لذى حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد»

وانظر الأقوال فى جواب القسم ، فى (سورة الفجر) من الجزء الثانى من (التفسير البيانى) ط دار المعارف بالقاهرة .

* ابن الصعق : عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ، من بنى عامر بن صعصعة (من شرح الشنقيطى لديوان زهير) كان خويلد سيدا يطعم الناس بعكاظ واحترقته صاعقة فسمى : الصعق. ومن ولده يزيد بن عمرو بن الصعق – يأتى فى الصاهل والشاحج : ٤٥٧– (جمهرة الأنساب ٢٦٩ =

الذى قال[١] :

تركتُ النزّالَ لأهلِ النـــزالِ ... وأكرمتُ نفسى على ابنِ الصَّعِقْ
جَعَلتُ يَـــدَىَّ وِشاحاً لـــه ... وبعضُ الفوارِسِ لا يَعْتَنِقْ

وقد حَمَلَ « السيدَ عزيزَ الدولةِ » ــ خلَّدَ اللهُ مُلْكَه ــ ما فيه من الكرمِ
(164) والرأفة بالرعيَّة || والرغبةِ فى حَقْنِ الدماءِ ، على أنْ بَعَثَ هديَّةً سَنيَّةً أشبهتْ شرَفَ قَدْرِه وعزوفَ نفسِه . والهَديَّةُ مثلُها مثَلُ " ما " التى تكُفُّ العاملَ عن العمَلِ ، ألا ترى أنَّ إنَّ وأخواتِها تَكُفُّهن " ما " عن النصْبِ ؟

قال « ابنُ أبى ربيعةَ* » :

إنمـــا أهلُكِ جيرانٌ لنـــا ... إنمـــا نحنُ وهم شىءٌ أحَـــدْ

وأنشد « سيبويهِ * » :

تَحَلَّلْ وعالِجْ ذاتَ نفسِكَ وانظُرَنْ ... أبَـــا جُعَلٍ ، لَعَلَّما أنتَ حـــالِمُ

= والأغانى ١٠ / ١٤٩) وذكره المرزبانى فى ترجمة ابنه يزيد بن الصعق ، وابن سلام فى مهاجاة بين أوس ابن غلفاء ويزيد بن الصعق . وأنشد الميدانى شعرا لعمرو بن الصعق بن خويلد ، قال المفضل ابن سلمة إن عمراً هرب من أسر همدان . فبينا هو بنوء من الأرض إذ اصطاد أرنبا فاشتواها فأقبل ذئب فأقعى غير بعيد ، فنبذ إليه من شوائه فولى به ، فقال عمرو بن الصعق :

ونار بموماة قليل أتيسهـــا ... أتانى عليها أطلس اللون بائس
تبدت إليه جزة من شوائنـــا ... فآب وما يخشى على من يجالس
فولى بها جذلان ينفض رأسه ... كما آض بالنهب المغير المخالس

(١) زهير بن أبى سلمى ، ورواية البيت فى ديوانه (ص ٥٤ دار الكتب) :

تركت النزال لأهل الـــنزال ... وأكرهت نفسى على ابن الحمق

وبهامشه : فى نسخة : « ابن الصعق » مصححة بقلم الشيخ الشنقيطى ، وابن الصعق هو عمرو ابن خويلد بن نفيل . . .

* عمر بن أبى ربيعة : أشهر شعراء الغزل الإسلاميين . وهو ابن عبد الله بن أبى ربيعة ذى الرمحين ابن المغيرة المخزومى (جمهرة الأنساب ، ١٣٢) والبيت هنا من داليته :

ليت هندا أنجزتنـــا مـــا تعد ... وشفت أنفسنـــا مما تجد

(الديوان ، والجزء الأول من الأغانى ، والشعر والشعراء)

* سيبويه : (ــ ١٩٦) والبيت من شواهد (الكتاب) على كف « لعل » عن العمل ، إذا اتصلت بها « ما » الكافة .

فلولا أن " ما " كفَّتْ لعلَّ أن تَعمَلَ ، لم يَجُزْ أن تَتصِلَ أنتَ بِـ : لعلَّ ، كما لا يجوزُ أن تَتصِلَ بِـ : نحن . وكذلكَ قولُ الآخرِ [1] :

أَعِدْ نظرًا يا عَبْدَ قيسٍ لعلما أضاءت لكَ النارُ الحمارَ المُقَيَّدا

فلما كانت " ما " كافَّةً ، أَمكنَ ها هنا نصبُ الحمارِ .

ومثَلُ «حَلَبَ» حرَسَها اللهُ مثَلُ عِنْدَ ، ومثَلُ «السيدِ عزيزِ الدولةِ» — خلَّد اللهُ مُلْكَه — مَثَلُ مِنْ ، ولا يجوزُ أن يَدخُلَ على عِنْدَ شيءٌ من الحروفِ العواملِ غيرُ مِنْ . وأَجْمَعَ أهلُ النحوِ واللغةِ على أن قولَ العامَّةِ : مضَيتُ إلى عِندِ فلانٍ ، خطأٌ ، لأَنَّ " إلى " لا تدخلُ على عِنْدَ . ومثَلُ السُّلطانِ المُنصَرِفِ مَثَلُ " رُبَّةَ " في قولِ «ضَمْرَةَ بنِ ضَمْرَةَ*» :

مَاوِيَّ يــا رُبَّةَ ما غــارةٍ شعواءَ كاللَّذْعَةِ بالمِيسَمِ [2]

---

(١) البيت للفرزدق . وفى (طبقات ابن سلام ، وشرح شواهد المغنى) أن جريراً لما قال يهجو الفرزدق :

لقد قادنى من حب ماوية الهوى وما كنت إلفا للحبيبة أقودا
أحب ثرى نجد وبالغور حاجة فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا
أقول له يا عبدقيس صبابــة بأىِّ ترى مستوقد النار أوقدا

وأعجبت الناس وتناشدوها ، فقال جرير : كأنكم بابن القين قد قال : أعد نظراً . . (البيت) فما لبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت . وهو من شواهد المغنى على لعل ، تكفها ما عن العمل . وانظر شرح السيوطى (٢٣٧) والحمار المقيد : المشكول بالقيد

(٢) الميسم : مكواة الحديد (ف) والآلة التى يوسم بها الدواب . قال الجوهرى إن أصل الياء واو ، ويجمع على مياسم ، على اللفظ ، ومواسم على الأصل . والبيت فى اللسان (رب) أنشده ابن الأعرابى، ولم يسم قائله ، شاهداً على : ربّما ، مثل ربما ، قد تليها الأسماء . والفرق بين رب وربما ، أن رب لا يليه غير الاسم ، أما ربما فزيدت ما ، ليليها الفعل . تقول : رب رجل جاءنى ، وربما جاءنى رجل ، وقد تليها الأسماء . وأكثر ما يلى ربما ، الفعل الماضى ، ولا يليه المضارع إلا ما كان مستيقناً كقوله تعالى : «ربما يود الذين كفروا . . » الآية ٢ من سورة الحجر .

* ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، من بيت السيادة والشرف فيهم . ومن شعرائهم الفرسان فى الجاهلية وأحد حكام تميم . ذكره ابن سلام فى ترجمة نهشل بن حرى بن ضمرة (٤٩٥) ، والميدانى فى أمثاله (١٣١،٣٩/١) وفى أمالى القالى (٢٧٩/٢) قصيدة لضمرة أنشدها . ابن دريد ، وانظره فى شعراء الحماسة ، وسمط اللآلى ٩٢٢ .

حُذِفتْ منها الهاءُ فقيل : رُبَّ ، واجترِئْ عليها من بعدُ فخُفِّفَت الباءُ فقيل : رُبَ ، كما قال «عامرُ بنُ حُلَيْسٍ* »[١] :

أَزُهَيْرَ إنْ يَشِبِ القَذَالُ فإنني ... رُبَ هَيْضلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بهيضلِ

|| ثم اجترِئَ على تَسْكينِ الباءِ ، وحَكَى ذلك بعضُ الكوفيين . ثم زادت (165)
الجُرأَةُ فحُذِفت رُبَّ من الكلامِ وخلَفَتْها الواوُ فى مثلِ قولِ الراجزِ :

وبَلَدٍ عَامِيَةٍ أعماؤه
كأَنَّ لَونَ أَرضِه سماؤه[٢]

وكانت هذه الواوُ من صواحبِ " رُبَّ " القديمةِ فى قولِكَ : ورُبَّ غارةٍ ، ورُبَّ بَلَدٍ . فمَثَلُها مثلُ صاحبِ المنصرفِ ولا مَعْتِبَةَ عليه فى القَدَرِ بل قد انصرَف والعامَّةُ تُثنِي عليه بالرأيِ والشجاعةِ ، ولكنْ لا مصرفَ للأَقدار ، قال الراجزُ

يا أَيُّها المُضْمِرُ هَمًّا لا تُهَمْ
إنكَ إنْ تُقدَرْ لكَ الحُمَّى تُحَم[٣]

---

(١) والشاهد من لاميته :

أزهير هل عن شيبة من معدل ... أم لا سبيل إلى الشباب الأول

ورواية الشطر الثانى فى الديوان (٢/٨٩) : « رب هيضل مرس لففت بهيضل » ويروى : لجب ، كاهنا ، ومثلها فى اللسان (هضل) القذال ما بين الأذنين والقفا ، والهيضل والهيضلة الجماعة من الناس يغزى بهم . أو جماعة متسلحة أمرهم فى الحرب واحد والبيت فى (تهذيب الألفاظ ٤٣) شاهد على الهيضلة : الجماعة يغزى بهم ليسوا بكثير . ورواية ابن السكيت : « أزهير إن يشب القذال فإنه » وهى الرواية فى (ض) .

(٢) الراجز : رؤبة بن العجاج (= ١٨٨) (الصحاح وشرح شواهد المغنى ، واللسان) .
والرجز أنشده الجوهرى ، بروايته هنا ، شاهداً على الأعماء : المجاهل ومثله فى (ل : ع م ى) ورواه ابن هشام فى (المغنى رقم ٩٤٠) « ومهمه مغبرة أرجاؤه » أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه مبالغة وحذف المضاف (٢/٦٩٥) وقال السيوطى فى شرحه : المهمه ، المفازة الجمع المهامه . وأرجاؤه : أطرافه ، جمع رجا ، بالقصر ، رفع بمغبرة .

(٣) فى (عيون الأخبار ٢/١٤١) مما أنشده سهل عن الأصمعى . وبعده :

ولو غدوتَ شاهقاً من العلم ... كيف توقيك وقد جف القلم

* عامر بن حليس : أبو كبير الهذلى (= ٢٦١)

ومثَلُه ومثلُ « السيدِ عزيزِ الدولةِ ، أعزَّ اللهُ نصرَه » مَثلُ الفِعلين الأَوَّلِ والثانى يجتمعانِ على طلَب العَمَلِ فى الاسمِ فيكونُ العمَلُ والقوَّةُ للثانى لأَنه أَقربُ وعلى ذلكَ وَرَدَ كلامُ العربِ ، وبه أَخذَ أَصحابُ النظرِ من أَهلِ البَصْرةِ . قال « طفيل* » فأَعْمَلَ الثانىَ :

جَنَبْنَا من الأَعرافِ أعرافِ يَمْنةٍ ومن هَضْبِ لُبْنَ الخيلَ يابُعدَ مَجْنبِ[1]
ورَادًا وحُــوًّا مُشرِفًا حَجَبــاتُها بناتِ حِصانٍ قد تُعُولِمَ مُنجِبِ
وكُمْتاً مُدَمَّــاةً كأَنَّ متونَهــا جرى فوقَها واستشعرتْ لَوْنَ مُذْهَبِ (٩١)

فجعلَ العمَلَ للثانى وهو : استشعرتْ ، لأَنه أَقربُ إلى لونِ مُذْهَبِ .

وقال آخرُ[2] :

فإنَّ حَراماً أَنْ أَسُبَّ مُقاعِساً بِآبائِيَ الشُّمِّ الكرامِ الخضارمِ
ولكنَّ نِصْفا لو سَبَبت وسَبَّنى بنو عَبدِ شمسٍ من مَنافٍ وهاشِمِ

فأَعْمَلَ « سبَّنى » لأَنه أَقرب .

والملوكُ بَعْدُ يَنقسمون كانقسامِ الأَفعالِ ، فمنهم[3] [من يُشبِهُ فِعْلهُ

---

(١) فى ض [أعراف عرفة] وما هنا من (ف) ومعها الطرة : [وقع فى شعر طفيل كذا :

جنبنا من الأعراف أعراف بيشة ومن هضب لبن الخيل يابعد مجنب
بنات الوجيه والغراب ولاحـق وأعوج ينمى نسبة المتنسب

جنبنا : قدنا ، الأعراف : الجبال : يمنة : موضع] والحجبات جمع حجبة ، بالتحريك : رأس الورك . والوجيه والغراب ولاحق وأعوج : من أعلام خيل العرب .

(٢) الفرزدق = ١٢٠ أنشدهما له ابن السكيت فى (إصلاح المنطق ٢١/١ ، ٨٨) .
والبيت الثانى أنشده الجوهرى فى (ن ص ف) شاهدًا على النِصفُ : النصفة ، الاسم من الإنصاف ومثله فى اللسان للفرزدق . وانظر بنى مقاعس التيمى فى (جمهرة الأنساب : ٢٠٥) .

(٣) من قوله : [من يشبه] إلى قوله [فصار كأنه] فى صفحة (٤٣٧) سقط من النسخة الحفصية (ف) ونقلناه من الحضرمية (ض) وحدها ، ويقع فيها من السطر الخامس صفحة ٩١ إلى السطر ١٧ من صفحة ٩٤ بما يقدر بنحو خمس صفحات من (ف) . ويلاحظ أن أرقام الصفحات=

* طفيل، الغنوى = ١٦٠ .

الفِعْلَ المتعدِّى إلى مفعولين ولا يجوزُ الاقتصارُ على أَحَدِهما مثل : ظننتُ وخِلْتُ وبابِهما ، وذلك من الملوكِ مَن يعملُ فِعْلُه فى رعِيَّته ولا يكونُ له بُدٌّ من محاربةِ عَدُوِّه . ومنهم مَن هو كالفِعلِ الذى يتعدى إلى مفعولين ويجوزُ الاقتصارُ على أحدِهما دونَ الآخرِ ، مثل أعطيتُ وكَسَوْتُ ، وذلك الذى يعملُ فِعلُه فى رعيَّتِه فيكونُ له عَدُوٌّ مَرَّةً يُحاربُه ومَرَّةً يُسالمُه . وأما الفِعلُ الذى يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ فمثلُه كثيرٌ فى الملوكِ والعامَّةِ والوُلاةِ : فمَلِكٌ يَعمَلُ فعلهُ فى الرعيَّةِ فقط وذلك الذى تكونُ فوقَ يَدِه يَدٌ عالية ، ووالٍ يَنفُذُ فِعلهُ فى أهلِ ولايتهِ ، وعامِىٌّ يَنفُذُ فعلهُ فى أهلِه وعياله . والوحيدُ من بنى آدمَ مثلُه مثلُ الفعلِ الذى لا يتعدى إلى مفعولٍ ، مثل قام وقعدَ ، وإنما هو مقصورٌ على فاعلِه لا غيرَ . وفعلٌ لا يَصِلُ إلى العملِ إلا بحَرْفِ جرٍّ مثل مرَرْتُ وبابِها ، ومثلهُ مثلُ الأعمى والأعرجِ لا يَصِلانِ إلى كثيرٍ من المآربِ إلا بمُعِينٍ . ومن الأفعال ما له فاعلٌ لا يَظهَرُ ، وذلك فعلُ التعجُّبِ فى قولِكَ : ما أَحْسَنَ زيدًا ، فذلك مَثَلٌ لمنْ لَزِمَ بيتَه من الناس فلم يتصرفْ مع القومِ ولم يُعايِش العوامَّ . ومَنْ كان مِنْ أَوْزاعِ الناسِ يُدَبِّرُ ابنَه وأخاه دونَ غيرِه ، فهو بمنزلةِ كان وأخواتِها تعمَلُ فى فاعلٍ ومفعولٍ وهما لِعَيْنٍ واحدةٍ . وفى الملوكِ مَن يكونُ فعلُه كالفعلِ المتعدِّى إلى مفعولين ثم يُلْغَى بعدَ ذلك ، مثل ما قال « اللعينُ المِنقَرىُّ* » :

= فى الحفصية ، تتسلسل برغم هذا السقط ، فهنا تنتهى صفحة 165 ، وبعدالسقط تبدأ صفحة 166 .

* اللعين المنقرى : أبوأكيدر ، منازل بن زمعة ، من بنى منقربن عبيد بن مقاعس التميمى، شاعر أموى ترجم له ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ٤٠٧) وذكره ابن سلام والآمدى فى مهاجاة بينه وبين الفرزدق . وحقق الصاغانى اسمه فى التكملة ، ونقله شارح اللسان على هامش : (ل ع ن) .

أباالأَراجيزِ يا ابنَ اللؤمِ تُوعِدُنى
وفى الأَراجزِ ، خِلتُ ، اللؤمُ والخوَرُ[١]

فذلك مثلُ الملِكِ الذى زالتْ مملكتُه . وكذلك فى العامَّةِ من يكونُ مثلهُ مثلَ كانَ ، يرفعُ الفاعلَ وينصبُ المفعولَ ، ويعمَلُ فى الحالِ والظرْفِ ، فبَيْنا هو كذلك جاءه بعضُ الأَقضِيه فصار كأَحدِ الحروفِ المُلغاةِ ، مثلَ ما أَنشد «يَحيَى بنُ زيادٍ الفراءُ*» :

لقدْ أَسمى وشرَّف حين عُدَّتْ لى الأَصهارُ ربىً فى كلابِ
سَراةُ بنى أَبى بَكْرٍ تَسامَى على كان المطَهَّمةِ الصِّلابِ[٢]

فـ : كان ، ها هنا ملغاة .

* * *

فلما أَسفَرَ الصبحُ وظهرت الجاليةُ بالفِرْثِدِ وبالأَطفالِ[٣] ، سمعَ الشاحجُ أَصواتَ القومِ ، فجاز أَن يُنطِقَه اللهُ سبحانه فيقولَ :

---

(١) البيت من شواهد النحاة على جواز إلغاء عمل « خال» إن توسطت بين المبتدأ والخبر ، أو تأخرت عنها . وهو من باب (ظن وأخواتها) التى تدخل على المبتدأ والخبر ، فإن ابتدأت بها أعملت ، وإن وسطتها أو أخرتها جاز الإعمال والإلغاء .

والبيت أنشده الجوهرى فى (خ ى ل) شاهداً على الإلغاء ، ولم يسم قائله وهو فى اللسان ، لجرير .

(٢) البيت من شواهدهم على إلغاء عمل كان الزائدة ، وهى لا تزاد فى أول الكلام وإنما تزاد حشواً ، ولا يكون لها اسم ولا خبر ، ولا عمل لها .

الأصهار : أهل بيت المرأة ، عن الخليل قال : ومن العرب من يجعل الصهر عاماً . يقال صاهرت إليهم إذا تزوجت فيهم ، وأصهرت إليهم إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج . والمطهم: التام فى كل شىء على حدته فهو بارع الجمال ، عن الأصمعى (ص) .

(٣) الفرثد : متاع البيت (ض) أهمله فى اللسان ونبه عليه محشيه .
وأهمله كذلك فى الصحاح وذكره المجد فى (ف ر د) : فرثد ، كثر لحمه وامتلأ .

* يحيى بن زياد الفراء = ٣٠٣

«القارعةُ * ما القارعةُ * وما أَدْراكَ ما القارعةُ * يومَ يكونُ الناسُ كالفَرَاشِ المبثوثِ »[1] الآنَ صرَّحَ الحقُّ عن مَحْضِهِ . وظهرَ نَجِيثُ القوم [2] :

قد صرحتْ بِجِلِدان إليها أمُّ ذِبانْ
ضَرْبًا كإيزاغ الضانِ[3]

أَجْمَعوا أمرَهُمْ بلَيْلٍ فلما أصبحوا أصبحتْ لهم ضوضاءُ[4]

إنا للهِ وإنا إليه راجعون . قرُبَتْ بأساءُ الضيَّاونِ وحضَرتْ آجالُ الدِّيَكةِ والدواجنِ ، ودَنَتْ مَنَايَا الخَنْتَمِ . أما الضَّيْوَنُ فإذا رحَلَ عنه أهلُه ضاع وفقَدَ الطعامَ والماءَ ، فإن كان حازِماً لَحِقَ بالنُّموس فكان معها حتى يَرفَأَنَّ الناسُ وتخمُدَ نارُ الفتنةِ . وإن أقام في المنزل ضعُفَ جِرْماه : جِسمُه وصوتُه ، حتى يطمعَ الجُرَذُ فيه ولا تَهابُه الفِلْوَةُ[5] ولقد كانت تسمعُ صَوتَه وهو في سُفْلِ البيتِ وإنها لَفِي العُلْوِ فَينَالُها من ذلك فَزَعٌ شديدٌ . وقد بلغني أنه يكونُ في الجَولاتِ من أملاكِ الرومِ ها هنا قومٌ مُتَخَلِّفون

---

(١) الآيات الأربع الأولى من (سورة القارعة) .

(٢) المحض : الخالص من كل شيء و « ظهر نجيث القوم ، انكشف سرهم الذى كانوا يخفونه . وأصل النجيثة ما أخرج من تراب البئر ، ونجيثة الخبر ، ما ظهر من قبيحه (ص) .

(٣) من أمثالهم : « قد صرحت بجلدان» أورده الجوهرى فى الصحاح بالذال المعجمة ومثله الميدانى فى أمثاله (١/ ٤٠٥) ونقل فيه عن ابن الأعرابى: « يقال صرحت بجلدان ، و هو على الجملة موضع بالطائف لين مستو مكشوف ، لا خمر فيه يتوارى به ، ويضرب لما تبين من خطة وانكشف من أمر

وفى (ق) : وجلذان بالكسر ، حمى قريب من الطائف لين مستو(ج ل ذ) .

(٤) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى (٣١٤) من همزيته المعلقة :

آذنتنـــا ببينهـــا أسماء رب ثاو يمل منه الثـــواء

(٥) الضياون . جمع ضيون ، وهو السنور الذكر . والختم : واحد الختاتم ، جرار من خزف . الفلوة ، واحدها : الفلو بالكسر ، وكعدو وسمو : الجحش والمهر فُطِمَا ، أو بلغا السنة (ق) .

يحملُهم سوءُ || الوثع[١] وقلةُ النزاهةِ على أكلِ الضياونِ ، لأن أهلها يغيبون (٩٢)
فتظهَرُ من الدُّورِ طلباً للمَعايِش ، فيَصيدونها صَيْدَ الوحْشِ التى أُطلِقَ
أكلُها للإِنْسِ . وقد كانت بنو أَسَدٍ فى القديم تُعَيَّرُ بِأَكْلِ الكلاب ،
وفى ذلك يقولُ الراجزُ :

يا أَسَدِىُّ لِم أكلتَه لِمَهْ
لو خافَكَ اللّٰهُ عليه حَرَّمَهْ
فما أَكلتَ لَحمَه ولا دَمَهْ

فأما الخياطِلُ فما ذُكِرَ أَكْلُها فى أخبارِ المتقدمين . فوَيْحٌ لِلضَّيوَن !
بعدما كان يُطارِدُ الغُفَّةَ[٢] كما قال الشاعرُ[٣] :

يُدِيرُ النهارَ بِحَشْرٍ له كما عالجَ الغُفَّةَ الضَّيْوَنُ

ويَخْتِلُها خَتْلَ السِّرْحانِ الغَزَالَ ويَثِبُ إليها كما وَثَبَ حَبِيلُ بَرَاح إلى
أُمَمِ الأغفارِ ؛ ضَعُفَ لِعَدَمِ القوتِ حتى رآها وهى المخطِبةُ فما عَرَض لها

---

(١) كذا بالثاء والعين المهملة فى النسخة . ولم أجد المادة فى المعاجم ، كما لم أجد فى (وثغ) ما يقوم به السياق ، فهل هو [الوتغ] بالتاء والغين : الإثم وفساد الدين ؟ .

(٢) الخيطل ، كصيقل : الكلب والسنور ، كالخنطل . والغفة : البلغة من العيش ، والفأرة

(٣) رواية أبى الطيب فى (الإبدال ١٨٢/١) للشطر الثانى « كما زاول الغفة الخيطل » وفى ل :

يدير النهار بجشء لـــه كما عالج الغفة الخيطـــل

أنشده فى (غ ف ف) شاهداً على الغفة الفأرة ، غفة الهر . قال : وهذا بيت يمانى به ، يصف صبيا يريد نهاراً أى فرخ حبارى ، بجشء فى يده وهو سهم خفيف أو عصية صغيرة . ويروى : بحشر له — وهى الرواية هنا — والحشر من السنان والأسنان : الدقاق . والضيون : السنور الذكر ، والجمع ضياون ، صحت الواو فيه لصحتها فى المفرد . وإنما لم تدغم فى الواحد لأنه اسم موضوع وليس على وجه الفعل . وقال سيبويه فى تصغيره : ضيين ، فأعله وجعله مثل أسيد وإن كان جمعه على أساود . ومن قال : أسيود فى التصغير ، لم يمتنع أن يقول : ضييون (ص) انظر بابه من التحقير فى الكتاب ٤٢٥/٣ .

بالقبيح[1] ، وجاءته ورهطَه شَعوبُ فَرأَيتَهم فى الحُجُراتِ وقد طَفِئتْ منهم العيونُ الزاكيةُ ، بعدما قال فيها الشاعر[2] :

خَليلىَّ عُوجَا من صُدورِ الكوادنِ نُصِيبُ قليلا من ثَريدِ الحواقن
ثريدٌ كأَنَّ السَّمنَ فى حَجَراتِه نجومُ الثريَّا أَو عيونُ الضياونِ[2]

أَتدرى يا ثُعالُ من أَىِّ شىءٍ اشتُقَّ الضيوَنُ ؟ وهيهات ! لعل سَميَّك «أَحمدَ بنَ يَحيَى الشيبانى* » ما سَمعَ خبرًا لذلك . وهو نادرٌ من الكلام لِأَن ياءه لم تُدْغَمْ بالواوِ ، فإِذا كانَ من : ضَانَ يَضُونُ فهو فَيْعَلٌ ، وإلى ذلك ذَهَبَ الناسُ فى وزنه . وإن كانَ فَعْوَلاً فهو من : ضَانَ يَضِينُ ، وكِلا القَوْلين مُمَاتٌ. ولا يَقَعَنَّ فى وهمِكَ أَنَّ اشتقاقَه من الضَّأْن ، فإِن الضأْنَ مهموزٌ. أَليس فى الكتاب المجيد : « من الضأْنِ اثنينِ ومن المَعزِ اثنين »؟[3]

---

(١) السرحان : الذئب . وحبيل براح : اسم للأسد . والأغفار ، جمع غفر ، بالضم والفتح : ولد الأروية . وأمم الأغفار بمعنى قطعانها . نظر فيه أبو العلاء إلى آية الأنعام ٣٨ : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » والمخطبة : السمينة الممتلئة .

(٢) البيتان فى مادتين من اللسان : (ضون) الضياون جمع ضيون ، قال ابن برى : وشاهده ما أنشده الفراء :

ثريد كأن السمن فى حجراته نجوم الثريا أو عيون الضياون

وفى (كدن) : الكودن البرذون . . وقول الشاعر :

خليلى عوجا من صدور الكوادن إلى قصعة فيها عيون الضياون

قال : « شبه الثريدة الزريقاء بعيون السنانير ، لما فيها من الزيت » .

وليس فى الشاهد ذكر الثريدة ، وعجز البيت رواية فى عجز البيت قبله ! .

(٣) من آية ١٤٣ (الأنعام) وهمزة «الضأن» قراءة السبعة (التيسير) .

* أحمد بن يحيى الشيبانى ، ثعلب ، سَمِىّ ثعال : ترخيم ثعلب أبو العباس مولى بنى شيبان. إمام نحاة الكوفة فى القرن الثالث للهجرة ، وكان ثقة حجة ، وهو من أعلام رسالة الغفران . وترجمته فى (نزهة الألبا لابن الأنبارى ٢٩٣ ، وفهرست ابن النديم ٧٤ ، ووفيات ابن خلكان ١/٤١ ، وإنباه القفطى ١/١٣٨) ومن مصنفاته : المجالس ، نشر فى سلسلة الذخائر ، وإعراب القرآن ، والشواذ ، والأمثال ، وحد النحو ، وتفسير كلام ابنة الخس .

ولا يَغُرَّنْكَ قول الشاعرِ[١] :

أصبحتُ فَنًّا لِرَاعِي الضأنِ أعجبُه ماذا يَرِيبُكَ منى راعِيَ الضانِ

فإن تخفيفَ الهمز من الضأنِ جائزٌ فى النثرِ والنظمِ ، ويكونُ لازماً فى القوافى المليَّنة . إلا أن الحُكمَ فى الاشتقاقِ للهمزة .

وأمَّا الدِّيَكةُ والدواجنُ فإذا رِيعَ الناسُ بَهَشُوا إليها بالأَصْلاتِ مخافةً عليها من جيرانِ السوءِ والضيعةِ إذا تركوها بالْأَفْنِيَةِ[٢] . ومَن أشفَقَ منهم على العَتارِفِ وصواحبِهن ،فإنه يَربِطُ بعْضَ أرجُلِها إلى بعضٍ ، فكأنِّى بأَبى عُقْبَةَ وهو مشدودُ الرِّجلَيْنِ إلى أرجُلِ دَجائجَ ثلاثٍ أو أربعٍ وهو مُعَلَّقٌ من مؤخَّرة إكاف ، وقد أفرطَ هو وصواحبُه فى الصُّراخ[٣] . صبرًا أبا عُقبةَ «فإنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا» الغَمَراتُ ثم يَنْجلِينَ[٤] :

البَسْ لِكُلِّ عِيشَةٍ لبوسَها[٥]
إمَّا نعيمَها وإمَّا بُوسَها

(١) الشاعر : أمية بن حرثان بن الأشكر ، من ليث بن بكر بن عبد مناة . جاهلى قديم، أول الطبقة العاشرة من فحول الجاهليين عند ابن سلام .

الفن : العجب . قال أمية هذا البيت ، من أبيات ، حين مر به غلام له فرآه يحثو التراب على رأسه دلها وهرما ، فأقام الغلام ينظر إليه ، فأفاق وقال : أصبحت فنا (البيت) وبعده :

إن ترع ضأناً فإنى قد رزئتهم بيضَ الوجوه بنى عمى وإخوانى
يا أم هيثم ماذا قلست أبلانى ريب المنون وهذانِ الجديدان

(٢) بهشوا إليها : خفوا إليها . والأصلات : جمع صلت ، بالضم ، وهو السكين الكبير والأفنية جمع فناء .

(٣) العتارف : الديوك ، الواحد : عترفان ، بالضم. وأبوعقبة : كنية للديك هنا ، وأصل العقبة للطائر : مسافة ما بين ارتفاعه وانحطاطه ، والإكاف الوكاف ، الجمع أكف ، وقد أكفت الحمار شددت عليه الإكاف (ص : أكف) وصواحب أبىعقبة : الدجائج .

(٤) المثل يضرب فى احتمال الأمور والصبر عليها . ويروى أيضاً بلفظ : « غمرات ثم ينجلين» ذكره الميدانى فى أمثاله (حرف الغين) ويقال إنه للأغلب العجلى .

(٥) فى (الفاخر ٦٢ ، وأمثال الميدانى ١٥٢/١) لبيهس يأتى فى أعلام الصاهل=

بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ[١] . هذا خيْرٌ لكَ من أن تكونَ قد دُلِّيت فى وَطيس حَامٍ أَوْ غَلَتْ بكَ إحدَى البُرَمِ عائماً فى مِلْحٍ وماءٍ[٢] . ولَئِنْ سَلِمتَ يومَك لَتَهْتِفَنَّ فى دارٍ مُعْترفة :

لا تأمَنَنَّ الدهرَ بين ظعائنٍ كما بان من جوٍّ الوديقةِ أكْدَرُ

أتدْرى يا ثُعالُ مَنْ «أكدَرُ» هذا المذكور ؟ هو «أكيدرُ بنُ عبدِ الملِكِ* » ـ ويقال : أكيدرُ بنُ عبدِ الله ـ صاحبُ (دَومةِ الجندلِ) وكان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كتبَ له الكتابَ المعروفَ ثم ارتدَّ وَظَعَنَ عن بلادِه إلى بلادِ (الحِيرَةِ) فابتَنى له دارًا وأقام بها .

وأما الحناتِمُ فإنها تكونُ عندالقومِ المتَصَعْلِكينَ والمستورينَ قد ملئوها باللَّصَفِ والشَّفَلَّحِ وعَلَوهما بدَرِّ الضئينِ والمعز[٣] ، فإذا ارتاع الناسُ وأزْمَعوا الهربَ كانت من أجَلِّ ما يحتملون . ويكونُ على الحِمارِ أو البَغلِ الكبيرِ عبءٌ ثقيلٌ غيرُ متعادلٍ فى التحميلِ ، بل هو من اليَمينَ مُخالِفٌ

= والشاحج : ٤٥١ ـ وأنشده الجوهرى فى (ل ب س) شاهداً على اللبوس، ما يلبس. ولم يسم قائله. وهو فى (اللسان) لبيهس الفزارى. يعنى بيهس المعروف بنعامة .

(١) المثل فى (حرف الباء) من أمثال الميدانى ، من قول طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

أخذه أبوخراش الهذلى فى بيته :

حمدت إلهى بعد عروة إذ نجـا خراش، وبعض الشر أهون من بعض

وهو كقولهم : إن فى الشر خيارا

(٢) الوطيس : القدر (ض) وهو فى (ق) التنور . والبرم ، جمع برمة ، بالضم : قدر من حجارة (ق) .

(٣) الحناتم : الجرار ، ج حنتمة . واللصف ، محركة : نوع من التمر . والشفلح : ثمر الكبر وما تشقق من بلح النخل . ودر الضئين : ما تدره الضأن من اللبن .

* أكيدر بن عبد الملك : صاحب دومة الجندل . وجه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم « خالد بن الوليد» بعد غزوة تبوك فى السنة التاسعة للهجرة ، فانتصرت سرية خالد وأسر أخا أكيدر. انظر خبره فى (السيرة لابن هشام ٤ /١٦٩ ، وتاريخ الطبرى السنة التاسعة للهجرة ، وطبقات ابن سعد ج٢) .

لحَالِه من الشمالِ. فمثلُه مثَلُ هذه الأَبياتِ التى هى فى (كتاب سيبويه) كما أذكُرُ ، وقد غيَّرها بعضُ الناس رغبةً فى إصلاحِ الوزنِ ، وهى :

كيف رأيتَ زبْرا

أأقِطاً أو تمْرا

أم قرشيًّا بازلاً هِزَبْرا[1]

أَلا تَرى إلى قِصرِ البيتين الأوَّلين وطولِ البيتِ الثالثِ ؟ وبعضُهم يُنشِدُه :

* أم قرشيًّا صَقْرا *

والروايةُ الصحيحةُ || فى (كتابِ سيبويهِ) كما أخبرتُكَ. والروايةُ الأخرى (٩٣) أَصَحُّ وأَوْزنُ . وقد جاءَ عنهم نظيرٌ لذلك ونحوٌ منه ، قال الراجز :

يا تَيْمُ كونى جَدلَهْ

أَغنى امرؤٌ ما قِبَلَه

إذ قاتلت تيمٌ وفرَّت حنظلَه

واستوعَلتْ كلبٌ وكانت وعِلَه[2]

فالبيتان الأَولانِ يَقصُران عن البيتين الأَخيريْنِ قِصَرًا ليس بخافٍ .

(١) الرجز فى (الكامل للمبرد) ، برواية :

كيف رأيت زبراً أأقطا أو تمرا أم قرشياً هزبراً

قال المبرد : « ويروى – وحدثنيه المازنى – أن صفية بنت عبد المطلب ، أتاها رجل فسأل عن ابنها الزبير ، يريد أن يباطشه . فقالت : ها هو ذاك . فصار إليه فباطشه فغلبه الزبير ، فر الرجل بصفية مفلولا ، فقالت : كيف رأيت (الرجز) لم تشكك بين الأقط والتمر فتقول . أيهما هو ، ولكنها أرادت : أرأيته طعاماً أم قرشياً صقراً ؟ أى : أأحد هذين رأيته أم صقرا ؟ ولوقالت : أأقطا أم تمرا ، لكان محالا على هذا الوجه (٣/١٧٨) .

(٢) وعلة ، أنثى الوعل ، الأروى ، وهو بلفظ اسم الجمع أيضاً . ويقال لأشراف الناس ورءوسهم : وعول وأوعال . على التشبيه بها إذ لا ترى إلا فى رءوس الجبال . واستوعلت : ذهبت فى قلل الجبال (ل) .

فذلك مثلُ وُسُوق الجالية لأنها ليست تعتدلُ إذ كانوا ليسوا أهلَ ظَعْنٍ وارتحالٍ فيعرفوا أمْرَ الإيساقِ ، ويمنعُهم الخوفُ من الأَناة . فإذا كان الأَمرُ على ما أَصِفُ أَسْرَعَ الانكسارُ إلى ما يَحملون من الخزَفِ والزجاجِ ، لأَن وُسُوقَهم لا يمكنُ فيها التعديلُ . فإن كانت لكَ يا ثُعالُ رغبةٌ فى الكامخ أو البُنِّ فتتبَّعْ آثارَ الجالية فإنكَ لا تَعْدَمُ جَرَّةً كَسِيرًا قد اجتهد صاحبُها أن تثبُتَ له فى الوَسْقِ فأَعيَتْ عليه وزَلتْ فى ذلك إلى الأَرضِ ، أو علَّقَها بأُذنِها فضعُفَتْ أن تحملَها فلقيَها القهقرُ فى الأَرضِ الجرْوَلةِ فرأَيتَ خَبيئَها وقد طُلِىَ به وجهُ الأَمْعَزِ[1] ، وكان ربُّها البائسُ قد أعدَّه ليَطلِىَ به رَغيفاً بعدَ رغيفٍ ، كما ضُمِّخَ وجهُ المُترَفِ من الملوكِ بالغاليةِ وفَنيق الأَنَابِ[2] ؛ وإن الجهلَ ليَصنَعُ بأَهلِه أكثرَ من هذا الصنيع. أفلا ينظرُ هؤلاءِ القومُ حقيقةَ النظرِ ويُعطونَ قوسَ الرَّمْى «عَميرةَ» ، وصَعْدةَ الخطِّ «رُدَينةَ»[3] ، ويؤتونَ «عَمْرًا» الصمصامةَ[4] ، ويُلقُونَ السَّهْمَ الأَقَذَّ إلى الرائشِ بطِبِّه[5] ، ويَتَّكِلون بعدَ اللهِ العظيمِ على سياسةِ «السيدِ عزيزِ الدولةِ أَميرِ الأُمراءِ» — أعزَّ اللهُ نصره ؟ فإنه شَرَّابٌ بإنْقاعٍ! قد آلَ وائلٌ عليه ، وركبَ الصعبةَ

---

(١) القهقر ، مشددة : الحجر الصلب ، كالقهقار . والجرول ، كجعفر وعلبط وعلبطة : الحجارة (ق) وفى (ص) أن الجرل ، بالتحريك : الحجارة ، وكذلك الجرول ، والواو للإلحاق بجعفر . والأمعز : المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء .

(٢) الفنيق ، كأمير : الكريم ، والأناب ، كسحاب : المسك أو عطر يضاهيه (ق) .

(٣) هذا كقولهم : أعط القوس باريها . فى (ص . ل : ردن) : ردينة اسم امرأة تنسب إليها القناة الردينية والرمح الرديني . وكانت هى وزوجها السمهرى ، يقومان القنا بخط هجر ، وفى كلام بعضهم : خطية ردن ، ورماح لدن .

(٤) هو عمرو بن معديكرب الزبيدى ، الفارس الشاعر الصحابى (١١٣) والصمصامة : اسم سيفه .

(٥) الأقذ : السهم عليه القذذ ، وهى ريش السهم ، واحدها قذة . والطب : الماهر الحاذق بعمله .

والذَّلُولَ ، وطعَنَ بتامٍّ وقصيرٍ ، وضربَ العدُوَّ بالجُرَازِ بعد الجُرَازِ[١] ، ونزع فى العاصيةِ والمطيعة ، فهو كما قال الأَوَّلُ[٢] :

ياتَمْلِكُ ياتَمْـــلِ ذواتِ الطوقِ والحِجْلِ
ذَرِينى وذَرِى عَذْلى فإن العَذْلَ كالقتـــلِ
ومنى نظـــرةٌ بعـــدى ومنى نظـــرةٌ قَبْـــلى
حـــذارِ الأَسدِ الضيغــــــم أو فى نظـــرةٍ مثلى
وقد أبـــدأُ بالطعنةِ م تثنى سَنَنَ الرَّجْـــلِ
كجَيْبِ الدِّفْنِسِ الورها ء رِيعتْ وهى تَستغـــلى[٣]
وقد أسبقُ بالضربـــةِ م لا يَدمَى لها نَصْـــلى[٤]
وقـــد أنزَعُ فى الزوراءِ تُعطِينى عـــلى بُخـــلِ

فمَثلُه ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ مَثَلُ السيفِ الصارمِ تَجِدُه على الوحدةِ أهْيَبَ من النَّبْلِ الزائدةِ فى العدَّة . وفى الكتابِ المحفوظ :

« كم مِّنْ فئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فئةً كثيرةً بإِذْنِ اللهِ ، واللهُ مع الصابرِينَ »[٥] ، وقال القائلُ فى قديمِ الأَزْمانِ :

---

(١) يمكن أن تقرأ فى المخطوط : [الجراز ، والحزاز] . وفى القاموس: الجراز ، بالضم: السيف القاطع . والحز أيضاً القطع .

(٢) فى (تهذيب الألفاظ لابن السكيت) البيتان السادس والسابع من هذه اللامية : لابن علس، وقال أبو الحسن التبريزى فى شرحه : للفند الزمانى (٣٦٠) والأبيات فى (الشعر والشعراء ١/٨٥ معارف) مما اختاره الأصمعى لخفة رويه، ولم يسم قائله . وعلى هامشه أنها لامرئ القيس بن عابس الكندى فى (أخبار النحويين البصريين ٢٣) وهو ما فى اللسان (فقا) من عشرة أبيات، وللفند الزمانى فى (السمط ٥٠٤) .

(٣) هذا البيت والبيت بعده من شواهد « ابن السكيت » على الدفنس الورهاء: الحمقاء. وأوردهما الجوهرى فى (دفنس) وفى (وره) من إنشاد أبى عمرو بن العلاء . ولم يسم قائلها .

(٤) رواية ابن السكيت فى التهذيب : وقد أختلس الطعنة (م) لا يدمى لها نصلى .

(٥) من آية ٢٤٩ من سورة البقرة .

تركْنَا بنى أسماء ، منهم مُحَلَّماً   ومُرَّةَ يَحبُو وابنَ ضمرَةَ حِذْيَما
وما إنْ قتلناهم بأَكثرَ منهم   ولكنْ بأَوْفَى فى اللقاءِ وأَكرَما

لقد حَملَهم [1] الفرَقُ على الخَرَق ، فسوف يلقون شظفاً من العيشِ وتنزلُ بهم الضرورةُ الناقلةُ من حالٍ إلى حالٍ ، فإن هذه الآونةَ تَحملُ القاطعَ على أن يَصِلَ والمهاجرَ صاحبَه أن يَعطِفَ ويعتذرَ ، ولم يَفعلا ذلك رغبةً فى صلةِ الرحِمِ ولا تَحَوُّباً من سوءِ القطيعةِ ، وإنما ذلك للضرورةِ الحادثةِ ، فأَشْبَهَا فيما فَعَلاه حالَ الشاعرِ إذا وَصَلَ همزةَ القَطْعِ ، كما قال « أبو زُبَيْدٍ* » وذكَرَ كَلباً له يسمى أَكْدَرَ :

فأَيْقَنَ أَكْدَرُ إذ صاروا ثمانيةً   أَنْ قد تفرَّدَ أَهلُ البيت بالثُمُنِ

وبعضُ الناس تَوُضُّه [2] الشدَّةُ إلى قَطْعِ الحميمِ وفراقِ الأَليفِ وعقوقِ الوالدِ والولَدِ ، فيكونُ مَثَلُهُ مَثَلَ الشاعرِ لما اضطُرَّ لقطعِ أَلِفِ الوصْلِ كما قال الراجزُ [3] :

لَمَّا رأَتْ شيبَ القذالِ عِيسا
وفوقَ ذاكَ لِمَّةً خَلِيسا
قَلَتْ وِصَالى واصطفتْ إبليسا
وصامَت الإِثنينِ والخَمِيسَا
||عبادةً كنتُ بها نِقْرِيسا [4] (٩٤)

(١) الضمير للقوم الجالين (الجالية) من خوف الروم .
(٢) الإضاض ، بالكسر : الملجأ . وأضه الأمر : بلغ منه المشقة ، وأضه الفقر : أحوجه وألجأه .
(٣) الشاهد فى الشطر الرابع : الإثنين .
(٤) العيس ، بالكسر : الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة ، واحدها أعيس والأنثى عيساء . والنقرس : الحاذق ، دليل نقرس ، إذا كان داهية . وطبيب نقرس ونقريس أى حاذق . ذكر فيه الجوهرى قول رؤبة :

وقــد أكون مـــرة نطيساً   طبا بأدواء الصبـــا نقريسا =

* أبو زبيد ، الطائى = ١٢٥ .

والشدّائدُ فى هذه الرَّوْعاتِ تَحملُ المُتطاولَ من القومِ على أن يتواضعَ ، والغَنىَّ على أن يتهيأَ بهيئةِ الفقيرِ فيُشبهَ الممدودَ إذا قُصِرَ كما قال « العَرْجى* » :

أَنْزَلَ النَاسَ فى الظواهرِ منها وتَبَوَّى لنفسه بَطْحَاهَـــا

والطمَعُ من أهلِ الخِسَّةِ فى مثل هذه الحادثةِ يُحَسِّنُ لهم التطاوُلَ وَتَتَبُّعَ رِحَالِ الضعفاءِ ، فيكونُ مثلُهم مَثَلَ المقصورِ إذا مُدَّ ، كما قال الراجزُ[1] :

يا لَكَ من تَمرٍ ومن شيشاءِ
يَنشَبُ فى المَسْعَلِ واللَّهاءِ

وهذه النائبةُ تُلزِمُ الذين يتظاهرون بالعُدْمِ والفَقَرِ ، أن يُخرِجوا ما يُخفُون من الذخيرةِ ، يستعينون بها على اكتراءِ الحِمَارِ والراحلةِ ، فيكونُ مثلُهم مَثَلَ المُدْغَمِ أظهرَت الضرورةُ ماعنده ، كما قال « العَجَّاجُ* » :

= وأضاف فى (اللسان) : * يحسب يوم الجمعة الخميسا * والقذال ، بالفتح : جماع مؤخر الرأس ، ولمة خليس : خالط سواد شعرها بياض . وقابل على (مجالس ثعلب : ٣٧٨ – وإصلاح المنطق ١/٧٧) .

(١) الرجز : أبو المقدام ، بيهس بن صهيب ، شاعر أموى . قاله البكرى .

والرجز ، بروايته هنا ، فى نوادر أبى مسحل ، أنشده الفراء (٤٧٨ الشاهد ١٣٢) و(المقصور والممدود : حرف الشين) أنشده الفراء . قال ابن ولاد : هو الشيشاء – ممدودًا – الشيص وهو ردئ التمر . ومد اللهى ، وهو مقصور ، للضرورة (ص ٦٢) وباب الشين والصاد فى الإبدال ٢/٢٢٠ . ورواه الجوهرى فى (ش ى ش) بروايته هنا كذلك ، شاهداً على الشيشاء ، والشيش : لغة فى الشيص والشيصاء ، التمر الذى لا يشتد نواه وإنما يتشيص إذا لم تلقح النخل .

ورواه القالى فى أماليه (٢/٢٥١) من إنشاد الفراء ، وقال : اللها جمع لهاة ، مثل قطا وقطاة ، وقد مده الشاعر للضرورة وهذا ردىء جدًا ، ليس كقصر الممدود . ونقل معه البكرى فى (التنبيه) ، أشطرا أخرى من هذه الأرجوزة لأبى المقدام ، وهى فى (سمط اللآلى ٨٧٤) . وانظر تخريج الرجز على هامش الإبدال والنوادر ، مع مزهر السيوطى ٢/١٤٢ .

* العرجى : عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأمه آمنة بنت عمر بن عثمان بن عفان (نسب قريش ١١٨) نسب إلى « العرج : موضع بالطائف كان ينزل به » ويعده ابن قتيبة أشعر بنى أمية (الشعر والشعراء ٤٧٨) وديوانه مطبوع فى دار الكتب المصرية ، وهو من شعراء الحماسة .

* العجاج ، الراجز= ١٨٨ .

إنَّ بَنِيَّ لَلِئامٌ زَهَدَهْ
ما لِىَ فى صدورهم من مَوْدَدَه

يريد : مَودَّة . قال «زُهَير* » :

لم يَلْقَها إلا بِشِكَّةِ باسلٍ يَخشى الحوادثَ حازمٍ مُسْتَعدِدِ[1]

أى : مستعد . وعند هذه النازلة ترى المريضَ والزَّمِنَ وغيرَهما من أهلِ العاهاتِ ، قد تشبهوا بالأَصحَّاء السالمينَ فبَانَ فيهم ذلك وظهرَ منهم التكلُّفُ ، وكان مَثَلُهم مثَلَ المعتَلاَّتِ نحو قاضٍ وغازٍ يَصيرانِ فى الضرورة كصِحَاحِ الأَسماءِ ، وذلك بِمَشَقةٍ ليست بالخافيةِ ، كما قال الراجزُ :

قد عجبتْ منى ومن يُعَيْلِيَا
لما رأتْنى خلَقاً مُقْلَوليا[2]

وقال : الفرزدقُ* » :

فلو كان عبدُ اللهُ مولًى هجَوتُه ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَواليَا[3]

---

(١) من قصيدته فى ملح سنان بن حارثة المرى : الشكة : السلاح أجمع. مستعدد : أراد مستعدا متهيئاً ، فأظهر الإدغام (شرح الديوان) .

لمن الديار غشيتُهـــا بالفرقد كالوحى فى حجر المسيل المخلد
دار لسلمى إذ هم لك جيرة وإخال أن قد أخلفتنى موعدى

(الديوان : ٢٦٨) وسياق البيت هنا ، مع البيت قبله :

وإذا يلاق نجدة معلومـــــة يصلى الكماة بحرها لم يبلد

(٢) الرجز أنشده الجوهرى فى (علا) وقال : يعيلى ، مصغر ، اسم رجل . وقول الراجز : قد عجبت (الرجز) أراد : من يعيلى ، فحرك للضرورة لأنه رده إلى أصله . والرجز من شواهد الكتاب (٣١٥/٣) حرك للضرورة .

وهو فى (اللسان : علا) نقل فيه عبارة الجوهرى. وبعدها : قال ابن برى: صوا به يعيل .

وأنشده فى (قلا) شاهداً على المقلولى : المستوفز الجافى ، والمتكمن .

(٣) البيت قاله الفرزدق فى «عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى» من فصحاء العربية المقدمين .=

* زهير بن أبى سلمى = ١٣٤
* الفرزدق ، همام بن غالب = ١٢٠

وقال الآخرُ :

لا باركَ اللهُ فى الغوانِىَ هــل يُصبِحْنَ إلا لَهنَّ مُطَّلَبُ[1]

والخوفُ إذا وقع بغتةً ، رأيتَ المعروفَ بالحزامَةِ وأخا التجربةِ ومَن كان مشهورًا بالجُرأَة ، قد حَمَلَه الحزمُ واللُّبُّ على قِلَّةِ الانبعاثِ وكُلُولِ الغَرْبِ ، فصار كأنَّه][2] ‖ الظعينةُ من خَوْفِ العاقبةِ وانفلالِ الحَدِّ ، فيكونُ مثلُه مَثَلَ المذكَّر من الأَسماءِ إذا أُنِّثَ للضرورةِ كما قال القائلُ : (166)

وَحَمَّالُ المِئينَ إذا أَلَحَّتْ بنا الحدثانُ والأَنِفُ الغيورُ[3]

وإذا فَجِئَتْ هذه المُلِمَّةُ وغيرُها من المُلِمَّات ، حَسُنَتْ للنساءِ ذواتِ الخَفَرِ أن يتبرجْنَ ويَجرِين فى المَشْىِ والعملِ مَجْرَى الرجالِ ، فيكون مثَلُهن مثَلَ المؤنثِ إذا ذُكِّر عند الحاجةِ . كما قال « عامرُ بنُ جُوَيْنِ الطائى* » :

فلا دِيمةٌ ودقَتْ وَدْقَها ولا أَرضَ أَبْقَلَ إبقالَها[4]

= لما ضاق بمآخذه اللغوية . انظر الخصومة بينهما فى (موشح المرزبانى : ٩٩) والشعر والشعراء ١/٣٣ بيروت ، وطبقات ابن سلام ، ٣٣. وانظر الحضرمى فى الإنباه (٢/١٠٤) ، والبغية ٢٨٢ ، وخلاصة التذهيب ١٦٢) وهو من القراء العشرة (النهاية : ت ١٧٤٤) .

(١) المطلب : البعيد أن يطلب ، والبيت من شواهد الكتاب (٣/٣١٤) على تحريك ياء الغوانى للضرورة .

(٢) هنا ينتهى الساقط من النسخة الحفصية . انظر الحاشية رقم ١ على صفحة ٤٢٣ .

(٣) البيت فى (اللسان : حدث) شاهد على الحدثان ، وضعها الشاعر موضع الحوادث . وروايته ، عن أبى على الفارسى :

وهاب المئــــين إذا ألمت بنا الحدثان والحامى النصور

(٤) كذا فى (ف) وهى رواية اللسان فى (خ ضرب) وفى (ص) : [فلا مزنة ودقت ودقها] وهى رواية المبرد فى الكامل (٢/٢٧٩) لعامر بن جوين ، شاهداً على : الودق المطر . وودقت السماء تدق ودقاً . وفى (ل : ودق) : الودق المطر كله ، شديده وهينه ، وشاهده قول عامر بن جوين : =

* عامر بن جوين الطائى ، من بنى ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيئ (جمهرة الأنساب ٣٧٩ ذخائر) — وورد اسمه محرفاً : عامر بن جرير — من سادة طيئ وشعرائها وخطبائها ، وخبر نزول امرئ القيس عليه ، مذكور فى كثير من كتب الأدب ، وبخاصة فى ترجمة امرئ القيس . ويأتى ذكره فيما يلى من الصاهل والشاحج . . يصف هنا أرضا جادها الغيث .

وربما رأيتَ الجماعةَ الكثيرةَ وهم لِقِلَّةِ البصيرةِ وطيَرانِ الألباب يَجْرُون مَجرَى الفذِّ من الرجالِ ، فيكونون كالجميعِ من الأسماء إذا جاء مؤخَّرَ الخبَرِ أو لم يتصلْ بفِعله الضميرُ إذا أُخِّرَ ، كما قال الشاعرُ ، أنشده «الفرَّاءُ*» عن «المفضلِ الضبِّى*» :

أَلا إن جِيرانى العَشِيةَ رائح　　　دعَتْهم دواعٍ من هوًى ومَنادِحُ

وكما قال الآخَرُ :

يــا عمْرُو جِيرانُكم باكِرُ　　　فالقَلْبُ لا لاهٍ ولا صابِرُ

وقال الراجزُ :

بَالَ سُهَيْلٌ فى الفَضِيخِ ففَسَدْ[1]
وطابَ أَلبانُ اللقاحِ وجَرَدْ

وقال «الحطيئةُ*» :

وإنى لأَرجو ، وإن كان نائياً　　　رجاءَ ربيعٍ أَنْبَتَ البقْلَ وابِلُهْ[2]

= • فلا مزنة • (البيت) وكذلك رواه ابن هشام فى (المغنى) الشاهد ٨٩٥ . وابن جنى فى (خص ٢ / ٤١١) فى (فصل الحمل على المعنى) تذكير أبقل ، ذهب بالأرض إلى الموضع والمكان .

(١) أنشده فى اللسان (ف ض خ) شاهداً على : فضخت البسر شدخته ، يقول الراجز ، لما طلع سهيل ذهب زمن البسر وأرطب ، فكأنه بال فيه . وقال بعضهم : هو المفضوخ لا الفضيخ ، المعنى أنه يسكر شاربه فيفضحه = . . . وقد تكرر ذكر الفضيخ فى الحديث – انظره فى باب الفاء مع الضاد من (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير) –

(٢) أنشده الزجاجى فى مجالسه (٥٤/١٦٦) المجلس بين ثعلب وأبى إسحاق الزجاج . وابن السكيت فى إصلاح المنطق (١٩/٢ ، ٩٦) .

* الفراء ، يحيى بن زياد = ٣٠٣
* المفضل الضبى ، أبو العباس = ٢٩٤

والمنادح : المفاوز ، وأصله الأرض الواسعة (ص) .

* الحطيئة = ١٧٨

من لاميته فى مدح « الوليد بن عقبة» وهى من مختارات ابن الشجرى :

عفا توأم من أهله فجلاجله　　　وردت على الحى الجميع جمائله

لِزُغْبٍ كأفراخِ القَطا راثَ خَلْفُها   على عاجزاتِ النهض حُمْرٍ حواصِلُه[١]

فأَما الوادِعُ فإنه إذا عصَفتْ به شمالُ الرُّعبِ زفَّ رالهُ وفُزِّعتْ أَجرالهُ ، فكان مثَلُه مثَلَ الساكن إذا حُرِّكَ لإقامةِ الوزنِ كما قال «زُهَيْرٌ[٢]» :

‖ * لم يُنظرْ به الحَشَكُ * (167)

وإنما هو : الحَشْكُ . وكما قال الآخرُ :

أَتْبَعتُه إياهما فى السَّهَلِ
حتى إذا ما زَنَأا فى الجبل
‖ أزنأتُه فيه ولَمَّا أبَلِ[٣] (٩٥)

[وأَمَّا المُتصرِّفُ من النَّفَرِ فى ذهاب][٤] ومجىء كالمُنادِينَ والدلاَّلِينَ ، فإنه إذا حمَل فى مَجْلاَهُ[٥] فُقِدت حركَتُه فى المَعَاشِ فكان مثَله مثَلَ مُتحرِّكٍ من الحُروف سُكِّنَ كما قال الراجزُ :

* وَرْدَ عليهِ طالبُ الحاجاتِ *

---

(١) رواية ابن الشجرى لعجز البيت الأول : * رجاء الربيع . . * وقال فى شرحه : راث ، أبطأ ، والخلف : المستقى ، وأراد الأمهات . وعنى بعاجزات النهض : الفراخ . وقال : حواصله ، فذكر ، لأنه رد المضمر إلى الأولاد على معنى أولاد القطا ، والقطا يغلب عليه التذكير .

وفى طرة الحفصية على : عاجزات النهض [لا تقدر على النهوض لضعفها]

(٢) زهير ، بن أبى سلمى = ١٣٤ وتمام البيت ، من ديوان زهير ، وإصلاح المنطق ٤٥/١ :

كما استغاث بسىء فز غيطلة   خاف العيون فلم ينظر به الحشك

الفز : ولد البقرة ، والسىء : اللبن فى الضرع قبل نزول الدرة. والغيطلة شجر ملتف . والحشك : الحفل ، ساكنة الشين ، وحرك للضرورة (شرح الديوان) وقال الجوهرى : إنما حركه للضرورة أى لم تنتظر به أمه حشوك الدرة وفى (اللسان) الحشك والحسك لغتان ، وقيل أراد الحشْك فحرك للضرورة ،

(٣) زنأ ا . . أزنأته : صعدا ، أصعدته .

والشاهد فى قوله ، أزنأته ، بضمير الواحد ، للاثنين . والزنء الصعود فى الجبل . زنأ فى الجبل ، وأزنأته . وأنشد فى (ص ، ل) قول قيس بن عاصم يرقص صبياً : * وارق إلى الخيرات زنئا فى الجبل *

(٤) سقط من (ف) مع علامة مخرج للسقط ، دون إثبات اللحق على الهامش .

(٥) مجلاه ، من : الجلاء (ف) .

وهذا قليلٌ ، لأنه سَكَّنَ الفتحةَ[1] . وإنما شبَّهتُه بالمفتوحِ الذى يُسَكَّنُ ، ولم أُشَبِّهْه بالمَضموم ِ والمكسورِ لأن من شأنِ ربيعةَ أن تُسكنَ ما كان كذلك من الأسماءِ والأفعال مالم يكن المتحرِّكُ بِضَمٍّ أو كَسْرٍ فى الطرَفِ ، فيقولون : كَرْمَ ، أى كرُم ، وعَلْمَ أى عَلِمَ . وقياسُ لُغَتِهم أن يقولوا : كبْدٌ وكَتْفٌ ، فى الكبِدِ والكَتِفِ قال « القُطامىُّ* » :

إذا نَشْبَتْ مَخالِبُه وعَلْقَتْ ... له الأَنيابُ تُرْكَ له المَرَارُ

يُريدُ : نشِبتْ وعلِقَتْ وتُرِكَ . وقال آخرُ :

إذا لم يكنْ قبْلَ النَّبِيذِ ثريدةٌ ... مُلَبَّقَةٌ صفراءُ شحْمٌ جميعُها[2]

فإن النبيذَ الصرْدَ إنْ شُرْبَ وحدَه ... على غيرِ شىءٍ ،أحْرَقَ الكَبْدَ جوعُها

فهذا ليس عندهم من الضرورة .

وربما طَمِعَ الجَارُ – لهذه الفِتْنة – إذا كان من أهلِ الشرِّ ، فى جارِه إذا كان من أهْلِ الخيْرِ ، فعَدَا على مَنزِله فأَخَذَ ما فيه ، فأَشْبَهَ فِعْلُه ذلك نَقْلَ الحرَكةِ من الحرفِ إذا وُقِفَ عليه ، إلى ما جاوَره من الحروفِ . وشَبَّهتُ || المالَ بالحرَكةِ لأَنه تكونُ عنه القُوَّةُ ، والحركةُ قُوَّةُ الحرْفِ وحَياتُه 168

---

(١) أى فتحة الراء من : ورد . محل الشاهد .

(٢) الملبقة : الملينة . من : لبقه لينه ، كلبقه بالتضعيف .

وثريد ملبق ، ملين بالدسم . فإذا لم يلبق بالدسم أو شبهه ، فهو ثريد صرد (ص ، ق) .

* القطامى : هو لقب ، واسمه عمرو بن شييم بن عمرو بن عباد ، من مالك بن جشم بن بكر بن حبيب التغلبى – قوم الأخطل (جمهرة الأنساب ٢٨٨) الشاعر الإسلامى المشهور ، فى الطبقة الثانية من فحول الإسلاميين . يقال إنه أحسن شعراء الإسلام ابتداء . وهو من شعراء الحماسة ، وأعلام الغفران .

وانظر (طبقات ابن سلام ٤٥٣ ، والشعر والشعراء : ٤٥٣ ، (وجمهرة أشعار العرب ٣١٣)

والمَعْنِىُّ بما ذكرتُ قولَ الراجز(١) :

عجِبْتُ والدَّهْرُ كثيرٌ عَجَبُهْ من عنَزِىٍّ سَبَّنى لم أضربُهْ

نقَلَ حركَةَ الهاء إلى الباء . وكذلك قولُه :(٢)

فقُلتُ للسَّائِس خُذْهُ واعْزِلُهْ وَاغْدُ لَعَنَّا فى الرِّهانِ نرسلُهْ

وقال «طَرَفةُ* » :

حابِسِى رَبْعٌ وقفتُ به لو أطيعُ النفسَ لم أرِمُهْ(٣)

وقد ذهبَ بعضُ الناسِ إلى أن هذا ليس بضرورةٍ ؛ وإن كان كما زعَمَ فإنه قليلٌ كقِلَّةِ ما يَسْتوحِشُ منه الفُصَحاءُ .

ولَأُشيرَنَّ عليكَ ياثُعالُ بالمَكرُمَةِ من الفعلِ : إنْ كان لك صَدِيقٌ فى الجالِيَةِ فوَصِّه ألا يكونَ فى أوائلِ الرُّفْقَةِ ولا الأَواخرِ ، ولكنْ يكونُ متوسِّطاً بيْنَ الأَولِ والآخِرِ ، فإنه إذا كان أوَّلاً لم آمَنْ عليه أن تُدرِكَه نائبةٌ كما

---

(١) الراجز : زياد الأعجم ، الشاعر الأموى= ٣٣٣

أنشده «المبرد» فيما اطرد من مذاهبهم فى الشعر : أن يلقوا حركة الإعراب على الساكن الذى يسكن ما بعده للتقييد . أراد الراجز – ولم يسمه – «لم أضربه» فلما سكن الهاء ألتى حركتها على الباء ، وكان ذلك فى الباء أحسن ، لخفاء الهاء (الكامل : ١٦٢/٢) وقال الجوهرى فى (لم) وقول الشاعر : «عجبت .. لم أضربه» فإنه لما وقف على الهاء نقل حركتها إلى ما قبلها . ومثله فى (اللسان) وأنشد البيت لزياد الأعجم برواية : «يا عجبا والدهر»

(٢) الرجز لأبى النجم (١٨٩) أنشد منه «المبرد» فى (الكامل ١٦٢/٢) :

«أقول قرب ذا وهذا أزحله» على إلقاء ضمة الهاء إلى اللام .

وأنشده القالى فى (الأمالى ١٣٤/٢) : لعلنا ، لغة فى : لعلنا . وفى (التنبيه) أشطر منها وفى (الإبدال : العين والغين) أن عيسى بن عمر سمع أبا النجم ينشد «اغد لغنا فى الرهان نرسله» بالغين المعجمة ، يريد : لعلنا (٢٩٧/٢) .

(٣) الشاهد فى نقل ضمة الهاء إلى الميم الساكنة جزماً . قال «المبرد» : ولم يلزمه رد الياء – من أريمه – لما تحركت الميم ، لأن تحركها ليس لها على الحقيقة ، وإنما هى حركة الهاء – (الكامل ١٦٢/٢)

* طرفة ، بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكرى من قيس بن ثعلبة ثم بكر بن وائل (جمهرة الأنساب ٣٠٠) أول الطبقة الرابعة من فحول الجاهليين ، وقال ابن سلام إنه إنما تأخر لقلة ما وصل إليهم من شعره . وقد قتل شاباً ، ويعدونه أجود الشعراء طويلة ، وهو من شعراء المعلقات ، والحماسة ، والغفران . وانظر (الشعر والشعراء ١٨٥/١ معارف) .

أدركتْ فاءَ عِدَةٍ وزِنَةٍ ، وكما لحقتْ أوائلَ الأبياتِ التى بناؤها على حرفَيْنِ متحركينِ بعدَهما ساكنٌ . وتلك النائبةُ هى الخَرْمُ الموجودُ فى أوائلِ الأشعارِ كما قال «ساعِدَةُ* » :

فِيمَ نساءُ الحَىِّ من وَتَرِيَّةٍ سَفَنَّجةٍ كأنها قوسُ تَألَبِ[1]

وهو فى شِعرِ الجاهليَّةِ وأهلِ الإسلامِ ، ألا ترى أن عَيْنَ «عِدَةٍ» سَلِمَتْ من الحَذْفِ وكذلك زاىُ «زِنَةٍ» ؟ وإنْ حُذِفَ متوسِّطٌ. فحَذْفُه شاذٌّ ، وإنما يكثُرُ حَذفُ الأطرافِ والأوائلِ ،كما حذفوا فيما اعتلَّتْ فاؤه ولامُه فقالوا فى المعتلِّ اللامِ : بُرَةٌ وقِلَةٌ ودَمٌ ويَدٌ . وقد مضى ذِكْرُ ما اعتلتْ فاؤه . ومن العِلَلِ التى تَلْحَقُ الأواخرَ أنك || إذا جمَعتَ فَرَزْدَقاً وبَابَه[2] قلتَ : فرازد ؛ فشَقِيَت (169) القافُ بالحذْفِ . وكذلك إذا صَغَّرتَ قلتَ : فُرَيْزد . ولو لم يَدُلُّكَ على ما يَلْقَاهُ الآخِرُ من المَضَرَّةِ إلاَّ الترخيمُ ، لوَضحَ به الدليلُ : تَحذِفُ آخِرَ الاسمِ دونَ غيرِه من الحروف. إلا أنه ربما جاوَرَ الحرفَ الآخِرَ حَرْفٌ لَيِّنٌ فدخَلَ معه فى النائبةِ يَجْتَذِبُه إلى ما لَقِىَ ، أو يكونُ مجاورُه أراد أن يُوَاسِيَه فى المُصِيبَةِ . فإنْ كان فَعَلَ هذا فهو حَسَنٌ ، وما أَحسَبُه حُذِفَ إلا مُضطرًّا إلى الحذفِ. على أن الترخيم فى بابِ النداءِ ليس هو بضرورةٍ. والحَرفانِ المتجاوران : كواوِ منصورٍ ورائه ، وألِفِ مروانَ ونونِه ، وألِفِ حمراءَ والهمزةِ بعدَها. قال الشاعرُ :

يا أَسْمَ صبرًا على ما كان من حَدَثٍ إن الحوادثَ مَلْقِىٌّ ومُنْتَظَرُ[3]

(١) من قصيدة له فى هجاء امرأة من بنى الديل بن بكر (ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٠)

وترية : صلبة مشدودة كالوتر . سفنجة : سريعة المشى . تألب : شجر (شرح الديوان) وأنشده الجوهرى فى (س ف ن ج) شاهداً على : السفنج الظليم الخفيف ، وهو ملحق بالخماسى ، بتشديد الحرف الثالث منه . وتألب ، مثال ثعلب : شجر

(٢) يعنى : وما كان من بابه ، مثل : سفرجل و زبرجد

(٣) محل الشاهد فى المنادى : يا أسم ، يريد : يا أسماء فرخم ، فحذف الهمزة فى آخرها ، وحذف معها الألف اللينة قبلها .

* ساعدة ، بن جؤية الهذلى = ١٤٢

وقال «أبو زُبَيْدٍ*» :

يا عُثْمَ أدرِكْنى فإنَّ رَكِيَّتى صَلدَتْ فأعيَتْ أن تَبِضَّ بمائها[١]

يريد : عثمانَ . وقد حملهم الطمَعُ فى الأخيرِ على أن حذَفوا حرفين صحيحين ، أو يكونُ الأوَّلُ منهما همزةً حدثتْ فى الجمعِ كما قال «لَبِيدٌ*» :

(٩٦) ‖ * درَس المَنَا بمُتالعٍ فأَبَانِ *[٢]

يريدُ : المنازل . وقال «أبو دُوَادٍ*» :

يَلْدِسْنَ جَندلَ حائرٍ بجُنُوبِه فكأنما تَنْفِى سَنابِكُها حُبَا[٣]

(١) البيت فى (ل : بضض) شاهد على : ركى بضوض ، قليلة الماء ، وقد بضت تبض . والركية البئر ، والجمع ركى وركايا . ذكره فى (ل) فى حرف الواو ، ونقل فيه قول ابن سيده : وقضينا عليها بالواو ، لأنه من : ركوت ، أى حفرت

(٢) تمام البيت ، وهو مطلع قصيدته (الديوان : ١٩) : * وتقادمت بالحبس فالسوبان*

وفى شرحه ، للدكتور إحسان عباس : والمنا : منزل ، وقالوا : «أراد المنازل ثم حذف الزاى واللام» . ومثله فى (خص ١/٨٣) وهو فى (الموشح : ٢٣٤) من التثليم ، عيب فى الشعر ، يأتى الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها ومن شواهده : درس المنا « أراد المنازل ، و « بسبا الكتان « أراد سبائب .

وأبو العلاء يذهب فيه هنا إلى الحذف ، لا غير . وقال السيوطى فى (المزهر ١/١٨٩) فى معرفة الفصيح : «وأقبح الضرائر الزيادة المؤدية لما ليس أصلا فى كلامهم كقوله : * أدنوفأنظور * أى فأنظر . والزيادة المؤدية لما يقل فى الكلام كقوله : * فأطأت شيمالى * أى شمالى . وكذلك النقص المجحف كقوله : * درس المنا بمتالع فأبانا * — على هامشه : هكذا فى كل النسخ ، وروى فى الخصائص ٨٣ ، واللسان (أبن) : درس المنا بمتالع فأبان ، ونسبه إلى لبيد

(٣) يلدسن : يرمين ، والسنابك أطراف الحوافر (ف) الحباحب هنا : ما تقدحه الخيل بحوافرها . قيل إنه من نار حباحب ، اسم رجل بخيل كان لا يوقد الا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بها المثل ، قال النابغة وذكر السيوف : * ويوقدون بالصفاح نارالحباحب* وربما جعلوا الحباحب اسما لتلك النار ، قال الكسعى .

* ما بال سهمى يوقد الحباحبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا .

وربما قالوا : نار أبى حباحب ، وهو ذباب يطير بالليل يشع منه ما يشبه النار .

* أبو زبيد ، الطائى = ١٢٥ . * لبيد ، بن ربيعة العامرى = ٩٣

* أبوداود ، الإيادى = ١٥٨

يُريدُ : حُباحبا ، يَعنى نارَ الحُباحبِ . وقال « علْقَمةُ* » :

أَبيَضُ أبْرَزَه للِضحِّ راقِبُه مُقَلَّدٌ بِسَبَا الكتَّانِ مَفْدُومُ[1]

يريدُ : سبائبَ الكتان .

ومنْ حَذْفِ الأَواخرِ المُفْرِطِ ما جاء عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم من قوله : « كفَى بِالسَّيْفِ شَا » يريدُ : شاهداً[2] . وهذا نادِرٌ غيرُ مُسْتمرٍ .

وإنما || حذَّرتُ مَن يكونُ فى الأَواخرِ من الحوادثِ الطارئةِ كثيرًا عند الأَطرافِ ، (170)
مِثل حذفِ اللامِ من سَنةٍ وابنٍ ، ومِثل ما يحدُثُ فى القوافى من تَرْكِ الإعراب وتخفيفِ المشَدَّدِ ، وذلك كثيرٌ موجود ، قال « لَبيدٌ »[3] :

مَن هدَاه سُبُلَ الخيْرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومَن شاءَ أَضَلْ

فلاَمُ أَضَلَّ مشدَّدةٌ ، وخفَّفها فى القافيةِ تخفيفاً لا بدَّ منه ، ومَن شَدَّدها فهو عندهم مُخطِئٌ . وكذلك مَن شدَّدَ الراءَ فى قولِ « امرئِ القيسِ* » :

• واليومُ قُرْ • و • إنى أفِرْ •

---

(١) ابن عبدة ، الفحل (١٢٣) من ميميته المفضلية ، إحدى سمطى اللؤلؤ كما سمتها قريش :
والبيت من شواهد رسالة الغفران ، والخصائص ٨٣/١ وعيب التثليم فى الموشح .
(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الحدود من (سننه) : كفى بالسيف شاهدًا : ح ٥٦٠٦ .
(٣) لبيد ، بن ربيعة العامرى (٩٣) من لاميته المقيدة :

إن تقوى ربنـــا خير نفل وبإذن الله ريثى وعجل

وهى فى الديوان (ص ٢٦) من خمسة وثمانين بيتاً ، الثلاثة الأولى من شواهد الغفران

* امرؤ القيس ، الكندى (١٠٥) من رائيته المقيدة :

أحار بنَ عمرو كأنى خمــر ويعدو على المرء ما يأتمــر

وتمام البيتين :

إذا ركبوا الخيل واستلأمــوا تحرقت الأرض واليوم قــر

فلا وأبيك ابنة العامـــرى لا يدعى القوم أنى أفر •

وقد عِيبَ على بعضِ العلماءِ أن لامَ « المُصَلْ » وجِدَتْ بِخَطِّه مشددةً فى قولِ « لَبِيدٍ » :

يَلْمُسُ الأَحْلاسَ فى منزِلِه بِيَدَيْه كاليهودىِّ المُصَلْ[1]

يريد : المُصَلِّى ، فحذف الياءَ وخفَّف . وأَشَدُّ منه قولُهُ :

وقَبِيلٌ من لُكَيْزٍ حـاضِرٌ رهْطُ مرجومٍ ورهطُ ابن المُعَلْ[2]

يريدُ : المُعَلَّى ، فحذف الأَلِفَ وهى أَوجَبُ ثَباتاً من الياءِ .

ومَنْ قَبِلَ الوصِيَّةَ فى أَنْ لا يكونَ آخِرًا [3] ، فأَشِرْ عليه أَنْ لا يُجاوِرَ الأَخِيرَ فى السَّيْرِ ، فإِنى لا آمَنُ عليه أَن يُفعَلَ به ما فُعِلَ بـأَلِفِ مَروانَ وعثمانَ وواوِ منصورٍ وهمزةِ سَبائبَ وزاىِ منازلَ وحاءِ حُباحِبَ ، وهاءِ شاهد . وأَما الأَوَّلُ فلا نَعلمُ جارَه من الحروفِ لَقِىَ إلاَّ خَيرًا . إلا أن الحَيْطةَ لمجاوِرِ الأَوَّلِ من السارِينَ أن يجعلَ دونَه سِواه ، لأَنه إذا جاءَ ترخيمُ التصغيرِ حُذِفَ الأَوَّلُ الزائدُ ، وإذا كان بعده حَرْفٌ مثلُهُ فى الزيادةِ حُذِفَ معه . ‖ وليس حذفُه لجِوارِ ذلك الحرفِ ، وإنما هو محذوفٌ للزيادة ، ولا يَنْكسِرُ (171)
بهذا ما أَصَّلْتُ[4] . ولو رخَّمتَ مُنطلِقاً لقُلتَ : طُلَيقٌ ، فحذفتَ الميمَ والنونَ ، وليس هذا الحُكمُ مُتَعلِّقاً بالأَوَّلِ والآخِرِ ، وإنما هومتعلقٌ بالزائدِ والأَصلىِّ .

---

(١) من لاميته المقيدة ، التى منها الشاهد قبله ، يصف هنا رفيقاً له غلبه النعاس . وقوله : كاليهودى المصل ، أى كأنه يهودى يصلى ، واليهودى يسجد على شق وجهه (شرح الديوان : ١٨٣)

(٢) أنشده « ابن جنى » فى الخصائص (٢/٢٩٣) وسيبويه فى الكتاب (٢/٢٩١) لحذف الحرف فى « ابن المعل » أراد ابن المعلى ، وهو جد الجارود بن بشير بن المعلى ، من عبد القيس . ولكيز : من عبد القيس ، من أسد بن ربيعة بن نزار (جمهرة الأنساب ٢٧٨) ومرجوم ، لقب : عامر بن مر ، من أشرافهم

(٣) عود إلى مشورة الشاحج للثعلب ، إن كان له صديق فى الجالية فليوصه ألا يكون فى أوائل الرفقة أو أواخرها — ص ٤٤١

(٤) أى ما جعلته أصلا ، من سلامة الحرف المجاور لأول حرف من الكلمة

وكأنى بوَالى هذا المِصْر كامِلِ صنيعة السيدِ «عزيز الدولة» - أعز اللهُ نصرَه - وقدركِبَ لِحياطةِ الجاليَةِ وكَفِّ الدَّعَرَة، وقد سكَنَت الدَّموكُ المجَعْجعةُ لطعامه على النَّقْمَى[١] ، وهرَبَ الفَعْفَعِيُّ[٢] الذى كان يَسحَطُ له النَّقَدَ ويَشْصِبُ أولادَ الحذَفِ ، وخَمَدَ حَميسُ الحَضَّاءِ الخامطِ[٣] لخِوانه البذَجَ أو العُمْروسَ فى أيْنِ الآزَّةِ من المُغَرغرات ، مَن يُلقِى إلى صاحب قِناعِه شبيهاتِ الزِّبْرقان[٤] . وهو[٥] بإقْبالِ السيدِ «عزيز الدولة أمير الأمراء» - أعز اللهُ نصرَه ، مُتجلِّدٌ على ذلك لم يَبِنْ فيه الخَوَرُ ولا الضعفُ.

فمَثلُه مثَلُ سَميِّه من الشعْرِ وهو الوزنُ الكاملُ تذهبُ منه ستُّ حرَكات فلا يَغيضُ ذَهابهُنَّ منه ، بلْ يمكث على السَّجيَّةِ المعهودةِ ، ولا يَعلَمُ ما ذهبَ منه إلا أهلُ الخبرَةِ ، كما قال «عنترةُ*» :

بَكرَتْ تُخَوِّفُنى الحُتُوفَ كأنَّنى ... أصبحتُ من غرَضِ الحُتُوفِ بمَعزِلِ
فاقْنَى حياءَك لا أبَا لَكِ واعلمى ... أنى امرؤٌ سأموتُ إن لم أُقتَلِ
إنى امرؤٌ من خَيْرِ عَبْسٍ منصباً ... شَطرى ، وأحْمِى سائرى بالمُنْصُلِ

(١) الدموك : الرحى ، والدمك : الطحن . والنقمى ، من النقم : سرعة الأكل .

(٢) الفعفعى : القصاب ، كالفعفعان والفعفعانى . سمطه ، كنع : ذبحه سريعاً . والنقد بالتحريك ، نوع من الغنم . والشصب ، بالفتح : السمط والسلخ . والسمط ، بضمتين : الشاة المسلوخة ، والحذف ، محركة : غنم سود صغار ، حجازية . وحميس الحضاء : نار التنور ، والحضاء أيضاً النار . والخامط الشاوى ، من : خمط اللحم يخمطه ، شواه ، والجدى سلخه فشواه فهو خميط . فإن نزع شعره وشواه ، فسميط (ق)

(٣) فى ض : [لخوانه والبذج]
البذج ، محركة ولد الضأن . والعمروس ، كعصفور : الخروف . والغرغرة : صوت القدر إذا غلت فهى مغرغرة والقدور مغرغرات . والآزة : من الأزيز . صوت غليان القدر (ص)

(٤) القناع : الطبق (ف) وهو (ص ، ل) الطبق من عسب النخيل بخاصة . والزبرقان : البدر .

(٥) الضمير بعده لوالى المصر ، حلب ، والفقرة قبله ، لطعامه قبل الجفلة !

* عنترة ، بن شداد العبسى = ١١٣
وأبيات عنترة ، على غير هذا الترتيب . فى (الشعر والشعراء ١ / ٢٥٤) معارف وانظرها فى ديوانه (١١٩ : ١٢١) وشعراء الجاهلية - النصرانية : ٧٩٥ .

فالبيتُ الذى قافيته : بالمنصُلِ ، قد ذهبت منه حرَكاتٌ ستٌّ ، وهو فى الغريزةِ كغيرِهِ من الأَبياتِ لم يَبِنْ فيه الخلَلُ ولا التقصيرُ . وكذلك أَهلُ الفضلِ والبَقِيَّةِ يَصبِرون|| فى الشدائدِ ويتحملون ، ولا يَشعُرُ عامةُ الناسِ (172) بما عندهم من فقرِ المالِ ومُعاناةِ الخطوبِ . وأَهلُ الشفَقَةِ والخِفَّةِ تَبدو منهم الشكيَّةُ ويَظهرُ الشكِعُ[1] . فمَثَلُهم مثَلُ قولِ «الأَعشى* » : (٩٧)

||تَسْمعُ للحَلْىِ وَسْواساً إذا انصرفتْ كما استعانَ بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ[2]

أَولُ حَرْفٍ ذَهبَ منه عُرِف خَلَلُه وظهرتْ شكِيَّتُه ، ولم يتجملْ فيَصبر كما صبرَ قولُ «امرئ القيس* » :

كدَأْبِكَ من أمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَها وجارتِها أمِّ الرِّبابِ بمَأْسَلِ

قد ذهبتْ منه أَربعةُ أَحرُفٍ ولم يُعلَم بذَهابهن .

وأَما صاحبُ المعونةِ فكان مثَلهُ مثَلَ «ما» الحجازيةِ بَطلَ عمَلُها فكأَنها صارت التميميَّة ، لأَنك إذا قلتَ : ما زيدٌ قائماً ، فَ«مَا» قد عملت الرفعَ والنصبَ . وإذا قلت : ما زيدٌ قائمٌ ، فمَا لم تعمل شيئاً .

وأَما القاضى فترك هذه الأَرضَ ولحق بوطنهِ «بالِسَ» ردَّتْه إليها الضرورةُ ، فكان مَثَلُه مثَلَ المرفوعِ من الأَعلامِ فى النداءِ لَمَّا لحِقَتهْ

---

(١) الشكع : الجزع (ف) وفى القاموس : شكع ، كفرح ، كثر أنينه ، وغضب وتوجع .

* الأعشى ، ميمون البكرى (١١٢) من معلقته : * ودع هريرة إن الركب مرتحل *
الوسواس : صوت الحلى . والعشرق : نبت له ورق إذا يبس أطارته الريح فأسمعت له صوتاً (ف)
وبيت الأعشى ، أورده الجوهرى فى (وسوس) شاهداً على الوسواس ، أصوات الحلى . والزجل : ذو الهديل

* امرؤ القيس = ١٠٥

والبيت من لاميته المعلقة (قفا نبك) وفى شرح التبريزى : الدأب العادة ، ومأسل : موضع ، وأم الحويرث هى : هر أم الحارث بن حصين بن ضمضم الكلبى . وأم الرباب ، من كلب أيضاً (ص ١٠)

الضرورةُ فَنُوِّنَ ، رجَعَ إلى أَصْلِه وهو النصبُ ، كما قال «مُهَلهِلٌ*» :

ضربتْ صدرَها إليَّ وقالتْ   يا عَدِيًّا لقد وَقَتْكَ الأَواقى[1]

وكما قال الآخرُ :

دعَوتُ عَدِيًّا والمَهَامِهُ بَيْنَنَـــا   ألا يا عَدِيًّا يا عَدِىٌّ بنَ نَوفَلِ

وأما العُدُولُ ، فوضَعوا السِّيجانَ والمشاوِذ[2] وتهيئوا للنَّفْرِ إنْ صاح الصائحُ فكان مَثلُهم مَثَلَ الأَسماءِ المتغيرة عن هيئتِها عند الضرورةِ ، كما قال الراجز :

جاءَت عجوزٌ مِنْ أَعَالِى البَرِّ
قد تركتْ حَيْهِ وقالت حَرِ
ثم أمالتْ عُنُقَ الحِمَرِّ
سَيْرًا على جانبِهـــا الأَيسَرِّ

---

(١) البيت من شواهد النحاة فى (باب المنادى) لقوله : يا عديا ، والقاعدة البناء على الضم . وكذلك فى قوله : الأواق ، أصله : وواق ، قلبت الواو الأولى ألفاً لاجتماع واوين مفتوحتين فى أول الكلام ، وانظره فى شواهد الغفران

(٢) السيجان : جمع ساج وهو الطيلسان ، والمشاوذ : العمائم (ف) جمع مشوذ ومشواذ (ق)

* مهلهل ، بن ربيعة التغلبى ، أول شعراء الجاهلية القدامى الكبار ، أخو كليب ، وأبو ليلى أم عمرو بن كلثوم ، وخال امرئ القيس ، وطالب ثأر كليب فى بنى بكر ، بحرب البسوس . والمشهور أنه أول من هلهل الشعر ، أى رققه .

واختلفوا فى اسمه : عند ابن سلام والقالى وأبى الفرج وابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١ / ٢٧٩ : عدى بن ربيعة. وترجم له «الآمدى» فى : امرئ القيس بن ربيعة.... ويقال اسمه عدى ، وسمى مهلهلا لقوله :

لما توغر فى القـــراع هجينهـــم   هلهلت أثأر جابراً أو صنبلا

ومثله فى تنبيه البكرى. وانظر السمط ١ / ١١١ وقال المرزبانى فى معجمه : «مهلهل بن ربيعة التغلبى ، قيل اسمه امرؤ القيس ، وقال محمد بن سلام الجمحى اسمه عدى».. ثم ترجم بعده مباشرة لعدى بن ربيعة ، قال : هو القائل لما مات أخوه مهلهل : ما أرجى بالعيش بعد ندامى كلهم سقوا بكأس حلاق .

وعند ابن حزم فى (جمهرة الأنساب ٢٨٧) «كليب ، ومهلهل ، وعدى ، وسلمة : بنو الحارث ابن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب» ولم يذكر امرأ القيس فى ولد ربيعة !

وصح عند أبى العلاء فى (رسالة الغفران : ٣٥٣) أنه عدى بن ربيعة ، وأنه سمى مهلهلا باسم أخيه امرئ القيس القائل : * لما توغل فى القراع* (البيت) فلما هلك قيل لعدى : مهلهل !

|| فبَنَى الحِمارَ ، وهو فِعَالٌ ، على فِعَلٍ . وقالت أختُ « حازوق الخارجي* » تَرثيه : (173)

أُقَلِّبُ عَينى فى الفوارِسِ لا أَرى   حِزَاقاً وعَيْنى كالحَجاةِ من القَطْرِ[١]

فنقلتْه من فاعول إلى فِعال . وكذلك قول « دُرَيْد* » :

أَخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم   واعتادَه نُصْبٌ إلى نُصْبِ[٢]

فبَنَى « الخنساءَ* » وهى فَعلاءُ ، على فُعَال .

وكأنى بأصحابِ البَزِّ وقد كَفتَ عن أَرجُلِهم الحَيْش ، وخَلَطَ هَلَعُهم بين ثِيابِ العُطْبِ وثِيابِ الشَريعِ ، وجعل السَّبِيبةَ مع المَخيط ، وأَضافَ البُجُدَ إلى ما رَقَّ من البُرودِ[٣] . فكان مَثَلُهم مَثَلَ من ركبَ قصيدةً مُقيَّدةً جمَعَ فى رَوِيِّها المُسَكَّنِ ، بين أَشتاتِ الحروفِ ، ولم يُبالِ إذا

(١) البيت فى (الصحاح) : (حزق) قال الجوهرى : وحازوق ، اسم رجل من الخوارج ، فجعلته امرأته حزاقاً ، وقالت ترثيه : أقلب عينى (البيت) والحجاة : النفاخة تكون فوق الماء من قطر المطر . وفى (ل) : * أقلب طرفى فى الفوارس *

(٢) رواية الشعر والشعراء ١ / ٢٦٠ ، وشعراء النصرانية ٧٦٦ الشطر الثانى :
* وأصابه نبل من الحب *
ورواية القالى فى الأمالى ٢ / ١٦١ : * واعتاده داء من الحب *

(٣) الكفت : قلب الشىء ظهراً لبطن ، وكفته يكفته كفتاً : صرفه عن وجهه . والحيش : الفزع والذعر ، ومنه الحيشان : الكثير الفزع المذعور ، والأنثى بهاء . والعطب : القطن . والشريع كأمير : الكتان الجيد . والسبيب ، كأمير : الكتان غير المخيط ، القطعة منه سبيبة (ق)

* حازوق الخارجى : الحنفى ، قائد (نجدة بن عويمر) إلى السراة . قتله عبد الله بن النعمان الدوسى (جمهرة الأنساب ٣٦٠) .
وانظر فى (نسب قريش ١١٥) : محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو الحازوق !

* دريد : ابن الصمة معاوية بن بكر بن علقمة الجشمى = ٣٢٦
والبيت من قصيدته فى الخنساء وقد رآها مبتذلة تهنأ بعيراً لها فهام بها حباً ، ومطلع الأبيات :
حيوا تماضر واربعوا صحبى   وقفوا فإن وقوفكم حسبى

* الخنساء ، تماضر = ٣٢٦

سَلِمتْ له القافِيَةُ من لحاقِ العيوبِ كيف وقع ترتيبُ الكلمةِ فى الأَصلِ .
أَلا تَرى أَن قول «الأَعشى *» :

لَعَمْرُكَ ما طولُ هـــذا الزمَنْ على المرءِ إلا عَناءٌ مُعَنْ

قد جمَع بين قوافيه وهى مختلفة النِّجَارِ ، لأَنه قال : الزمَنْ ، فسَكَّنَ ونونُه فى الأَصلِ مكسورة ، ثم قال : مُعَنْ ، فحذَف من الكلمة حرفين وجعلَ النونَ التى أَصْلها السكونُ مع النونِ التى أَصلُها الكسرة ؟ وقال فيها[١] :

وأَشربُ بالريفِ حتى يقــالَ قد طال بالريف ما قد رجَنْ

فجاء بِنونٍ أَصلُها الفتحُ . وقال فيها :

ومِنْ شانئٍ كاسِفٍ وجهُــه إذا ما انتسبْتُ له أَنْكَرَنْ

يُريدُ : أَنكرنى . فجعلَ مع النُّوناتِ ـ التى تدخلُ لِسلامةِ آخرِ الأَفعالِ الماضيةِ || من الكسر[٢] ، وهى مُباينة لِنُون : زمَنْ ومُعَنْ ورجَنْ . (174)

وكذلك البَزَّازُ لا يَحْفِلُ إذا سَلِمَ متاعُه باختلافِ الترتيب .

فأَما الصَّيْدلانىُّ فكان دُكَّانُه مرتَّباً على أَحسَنِ هيئةٍ كما نضدَ «ذو الرُّمَّة *» قصيدتَه البائيةَ :

* ما بالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ[٣] *

---

(١) الأعشى، البكرى (= ١١٢) يمدح قيس بن معديكرب ، والبيت هنا مطلعها . وبعده :

يظل رجيما لريب المنـــون وللسقم فى أهله والحـــزن

(الديوان : ١٥ ط أوروبا)

(٢) البيت من شواهد الغفران ، بروايته هنا . ويروى : * قد دجن * بالدال . قال أبو عبيدة فى شرح الديوان : هما سواء

(٣) أى : جعل نون الوقاية فى : أنكرن ، مع النونات التى فى قوافيه

* ذو الرمة : = (١٢٦)

تمام البيت ، وهو مطلع القصيدة الأولى فى ديوانه : * كأنه من كلى مفرية سرب *

والميمية :

أأَنْ تَرَسَّمتَ من خَرْقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عَينيك مسجومُ(١)

وإنما ذكرتُ هاتين القصيدتين لأَنهما على طولِهما سلِمتا من الزِّحافِ الظاهرِ فى الغريزةِ ، ولم يأْتِ فيهما نحوٌ من قولِ «الأَعشى» :

عُلِّقْتُها عَرَضا وعُلِّقَتْ رجلاً غيرى ، وعُلِّقَ أخرى غيرَها الرجل(٢)

ولا مثلُ قولِ «زهَيْر*» :

قد جَعَلَ المُبتَغونَ الخيرَ فى هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابِـه طُرُقَـا(٣)

ولا مثلُ قولِ الآخرِ :

|| نَكفيه إنْ نحنُ مُتْنا أن يُسَبَّ بنا وهْوَ إذا ذُكِرَ الأَبناءُ يَكفينـا (٩٨)

فانتقض ترتيبُ الدُّكانِ(٤) حتى صار كأَنه كلمةُ «عَدِىِّ بنِ زيدٍ*» التى على الراءِ المقَيَّدة ، (٥) أو أَبياتِ «بَيْهس» المعروفِ بِـ : نعامة* » وإنما سمَّيتُها

---

(١) يروى : «أأن توسمت» (ف) ورواية الديوان، ط أوروبا: «أعن ترسمت» ولا أدرى ما وجهها . والبيت مطلع القصيدة الخامسة والسبعين من ديوانه .

(٢) من معلقة الأعشى البكرى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(٣) من قافيته فى مدح هرم بن سنان :

إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

(٤) دكان الصيدلانى ، الذى كان مرتبا على أحسن هيئة

(٥) يعنى قصيدة عدى الرائية المقيدة ، وهى من شواهد الغفران :

قد آن أن تصحو أو تقصرْ وقد أنى لما عهدت عُـصُرْ

وفيها قال أبو العلاء : « وإنى لأحار يا معاشر العرب فى هذه الأوزان التى نقلها عنكم الثقات وتداولتها الطبقات ، ومن كلمتك التى على الراء » (رسالة الغفران : ١٩٧)

* زهير بن أبى سلمى = ١٣٤

* عدى بن زيد ، العبادى = ١٦٢

* بيهس ، المعروف بنعامة : ابن هلال بن خلف ، من بنى ظالم بن فزارة بن ذبيان بن بغيض . من شعراء الآمدى ، قال فى ترجمته بالمؤتلف : « لقب بنعامة لطوله ، وكان على هوّجه شاعراً مجيداً وهو =

أبياتاً لأن الرُّواةَ يوقِعون عليها هذا الاسمَ ، ولا نِظامَ لها فى الحقيقةِ. والأبياتُ :

يالَها نفساً يالَها أنّى لها الطُّعمُ والسلامَهْ
قد قتل القومُ إخوتَهـا فبكلِّ أرضٍ زُقاءُ هامـه
فلأطرُقَنْ قوما وهم رقودٌ ولأَبْرُكَنْ بَرْكَ النعامـه
(175) قابِضَ رِجْلٍ وباسِطَ أخرى والسيفَ أَقرمُه أَسَامـه[1]

فترى الدُّكانَ وقد اختلط. إهْليجُه بالعُنَّابِ والصبَارِ ، ووَتِيرُه المعلولُ بسَليلِ المُصَابِ قد وقع فيه بعضُ الأدهانِ . وكذلك القاهى صار عُنجُدُه مع البَلَسِ وخليطِ الضروِ ، وفُرِىَ عَفْزُه بالقُمْروضِ ،ولحِقَ فى تغيُّرِ الهيئةِ بالصيدلانى[2] .

وتخلو عند ذلك أحشاءُ الخُضْرِ والسُّودِ اللواتى طالَ ما اشتملنَ على

=القائل : مكره أخوك لا بطل، فى قصة كانت له مع قبيلة أشجع ، وقتلت إخوته فألح عليهم حتى أدرك بثأره ، وشرح ذلك فى كتاب فزارة» — ص ٦٥ — وقال الميدانى فى أمثاله : كان أصغر إخوة سبعة وأقلهم حظاً من حب أمه . أغار قوم من أشجع عليهم فقتلوا إخوته وتركوه استصغاراً له واستحماقاً ، فثأر لإخوته وكان مع حمقه أحضر الناس جواباً ، تكلم بأمثال يعجز عنها البلغاء»

ويأتى ذكر بيهس فى كثير من الأمثال قالها : ثُكل أرأمها ولداً؛ لو خيرت لاخترت؛ لكن بالأثلاث لحما لا يظلل ...

(١) يشير بيهس إلى إخوته الذين قتلوا وثأرلهم . القصة بتفصيل فى (أمثال الميدانى ١/١٥٢). وقد ذكره «المتلمس» فى حماسيته :

ومن طلـب الأوتار ما حز أنفه قصير وخاض الموت بالسيف بيهسُ
نعامة لمـا صرع القوم رهطه تبين فى أثوابه كيـف يلبس

والقرم : شدة شهوة اللحم ، وأسامة : من أسماء الأسد . والهامة ، واحدة الهام : من طير الليل وهو الصدى . وكانت العرب تزعم أن روح القتيل تصير هامة فتزقو عند قبره : اسقونى اسقونى؛ حتى يدرك ثأره .

(٢) الصبار : التمر الهندى (ف) ضبطه فى (ق) : كغراب ورمان . والوتير ، كأمير : نور الورد . وسليل المصاب : يعنى ما يؤخذ من قصب السكر من سكر وعسل . والعنجد ، كجعفر وقنفذ : الزبيب أو ضرب منه . وعنجد العنب صار عنجدا . والبلس : الزبيب والتين . والضرو : البطم . والعفز : الجوز. والقمروض : اللوز (ف ، ض) والدكان : الذى يباع فيه السكر واللوز والزبيب والفستق .

ضمائرَ حارَّةٍ باردةٍ ، تَلَذُّها أفْواهُ الواردةِ[١] .

ويُعَطَّلُ فى هذه الفادحةِ بيتُ المسيحِ فلا يدخُلُه المسلمُ ولا النصرانىُّ[٢] . ويكونُ ماؤه فى اليومِ الأولِ شخِيما وفى اليومِ الشافعِ باردًا ، ثم تَصْفَرُ أنابيبُ الحميمِ فتَصفِرُ بها جنودُ الريحِ[٣] .

ويأخذُ أخو الضَّغيل سَيفَه الذى يزعم أنه من الجِنْثِى المنسوبِ من رَهْطِ مِخْزَمٍ أو رَسوبٍ ، وذاتَ نِصابِه الجاريةَ على رءوسِ السُّوَقِ والملوكِ فلا تزالُ تَرتَعُ فى أسودَ حُلْكُوكٍ مثلِ التَّنُّومِ ، وأصهَبَ كأنه لِحَى الرُّومِ وخليسٍ كريمٍ الجاشِرِ ومُصَوِّحِ الرياضِ وأهلِ عَلْوَةَ إذا خالَطوا أهلَ طِرازٍ ، وأبيضَ كأنه الثَّغَامُ[٤] . ويُضيفُ إلى هذينِ المذكورَينِ ، صِنْوَيْنِ له مَملوكَيْن يَرعَيانِ فى الأماكنِ العزيزةِ وهما مُتفِقانِ ولا يُمكنُ أحدَهما مَرعَاه وهما مفترقان[٥] . فيذهب لشأنه فى أرضِ اللهِ أينَ ما وقَع خَدَمَ وأراقَ الدمَ ، فلا يُطلَبُ أبدًا بِثارٍ ولا يُحسَبُ قَبيحَ الآثارِ ، وقد حَمَلَ معه خَضراوَينِ تَمتلئانِ كلَّ يومٍ وتفرُغانِ من دماءِ أهلِ العَمَدِ أو أهلِ المغانى[٦] .

---

(١) يعنى بالخضر والسود : قنانى الأشربة من حارة و باردة .

(٢) بيت المسيح هنا : الحانة (ف) والشخيم : فى (ض) أنه بين الحار والبارد . وفى (ق) : المتغير الرائحة من فساد يقال : شخم الطعام ، فسد ؛ وأشخم اللبن تغيرت رائحته .

(٣) أنابيب الحميم ، أى الماء الساخن . وتصفر ، بالفتح ، تخلو فهى صفر أى خالية ؛ بابُه : فرح (ق) .

(٤) الضغيل يعنى صوت مص حجام (ف) وفى القاموس : الضغيل ، كأمير ، صوت فم الحجام إذا امتص محجمه . والجنثى : أجود الحديد . و يعنى برهط مخزم أو رسوب : السيوف . والحلكوك الشديد السواد . والتنوم : شجر يسود كله : والخليس : المختلط السواد والبياض . والجاشر : الجاف والمصوح : جاف النبات . وعلوة : من بلاد السودان . وطراز : من بلاد الترك (ف ، ض) والثغام : كسحاب : نبت أبيض ، واحدته ثغامة ، وأثغم الرأس صار كالثغام بياضاً (ق) والفقرة هنا عن الحجام والحلاق ، ومختلط الرءوس التى يحلقها بأمواسه .

(٥) يعنى بالصنوين اللذين لا يعملان إلا معاً : شق المقص .

(٦) يعنى بخضراوين : محجمين (ف) وأهل العمد ، جمع عمود : البدو الرحل . وأهل المغانى : الحضر .

وأما قَيْنُ القلَبة والخدم وصانعُ الرعاثِ والثُّوموالذى يُزيِّنُ صُغرياتِ الشناتر بالفَتَخَةِ || أو الحلقِ المتخَذِ من سَامِ خُزَيْبَةَ أو سِيَراءِ ذى سامَةَ[١] ، فخَمَدَ (176)
أَجِيجُ نارِه ، وخلَصَ من الجحيم شخصُ دِينارِه ؛ ورأيتَه يحملُ أداتَه ،
رَوْحَتَه للهرَبِ أو غَداتَه :

يا لَبَكْرٍ انشروا لى كُلَيْبــاً ‍ يالَبَكْرٍ أَيْنَ أينَ الفرارُ[٢]

فمثلُه مَثَلُ شاعرٍ مُجيدٍ كان يصنعُ فى مدائح « السيد عزيزِ الدولة ، أعز اللهُ نصرَه » صُنوفَ الأشعارِ المختلفةِ بين خفيفٍ وثقيل ، وكلاهما يَحْسُنُ من القيل ؛ وبَيتٍ قصُر وبيتٍ طالَ ، وكلٌّ ما صنَعَ ليس بالمِعْطالِ ؛ فَمِنْ قصيدةٍ كالخلخَالِ ليس بناؤها من معنًى بِخالٍ ، ومن أخرى مِثْلِ السِّوَارِ صدَرتْ عن صَدْرٍ بالفكرةِ شديدِ الأُوَارِ ، وسائرةٍ فى الآفاقِ خفيفةِ المَحْمَلِ على الرفاق ، كأنها القرطُ العَطِرُ أو الشَّنْفُ ، حمَلَتْه الأُذُنُ وسافَ رَيَّاه الأنفُ ، وأبياتٍ عُمِلَتْ فى بَديهٍ خُتِمَ بها المجلسُ ونَجوَى ناديه ، فكأنها خاتَمُ يدٍ خُتِمَ بها وقْتٌ غيرُ مُفَنَّدٍ ؛ فأدْركَتْه عِلَّةٌ من أَمْرِ اللهِ عَاقَتِ الخَلَدَ عن الفِكْرِ واللسانَ عن الذِّكْرِ .

وأما الهَالِكيُّ فى هذه الناحية ،فإنما يصنَعُ خَصِيناً أو مِسْحَاةً أو حِدَأَةً مُنَحَّاةً أو سِنَّةً يُنتَفَعُ بها فى المِعْزَقةِ[٣] . وربما صَنَع مُدْيةً لِلأَقلامِ وذاتَ جُزْأَةٍ يَنُمُّها أوداجُ الذبيحِ . ومهما فعَلَ فإنه لا محالة سيُرفَضُ فلا يُنظَرُ إليه.

---

(١) القين : الصائغ (ف) والقلبة : ضبطها فى الأصلين بكسر القاف . والذى فى (ق) : وبالضم : سوار المرأة ، ويثلث . والرعاث : الأقراط . والشناتر : الأصابع بلغة بنى تميم. والفتخة : حلقة الخاتم . وخزيبة — ضبطه فى القاموس كجهينة — وقال : معدن الذهب . ذوسامة : عرق الذهب

(٢) هذا البيت لمهلهل بن ربيعة (ف) يتوعد بنى بكر بعد مصرع «كليب» .

(٣) الهالكى : الحداد (ف) ومثله فى القاموس . والخصين : الفأس الصغيرة . والحدأة : فأس تكسر بها الحجارة . والسنة : التى يحرث بها (ض) .

وسوف تبطُلُ ذواتُ السموم[١] فلا ينتفعُ بها ، بالذنَبِ ولا الرأسِ ، ولا يَهَشُّ مَن أُولِعَ بها للمراسِ . وما يَصنعُ القومُ فى هذه الحِزَّةِ || بالنصيحِ (٩٩) والشَّليلِ ، وهو أوانُ يُلْقِى الرجلُ أسْمالَ قَميصه ويَقتنعُ بزهيدِ القوتِ لِخَميصه ؟[٢]

وكأنِّى بالضعَفاء من أَهْلِ القَصَبَةِ أو هذى القَرْياتِ وقد عَمَلوا || لهذه (177) البُقولِ فنهبوها نهبَ المنفِساتِ ، وحمَلوها فى الكرَزة والجُشْرِ إلى شُعْثٍ يابساتٍ من كلِّ عَجوزٍ كالسُّفُودِ لا تَعرفُ حَلْبَ الرَّفُودِ[٣] . فإذا فنِيَ ما ظهر منها للعَيْنِ حَفَرُوا عمَّا بَطنَ باليَدَيْنِ ، فترَى صاحبَ الجَمَّازَة من الحَليتِ يَحْتفرُ كأنه الشَّبُّ يَكشِفُ عن أُصولِ الرُّخامَى النابتةِ سَقَاها الربَبُ[٤] ، فهو كما قال «عَبِيد* » :

أَوْ شَبَبٌ يَحفِرُ الرُّخامَى تَحفِزُه شَمْأَلٌ هَبُوبُ

وكما قال «خُفاف* » :

يَصِيدُكَ العَيْرَ يَرُفُّ النَّدَى يَحفِرُ فى مُبْتَكرٍ رَاعِدِ

ويَيْئَسِ العاملُ ممَّا فى البُسْتانِ فيَنذُرُ الاستسقاءَ . وأفوزُ بالراحةِ بَعْضَ ساعةٍ من اليومِ ، فأكونُ كما قيل فى المَثَلِ : «نَعيمُ كَلْبٍ فى بُؤْسَى أهلِه »[٥] —

---

(١) ذوات السموم هنا : الإبر . وسم الإبرة ثقبها .

(٢) الحزة : الآونة . يقال : جئتك حزة كذا ، أى ساعتها . والنصيح : المخيط . والشليل : المشلول الذى لم تحكم خياطته (ض) .

(٣) الكرز : خُرج الراعى . جمعه : كرزة . والجشير : فى (ف) أنه الجوالق الصغير . والذى فى (ق) الجوالق الضخم .

(٤) الربب : الماء الكثير . والرخامى : ضرب من النبات . والشب ، بتضعيف الباء : الثور الوحشى . والجمازة من الحليت : الدراعة من الصوف الخشن . والرفود : من النوق ، التى تملأ الرفد فى حلبة واحدة ، والرفد ، والمرفد : القدح الضخم الذى يقرى فيه الضيف (ص)

(٥) المثل بلفظه فى (مجمع الأمثال : حرف النون) يضرب الرجل يأكل مال غيره فيسمن و ينعم ،=

* عبيد بن الأبرص الأسدى : = ٢٠٥ والبيت من معلقته : * أقفر من أهله ملحوب *

* خفاف ، بن ندبة السلمى = ٢٠٥ .

وذلك أن القومَ إذا أصابتْهم السَّنَةُ ماتَتْ أموالُهم فنَعِمَ بأَكْلِها الكَلْبُ[١] ـ ثم يجيء رسولُ المُلاَّكِ فأُقَرَّبُ إلى ما هوشرٌّ عليَّ وأَشَقُّ : أُوتَى بأَشياءَ كثيرةٍ مختلفةٍ يُرادُ مِنى أن أَسِيرَ حاملاً لها فى الرُّفْقَةِ ، منها جُرْبَةٌ فيها جَشِبٌ من الطعامِ ، وسَفِيحٌ قد مُلِئَ من الأَسْفارِ ، ومِخْلاةٌ عظيمةٌ قد أَخذتْ فوق ما تَحتمِلُ من العُسُومِ ، وقراطِفُ أَخْلاقٌ ، وبَراجِدُ وضروبٌ مما لا أَعْلَمُ إلا أنها مُثقِلة ولا أُطيقُ[٢] . فَأُحَمَّلُ وأنا أُفكِّرُ وآسَفُ على ما كنتُ فيه ، وأَتمنى العَدوةَ إلى هذا المَدَارِ ؛ والحِمْلُ يتساقَطُ ويتواقَعُ كما قال «سعدُ بنُ مالكٍ*» :

وتساقُطَ التَّنْواطِ والذَّنبا تِ إذ جُهِدَ الفِضاحُ[٣]
مَنْ فرَّ عنْ نِيرانِهـــا فأَنا ابنُ قيسٍ لا بَراحُ[٤]

= قال الميدانى : وأصله أن كلباً سمن لما هزل الناس لأكله الجيف . وذكره القالى فى أماليه (٢ : ٢٨ ، ٣٣٦) من أمثال العرب . وقال : وذلك أن الجدب والبؤس ، يكثر الموتى والجيف ، وذلك نعيم الكلب . وأنشد فى (٢/١٣٦) لامرأة رجل كان يحضر طعام الحجاج فكتبت إليه :

فأنت ككلب السوء جوَّع أهله فيهزل أهل البيت وهو سمين

(١) السنة : الجدب والقحط . أموالهم : أنعامهم .

(٢) جربة : لعلها أجربة جمع جراب ، وهو المزود أو الوعاء ، يجمع على : جرب وأجربة ، كما فى (ص ، ق ، ل) والجشب : وعاء كالجوالق ، والسفيح : الجوالق الصغير ونحوه ، والعسوم : الكسر اليابسة من الخبز ، والقراطف ، جمع قرطف ، كجعفر وهو القطيفة . والأخلاق : البالية ، والبراجد : جمع برجد وهو كساء غليظ (ق ، ص) .

(٣) من قصيدة حماسية مشهورة ، قالها يعرض بالحارث بن عباد البكرى وكان قداعتزل الحرب بين بكر وتغلب . وهى مذكورة فى كثير من كتب الأدب والشعر : فى الحماستين ، ومؤتلف الآمدى ، وذيل الأمالى للقالى (ص ٢٦) وأمثال الميدانى (١/١٣٧) وشرح شواهد المغنى (١٩٨) وشعراء الجاهلية (النصرانية ٢/١٦٤ وشواهد اللغة والنحو..... وأولها :

يـــا بـــؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا

التنواط : الدخلاء المنوطون بالقوم . والذنبات : الذيول المتخلفون.

(٤) الرواية المشهورة للبيت الثانى : * من صد عن نيرانها * وهو من شواهد النحاة (باب : لا) =

* سعد بن مالك ، بن ضبيعة بن ثعلبة البكرى، أحد سادات بكر بن وائل وشعرائها الفرسان وقادتها فى حرب البسوس (الآمدى ١٣٥) وهو جد طرفة بن العبد بن سفيان وأبو المرقش الأكبر ، وجد الأصغر . (الجمهرة ٣٠٠)

فيُلهِمُنى اللهُ تعالى أنى لا أخلُصُ إلاَّ بسُوءِ الخلُقِ، وألتَفِتُ فأرى عجوزًا تريدُ أن تركبَ || على ذلك الحمْلِ، أو شيخاً شَرًّا من تلك العجوز : (178)

سُلَيْمَى أنتِ فى العيرِ
قِفِى إن شِئتِ أو سِيرى

فأمّا أنا فما عندى من نَطِيشٍ. وآخُذُ عند ذلك فى ضربِ النَّدِّ والزَّمِّ. خَسا زَكَا، إليكَ إليكَ[1] :

مَنْ مُبلغٌ عنى يزيدَ بنَ الصَّعِق*
دونكَ ما استحسنتَه فاحْسُ وذُقْ
قد كنتُ حذرتُكَ آلَ المصطلقْ
وقلتُ يا هذا، أطِعْنى وانطلقْ

= لرفع اسم لا فى قوله : «لا براح» للضرورة، والوجه فيه البناء على الفتح، وقال سيبويه: جعل لا، كليس، فرفع النكرة وأضمر الخبر، كأنه قال : لا براح عندى فى الحرب . ووجهها عند ابن هشام فى (المغنى : الشاهد ٣٩٣) أن «لا» عاملة عمل ليس، وإنما لم يقدروها مهملة والرفع بالابتداء، لأنها حينئذ واجبة التكرار. قال : وفيه نظر، لجواز تركه فى الشعر .

والبيت فى (ص) لسعد بن مالك، شاهد على جواز رفع اسم لا، فتكون بمنزلة ليس. وجاء فى (ل: برح) شاهدا على مثل ذلك، من قول : سعد بن ناشب . قال ابن الأثير : البيت لسعد بن مالك يعرض بالحارث بن عباد وكان قد اعتزل حرب تغلب وبكر ابنى وائل . .
ومعناه فى شرح السيوطى لشواهد المغنى : فأنا ابن قيس، وحسبى بذلك نسباً .

(١) للنطيش: الحركة. الند: الفرد. والزم: الزوج. وخسا زكا، أى لعب الصبيان زوجاً وفرداً (ف)

والند فى (الصحاح) الفرد، وكأنه فى الحديث : الوتر . والزكا الشفع . وخسا زكا : فرد وزوج. وهو ما فى باب العدد من (ألفاظ ابن السكيت : ٥٨٧) وأنشده فيه للكميت :

مكارم لا تحصى إذا نحن لم نقل خسا أو زكا فيها نعد خلالها

* يزيد بن الصعق : يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الكلابى – انظر عمرو بن الصعق : ص ٤١٩ – ذكره الميدانى فى المثل: «ذكرتنى الطعن وكنت ناسياً» قاله يزيد بن الصعق. (١/٢٧٩) وذكره البكرى فى التنبيه على وهم القالى فى قصيدة قال فى الأمالى (٢/٩١) إنها لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية . وقال البكرى إنها لليلى بنت يزيد بن الصعق (التنبيه : ٨٧) .

إنكَ إنْ حمَّلتَنى ما لم أُطِقْ
ساءَك ما سرَّك منى من خُلق

والذين أرادوا تحميلى، قيامٌ ينظرون ويقولون: ما كانت هذه له بعادةٍ !

وقد زعمتْ أنى تغيَّرتُ بعدَها ومَنْ ذا الذى يا عَزَّ لا يتغيرُ [١]

فأُضرَبُ عِصِيًّا كثيرةً وأنا لا أزيدُ على خبْطِ الأَرضِ بالحوافِرِ ، فليت شِعرى على أىِّ صَرْعَىَّ أقعُ ؟ هل أُترَكُ وما أُريدُ ، أم أُحمَلُ على شَصاصاء ؟

وأما يَهُودُ فهى فى هذه البلدةِ ثلاثُ فِرَقٍ : صَبَّاغون ، ودَبَّاغون ، وحاكَةٌ فى الكلِمِ لاغون .

فأَما أهلُ الصِّبْغِ فيَردُّون إلى الناسِ مَتاعَهم أصفرَ وأحمرَ وأَزرقَ كأَنه أنوارُ الربيعِ ، وإن قدَروا على ما فى الأَنفُس لَحِقُوا باليَرابيعِ . وأَمَّا أَصحابُ الأَهَبِ والنفوس فيُشفقون عليها إشفاقَ تاجرِ اليَمنِ على الشفوف[٢] ، ويَروْن الآفِقَ مَن حَفِظَ أَفيقَه [٣] ، وفائتَ المنيَّةِ من أحرز مَنيئتَه[٤] . فيظَلُّ الواحدُ منهم وقد جمع فوق رأسه أصنافاً من الأدمةِ وهو يتخيَّرُ لها المعاقل. وأَين الهربُ من قضاء الله ؟

---

(١) البيت لكثير – ٣٥٧ – فى عزة : وبعده :

تغير جسمى والخليقة كالتى عهدتِ ولم يخبر بسرك مخبر

وفى الأمالى (٢/١٠٧) عن العتبى ، أن عزة دخلت على عبد الملك بن مروان فسألها : أنت عزة كثير ؟ فقالت : أنا أم بكر الضمرية . فقال لها : أتروين قول كثير (وأنشد البيتين) فقالت : لا أروى هذا ، ولكنى أروى قوله :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيـــلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

(٢) الشفوف : رقاق النسيج . والنفوس هنا جمع نفس ملء الكف من الدباغ . والأهب : الجلود (ف ، ض) جمع إهاب

(٣) الآفق : الذى بلغ النهاية فى العلم . والأفيق : الأديم الذى فى الدباغ .

(٤) فى ض [من حفظ منيئته] المنيئة ، الأديم . . والمدبغة (ق : م ن أ) .

لَنْ يُسبَقَ ، اللهُ علـى حِمارِ ولا على ذى مَيعَةٍ سَيَّارِ
(179) || قد يُصبحُ اللهُ أمام السارِ[١]

||وأما الحائِكُ فيطوِى الشُّقَّةَ وبعضُها قد نُسِجَ وبعضُها ليس بنسيجٍ ، (١٠٠)
كأنها كلمةُ الفحلِ من الشعراء قد نَظَمَ بعضَها وتصوَّرَ الغابرَ منها
وإنما شبَّهتُه بالشاعرِ لأن «كعبَ بنَ زُهَيْر*» قال :

فَمن لِلقَوافى بعدَ كعبٍ يَحُوكُها إذا ما ثَوَى كعبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[٢]*

وإنكَ لَتُشاهِدُ هذا الرجلَ من يهودَ وقد أَحَسَّ بالخُوَيْخِيَّةِ فصارَ وجهُه مثلَ الفِرْسِكَةِ ، وعَمَدَ إلى الخَوْخَةِ فاستخرج منها مشمشيَّاتِ الألوانِ كان يدَّخِرُها لِأُمِّ خَشَّافٍ والعَنْقَفيرِ ، وجعَلَ هِبْرِزِيًّا فى فيه وأَزَمَ عليه إلا مِقدارَ الحَذْرَفوتِ ، فكأنَّما غيَّب منه الفوقانيةَ إلا مِثلَ الفَسيطِ[٣] . وبادَر به إلى المُكارينَ يَكْشِرُ لهم عن ذلك الخَبيء . ويَكونُ كِراؤهم قد وقع بالدراهمِ ، فتَحمِلُهم الرغبةُ فيما ظهر لهم ، على الغَدْرِ . فكُلَّما أجابوه إلى ما يسأَلُ أبْرزَ لهم شيئاً من الدينارِ ، حتى إذا تَمَّت المُوافقةُ بَصَقَ نَقيشاً يتَلَهَّبُ[٤]

(١) فى بيان الجاحظ – كلام فى الأدب ١٧١/٣ – أن هذا الرجز لرجل ، هرب على حماره فراراً من وباء جارف ، فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعاً إلى قومه وقال : « لن يسبق الرجز .

(٢) رواية ابن سلام فى طبقات الشعراء: « فن للقوافى شأنها من يحوكها » ومثلها فى (الشعر والشعراء ٩١) ثوى : فى القبر ، وفوز : مات وهلك .

(٣) الخوخية : الداهية . والفرسك : الخوخ . والخوخة هنا مثل الكوة فى الجدار . ومشمشيات الألوان : يعنى الدنانير الذهبية فى لون المشمش . وأم خشاف والعقنقفير : الداهية . والهبرزى : الدينار أيضاً . أزم عليه : عض عليه ، والحذرفوت : قلامة الظفر ، وهو الفسيط (ف ، ض).

(٤) نقيش يتلهب : دينار ذهبى . يعنى : تحملهم الرغبة فى الدينار الذى أظهره اليهودى ، على الغدر بمن سبق الاتفاق معهم على الكراء بالدراهم ، لا بالدنانير .

* كعب بن زهير ، بن أبى سلمى = ١٧٨

* جرول : الحطيئة = ١٧٦

فبَلَّ عند ذلك بعَيْرٍ يَحمِلُ عليه أو بَغْلٍ[١] .

وإنكَ لَتَرى الضرورةَ الواقعةَ وقد فعلتْ فى القومِ الشىءَ وضِدَّه ، وذلك بقضاءِ اللهِ العالمِ بخَفِيِّ الأمور : فترى الرجُلَ أخا النشاط والمرَح قد حَمَلَ على ظهرِه الأَوْقَ المُثقِلَ ، فصار يَهدِجُ هِدَاجَ الشيخِ ويَدْلِفُ دَليفَ الهِمِّ الكبيرِ . وترى الآخرَ الذى كان يَمشِى هَوْناً على الأَرْضِ وقد استعجَله عن السَجِيَّةِ الخوفُ فأَرْغَبَ الشَّحْوَةَ واجتهد فى التَوَقُّصِ[٢] ، فيكونُ مَثَلُه ومَثَلُ الذى قَبْلَه ، مثلَ «امرئ القيس*» و «طَرَفَةَ*» وقد حَمَلَت الضرورةُ «الكِنْدِىَّ*» على أن يُسَكِّنَ الباءَ فى قولِه :

(180) فاليومَ أَشربْ غيرَ مُستَحقبٍ إثماً من اللهِ ولا واغِـــلِ

هكذا أَنشده «سيبويه*» وقد خُولِفَ فى هذه الرواية .

وحَمَلت الضرورةُ «البَكْرِىَّ*» على أن حَرَّكَ الباءَ فى قولِه :

---

(١) أى ظفر بحمار أو بغل يقضى أربه وينيل به حاجته .

(٢) الأوق : الحمل الثقيل . والهم ، بالكسر : الشيخ المسن . وأرغب الشحوة : وسع الخطوة . والتوقص : تقارب الخطو .

* الكندى ، امرؤ القيس (١٠٥) من قصيدته لما ثأر لأبيه حجر ، وقبله :

حلت لى الخمر وكنت امرأً عن شربها فى شغل شاغـــل

(الديوان ١٢٠ ، والكامل ١ / ٢٤٤) والشاهد هنا ذكره ابن قتيبة فى شواهد العيب فى الإعراب وقال : لولا أن النحويين يذكرون هذا البيت ويحتجون به فى تسكين المتحرك لاجتماع الحركات ، لظننته : فاليوم أسقى (الشعر والشعراء ١ /٩٨) وهى رواية شعراء الجاهلية ، وعلى هامشه : فاليوم فاشرب — وهى رواية ابن السكيت فى تهذيب الألفاظ (٢٢٥) ورواه مرة أخرى فى ص ٢٥٦ : اليوم أشرب .

والبيت من شواهد الغفران ، ذكره أبو العلاء لموضع الضرورة وقال : وبعضهم يروى : فاليوم أسقى . وإذا روى : فاليوم أشرب . فيجوز أن يكون ثم إشارة إلى الضم لاحكم لها فى الوزن .

وهو فى فصل علل العربية من (الخصائص ١ /٧٦) مما أسكنوا فيه الحرف إسكانا صريحاً . وانظر (الضرائر : ٢٢٥)

* سيبويه = ١٩٦

* البكرى ، طرفة بن العبد = ٤٤١

اِضربَ عنك الهمومَ طارقَها ضربَك بالسَّوْطِ قَوْنَسَ الفرس [1]

والبصَريون يَرون أنه أرادَ النونَ الخفيفةَ فحذفَها وبقيت الحركةُ. وكان «الفَرَّاءُ» يذهب إلى أنه لما تتابَعَ متحركاتٌ أربعٌ كلٌّ واحدٍ منها بعده ساكنٌ، حَسُنَ فى نَفْسِ الشاعرِ أن يُحرِّكَ بعضَ السواكنِ . وهذا قولٌ حَسَنٌ لأَن أَعْدَلَ الكلامِ عندهم متحركانِ بعدهما ساكِنٌ، أو ساكِنٌ بين مُتَحركينِ .

وإنكَ لَتَرى الرجلَ من يَهودَ ، وهم أهلُ لِينٍ وضَعْفٍ ، يُظهِرُ التشدُّدَ والتجلُّدَ على ما نزل فيخرُجُ به ما فَعَلَ عن الطبْعِ ،ويكونُ مَثَلُه مَثَلَ الحرفِ الذى يَقعُ به التشديدُ فى الوقْفِ ثم يُستَعملُ كذلك فى الوَصْلِ فيُنكرُه السمْعُ وتَنفرُ منه الغريزةُ ،كما قال «هِمْيَانُ بنُ قُحَافةَ* » وذكَرَ الثَّوْرَ الوحشِيَّ :

والقَطْرُ عن مَتْنيه مُرْمَعِلٌّ وهوَ إلى الأَرطاةِ مُستَظِلٌّ
يقولُ : أَصبِحْ ليلُ ، لو يَفْعَلٌّ حتى إذا الصبحُ بدا الأَشعَلٌّ
ظلَّ كَسَيْفٍ شافَه الصَّيقلٌّ [2]

ألا ترى إلى لامِ : الأَشعل ، والصيقل ، ويَفعل ،كيف خرجت بالتشديدِ

---

(١) البيت فى (ص :قونس) لطرفة ، شاهد على : القونس عظم ناتئ بين أذنى الفرس . قال : أراد : اضربن ، فحذف النون.وأنشده كذلك فى (نون) شاهداً على نون التوكيد ربما حذفت فى الوصل وفى (شرح شواهد المغنى) ما نصه :

« قيل : قاله طرفة . وقال ابن برى : إنه مصنوع. واضرب ، من الضرب بالمعجمة والموحدة . وضبطه بعضهم : اصرف ، بالصاد المهملة وبالفاء ، من : الصرف . قال العينى : وليس بصحيح . وأصله : اضربن ، بنون التأكيد الخفيفة ، حذفت للضرورة وبقيت الفتحة . والهموم مفعول . وطارقها بدل منه . وهو من : طرق الرجل إذا أتى أهله ليلا . وقونس ، مفعول المصدر — ضربك — وهو بفتح القاف والنون بينهما واو ساكنة وآخره سين مهملة : العظم الناتئ بين أذنى الفرس» ٣١٥ .

(٢) فى (ص : رمعل) . . وارمعل الدمع أى تتابع قطرانه ، بالعين والغين جميعاً . ونسبه الجوهرى للزفيان — السعدى — وروايته :

يقول نور صبح لو يفعل والقطر عن متنيه مرمغل
كنظم اللؤلؤ مرمعل تلفه نكباء أو شمأل

* هميان بن قحافة = ١٨٩ .

عن حالِ العرفانِ ؟ ويَهودُ لا بد لها من لِين. ومثلُها مثَلُ الأَشعارِ التى لا تخلو أَواخرُها من الحروفِ الليِّنةِ ، وإنما أُلزِمتْ ذلك لأَنه أَحْسَنُ[1] بها عند السَّماعِ وأَسْلَمُ لها فى اللفظ . وهى تنقسمُ قسمين : منها ما يلزَمُه مع اللِّينِ التقييدُ ، ومنها ما يكونُ مُطلَقاً . فالمُقَيَّدُ مع اللِّينِ مثلُ قولِ «طرفَةَ *» :

(181) مَن عائدِى الليلةَ أَمْ من نصيحْ   بِتُّ بِهَمٍّ ففؤادى قريحْ

ومِثلُ قولِ «ربيعةَ بنِ مُكدَّمٍ *» :

شُدِّى علىَّ العصْبَ أُمَّ سَيَّارْ   فقد رُزِيتُ فارساً كالدينارْ[2]

ولا يَنكسرُ لزومُ اللينِ هذا الوزْنَ بقولِ الراجزِ :

أَسْبلْنَ أَذيالَ الحِقِىِّ وارْبَعْنْ[3]
مَشىَ حَيِيَّاتٍ كأَنْ لم يَفزعْنْ
إن يُمنَعِ اليومَ نِساءٌ تُمنَعْنْ

---

(١) فى ف : [حسن].

(٢) الرجز من شواهد الغفران (٥٦٧) قاله ربيعة لأمه حين رمى بسهم وهو فى ظعن من قومه ، فشدت عليه أمه عصابة ، وكر راجعاً يشتد على العدو ودمه ينزف حتى أثخن . ونجا الظعن وهو يحميهن على متن فرسه معتمداً على رمحه . وقد مات . قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلا حمى الأظعان غيره . القصة بتفصيل فى الأمالى وأمثال الميدانى .

(٣) الحقى ، جمع حقو : الإزار . وهو أيضاً الخصر ، ومعقد الإزار . وهو فعول ، قلبت الواو الأولى ياء لتدغم فى التى بعدها (ص) واربعن : أقمن ، من : ربع بالمكان إذا أقام .

والرجز فى (خصائص ابن جنى ٢ / ٢٤٩) فى التزام العين فى القافية ، وليست واجبة .

وهو لغلام من بنى جذيمة، خرج يسوق نساءه هرباً من خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، حين سار إلى بنى جذيمة بعد فتح مكة (طبقات ابن سعد ٢ / ١٠٧ ، والسيرة الشامية ٤ / ٧٨) مع خلاف يسير .

* طرفة ، بن العبد = ٤٤١

* ربيعة بن مكدم : بن عامر بن خويلد بن خزيمة ، من بنى مالك بن كنانة، فارس العرب (جمهرة الأنساب ١٧٨) يضرب به المثل فى الزهو والفروسية وحماية الظعن (أمثال الميدانى ١ / ٢٢١) وهو من أعلام الغفران ، وشعراء الحماسة . وانظر طبقات ابن المعتز ١٤٧ ، وأمالى القالى ٢ / ٢٧٠ وذيل الأمالى ١٢ وتنبيه البكرى ٦٧ وسمط اللآلى ٩١١ .

لأنه محسوبٌ منَ الشوَاذِّ ، وإنما كلامُنا على ما يَكثُر ويُتَعارَف .

والأَوزانُ التى يَلزَمُها اللِّينُ والتقييدُ تسعةٌ عند «الخليلِ*» وعشرةٌ فى قول (١٠١)
«سَعيدِ بنِ مَسعَدةَ*» ولا أَذكُرُها فأُطيل .

والمُنطلِقُ الذى يَلْزَمُه اللِّينُ – وهو الأَلِفُ أَو الياءُ المكسورُ ما قبلها . والواوُ المضمومُ ما قبلها – مثلُ قولِ «أَبى خِرَاش*» :

لَعَمْرِى لقد راعتْ أُمَيْمَةَ طَلْعَتى وإن ثوائِى عندها لَقليلُ[1]

ومثلُ قولِ الآخرِ :

الخَيْرُ ما طلعتْ شَمْسٌ وما غَرَبَتْ مُعَلَّقٌ بنواصِى الخَيْلِ مَعصوبُ[2]

ومثلُ قولِ الآخرِ :

هَلاَّ سَأَلتَ برَامَةَ الأَطلالا ولقد سأَلتَ فمَا أَحَرْن سُؤَالاً[3]

فهذه أوزانٌ لا بُدَّ فى أَواخِرِها من أَحَدِ حروفِ اللِّينِ . وقد ذكر «سيبويهِ*» فى الإِدغام قولَ الشاعر :[4]

* وما كلُّ مُؤتٍ نُصحَه بِلَبيبِ *

(١) البيت مطلع قصيدة أبى خراش ، فى رثاء أخيه عروة (ديوان الهذليين ٢/١١٦)

(٢) معصوب : مرتبط ومعقود . من : العصابة ، كل ما يعصب به الرأس .

(٣) يقال : كلمته فما أحار جواباً، وما رجع إلىَّ حويراً ولاحويرة ولا محورة ولا حواراً ، أى ما رد جواباً (ص : س ر)

(٤) الشاعر : أبو الأسود الدؤلى (٢٤١) وصدر البيت

* وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * (طرة ف) و (ديوانه ط بغداد) :

* أبو خراش ، الهذلى : خويلد بن مرة ، من أعلام الغفران : عداء من فتاك الجاهلية ، وشاعر مخضرم (انظره فى ديوان الهذليين ، والاستيعاب ٢٩٢٨ ، والشعر والشعراء ٢/٥٥٤) .

* سعيد بن مسعدة ، المجاشعى – مولاهم – أبو الحسن الأخفش الأوسط ، من أكابر نحاة البصرة ويقال إنه أعلم من أخذ عن سيبويه . مات فى أوائل القرن الثالث (أخبار النحو يين ٤٩ ، نزهة الألبا ١٨٤ . إنباه الرواة ٢ – ٣٦ ، وفيات الأعيان ١ – ٢٠٨ ، وانظره فى أعلام الغفران .

* الخليل بن أحمد = ٣٨٦ . * سيبويه = ١٩٦ .

وذكرَ أن اللِّينَ له لازمٌ . ودَلَّ كلامُه على أنه لا يجوزُ أن يُستعمَلَ فى هذا الوزنِ قبلَ الرَوِىِّ ياءٌ مفتوحٌ ما قبلَها ولا واوٌ كذلك . وقد ذكر «حَبيبُ بنُ أوْسٍ* » فى (الحماسة) أبياتاً على هذا ‖ الوزنِ وقبلَ رَوِيِّها ياءٌ[1] مفتوحٌ ما قبلها ، وأولُها[2] : (182)

لَعَمْرُكَ ما أَخزَى إذا ما سببتنى إذا لم تَقُلْ بُطْلاً علىَّ ولا مَيْنَا

ويُروَى : نَسَبْتَنِى*: والأبياتُ معروفةٌ . وهذا خلافُ ما أَصَّلَه « سيبويه* » إلا أن قولَه يُحمَلُ على ما كَثُرَ وعُرِفَ ،لاعلى ما قلَّ ونَدَر. والياءُ والواوُ إذا انفتَح ما قبلهما ففيهما بَعضُ اللِّينِ وإن لم يَكمُلْ مثلَ كمالِه فى :عُودٍ ، وعِيدٍ. وهذا الوزنُ الذى زعم «سيبويه» أنه لا يُفارقهُ اللِّينُ ، لا يوجَدُ فى شعرِ العربِ إلا على ما قال ، ولو فارَقَه اللينُ لَضَعُفَ وقَبُحَ ، كما ضعُفَ قولُ « امرئِ القيسِ* »[3] :

ولقد رَحَلْتُ العِيسَ ثم زجرْتُها وَهْناً وقلتُ عليكِ خَيرَ مَعَدِّ
وعليكِ سَعدَ بنَ الضِّبابِ فَسَمِّحى سَيرًا إلى سَعْدٍ عليكِ بِسَعْدِ

أفلا تسمعُ هذه القافِيةَ كيف ضعُفتْ لِفَقدِ اللِّينِ ؟

فأَما الذى يلزمُه مع الرِّدْفِ التقييدُ فقد يَجىءُ ما قبلَ واوه ويائِه وهو مفتوحٌ ، وذلك فيه أكثرُ منه فى المُطلَقِ . قال الشاعرُ :

(١) كلمة [ياء] سقطت من (ض) المين الكذب ، والجمع ميون . يقال أكثر الظنون ميون . وقد مان الرجل يمين ميناً فهو مائن (ص)

(٢) البيت فى (الحماسة ١ / ١٢١) من أول قصيدة حماسية لجابر بن رألان السنبسى ، الطائى وروايته : إذا ما نسبتنى / بُطلا ومينا .

(٣) من قصيدة لامرئ القيس –١٠٥– فى مدح سعد بن الضباب الإيادى ، وكان قد أجاره عند نزوله على طيئ . وفى الطرة على هامش (ف) : قال ابن الكلبى : وكانت أم سعد تحت حُجر ، أبى امرئ القيس، فطلقها وكانت حاملا وهو لا يعلم . فتزوجها الضباب سيدبنى إياد ، فولدت سعداً فلحق به نسبه . ومثله فى (الشعر والشعراء ٥٩) وفى سعد بن الضباب يقول امرؤ القيس :

ونعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

* حبيب بن أوس ، أبو تمام = ٣١٠ . * سيبويه = ١٩٦

يارُبَّ مَنْ يُبغِضُ أَذْوادَنـــا   رُحْنَ على بغضائِه واغتدَيْنْ
لو يُصبِحُ المَرعَى على أنفِـــه   لَرُحْنَ منه أُصُلاً قد أَنينْ[1]

وقال الراجزُ :

ما لَكَ لا تَنْبَحُ يا كَلْبَ الدَّوْمْ   بعد هدوءِ الحيِّ أَصواتَ القَوْمْ
قد كنتَ نبَّاحا فما لَكَ اليَوْمْ[2]

فَمَثَلُ يَهُودَ مَثَلُ هذه القوافى لا يَحسُنُ بها فَقْدُ اللِّينِ .

وتَختلفُ آراءُ الناسِ فى هذه الجَولةِ وغيرِها من الجولاتِ ، ويكونُ اختلافُها مُتبايِناً كاختلافِ العربِ فى النشيدِ : فالمقيمُ منهم مَثَلُه مثَلُ الذى || يَقِفُ (183)
على البَيتِ المطلَقِ إذا أنشده بالسكونِ ، فيقولُ[3] :

أَقِلِّى اللَّومَ عاذِلَ والعِتـــابْ   وقولى إن أَصبْتُ لقـــد أَصابْ

والذى يَفِرُّ إلى مَظِنَّةِ الأَمْنِ ، مَثَلُه مَثَلُ الذى يُثبِتُ الأَلفَ للترنُّمِ فيقول : العتابا ، وأصابَا ؛ وهو الذى فعَلَ ما يجبُ . ومَن رحَلَ إلى موضِعٍ لا يأْمَنُ

---

(١) الذود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر . مؤنثة لا واحد لها من لفظها والكثير أذواد . وفى المثل : الذود إلى الذود إبل (ص) .
أنين : أى بلغن حاجتهن من الشبع (ف ، ض)
أنى : حان وأدرك ، وبلغ أناه ، بالفتح ويكسر : غايته أو نضجه وإدراكه (ق) .

(٢) الرجز ذكره الميدانى فى امثاله (٢٨٨/٢) يضرب لمن كبر وضعف . قال : وأصله أن رجلا كان له كلب كلما جاءت عير صاحبه نبح ، فأبطأت العير فقال : ما لك لا تنبح (الرجز) . وفى (ل : دوم) : الدوم الظل الدائم ، وأنشد ابن برى للقيط بن زرارة يوم جبلة :

يا قوم قد أحرقتمونى باللوم   ولم أقاتل عامرا قبل اليوم
شتـــان هذا والعناق والنوم   والمشرب البارد والظل الدوم

(٣) البيت للشاعر جرير – ١٢٠ – مطلع إحدى نقائضه ، يرد على الراعى النميرى . ويهجوه ، وهى مطولة (نحو ١٢٠ بيتاً) ورواية الديوان والنقائض: أقلى اللوم عاذل والعتابا/ أصابا . والرواية على التنوين : العتابن ، أصابن ، من شواهد المغنى فى تنوين الترنم (رقم ٥٥٩) ومعه شرح السيوطى للشواهد : ٢٥٥ ، وشواهد ابن جنى فى (خص ٩٦/٢) .

فيه ، فمَثَلُه مثلُ مَن يُنَوِّنُ القوافى فى غيرِ موضعِ التنوينِ ، فيقول :العتَابَنْ ، وأصابَنْ .

وإنكَ لَتُشاهِدُ فى القومِ الجالينَ رجلاً فيه أَيْدٌ وقوةٌ وقد نظر إلى رجُلٍ ضعيفٍ وعليه أَوْقٌ[1] ثقيلٌ فيقولُ : أَعْطِنى أَوْقَكَ أُخفِّفْ عنك ! فربما حمَلَه عنه الساعةَ أو الساعتينِ ، فإن كان المنقولُ إليه الثِقَلُ مُتقدِّماً فمثَلُه مَثَلُ الحرفِ الذى يكونُ قبل الحرفِ الموقوفِ عليه فتُنقَلُ إليه حركتُه ، كما قال «جريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلىُّ*» :

أنا جريرٌ كُنْيَتى أبو عَمِــرْ ... أَجُبناً وغيْرةً خلفَ السِّتِرْ

قد نصرَ اللهُ وسَعْدٌ فى القَصِرْ

يريدُ : أبا عَمْرو ، والقَصْرَ .

وقال آخرُ يومَ فَتْحِ مَكّةَ من حزبِ الكُفَّار[2] :

قد علِمتْ بيضاءُ من بنى فِهِرْ ... نقِيةُ الوجه نقية الصَّدِرْ

لَأَضربنَّ اليومَ عن أَبى صَخِرْ[3]

---

(١) الأوق : الحمل ، وأكثر ما يستعمل فى الثقل والشؤم . يقال : آق عليهم أوقاً ، أتاهم بالشؤم يثقل عليهم (ق) .

(٢) كذا فى الأصلين . والذى فى مصادرنا : قاله « الصحابى كرز بن جابر المحاربى الفهرى القرشى » ، وهو يومئذ من حزب الله ، لا الكفار .

(٣) وأبو صخر : هو الصحابى خنيس بن خالد الأشعر بن ربيعة الخزاعى – وفى رواية : خنيس بن خالد ، وحبيش – وكان كرز وأبو صخر فى خيل خالد بن الوليد يوم فتح مكة ، فشذا عنه خطأ فسلكا طريقاً غير طريقه فلقيهم نفر من مشركى قريش فقتلوا أبا صخر بن خالد الأشعر ، فجعله كرز ابن جابر الفهرى بين رجليه وظل يقاتل حتى قتل وهو يرتجز بهذه الأبيات .

(الاستيعاب ٢١٨٥ ، والسيرة لابن هشام ٤/٥٠ وتاريخ الطبرى ٤/٧٩)

* جرير بن عبد الله ، بن جابر الشليل ، بن مالك الجشمى ، أبو عمرو البجلى (جمهرة الأنساب ٣٦٥) سيد بجيلة فى أواخر الجاهلية ، وأدرك الإسلام فأسلم واعتز بمكانته لدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قال : «ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت . ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى» وقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يا جرير ، ما زلت شريفاً فى الجاهلية والإسلام (الاستيعاب رقم ٣٢٢) وانظر وهم « القالى » فى أماليه ٢/١١٥ ، وتنبيه البكرى عليه : ١٠٢ .

فهذا يستعملونه فى الوقفِ وليس بضرورةٍ . فإذا أطلقوا حُسِبَ من الضروراتِ كما قال «أوسُ بنُ حَجَر» :

‖ أَبَنِي لُبَيْنَى لَستُمُ بِيَدٍ   إلا يدًا ليست لها عضُدُ (١٠٢)

أَبنى لُبَينى إن أُمَّكمُ   أَمَةٌ وإن أَباكمُ عَبُدُ

(184) ‖ يريدُ : إن أَبا كم عَبْدٌ ، فحرَّك الباءَ بحركةِ الدالِ كأنه يريدُ الوَقفَ ثم أَطلقَ وبقيت الباءُ على الضمِّ .

وإن كان الذى ينتقِلُ إليه العبءُ متأَخرًا فى الرُّفقةِ ، فمثلُه مثَلُ الحرفِ الذى تأْتى حركتهُ على ما بعدَه ، كما قال رجلٌ من أَهلِ السَّراةِ :

أَلاَ رُبَّ مَوْلودٍ وليسَ له أَبٌ   وذى وَلَدٍ لم يَلْدِه أَبوانِ[1]

يَعنى آدمَ والمسيحَ صلَّى اللهُ عليهما . وكما قال الآخرُ :

فو اللهِ لولا بغضُكم ما تركتكم   ولكننى لم أَجْدِ من بُغضِكم بُدًّا

فسيبويه يرى فى قوله : « لم يَلْدَهُ أَبوانِ » أنه مفتوحُ الدالِ ، وأَنهم لما سكَّنُوا اللامَ وهى مكسورة فرارًا من الكسرِ ، لم يكونوا ليكسِروا الدالَ ، والفَتحةُ عنده لا لتقاءِ الساكنين ولإتباعِ الفتحِ الفَتحَ فى ياءِ : يَلْدَه . ومن أَجاز الكسرَ فى : لَم يَلْدِهِ ، فإنه يَحملُه على أَحدِ وجهَين : التقاء

(١) رواه فى الخزانة (١/٣٩٧ ، والكامل للمبرد ٣/١٧٧) « عجبت لمولود » قاله رجل من أزد السراة . والبيت من شواهد « المبرد » على جواز تسكين المكسور فى مثل : يلده ، سكن اللام وأصلها الكسر (الكامل ٣/١٧٧)

والشطر الثانى ، أنشده ابن جنى فى (خص ٢/٣٣٣ ، فصل الساكن والمتحرك) شاهدا على التقاء الساكنين : أراد الشاعر : لم يلدْه ، فأسكن اللام استثقالا الكسرة وحرك الدال الساكنة بعدها ، لالتقاء الساكنين . وهو من شواهد الكتاب (١/٣٤١) باب « ربّ » والمغنى (٢٠٩) قال ابن هشام : أراد عيسى وآدم عليهما السلام.

* وس بن حجر = ١٧٧

* سيبويه = ١٩٦

الساكنَين ، أو نقلِ حركةِ اللام إلى الدالِ . وهذا الوجهُ الذى يَصحُّ عليه التشبيهُ المقصودُ فى هذا الموضعِ من نَقْلِ العِبءِ عن المتقدمِ إلى المتأخرِ . وإنما قلتُ ذلكَ لأن الحركةَ ثِقَلٌ على الحرفِ . وقد قال بعضُ الناسِ فى قولِ «عامرِ بنِ جُوَيْن* » :

فلم أرَ مثلَهــا خُبَاسَةَ واحــدٍ ونَهنَهتُ نفسِى بعدما كِدتُ أفْعَلَهْ[١]

أنه نقَلَ حركةَ هاءِ التأنيثِ إلى اللامِ . فأما «سيبويه» فدلَّ كلامُه على أنه أراد : أن . ويقال : بل أراد النونَ الخفيفةَ . وإذا صحَّ مذهبُ من يزعُمُ أن حركةَ هاءِ التأنيثِ تُنقَلُ إلى ماقبلَها فى الوقفِ – وهى عندهم لُغةُ لَخميةَ – فهى مَثَلٌ لرجُلٍ طرَح ثِقَلَ نفسِه وحَمَلَ ثِقلَ غيرِه. وقد يتصرفُ ذلك على الحَمْدِ والذمِّ ، فإذا حُمِلَ على التضييعِ فهو مذمومٌ || كما قال القائلُ[٢] : (185)

كتارِكَةٍ ا بَيْضَهـــا بالعراءِ ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أخرى جَنَاحَا[٣]

وإذا حُمِلَ على الإيثارِ فهو مَحمودٌ ، كما قال «عروةُ بنُ الوَرد»* :

---

(١) الخباسة : الغنيمة (ف) .
والبيت يأتى بعد –ص٥٥٩– فى سياقه مع أبيات لعامر بن جوين ، من شواهد الصاهل والشاحج .
(٢) ابن هرمة ، أبو إسحق إبراهيم . يأتى فى أعلام الصاهل والشاحج . وقبل البيت :

وإنى وتركى ندى الأكرمــين وقدحى بكفى زندا شحاحا

(٣) البيت فى (أمثال الميدانى ١/١٤٧ ، ٢٢٥) للشاعر إبراهيم بن هرمة . وفى الشعر والشعراء (٢/٦٤٠) وعيون الأخبار لابن قتيبة ، كتاب الطبائع (٢/٨٧) وحماسة البحترى (١١٥) .
ويذكر معه بيت الحماسة «للعديل بن الفرخ العجلى» وكان قد هجا «الحجاج» وهرب إلى بلاد الروم ، فأنذره حتى جاء :

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت بنى بطنها ، هذا الضلال عن القصد

أنشده ابن الأنبارى (الأمالى ٢/١٣٩) وبيت إسماعيل بن عمار الأسدى . لما ولى خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن هبيرة ، أنشده المبرد فى (الكامل ٣/٨٣) :

كانوا كتاركة بنيها جانبـــاً سفهاً ، وغيرهم تصون وترضع

* عامر بن جوين ، الطائى = ٤٣٧
* عروة بن الورد ، العبسى = ١١٧

أَقسِّمُ نفسى فى جُسومٍ كثيرةٍ ... وأَحْسو قَرَاحَ الماءِ والماءُ باردُ[1]

ومن هذه اللغةِ اللخميةِ قولُ الشاعرِ:

فإِنى قد رأَيتُ بأَرضِ قومى ... حوادثَ كنتُ فى لَخمٍ أَخافَهْ

يُنشَدُ بفتحِ الفاءِ. وكذلك قولُ الراجز:

لَيسَ لواحدٍ علىَّ نِعْمَهْ

لا ولا اثنَيْنِ ولا أَهمَّهْ

يريدُ: ولا أَهمها. حكَاه «المفجَّعُ*» فى (حَدِّ الإِعراب)

---

(١) الرواية المشهورة: * أقسم جسمى فى جسوم كثيرة *

وذكر ابن قتيبة فى الشعر والشعراء، هذا البيت مع بيتين آخرين من دالية عروة، كان عبد الملك ابن مرورن ينشدها ويقول: ما يسرنى أن أحداً من العرب ولدنى إلا عروة، بقوله: (الأبيات)

ورواه القالى فى أماليه (٢/٢٠٥) فى أبيات لعروة، منها:

لا تشتمنى يا ابن ورد فإنه ... تعود على مالى الحقوق العوائد

فإنى امرؤ عافى إنائى شركة ... وأنت امرؤ عافى إنائك واحد

أقسم جسمى (البيت) فقال البكرى فى (التنبيه ١١٢) «هذا من أوهام أبى على رحمه الله وغفلته. كيف ينشد لابن الورد: لا تشتمنى يا ابن ورد؟ وإنما البيت الأول، لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة العبسى. وكان بينه وبين عروة تنافس، وكان قيس أكولا فكان عروة يعيره بذلك فى أشعاره، فمن ذلك قوله: فإنى امرؤ، أقسم جسمى (البيتان) فقال قيس يجيبه: لا تشتمنى يا ابن ورد (البيت) وبعده:

أتهزأ منى أن سمنت وقد ترى ... بجسمى مس الحق والحق جاهد

وكذلك جاء البيت: لا تشتمنى، مع أبيات عروة فى الشعر والشعراء (٥٦٦) والذى فى (كامل المبرد ١/٥٧): «وقال رجل من بنى عبس، يقوله لعروة بن الورد:

لا تشتمنى يا ابن ورد (البيت) ومعه البيتان: فإنى امرؤ/أقسم جسمى* وانظر سمط اللآلى ١/٨٦

* المفجع: البصرى، أبو عبد الله محمد، المعروف بمضراب اللبن، لقى ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره، وكان كاتب البصرة، أديباً شاعراً، شيعياً. ت سنة ٣١٢ هـ كما ذكر ياقوت عن المرزبانى (١٧/١٩٠) وكتابه (حد الإعراب) ذكره ابن النديم فى (الفهرست ١٢٣) وأبو العلاء فى الغفران. وانظر يتيمة الثعالبى ٢/٣٣٤ وإنباه القفطى ٣/٣١٢

وإنكَ لَترَى فى الظاعنينَ(١) شَهْلةً من النساء وهى على أَحَدِ بناتِ صَعْدَةَ وحِمْلُه من تحتُ مُتَشاوِلٌ كأَنه قولُ « زُهَيْرٍ* » :

وَلَنِعْمَ حشوُ الدِّرْعِ أَنتَ إذا نَهِلتْ من العَلَقِ الرماحُ وعَلَّت(٢)

والشطرُ الثانى زائدٌ على الشطرِ الأَولِ بثلاثةِ أحرفٍ. وكذلك قولُ الآخَرِ:

ولقد هدَيتُ الركْبَ فى دَيْمومَةٍ فيها الدليلُ يَعَضُّ بالخَمْسِ

فهذا زيادتُه فى شَطرِه الأَوَّلِ ، وهى ثلاثةُ أَحرفٍ(٣) .

ولا تَزالُ تلك الراكبةُ فى ويْلٍ وأَليلٍ واستغاثةٍ بالمكارِينَ(٤) ، فهل يَعرِفُ كرِيُّها قول « عُذَافِر بن أَوْسٍ الكندى** » :

يا ليتَ أَنى لم أكنْ كَرِيَّا
ولمْ أَسُقْ بِشَعْفَرَ المَطِيَّا
بَصْرِيَّةٌ تزوجتْ بَصريـــا
يُطعِمُها المالحَ والطـــرِيَّــا(٥)

---

(١) فى الظاعنين ، من الجالين . شهلة : عجوز (ف) وفى (ق) أنه خاص بالنساء . وبنات صعدة : حمر الوحش . ومتشاول : مرتفع (ف) .

(٢) رواية الديوان : * ولنعم حشو الدرع كان لها إذا *

ويروى * أنت لها إذا * وفى كلتا الروايتين يتعادل شطرا البيت فلا يزيد ثانيهما عن الأول بثلاثة أحرف ، كالرواية هنا :

العلق : الدم . والنهل والعلل : الشرب الأول ، والثانى بعده .

(٣) فى ف : [فهذا زيادة] وما هنا من (ض)

الديمومة : المفازة . والجمع دياميم . أخذها الجوهرى من : دائمة البعد (دوم) .

(٤) الأليل : الأنين (ف) والمكارون : جمع المكارى ، من يؤجر دابته بالكراء .

(٥) أنشده ثعلب فى (الفصيح ٨٨) لعذافر ، وقال : سمك مملوح ومليح ، إذا جعل عليه الملح ، ولا تقل : مالح ، وإن جاء عن بعضهم ، وقال عذافر . بصرية ... الطريا (الشطران الثالث والرابع) =

* زهير ، بن أبى سلمى = ١٣٤

* عذافر بن أوس ، الفقيمى الراجز (انظره مع الرجز فى جنة الغفران ٣٧٤) له أرجوزة مطولة فى الشعر والشعراء ٥٦٦ ، منها الأشطر التى هنا .

وربمَّا رأيتَ السُّبْرُوتَ(١) الضعيفَ وقد حَمَلَ أربعةً من أولادِه فى مِكْتَلَيْنِ أَو سَفيحيْنِ|| وجعلهم على حِمَارٍ وانٍ ، وإنَّ تلك لأُعجوبةٌ عند البهائمِ . (186)

ومثَلُهم مثلُ أَربعةِ أَحرُفٍ مُتحركاتٍ جُمِعَ بينهن فى الشعرِ فَشُهِرْنَ واستُثقِلْنَ كما قال «ابنُ مَيَّادَةَ*» :

|| له الفعالُ وله الوالدُ الأَكـــبَرُ فالأَكبَرُ فالأَكبرُ (١٠٣)

فلامُ الفعالِ ، والواوُ بعدها ، واللامُ والهاءُ : كلُّهنَّ متحركاتٌ . أفلا ترى كيف ثَقُلَ بهِنَّ الوزنُ ؟

وكذلك قولُ «الهُذَلى*» :

فَسَمِعَتْ نَبْأَةً منه وأَرْسَلَهـــا زُرْقَ العُيونِ على أعناقِها القِدَدُ

فأَمَّا المَحمَلُ فربما اجتمع فيه سِتةٌ من العَيْلةِ ، وليس لِذلك مَثَلٌ فى

= وقال ابن السكيت فى إصلاح المنطق : لم يجئ «مالح» فى شئ من الشعر إلا فى بيت لعذافر (المزهر ١/٢٠٤)

وأنشده الجوهرى فى (ملح) قال : وسمك مليح ومملوح ، ولا يقال : مالح . وأما قول عذافر : بصرية .... المالح والطريا ، فليس بحجة .

(١) ضبطه فى (القاموس) : كزنبور . وهو هنا الفقير ، كالسبريت والسبرات . والجمع سباريت . والسبروت أيضاً : القفر لا نبات فيه ، والغلام الأمرد .

* ابن ميادة : أبو شراحيل المرى الرماح بن أبرد بن ثريان – أو شريان – من بنى يربوع بن غيظ بن مرة الذبيانى (مؤتلف الآمدى ومعجم المرزبانى) ووقع فى جمهرة الأنساب (٢٤٢ ط أولى ذخائر) : الرقاع بن يزيد بن أبرد بن شريان ، وهو فى الإكمال لابن ماكولا (١٠٠/٤) كما فى المؤتلف والمعجم . شاعر أموى مقدم من خاصة شعراء بنى أمية ، وأحد ساقة الشعراء الثلاثة الذين يحتج بهم اللغويون ، ومن شعراء الحماسة (١٧٣/٢) وانظر (الموشح : ١٠٨ ، ٢٢٨ ، والشعر والشعراء ٦٥٥/٢) وشرح شواهد المغنى ٦) .

* الهذلى : أبوذويب خويلد بن خالد – ١٣٢ – من داليته فى (ديوان الهذليين ١/١٢٤)

أرسلها ، أى الكلاب (ف) ورواية الديوان فى سياق البيت هنا :

أمسى وأمسين لا يخشين بائجة إلا الضوارى فى أعناقها القدد
وكن بالروض لا يرغمن واحدة من عيشهن ولا يدرين كيف غدُ
فسمعـــت نبأة منه وآسدها كأنهن لدى أنسائه الـــبرد

والقدد ، جمع قدة : سيور تقلدها الكلاب (ف ، ض) .

المتحركاتِ إذا اجتمعن فى المنظومِ ، لأنه لا يُزَادُ فيه على جَمْعٍ بين أربعةِ أَحْرُفٍ متحركةٍ ، فأما النثرُ فيَجمَعُ الناطقُ فيه بينَ متحركاتٍ كثيرةٍ لأنه يقدرُ أن يقول : ضَرَبَ وفعَلَ وصنع . . إلى أن يَنقضىَ النَّفَسُ .

وأَكثرُ ما اجتمعَ فى كتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ من الحروفِ المتحركةِ ثمانيةٌ ، وذلك فى موضِعَيْن من (سورة يوسُفَ) : أحدُهما قولُه تعالى :

«إِنِى رأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كوكباً»(١) .

فبينَ واوِ كوكبٍ وياءِ رأَيتُ ، ثمانيةُ أَحرُفٍ كلُّهن متحركٌ .

والموضعُ الآخَرُ قولُه [تعالى] :

«حتى يَأْذَنَ لِىَ أَبِىَ أَو يَحكُمَ اللهُ لِىَ»(٢)

على قراءةِ مَن حرَّك الياءَ فى : لِىَ ، وأَبِىَ .

ومِثلُ هذينِ الموضِعَينِ قولُه تعالى :

«سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ»(٣)

[والغرضُ فى هذا ، مالا ياءَ فيه تحتملُ الحركةَ والسكونَ](٤) .

وربما عايَنت المرأَةَ الراكبةَ أو الماشِيةَ وعلى كَتِفِها أو فى حِجْرِها صَغيرٌ مثلُ التَّوْلَبِ ، وقد أَخذه منها أَبوه فتقدَّمَها بالخطوات ، وفَصَلَ بينها وبينَه سِواهُ ، فهى تَنظُرُ إلى وَلدِها نَظرَ شفيقٍ لا تَصِلُ إليه . وهو ينظرُ

(١) من الآية ٤ : سورة يوسف . (٢) من الآية ٨٠ سورة يوسف .

(٣) من آية القصص ٣٥ ، والخطاب فيها لموسى عليه السلام .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (ض) .

يعنى هنا : كآية يوسف : «حتى يأذن لى أبى» فالياء فيها تحتمل الحركة والسكون . وعلى القراءة بالسكون – تيسير الدانى ١٢٠ – لا تتوالى غير أربعة أحرف متحركات ، بخلاف آيتى القصص : «سنشد عضدك بأخيك» ويوسف : «رأيت أحد عشر كوكباً» .

وفى الطرة على الحفصية : قد وجد أكثر من سبعة أحرف متحركات متتاليات ، فقوله تعالى فى سورة المدثر : «ثم عبس وبسر ، ثم» توالت فيه تسعة أحرف متحركة ، من : ميم ثم الأولى ، إلى رثاء ثم الثانية . وقال سبحانه فى آية مريم : «إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا» فيها عشرة أحرف متحركة متتالية ، من باء «ربك» إلى لام «غلاماً» .

إليها نظرَ فَقيرٍ إلى ما فى الثَّدْىِ . فمَثَلُهما مَثَلُ المُضافِ والمُضافِ إليه
يُفْصَلُ بينهما بالظَّرْفِ والمصْدَرِ ، وكلٌّ واحدٍ منهما شديدُ الحاجةِ|| إلى صاحبِه ، (187)
كما قال «ابنُ قَميئةَ *» :

لَمَّا رأَتْ ساتِيدَما* استَعْبرتْ لِلهِ دَرُّ اليومَ مَنْ لاَمَهـــا[1]

تقديرُه : للهِ دَرُّ من لا مَها اليومَ . وقال الآخرُ :

فَرِشْنِى بِخَيرٍ لا أَكونَنْ ومِدْحَتِى كناحِتِ يوماً صَخرةٍ بِعَسِيلِ[2]

---

(١) البيت من قصيدة لعمرو ، فى سفره مع امرئ القيس . وهو من شواهد النحاة على الفصل بين المتضايفين : در من (مجالس ثعلب ١٥٢ ، والموشح ٧٩ ، والخزانة ٣٤٧/٢) وبعده :

تذكرت أرضاً بها أهلهـــا أخوالها فيها وأعمامهـــا

يعنى ابنته التى سألته وقد شارف بلاد الروم : * عن الأرض التى تنكر أعلامها* وإنما عنى نفسه ، أو تمثل ابنته معه . وقوله : * أخوالها فيها وأعمامها* من شواهد الكتاب (١٤٤/١) وأنشده ابن جنى فى (خص ٢)٤٢٧ ولك فى نصبها وجهان : على تقدير فعل ، أو البدل .

(٢) رشنى : أعطنى ، من : راش السهم إذا ألصق عليه الريش (ف)

والبيت من شواهد النحاة على الفصل بين المتضايفين: ناحت صخرة، بالظرف : يوماً .وأنشده فى (ل : عسل) شاهداً على : العسيل مكنسة الطيب ، وهى من شعر يكنس بها العطار بلاطه من العطر .

* ابن قميئة، عمرو : شاعر جاهلى قديم ، من شعراء الحماسة، وأول الطبقة الثامنة من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام) وهو صاحب امرئ القيس فى رحلته إلى قيصر الروم ، وإياه عنى بقوله :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيـــصرا
فقلت له لا تبك عينك إنمـــا نحاول ملكا أو نموت فنعـــذرا

فى (الشعر والشعراء ٣٧٦/١) أن عمرو بن قميئة كان من خدم حجر ، والد امرئ القيس . والذى فى الجمهرة أنه من بيت شرف وسيادة وشعر. جده: سعد بن مالك بن ضبيعة الشاعر الفارس ، من سادات قيس بن ثعلبة البكرى الوائلى المضرى . وعمه : المرقش الأكبر . وابن عمه : المرقش الأصغر. وابن عم أبيه: طرفة بن العبد (جمهرة الأنساب ٣٠٠) .

* ساتيدما : فى بلدان ياقوت أنه جبل بالهند ، وقيل موضع بين ميا فارقين وسعرت . وصح عند البقاعى أنه نهر بقرب أرزن ، ونقل عن شيخه : وكلامهم صريح فى أنه أعجمى اللفظ والمكان فلا تعرف مادته ولا وزنه ، والشعراء يتلاعبون بالكلام على مقتضى قرائحهم وتصرفاتهم وما يعرض لهم من الضرورات .

يُرِيدُ : كنَاحتِ صخرةٍ يوماً . والعَسِيلُ رِيشَةُ العَطَّارِ .

فإنْ بَعُدَ بِالطفلِ أبوه حتى تكثُرَ الفواصِلُ بينه وبين أمِّه ، فمَثَلُهما كمَثَلِ قولِ «ذى الرُّمَّة * » :

كأنَّ أصْواتَ مِن إيغالِهنَّ بنـــا أوَاخرِ المَيْسِ أصواتُ الفراريجِ

فرَّق بين أَصْواتِ ، وبين أواخرِ الميْسِ بقوله : من إيغالهن بنا . وهذا أكثرُ من الفرْقِ الأَوَّلِ وأشقُّ .

وقد تكونُ الوالدةُ من المُسْرِفاتِ فى الإلاَحةِ وسُوءِ الظِنَّةِ ، فيَشُفُّها أن تُفارِقَ وَلَدَها وإنْ كان بإزَائها على كتِفِ أبيه أو أخيه[1] ، فمثَلُهما مَثَلُ الباء الخافضة يُفَرِّقُ بينها وبين المخفوضِ وهى كأنها مُتصلة به لأنها حرفٌ واحدٌ لا يَقومُ بِنفسه . وذلك قليلٌ ردىءٌ . وقد رُوِىَ بيتٌ للفرزدقِ :

وإنى لأَطْوِى الكَشْحَ مِنْ دُونِ ما انطوَى وأقطعُ بالخَرْقِ الهَبُوعِ المُرَاجِمِ[2]

يريدُ : وأقطعُ بالهَبوعِ المُراجمِ الخَرْقَ . وهذا قبيحٌ مَعدوم . وقد كان «الفرزدقُ» يَتَّبعُ شواذَّ القولِ ويجىءُ بكلامِه على سُوءِ النظم[3] .

وأما[4] أتباعُ الناسِ فى هذه الرَّوْعةِ وغيرِها من الروعاتِ فإنهم على ضربين :

---

(١) الإلاحة : الإشفاق والحذر ، يشفها : يشق عليها . من : شفه الهم ، هزله (ص ، ق)

(٢) الخرق : القفر . والهبوع : التى تهبع بعنقها أى تمده فى السير . والمراجم، التى ترجم الأرض بأخفافها فى السير (ف ، ض) والبيت فى (ل : هبع) أنشده ابن الأعرابى ، وقال : إنما أراد : وأقطع الخرق بالهبوع ، فأتبع الجر الجر.

(٣) انظر فيه : الموشح للمرزبانى .

(٤) عود إلى وصف حال القوم ، على اختلاف أنماطهم ، فى جفلة الجلاء خوفاً من هجوم الروم

* ذو الرمة–١٢٦– من القصيدة التاسعة فى ديوانه. وفى شرحه : الميس شجر تعمل منه الرحال ، يقول : كأن أصوات أواخر الميس ، فجر بإضافة أصوات ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : من إيغالهن بنا . وهذا لا يجوز إلا فى ضرورات الشعر . ومثله فى (خص ٤٠٤/٢ ، والموشح ١٨٥) .

أحدُهما تابعٌ قديمٌ قد لَزِمَ أمرُه فصارَ كأنه من صَميمِ القَوْمِ فَمثَلُه مَثَلُ همزةِ أَحْمَرَ وإثْمِدٍ وإِصْبَع ، تَثبُتُ ثباتَ غيرها من‖ الأَصْلية . (188)

والضرْبُ الآخَرُ حَدَثَ مع الضرورةِ ، وهو على أنواع : منه ما زِيدَ للحاجةِ إليه فعُرِف مكانُ زيادتِه وثَقُلَ على الناهضِ بشئونه . فمَثَلُه مثَلُ ألفِ الاستفهامِ ووَاوِ العَطفِ وفائه وغيرِها من الحروفِ الفارِدَةِ تُزادُ على الأَبياتِ التامَّةِ وهي غَنِيَّةٌ عنها ، ليُعلمَ أنها استفهامٌ أو معطوفةٌ على ما قبلَها من الأَبياتِ . وقد حَكَى «محمدُ بنُ يزيدَ المُبَرِّدُ* » في (كتاب التعازى) أن بعضَ الرواةِ يُنشِدُ قول «الخنساء* » بزيادة أَلِفِ الاستفهام، يعنى قولَها :

أَقَذًى بِعيْنِك أَم بالعَيْنِ عُوَّارُ   أَم ذَرفَتْ أَنْ خَلَتْ من أَهْلِها الدارُ[1]

والبغداديون الآن يُنشِدون كثيرًا من أَبياتِ (قِفَا نَبْكِ) التي في أوائلِها : كأَن ، بزيادةِ واوِ العطفِ ، وهو شيءٌ أَخذوه عن الشيوخِ الماضينَ ، فيقولون :

‖ * وكأَنَّ دماءَ الهادياتِ بِنَحْرِه * (١٠٤)

* وكأَنَّ ذُرَا رأسِ المجَيْمِرِ غُدْوَةً *[2]

ولا أَستحسِنُ ذلك ، ولا أَزعُمُ أنه يفعلُه إلا قومٌ لا يَحْفِلون بإقامةِ

---

(١) مطلع قصيدتها الرائية من مراثيها فى أخيها صخر ، ويقال إنها أنشدتها فى سوق عكاظ ، وحكم لها النابغة : لولا أن أبا بصير سبقك لقلت إنك أشعر من بالموسم — وفيهم «حسان بن ثابت» ويروى البيت : قذى بعينك . . .

(٢) انظر الحوار فى هذه الأبيات ، فى رسالة الغفران ، مع امرئ القيس ، وتوجيه أبى العلاء لها — وقد علق على رواية البغداديين : وكأن ذرى ، وكأن مكاكى الجواء ، وكأن السباع (الأبيات) — بقوله على لسان امرئ القيس نفسه : «أبعد الله أولئك ، لقد أساءوا الرواية ، وإذا فعلوا ذلك فأى فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شىء يفعله من لا غريزة له فى معرفة وزن القريض ، فظنه المتأخرون أصلا فى المنظوم» ص ٣١٤.

* محمد بن يزيد المبرد ، أبو العباس الثمالى ، نسبة إلى ثمالة بن أحجن . شيخ أهل النحو والعربية فى القرن الثالث ، ومن أشهر مؤلفاته (كتاب الكامل) توفى ببغداد سنة ٢٨٥ هـ . وهو من أعلام الغفران وانظر مع الكامل : نزهة الألبا ٢٧٩ ، أخبار النحويين ٩٦ ، ابن خلكان ١/١٠٦ .

* الخنساء ، تماضر = ٣٢٦ .

الوزنِ . وقد حُكِيَ أنهم رُبما خَزَمُوا بالحرفَينِ مثل : هل ، وبل . وقد أُدُّعِيَ على «طرفةَ*» أنه خزم النصفَ الأوَّلَ والثانى فقال فى قصيدتهِ التى أَولُها :

" أَشجاكَ الرَّبْعُ أَم قِدَمُهْ   أَمْ رَمادٌ دارِسٌ حُمَمُه "

هــل تذكرون إذ نُقَتِّلُكُمْ   إذ لا يضرُّ مُعدِماً عَدمُهْ

فخزم الأَولَ بِهَلْ ، والثانى بإِذْ ، وإنما تقويمُ الوزنِ أن يُقالَ :

تذكرون إذ نُقَتِّلُكُمْ   لا يضُرُّ معدِماً عَــدَمُهْ

وكذلك ينشدُه البغداديون اليومَ ، والروايةُ الأخرى معروفةٌ . وقد ذُكِرَتْ عن «ابنِ الأعرابىِّ*» فى قِصَّته مع «الحُسَينِ بنِ الضحَّاكِ الخَليعِ*»

(189) ومن أتباعِ الناسِ ما يَلحَقُ || للضرورةِ إلا أن الحاجةَ إليه أَدْعى منه إلى ما تقدم ذِكرُه ، فيكونُ مثله مَثَلَ الواوِ والياءِ والأَلِفِ يُزَدْنَ لإِقامةِ الوزنِ ، كما قال الراجزُ :

لو أَنَّ عِندى مِائتَى دِرْهَامِ
لَابْتعْتُ دارًا فى بنى حَرامِ
وعِشتُ عَيْشَ الملكِ الهُمامِ
وسِرْتُ فى الأَرْضِ بِلا خاتامِ

فهذا زادَ الأَلفَ . وقال آخرُ فزادَ الواوَ :

خَوْدٌ أَناةٌ كالمَهاةِ عُطْبُولْ
كأَنَّما رِيقَتُها القَرَنْفُول

---

* طرفة ، بن العبد البكرى = ٤٤١ .

* ابن الأعرابى = ٣١٦ .

* الحسين بن الضحاك ، الخليع : أبو على ، الظريف من شعراء المجون فى العصر العباسى الأول ، وصاحب أبى نواس . نادم الأمين ، توفى سنة ٢٥١ هـ .
(الآمدى : المؤتلف والمختلف : ١١٣) ، وانظر (أمالى القالى ٢/٦٠) .

وأما قولُهم: أَنْظُورُ، يُريدون: أَنظرُ، فيُقال إنها لُغةٌ لِطيئٍ. قال الشاعرُ:

اللهُ يَعلمُ أنـا فى تَحمُّلِنـا يومَ الرحيلِ إلى أحبابِنا صُورُ(١)

وأنى أَيْنما يَثْنِى الهوَى عُنُقِى مِنْ حيثما يمَّمُوا أدنو فأَنْظُورُ

وأما قولُ «الوَليدِ بنِ يزيدَ*»:

إنى سَمِعتُ بلَيْـلٍ نحوَ الرُّصَافةِ رَنَّهْ(٢)

خرجتُ أَسحَبُ ذَيْـلى أنظورُ ما شأنُهُنَّـه

إذا بنـاتُ هِشامٍ يَنْدُبْنَ سَيِّـدَهُنَّه

يَنْدُبْنَ شيخاً كريماً قد كان يُكرِمُهُنَّه

فإنه فى كتاب «إسحقَ بنِ إبراهيمَ*»: أَنظُرُ ما شأْنهنَّه، بِغيرِ

(١) — البيت فى (ل: ص و ر) شاهد على: الصوَر، الميل، وأصاره أماله، وخص بعضهم به إمالة العنق. وصور يصور صوراً وهو أصور، والجمع صور (تهذيب الألفاظ ٥٥٢) والبيتان فى (ل: شرى) وروايته للبيت الثانى:

وأنى حوثما يشرى الهوى بصرى من حيث ما سلكوا أثنى فأنظور

يريد: أنظر، فأشبع ضمة الظاء فنشأت عنها واو.

(٢) — قابل على رواية الأغانى (٧/ ١٧) وفيها أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال هذه الأبيات عندما سمع صياحا من دار عمه هشام بن عبدالملك بن مروان وقيل له إن بنات هشام يبكينه.

إنى سمعت خليـلى نحو الرصافة رنـه

أقبلت أسحب ذيـلى أقول ما حالهنـه

إذا بنات هشـام يندبن والدهنـه

يدعون ويلا وعـولا والويل حل بهنـه

وقابل أيضا على (الشذرات ١/ ١٦٨)

* الوليد بن يزيد، بن عبد الملك بن مروان الأموى. خليع بنى مروان. ولى الخلافة بعد عمه هشام سنة ١٢٥هـ. وكان خليعاً متهما فى دينه، فأنكره الناس وأحاطوا به فى قصره فقتلوه سنة ١٢٦هـ الطبرى حوادث سنتى ١٢٥،١٢٦ نسب قريش: ١٦٦، الأغانى ٧/١ ومعها الغفران ٤٤٣)

* إسحاق بن إبراهيم: الموصلى، أبومحمد. أخذ الأدب واللغة عن الأصمعى وأبى عبيدة. ثم تعلم الغناء على أبيه فغلب عليه ونسب إليه لبراعته فيه. توفى سنة ٢٣٥ فى خلافة الواثق.

(الإنباه: ١/ ٢١٥ الأغانى ٥/ ٢٦٨ — نزهة الألبا ٢٢٧) وأعلام الغفران.

واوٍ . فإن صحت الروايةُ فهو كَسْرٌ على رأيِ « الخليلِ* » ولن يَخفَى قُبحه فى الغريزةِ . وإنْ أُنشِدَ بالواوِ على اللغةِ الطائيةِ فالوزنُ صحيحٌ . وقد زادُوا الياءَ فى : سواعيدَ ، وأزاميلَ ، قال « التغلبى* » :

(190) وَسواعيدَ يُخْتَلَيْنَ اختلاءً ‖ كالمَغَالِى يَطِرْنَ كلَّ مَطِيرِ[١]

وقال « الهُذَلى* » :

وِللقِسِىِّ أزاميلٌ وغَمْغمةٌ ‖ حِسَّ الشَّمالِ تَسوقُ الماءَ والبَرَدا[٢]

وبَعضُ الناسِ يكونُ له تابعٌ يَستزيدُه فى حالِ الإقامة ، فإذا حانَ الظَّعْنُ فارقه . فَمَثَلُه مثَلُ الحرفِ الموقوفِ عليه يُشدَّدُ فإذا زال الوقفُ تُرِكَ التشديدُ . فيقولون : الطوَلّ ، والأَفكَلّ . فإذا وصلوا الكلامَ لم يُشدِّدوا . وإنْ أَجْرَوه فى الوصْلِ على ما هو عليه فى الوقفِ ، فتلك عندهم ضرورةٌ . كما قال الراجز :[٣]

---

(١) يختلين : يقطعن . والمغالى : السهام التى يغلى بها أى يرمى لينظر مقدار ذهابها فى الأرض (ض) الواحد مغلى . ومغلاة (ل) .

(٢) البيت فى (ل : زمل) شاهد على أزملة القسى رنينها . والأزامل جمع إزمل : الأصوات المختلطة . ولا يقال منه فعل (شرح الديوان) .

(٣) الراجز : أبو الخضر اليربوعى (ف ، ض) يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان قد أجرى مهراً له فسبق . والأشطار هنا رواها القالى فى أماليه (١/٤٢) شاهداً على الأل : السرعة . وروايته : لا تشل ، كما هنا . والياء فيه للإشباع .

مهر أبى الحبحاب لا تشلى ‖ بارك فيك الله من ذى أل

ونبه البكرى فى (التنبيه ٢٩) « الصحيح أنه يخاطب مهراً لا مهرة ، والصواب إنشاده : لا تشل ، بغير ياء ، وبارك فيكَ ، بفتح الكاف » وانظر سمط اللآلى ١/١٧٣

وأنشده ابن السكيت « لا تشلى » خطابا لمهر ، والياء للاطلاق ، بدليل قوله بعده : من ذى ألّ » (إصلاح المنطق ١/٣٠) ونظّر له فى (ل) بقول امرئ القيس :

« ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى » (البيت)

* الخليل : بن أحمد ، البصرى العروضى = ٣٨٦
* التغلبى : الأخطل = ١٥٦
* الهذلى : عبد مناف بن ربيع (ف) = ٤٠٢

من داليته ، يذكر يوم أنف عاد ، ومطلعها فى (ديوان الهذليين ٢/٣٨) :

ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما ‖ لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصباً ‖ من بطن حلية لا رطباً ولا نقدا

وهذان البيتان أيضاً ، من شواهد الصاهل والشاحج (٥٠١) .

مُهْرَ أَبي الحَبْحابِ لا تَشَلِّى   بارَكَ فيكَ اللهُ من ذى أَلِّ
ومن مُوَصًّى لم يَدَعْ قِيلاً لى   إذ أَخذَ القلوبَ كالإِفكلِ
خَوارِجاً من لَغَطِ القَسْطلِّ

وربما كان التابعُ أَشَدَّ لزوماً من هذا النوع فيُلْغَى عند الضرورةِ — ولا يثبتُ سوى الصميمِ . فمثَلُه مثلُ الواوِ والياءِ اللاحقتين هاءَ الإضمارِ فى مثلِ قولِك : لهُ ، وبهِ . يُحذَفانِ عند الضرورةِ فربما بَقِيت الحركةُ وربما أُلغِيَتْ ، كما قال «الهمدانى*» :

ولا يَسأَلُ الجارُ الغريبُ إذا شَتَا   بما زخرَتْ قِدْرى به يومَ ودَّعا[1]
فإِنْ يَكُ غَثًّا أَو سَميناً فإِننى   سأَجعلُ عينيه لنفسِهْ مَقْنَعا

وقال آخرُ :

أَنا ابنُ كلابٍ وابنُ قَيْسٍ فمَنْ يَكُنْ   قناعُه مُغطِياً فإِنِىَ مُجْتَلَى

(١٠٥) || فهذا لم يُلْقِ الحركة . وقال آخرُ فحذفَ الحركةَ بعد الحرف[2] :

أَنْحىَ علىَّ الدهرُ كفًّا ويَدَا   أَقسمَ لا يُصلِحُ إلا أَفْسَدَا
(191) || يُصْلِحُه اليومَ ويُفسِدُهْ غدَا

---

(١) البيت الأول فى (شرح أدب الكاتب ٣٥٦) شاهد على : زخرت غلت وارتفعت .

(٢) الرجز لدريد بن نهد القضاعى ، الشاعر الجاهلى القديم . ذكره ابن قتيبة مع أبيات لدريد ، فى حديثه عن أوائل الشعراء . وروايته فى (الشعر والشعراء ١/٤٨) للشطرين الأولين :

ألوى على الدهر رجلا ويدا   والدهر ما أصلح يوماً أفسدا

لكن البحترى نسبه فى حماسته (٣٤٢) إلى «سليمان بن المهاجر» وروايته كرواية ابن قتيبة .

* الهمدانى : مالك بن حريم بن مالك الجشمى الهمدانى (جمهرة الأنساب ٣٧١) شاعر جاهلى فحل ، قال مفتخراً :

بذلك أوصانى حريم بن مالك   بأن قليل الذم غير قليل

(معجم المرزبانى ٣٥٧ ، ٤٩٤ ، والسمط ١/١٠٩)

وقال رجلٌ من أهلِ السَّراة :(١)

فبتُّ لدى البيتِ العتيقِ أُخيلُه ومِطْوَاىَ مُشتاقانِ لهْ أَرِقانِ

ويَدخُلُ فى هذا الجنسِ حَذْفُ التنوينِ ، كما قال :

كفانى ما خشِيتُ أَبو فِراسٍ ومثلُ أَبى فراسٍ كفى وزادا

والضرورةُ تحملُ الرجلَ على أَن يُفارِقَ من الأَتباعِ مَنْ هو إليه مُحتاج مفتقر ، إلا أَنه عند الشدةِ يقتصِرُ على اللوازمِ ، كما قال « العَبْدِىُّ* » :

وسائلةٍ بِثعلبــةَ بنِ سَيْرٍ وقد علِقتْ بثعلبةَ العَلُوقُ(٢)

يريدُ : بثعلبةَ بنِ سَيَّارٍ ، فرَدَّه من : فعَّالٍ وهو اسمُ فاعلٍ ، إلى : فَعْلٍ ، وهو مصدر .

وما أَجدرَك أَن ترى فى نهْجِ الصُّرْمان وغيرِها من المَدَارِع(٣) الشرقيةِ ثلاثةً

---

(١) المطوان : الصاحبان والمطيتان ، ويقال العينان (ض) مثنى مطو ، بالكسر ، وهو النظير والصاحب (ق) ومحل الشاهد فى : له ، أسكن هاء الضمير وحذف واو الإشباع فى (ل ، مطا) أنشده ابن برى لرجل من أزد السراة يصف برقاً وذكر الأصبهانى أنه يعلى بن الأحول .

والشاهد فى باب تعارض السماع والقياس بخصائص ابن جنى (١/ ١٣٤) : «أجرى الشاعر الوصل فى له ، مجرى الوقف . على أن أبا الحسن حكى أن سكون الهاء فى هذا النحو ، لغة لأهل السراة » .

(٢) البيت فى خصائص ابن جنى (٢/ ٤٣٦) فى التحريف المسموع غير المقيس ، يريد : ثعلبة بن سيار . وأنشده الجوهرى فى (س ى ر) ولم يسم قائله ، وقال : أراد الشاعر : ثعلبة بن سيار ، فلم يمكنه لأجل الوزن ، فقال : سير . ثم أنشده فى (ع ل ق) للمفضل النكرى ، شاهداً على العلوق : ما يعلق بالإنسان . والمنية علوق وعلاقة .

(٣) الصرمان ، بالضم : المكان الضيق السريع السيل (ق) والمدارع التى تقرب من الريف (ف ، ض) وفى (ص ، ق) : المدارع القرى بين الريف والبر . الواحد مدراع .

* العبدى : المفضل النكرى ، ابن معشر بن أسجم بن عدى بن شيبان ، من بنى نكرة بن لكيز ابن أفصى بن عبد القيس ، رهط المثقب والممزق العبديين . وهو صاحب القصيدة المنصفة (جمهرة الأنساب ٢٨٢) ومن فحول شعراء البحرين (طبقات ابن سلام ..) والبيت من قصيدته المنصفة الأصمعية ، وهى من حماسيات البحترى ٦٢ :

ألم تر أن جيرتنا استقلـــوا فنيَّتنــــا ونيتهم فريــق

يَتعاقبون حِمارًا ضعيفاً كأَنهم الحركاتُ الثلاثُ المُتعاوِراتُ آخرَ الأَسماءِ ، يَدخُلْنَ على دَمٍ وإِنْ قصُرَ ، كما يدخُلنَ على سَفرجَلٍ وإن طال ؛ أَو كأَنهم الحركتان والسكونُ أَو الحركتانِ والحَذْفُ الطارئُ على الأَفعالِ المُعْرَبةِ ! وما يفتـأُ فى الجالية ــ سَلَّمَهم اللهُ ــ اثنانِ يتعاقبان حمارًا بطيئاً أَو فارهاً قد أُثقِلَ فصارَ فى حُكْمِ البطىء . فكأَنهما الحركتانِ المتعاقبتانِ فى آخرِ ما لا يَنصَرِفُ ، أَو كأَنهما الحَرْفانِ المتعاقبان فى زِحافِ الشعْرِ إذا سقط أَحَدُهما ثبَتَ الآخرُ ، ويجوزُ أن يَثبُتا[١] جميعاً ولا يجوزُ أَن يَجتمعَ فيهما السقوط . وهذان الرجلانِ ربما حَمَلهما الأَيْنُ على أَن يركبا البَهيمةَ معاً . إلا أن ثباتَ الحَرفين فى الشعْرِ حَسَنٌ وركوبُ هذين الراكبينِ ظهرَ البهيمةِ قبيحٌ . ومِثْلُ ثباتِ الحرفين قول ‖ « امرئ القيس* » : (192)

ألا رُبَّ يومٍ صَالِحٍ لكَ منهن صالحٍ ولا سيما يومٌ بدَارةِ جُلْجُلِ[٢]

أَلا ترى أنه فى الغريزةِ مستقيمٌ ؟ وإذا سقط أَحدُ الحرْفينِ أَنكرتْه الحاسَّةُ كما أَنشدَه بعضُ الرُّواةِ :

* أَلا رُبَّ يَومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ *

فهذا يَبينُ زِحَافُه فى الحِسِّ ، وهو سقوطُ السابعِ من الجزءِ السباعِيِّ .

---

(١) فى ض : [ويجوز إثباتهما] .

(٢) فى ض : [صالح لك منهم] .

* امرؤ القيس — ١٠٥ — البيت العاشر من معلقته ، فى رواية التبريزى ، وهى كما هنا وقال : ويروى : * ألا رب يوم صالح لك منهم * عناهن وعنى أهلهن فقال : منهم . ويروى : * صالح لك منهما * وأجود الروايات : * ألا رب يوم لك منهن صالح * على ما فيه من الكف ، وهو حذف النون من : مفاعيلن (ص ١٣) .

وفى رسالة الغفران ، فى لقاء ابن القارح بامرئ القيس : أنشد البيت وسأله : « أتنشده * لك منهن صالح * فتزاحف الكف ؟ أم تنشده على الرواية الأخرى ؟ — يعنى : صالح لك منهم — فيقول امرؤ القيس : أما أنا فما قلت فى الجاهلية إلا بزحاف : * لك منهن صالح * وأما المعلمون فى الإسلام فغيروه على حسب ما يريدون ، ولا بأس بالوجه الذى اختاروه . . » ٣١٧ ذخائر .

ومعاقِبه الخامس الذى بينه وبينه حرفٌ متحركٌ ، وقد سقط الخامسُ فى قوله :

إذا قامتا تضوَّعَ المِسْكُ منهما   نسيمَ الصَّبَا جاءَت بِرَيَّا القرنفُلِ[١]

فموضعُ الحرفِ الساقطِ ، بين التاءِ والضادِ من : تَضَوَّعَ .

ويجوزُ أَن تَلقَى الراكِبَينِ ، هذا يَركبُ مرَّةً وهذا يَركبُ مرةً ولا يَجتمعان أَلبَتَّةَ على الركوبِ . فيكونُ مَثَلُهما مَثَلَ الحرفينِ المُتَراقِبَينِ فى الشِعْرِ : يجوزُ أَن يَسقُطا على الانفرادِ ، ولا يجتمعانِ فى السقوطِ ولا فى الثباتِ . وإنما شَبَّهتُهما بالنَّجمَينِ المتراقِبَين إذا طلع أَحدُهما فى المشرقِ سقَطَ الآخَرُ فى المغربِ ، وذلك فى نجومِ الأَنواءِ الثمانيةِ والعشرينَ التى يَنزِلُها القمرُ . ورقيبُ النجمِ هو الخامسَ عَشرَ فى العددِ . قال الشاعرُ :

أَحَقًّا عِبادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ لاقِياً   بُثينةَ أَو يَلْقَى الثريَّا رقيبُها[٢]

أَى أَنهما لا يَلتقيان أَبدًا .

والذى يُضيفهُ الإنسانُ إلى نفسه من الناسِ فى هذه الشدائدِ ، تكونُ إضافتُه غيرَ مَحْضَةٍ ، بل هى فى نيَّةِ الانفصالِ ، مِثلِ إضافةِ اسمِ الفاعلِ إذا كان فى الحالِ أَو فى الاستقبالِ : يُضافُ وهو فى نيَّةِ التنوينِ ، أَلا تَرى أَنه لا يَتعرفُ بتلكَ الإِضافةِ ؟ وفى (الكتاب العزيز) :

---

(١) الضمير فى : قامتا ، لأم الحويرث وجارتها أم الرباب (ص) البيت الثامن من معلقته ، فى رواية التبريزى. وفى شرحه : المسك ، يذكر ويؤنث ، وكذلك العنبر.. وريا القرنفل: رائحته ، ولا يكون الريا إلا ريحا طيبة . ويروى : * إذا التفتت نحوى تضوع ريحها* (ص ١١)

(٢) البيت لجميل . فى (ل : رقب) شاهد على رقيب: النجم الذى يغيب بطلوعه . مثل الثريا رقيبها الإكليل . أنشده الفراء . وانظر معه فى (ل) رقباء النجوم المعروفة . وفى الصحاح : مثل الثريا رقيبها الإكليل إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ، وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا . وليس الرقيب هنا بمعنى الحارس ، كما فى قول ابن الدمينة ، أنشده ابن دريد:

أحقا عباد الله أن لست واردا   ولا صادرا إلا علىَّ رقيبُ

« هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا »[١] أى مُمْطِرٌ لنا .

وقال « جرير* » :

يارُبَّ غابطِنا لو كان يطلبُكم   لا قَى مُباعدةً منكم وحِرْمانا

(193) ولو كان لهؤلاءِ القومِ الظاعِنينَ فارسٌ مثلُ « العُرَنِىِّ* » وفرسٌ كالعَرَادةِ ، لَأَخذَ لهم الخَفَرَ من « حَلَبَ حرَسها اللهُ » فى الوقتِ الذى ليس بمتَطاولٍ ، فإن الأَخبارَ تختلفُ عند البَيانِ : فبعضُها يَتبينُ فى اليومِ الأَولِ ، فمَثَلُه مَثَلُ المَعنى الذى يتبينُ فى البيتِ الواحِدِ ، كقولِ « زُهيرٍ* » :

(١٠٦) تَحمَّلَ أَهلُها منهـا فبانوا   على آثارِ مَن ذهبَ العَفَـاءُ[٢]

وبعضُها لا يَتبيَّنُ إلا فى اليومِ الثانى ، فمَثَلُه مثلُ المعنَى المُستودَعِ فى البيتين ، كما قال « زُهَيرٌ » :

تا للهِ قد علمتْ سراةُ بنى   ذبيانَ عامَ الجَدْبِ والأَصْرِ[٣]

---

(١) من آية الأحقاف ٢٤ فى عاد : « فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم»

(٢) من قصيدته : * عفا من آل فاطمة الجواء * العفاء : دروس الأثر (ف) وفى (ض) تفسيرها هنا : التراب ، والهلك ، ودروس الأثر ، وكل ذلك صحيح . وفى (شرح ديوان زهير) أن قوله : * على آثار من ذهب العفاء * يحتمل أن تكون خبراً عن آل فاطمة أو دعاء عليهم . وفى المثل : « عليه العفاء» نقل الميدانى قول أبى عبيد : العفاء الدروس والهلاك . وأنشد بيت زهير . وقال : وهذا كقولهم : عليه الدبار ، إذا دعا عليه أن يدبر فلا يرجع . ونرى الإخبار أولى بالسياق .

(٣) الأصر : الحبس ، والثقل ، والعمر ، (ض) ، ورواية «ثعلب » فى الديوان ١ / ٨٨ :

تالله ذا قسـما لقـد علمت   ذبيان عـام الحبس والأصر

ونقل فيه رواية أخرى ، كرواية أبى العلاء هنا .

* جرير بن عطية — ١٢٠ — من قصيدته : * بان الخليط ولو طووعت ما بانا * الديوان : ٥٩٥ .

* العرنى : الكلحبة ، فارس العرادة : اسم فرسه . هبيرة بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع (المفضليات ٢٠ والمؤتلف ١٧٣) وجاء فى (جمهرة الأنساب ٢١٣) : « الطحلبة بن هبيرة . . . . بن عزير بن ثعلبة بن يربوع » فليحرر . من فرسان يربوع الشعراء فى الجاهلية . وهو ثانى شعراء المفضليات وانظر فيما يلى ص ٥٠٦ .

أَنْ نِعْمَ مُعتَرَكُ الجياعِ إذا حُبَّ الطعامُ وسابِئُ الخَمْرِ

وبعضُ الأَخبارِ لا يَتَبيَّنُ إلاَّ بعدَ أَيامٍ يَقِلُّ عَدَدُها أَو يَكثُرُ ، فمَثَلُه مَثَلُ المعنى الذى يُبدَأُ به فى البيتِ ثم لا يُعرَفُ تَمامُه إلا بعد أَبياتٍ ، كما قال «سحَيم* » :

فمَا بيضةٌ باتَ الظَّليمُ يَحُفُّها ويَرفَعُ عنها جُؤجؤًا مُتجافِيا[1]
ويَجعلُها بينَ الجناحِ ودَفِّه ويُلْحِفُها وَحْفاً من الريشِ وافيا
ويرفعُ عنـا وهى بيضاءُ طَلَّةٌ وقد وافقتْ فَرعاً من الشمسِ ضاحيا
بأَحسنَ منها يومَ قالت أَرائحٌ مع الركبِ أَم ثاوٍ لدينا لَيالِيَا

أَلا ترى أَن المعنى لم يَكمُل إلا فى البيت الرابع ؟

وقد أَنعمَ اللهُ على هذه الرُّفقةِ الراحلةِ بِأَمْنِها من العَربِ ،[2] بتدبير «السيدِ عزيزِ الدولةِ» ـ أَعزَّ اللهُ نَصره ـ لأَنَّ اللهَ سبحانه أَدَالَ به الرعيةَ ونَقلَها مما كانت فيه ، فكان مَثَلُها مَثَلَ لامِ التعريفِ ، لمَّا رآها اللهُ تعَالتْ قُدرتُه
(194) تُدْغَمُ فى ثلاثةَ عَشرَ حرفاً من حروفِ المعجَمِ على لُغةِ أَهلِ الحجازِ || والعَاليةِ وكلِّ ساكنٍ فى أَرضِ العربِ إلا مَن شاءَ اللهُ ، قيَّضَ لها قوماً من اليَمَنِ من

(١) جؤجؤا متجافيا : صدرا متراجعاً . والدف : الجنب . والوحف : الجناح الكثير الريش. طلة : غضة (ف) .

(٢) العرب هنا ، بمعنى الأعراب . وسيأتى كلام طويل عن جفوة الأعراب وخشونتهم ، و رقة الحضر ونعومتهم . تعريضاً بالأمر السلطانى بنقل «الرباب ، أم أسد الدولة» إلى حلب ، فى هذه الحفلة .

* سحيم – ٢٧٤ – على هامش (ف) حاشية باهتة يقرأ منها : وهو عبد بنى الحساس . . مولى بنى أسد . والأبيات من قصيدة سحيم (الديوان) :

عميرة ودع و إن تجهزت غاديـا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وهو من شواهد المغنى على مجىء فاعل : كفى ، مجرداً من الباء ، ووجه ذلك ، على ما اختار ابن هشام ، أن سحيما لم يستعمل كفى هنا ، بمعنى اكفف. ونقل السيوطى فى شرحه (ص ١١٢) ستة أبيات من هذه اليائية لسحيم ، منها البيتان الأول والرابع هنا وقال : وهى ثمانية وخمسون بيتاً . قال صاحب منتهى الطلب : كان ابن الأعرابى يسمى هذه القصيدة الديباج الخسروانى. ومثله فى الأغانى .

حِمْيَرَ ، يجعلونها مِيماً فلا تُدغَم فى شيءٍ من الحروفِ ، كما لا تُدْغَم فيها الميم والحروف التى تُدغَم فيها لام التعريفِ تنقسم فى ترتيبِ حروفِ المعجمِ ثلاثةَ أقسام : فالقسم الأول حَرفانِ متواليانِ وهما الثالثُ من حروفِ المعجَمِ والرابع ، وذلك : التاءُ والثاءُ . — والثانى : عشرةُ أحْرفٍ متوالياتٌ أَوَّلُها الدَّالُ على ترتيبِ حروفِ المعجَمِ وآخِرُها الظاءُ . والثالثُ : حَرْفٌ فاردٌ تُدغَم فيه اللامُ وهو النونُ . وأما لُغةُ حِمْيَرَ فى تَصييرِهم لامَ المعرفةِ مِيماً ، فقدجاءت فى الحديثِ المأثور عنه صلَّى الله عليه وسلمَ ، وذلك أنه قال : « ليس من امْبِرِ امْصِيامُ فى امْسفرِ »(١) ودخلَ « أبوهريرةَ* » على « عثمانَ* » وهومَحصورٌ فقال : « طابَ امْضربُ » يريد :طاب الضرب. وأنشد « أبو عُبَيدالقاسمُ بن سَلاَّمٍ* » :

ذاكَ خَليلى ، وذو يُناصِحُنى يَرمِى ورائى بامْسَهمِ وَامْسَلْمَه(٢)

(١) الحديث ، بهذا اللفظ ، فى مسند أحمد ، من حديث كعب بن عاصم الأشعرى ، مرفوعا . ومسند الشافعى ، عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم ، يرفعه (ص ٥٤ ط ١٣٢٧ هـ) وفى ترجمة كعب بالإصابة (٣٠٣ ت ٧٤١٠) .

(٢) من شواهد اللغويين على : ذو بمعنى الذى ، وإبدال لام «ال» بالميم ، لغة حمير . قاله « بجير بن عنمة ، أحد شعراء طيىء المقلين » كما فى شرح شواهد المغنى (٥٨) عن العينى . قال : وقد وقع فيه تركيب صدر بيت على عجز آخر ، فإن الرواية فيه :

وإن مولاى ذو يعيرنى لا إحنة بيننا ولا جرمه
ينصرنى منك غير معتذر يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

وأنشده الجوهرى فى (س ل م) شاهدًا واحدة السلام وهى الحجارة ، وروايته : ذاك خليلى وذو يعاتبنى .. يريد : بالسهم والسلمة ، وهى لغة حمير . وفى (مجالس ثعلب : ٧٣) أنها لغة للأزد مشهورة

* أبو هريرة ، الدوسى . الصحابى . مختلف فى اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً لايحاط به ولا يضبط ، فى الجاهلية والإسلام (الاستيعاب رقم ٣٢٠٨ والجمهرة (٣٦) أسلم عام خيبر وشهدها ، ثم لزم رسول الله ﷺ . فكان من أكثر الصحابة رواية للحديث .

* عثمان بن عفان ، أمير المؤمنين : حوصر يوم الدار ، يوم مقتله رضى الله عنه ، فى سنة ٣٥ هـ .

* أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، من أئمة العربية وأعلام الفقهاء والنبلاء ، ورواد المصنفين فى اللغة والفقة . ت ٢٢٤ هـ . (تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ ، ابن خلكان ١/ ٤١٨ ، طبقات الشافعية ١/ ٢٧٠ وطبقات القراء لابن الجزرى ١٦/٢ ومراتب النحويين ١٤٨ ، وفهرست ابن النديم ١٠٦ وإنباه القفطى ١٢/٣ تهذيب التهذيب ٣١٥/٨) .

يريد : بالسَّهْمِ والسَّلمَةِ . وأنشدَ غيره لِبعضِ شعراءِ اليمَنِ[١] :

نَبَّتَنِي حِبَّتِي رُهْمُ بوَجْهٍ مِثْلِ ذى امْشرْقِ
وفرعٍ مِثْـــلِ عنَّـابٍ وفَرْقٍ أيمـــا فَرْقِ
إذا تَمشِي تِـــدِفَّاعًا كَمشي امْفحلِ ذى امْوَسْقِ
ألا يالَيْتَهـــا لُدْغَتْ وأُدْعَى كِيمَ ذى أرقِى

أرادَ : الشرق ، والفحل[ذا] الوسق. وأراد بِلُدْغَتْ : لُدغَتْ ، فسكَّنَ على لغة ربيعة ، كما قال[٢] :

* دَبْرتْ صَفْحتاه وكاهلُه *

(195) وكأنك بالرجلِ من هؤلاءِ إذا سار|| الفَرسخَ أوالفرسَخينِ ، وضَعَ ما حَمَلَه فى دار المَضْيَعة فى بعضِ القرياتِ ثم رجع يَفتقد مَنزِلهَ وقد خبَأَ فى جُبٍّ له ما لا يمكنه أن يحمِلَه من القَرْبَشوشِ مِثْلِ إكافِ حِمارٍ متكسِّرٍ ، وتابوتٍ قدُمَ عليه العَهْدُ فتزايَلَ ، وجوَالِقٍ فيه عَفْصٌ أو نحو ذلك ؛ وظنَّ أنه قد أَحرزَه وهو ينادى على نَفسه بأَثرِ الطَّمْرِ والحفْرِ[٣] ، لو دَخلَ إليه مَنْ فى عينيه الهُدَبدُ[٤] والسَّمادِيرُ أَو الجَذَلُ أَو الجَثَرُ والظَّفْرةُ أو الجُدْجُد والقَمَعُ ، لم يَخْفَ عليه مكانُه . فمَثَلُه مثَلُ المضمَرِ على شَريطةِ التفسيرِ لا يَخفَى مَكانُه على السامِعينَ

---

(١) التدفاع : مصدر تدفعت المرأة تدفاعا . وكيم : صاحب ، بلغة حمير (ض) .

(٢) الأخطل : يهجو كعب بن جعيل ، وتمام البيت :

فإن أهجه يضجر كما ضجَّر بازل — من الأدم دبرت صفحتاه وكاهله

أنشده المبرد فى (الكامل ٣ / ١٧٧) بهذه الرواية شاهداً على جواز التسكين فى مثله ، إذا لم يكن من حركات الإعراب . وأنشده الجوهرى فى (أدم) برواية * من الأدم دبرت صفحتاه وغارب به * ومثله فى (ل) : للأخطل يهجو كعب بن جعيل ، خفف الحركة للضرورة .

(٣) القربشوش : قماش البيت أى متاعه . والعفص: ثمر شجرة من البلوط ، يتداوى به (ق)

(٤) فى ض [عليه نفسه] — الهدبد: العمش (ف) والألفاظ بعدها مما يعرض للعين من رمد. يعنى أن الكليل البصر يرى على ذلك الرجل ما يشهد بآثار حفره عما خبأ .

كما قالوا : نِعْمَ رجلاً زيدٌ . ألا ترى أن فى : نِعمَ ، ضميراً قد فَسَّره قولُك :
|| رجلاً ؟ وكذلك هذه الآيةُ : « إنَّه مَنْ يأْتِ رَبَّه مجْرِماً »(1) فالهاءُ فى : إنه . (١٠٧)
قد فسَّرتْها الجملةُ التى بَعدها .

فلْيَشكُرْ أهلُ هذه البلادِ ربَّهم عَزَّتْ كلمتُه ، ثم السيدَ «عزيزَ الدولةِ» ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ كما أصْلَحَ أمورَهم مع العَرب ، فسلكوا فى وَادٍ وجبَلٍ وهم آمنون ، وأن اللهَ سبحانه رَحِمَهم فلم يَجمَعْ عليهم خَوْفَين : خوفَ العربِ وخوفَ الرومِ ، كما لم يَجمَعْ على الحرفِ الواحدِ من الأسماءِ والأفعالِ عِلَّةَ العَيْنِ واللامِ فى حالٍ واحدةٍ ، ولكنْ إن اعتلت اللامُ صَحَّت العين ، وإن اعتلتْ العَينُ فاللام صَحيحةٌ لا محالة(2) . ألا ترى أن اللامَ لما اعتلتْ فى حياةٍ ونَواةٍ صحَّت العَينُ لا غيرَ ، وأن العَيْنَ لمَّا اعتلتْ فى غايةٍ ورايةٍ جاءَت اللام صحيحةً ؟ فأَمَّا شاءَ فعَينُه معتَلةٌ ولامُه صحيحةٌ ، لأَنها إمَّا همزةٌ أصليةٌ غير مُبْدَلة وإما مُبدَلةٌ من الياءِ. وكذلك قولُهم : شَوَى وعَوَى ، لمَّا اعتلَّتْ اللامُ لم يَكنْ بُدٌّ من
صِحَّة العَيْنِ .على أن ابنَ آدمَقد يُخالفُ اللفظَ. فىهذه الرُّتبةِ فتجتمعُ || فيه (196)
العِللُ الكثيرةُ ، ومَثَلُه فىذلك مَثَلُ البيتِ منالموزونِ يجوزُ أن يجتمعَ فيه زِحافٌ وخَرْمٌ وحذفُ ملازمٌ وضرورةُ شِعرٍ مع ذلك . وقد رُوِى أن «عَطاءَ بنَ أبى رَباح المكىّ*» كان أعورَ أَشَلَّ أعْرَجَ ، ثم عَمِىَ وأُقْعِدَ .

ولِزَعيمِ الرومِ أَوقاتٌ تكونُ مَظِنَّةً لنُهودِه إلى هذه الناحيةِ ، منها وقتُ الخريفِ إذا استقبلَ الشتاءَ وبعُدت الباديةُ عن هذه الأَرضِ، فمَثَلُه مَثَلُ الترخيمِ يوجدُ فى النداءِ دُونَ غيرِه فإذا جاءَ فى غَيرِ النداءِ فإنما تلك ضرورةٌ ، كما قال :

---

(١) من آية طه ٧٤ . (٢) يعنى بصحة الحرف المعتل ، هنا وفيما يلى : أن يتحرك .

* عطاء بن أبى رباح : أبو محمد القرشى ـ مولاهم ـ التابعى ، فقيه الحجاز ، ذكروا فى ترجمته أنه كان أسود أشل أفطس أعرج ، مشهوداً له بالصلاح والتقوى والفقه . انتهت إليه الفتوى بمكة . توفى سنة ١١٤ هـ (خلاصة التذهيب ١٢٥ ، والشذرات ١/١٤٧) .

إنَّ ابنَ حَارِثَ إن أَشْتَقْ لِرؤيته   أَو أَمتَدِحْه فإِن الناسَ قد عَلِموا[١]

وكما قال الآخرُ :

ولَيْلةٍ صَرِيمُها كالخَــزِّ   أَدْلجتُها من أَجلِ أُمِّ عَزٍّ

وأُمُّ عَزٍّ من عَتِيق البزِّ

يريدُ : أمّ عَزَّةَ .

وقدخرج زعيمُ الرومِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ[٢] فى إبَّانِ الربيع ، وإنما حمَلتْه على ذلك ضرورةٌ دعتْ إليه ، لأَنَّ مَن كان بِحَلبَ ، حَرَسَها اللهُ، استدعاه لينصُرَه على محاصِريه . والسيدُ « عزيزُ الدولةِ أعزَّ اللهُ نصرَه » مع مَن حاربَ كما قال «ابنُ عَنَمةَ * » :

إنْ تَسأَلوا الحَقَّ نُعْطِ الحقَّ سائلَه   والدِرْعُ مُحْقَبَةٌ والسيفُ مقروبُ[٣]

وأَخْلِقْ بِعدُوِّه أَن يكونَ كأَبى أَرْوَى لمَّا قال فيه القائلُ[٤] :

---

(١) البيت من شواهد الغفران، وقال فيه أبو العلاء : « إن التغيير – بالحذف لغير ترخيم فى مثل ابن حارث ، وأراد ابن حارثة – أسرع إلى الأسماء الموضوعة ، منه إلى الأسماء التى هى نكرات ، إذ كانت النكرة أصلا فى الباب» ٣٢٢ ذخائر .

(٢) يعنى : وثلثمائة (ف) .

(٣) محقبة : مودعة فى الحقيبة . ومقروب : مودع فى القراب (ف) والبيت من مفضليته البائية (١١٥/٧٤٨) ومن أبياتها المختارة فى حماسة أبى تمام (١/٣٢٥) وحماسة البحترى (٢٦) وبعده :

فإن أبيتم فإنا معشر أنف   لانطعم الخسف إن السم مشروب

وقال المفضل الضبى فى شرحه: وكذلك كانت العرب تفعل بالدروع إذا هموا بقتال استخرجوها من الحقائب فلبسوها . وقراب السيف : غمده ، يقول : إن أردتم الصلح أجبناكم والسلاح مستور ، وإن أبيتم أظهرناه لكم .

(٤) هو حلحلة بن قيس الكنانى، من شعراء الحماسية البحترية. من حماسية له ، مطلعها فى رواية البحترى :

نهيت أبا عمرو عن الحرب لو يرى   برأى رشيد أو يؤول إلى عزم

وأبياتها ثلاثة عشر بيتاً ، قابلها فى حماسة البحترى (٧٣) على رواية أبى العلاء هنا .

* ابن عنمة : عبد الله بن عنمة الضبى ، الصحابى . من شعراء المفضليات والحماستين ، ومعجم المرزبانى (٤٠٥) وانظر أمالى القالى ١/١٤٤ والتنبيه ، وسمط اللآلى ١/٣٨٩ .

وداعٍ دَعاهُ البغيُ والحَيْنُ كاسْمه ... ولِلحَيْنِ أَحداثٌ تَصدُّ عن الحزم
دَعَوْتُ أبا أروى إلى الرأى كى يَرى ... برأىٍ أَصيلٍ أو يَعودَ إلى حِلْمِ
أتانى يَشُبُّ الحربَ بينى وبينه ... فقلت له لا بلْ هَلُمَّ إلى السِّلم[1]
وإياكَ والحربَ التى لا أديمُها ... صحيحٌ ،وقد تُعدى الصِّحاحَ مِن السُّقم[2] (197)
فإن ظَفرَ القومُ الذى أنتَ فيهمُ ... وآبُوا بفَضلٍ من سِباءٍ ومنْ غُنم[3]
فلا بُدَّ من قَتْلَى لعلكَ منهمُ ... وإلاَّ فجُرْحٌ لا يَحِنُّ على العَظمِ[4]
ولمَّا رَمَى شخْصِى رميتُ سوادَه ... ولا بُدَّ أنْ يُرمَى سوادُ الذى يَرمِى[5]
فكانَ صريعَ الخَيْلِ أوَّلَ وَهْلةٍ ... فأَهونْ به مُختارَ جَهْلٍ على عِلْمِ

وأَهْلُ مِلَّته يَزعمون أنه لو خرجَ لم يَنصرفْ . وكذَبوا ، لو خرج لَصَغَّره السيدُ «عزيزُ الدولة» ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ فانصرفَ . وإنما عَنَيْتُ صغَّره ، من الصَّغار . ألا ترى أن عُمَرَ وقُثَمَ وزُفَرَ ، إذا صُغِّرن انصرفْنَ ، وكذلك مساجدُ إذا كان اسمَ رجُلٍ ثم صُغِّرَ فإنه ينصرف ؟ فهذا حُكمٌ فى انصرافِ الطاغيةِ ، وقد ينصرفُ بالضرورةِ ، كما قال[6] :

ضوارِبَ بالأيدى وراءَ بَراغِزٍ ... صِغارٍ كآرامِ الصريمِ الخـــواذلِ (١٠٨)

---

(١) أشب الحرب (هامش ف) ورواية الحماسة : دعانى يشب .

(٢) رواية البحترى : * ومهلا عن الحرب التى لا أديمها *

(٣) فى الحماسة : فإن يظفر /وآبوا بدهم . .

(٤) فى الحماسة :

فلا بد من قتل وعلك فيهمُ ... وإلا فجرح ليس يكنى عن العظم

(٥) السواد : الشخص ، الجمع أسودة (ف) ورواية البحترى :

فلما رمانيها .. ولا بد أن ترمى سواد الذى يرمى .

(٦) هو النابغة الذبيانى (ف) والبراغز أولاد البقر الوحشية والغزلان . والصريم : جمع صريمة ، وهى رملة عظيمة تنصرم من غيرها . والخواذل : التى تخذل أصحابها (ف ، ض) .

وفى (ص) عن الأصمعى : إذا تخلف الظبى عن القطيع قيل خذل . والصريمة : ما انصرم من معظم الرمل ، والأرض المحصود زرعها .

وَلأَهْلِ هذه المَحَلَّةِ عادةٌ إذاخرج زعيمُ الرومِ ، أن تنزِلَ طائفةٌ منهم عظيمةٌ بالضَّيْعَةِ المعروفةِ بِـ «تَلِّ مَنَّسَ* » ولا ريبَ أنهم يَجرُون فى هذه التارَةِ مَجراهم فى القديم . وليس مَن فَعَلَ ذلك منهم بالمُصيبِ : إن كان ما بَلَغهم من هذا الخَبَرَ حَقًّا فقد رمَوا بِحَرائبِهم فى نَحْرِ العدوِّ ، وإن كان كَذِباً فقد أخلَوا الأوطانَ ولم يَحُلُّوا بِـأَماكنِ الأَحْرارِ .

ياهَيَّمــا ياهَيَّما يا هَيمَّــا[1] بِتْنَ مُنَاخاتٍ وبِتْنَا نُيَّما

ولو سَرَوا يا مَىُّ كان أَحْزَمَا

(198 والذى يمنَعُ جاليةَ هذا البلَدِ من || البُعدِ فى الأَرضِ ، هو قِلَّةُ النفقةِ وكثرةُ العيال . والدراهِمُ مثَلُها مَثَلُ حروفِ العَطْفِ تجعلُ الشىءَ فى حُكْمِ الشىءِ حتى يَصيرا مُجتمعيْنِ فى المعنى الواحدِ . وكذلك الرجُلُ إذا كان معه شىءٌ استعانَ به قوماً فأَعانوه على تَسييرِ العَيْلةِ وحِفظِ الجهاز .

وكأَنى بالقِسِّيسِ المُقيم بمَعَرةِ النعمانِ قدخرج فنزل على القِسِّيسِ المقيمِ بتلِّ مَنَّسَ ، فكان مثَلُهما مثلَ اللامَيْنِ تدخلُ إحداهما على الأُخرى عند الضرورةِ ، كما أنشدَ «الفرَّاءُ* » :

---

(١) كذا فى (ض) وتقرأ فى (ف): [يا هيما وهيما وهيما] وفى طرة النسختين: يا هيما: كلمة تقال عند التعجب ، هى ، وصلت بما . مثله فى (القاموس) :

وفى (الصحاح) عن الكسائى ، يقال : يا هى مالى ، لا يهمز . معناه يا عجبا ، وما : فى موضع رفع . وفى (اللسان : هيا) وقيل معناها التأسف على الشىء يفوت ، وقد ذكر فى الهمز ، وأنشد ثعلب :

* يا هى مالى قلقت محاورى * ونقل عبارة الصحاح عن الكسائى ، وقال ابن برى : ومنه قول حميد الأرقط .

ألا هيمامــــا لقيــت وهيما وويحاً لمن لم يدر ما هن ويحا

وهذا البيت ، فى خصائص ابن جنى (باب خلع الأدلة) ضم الشاعر : ما ، إلى ويح (١٨١/٢)

* تل منس : بفتح الميم وتشديد النون وفتحها ، وسين مهملة . حصن قرب معرة النعمان بالشام (ياقوت) .

* الفراء ، يحيى بن زياد = ٣٠٣ .

لَدَدْتُهمُ النصيحةَ أىَّ لَــدٍّ ... فمَجُّوا النُّصْحِ ثم ثَنَوا فقاءوا[١]

فــلا واللهِ لا يُرْجَى لِمَـا بى ... ولا لِلِمَـا بهم أبــدًا شفاءُ[٢]

وأنشد أيضاً :

فَلَئِنْ قومٌ أصابـوا عِــزَّةً ... وأَصَبْنـا من زمانٍ رَنَقَـا[٣]

لَلَقَدْ كنـا لَــدَى أزمانِنـا ... لِصَنيعين : لِبَـأْسٍ وتُقَى

وربما تحوَّلَ النصرانىُّ من بَيتِه فسَلَّمَه إلى النصرانىِّ الآخرَ ، فكان فيه رجلٌ فى معناه إلا أنه ليسَ به ، فمثَلُهما مَثَلُ الضَّمَّةِ فى مَنصورٍ إذا رخمت فى النداءِ على لُغةِ من قال : ياحارُ ، قلتَ : يا مَنْصُ . أَقيلَ بضَمةِ الصادِ ها هنا فى لفظِ الضَّمة إذا قُلتَ : يا مَنصُور ؟ وليست هذه بتلك : لأَن الضمةَ إذا أتممتَ أَو رخَّمتَ على لغةِ من قال : يا حارِ ، للبناءِ ، والضمةُ إذا قلتَ : يا منصُ ، على لغةِ من قال : يا حارُ ، تجرى مَجرى ضمَّةِ الاسم العلمِ إذا قلت : يا زيدُ . طرأَتْ إحدى الضمتين على الأُخرى فزالت

---

(١) فى ض [لدتهم] وما هنا من (ف) ، ومثلها رواية (ل: لدد) شاهداً على : لدَّه يلده لدا ولدودا ، بضم اللام ، عن كراع ، ولده إياه . استعمله فى الأعراض وإنما هو فى الأجسام ، من اللدود : ما يصب من الأدوية فى أحد شق الفم . الجمع ألدة .

(٢) البيت من شواهد (المغنى رقم ٢٩٩) على تأكيد الحرف الثانى للحرف الأول ، فى : للما ونقل السيوطى فى شرح الشواهد (ص١٧٢) البيت فى سياقه من ستة أبيات لمسلم بن معبد الأسدى ، أولها :

بكت إبلى وحق لها البكاء ... وفرقها المظالم والعــداء

(٣) الرنق : ضد الصفو . وعيش رنق ، أى كدر . البيتان فى (الشعر والشعراء ١ / ١٠٠ معارف) أنشدهما الفراء كذلك ، بمثل رواية أبى العلاء هنا . لكن « ابن قتيبة» جاء بها فى باب عيوب الإعراب ، فى سياق ما كان الأصمعى ينكره ، قال فى * للقد كانوا * : هو ، فلقد كانوا ،

والسياق هنا دليل على صحة الرواية : للقد كانوا ، بلامين تدخل إحداهما على الأخرى ، ومعه الشاهد من البيت قبله : * ولا للما بهم أبداً شفاء * وهو من شواهد النحاة بروايته هذه كما فى (مغنى اللبيب) وتوجيه ابن هشام ، بأن إحدى اللامين دخلت على الأخرى فأكدتها ، أولى من قول أبى العلاء بأنها دخلت للضرورة ، إذ لا يبدو لنا وجه الضرورة فى : للقد كانوا ، مع يسر اتقاء الضرورة بمثل رواية ابن قتيبة عن الأصمعى : فلقد كانوا .

كما كان اتقاء الضرورة فى البيت قبله ميسوراً بمثل : ولا للذى بهم أبداً شفاء .

القديمةُ وبقيت الحادثةُ . ومثلُ ذلك ضَمَّةُ القافِ فى قُفْلٍ والجيمِ فى جُنْدٍ ، إذا رخَّمتَ فقلتَ : قُفَيْلٌ وجُنَيْد ، فالضمةُ فى المصَغَّرِ غيرُ الضمَّةِ فى المكبَّرِ لأنَّ الضمةَ التى كانت قبلَ التصغيرِ|| دخلتْ عليها الضمةُ اللازمةُ أوَّلَ المُصَغَّراتِ (199)
فزالتِ الأُولى وبقيت الثانيةُ . ألا ترى أنّ كَسْرةَ جِذْعٍ وفتحةَ عَمْرو تَخْلُفُهما الضمةُ إذا صَغَّرتَ فقلتَ : عُمَيْرٌ وجُذَيعٌ ؟ وكذلك فَتحةُ جَعفَرٍ فى الواحِدِ ، هى غيرُ الفتحةِ التى فى أوَّلِ الجمْعِ المُكَسَّرِ إذا قلت : جعافر . ألا ترى أنك إذا جمَعتَ دِرهمًا أو بُرْقُعاً قلتَ : دَراهِمُ وبَراقِعُ ، فخَلَفت الضمَّةَ والكسرةَ فتحةُ الجمع ؟ فكذلكَ تَخْلُفُ الفَتحةَ الموجودةَ فى الواحِدِ .

وأَحْرِ بأَن يَظلَّ رجُلٌ كان يَؤُمُّ الناسَ فى بعضِ المساجدِ قَدْ حَلَّ فى كَنيسةٍ يُقيم فيها الصلواتِ ويتلو الفرقانَ ، فيكونُ مَثلهُ مَثلَ اللامِ التى خرجت عند الضرورةِ من قولِ «السمَوْءَلِ*» :

لَيتَ شِعرى ، وأَشعرَنَّ ، إذا ما   قرَّبوها منشورةً ودُعِيتُ
أَلِيَ الفَضْلُ أم علىَّ إذا حُو   سِبْتُ أَنى على الحسابِ مُقيتُ(1)

أراد : ولَأَشعرَنَّ ، فى أحدِ القولين . ودخلتْ فى قول الراجز :

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجوزٌ شَهْرَبَهْ   ترضى من اللحمِ بعَظمِ الرقبَه(2)

(1) من القصيدة التائية ، المنسوبة إليه فى قصة وفائه لامرئ القيس فيما استودعه من سلاحه . رواية ابن سلام فى الطبقات : * قربوها منشورةفقريت * والبيتان فى (ص ، ل : م ق ت) أنشدهما ثعلب بمثل رواية أبى العلاء ، شاهداً على المقيت : الحافظ للشىء والشاهد له .

(2) الرجز ، بشطريه كما هنا ، من شواهد المغنى (رقم ٣٧٧) فى حرف اللام من قوله : لعجوز : قيل اللام زائدة ، وقيل للابتداء . والتقدير : لهى عجوز . بنسبه العينى إلى رؤبة ، ونسبه الصغانى فى (العباب) إلى عنترة بن عروس (شرح شواهد المغنى ٢٠٦) .

وأنشده الجوهرى فى (شهرب) شاهداً على الشهربة : العجوز الكبيرة . قال : واللام مقحمة فى : لعجوز . ومعه فى (ل) : وأدخل اللام فى غير خبر إنّ ، ضرورة . ولا يقاس عليه . والوجه أن يقال : لأم الحليس عجوز شهربة . وانظر شرح التبريزى على هامش (تهذيب الألفاظ ٣٠٩) .

* السموول : بن غريض بن عادياء اليهودى ، صاحب حصن تيماء . أول طبقة الشعراء اليهود عند ابن سلام. وانظر مع الطبقات ٢ جمهرة الأنساب ٣٥٢ ، والشعر والشعراء ١/٢٣٥ والأغانى ٩/٩٦.

ويُدرِكُ الجاليَةَ فَناءُ الزادِ لأَنّ الأَمرَ نزل بهم بغتةً ، فترى مَن كان يَأْكلُ البُرَّ وقد أقوى فصار يأْكلُ الشعيرَ . فمَثلُه مَثلُ شاعرٍ يُقوِى فى القصيدةِ ، يبتدئُ بها مَرفوعةً ثم يَخفِضُ . لأَنّ الشعيرَ دون البُرِّ فى القِيمةِ والمصلحةِ ، وذلك مثلُ ما قال الشاعرُ[1] :

فمَلَكْنــا بذلك الناسَ حتى مَلَكَ المنــذرُ بنُ ماءِ السماءِ

والشعيرُ والبُرُّ جِنسٌ واحدٌ|| فى بعضِ أَقوالِ الفقهاءِ . فعند مَن زعمَ ذلك (١٠٩)
أَن من اشترى|| قفيزَ بُرٍّ بِقفيزَى شَعيرٍ فقد رابَى . وإلى هذا القولِ ذهبَ (200)
« مَالكُ بنُ أَنَسٍ* » وقد رُوِىَ عن « جعفرَ بنِ محمد* » . فأَشْبَهَ المُتعَوِّضُ من البُرِّ بالشعيرِ مَنْ أَكفأَ فى القوافى فجاءَ بالميمِ مع النونِ ، والدالِ مع الطاءِ . أَنشدَ « الجَرْمِىُّ* » لامرأَةٍ من خَثْعَمَ هَوِيَتْ رجلاً يقال له « جَحْوَش* » والأَبياتُ مُختَلَفٌ فيها ولِمن هى ، وبعضُهم يُنشِدُ فى أَوَّلها هذا البيتَ[2] :

---

(١) الحارث بن حلزة اليشكرى (= ٣١٤) . من همزيته المعلقة ، وهمزة القافية فيها على الضم :

آذنتنــا ببينهـــا أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

(٢) محل الشاهد فى البيت الثالث : * بعينى قطاى أغربمان * لموضع النون من القافية فى سائر الأبيات على الميم — رواه القالى : * أغرشآم * ومثله فى (ل : غرر) بغير إكفاء .

* مالك بن أنس : أبو عبد الله الأصبحى إمام دار الهجرة ، وصاحب الموطأ ، والمذهب (١٧٩ هـ) (ترتيب المدارك جـ١ ، ابن سعد ٤٥/٥ ، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١) .

* جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، الإمام = ٢٢٢

* الجرمى : أبو عمر ، صالح بن إسحق الجرمى . من مقدمى اللغويين والنحاة . البصريين . أخذ النحو عن الأخفش واللغة عن أبى زيد والأصمعى وطبقتهما ، وكان ممن اجتمع له رسوخ العلم وصحة المذهب سنة ٢٢٥هـ وله : المختصر فى النحو ، والقوافى والعروض ، وتفسير غريب سيبويه (الفهرست ٨٤ ، وإنباه القفطى ٨٠/٢ ومراتب النحويين ١٢٢) .

* جحوش : فى أمالى القالى (١٠/٢) عن ابن دريد ، أن هذا الشعر أنشده الأصمعى لأم خالد الخثعمية ، فى جحوش العقيلى . وقد روى القالى ثمانية أبيات ، تبدأ بالبيتين الثانى والثالث هنا ، وأما ثالثها فترتيبه السابع فى رواية القالى وبعده :

فأقسم أنى قد وجدت بجحوش كما وجدت عفراء بابن حزام

" إن كنتَ من أهلِ الحجازِ فلا تَلِجْ وإن كنتَ نجديًّا فَلِجْ بسلامِ "
فلَيْتَ سِماكِيًّا يَحَــارُ رَبابُه يُقَادُ إلى أهلِ الغَضا بزِمامِ
فيَشربَ منه جَحْوشٌ ويَشِيمُه بعَيْنَى قَطامِيٍّ أَغرَّ يَمانِ

وقال الراجزُ[1] :

بِتْنــا بحَسَّانَ ومِعْزاه تَئِــطْ فى لَبَنٍ منها وسَمْنٍ وأَقِــطْ
حتى إذا جَنَّ الظلامِ واختلطْ أَمْهلنا حتى إذا النجمُ سَقَطْ
جاءٍ بضَيْحٍ هل رأيتَالذيبَ قط فاغتبق القومُ فلم يَبْقَ أحد

وقال آخرُ[2] :

جــاريةٌ من ضَبَّــةَ بنِ أُدِّ كأَنَّ تحتَ دِرْعِهــا المُنْعَطِّ
شطًّا رميتَ فوقَــه بِشَطِّ.

(١) الرجز رواه المبرد فى الكامل ، ولم يسم قائله . وابن السكيت فى تهذيب الألفاظ ، وروايته : * جاءوا يضيح * كأمالى ابن الشجرى . وليس فى الرجز عندهم ، الشطر السادس الذى هو محل الشاهد . والرواية فى * جاءوا بمذق * فى المغنى (رقم ٤٠٥) وجهه عند ابن هشام ، على تقدير إضمار القول ، أى : جاءوا بمذق مقول فيه هل رأيت الذيب قط ، لأن وقوع الطلب صفة للنكرة ، ممتنع ، ونقل السيوطى فى شرحه عن الكامل ، أن العرب تختصر التشبيه وربما أومأت إليه إيماء . يقول الراجز : فى لون الذئب ، واللبن إذا خلط بالماء ضرب إلى الغبرة . والأطيط الصوت ، وأكثر ما يستعمل فى صوت الإبل والرحل . والضيح : اللبن المرقق بكثير من الماء ، يضرب لونه إلى الطلسة فيشبه لون الذئب .

(٢) أبو النجم العجلى : وفى (اللسان : شطط) خمسة أشطر من هذه الأرجوزة لأبى النجم ، منها الشطران الأولان هنا ، برواية: * علقت خودا من بنات الزط * على الطاء كسائر الأشطر. وفى (شرح أدب الكاتب ٣٣٤) من إنشاد الفراء ، بمثل روايته هنا . وقال أبو عبيدة : كان عند يربوع ابن ثعلبة العدوى امرأة من بنى ضبة فنشزت عليه فخاصموه ، فقال :

جارية من ضبة بن أد بداء تمشى مشية الأبد
مياسة فى مجسد و برد

فأجابه بعض قومها : جارية إحدى بنات الزط لم تدر ما غرس فسيل الخط
تميس بين مجسد ومــرط كأن تحت درعها المنعط
لما بدا منها الذى تغطــى شطا رميــت فوقه بشط

والرجز فى الأغانى لأبى النجم ، فى وصف جارية من سبى الهند استبقاها خالد بن عبد الله القسرى لنفسه ، واستنشد أبا النجم ، فارتجز : علقت خودا من بنات الزط . . .

فإن اضطُرَّ الرجلُ فلم يجدْ شعيرًا يُقيمُه مقامَ البُرِّ فأَكَلَ عُنْجُدًا أو فَراساً أو نحوَ ذلك[١] . فمثَلُه مثَلُ مَنْ أَكْفَأَ فجاء بحرفٍ لا يُقاربُ الأَوَّلَ ، كما أنشد «سَعيدُ بنُ مَسْعدَةَ* » :

فقال لِخِلَّيْه ارْحَلاَ الرَّحْلَ إننى ... بِعافيةٍ والعـاقـياتُ تدُورُ
فبَيْنَاه يَشْرِى رَحْلَه قال قائلٌ ... لمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاَطِ نَجِيبُ[٢]

وتَسْمَعُ تَضَاغِيَ الأَصَيْبيَةِ من فَقْدِ الأَطعمةِ ، ويَصِيرُ مَن كانت له عادةٌ بأَن‖ يُوطِئَ فى المطاعم ، لا يَصِلُ إلى الوَجْبةِ إلا بعد المسأَلةِ والاحتيالِ . (201)
وأَوْشكَ بالرجُلِ من يَهودَ أن يَفتقرَ إلى الرجلِ من رَهْطِ المسيحِ . فإن كان المتهوِّدُ حَصِيفَ العَقْلِ[٣] أَرَمَّ وشغَله ما هو فيه عمَّا سلَفَ من حَديثِ الأَنبياء ، وأَرَى[٤] النصرانىَّ أنه غيرُ حافِلٍ بدينِ التوراةِ . ولا آمُرُه بمُخالفةِ الدينِ ولكنْ أَحُثُّه على حُسْنِ العِشرةِ وسِياسةِ الأُمورِ . فمَثَلُ هذا الرجلِ إذا افتقرَ إلى غيرِه فحلَّ فى منزلِه ، مَثَلُ الحَرْفِ المُدْغَم لَقِيَه الحرفُ

---

(١) المنجد : الزبيب. والفراس : التمر الأسود (ف ، ض)

(٢) للعجير السلولى ، انظره فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء الإسلاميين ، فى (طبقات ابن سلام) شرى الفرس واستشرى : لج فى سننه. والملاط : رأس الكتف. والبيت أنشده الجوهرى فى (هدبد) مع قول الراجز : * إنه لا يبرئ داء الهدبد * بضمة مختلسة ، كضمة : فبيناه . وروايته كرواية أبى العلاء هنا ، وعلى هامشه فى طبعة المعارف : صوابه * رخو الملاط طويل *

قال « ابن برى » فى (ل : هدبد) تعليقا على قول العجير السلولى * لمن جمل رخو الملاط نجيب * « هذه هى الرواية المشهورة عند النحويين ، والصواب إنشاده : رخو الملاط طويل * لأن القصيدة لامية ، وبعد البيت : محلى بأطواق عتاق كأنها ... بقايا لجين جرسهن صليل »

ولعل « ابن برى » فاته أن العجير السلولى ، خالف بين قوافيه فى هذه القصيدة . وأبو العلاء يجلو المسألة ، بإيراد بيتين منها على الراء والباء ، مع شواهد أخرى من مخالفة القوافى . وقد أنشده « ابن جنى » فى علل العربية من كتاب (الخصائص ١ / ٧١) : لمن جمل رخو الملاط نجيب * كما هنا ، وكما فى الصحاح واللسان :

(٣) من (ف) وفى (ض) : [حصيف الرأى] .

(٤) أرى : فعل ماض بمعنى أظهر ، ضميره المتهود .

* سعيد بن مسعدة المجاشعى : الأخفش الأوسط = ٤٦٣

الآخرُ فانقلبَ الأوَّلُ إلى حالِ الثاني . ألا ترى أنك لما أردتَ أن تُدغِمَ الخاءَ في الغَيْنِ جعلتَ الخاءَ غيناً فقلتَ : اسْلَخ غَّنَمكَ ، فجعلتَ الخاءَ من اسلخْ غَيْناً لمكانِ إدْغامِها في غينِ غنمِك ؟(١) وكذلك لامُ التعريفِ تصيرُ مع الراءِ راءً إذا قلت : الرَّجل ، ومع الدالِ دالاً إذا قلت : الدُّرّ . وعلى هذا تجرِي حالُ المُدْغماتِ .

وإن كان صاحبُ يَهودَ متهورَ الجُولِ ، أخذَ في شيءٍ من أَحاديثِ الأَولينَ فأَبغضَه النصرانيُّ وتذكَّر ما بينهما من الذُّحولِ (٢) ، واعتقد فيه ما جاءَ في (الكتابِ الكريمِ) : « قد بَدَتِ البغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفِي صُدُورُهم أكبَرُ »(٣)

وينبغي للحازمِ في الشدائدِ أن يكونَ مثلَ الهَمْزةِ ، يُخالِقُ النَّفَرَ بما يُريدون ويسْكُتُ على ضمائرِ النفسِ فإنه لا يَقضِي المأْرُبةَ باللِّسانِ . وليس في الحروفِ حرفٌ أكثر مُسامَحةً من الهمزةِ . ألا تراها إذا كانت ساكنةً في مثلِ رأْسٍ وبؤسٍ وذِئبٍ ، فبلغتَ بها ما تستحقُّه من الهمزِ فهي كالحروف الصحاح ، ويجوزُ أن تقولَ في القوافي : « رِئم » مع سهمٍ ، و « سؤل » مع جُمْل ، و « شأْم » مع وَخْم ؟ فإذا اتفق لها أن تصاحبَ في القوافي حروفَ اللينِ صارت ألِفاً في شامٍ ، وياءً في رِيم ، وواوًا في بوسٍ (202) وسُولٍ ، فجَرتْ مع : رامٍ ، وجُولٍ ، وهِيمٍ ؟ وهي في ذلك غيرُ جارَّةٍ للعَيْبِ ، بل قد أَدَّتْ حقَّ الحروفِ الصحيحةِ في حُسْنِ العِشرةِ ، وتكلفتْ لحروفِ اللِّينِ ما ليس هو لها أَصلاً في الحقيقةِ . قال الراجزُ :

---

(١) يعني : في النطق ، لا في الرسم والكتابة .

(٢) الجول : العقل ، والذحول : العداوة والبغضاء (ف) جمع ذحل ، وهو الثأر ، أو العداوة والحقد ، ويجمع على أذحال وذحول (ق)

(٣) من آية آل عمران ١١٨ :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون »

|| لا تَقربَنَّ الشَّامَ إنَّ الشأْمَا   كان لِـــدُرَّاءِ العِــراقِ وَخْمَا (١١٠)

فالهمزةُ فى الشأْمِ مُحقَّقةٌ لا يجوزُ فيها التخفيفُ بحَالٍ فى هذا الموضِع لأنها موازِية لخاء وَخْم . وقال «جُبَيْهاءُ الأَشجعى*» :

إن المدينَــة لا مَدينةَ فالزَمِى   نَعفَ السِّتارِ وقُنَّةَ الأَوجامِ[1]
يُجْلَبْ لكِ اللبنُ الغريضُ ويُنتَزَعْ   بِالعِيسِ من يَمَنٍ إليكِ وشامِ

ألا ترى إلى الهمزةِ كيف لزمت التحقيقَ فى ذلك الرجزِ ، ولزِمَتْ التخفيفَ فى هذا الموضعِ لمَّا احتاجت إليه ؟ وممَّا توصَفُ به الهمزةُ من الحِكمةِ أنها إذا لقيَتْ همزةً فى كلمةٍ واحدةٍ ، لم يكن بُدٌّ من تخفيفِ إحدى الهمزتين . فذلك مَثَلٌ للرجُلِ الحازمِ يَلْقَى مِثلَه فيَعلَمُ كلٌّ واحدٍ منهما أن اجتماعَه مع الآخرِ يَشُقُّ عليه ، فيُلزِمُ أَحدُهما نفسَه التخفيفَ . وربما ترك وطنَه وارتحلَ إذا كان الآخرُ من جنسِه ، وذلك مثلُ الهمزةِ فى قولِ «الخليلِ*» لمَّا لقيتْها الهمزةُ فى [جائئ][2] وإحداهما همزةُ فاعِلٍ التى تحدُثُ فىالمعتلِ: قائمٍ وبابِه ، والأُخرى الهمزةُ الأَصلية . «فالخليلُ» يرى أن همزةَ فاعِلٍ نُقِلَتْ من مكانِ العَيْنِ وجُعِلتْ مكانَها الهمزةُ التى من الأَصْلِ .

وربما علِمَ الرجلُ الأَصيلُ الرأْىِ أَنّ مكانَه يَتقَّالُ فانصرف وإن لم يَلْقَه نظيرٌ له ، فيكونُ مثلُه مثلَ الهمزةِ ||حُذِفَتْ من سائِرٍ فقِيل : سارٌ[3] قال «الهُذَلىُّ*» : (203)

---

(١) الستار : موضع ، والنعف ناحية الجبل ، والأوجام : علامات يهتدى بها فى الصحراء ، واحدها وجم (ف) .

(٢) فى (ف) : [جاء] وفى ض [جاءى] والأولى أن تكون بهمزتين على الأصل . وهو السياق .

(٣) فى ض : [كما قال الهذلى] .

* جبيهاء الأشجعى : يزيد – بن حيثمة – بن عبيد ، من بنى عقيل بن هلال بن بكر بن أشجع ابن ريث بن غطفان . من شعراء المفضليات . وقال الآمدى فى (المؤتلف ٧٧) : شاعر خبيث متمكن من لسانه – فى الهجاء . وانظر أمالى القالى (١٥/٢) والتنبيه ١٠٩ ، ١١٥ ، وسمط اللآلى ، والأغانى ١٤٧/١٦ وأمثال الميدانى ٣٥١/٢ .

* الخليل ، بن أحمد = ٣٨٦ .

* الهذلى : أبو ذؤيب (ف) = ١٣٢ .

وغَيَّرَ ماءُ المَرْدِ فــاهــا فلونُه   كَلَوْنِ النَّئورِ وهْيَ أَدْماءُ سَارُها[1]

أى : سائرُها . وإنما يَحْمِلُ الهمزةَ على ذلك مجاورتُها الألِفَ ، لأن الألِفَ أقربُ حروفِ المعجمِ إلى الهمزةِ ، ولذلك تركتْ مكانها فى قولِكَ : راءٍ وشَاءٍ ، والأَصلُ : رأَى وشأَى ، قال الشاعرُ[2] :

وكلٌّ خليلٍ راءنى فهو قائــل   من أجلِكِ هذا هامةُ اليومِ أو غدِ

وقال «عمرُ بنُ أبى ربيعة *» فجمع بين اللغتين :

بان الحُمولُ فما شَأَوْنَكَ نَقْرَةً   ولقد أراكَ تُشاءُ بالأَظعانِ[3]

شأَوْنك : سُقْنَكَ ، وتُشَاءُ : تُسَاقُ .

وربما تركت الهمزةُ مكانَها للحرفِ الضعيفِ ولم تَصْبِرْ على المُضارَّة ، أو تكونُ رغبتٌ فى التفضُّلِ على المُجاورِ كما قالوا : را ، يريدون : رأى . قال الشاعرُ :

ومَنْ رَا مثلَ مَعْدانَ بنِ لَيْــلى   إذا ما النِسْعُ جالَ على المَطِيَّةْ

وقالت امرأةٌ من العرب :

مَن بيَّن الأَخَوينِ كالغُصْنَينِ أم مَنْ رَاهُما

(١) يصف ظبية ورواية ديوان الهذليين :

وسود ماء المرد فاها فلـــونه   كلون النؤور فهى أدماء سارها

أراد : سائرها . وعلى هامشه : فى رواية : وغير . المرد : الغض من ثمر الأراك . والنؤور : دخان الشحم يعالج به الوشم . والأدماء : من الظباء ، البيضاء تعلوها غبرة . قاله الأصمعى . وأنشده « الجوهرى » فى (سار) شاهداً على : سار الشيء ، لغة فى سائره .

(٢) كثير عزة : (ف) = ٣٥٧ وأنشده سيبويه لكثير (الكتاب ٤٦٧/٣) ومحل الشاهد : راءنى . أراد : رآنى ، فقلب .

(٣) فى طرة (ف) : نسبه فى (المحكم) للحارث بن خالد المخزومى : شأوت القوم شأواً ، سقتهم . والحمول : الإبل المحملة . والأظعان : النساء فى الهوادج .

* عمر بن أبى ربيعة = ٤٢٠

فكأنها[١] تُشبهُ فى هذا الصنيعِ رجلاً فيه كرَمٌ وشِدَّةٌ لو أراد لَضارَّ جارَه وأقصاه ، فيحَملهُ الكرمُ على تَخْلِيَةِ مكانِه له . وقد رأيتَ الهمزةَ حُذِفتْ من تَرى ، وأصلُها أن تجيء فيه كما جاءت فى قوله تعالى :

« وهم يَنهَوْن عنه ويَنْأَوْنَ عنه »[٢]

ولكنها بعُدَتْ من مَوطِنِها فلم ترجعْ إليه إلا عندَ ضرورةٍ ، كالرجُلِ فارَقَ الوطنَ فلم يُلْمِمْ به إلا عند النائبةِ . قال الشاعرُ :

ألا إنما ذا الدهْرُ يومٌ ولَيلةٌ ومَنْ يُحْيَ فى الأيامِ يَرْأَ ويسمَعِ[٣] (204)

ومثَلُها فى هذا الموضِعِ مَثَلُ الرجُلِ لا يدخُلُ وطنه إلا عند شريطةٍ . ألا ترى أن الفصحاءَ لا يقولون : ترأى ، فى المنثورِ ، وإنما يستعملونها فى المنظومِ لإقامةِ الوزنِ ؟ وكذلك وجدناهم يحذفون الهمزةَ إذا كانت طرَفاً وقبلَها ساكنٌ ، ويُلقُون حركتَها على ماقبلَها فيقولون : خُذِ الجُزَ[٤] و [قرئ] : « يُخرجُ الخَبَ فى السمواتِ والأَرضِ »[٥] . فإذا كان ذلك فى الشعرِ حُذِفت الهمزةُ إلى آخرِ الدَّهْرِ لأَن رجوعَها يكسِرُ ، قال « حَسَّانُ* » :

فَرَهنتُ اليدينِ عنهم جميعاً كلُّ كفٌّ لها جُزٌ مَفصومُ

---

(١) أى : الهمزة . تركت مكانها للحرف الضعيف .

(٢) من آية الأنعام ٢٦ فى الذين كفروا وجدلهم فى القرآن :

« وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون »

(٣) [يحى] ضبطها فى (ف) على البناء للمجهول ، وضبطها فى ض بفتح ياء المضارعة ، على البناء للمعلوم .

(٤) بحذف همزة : الجزء ، وإلقاء فتحتها على الزاى الساكنة قبلها .

(٥) فى القراءة بتخفيف الهمز ، فى آية النمل ٢٥ : « ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » وانظر القراءة بالتخفيف فيها ، فى (تيسير الدانى : ٣٨) .

* حسان ، بن ثابت بن المنذر الأنصارى الخزرجى ، أبو عبد الرحمن = ١٧٨

وإذا اتَّفقَ لها ذلك فى النثر ، جاز أن ترجعَ وجاز ألا ترجعَ . وكذلك حالُها فى : يَسأَلُ وبابِه ، إذا كانت فى النثرِ فهى فى الرجوعِ على أَحَدِ أمرَيْنِ وإذا كانت فى النظمِ فلا تقدِرُ على رجوعها إلى الوطنِ ، كما قال « القطامىُّ* » :

(١١١) وقد يَزيدُ سؤالُ المـرءِ معرفــةً ويَستريحُ إلى الأَخبارِ من يَسَلُ

فغَرَّبَ اللهُ مَن يُبغِضُ السيدَ « عزيزَ الدولة » ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ عن وطنِه ، تَغَرُّبَ الهمزةِ فى "يَسَلُ" عن الوطنِ ، فإنها يائسةٌ أَن ترجع إليه وتلك الغربةُ هى غربةُ الموت لأَنها فِقْدانُ الشخص .

وما أَحْسَنَ بالقومِ التأَسِّىَ إذا نزلت الشدائدُ ! فَحقيقٌ على الغَنِىِّ إذا شبعَ أَلاَّ يتركَ جارَه الفقيرَ وهو طاوٍ ، وأَلاَّ يُحوجَه إلى المسأَلةِ ، بل يَكفيه النظرَ إليه إلا كما قال « الأَفْوَهُ الأَوْدىُّ* » :

أَلْوَتْ بإِصْبعِها وقالت إنمــ يكفيكَ مِمَّا لا تَرى ما قد تَرى

(205) لا يَسْتَوِى الجارانِ أن يتجاوَرا هذا أخو شِبَعٍ وذا طاوِى المِعَى

أَلا تَرى أَن الكافَ فى : بِكْرٍ ، لما اضطُرَّتْ إلى الحركةِ فى بيتِ « أَوسٍ* » دخلتْ مع الباءِ فى الكسْرِ ولم تَرْغَبْ فى الضمَّة ، فعُدَّ ذلك فيها من المواساة ؟ قال « أوس »

لنــا صرخةٌ ثم إصماتةٌ كما طَرَّقت بِنِفَاسٍ بِكِرْ[1]

---

(١) طرقت الوالدة بولدها إذا ضاق مخرجه عليها ، وكذلك طرقت القطاة بالبيضة (ف، ض) والبيت فى (ص : طرق) أنشده أبوعبيدة ، شاهداً على: طرقت الناقة بولدها ، إذا نشب ولم يسهل خروجه ، وكذلك المرأة . وفى (إصلاح المنطق ١/٢٢٤) كما تصيح عند كل طلقة ثم تسكت إذا خف ما بها .

* القطامى : اسمه عمير بن شييم التغلبى (ف) = ٤٤٠ .

* الأفوه الأودى : صلاءة بن عمرو ، جاهلى (ف) ، من بنى أود بن صعب بن سعد العشيرة وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم . ويعدونه من حكماء العرب ، (جمهرة الأنساب ٣٨٦) ديوانه مطبوع فى مجموعة (الطرائف الأدبية) وانظر معه الشعر والشعراء ١ / ٢٢٣ والأغانى ١١ / ٤٤ وأمالى القالى ٢ / ٢٢٤ وحماسة البحترى ٣٠ ، ورسالة الغفران ٢٩٧ . * أوس : بن حجر (ف) = ٣٥٨ .

فى هذا مَثَلٌ لمن يأخذ نفسَه بزِىِّ جاره ويترك مضاهاةَ الأَبعدين . وكذلك قول « الهذلى* » :

ماذا يَغِيرُ ابنتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهُما لا ترقُدانِ ولا بُؤسَى لمَنْ رقَدا

كلتاهما أَبْطنتْ أحشاؤها قصَباً من غابِ حَلْيَةَ لا عَشًا ولا نقِدا[1]

إذا تجاوَبَ نَوْحٌ قامتا معه ضربًا أليما بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجلِدا[2]

أَلا ترى أَن اللامَ لما اضطُرتْ إلى الحركةِ رغبت أَن تنكسرَ مثلَ الجيم ؟ ورُوِىَ عن « الخليل* » أَنه كان يمشى مع « ابنِ مُناذرٍ* » الشاعر ، فانقطع شِسْعُ نعْلِ « ابنِ مناذرٍ » فنزَع نعلَه . فلما رآه « الخليلُ » فعَلَ مثلَ ما فعلَ ، فقال له

---

(١) رواية الديوان ، والكامل المبرد (٤/٥٤) الشطر الثانى : * من بطن حلية * والحنين ، شرحه السكرى : حلية : واد ، والنقد : الذى قد نخر وائتكل. يقول : كأن فى جوفها من البكا مزامير من قصب هذا الوادى.

والعش ، واحدته عشة : يقال شجرة عشة ، إذا كانت دقيقة القضبان لئيمة المنبت . وأنشد فيه الجوهرى بيت جرير :

فما شجرات عيصك فى قريش بعشات الفروع ولا ضواحى

وهو من شواهد الصاهل والشاحج =

(٢) السبت : النعال المدبوغة بالقرظ ، ويقال هى التى حلق عنها شعرها . يلعج : يحرق (ف ، ض) والنوح فى شرح السكرى : النساء القيام فيه . . ورواه « المبرد » * إذا تأوب * وقال : الجلد ليست فيه لغتان ، ولكن الشاعر إذا احتاج الحركة ، أتبع الحرف المتحرك الذى يليه ساكن ، ما يشاكله ، فحرك الساكن بتلك الحركة . قال عبد مناف الهذلى : (البيت) يريد : الجلد — بسكون اللام — فهذا مطرد (الكامل ٢/١٦١) يجوز فى الضرورة فى كل ساكن (٤/٥٤)

ومثله فى (ص : جلد) . وأنشد الشطر الثانى فى (لعج) شاهداً على : لعجه الضرب أى آلمه وأحرق جلده .

* الهذلى : هو عبد مناف بن ربيع (٤٠٢) ، وشرح البيت : ماذا يرد عليهما بكاؤهما ، ومن رقد فلا بؤسى عليه (ف) . من قصيدته يوم أنف عاد (ديوان الهذليين وإصلاح المنطق ٢١٥/١) .

* الخليل ، بن أحمد ، أبو عبد الرحمن = ٣٨٦

* ابن مناذر : أبو ذريح محمد ، مولى بنى يربوع . من شعراء الرشيد . وفى الشعر والشعراء (٢/٧٤٧ ب) أنه كان خليعاً مستوراً ثم كشف أمره . وانظر معه : طبقات ابن المعتز ١١٩ ، والأغانى ١٧/ ٩ وبغية الوعاة ١٠٧ وياقوت١٩/ ٥٥ .

ابنُ مُناذرٍ : ما هذا أبا عبدِ الرحمنِ ؟ قال : أَرَدْتُ أن أساوِيَكَ في الحَفاءِ .

فإن زعمتَ أن كافَ بِكْرٍ ولامَ جِلْدٍ أساءَتا في مُجَانبتِهما الراءَ والدالَ ، ومواساتِهما الباءَ والجيمَ[1] ؛ فكذلك يَجبُ ، لأن الباءَ أَسبَقُ حُرْمةً إلى الكافِ وأقدمُ صُحْبَةً في بِكرٍ ، وكذلك الجيمُ في جلد ، لأنك تنطِقُ بهما قبل الراءِ والدالِ . وفي كِتابِ اللهِ تعالى :

« والسابِقونَ السابقون * أولئك المُقرَّبون »[2]

ويَدْعُو ما يلقاه النافِرون[3] من ضِيقِ الأَنفُسِ وحَرَجِ الصدورِ ، إلى تشاجُرِ الشركاءِ واختلافِهم في الجهاتِ المقصودة ، ويَحمِلُهم ذلك على الفُرْقةِ ، إمَّا قبلَ الرِحْلةِ من المِصْرِ وإمَّا بعدَ الظعنِ عنه . فربما كان الرجلان شريكَيْنَ ولِكلِّ واحدٍ من رأسِ المالِ ما يُمكِنُ أن يَستبضِعَ فلا تضُرُّه الفرقةُ . فيكونُ مَثلُهما مَثلَ قناديلَ وسَمَاديرَ : إذا قُسِمَتْ هاتانِ الكلمتان وما كان مِثلَهما من الكلامِ ، فإن الشطْرَيْنِ يُمكِنُ بكلِّ واحدٍ منهما نُطْقُ الناطقينَ وإن اختلفت المعاني قبلَ القِسْمَةِ وبعدها ؛ فإنكَ إذا نقلت الشَّطْرَ الأَوَّلَ أو الثاني إلى غيرِ مَعناه الأَوَّلِ صَلَحَ . ألا ترى أن سَمَاديرَ ، والمرادُ بها الغشاوَةُ التي تدرِكُ العَيْنَ والإظْلامُ يَكونُ في البَصَرِ ، إذا قَسَمتها شطرينِ فشطرُها الأَولُ سَمَا ، من قولِك : سَمَا يسمُو . وشطرُها الثاني دِيرَ ، من قولِكَ : دِيرَ به يُدارُ به فهو مَدُورٌ به ؟ (206)

وقد يكونُ الشريكانِ لأَحدِهما أكثرُ من الآخرِ وتكونُ لِصاحبِ القليلِ بَقِيَّةٌ بعد الفُرقةِ . فمَثلُهما مَثلُ مساجِدَ وسَفرجَلٍ ، إذا أخذ منهما : مَسَا

---

(١) في بيتي أوس ، والهذلي .

(٢) الآيتان ١٠ ، ١١ من (سورة الواقعة) .

(٣) من الجالين ، في الجفلة من خوف غزو الروم .

وسَفَرْ ، بَقِيَ منهما أقلُّ مِمَّا ذهب ، إلا أنه يُمكنُ أن يُنطقَ به ، وله معنى يتصرَّفُ فى بَعضِ الوجوهِ . ألا ترَى أن قولك : جِدْ ، هو أمْرٌ من قولك : وَجَدَ يَجِدُ ؟ وقولك : جَلْ ، يجوزُ أن يَقعَ فى قافِيَةٍ من قولك : جَلَّ الأَمرُ يَجَل ، بتخفيفِ اللامِ ؟

وإذا كان الرجلانِ لِأَحَدِهما شطْرٌ يُمكِنُه أن يَتَّجِرَ به ، والآخرُ يَضيقُ أمرُه عن ذلك ، فمَثلُهما مَثلُ الثلاثيةِ من الأَسماء ، إذا قسَمْتها على حَرفينِ وحرفٍ ، فالحرفان يمكنُك بهما النطْقُ ، والحرفُ الواحِدُ لا يَتأَتَّى ذلك فيه إلا أن تصِله بِسواه .

وربما رأيت الشريكيْنِ مَعيشةُ كلٍّ واحدٍ بالآخرِ ، وإذا افترقا لم يكنْ لهما بُدٌّ من الاتصال بِسواهما لأَن الحاجة دعتْ إليه . فمثلُهما مثلُ : [حَرْفين إذا اجتمعا أفادَا معاً ، وإذا افترقا عُدِمَتْ الفائدةُ ،فمثلُهما[1]]

مثلِ : لكَ ، وما كان مِثلَها من الحروفِ المُتأَلفةِ . ‖ وإذا فارقت اللامُ (207) (١١٢)

الكافَ لم تُعطِكَ فائدةً إلاَّ أن تصِلها بغيرِها من الأَسماء . ويُشْبِهانِ أيضاً ما ليس له نِصفٌ من الأَوزانِ المشطورةِ ، فلا يُمكِنُك فيه القسمةُ . ألا ترى أنكَ لو أردت تصريعَ قولِ الراجزِ :

حلَّتْ سُليْمَى جانبَ الجَرِيبِ[2]

لم تصِلْ إلى ذلك ؟ وأنت عن تصريعِ المنهوكَيْن من المنسرحِ أعجَزُ ، لِضيقهما عمَّا يجبُ لِلتصريعِ . مِثْلُ قولِ نادِبةِ «سَعْدِ بن مُعَاذ*» :

---

(١) ما بين المعقوفتين ، سقط من (ض) . (٢) الجريب : واد معروف فى بلاد قيس (ل)

* سعد بن معاذ : بن النعمان الخزرجى الأنصارى (جمهرة الأنساب ٣١٩). شهد بيعة العقبة الكبرى ، وكان نقيب الخزرج ، وشهد بدراً وأحدا والخندق ، وتوفى رضى الله عنه سنة ٥ هـ بعد قريظة بليال ، وكان المحكم فى يهودها ، من سهم أصابه يوم الخندق. (الاستيعاب : ٥٩٨ ، والسيرة لابن هشام وتاريخ الطبرى فى : بيعة العقبة ، ويوم الخندق ، وغزوة بنى قريظة) قابل الرجز على رواية ابن إسحاق فى السيرة : ٣ / ٢٦٤ .

وَيْلُ أم سَعْد سَعْدَا
صرامـــةً ومَجْـــدَا
وفارسًـــا مُعَـــدَّا
سُـدَّ به مَسَـــدَّا

وكذلك هذه الأَبياتُ التى أَنشدهما «أبو نصرٍ : صاحبُ الأَصمعىِّ»* فى (كتابِ الأَلفاظ) :

أَرُبَّ مُهْـرٍ مَزْعُـوقْ مُقيَّـلٍ أَو مغبُـوقْ
من لبَنِ الـدهْم الرُّوقْ حتى شتا كالـذُّعْلُـوقْ
أَسْرَعَ من لمْحِ المـوقْ وطـائرٍ و ذِى فُـوقْ
وكـلِّ شىءٍ مَخلُـوقْ(١) ،

فلو صَرَّعت مثلَ هذا لخرَجَ من حُكمِ الشعرِ إلى حكم المنثورِ .

وربما اتفقَ أَن يكونَ الشريكان مُختلِفى المِلَّة ، فتكونُ البغضاءُ أَشدَّ والشحناءُ أكثرَ . فأَمَّا اليهودىُّ والنصرانىُّ إذا اجتمعا بتلٍّ مَنَّس وأَخذا فى المذاكرةِ بِحديثِ الأَنبياء وكان اليهودىُّ فى بيتِ النصرانى ، فتلك هى الفاقرةُ :

أُكاشِرُه وأَعلمُ أَنْ كِلانـــا على ما ساءَ صاحبَه حَرِيصُ(٢)

(١) مزعوق : نشيط كأنه قد أفزع . والمغبوق : الذى سُقى الغبوق وهو شراب العشى . والدهم : الإبل السود . والذعلوق : نبت يشبه الكراث طيب الأكل . والموق : العين ، والفوق : السهام (ف ، ض) ، والروق : جمع رائق ، مثل بازل وبزل (ص) . والرجز فى الإبدال (٢/٩) الشطران الأولان وفى الصحاح واللسان ، فى مواد : (ذعلق . روق . زعق) والرواية فيهما :

يارب مهر مزعوق * أسرع من طرف الموقْ

(٢) لعدى بن زيد : شواهد الكتاب (٣/٧٤) حذف الضمير من (أن) المخففة ، وابتدأ ما بعدها على نية إثباته .

* أبو نصر ، أحمد بن حاتم الباهلى ، صاحب الأصمعى : روى عنه اللغة والأدب ، وتصدر للرواية والنحو ، وحضر مجلسه ابن السكيت وثعلب ، توفى سنة ٢٣١ هـ (إنباه القفطى ١/٣٦ ، ومراتب النحويين ١٣٣) .

فمَثَلُهما مثلُ القَتَّالِ والنمرِ ، صُلحُهما على دَخَنٍ ومودَّتُهما ليست بالدائمة :

كِلانا عدُوٌّ لو يَرى فى عدُوِّه مَحَزًّا ، وكلٌّ فى العداوةِ مُجْمِلُ

*

|| وإنَّ زمانا أَيها البَكْـرُ ضمَّنِى وإياكَ فى كَلْبٍ لشرٌّ زَمانِ (208)

* * *

فيجوزُ فى قُدرةِ اللهِ تعالى[١] أَن يُنطِقَ الثعلبَ فيقولَ : صدقتَ أَيها الشاحجُ ، إنك لَلْكهْلُ المجرِّبُ وإنى لراغِبٌ فى استماعِ ما عندك من الأَمثالِ ، ولكن الشمسَ قد هوَتْ للغروبِ ، وإنى منصرفٌ إلى مِصْرِ الجالينَ فداخِلٌ فى الليلِ مع النُّمُوسِ نعتسُّ فى منازلِ القومِ ، ولعلنا نُصيبُ شيئاً من فضلِ اللهِ ، فما نعدَمُ طائرًا فى تِمْرَاد أَو دَجاجةً قد حضنتْ الكيْكَ[٢] ، ونحوَ ذلك مما يَنتفعُ به الصُّعْلوكُ . وأَجيئُكَ إذا الصبحُ جَشرَ ، بأَخبارِ الناسِ .

فيقولُ الشاحجُ إذا شاء اللهُ : امْضِ على غُلَوائِك ، فقد هممتُ أن أُكلِّفَكَ توَكُّفَ[٣] الأَخبارِ وإلقاءَ ما يَصِحُّ منها عندكَ إلىَّ . وإذا هجَمتَ أَنت وقتئذٍ منازلَ القومِ ، فاحذرْ أَن تَرِيبَ طيْرَ الرسائلِ[٤] فإن حَقَّها عظيمٌ .

فيَمضى الثعلبُ حتى إذا تبيَّنَ سَوادٌ سوادًا[٥] ، جاءَ فسلَّمَ على الشاحجِ ووَرَدَ ، ثم قال :

أَخبرُك أَعانك اللهُ أَنى دخلتُ المدَرَةَ فى طائفةٍ من الثعالبِ والنُّموسِ ،

---

(١) فى ض [تعالى سلطانه] .

(٢) الكيك : البيض ، واحدته كيكة . والتمراد : بيت صغير لبيض الحمام (ف) وفى (ق : مرد): مادة م رد : والتمراد ، بالكسر ، بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٣) استوكف : استقطر . وهو يتوكف لهم : يتعهدهم وينظر فى أمورهم . والخبر : ينتظر وكفه ، والوكف القطر (ق)

(٤) لعله يعنى بطير الرسائل : الحمام الزاجل .

(٥) أى تبين شخص شخصاً ، يريد غبش الفجر (ف) .

فوجدنا القومَ قد احترزوا من كلِّ متعرضٍ لهم بِسُوءٍ . وألفينا فى كلّ رَبْعٍ من رُبوعِهم واحدًا قد تخلَّفَ لمُراعاةِ الربْعِ . فمَثلُه مثلُ السَّبُعَانِ فى بابِه ، لا يوجَدُ على هذا المثالِ غيرُه فيما زعم «سيبويه» وقد خولِفَ . وكذلك سُخاخين ، وهو فى معنى سُخنٍ ، لا يوجدُ على فُعَاعيلَ غيرُه . قال الراجزُ :

أُحِبُّ أُمَّ الغمْرِ حُبًّا زائدًا حُبًّا سُخاخِيناً وحُبًّا باردًا

فلم نُصادِفْ غِرَّةً من المنصرفِينَ . وخرجتُ أَقْفو آثارَ الجاليَةِ فانتهى بى الأَثرُ إلى «تلِّ مَنَّسَ» وقد نزل بها معظمُ الناسِ . || فسمعتُ الجاليةَ (209)
يَشتورون فى المساجدِ والكنائسِ ويُديرون الرأىَ ، فلا تنصرمُ لهم عزيمةٌ ولا تُبرَمُ بأَيديهم مرّةٌ . بل يَختلفون اختلافَ العربِ فى الوَقْفِ : فبعضُهم يقفُ على السُّكون فمَثلُه مَثلُ مَنْ رأى أن يُقيمَ بحيثُ هو من هذه القرْيةِ . وبعضُ العَربِ يُشِمُّ ويَرُومُ عند الوقفِ (١) ، فذلك مثلُ مَن يرومُ النهوضَ إلى مَظانِّ الأَمْنِ ولا يَجدُ سبيلاً إلى ذلك . وبعضهم يشدِّدُ الحرفَ الموقوفَ عليه لِيدُلَّ على حركتِه فى الإدراجِ ، فذلك مثلُ من يَعزِمِ عن النهوضِ ويُمَثِّلُه بينَ عينيه . ولو قُبِلت المشورةُ من مِثلى لهدَيتُهم إلى الرُّشدِ ، ولكنْ لا رأْىَ لمن لا يُطاعُ :

أَمَرتُهمُ أَمْرِى بِمُنعَرَجِ اللِّوَى ولا أَمْرَ لِلمَعْصِىِّ إلاَّ مُضيَّعَا(٢)

---

(١) من : الإشمام ، والروم .

(٢) البيت مع بيت آخر ، من مختار البحترى فى حماسته (٢٧٥) لزهير بن كلحبة اليربوعى ، وفيه وهم ، فهو للكلحبة العرنى اليربوعى فارس العرادة (٤٨٣) من إحدى مفضليتيه . ورواية المفضل (٢٣) أوروبا :

* أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى * وفى الشرح : ونحو من هذا قول دريد بن الصمة :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وبين البيتين فى حماسة البحترى (١٠٨) :

فلما عصونى كنت منهم وقد أرى غوايتهم ، وأننى غير مهتد

لا ينبغي أن يبيتوا في هذه المَحَلَّة || إلا الليلةَ أو الليلتَيْن ولا أشيرُ عليهم بالسلوكِ (١١٣)
جِهَةَ الشرْقِ لأنه ناسَبَ لفظَ الشَّرَقِ ؛ و «جرْجَنازُ» : جرجُ نازٍ ؛ و «الكُفَيْرُ»
وإن كان أهلُها أحرارًا فإنَّ لفظَها من لفْظِ الكُفْرِ ؛ و «عَجَازٌ» من العَجْزِ ؛
و «الحِيَارُ» : من الحَيْرةِ[1] . ولا يَسْبِقْ إلى ظنِّكَ أيها الشاحِجُ أنِّي خالَفتُ
الحَديثَ المَروِيَّ وهو قولُه عليه السلامُ : «لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ»[2] فقد رُوِيتْ عنه
صلى اللهُ عليه وسلمُ أحاديثُ تُشبه كراهتي أسماءَ هذه المواضِعِ . منها أنه قال لرجُلٍ :
«ما اسمُكَ» ؟ فقال : شِهاب . فقال صلى الله عليه وسلم : «بل أنتَ هِشامٌ»[3]
كأنه كَرِه شِهاباً لأنه من شهابِ النارِ . ووُلِدَ لِرجُلٍ مولودٌ في زمانه فقال
«ما سميتُم مولودَكم ؟» فقالوا : الوليد . فكرِه ذلك وقال كلاماً معناه :
«لا يزالون يُسَمُّونَ أبناءَهم بأسماءِ الجبابرة» يعني «الوليدَ بن المغيرة*» وأن
فِرعونَ كان يُسمَّى الوليدَ في بَعضِ الروايات ! ويقال إنه [صلى اللهُ عليه وسلم][4]
سمَّى || «الحُبَابَ بن المنذر الأنصاريَّ : عَمْرًا*» وقال : «الحُبَابُ شيطان» (210)
ومعنى ذلك أن الحُبابَ من أسماءِ الحَيَّات . ولما أراد الرجلُ أن ينزلَ إلى
الرَّكِيَّةِ في غزاةِ الحُدَيْبيَةِ قال : «ما اسمُكَ» ؟ قال : مُرَّة . فقال :
«وراءَكَ» ثم جاءَ الآخرُ فقال : ما اسمُكَ ؟ فقال : ناجِيَة . فأمَره
بالنزولِ . فأمَّا الفألُ فلاشكَّ أنه كان يُعجِبُه صلى اللهُ عليه [وسلم] . وإذا

---

(١) جرجناز ، والكفير ، وعجاز ، والحيار : من قرى الشام. وعلى هامش (ف) : "الجرج القلق ، قال الراجز : إليك سارت جراجها مخالفاً دين النصارى دينها"

(٢) متفق عليه. (٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد : باب شهاب .

(٤) من (ف) وحدها .

* الوليد بن المغيرة ، بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي القرشي ، أبو سيف الله خالد وعمارة . كان سيد بني مخزوم . انظره في (جمهرة أنساب العرب : ١٣٨ ونسب قريش : ٣٢٠) .

* الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري السلمي الخزرجي ، من بني كعب بن سلمة الجشمي (جمهرة الأنساب ٣٤٠) صاحب الرأي يوم بدر ، ومن الذين كانت لهم كلمة يوم السقيفة ، وكان رأيه أن يبايعوا أميراً من المهاجرين وأميراً من الأنصار (الاستيعاب ٢٥٨) .

رددتَ الفَألَ والطيَرَةَ إلى القياس وجدتَهما يَصدُران عن غارٍ واحدٍ .

وأنا أذكر(١) شيئاً من حُكْمِ الفألِ ليكونَ حُجَّةً على ما آمُرُ به من التدبير : إن الذين كانوا يستعملون الفالَ ورُوِىَ عنهم القَولُ به ، لم يكونوا يَحملونه على التصريفِ والاشتقاقِ فى كلِّ المواطنِ ، بل يُجرونه مَرةً على ذلك ، ومرَّةً على مقدارِ الظاهرِ من اللفظِ . لأن الفالَ والطِيَرَةَ إنما هما بالظن(٢) والاتفاق . فمن ذلك مارُوِى عن « الحسين* » رضى الله عنه أنه لمَّا سأل عن الموضعِ الذى قُتِلَ فيه ، قالوا له : كربلاء . قال : « كَرْبٌ وَبلاء » وإذا أَخذتَ من كربلاء لفظَ الكرْبِ لم يبق من الكلمةِ لفظُ بَلاء ، وإذا أَخذتَ منها لفظَ البلاء لم يبق منها لفظُ الكرب ، وإنما ذلك شىء يَقَعُ بالتقريبِ .

ورُوِىأن « أبا [جعفر] عبدَالله بنَ محمد بنِ على بن عبد الله بنِالعباسِ* » لقَيتْهالبيعةُ لما مات « السفاحُ* » بموضعٍ يقالُ له « انصُفَيْنة » فقال : « صفَتْ لنا إن شاءَ الله » والصفَيْنَةُ ليست من لفظِ صَفَتَ ، ولكنه أَخذ صَدْرَ الكلمةِ فحمله على الفألِ . وأَنشدَ « ابنُ الأَعرابىِّ* » فى (النوادرِ) أَبياتاً فيها نحوٌ من هذا الحمْلِعلى بعضِالكلمة . وقد ذكرها « أَبو الفضلِ بنُ العميدِ* » فى رسالتهِ

(١) فى (ض) : [وأنا ذاكر . .]
(٢) فى (ض) : [من الظنون]

* الحسين رضى الله عنه بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه = ٢٢٢
* عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، أبو جعفر المنصور . بويع بالخلافة ، وكان بالحجاز يوم وفاة أخيه « أبى العباس السفاح » بالأنبار ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ١٣٦ هـ ، انظر مع جمهرة الأنساب ١٨) تاريخ الطبرى ، سنة ١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ .
« وصفينة » ، بلفظ التصغير : بلد بالعالية من ديار بنى سليم (ياقوت)
* ابن الأعرابى = ٣١٦ .
* أبو الفضل ، ابن العميد ، محمد بن الحسين بن محمد ، ذو الرياستين = ٣٤١

إلى «ابن سَمَكة* » والروايةُ التى ذكرها «ابن العميدِ» أوفى وأتمُّ. والأبياتُ(١) :

لَعَيْناكَ يومَ البينِ أَسْرَعُ واكِفاً   من الفَنَنِ المَمْطورِ وهو مَرِيحُ(٢) (211)

جَرَى يومَ سِرْنا عامدينَ لأَرضِها   سَنيحٌ فقال القومُ مَرَّ سَنيحُ

وقالوا : عُقَابٌ ، قلتُ عُرْثَى وصَيْدُها   غَزَالٌ وشِبْهٌ للغَزَال مَليحُ

عُقَابٌ بإعْقَابٍ من الوصْلِ بعدما   جَرَتْ نيَّةٌ تُسْلِى المُحِبَّ طَرُوحُ

وقالوا : دَمٌ ، دامتْ مواثيقُ   عَهدِها ودامَ لنا حُلْوُ الوِدَادِ صَرِيحُ

وقالَ صِحَابى : هُدْهُدٌ فوقَ بانةٍ   فقُلتُ هُدًى يَغدُو لنا ويَرُوحُ(٣)

وقالوا : حَمَاماتٌ ، فَحُمَّ لِقاؤُها   وطَلْحٌ ، فنِيلَتْ والمَطِىُّ طَلِيحُ

فاشْتَقَّ عُقاباً من الإعقاب ، وهذا صحيحٌ فى التصريف . وتَفاءَلَ لَمَّا ذُكِرَ له الدمُ ، من لفظِ دامَتْ فقال : « دامتْ مواثيقُ عَهدِها » وليس الدمُ من لفظِ دامتْ . وتفاءَل لمَّا ذُكِرَ له الهُدْهُدُ فقال : « هُدًى يغدو لنا ويروحُ » وليس الهُدْهدُ من لَفْظِ الهُدَى ، ولكنَّ الكلمتينِ أَشْبَهَ صَدْرُ إحداهما صَدْرَ الأخرى ، كما أَن الدمَ قارَبَ لفظُه لفظَ دامت وإن كان

(١) هذه القصيدة الحائية لأبى حية النميرى ، فى أمالى القالى (١/٧٠) منها أربعة عشر بيتاً أنشدها ابن نفطويه عن ثعلب والمبرد ، «يزيد بعضهم على بعض» وهى فى رواية الأمالى ، على غير ترتيبها هنا ، مع خلاف يسير فى الألفاظ .

البيت الأول ، اختاره المبرد فى الكامل (٣/١٣٤) من عجيب التشبيه ، ولم ينسبه . والأبيات الرابع والسادس والسابع ، جاء بها الميدانى فى تفاؤلهم بالطير (١/٣٨٤) .

(٢) رواية المبرد والقالى : « من الفنن الممطور وهو مروح » وفى الصحاح : ريح الغدير ، على مالم يسم فاعله ، إذا أصابته الريح ، فهو مروح ، ومريح أيضاً .

(٣) الشطر الأول فى أمالى القالى ، روايته هنا . وفى أمثال الميدانى : « وقالوا تغنى هدهد فوق بانة »

* ابن سمكة ، أحمد بن إبراهيم بن سمكة القمى ، النحوى اللغوى ، مؤدب آل العميد = ٣٤١ ، وانظر رسائل ابن العميد ، وأمراء البيان : ٢/٥٥١ .

مخالفًا لها فى الاشتقاقِ . وكذلك رُوِىَ عن بَعضِهم أنه قال فى هَمْدانَ ، اسمِ هذه القبيلةِ : إنه هَمٌّ دَانٍ . وهذا على سبيلِ الطِيَرةِ يُشبهُ ما مضى فى كربلاء .

وإنما ذكرتُ ذلك لأُخبِرَ أن الجالية إذا عَمَدتْ لِلشرقِ والمنازلِ المتقدِّمِ
(١١٤) ذكرُها || فى كراهةِ الأسْماء ، كانوا قد أخذوا بما يكرَهُه بعضُ الناسِ .
ولو قُدِرَ لهم التوفيقُ لأَجمَعوا على السيرِ إلى « حَلَبَ » حَرَسها اللهُ ، لأَن فى دُنُوِّهم إلى الحَضْرةِ العاليةِ أعظمَ سعادةٍ وأَسْنَى حَظٍّ . والذين وُفِّقُوا منهم
(212) لِليَمَنِ قد ركبوا تلك المَحَجَّةَ ، وذلك أنهم لا يَعدَمون فى طريقهم || ضروباً
من الفَأْلِ ، يَمُرُّون بِسَرْمينَ* ، وإذا حُمِلَتْ على ما تَقَدَّمَ من قولِ القائلِ فى همدانَ : همٌّ دانٍ ، ومن قولِ الآخرِ فى هُدْهُد : هُدَى ؛ فصَدْرُها من لفظِ السرورِ ، وباقيها مِينَ ، من المَيْنِ ، فِعلُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه ، أى هذا الخبَرُ عن العَدُوِّ مَيْنٌ قدْ مِينَ أى كُذِّب . وإنْ عرضَتْ لهم فى الطريقِ « زَرْدَنا* » فيجبُ أن يُغَلِّبوا عليها الفَألَ فيقولوا : هى زَرْدُنا ، أى دِرْعُنا التى من الزَّرَدِ ، والدِّرْعُ وقايةٌ من العدُوِّ . وإنما قلتُ ذلك مخافةَ أن يَظنَّ ظانٌّ منهم غيرَ هذا المعنى فيحملَها على الطِيَرةِ فيقول : هى زَرْدُنا ، والزرْدُ الخَنْقُ . والكلمةُ الواحدةُ تَتصرفُ على الطيَرةِ والفَأْلِ . أَلا ترى إلى قولِ « الجِرَانِ* » :

فأَما العُقَابُ فهْىَ منا عُقوبَةٌ ... وأَما الغُرابُ فالغَريبُ المطَرَّحُ

فهذا حَمَلَها على ما كَرِهَ . وقال الآخرُ[1] .

---

(١) أبو حية النميرى ، من أبياته الحائية ، فى الصفحة السابقة .

* سرمين : بلدة قديمة مشهورة من أعمال حلب . انظرها فى (بلدان ياقوت) .
* زردنا : بليدة من نواحى حلب الغربية (ياقوت) .
* الجران : جران العود النميرى = ٣٢٢ .
من أبياته فى امرأتيه « رزينة ، وأم حازم » انظرها فى صفحة ٣٢٤ .

عُقابٌ بإعقاب من الوَصْلِ بعدما جرتْ نيَّةٌ تُسْلِي المُحِبَّ طروحُ

فهذا حَمَلها على ما أحبَّ .

وإذا بلغوا «جبَلَ جَوْشَنٍ*» فالجَوْشَنُ جُنَّةٌ يُدفَعُ بها الشرُّ . وإذا رأوا حفرَ الخنْدَقِ فحَمَلوه على ما تقدمَ ، فإن شَطْرَ هذه الكلمةِ فألانِ يَدُلَّان على السعادةِ : خَنْ ، يُشبِهُ خَنَّ العدُوَّ ، إذا استأْصَلَه ، حُكِيَ ذلك عن «العبَّاسِ ابن الفرَجِ الرياشي*» ؛ ودَق ، يُشبِهُ دَقَّ الجيْشَ إذا هزَمه . وكذلك يفعَلُ «السيدُ عَزيزُ الدولةِ» – أعزَّ اللهُ نصرَه – بجُيوشِ الأَعداءِ .. و «قُوَيْقٌ» النهرُ ، يُشبِهُ صَدْرُ لفظِه الأَمْرَ للجماعةِ بالتوَقِّي ، كما قال تعالى :

«قُوا أَنفسَكم وأَهْلِيكم نارًا»[1]

ومما يُشبِهُ هذه الأَحكامَ ، ما حَكَم به المفسِّرون في تعبير الرؤيا[2] ، من أنه إذا رأَى الإنسانُ || في مَنَامه[3] سَفَرْجَلاً ، حَكَموا عليه بالسفَرِ . (213)
وقد عَلِمنا أَنَّ صَدْرَ سَفَرجلٍ غيرُ مُرَادٍ به السَّفَرُ من الأَسفارِ ، ولكنه شيءٌ يُحمَلُ على تقارُبِ اللفظِ . وما يَكونُ حَسَناً في الظنِّ . وأَما «حَلَبُ» حَرَسها اللهُ فلَفظُها يَحتملُ أمريْنِ كِلاهما فَأْلٌ مَحمُودٌ : إن كانت من : أَحْلَبت القومَ

(١) من آية التحريم ٦ :

(٢) يعني بالمفسرين هنا : معبري الرؤيا وتفسير الأحلام ، وليس مفسري القرآن .

(٣) في ض : [أنهم ... في نومه] .

* جبل جوشن : جبل مطل على حلب في غربيها ، أكثر الشعراء من ذكره . وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ، ومشهد الدكة – السقط هو محسن بن الحسين رضي الله عنهما (ياقوت) .

* العباس بن الفرج الرياشي ، أبو الفضل ، مولى محمد بن سليمان بن علي العباسي . من أعلام البصرة في الأدب والنحو . قرأ على الأصمعي والمازني ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد . قتلته الزنج سنة ٢٥٧ هـ وهو قائم في مسجد البصرة يصلي الضحى ، من مصنفاته : كتاب الإبل ، وكتاب الخيل .
(نزهة الألبا ٢٦٢ ، وإنباه القفطي ٢ / ٣٧١ ، ومراتب النحويين ١٢٣)

أى نَصرتهم فحَسْبُها فَأْلاً بِالنصرِ[١] . ويقالُ للذينَ يَنصُرون الرجلَ من بَنِى أَبِيه أو قَبِيلِه الحَلائبُ ، قال «اليَشْكُرِىُّ*» :

ونحنُ غَداةَ العَيْنِ عَيْنِ مُحَلِّمٍ نصرناكَ إذ ثابتْ عليكَ الحلائبُ

وإن كانت من الحَلَبِ ، حلبِ اللبَنِ ، فحَسبُها بذلك خيرًا وبرَكةً . وقد رُوِىَ عن النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه دخل على امرأةٍ فقال : «مالى لا أرى فى بَيْتِكِ بَركةً ؟ » قالت وما البرَكةُ ؟ قال : «مالى لا أرى فى بيتِك شاةً ؟ » وإنما سمَّى الشاةَ بركةً من أجلِ اللبن . وقد رُوِى عنه صلى اللهُ عليه وسلم حديثٌ معناه ، أنه ليس فيما يؤكَلُ ويُشرَبُ شىءٌ يَجرِى مَجرَى اللبَنِ ، لأنه طعامٌ وشراب . وحَسْبُ اللبَنِ من الفضيلةِ أنه غذاءٌ لجميعِ وَلَدِ آدمَ صلى الله عليه ، به تُربَّى الأَطفالُ ولا يَنوبُ مَنابَه سِواه . وكذلك قالت العربُ : للهِ دَرُّكَ ، أى : للهِ اللبنُ الذى أُرضِعتَ به .

ولقد تركَ أولئكَ القومُ ، أعنى الذاهبينَ عن أَوطانِهم ، جِهةَ الحزامةِ وهم عليها مُقتدِرون . ولو كاتَبوا الحَضْرةَ العاليةَ مُنتَصِرينَ بما يَفِدُ عليهم من الآراءِ ، لَكُفُوا مئونةَ الرحلةِ . ولكنهم هابُوا الحَضرةَ وأَعظموها وأَعرضَتْ[٢] لهم الفائدةُ فأَعرَضوا عنها ، وأَرادوا التخفيفَ عن السلطانِ ــ أعزَّ اللهُ نصرَه ــ فثقَّلوا على أنفُسِهم ، فكان|| مثَلُهم مثلَ عُلابِطٍ : كان والأَلفُ فيه كلمةً خفيفةً ، والدليلُ على خِفَّتِه أنه لم يكنْ يمتَنِعُ منه وَزْنٌ من أوزانِ الشعرِ . (214)

---

(١) هو من المجاز فى (س) وأصله الإعانة على الحلب ، فاتسع فيه . والبيت فى (ل : حلب) للحارث بن حلزة ، وروايته : * ونحن غداة العين لما دعوتنا *

(٢) أعرض لك الخير : أمكنك (ق) .

* اليشكرى = الحارث بن حلزة (= ٣١٤) وانظر «عين محلم» فى (بلدان ياقوت) .

بل يدخلُ فى خفيفٍ وثقيلٍ ، وطويلٍ من الأَوزانِ وقصيرٍ . فاستطالَ عُلابِطاً بعضُ الناسِ فحَذف منه الأَلِفَ فاجتمع فيه أَربعةُ أَحْرُفٍ متحرِّكةٍ ، فثقُل فى السمْعِ ولم يَذِلَّ لِرُكوبِه كلُّ وزنٍ ، ولكنه احتملَه بعضُ الأَوزانِ لكثرةِ حروفِه ، واحتملَه بعضُها لِخفَّتِه ومَهانتِه ، فأَمكنَ أَن يَدخلَ هو ومثله فى الوَزْنِ البسيطِ لأَنه من مُلوكِ الشعرِ ، وهو مع ذلك يَجْرِى مَجرى الوزيرِ للمَلِكِ إذ كان هو والطويلُ كالمَلِكيْنِ للشعرِ ، وهما من بَعْدُ أَخَوانِ . فمثَلُهما مَثَلُ ابنى «سَبَأَ بنِ يَشْجُبُ*» || وهما حِمْيرٌ وكهلانُ : جَعَلَ (215)
أَبوهما سبأٌ المُلْكَ لِحمْيَرٍ وسَلَّم إليه السيفَ، وجعَلَ الوزارةَ لِكَهْلانَ وسلَّمَ إليه التُّرْسَ . وكلاهما من أَهلِ بَيْتِ المملكةِ ، إلا أَن الطويلَ أَوْلَى بالمُلْكِ من البسيطِ . أَلا ترى أَنه لم يقبلْ «عُلَبِطًا» ونحوَه ، لأَن الملوكَ لا تحتملُ تثقيلَ العامَّةِ ، واحتملَه البسيطُ لأَنه وزيرُ الملِكِ ، والوُزراءُ واجبٌ عليهم حَمْلُ الأَثقالِ ؟ ومما احتمل فيه البسيطُ كلمةً تجرى مَجرى عُلَبِطٍ فى اجتماعِ المتحركاتِ قولُ «النابغة*» :

فحَسَبُوهُ فأَلْفَوه كما حَسَبَتْ تِسْعاً وتِسعين لم تَنقُصْ ولم تَزِدِ[1]

(١) النابغة ، الذبيانى = ١٧٨ من داليته :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

ورواية الديوان : * فحسبوه فألفوه كما زعمت * وبهامشه ، يروى :

* فحسبوه فألفوه كما حسبت * وهى كرواية أبى العلاء هنا .

وفى (شرح شواهد المغنى ٧٢) : * فحسبوه فألفوه كما ذكرت * .

والضمير فى : حسبت وذكرت ، لابنة الخس – وقيل هى زرقاء اليمامة – عدت سربا من الحمام على الماء ، فلما حسبه قومها ألفوه كما حسبت .

* سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكل اليمانية راجعة إلى ولده « ولا يصح مابعد قحطان » عند ابن حزم (٣١٠) ولد سبأ بن يشجب : كهلان وحمير ، وفيهما العدد والجمهرة . ارجع إلى بنى كهلان بن سبأ و بنى حمير بن سبأ بن يشجب . فى جمهرة الأنساب ٤٠٦ : ٤٥٤

فاحتمله هذا الوزنُ لِعظمِ شأْنه فى نفسه ،ولأنه يرَى حَمْلَ الأَعباء عن الملِكِ فريضةً مُؤَكَّدةً . وأَما الوزنُ الذى يحتملُ : عُلَبِطًا ، ونحوَه لِخفَّتِه ومهانتِه ، فبَحْرُ الرجَزِ والسريعِ ، كما قال :

وقد شربْنا لَبَناً هُدَبِدَا وقد تركنا فى الدِّيارِ رَثَدَا[1]

|| وقد يجىءُ عُلَبِط ، فى سِوَى هذه الأَوزانِ إذا وقَع فى القافيةِ المُقَيَّدة ، وحسْبُكَ بهذه نَقِيصةً . ما قولُكَ فى رجلٍ لا يَقدِرُ أن يحضر مجلساً مع القومِ إلا وهو فى غُلٍّ وصِفَادٍ ؟ (216)

وأَحَذِّرُ الجاليةَ من بيوتِ الأَعرابِ . يا حَضَرِيةُ لا تَصلُحين لجوَارِ[2] البدويةِ ! إن بيتَ الأَعرابيةِ من الشَّعْرِ وكأَنه بيتُ الشِعْرِ إنما هو رائحٌ وغادٍ ، يَسْلُكُ بِهَضْبٍ أَو وادٍ ، ويَحِلُّ تارةً عندَ الوعلِ والظَّيَّانِ ، ويُضرَبُ مَرَّةً بين خُزَامَى الدَّمَثِ وعند طَبْىِ السَّهْلِ الطيَّان . شِرْبُها فى أَخلافِ الإِبلِ وضُروعِ الشاةِ ، ولا تَختَبِزُ لِغَدَاءٍ أَو عَشاءٍ :

كانت لنا من غَطَفانَ جـارَهْ جارةُ صِدْقٍ من بَنِى فزارَه
حَلالَـــةٌ ظَعَّـانَةٌ سَيَّـارَه كأَنها من بُـدُنٍ وشـاره
مدفَعُ مَيْثـاءَ إلى فَزاره تَبيتُ بينَ الزَّرْبِ والحِظاره
كأَنَّمـا باتتْ عليها فاره[3]

(١) الهدبد ، هنا : اللبن الخاثر . والرثد ما ضعف من متاع القوم ويقال للقوم الضعفاء : رثد (ض ، ف) وفى (ص ، رثد) : الرثد بالتحريك متاع البيت المنضود بعضه على بعضه ... وضعفة الناس، يقال : تركنا على الماء رثداً ما يطيقون تحملا . واحتفر القوم حتى أرثدوا ، أى بلغوا الثرى

(٢) قد تقرأ فى ض : [لحو] ، والحديث الطويل - فيما يلى - عن نعومة الحضرية وخشونة البدوية وجفاء الأعراب ، تعريض بأمر « عزيز الدولة » بانتقال « الرباب : أم أسد الدولة » إلى حلب ، أثناء الحفلة .

(٣) من بدن : من سمن . والشارة : حسن الهيئة . والميثاء : الأرض السهلة ، واسم جارية . والزرب : موضع الغنم ، وهو الزريبة أيضاً ، حظيرة الغنم . والحظار ، ككتاب ويفتح : الحائط ، وما يعمل للإبل من شجر أو قصب يقيها . والفارة : يعنى هنا فارة المسك (ف ، ض)

وإنما بيوتُ الأَعرابِ كالقوافى الجُذِّ ، مثلَ ما قال «القُطَامى* »[١] :

وطالمـا ذَبَّ عنى سُيَّرٌ شُرُدٌ يُصبِحْنَ فوق لسانِ الراكبِ الغادِى

وقال «المُسَيَّبُ بنُ عَلَسٍ* » :

فَلَأُهْدِيَنَّ مع الرياحِ قصيدةً منى مُغَلْغَلَةً إلى القَعْقَاعِ

تَرِدُ المِياهَ فما تزالُ غَريبةً فى القومِ بين تَمثُّلٍ وسماعِ

فما ظنُّكَ بحِواءٍ يُنتقَلُ من الجبَلِ إلى القاعِ ، ويُشبهُ بهَدِيةِ «المسيَّب* إلى القعقاع » ؟

وما كان من بيوتِهم مَبْنِيًا على ثمانيةِ أعمدةٍ أو نَسائجَ ثمانٍ ،فهو يُشبهُ ما كان من الشِعْرِ على ثمانيةِ أجزاءٍ. وتلك بيوتُ أمرائِهم وأملاكِهم[٢] تُشابهُ (217)
من الموزون قولَ الشاعرِ[٣] :

* قِفانَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ *

وقولَ الآخرِ[٤] :

* إنا مُحَيُّوكَ فاسلمْ أيها الطَّلَلُ *

---

(١) من داليته فى مدح « زفر بن الحارث الكلابى » ويعنى بالسير الشـرد : قصائده السائرة فى الآفاق .

(٢) كذا ضبطه مخفوضاً فى النسختين ، عطفاً على أمرائهم . وفى (ق) : الملك ، بالفتح وككتف وأمير وصاحب : ذو ملك . والجمع ملوك وأملاك وملكاء وملاك ومُلَّك .

(٣) امرؤ القيس . (١٠٥) مطلع لاميته المعلقة

(٤) هو القطامى التغلبى (ف) = ٤٤٠

* المسيب بن علس : زهير بن علس بن مالك بن عمرو ، البكرى – خال أعشى قيس (الجمهرة ٢٧٥) – من أشعر المقلين فى الجاهلية . فى الطبقة السابعة من فحول الجاهليين عند ابن سلام ومن شعراء المفضليات والبيتان من قصيدته العينية فى مدح « القعقاع بن معبد بن زرارة الدارى التميمى » من أنبه سادات بنى دارم ضربوا به المثل فى إكرام الجليس وحسن المعاشرة ، قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى وفد أشراف بنى تميم (الاستيعاب ٢١٢٢) والمشهور أن قصيدة المسيب فى القعقاع : هى أولى القصائد التى اختارها المفضل الضبى :

أرحلت عن سلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوادع

وفى ذيل الأمالى . منها ٢٦ بيتاً .

وما كان نحوَ ذلك. والذى يُبْنَى من بُيوتِهم على سِتةِ أَعْمِدةٍ أو من سِتِّ نَسائجَ ، يُشبه ما كان من الشعرِ على سِتَّةِ أجزاءٍ ، مِثل قولِ «عنترة*» :

* هلْ غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ *

وقولِ «عمرو بنِ كُلثومٍ*» :

* أَلا هُبِّى بصَحْنِك فاصبَحِينَا *

وما كَانَ مثلَ ذلك وهو كثيرٌ . وهذه دونَ تلك فى الرُّتبةِ ، وهى لِمَنْ دونَ الأُمراء .

وما كان من بيوتِ الباديةِ على أربعةِ أعمِدةٍ أو مَبنيًّا من أربعِ نسائجَ فهى بيوتُ العامَّةِ منهم ، تُشبِه من الموزونِ ما كان على أربعةِ أجزاء ، كقولِ القائل :

اِسلَمِى أُمَّ خالــــدِ رُبَّ ساعٍ لِقَــاعِدِ(٢)

وكقولِ امرأةٍ من عادٍ ، فيما يزعمون :

أَلَلَيَّـــــهْ أَلَلَيَّـــــهْ ما جنى الوفــدُ عَلَيَّـــــهْ

وما كان من بيوتِهم على ثلاثةِ أعمدةٍ أو مبنيًّا من ثلاثِ نسائجَ ،

---

(١) بلفظه فى أمثال الميدانى : قاله معاوية بن أبى سفيان ، فى «أم خالد» مطلقة عبد الله بن عامر ابن كريز ، وقد تمنى يزيد بن معاوية أن يتزوجها . فأوفد إليها معاوية من يخطبها على يزيد — فى الخبر أنه أبو هريرة — فلقيه فى الطريق إليها : الحسن ثم الحسين ابنا على ، وعبيد الله بن عباس ، ثم عبد الله ابن جعفر ، وعبد الله بن الزبير . فسأله كل منهم أن يذكر اسمه لأم خالد ، ففعل ، فسألته المشورة فأشار عليها بسيدى شباب أهل الجنة ، فاختارت الحسن رضى الله عنه . ولما أخبر معاوية بما كان ، قال البيت فسار مثلاً (مجمع الأمثال ١/٣٠٠) وهو فى (الفاخر : ١٧٥) من قول النابغة : « ورب امرئ يسعى لآخر قاعد » (هامش ص ١٠٤) .

* عنترة بن شداد العبسى = ١١٣ مطلع قصيدته المعلقة

* عمرو بن كلثوم: بن مالك بن عتاب ، من جشم بن بكر التغلبى (جمهرة الأنساب) أول شعراء الطبقة السادسة من فحول الجاهليين (طبقات ابن سلام) ومن أعلام الغفران . فى مطلع معلقته .

فتلك بيوتُ الضعَفاءِ والعبيدِ ، تشبه من الموزون ما كان مشطوراً على ثلاثةِ أجزاء ، مثل قول الراجزِ :

يادارَ سلمى يا اسلمى ثم اسلمِى
عن سَمْسَمٍ وعن يمينِ سَمْسَمِ[1]

ومثل قولِ الآخرِ :

أَقبلْنَ من نِيرٍ ومن سُــوَاجِ ... بالقومِ قد مَلُّوا من الإدلاجِ
فهُمْ رَجَاجٌ على رجَاجِ[2]

وما كان من بيوتِهم على عَمودَيْنِ ،|| فهو مالا يُمكِنُ أن يكون بيتٌ دونَه ، (218)
يُشبهُ من الشعْرِ ما كان على جزءين ، كقول الراجز[3] :

(١١٦) || يــا رجُــلٍ لا تُراعِى ... إن معى ذراعِـــى

وكقوله :

أَضرِبُهـــمْ باليـــابِسِ ... ضَرْبَ غُلامٍ عـــابِسِ
من الحياةِ آيِسِ[4]

وهو المنهوكُ من الشعْرِ . وللسيِّدِ « عزيزِ الدولةِ » - أعزَّ اللهُ نصرَه - فَضْلٌ على غيرِه من الملوكِ مثلُ فضلِ الطويلِ على المنهوكِ ، لا بل أعظمُ وأكثرُ . إذ كان الطويلُ إنما غايَةُ عِدَّتِه ثمانيةٌ وأربعون حرفاً ، والمنهوكُ أطول ما يكونُ أَربعةَ عَشَرَ حرفاً ، وأقصر ما يكونُ عشَرةُ أحرفٍ .

---

(١) رواه للعجاج ، وروايته : « بسمسم أو عن يمين سمسم » (الموشح ٢١٧) .

(٢) فى (الصحاح : سوج) أنشده الأصمعى ، شاهداً على : سواج ، بالضم : موضع . وأنشد الأشطر الثلاثة فى (ر ج ج) شاهداً على : الرجاج الضعفاء من الناس والإبل

(٣) حكيم بن جبلة العبدى ، من عبد القيس ، له إدراك . من رجز أنشده يوم الجمل . قابل على رواية (الاستيعاب : ٥٤٠) .

(٤) قال الجوهرى : أيست منه آيس يأسا : لغة فى : يئست منه أيأس يأساً . ونقل فى (ل) قول ابن سيده : أيست من الشىء ، مقلوب يئست ، وليس بلغة فيه ، ولولا ذلك لأعلوه .

وجميعُ هذه الأَبياتِ المذكورةِ من بيوتِ العَرَبِ وبيوتِ الشعر ، على قِصَرِها وطولِها ، وخِفَّتِها وثِقَلِهَا ، سيَّارةٌ فى أَرضِ الله . فما ظنُّكِ يا حَضَرِيةُ بِأَهْلِ دارٍ يُحْمَلُ بَيتُهم على البَعِيرِ ويُدلَجُ به فى العِيرِ ؟ رِيْحَانُك نَبْتٌ فى حَوْضٍ ورَيْحانُ البدوية مَبثوثٌ فى الروْض . ولو نزلتْ فى حِلَلِهم[1] « الجرادتانِ* » وهما المُغَنيتانِ اللتان كانتا على عهدِ « قيلِ بن عِتْر * » من عادٍ ، لَتَمَنَّتَا أَنهما جَرادتان تَطيرانِ وتَزْفيهما جَنوبٌ وشَمالٌ عن أولئك الجيران . القوْمُ كِرَام ولكنَّ صُحبتكِ لهم حَرَامٌ . إن الكلبَ إذا ربَض بفِنائهم لا يُكهرُ[2] ، وإذا ولغ فى إنائِهم لم يُطهَّرْ . لو حلَّت فيهم قيْنة الحَضرِ لجُنَّ جُنونُها من عَيْشٍ مذمومٍ ، وفرَّت من الرمَلِ والمَزْمومِ . وإنما عَنيْت بالمزموم والرمَلِ جَمَلا يُزَمُّ ورَملا من السَّيْرِ يُذَم . وما عَنيتُ مزمومَ الغِناءِ ورَمَلَه ، لقد شَمَّرَ فقيرٌ سَمَلَه . إنما بيوت البادية كما قال « الفَقْعسى* » :

ويومٍ من النجم مُستوقِــــدٍ يَسُوق إلى الركبِ نُورَ الظِبَاء
(219) ‖ تراهــا تلــوذ بغِيرانِهــمــا ويَهجمُهــا بارِحٌ ذو غمَاء

(١) السياق هنا ، مع قوله آنفاً وكأنه يشير ، من طرف خفى ، إلى « الرباب : أم أسد الدولة » : « وأحذر الجالية ، من بيوت الأعراب . يا حضرية لا تصلحين لجوار البادية»

(٢) الحلل : جماعة البيوت . واحدته حلة ، بالكسر والتضعيف .

(٣) الكهر : القهر والانتهار . واستقبالك إنساناً بوجه عابس تهاونا به (ق) .

* الجرادتان : قينتان مغنيتان، كانتا لمعاوية بن بكر الجرهمى غنتا لوفد عاد حين جاء إلى مكة يستسق لعاد فى قحطها ، فنزلوا على معاوية وكان سيد مكة . ولهوا عما جاءوا فيه : انظر المثل : « تركته تغنيه الجرادتان » فى الميدانى ١ / ١٣١ — ورسالة الغفران ٢٤٣)

* قيل بن عتر ، من عاد : كذا جاء اسمه فى (رسالة الغفران : ٢٤٣)، وهو فى (مجمع الأمثال ١ /٨٧) : قيل بن عنق .. أحد رءوس وفد عاد إلى مكة فى القحط .

* الفقعسى : هو المرار بن سعيد الأسدى الفقعسى(ف) من بنى فقعس بن طريف بن عمرو ابن قعين ، ثم من أسد بن خزيمة بن مدركة (جمهرة الأنساب ١٨٤) الشاعر الإسلامى المشهور (المؤتلف ١٧٦ ، ومعجم المرزبانى ٤٠٨ ، وهو من أعلام الغفران .

لجأت بصَحْبِي إلى خافقٍ على نبْعَتيْنِ بأرضٍ فضاء
تنازِعُنا الريحُ أقطارَه وكِسْرَيْه يَرمَحُ رَمْحَ الفِلاء
وبيضاءُ تَنْفَلُّ عنها العيون تطالعنا من وراءِ الخِباء[1]

يَعنى بالبيضاءِ الشمسَ ، كما قال الآخرُ .

وبيضاءُ لم تَطبَعْ ولم تدْرِ ما الخنى ترى أَعْيُنَ الفِتيانِ من دونِها خُزْرا[2]

ولو نزل على بيوتِهم «أبوعمرو بنُ العَلاءِ* » لشُغِلَ عما بين البَاءِ والسينِ ، أو «عمرُو بن عثمان ، المعروف بسيبويه* » ، لذهلَ عما بين الثاءِ والراءِ .

وأهلُ الحضرِ يَرِثونَ بيوتَهم أباً عن جَدٍّ ، وأهلُ البَدْوِ يَفتقرون فى المُدةِ القصيرةِ إلى بيتٍ مُستجَد . ولم يَبْقَ فيهم أَرَبٌ لِطلابِ الفصاحةِ فيقول قائل : أنزلُ فيهم فلعَلى أسمعُ مُسْتَطْرَفاً من القولِ . ولقد تَبِعْتُهم تارات فى الظَّعْنِ وشاهدتُهم إذا اجرَهَدَّ السَّيْرُ وترَجَّلَ النهارُ وتجَاوبت الحُدَاةُ من كلِّ أَوْبٍ ،[3] لا يَعرفون غيرَ هذين البَيتينِ يُكرِّرونهما تكريرَ النَّفَسِ :

---

(١) النور : جمع نوار وهى النافرة ومستوقد ، من الوقدة أشد الحر (ض) . وفى (ل ، ص : نور) النور النفر من الظباء والوحوش ، قال مضرس الأسدى وذكر الظباء وأنها كنست فى شدة الحر :

تدلت عليها الشمس حتى كأنها من الحر ترمى بالسكينة نورها

والغيران : جمع غار . والغماء : الغيم : وكسرا الخباء : جانباه . تنفل : تنكسر ، مطاوع : فل الشيء ثلمه فانفل . ومنه انفل القوم انهزموا ، وقوم فل : مهزومون ، والفل ، الكتيبة المهزومة .

(٢) لم تطبع : لم تدنس (ف) من الطبع ، بالتحريك : الدنس ، يقال منه : طبع ، بالكسر (ص) والخنى : الفجور والفساد . والخزر الناظرة بمؤخر عيونها (ف) من الخزر : ضيق العين وصغرها ، رجل أخزر وهى خزراء ، والجمع خزر . ويقال هو كمن ينظر بمؤخر العين (ص)

(٣) اجرهد : استحر وامتد : والظعن : الارتحال : وترجل النهار : ارتفاعه — والحداة جمع الحادى — من كل أوب : من كل طريق وناحية (ف ، ض)

* أبو عمرو بن العلاء المازنى البصرى . أحد القراء الأئمة السبعة . ومن أئمة اللغويين والرواة فى القرن الثانى للهجرة . ت ١٥٤ هـ (تيسير الدانى ٥ ، وطبقات القراء . ونزهة الألبا ٣١ ، وأخبار النحويين ٢٨ ، والفهرست ٥٨ ، ووفيات الأعيان ١ / ٥٥٠) مع أعلام الغفران .

* عمرو بن عثمان ، سيبويه = ١٩٦

يا حُلْوَةَ العَيْنينِ فى النِّقابِ
لا تَحْبِسينى قد مضى أصحابى

كأن أمَّ الرجَزِ عقيمٌ من غيرِهما ، وكأن الرُّجازَ من عَهْدِ عَدْنانَ وقبلَ ذلك ، غفَلوا عن الرجَزِ إلى اليومِ ! وكأن «أبا النَّجْمِ ، الفَضْلبن قُدامَةَ*» صَدَق لَمَّا قال :

أنا أبوالنجمِ إذا اشتدَّ الحُجَزْ
تَفْنَى إذا مُتُّ أفانينُ الرجَزْ(١)

وقد حملَ «السيِّدَ عزيزَ الدولةِ» ـ أعزَّ اللهُ نَصرَه ـ رَغبتُه فى إيناسِ
(220) الرعيَّةِ ورَأفتُه|| بمَنْ ولِىَ من العامَّةِ ، أنْ كَلَّفَ «أَسَدَ الدولة*» ـ أدامَ اللهُ تمكينه ـ أن يَحملَ إلى «حلب حرَسَها اللهُ» ، والدتَه «الربَابَ» إيثاراً لِسُكونِ الأنفسِ وإعلاماً لِلسَّوادِ الأعظمِ بالتئامِ الكلمةِ والتضافرِ على صَدِّ الأعداءِ . ولا امتراءَ فى أن «أَسَدَ الدولةِ» ـ أدامَ الله تمكينَه ـ أَشفَقُ على والدتِه من «أبى عُبادَة*» على كلمتِه السينية :

صُنْتُ نفسى عما يُدَنِّسُ نفسى وترفِعْتُ عن جَدَا كل جِبْسِ(٢)

(١) ضبط [مت] فى ف بكسر الميم وضمها ، وكتب فوقها : معاً

(٢) مطلع سينية البحترى فى (إيوان كسرى) بعد مقتل المتوكل . والقصيدة كاملة ، فى مقدمة (حماسة البحترى) وفى ديوانه .

والجبس والجدا : العطية (ف) : الفاسق والردىء واللئيم والجبان .

* أبوالنجم ، الفضل بن قدامة = ١٨٩

* أسد الدولة : صالح بن مرداس الكلابى من بنى عمرو بن كلاب بن ربيعة . صاحب حلب (جمهرة الأنساب ٢٧٠) كان بدء ظهوره سنة ٣٩٩ هـ وحاصر ابن ثعبان الكتامى فى قلعة حلب سنة ٤١٤ هـ وأسس الدولة الحمدانية . (تاريخ حلب ، وكامل بن الأثير : السنوات من ٣٩٩ : ٤٢٠ هـ والنجوم الزاهرة جـ ٤) .

والحديث هنا يطول ، عن رقة الحضرية وخشونة البدوية . تعليقاً على نقل «الرباب» إلى حلب .

* أبوعبادة ، البحترى = ٢٣٤

فإن «أبا عُبادةَ» صانَ وَتِدَيْها عن التشعيثِ ، فما ظنُّك بعَرَبى يسكنُ العمادَ يُشفق على بيتِ عَرَبيةٍ من تشعيث الوَتِدِ ؟ والأوتادُ يوصَفنَ أبداً بالشَّعَثِ ، قال «الكُمَيتُ*» يَصِفُ الوَتِدَ :

وأشعَثَ فى الدارِ ذى غُرْبةٍ   يُطيلُ الحفوفَ ولا يَقْهَلُ[1]

وقال «ذو الرُّمَّةِ»* :

|| لم يُبْقِ منهـــا أَبَدُ الأَبِيدِ   غيرَ ثلاثٍ ما ثلاتٍ سودِ (١١٧)
وغيرَ مَشجوجِ القَفا مَوْتودِ   أشعثَ باقى رُمَّةِ التقليدِ[2]

وذلك كثيرٌ فى الشعرِ .

فأما تشعيثُ وَتِدِ القصيدةِ فإن وزنَ السينيةِ[3] إذا كان مستَعملاً بالرِّدْفِ ، جاءَ فى الجزءِ الذى يَقَعُ فيه اللِّينُ زِحَافٌ يُسمَّى التشعيثَ لم يمتنعْ منه الشعراءُ فى الجاهليةِ ولا الإسلامِ ، كما قال «اليَشْكُرِىُّ*» :

(١) فى ض [الجفوف] وما هنا من (ف) وعلى هامشها : حف رأسه يحف حفوفاً ، بعد عهده بالدهن ، والقهل : الدنس وكثرة الوسخ .

والبيت أنشده الجوهرى فى (ح ف ف) للكميت شاهداً على : حف رأسه تحف ، بالكسر ، حفوفاً ، أى بعد عهده بالدهن . وروايته ، ومثلها فى (ل) :

وأشعـــث فى الدار ذى لمة   يطيل الحفوف فلا يقمـــل

(٢) من أرجوزته ، ومطلعها فى (ديوانه رقم ١٥٥/٢٢) مع سياق الشواهد :

هل تعرف المنزل بالوحيـــد   قفراً محاه أبد الأبيـــد
والدهر لا يبقّى جدّة الجديد   لم يبق غـــير مثل ركود
على ثلاث ماثـــلات سود   وغير باقى ملعـــب الوليد
وغير مرضوخ القفـــا موتود   أشعث باقى رمة التقليـــد

يعنى بثلاث ماثلات : الأثافى . ومشجوج القفا : الوتد . وأشعث : متغير مهوش . والرمة : الحبل . يقال إن ذا الرمة سمى هكذا بهذا البيت ، وقيل غيره (ف) وانظر الأرجوزة فى (أراجيز العرب : ٦٢ – ٦٣)

(٣) يعنى : سينية البحترى : « صنت نفسى عما يدنس نفسى »

* الكميت ، بن زيد الأسدى = ٢٦١ يصف وتداً
* ذو الرمة = ١٢٦
* اليشكرى ، الحارث بن حلزة = ٣١٤

* آذنَتْنا ببَيْنِها أسماءُ *[١]

فقولُه : أسماءُ ، فيه تَشْعيثٌ . وكذلك قولُ الآخَرِ[٢] :

لَيْسَ من ماتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ   إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحياء

فقولُه : الأَحْياء ، فيه تشعيثٌ .

فإذا فقدتِ الأَوزانُ من هذا الجِنسِ حُروفَ الرِّدْفِ جاءَتْ سالمةً من التشعيثِ ، لأَنه إذا ظَهرَ بانَ خَلَلُه فيها ، فيَجتنبُه الفحولُ مثلَ ما اجتَنبه
(221) «أبو|| عبادةَ» . وربما جاءَ فيما فقَدَ لِينَه من الأَوزانِ ، كما قال «أبو دُوَادٍ*» :

كنتُ جارًا لكم فأَشمَتُّمْ النَا   سَ بنى اليومَ آل كعبٍ وعَمْرِو

شرُّكُمْ حاضِرٌ ودَرُّكُمْ دَرُّ   م خَروسٍ من الأَرانبِ بِكْرِ

يا فتى ما قتلتُم غيرَ دُعْبـــوبٍ   ولا من فُوَارةِ الهِنَّبْرِ

وفتًى يُطعِمُ الأَرامِـــلَ إذْ هَبَّـــتْ   نسيمُ الشتاءِ بالصِنَّبْرِ

ورأَيتَ الإِماءَ كالجِعْثِنِ البـــا   لى قياماً على فُوَارِ القِـــدْرِ

ورأَيتَ الدخَانَ كالكودَنِ الأَصْـــحَمِ يَنباعُ من وراءِ السِّتْرِ[٣]

فالأَبياتُ الأَربعةُ الأَخيرةُ قد أدرك قوافيَها التشعيثُ ، وهو غيرُ خافٍ فى الغريزة .

وإن الأَعرابيةَ إذا دخلت المصْرَ ، لَتُشْبِهُ النونَ الخفيفةَ أو الثقيلةَ

(١) مطلع همزيته المعلقة ، وتمامه : * رب ثاو يمل منه الثواء *

(٢) ابن رعلاء الغسانى (ألفاظ ابن السكيت ٤٤٨) وانظر البيت فى (بيان الجاحظ ١١٢/١) وعدى بن الرعلاء الغسانى فى (معجم المرزبانى ٢٥٢) .

(٣) الخروس : التى حملت أول بطن . والدعبوب : القصير اللئيم ، والمخنث . وفوارة الهنبر : مافور من الجلد كأنه من النفايات . والجعثن : أرومة الشجرة إذا قطعت ، وفوار القدر : غليانها . والكودن : الفرس الهجين والبغل ، والكدنة الهجنة . والأصحم : الأسود . ينباع : يسيل ، يقال : انباع العرق إذا سال ، وانباعت الحية بسطت نفسها بعد تحويها لتساور .

* أبو دواد ، الإيادى * = ١٥٨

إذا دخلتْ فى غيرِ مواطنِها السِّتةِ ، كما قال «جَذِيمةُ الأَبْرُش* » :

ربما أَوْفَيتُ فى عَلَمٍ تَرفَعَنْ ثوبى شَمالاتُ[١]

وإن « السيدَ عزيزَ الدولةِ » – أعز اللهُ نصرَه – لَيَتكلَّفُ من إيناسِ الرعيَّةِ[٢] مالا يَجِبُ على السلاطينِ ، حتى لقد خَلَطَ بالنساءِ المَدَرِيَّاتِ[٣] سَواكنَ البَرِّ القَفْرِيَّاتِ ، فمَثلُه مثلُ قائلٍ :

* إنَّ بالشِّعْبِ الذى دون سَلْعٍ *[٤]

---

(١) بيت جذيمة الأبرش ، من شواهد (الكتاب ٥١٨/٣) باب النون الثقيلة والخفيفة . ومن شواهد المغنى فى : باب (رب) على أن معناها ليس التقليل دائمًا ، خلافًا للأكثرين . فبيت جذيمة مسوق للافتخار ، ولا يناسبه التقليل (رقم ٢٠٧ من شواهد المغنى) وهو أيضًا شاهد على أن «ما» إذا زيدت بعد «رب» فالغالب أن تكفها عن العمل وأن تهيئها للدخول على الجمل الفعلية ، وأن يكون الفعل ماضيًا لفظاً ومعنى (ص ١٣٧/١) ويستشهدون به كذلك فى حرف «ما» الكافة عن عمل الجر . متصلة بحرف رب (٣٠٩/١) وعلى إدخال نون التوكيد الخفيفة ، فى الواجب ضرورة (ص : شمل) .

(٢) [العامة] فى ض ، وعلى هامش (ف) وفوقها خـ/نسخة .

(٣) يعنى الحضريات (ف)

(٤) عجز البيت ، وفيه محل الشاهد : * لقتيلا دمه ما يطل*

لم يسم أبو العلاء قائله هنا ، وكذلك لم يسمه فى بيت آخر من اللامية ، يأتى فى شواهد الصاهل والشاحج :

حدث ما جاءنا مصمئـــل جل حتى دق فيه الأجل

ولا فى بيت منها أنشده فى رسالة الغفران (٥٧٨)

والشاهد هنا مطلع حماسية مشهورة ، مختلف فى قائلها . فهى فى (ديوان الحماسة ٤٨١/١) لتأبط شراً ، وأبياتها ٢٦ بيتاً .

وفى أمثال الميدانى (٣٠٧/١) بيتان منها لتأبط شراً ، يرثى خاله ، وأنشده الجوهرى فى (سلع) لتأبط شراً ، ومثله فى (ل) مع قول ابن برى : « البيت للشنفرى ابن أخت تأبط شراً يرثيه.» وهو ما فى شرح التبريزى على حماسة أبى تمام . وفى العقد الفريد (١٩٣/٢) قيل إن الشعر لابن أخت تأبط شراً يرثى خاله ، أو لتأبط شراً يرثى به نفسه لما أيقن بالقتل . والقصيدة فى الأغانى (١٦٢/٥) للشنفرى ، وأشار ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) إلى أنهم – علماء الشعر – استبعدوا أن يقول هذه القصيدة بدوى صعلوك ، لدقة المعنى فيها ، وذهبوا إلى أن « خلف الأحمر » نحلها تأبط شراً أو ابن أخته .

ورُدَّ بأن العرب الأقحاح يأتون بمثل معناها وأدق .

وقال القفطى فى (الإنباه) فى سياق الكلام عن براعة «خلف الأحمر» واقتداره على الشعر يشبه شعر=

* جذيمة الأبرش = ٩٤

لَزِمَ من تَشديدِ اللامِ فى القافيةِ ما لا يَجبُ عليه. وكذلك «زيادٌ*» لمَّا قال:

غَشِيتُ منــازلاً بعُرَيْتِناتٍ فأَعْلَى الجَزْعِ للحَىِّ المُبِنِّ[1]

لَزِمَ فى القصيدةِ من تشديدِ النونِ ما لا يجبُ عليه. وكذلك «كُثَيِّرٌ*» لما قال:

(222) خَلِيلَىَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِــلا قَلُوصَيْكما ثم انزِلا حيثُ حَلَّتِ

فلَزِمَ اللامَ قبلَ التاءِ[2]، وذلك لِغَزارةِ البَحْرِ فى الشاعرِ ولِعِظَمِ القَدْرِ. والرأفةُ فى قَلْبِ المَلِكِ، فما الذى يطلبُه الجالونَ إلى الباديةِ؟ إذا نزلَت الكرائمُ من الأَعرابياتِ بِحَلَبَ حرسها الله فما يبتغى مُصاحِبُ الباديةِ إلا مَقْلَتاً من الأَرضِ يحكمُ إذا نزله المُقلةَ من الحُصَيَّاتِ[3]، كما قال «القينىّ*»:

أَلم ترنى رَدَدتُ على عَــدِىٍّ وقــد خلَعتْ هَوادِيَها نعــالا
حُشَاشَتَه وبِنتُ الأَرضِ تقضِى إذا ما استودف القومُ السِّخالاَ

=القدماء فلا يفرق جلة الرواة بينه و بين الشعر القديم: «من ذلك قصيدته التى نحلها ابن أخت تأبط شراً: «إن بالشعب ..» جازت على جميع الرواة فما فطن بها إلا بعد دهر طويل، بقوله:

خـــبر جاءنا مصمئل جل حتى دق فيـــه الأجل

فقال بعضهم: «جل حتى دق فيه الأجل» من كلام المولدين، فحينئذ أقر بها خلف» ٣٤٨/١ وانظر تنبيه البكرى، وسمط اللآلى ٩١٩.

(١) فى ض [عرفت منازلا] وهى نسخة على هامش (ف) وفى متنها، غشيت، وهى رواية الديوان (١٩٦) وأمالى القالى (٢٠٠/٢) وألفاظ ابن السكيت ٤٤٧، و إبدال أبى الطيب ٤١٣/٢ وهوفيه من إبدال الباء والنون فى: المبن، أبن بالمكان وأبل به وبل به إذا أقام: وروى الشطر الثانى: بأعلى الجزع. ورواية الديوان: فأعلى «وكذلك الألفاظ، والأمالى

(٢) فى روى القصيدة كلها، وهى نحو سبعين بيتاً. وذلك من لزوم مالا يلزم.

(٣) المقلت: من القلت، النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء (ص) والمقلة: الحصاة التى يقسم بها الماء.

* زياد: النابغة الذبيانى = ١١٧ مطلع قصيدته النونية حين قتلت بنو عبس نضلة الأسدى.

* كثير عزة = ٣٥٧ مطلع تائيته، أشهر قصائده

* القينى أبو الطمحان، حنظلة بن الشرقى، من بنى القين بن جسر القضاعى. شاعر مخضرم فارس صعلوك. من شعراء الحماسة والأصمعيات، وذكر الآمدى فى (المؤتلف ١٤٩) أن له ديواناً مفردا. وانظر (الشعر والشعراء ٣٠٤). بنت الأرض: الحصاة. والسخال: شكرات من جلودها يستقطر فيها الماء.

أَو كما قال «مُزاحِمُ العُقَيْلِيُّ* » :

ولمَّا ركِبْنــا صَعْبَهــا وذَلُولَها ... إلى أَن حجَبْنا الشمسَ تحتَ السُّرادق
رمَتْنــا بِفِلْــذٍ من سَرارةِ قلبِها ... فُطفنَا به من بين حاسٍ وذائق(١)

وشجَرُ الأَعرابيةِ سَلَمٌ يَرِف ، وشجَرُ الحضَرِيَّةِ الحُبَلَة والضَّرفُ . جناةُ النازلةِ فى البَدْوِ إنما هى ابنُ أَوبَرَ أَو المغْرُودُ ، وجارُها الناشِطُ يَرُودُ(٢) كما قال «الرؤاسِيُّ* » ، ورؤاس حيٌّ من كلاب بن ربيعة(٣) :

يا أُخْتَ ذَحْوَةَ بل يا أُختَ إخوتِهم ... من عامرٍ أَو سَلُولٍ أَو من الوقَعَهْ
هل يَكفِينَّكَ ضَريبُ الشَّوْلِ ضاحِيَه ... والشحْمُ من حائرِ الكَوْماءِ والقَمَعَه
||ومن جَنَى الأَرضِ ما تأتى الرِّعاءُ به ... من أُتْنٍ أَوْبَرَ والمُغْرُودِ والفَقَعَهْ (١١٨)
ومثْلِ آتىٍّ ضَحضاحِ الثَّميلةِ من ... نَخْلِ ابن يامِن بَيْنَ الحوضِ والقَلَعَه(٤)
||إنَّــا أُناسٌ بِبَرٍّ لا بُحورَ لنــا ... بحيث تنثُرُ تلك اليُمنةُ الزَّمَعَه (223)

(١) الفلذ : القطعة ، سرارة قلبها : صميمها . بين حاس يحسوه ، وذائق يذوقه (ف) .

(٢) الحبلة ، بالضم ويحرك : ثمر العضاه . والضرف ، ككتف : من شجر الجبال ، له تين أبيض مدور مفلطح ، مريضرس ، يأكله الناس والطير والقرود (ق) وأهمله الجوهرى. وابن أوبر والمغرود : ضربان من الكمأة . والناشط ، هنا : الثور (ف) .

(٣) والأبيات من قصيدة أصمعية – نقل فى طرة ف أربعة أبيات منها قبل الشاهد هنا . بنو ذحوة وذحية : بطنان من قيس عيلان ، وضريب الشول : لبن الناقة مر عليها سبعة أشهر من الوضع . وحائر الكوماء : ودك الناقة العظيمة السنام. والفقعة ضرب من الكمأة ، وهو الأبيض العظيم (ف ، ض) .

(٤) فى الأصمعيات : بين العين والقلعة (ف)
الأتى الجدول يؤتيه الرجل إلى أرضه ، وما يتأتى فى يسر (ق) والضحضاح : الماء القليل – قريب القعر – والثميلة : البقية من الماء فى الغدر والحوض . وأتن : جمع أتان ، كسحاب : الشجرة تتكون فى الماء وظاهرها الشمس (ف) واليمنة : ضرب من الوشى ، والزمعة : قطعة من الروض (ف ، ض) .

* مزاحم العقيلى : مزاحم بن الحارث ، من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أول الطبقة العاشرة من فحول شعراء الإسلام ، وكان غزلا شجاعاً شديد أسر الشعر حلوه ، هجاء وصافاً (طبقات ابن سلام) .

* الرؤاسى : يزيد بن معاوية بن عمرو ، أبو دواد ، من بنى رؤاس بن كلاب بن ربيعة (مؤتلف الآمدى ١١٥) .

أَلم تَعلَمْ تلك الحَوَارياتُ أَن رجالَهن الجالين إذا عقلوا بِحَلَبَ ، حرسَها اللهُ ، يُضيفون الرَّوْذقَ إلى الخَضِيمةِ ، ويُزِيلون الغَيْمَ الغالِبَ على الأَفئدةِ بالقارِسِ فى حَرِّ الظَهيرةِ ، ويُذهبون الدَّرَنَ بالناغِرِ من ذاتِ الزُّبَرِ والصَّرَفانِ (١) ، ويَنظرون بَهاءَ « السيدِ عزيزِ الدولة » ـ أَعزَّ اللهُ نصرَه ـ إذا ركِبَ مع الناظرين ، وتلك هى الفضيلةُ العظيمةُ ؟ فمَا يُرِدْنَ من ظعائنَ يَتبعْنَ البارقَ ويُكافِحْن الشارقَ ويَحْدِجْن الأَيْنُقَ بنفوسِهن ويَعدُدن النظرَ إلى السرابِ مُغنِياً فى الباديةِ عن الشرابِ ؟

ظعائنُ أَبْرَقْنَ الخريفَ وشِمْنَه ... وخِفْنَ الهُمَامَ أَن تُقادَ قنابِلُــه (٢)

تَرْحَضُ إحداهن ثوبَها من « قُوَيقٍ » فلا يدركُه الوَسَبُ إلا وبَيتُها مضروبٌ على « دجلةَ » أَو فَيْضِ « الأُبُلَّةِ » أَو « كافِرٍ : نهرِ الحِيرَةِ » . وتَرعَى شاتُها فى أَوَّلِ الربيعِ نَبْتَ الشامِ وترعَى فى آخرِه نبتَ العِراقِ . وتَجْنِى البَلَسَ فى وِعاءِ الشامِ فلا تذهبُ فُضولُه من ذلك الوعاءِ حتى يُخلَطَ بها شىءٌ من تمرِ العِراقِ ، وذلك بِسَيْرِها فى البَرْدَيْنِ لا بِمَا

(١) عقلوا : امتنعوا . والحواريات : يعنى الحضريات. والروذق : شواء التنور والسفود . والخضيمة : كل ما أكل بكثرة . والغيم هنا : العطش ، والدرن : الوسخ . والناغر : الحار . والزبر : جمع زبرة ، القطعة من الحديد . والصرفان : الرصاص القلعى ، يعنى بها الحمَّام (ف ، ض) .

(٢) البيت لطفيل الغنوى = ١٦٠ وبعده :

على إثر حى لا يرى النجم طالعاً ... من الليل إلا وهو قفر منازله

أنشدها القالى فى أماليه (٣٨/٢) قراءة على ابن دريد ، لطفيل الغنوى . وفى الشرح : أبرقن الخريف ، رأين برقه أو دخلن فيه . شمنه : أبصرنه ، والشيم النظر إلى البرق خاصة . وخفن الهمام : يعنى دخلت شهور الحل فخفن أن يغير عليهن فتنكبن ناحيته وتباعدن منه . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى الجماعة من الخيل . وقوله : على إثر حى (البيت الثانى) يعنى : هذا الحى لا يرى النجم طالعاً إلا رحل إلى مكان آخر يبتغى النجعة ، فكأنه أبدا قفر . وانظر (الموشح : ١٩٦)

حَمَلَه إليها المائرُ فى شهرِ المُلَيْسَاء[1] :

إذا الجَوزاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا   فظُنَّ بآلِ فاطمةَ الظنونا[2]

فالحمدُ للهِ الذى جعل «السيدَ عزيزَ الدولةِ» – أعز اللهُ نصرَه – يُصَرِّفُ على اختيارِ شخصِ «أَسَدَ الدولةِ» . – أدام اللهُ تمكينَه[3] – كما صَرَّف الراجزُ اسمَه على اختيارٍ ، فقال :

لَئِنْ خرجتُ من دِمَشقَ صالِحا
وقد تجهَّزتُ جِهازاً صالحا
لَأَجذِبَنَّ النِسْعَ جَذْباً صالحاً
وآتِيَنَّ بالعِــراقِ صالِحاً
إنى رأيتُ صالحاً لى صالحا[4] (224)

ولولا أن الوَزْنَ الذى يُسَمَّى رَكْضَ الخَيْلِ وزنٌ رَكيكٌ ، لوجَب على نَقيبِ الشعراء أن يتقدمَ إليهم ألاَّ يُنشِدوا «السيِّدَ عزيزَ الدولة» – أعزاللهُ نصرَه – شِعرًا فى هذه الآونةِ إلا على ذلك الوَزْنِ . ولكنه وزنٌ ضَعُفَ وهجرتْه الفُحولُ فى الجاهليَّةِ وفى الإسلام . وربما تكلَّفه بعضُ الشعراء ، كما قال :

أَوَقَفْتَ على طَلَلٍ طَرَباً   فَشَجاكَ وأَحزَنَكَ الطَّلَلُ

(١) ترحض : تغسل ، والوسب : الوسخ . فى البردين : برد الغداة وبرد العشى . والمائر : جالب الميرة . وشهر المليساء : الشهر الذى تنقطع فيه الميرة (ف ، ض) .

(٢) على هامش (ف) طرة أمكن أن يقرأ منها بعد هذا البيت :

وأعرض دون ذلك عن هموى   هموم تخرج الداء الدفينـا

وقائله «خزيمة بن مالك بن نهد» فى فاطمة بنت يذكر بن عنزة . ذكره الميدانى فى المثلين: إذا ماالقارظ العنزى آبا ، أضل من قارظ عنزة .

(٣) الجملة الدعائية سقطت من (ف) وجاءت فى (ض) وهى بأسلوب أبى العلاء أشبه ، خص بها «أسد الدولة» حيثما جاء ذكره .

(٤) [صالحا] على ترتيب ورودها فى الأبيات : معافى ، وجهازا جيدا ، وجذباً قوياً للنسع وهو حزام الرحل ، واسم الممدوح الذى يقصده فى العراق ، ونافعاً مفيداً (ف)

وقد تأمَّلتُ عَدْوَ الخيْلِ فوجدتُ هذا الوزْنَ يُشابِهُ التقريبَ الأعلى والتقريبَ الأدنى ، على حَسَبِ عَجَلَةِ المُنشِدِ وتَرسُّله . وهما تقريبانِ أحدُهما الثَّعْلَبيةُ والآخرُ هو الذى يُسَمَّى الإرخاء[1]. وكلاهما إذا سمِعتَه أدَّى إلى سَمْعِكَ هذا الوَزْنَ بعَيْنِه . وذلك أن الفرسَ يضربُ بحَوافِرِه الأرضَ ثلاثَ ضَرباتٍ متوالياتٍ ثم يَثِبُ ، فيكونُ ضَربُه الأرضَ مُوَازِياً لِثلاثةِ أحْرُفٍ متحركاتٍ ، ويكونُ وَثْبُه مُوازِيًا لِلسُّكونِ .

والمُرْجِفُونَ[2] بزَعيمِ الرومِ يزعمونَ أنه كاسْمِ الفاعلِ يعمَلُ فى ما يُستَقبَلُ من الزمانِ . وقد مضى القولُ فى أن «السيدَ عزيزَ الدولة» — أعزَّ اللهُ نصرَه — يُصَغِّرُه إذا خرجَ ، وقد عَلِمنا أن اسمَ الفاعلِ إذا صُغِّرَ بَطَلَ عمَلُه ، فمَنْ قال : هذا ضاربٌ زيْدًا غدًا ، لم يَجُزْ أن يقولَ : هذا ضُوَيرِبٌ زيدًا غدًا . ولعلَّ المُرجِفِين بذلك ، يظنون أن «السيد عزيز الدولة» — أعزَّ اللهُ نصرَه — قليلُ العِدَّةِ ؛ وهو بنَفْسِه الخَميسُ اللَّجِبُ . وإنما مَثَلُه فى «حَلَبَ حرسَها اللهُ» مَثَلُ الضميرِ يُضمَرُ فيختَصَرُ ، فإذا ظهر عظُمَ شأنُها . ألا تَرَى إلى قوله تعالى[3] : «ولو أنَّهم فَعلوا ما يوعَظُون به لكانَ خيرًا لهم وأشَدَّ تثْبيتاً»؟ فالهاءُ فى «به» تَدُلُّ || على أشياءَ كثيرةٍ ممَّا وُعِظوا (225
به ، ولو ظَهرتْ لا تَّسعَ فيها القولُ. وكيف يُظَنُّ ذلك بِسُلطانٍ بعضُ جنودِه «بنو عامر بن صعصعَةَ*» وهم الذين رأَتْ أُمُّهم فى المنامِ قائلا يقولُ لها :

(١) الثعلبية : ضرب من العدو . وهى فى (ق ، ثعب) : أن يعدو الفرس كالكلب .

(٢) المتكلمون بما يسىء الناس (ف)

(٣) [تعالى] فى (ض) وحدها. والآية من سورة النساء: «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً» ٦٦

* عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، من قيس عيلان بن مضر . قال ابن حزم: وفى ولده عامر بن صعصعة، البيت والعدد. انظر بنى عامر فى (جمهرة الأنساب ٢٦١ : ٢٧٥) وعامر الأحرار من كلب : هو عامر بن عوف بن بكر ، من كلب بن وبرة القضاعى، وفيه البيت والعدد .=

إذا ولدْتِ عامرًا وعامرا

فقد ولدتِ العدَدَ الجَمَاهرا[1]

فولدتْ «عامرَ بنَ صَعْصعةَ وعامرَ الأَجرارِ من كلبٍ» . وحُكْمُ حُلَفائهم[2] وجيرانهم مِثلُ حُكمِهم فى النجدَةِ والمُسارعةِ إلى النُّصْرةِ . ومن بعضِ حُلَفائهم طيِّئٌ ، ومن بَعضٍ[3] أحياءِ طيِّئٍ سِنْبِسٌ * ، وقد قال «الأَخرَمُ السنبِسى *» :

(١١٩) لَنَـا زارةٌ ضَبِسٌ نَابُهـــا يَهونُ على حامِيَيها الوعيـدُ[4]

بِهـا قُضُبٌ هنــدوانِيَّــة وغابٌ تَزَاءَرُ فيه الأُسودُ[5]

ثمـانونَ أَلفــاً ولم أُحْصِهِمْ وقد بَلَغتْ رجْمَهـا أو تزيدُ

وإنما جعلتُ حُلَفاءَهم مِثلَهم ، لأَن بعضَ ما يُزادُ فى الكلمةِ يكون مثلَ حَرْفِها الأَصلِيِّ . أَلا ترى أَنكَ إذا جَمَعتَ كَوْثرًا أَو صَغَّرتَه قُلتَ : كُوَيثر

ـــــــــــــــ

= انظر بنى كلب بن وبرة فى (جمهرة الأنساب ٤٢٧ : ٤٣١) . قال ابن حزم: وعامر بن عوف الكلبى ، هو أخو عامر بن صعصعة لأمه ، أمهما : عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى ، حاكم العرب فى الجاهلية ، كانت تحتكم إليه وتمضى على حكمه (الجمهرة ٤٢٧ ، ٢٥٢) .

(١) فى (ص : جمهر) عن الأصمعى : الجمهور الرملة المشرفة على ما حولها ، وهى المجتمعة . والجمهور من الناس : جلهم

(٢) حكم حلفائهم ، أى جنود عزيز الدولة من حلفاء بنى عامر بن صعصعة .

(٣) من ض : وفى (ف) : [بعض] :

(٤) الأبيات هنا ، هى الرابع والخامس والسادس ، من قصيدة حماسية للأخرم السنبسى (١/٣٣٧) فى متن الأصلين [لنا جارة] وصححها على هامش ف : [لنا زارة] ورواية أبي تمام : * لنا باحة ضبس نابها * وفى الطرة على (ض) : الضبس السيىء الخلق ، والزارة : الأجمة . والمراد بحامييها ، جبلا طى أجأ وسلمى ، أو الخيل والسلاح) .

(٥) رواية أبي تمام الشطر الثانى : * وعيص تزاءر فيه الأسود * وفى شرح التبريزى : العيص منابت كرائم الأشجار الملتفة ، والمراد به كثرة السلاح ، والأسود هنا الشجعان .

والبيت بعده ، من شواهد (الغفران: ٥٧٣) .

* بنو سنبس ، بطون ضخمة من بنى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ (جمهرة أنساب العرب ٣٧٧ : ٣٧٨)

* الأخرم السنبسى ، الطائى : شاعر حماسى من بنى سنبس ، انظره فى شعراء الحماسة ، وفى (شرح شواهد المغنى ١٠٢) وهو من أعلام الغفران (٥٧٣)

وكواثرُ ، فكانت الواوُ وهى زائدةٌ ، ثابتةً ثباتَ عَيْنِ جَعْفرٍ وما كان مِثلَها من الأَصْليَّاتِ ؟ وكذلك الجزءُ من الشِعْرِ يُزادُ عليه شىءٌ من الجزءِ الآخرِ فيصيرُ معه لا يُفارِقُه ، كما زيدَ الترْفيلُ والإذالةُ على السُّباعِيِّينِ فى مثلِ قولِ الأوَّل :

اِحْبِسْ جمالَك يا ابنَ قَيْـــلةَ إنها إحدى المَحابِسْ
يا صـاحِبَىَّ سَـلِمتُما منْ خاطِرٍ فى القلبِ هاجِسْ

وفى مِثْلِ قولِ المرأة المَكيَّة(١) :

أبُنَىَّ لا تَظلِمْ بِمَكــةَ لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحفظْ مَحارِمَهَا ولا يَغرُرْكَ باللهِ الغَرورْ (226)

ولعلَّ بعضَ المُعَادينَ يَحْسَبُ أن هذه الطوائفَ لا تَهَشُّ للقتالِ ، يَذهَبُ إلى أنهم بلا أرْزاقٍ . أوَ ما شَعَروا أن إقْطاعَهم كالأَرْزاقِ لهم ؟ ولو لم يكن لهم إقطاعٌ لقاتلوا حَميَّةً وانتصارًا . قال الراجزُ :

نحن ضرَبْنــا الأَسْدَ بالعِراقِ والحَىَّ من ربيعةَ المُــرّاق
بِــلا معــونةٍ ولا أرْزاقِ إلا بَقــايا كرَمِ الأَعْراقِ
ضرْباً يُقِيمُ صَعَرَ الأَعْنــاقِ(٢)

والمُرْجِفون من أهلِ الجهْلِ يَتخوَّفون أن زعيمَ الرومِ إنْ خرَجَ نازَلَ «حَلَبَ حرسها اللهُ » . ولو فَعلَ لَجاز أن يكونَ للأَيامِ الثلاثةِ يومٌ رابعٌ .

---

(١) المرأة المكية : سبيعة بنت الأحب ، من بنى خزيمة بن عوف . وابنها الذى قالت له هذا الشعر هو : خالد المشرف ، من ولد عبد مناف بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، وكان فيه بغى وعرام (نسب قريش ٢٩٣) والبيتان من قصيدة أبياتها خمسة عشر بيتاً ، فى السيرة (لابن هشام : ١/ ٢٧) من قصيدة لسبيعة بنت الأحب

(٢) يقال الأسد والأزد – بسكون السين والزاى – للقبيلة. وربيعة : بن معد بن نزار بن عدنان . والصعر : الميل والعوج (ف) وفى (ص ، ل) : الصعر الميل فى الخد خاصة ، وقد صعر خده وصاعره ، أى أماله من الكبر . ومنه قوله تعالى : « ولا تصعر خدك للناس» وقال الشاعر « المتلمس » :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما

والأَيامُ الثلاثةُ : يومُ المَخاضةِ ، ويومُ أَفامِيَةَ ، ويومُ الكَرْمَلوكِ[١] .

وقد مضى القولُ فى أن اللفظةَ الواحدةَ تُحمَلُ على الطيرَةِ وعلى الفأْل ؛ ولو رأتْ جيوشُ الروم «قُوَيقاً» لَجاز أن يكون لهم طِيَرةً بالهلاكِ ، لأَنه تصغيرُ قاقٍ ، من تَسميةِ العامَّةِ الغرابَ قاقاً . فيَنعَبُ لهم قويقٌ بتِفريقِ الشَّمْلِ . وكذلك لو رأت «العافِيَةَ» هذه القريةَ ، واسمُها لأَهلِ حلَبَ حرسَها اللهُ فأْلٌ لِعافِيةِ الجسمِ والصحَّةِ من السَّقَم ، وهى لِلعَدُوِّ طِيَرةٌ تَعْفُو أثرَه ، من قولِك : عَفَتْه الريحُ ، كما قال «حَسَّانُ» * :

دِيَارٌ من بَنِى الحَسْحاسِ قَفرٌ عَفَتْهــا الريحُ بَعْدَكَ والسماءُ

ولو نظروا إلى «القَلَعَةِ» * قابلتْهم الطيَرَةُ بالبَوَارِ ، لأَن القَلَعَةَ ، بتحريكِ اللامِ ، هو الكلامُ الصحيحُ ، وهى موافِقةٌ لجَمْعِ قالِعٍ من قولِك : قَلَعَ الفارسَ عن فَرَسِه ، فالواحِدُ قالعٌ || والجمعُ قَلَعَةٌ ، مثلُ (227)
ضاربٍ وضَرَبَةٍ . ولا عجب من أَمْرِ اللهِ : كانوا يَرَوْن «القَلَعَة» من أبوابِ المدينةَ شامخةً فى أعنانِ السماءِ ، ثم تخرجُ إليهم القَلَعَةُ من أبوابِ المدينةِ . فانظُرْ إلى هذينِ المعنَيين كيف حَسُنَا مع التَّضادِّ ؟ و «القَلَعَةُ» أدامَ اللهُ حِمايتَها وإن كانت مَعْقِلاً للمسلمينَ ، فقد صارتْ لمَّا مَلَكها «السيدُ عزيزُ الدولةِ» ـ أعز اللهُ نصرَه ـ كالقَلَعةِ السَّحابَةِ العظيمة ، واحِدةِ القَلَعِ من قولِ «الباهلىِّ * »[٢] :

بِقَاعٍ من فَسا ذَفِرِ الخُزامَى تَهادَى الجِرْبِياءُ به الحنينا
تَفَقَّأُ فوقَه القَلَــعُ السَّوارى وجُنَّ الخَازِبازِ به جُنونَا

(١) أيام للمسلمين على الروم . انظر ص ٦٦٠ من الصاهل .
(٢) فسا : موضع . والجربياء : الريح التى بين الجنوب والصبا (ف) هى ريح الشمال (ض)=
* حسان : بن ثابت = ١٧٨
* القلعة : يعنى قلعة حلب .
* الباهلى ، عمرو بن أحمر (ف) = ١٤٤

وإنما صارتْ كذلك لأَن «السيدَ عزيزَ الدولة» – أعز اللهُ نصرَه – يُمْطِرُ عليهم الإحسانَ ويَبلُهم بالمعروفِ[1] .

ومَنْ سَكَّنَ لام القَلْعةِ من العامَّة[2] ، فهو فَأْلٌ لأَهْلِ البلَدِ وطِيَرةٌ للعدُوِّ ، وكأَنه المصدرُ من : قلَعْتُ الجيشَ عن الموضعِ قلْعَةً . وإنما مملكتُه فى هذا الموطنِ كما قال «ابنُ أَحمَرَ*» :

اِسلَمْ برَاووقٍ حُبِيتَ بِـــه   وانعَمْ صباحاً أَيهـا الجَبْرُ[3]
ما أُمُّ غُفْرٍ بالغَلاَلَـةِ لم   يمَسَسْ حَشَاها قبلَه غُفْرُ[4]
١٢٠) ||قَعَدتْ من الشُّمِّ الطـوالِ إلى   عنقـاءَ يَلغَبُ دونَها النَّسْرُ

فذكر «المُفجَّعُ*» أَن «ما» فى قوله : ما أُمُّ غُفْرٍ ، للنفىِ ، وأَن الخبرَ محذوفٌ . ولا يُعجِبنى هذا القولُ . وإنما المعنى أَنه أَراد الاستفهامَ

= وتفقاً : نثر بالماء . والقلع السوارى: السحب السارية بالليل . والخازباز : صوت الذباب ، ويقال هوالذباب نفسه ، وهوأيضاً ضرب من النبات . (ف ، ض) .

والبيت الثانى ، أنشده الجوهرى لعمرو بن أحمر فى (خوز) شاهداً على : الخازباز ، ذباب ، وهما اسمان جعلا واحداً وبنيا على الكسر لا يتغيران فى الرفع والنصب والجر (البيت) وقال الأصمعى : الخازباز حكاية لصوت الذباب فسماه به . وقال ابن الأعرابى : الخازباز نبت

(١) يبلهم : يمطرهم وابلا من المعروف . من : وبل يبل وبلا ، كوعد يعد وعدا .

(٢) فى ضبط القاموس: والقلْعة ... الحصن الممتنع على الجبل ، ويحرك . ج قلاع وقلوع . وبلد بالهند ينسب إليها الرصاص . والقلَعة ، محركة: صخرة تنقلع عن الجبل منفردة يصعب مرامها ، أو الحجارة الضخمة . ج قلاع وقلع ، والقطعة العظيمة من السحاب كأنها جبل ... ج قلع .

(٣) الجبر : الملك (ف) والبيت فى (ل : جبر) قال ابن سيده : والجبر الملك ، ولا أعرف مما اشتق . إلا أن ابن جنى قال: سمى بذلك لأنه يجبر بجوده، وليس بقوى. قال ابن أحمر : (البيت) ولم يسمع بالجبر الملك إلا فى شعر ابن أحمر . حكى ذلك ابن جنى . وله فى شعر ابن أحمر نظائر كلها مذكور فى مواضعه ...

(٤) أم غفر : الغفر ولد الأروية . وعنقاء : جبل (ف) والطويلة من الهضاب (ض) ويلغب ، يعيا (ف) من : لغب لغوباً ، ولغب ، بالكسر ، يلغب لغوباً : لغة ضعيفة فيه (ص)

* ابن أحمر : عمرو = ١٤٤
* المفجع ، البصرى = ٤٦٩ .

والتقريرَ ، لأنه يُخاطبُ امرأةً ويزعمُ أنه أشار عليها بأَمْرٍ فلم تَقبلْ ، أى : لو كنت قبلتِ لَكُنتِ كأمِّ الغُفرِ فى المنعة والعزِّ. ‖ ومَا ، على معنى التقريرِ (228) كما جاءَ فى الحديثِ : «أمُّ زرعٍ وما أمُّ زرعٍ» أى : أى شىءٍ هى : على معنى التعجبِ من الخَيْرِ الذى هى فيه[1] .

ولو نزل جيشُ العدوِّ – خذلَه اللهُ – بظاهرِ «حَلَبَ حرسها اللهُ» ، لَصادفَتْه القَافيةُ على الرَّوىِّ ومَنعَ نومَه الرَّسُّ ، وخاف الشجَبَ من الحَذْوِ ، وفَقدَ الإِشْباعَ وفزِعَ إلى التوجيه ، وطلبَ المَجْرَى والنفاذَ فوجدَهما عزيزَين . وأَضرَّ به فى ذلك الإِقواءُ وأُكْفِىَ عن المرادِ ، وعرَّفَه «عزيزُ الدولةِ» – أعز اللهُ نصرَه – كيف يكونُ الإِيطاءُ . وحُمِلَ البِطْريقُ على السِّنادِ ، وسأَلَ فى تضمينٍ وإغرامٍ ، ومَن له بأَن يَصِلَ إلى الإِجازةِ أو الإِجارةِ ؟ ولَكرِهَ جيشُهم أن يَدنوَ إلى التأسيسِ ، وذهلَ عن الرِّدفِ إذا وقَع بهم وَصْلٌ وخروجٌ . فكان صاحبُ الردْفِ كما أنشد «حبيبُ بنُ أوسٍ*» فى بعضِ اختياراتِه «للفرَّارِ السُّلَمِى*» :

عَدمتُ أُناساً بالجليلِ كأَنَّما عَميدُهمُ لَيْثٌ بِبِيشَةَ أَقْدَعُ[2]

---

(١) انظر (باب ذكر حديث أم زرع : رقم ٢٤٤٨ من كتاب فضائل الصحابة ، فى صحيح مسلم) وسياقه من حديث عروة عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، أن إحدى عشرة امرأة جلسن فتعاهدن أن يصفن أزواجهن لا يكتمن شيئاً . وكانت «أم زرع» الحادية عشرة منهن ، قالت : "زوجى أبو زرع فما أبو زرع" ؟ ووصفته بخير ما وصفت به سائر صواحبها أزواجهن. قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كنت لك كأبى زرع لأم زرع» .

(٢) بيشة : مأسدة . والقدع ، محركة : اعوجاج فى الرسغ من اليد أو الرجل ، أو هو عوج فى المفاصل كأنها زالت عن مواضعها ، وزيغ بين القدم وعظم الساق ، هو أقدع ، وهى قدعاء (ق)

* حبيب بن أوس ، أبو تمام = ٣١٠ فى اختياراته : فى (ديوان الحماسة) .

* الفرار السلمى : حيان بن الحكم بن مالك بن خالد بن صخر بن الشريد ، وكان يسمى فى الجاهلية الفرار (ف) من بنى سليم بن منصور ، من قيس عيلان بن مضر . (الإصابة ١ / ٣٠٤) والفرار ، شاعر مخضرم ، من شعراء الحماستين .

كأَن ابنة الشَّقْراءِ لمَّـــا ابتذلتُها بِذى الرِّمْثِ ظَبىٌ من تَبالة أَخْضَعُ(١)

غداةَ يقولُ القَيْنُ هل أنت مُردِفِى وما بين ظهرِ القَيْنِ والرُّمحِ إِصبَعُ

فقلت له يا ابنَ الخَبيثةِ إنها برَبٍّ خفيفٍ واحدٍ هى أَسرعُ

فإن يَكُ عارًا يومَ ذاكَ أَتيتُه فِرارى ، فذاكَ الجيشُ قد فَرَّ أَجمعُ

وهذه الألفاظُ التى تقدَّمتْ ، مُلغِزَةٌ عن حروفِ القوافِى وحركتِها ، وعيوبِ الشعر :

فأَردتُ بالقافيةِ جماعةً يُبرِزُهم السلطانُ - أعزَّ اللهُ نصرَه - فيَقفُون العدوَّ ، أى يضربونهم فى قِفِيِّهم . من قولِكَ : قفوتُه ، إذا ضربتَ قَفاه . فالواحدُ قافٍ والجماعةُ || قافية . كما تقول : رجلٌ سائرٌ ورجالٌ سائرة . (229
وأَلغزتُها عن قافية البيتِ .

والروِىُّ الماءُ المُروِىُّ . أَلغزته عن روىِّ الشعرِ . والماءُ الروِىُّ هو « قُوَيقٌ » المبارَكُ الذى إذا حُمِلَ على أنه تصغيرُ : قاقٍ ، من قولِ العامةِ للغُراب : قاق ، فهو فألٌ بالسعادة الدائمة لمَلِكِ هذا المِصْرِ ورعيَّتِه . لأَن « قويقا » مُذْ أَجراه اللهُ لحلبَ حرسها اللهُ ، لم يَصُدَّه عنها شىء . فكان مِثلَ قولِهم فى المثلِ : ليس غرابهُم بمُطار(٢) . قال « النابغةُ » :

ولِآلِ عَتَّـــابٍ وقَـــدٍّ سُورَةٌ من المجـــدِ ليس غرابُها بمُطارِ(٣)

(١) ابنة الشقراء : يعنى فرسه . وذو الرمث وقباله : موضعان (ف) والأخضع : الذى فى عنقه خضوع وتطامن .

(٢) يعنى بملك هذا المصر : عزيز الدولة ، والى حلب .

(٣) رواية « الجوهرى » للشطر الأول من بيت النابغة : * ولرهط حراب وقد سورة * ونقل قول أبى عبيدة : هما رجلان من بنى أسد (ص : قدد ، سور) وقد وجه « الميدانى » البيت على التيمن بالغراب ، من قولهم : هم فى خير لا يطير غرابه ، أى يقع الغراب فلا ينفر ، لكثرتهم . وشاهده بيت النابغة الذبيانى : أى من عرض لهم ، لم يمكنه أن ينفر سوادهم ، لعزتهم وكثرتهم (الأمثال ١ / ٣٨٥) .

وقويقٌ على هذا القول ، هو ذلك الغُرابُ المذكورُ فى المَثَلِ . ونقيضُ قولِ «النابغة» . قولُ «النميرىّ * » :

فلو كنتُ معذورًا بنصرِكَ طَيَّرتْ   صقورىَ غِربانَ البعيرِ المقَيَّدِ[1]

وعنيتُ بالرَّسّ ، ما يجدُه الرجلُ فى قلبِه من وَجْدٍ أو حُزنٍ . يقال : وجَدَ رسًّا ورسيساً . ألغزتُه عن الرسِّ وهو الفتحةُ التى تكونُ قبل التـأسيسِ ، كفتحةِ النونِ فى قولِ «النابغة* » :

* كِلينى لِهَمٍّ ياأُميمةُ ناصبِ *

وعنيتُ بالحَذْوِ ، المصدرَ من قولِك : حذوتُ المكانَ أَحْذُوه حَذْوًا ، إذا حاذيتَه . والمكانُ هو «حلبُ» حرسها اللهُ . ألغزتُه عن الحَذو فى الشعرِ ، وهى حركةُ ماقبل الرِّدْفِ ، تكونُ مَرَّةً فتحةً ، ومرةً ضمة ، ومَرةً كسرة .

وعنيتُ بالإشباعِ ، المصدرَ من : أشبعهم الطعامَ . ألغزته عن الإشباع فى الشعرِ ، وهوحركةُ الحرفِ الدخيلِ ، ومكانُه بين التـأسيس والروىِّ. مثل صادِ * ناصبِ * وقد يكونُ الإشباعُ حركةَ ما قبل الروىِّ بغير تـأسيس[2].

وعنيتُ بالتوجيهِ ، || توجيههَم فى طلبِ الصُّلْحِ . ألغزتُه عن توجيهِ الشعرِ . وهى حركةُ ما قبل الروىِّ المقَيد . (230)

وعنيت بالمجرى ، مجَرى الخيلِ . ألغزتُه عن المَجرَى فى الشعرِ ، وهى حركةُ حرفِ الروىِّ .

---

(١) الشاهد فى (طبقات الشعراء) من أبيات للراعى النميرى فى امرأة من بنى نمير ، كانت تظعن مع الراعى وتحل ، حيث ظعن وأحل ، فغار رجل منهم فقطع بطان رحلها فسقط

(٢) فى (ض) : [والكسرة هى الإشباع]

* النميرى : الراعى ١٣٩

* النابغة ، الذبيانى = ١٧٨ ، تمام البيت * وليل أقاسيه بطىء الكواكب * مطلع قصيدته البائية فى (الديوان : ٤٢) من اعتذارياته للنعمان بن المنذر . وفى (الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ /١٣) عن الأصمعى : لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن من هذا البيت ولا أغرب .

(١٢١) وأردتُ بالنفَاذ، المضَاء فى الأمرِ . ألغزتُه عن النفاذِ فى الشعرِ ، وهى حركة هاءِ الوصلِ . كفتحةِ الهاءِ فى قولِ «لبيد*» :

* عَفَتِ الديارُ محلُّها فمُقَامُها* [١]

وعنيتُ بالإقواء ، فناء الزادِ . ألغزتُه عن الإقواءِ فى الشعرِ .

وأكفِىءُ ، أى أُمِيل . ألغزتُه عن إكفاء الشعر . والمُكفَأُ المُمَالُ . قال «ذو الرُّمة *» :

وَدَوِيَّةٍ قَفْرٍ ترى وجهَ رَكْبِها إذا ركبوها مُكفَأً غيرَ ساجعِ [٢]

وعنيت بالإيطاء ، إيطاء الفرسِ القتيلَ . كما قال «زيدُ الخيل*» :

يا بنى الصيـــداءِ رُدُّوا فَرَسى إنما يُفعَلُ هـــذا بالذليلْ
عَوِّدُوا مُهرى كما عوَّدتُــه دَلَجَ الليلِ وإيطــاءَ القتيلْ [٣]

ألغزتُه عن الإيطاءِ فى الشعر ، وهو ترديدُ القافية مرتين .

---

(١) تمام البيت ، وهو مطلع معلقة «لبيد» : * بمنى تأبد غولها فرجامها *

(٢) فى (طرق ف) : يريد وجهها الذى يؤمونه . يقول هو على غير القصد ... ومنه الإكفاء فى الشعر وهو المخالفة بين قوافيه . وغير ساجع : غير مستقيم على القصد .

(٣) فى رواية * عودوه مثلما عودته * (ف) وهى رواية القالى . من أبيات أنشدها فى أماليه . وفى (تنبيه البكرى) : بنو الصيداء من بنى أسد . وخبره أن فرساً جواداً لزيد ، ظلع فى بعض غزواته ، فخلفه فى حى من الأحياء ، فأغارت بنو أسد على ذلك الحى ، فأخذت الفرس . وبعد هذين البيتين :

لا تذيلوه فإنى لم أكـــن يا بنى الصيدا لمهرى بمذيل
أحمل الزق على منســجه فيظل الضيف نشواناً يميل

* لبيد = ٩٣
* ذو الرمة = ١٢٦
* زيد الخيل: زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب الطائى (جمهرة الأنساب) من مقدمى الشعراء الفرسان الأجواد . قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى طيىء ، وسماه عليه الصلاة والسلام: زيد الخير (السيرة ٤/٢٤) والإصابة ١/٢٩٤) وانظر: الشعر والشعراء ١/٢٨٦ معارف ، ورسالة الغفران ٤٨٩ ، والأمالى القالى ١/١٢ ، ١١٧ ، والذيل ٢٣ والنوادر ١٨٥ والمؤتلف ١٣١ والاستيعاب (٨٦٢)

وعنيتُ بالسِّنادِ ، الناقةَ الضامرةَ يُحمَلُ عليها البطريقُ إذا أُسِرَ ، أَلغزتُه عن السنادِ فى الشعرِ ، من قولِ « عَدىٍّ بن الرقاعِ* » :

وقصيدةٍ قد بِتُّ أَجمَعُ شملَها   حتى أقوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها[1]

والتضمينُ ، من قولِك : ضمَّنَ الرجلُ نفسَه سواه ، إذا ضمِنَ عنه المالَ . أَلغزتُه عن التضمينِ فى الشعر ، وهو أن يَتِمَّ البيتُ والمعنى لم يَتِمَّ . بل يكونُ متعلِّقاً بالبيتِ الآخرِ .

والإغرامُ ، من قولِك : أَغرمتُه مالاً . أَلغزتُه || عن الإغرامِ فى الشعر ، (231)
وهو ضربٌ من التضمينِ أَيسرُ منه . وقال قومٌ : بل الإغرامُ أن يتمَّ البيتُ ولا تَمّ الكلمة . وذلك مفقودٌ فى أشعارِ المتقدمين ، وربما تكلَّفَه المُوَلَّدون . كما قال بعضُهم :

أَبا بكرٍ لقد جاءتْك من يحيى بن منصو
رِ الكأْسُ فخذْها منه صِرفاً غيرَ ممزو
جةٍ جنَّبكَ اللهُ أَبابكرٍ من السُّو

---

(١) هذا البيت من قصيدة ، له ، يمدح بها الوليد بن عبد الملك (ف) والقصيدة كاملة ، نشرها « الميمنى » فى مجموعة (الطرائف الأدبية ٨٧) وفى (طبقات الشعراء لابن سلام ٥٥٨) سبعة أبيات منها . وفى (الشعر والشعراء ٥١٦) أربعة أبيات أخرى . وذكر ابن قتيبة فى ص ٢٣ هذا البيت ، مع شواهد أخرى ، على تنقيح الشعراء لقصائدهم . وروايته الشطر الأول : وقصيدة قد بت أجمع بينها . ومثلها رواية (البيان والتبيين ٣/١٥٠) وبعده :

نظر المثقف فى كعوب قناته   حتى يقيم ثقافه منآدهـــا

والبيت من شواهد ابن جنى فى (الخصائص ١ /٣٣١) على الصنعة فى الشعر القديم .

ونقل المبرد فى (الكامل ٣/١٤١) أن « جريراً» حسد « عدى بن الرقاع» عندما سمعه ينشد الوليد ابن عبد الملك هذه القصيدة . « قال : جرير فلما وصل إلى قوله ، فيها : « تزجى أغن كأن إبرة روقه» قلت فى نفسى : وقع والله ، ما يقدر أن يقول أو يشبه به ، وقال عدى : « قلم أصاب من الدواة مدادها» فما قدرت حسدا له أن أقيم ، حتى انصرفت »

(٢) على هذا النسق فى (ض) وفى (ف) على نسق النثر . وانظر (تعريف القدماء ٤١٤)

* عدى بن الرقاع : ٣٠٤

وعنيتُ بالإجازة ، المصدرَ من قولِك : أَجزتُ القومَ دارَ المخافةِ ، إذا عبَرتَهم إياها . ألغزتُها عن الإجازة فى الشعرِ ، وهو اختلاف حركةِ ما قبلَ حرفِ الروىِّ فى الشعرِ المقيَّد ، كما قال امرؤُ القيس :

* أنى أفِرّ * ثم قال : * جميعاً صُبُرْ * ثم قال : * واليوم قَرّ *[١]

والإجارَةَ ، أردتُ بها : أجرتُ القومَ من العدو . ألغزتُها عن الإجارةِ فى الشعر ، وهى مثلُ قول الراجز :

باتتْ وباتَ ليلُها دَبــا دبــا   يَتبعْنَ محبوكَ القَزالِ أَخدَبــا

فهو أَخٌ لهذه وعَمٌّ تــا[٢]

وعَنيت بالتأسيس ، المصدرَ من : أسستُ البناء . وإنما أردتُ تأسيسَ السُّورِ . ألغزتُه عن تأسيسِ الشعر . وهو أن تجىء فيه ألفٌ بينها وبين حرفِ الروىِّ حَرْفٌ واحدٌ ، كألف : ناصِبٍ ، ونحوِها .

وعنيتُ بالوصلِ ، اتصالَ المطَرِ ، من قولِ الشاعرِ :

سُحَيْرًا وأعناقُ المَطِىِّ كأنها   مدافعُ ثُعْبَانٍ أضرَّ بها الوصْلُ[٣]

---

(١) من رائية امرئ القيس المقيدة التى مطلعها :

أحـــار بن عمرو كأنى خمر   ويعدو على المـــرء ما يأتمر

وقال « ابن قتيبة» فى الشعر والشعراء ١/٩٧ معارف : « اختلفوا فى الإجازة فقال بعضهم : هو أن تكون القوافى مقيدة فتختلف الأرداف ، كقول امرئ القيس : * لا يدعى القوم أنى أفر * فكسر الردف . وقال فى بيت آخر . * فكندة حولى جميعاً صُبُرْ * فضم الردف ، وقال فى بيت آخر : * ألحقت شراً بشر * ففتح الردف.

(٢) فى (أمثال الميدانى ١/١٧٩) : باتت ليلها دبى دبى : أى ليلها ايل شديد . ومعه المثل : جاء بدبى دبى (١/١٧٢) وذكره « الجوهرى» فى : الدبى الجراد قبل أن يطير : الواحدة دباة ، وعن ابن الأعرابى : جاء فلان بدبى دبى ، إذا جاء بمال كالدبى فى كثرته .

والمحبوك : الشديد الخلق من الفرس وغيره . والقذال : معقد عذار الفرس خلف الناصية . والأخدب : الأهوج الذى يركب رأسه . وانظر الرجز فى (نوادر أبى زيد : ٢٥٨) .

(٣) فى الطرة ، على النسختين : الثعبان، إذا روى بالعين – المهملة – فهو جمع ثعب ، وهو الماء المنثعب ، أى السائل . وإذا روى بالغين فهوجمع ثغب ، بالتحريك والإسكان ... الغدير . =

يريدُ اتصالَ المطرِ . والثُّعْبَانُ يُنشَدُ هنا بالعَيْنِ ، ولو أَنشِدَ بالغَينِ المعجَمةِ لَصَلَح[١] . أَلغزتُه عن وصلِ الشعرِ ، وهو أَلفٌ أَو ياءٌ أَو واوٌ أَو هاءٌ ، يكُنَّ بعد حرفِ الرويِّ .

والخروجُ ، أَردتُ به خروجَ الناسِ للقتالِ ، أَلغزتُه عن الخروج فى الشعر ، وهو || أَلفٌ أَو واوٌ أَو ياءٌ ، يكُنَّ بعد هاءِ الوصلِ المتحركة . (232)

وقد يحتملُ أَن أَعنىَ بالوَصْلِ ، وصْلَ القومِ خروجَهم بعضه ببعضٍ . وإنما حملتُه على المطرِ فى القولِ الأَول ، لأَن المُرجِفين من أَهلِ مِلَّةِ العدُوِّ يزعُمون أَنه يؤخِّرُ خروجَه إلى الشتاء . وأَحْلِفُ إن كان عزم على الخروج فى الربيعِ ثم انكسر عن ذلك ، إنها لَأَوَّلُ هزيمة . والكَسْرُ إن شاء اللهُ يَتبعُ الكسرَ ، كما قرأَ بعضُ الأَعرابِ :

« الحمْد لِلهِ ربِّ العالَمِينِ » فأَتْبعَ الكسرَ الكسْرَ .

أَوَ ليس المتحاربون يُواعِدُ بعضُهم بعضاً الربيعَ ونباتَ الرَّوْضِ ؟ ولذلك قال القائلُ[٢] :

قد كنتَ تأْمَنُنا والجَدْبُ دونَكُمُ فاحذرْ إذا بُقْعُ أَولادِ الجرادِ نَزا

= وفى (ص) ثعبت الماء ثعباً . فجرته . والثعب ، بالتحريك : مسيل الماء فى الوادى . ج ثعبان . وفى الثغب ، بالمعجمة : الثغب الغدير ، يكون فى ظل جبل لا تصيبه الشمس ، فيبرد ماؤه . والجمع ثغبان ، بالكسر والضم . وقد يسكن الثغب ، فيجمع على ثغاب وأثغاب .

(١) [ولو روى] خـ على هامش النسختين .

(٢) رواية « ابن جنى» فى الخصائص (١/٣٧) عن ابن دريد وثعلب :

قدكنت تأمننى والجدب دونكم فكيف أنت إذا رقش الجرادنزا

البقع ، جمع أبقع و بقعاء ، سواد فيه بياض (ف) ومثله فى (ص) وقال فى (القاموس) : البقع ، محركة ، فى الطير والكلاب كالبلق فى الدواب . والفعل : بقع ، كفرح . وأرض بقعة ، كفرحة : فيها بقع من الجراد . =

وأنشد «ابنُ الأعرابى* » :

وقد جعلَ الوَسمِيُّ يُنبِتُ بيننا وبين بَنِي رُومانَ نَبْعاً وشَوْحَطَا[١]

أى نقتتلُ إذا أنبتَ الروضُ، فنترامَى عن قِسِيِّ النبع والشوحط . وقال آخرُ :

وفى البَقْلِ إن لم يدفعِ اللهُ شَرَّه شياطينُ ينزو بعضُهن على بَعْضِ[٢]

وقال «الإيادى* » :

١٢) قومٌ إذا نَبَتَ الربيعُ لهم نبَتَتْ عَداوتُهم مع البَقْلِ[٣]

ومن هذا النحو ، بيتٌ يُنشدُه أصحابُ المعانى :

لو وصلَ الغيثُ أَبْنَيْنَ امرأً كانت له قُبَّةٌ ، سَحْقَ بجادْ[٤]

= والشاهد فى (تنبيه البكرى ١٩) ومعه سائر الشواهد فيما يلى من كلام أبى العلاء عن الغزو فى الربيع والغارة فى الخصب . وفى تخريج «الميمنى» للبيت (سمط اللآلى ١/٢٣) قال : «وهذا الفصل كله – يعنى ما فى التنبيه عن الغارة فى الربيع إذا نبت البقل وشبع الناس – كأنه منقول من الصاهل والشاحج للمعرى» والعبارة توهم أنه نظر فى رسالة الصاهل والشاحج . وفيه نظر .

(١) الوسمى : أول مطر الربيع : والنبع والشوحط : شجر صلب (ف) وانظر الشاهد فى (تنبيه البكرى) .

(٢) إصلاح المنطق (١/٩٦) فى أبيات عن الربيع .

(٣) ذكره البكرى شاهداً على سعيهم بالسلاح إذا كثر الخصب . وذكره فى (ص ، ل : ب ق ل) شاهدًا على : البقل ، كل نبات اخضرت له الأرض . وانظره فى (إصلاح المنطق ١/٩٦) .

(٤) فى ص [لو نزل الغيث أبنين امرأ] وعلى هامش النسختين : أى أحوجنه إلى أن يبنى له خباء . والبيت من أبيات تلى ، الشاعر أبى مارد الشيبانى – جاهلى كما فى (الأضداد ٦١٤ والخصائص ١/٣٦) ورواية البيت فيها ، وفى (الصعاليك) مثل رواية أبى العلاء هنا . ثم تضطرب الرواية فى مراجعنا الأخرى : فى (ص : بنى) * لو وصل الغيث أبنينا امرأ* وفى (تنبيه البكرى ١٩) : * لو وصل الغيث لأبنين امرأ* بوصل همزة الفعل من إنشاد ثعلب عن ابن الأعرابى. وعدل عنها الميمنى فى (السمط ١/٢٣) إلى : * لأبنينا * .

والمعنى ، بهذه الروايات على اختلافها ، واضح مفهوم . لكن غير المفهوم ، ما جاء فى (الشعر والشعراء ، ط بيروت) : * ولو وصل الغيث أبناء امرئ*

لأن الغيث – على هذا – يصل أبناء الرئيس الذى كانت له قبة . وذلك عكس المفهوم من سائر الروايات وشروحها : ولعله من خطأ النقل . وضبط : قبة ، بالفتح منصوباً . ولا أدرى ما وجهه .

* ابن الأعرابى : ص ٣١٦

* الإيادى : الحارث بن دوس الإيادى – جاهلى – يخاطب المنذر بن ماء السماء ، كما جاء فى اللسان (بقل)

أى لو جاءَ المطرُ واتصلَ ، لَرعت الخيلُ النبتَ فقويَتْ على الغزوِ والغارةِ ، فأَغَرْنا على الرئيسِ صاحبِ القُبَّةِ فاحتاج ، لأَخذنا قُبَّتَه ، أَن يتخذَ بِجادًا خَلقًا على عمودين يستَتِرُ به ويستظِلُّ .

وبعضُ أَهلِ العلمِ ينشدُ هذا البيت :

* لو وصَلَ الغيثُ لَأَبْنَيْنَ امرأً[1] * (233)

وكذلك ذكره «أبو عُمَرَ*» فى (كتابِ الياقوتِ) . وهو خطأٌ لا محالة . وإنما يفعلُ ذلك مَن لا معرفةَ له بعلمِ الأَوزانِ ، لأَنه يرى الوزنَ وقد نفرتْ منه الغريزةُ ، فيَجذبُه بطبعه إلى ما يألف . ألا ترى أن قوله :

* لو وصلَ الغيثُ لأَبنيْنَ امرأً *

هو نصف الرجَزِ التام تقبلُه الغريزةُ بلا إنكار ؟ إلا أنه إذا فُعِلَ به ذلك بَعُدَ شكلُهُ من النصفِ الثانى . وقد روت الرواةُ أَشياءَ كثيرةً فأَفسدوها فى النقلِ . وسببُ ذلك ، الذى أَخبرتُك به . وهذا البيتُ فى أَبياتٍ توجَدُ فى (كتابِ الصعاليكِ) الذى يَرويه «علىُّ بن سليمانَ*» وهى لرجلٍ من اللصوص . وفيه أبياتٌ قد لَحِقَها فى النقلِ من الفسادِ مثلَ ما لحق هذا البيتُ فى رواية روايةِ مَن قال : * لَأَبْنَيْنَ امرأً * والأَبياتُ :

---

(١) نقل «الميمنى» الأبيات فى (السمط) مصدرة بقوله : «ولعلهم – الرواة – لم يقفوا عليها» وروايتها فيما لقل تختلف عن رواية الصاهل والشاحج . وتتفق مع رواية ابن قتيبة ، الذى لم يشر إليه الميمنى فى التخريج كله ! !

* أبو عمر : الزاهد ، محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز المعروف بغلام ثعلب . من أعيان العربية فى القرنين الثالث والرابع (٢٦١ : ٣٤٥ هـ) وكتابه (الياقوت) ذكره ابن النديم بتفصيل، مع مصنفات أبى عمر (الفهرست ١١٣) والقفطى فى (الإنباه ٣/٧٥) .

وانظر نزهة الألبا ٣٤٥ ، وتاريخ بغداد ٢/٣٥٦ وأدباء ياقوت ١١/٢٢٦ ، وأعلام الغفران .

* على بن سليمان: أبو الحسن بن الفضل، الأخفش الصغير النحوى. من علماء العربية فى القرن الثالث للهجرة (ت سنة ٣١٠ هـ) أخذ عن المبرد وثعلب ، وأخذ عنه المرزبانى ، والقالى . (إنباه القفطى ٢/٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ١٢/٤٣٣ ، وأدباء ياقوت ١٣/٢٤٦ وشذرات ابن العماد ٢/٢٧٠ و بغية السيوطى : ٢٣٨ومعها أعلام (رسالة الغفران) .

سائِلْ سُلَيمى إذا لاقيتَها   هل تُبْلَغَنْ بلـدةٌ إلا بزَادْ[١]

قل للصعاليكِ لا تَسْتَحسِروا   من التماسٍ وطَوفٍ بالبلادْ[٢]

فالسَّيرُ أَحْجَى على ما خيَّلت   من اضطجاعٍ على غَيْرِ وِسَاد[٣]

لو وصلَ الغيثُ أَبْنَيْنَ امرأً   كانت له قُبَّةٌ ، سَحْقَ بِجادْ

وفى (كتاب الصعاليك) : * لو وصل الغيثُ أَبنَين امرأً * بغيرِ لامٍ ، وهى الروايةُ الصحيحة ، إلا أن فيه بعد هذا البيت :

وبلـدةٍ موحِشةٍ أَرجاؤهـا   أَصداؤها مَغربَ الشمسِ تَنَادْ[٤]

وقد لَحِقَ هذا البيتَ الفسادُ بزيادةِ هاءِ التأنيثِ ، مثل ما لحقَ البيتَ المتقدمَ بزيادةِ اللامِ ، وأَشبه ذلك أن يكونَ من سوءِ النقل . وتصحيح الوزنِ أن يكونَ بغيرِ هاءٍ : * وبلدةٍ موحشٍ أرجاؤها * وبعد هذا البيتِ :

جاوَزْتُهـا وصاحبى عَيْـرانةٌ   فى مرفقيهـا عن الدفِّ تَعَـادْ[٥]

(234) ‖ فقد أفسد الوزنَ بقولِه : * وصاحبى * بزيادةِ الواو . وإنما تصحيحُ الوزنِ أن يقال : * جاوزتُها صاحبى عيرانةٌ *

وهذا الفسادُ متجانس . ولا شك أنه من جهلِ الرواة . وقد حَكَى «محمدُ ابنُ سَلَّامٍ * » عن «يونس بنِ حبيبٍ* » أنه قال : "عجِبتُ لمن يأخذُ عن

(١) على البناء للمجهول فى : تبلغن . وضبطها فى (الشعر والشعراء ، وسمط اللآلى) للمعلوم ، وليس الأولى . وروايتهما الشعر ، للشطر الأول : * قل لسليمى إذا لاقيتها *

(٢) * من التماس وسير فى البلاد * فى الشعر والشعراء ، والسمط .

(٣) * فالغزو أحجى * فى الشعر والشعراء ، والسمط .

(٤) * وبلدة مقفر غيطانها * فى الشعر والشعراء ، والسمط .

(٥) * قطعتها صاحبى حوشية * فى الشعر والشعراء والسمط .

* محمد بن سلام : أبو عبد الله الجمحى ، من أعلام الطبقة الأولى من الأخباريين والرواة . وكتابه فى طبقات الشعراء رائد فى ميدانه (فهرست ١٦٥) ثقة جليل ، روى عنه ثعلب . توفى ٢٣١ هـ (مراتب النحويين ١١٠ ، وإنباه القفطى ٣/١٤٣) .

* يونس بن حبيب ، أبو عبد الرحمن الضبى ، مولاهم . من أكابر نحاة البصرة . أخذ عن =

«حمادٍ* » وهو يَلْحَن ويكذبُ ويكسِرُ" . ولِ « حبيبِ بنِ أَوسٍ* » كتابٌ يعرف بِــ (كتابِ القبائلِ) فيه خمسٌ وثلاثونَ قبيلةً من مَعَدِّ بن عدنانَ ، وليس فيه قبيلةٌ من قبائلِ قَحطانَ ! وفيه أَبياتٌ من قصيدةِ «المُرَقِّش* » التى أَوَّلُها : (١)

لابنةِ عَجْلانَ بالجزعِ رُسومْ   لم يتعفَّينَ والعهــدُ قــديمْ

وهى فى وزنِ هذه الأَبياتِ الماضيةِ . وفيما ذكر «حبيبٌ» فسادٌ بَيِّن . فيجوزُ أَن يكونَ أَفسَدَه مَن نَسَخَ الكتابَ من بعدِ «حبيبِ» ويجوزُ أَن يكونَ «حبيبٌ» ذكرها على ذلك ، لأَنه وجدها فى النقلِ ، عليه . فأَقرَّها على ما وجد .

ثم أَعودُ إلى حديثِ الغزوِ فى الربيع .

أَلا ترى إلى قوله :* هل تُبْلَغَنْ بلدةٌ إلا بِزادْ* أى اعذُرينى يا سُلَيمى(٢) فإنى لا سبيلَ إلى الغزوِ ، وذلك لِفَقدِ الزادِ . وقال «النابغةُ* » :

= أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه . ت ١٨٣ هـ فى خلافة الرشيد ، عن تسعين سنة . ومن مصنفاته : معانى القرآن واللغات ، والأمثال ، والنوادر (الفهرست ٦٣ ، نزهة الألبا ٥٩ ، أخبار النحويين البصريين للسيرافى ٣٢) ومعها رسالة الغفران ١٦٩

(١) البيت مطلع قصيدة المرقش الأصغر المفضلية (١١٨) وانظر (رسالة الغفران ٣٥٦) ورواية المفضل : * لابنة عجلان بالجو رسوم*

(٢) من (ف) وهو من نص بيت الشاعر : سائل سليمى . وفى ض [سلمى] .

* حماد : الرواية ، ابن أبى ليلى الديلمى الكوفى . من أشهر رواة الشعر الجاهلى ، وهوالذى جمع القصائد السبع الطوال ، المعلقات ، توفى سنة ١٥٥ هـ ، كما فى (الشذرات ١/٢٣٩) ، ذكروا أنه كان ينظم القصائد وينحلها شعراء الجاهلية ، وما حكاه «ابن سلام» عن «يونس» بنصه فى مقدمة (طبقات الشعراء) .

* حبيب بن أوس : أبو تمام = ٣١٠
* المرقش : الأصغر = ٢٥٣
* النابغة ، الذبيانى = ١٧٨ من مرثيته للنعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل   وكيف تصابى المرء والشيب شامل

وكانت له رِبْعِيَّةٌ يعرفونها   إذا خضخضتْ ماءَ السماءِ القبائلُ
تحثُّ الحداةَ ، جالزًا بردائه   يقى حاجبيه ما تثير القنابلُ[1]

ولكنَّ الطاغيةَ هابَ العربَ وغيرَها من جيوشِ المسلمينَ فجعل يطلبُ المعاذيرَ . وقد كان رأى « حَلَبَ حرسها اللهُ » فى سنةِ خمسٍ وثمانينَ ووطئَ بساطه[2] من كان بها من الوُلاة . ولو رآها الثانيةَ لَكان كما أنشد « ابنُ السِّكيِّت* » « للأَسَدىِّ* » :

(235) لمـا رأى برقا يُضِيءُ وميضُه   منازلَ من أسماءَ كانت تكونُها
(١٢٣) بكى جَزَعاً من أن يموت فأَجْهَشَتْ   إليه الجِرشّى وارْمَعَلَّ خنينُها[3]

ولو خرج فى الشتاءِ كما يدعى أَهلُ مِلَّتِه ، وذلك إذا طلع قلبُ العقربِ ،

---

(١) بين البيتين ، فى (الديوان ١١٧) قوله :

يسير بهـا النعمان تغلى قدوره   تجيش بأسباب المنايـا المراجل

ورواية الديوان : « وكانت لهم ربعية يحذرونها » ومثلها رواية ثعلب فى مجالسه (١١٦) والصحاح واللسان : ربع .

وفى شرح الديوان : الربعية الغزوة فى الربيع . والجالز : الشديد الغضب أو هو الذى يشد وسطه بردائه ، مشمراً — فى ف : العاصب — والقنابل جمع قنبلة من الخيل ، ما بين الأربعين إلى الستين . والذى فى (ص ، ل) الطائفة من الخيل ومن الناس ، ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

(٢) كذا فى (ض) — بغير ضبط . والكلمة متآكلة تماماً فى (ف) وأراه من : الغلبة والقهر . وفى القاموس : بُسطت يده عليه ، أى سُلط عليه « والملائكة باسطو أيديهم » أى مسلطون

(٣) قبله فى (ل ، رمعل) :

ولما رآنى صاحبى رابط الحشا   موطن نفس قد أراها يقينها

والبيت الثانى ، أنشده الأصمعى شاهداً على الجرشى ، مقصوراً فى (المقصور والممدود ٢٥) وأنشده « أبو الطيب اللغوى » فى إبدال العين والغين ارمعل ، وارمغل : سال قطراً . وأنشده فى (ل) شاهداً على ارمعل ، وعلى الخنين : صوت يخرج من الأنف عند البكاء والشاهد فيها جميعاً بمثل روايته هنا : وارمعل خنينها ، لكنه جاء فى طبعة المعارف من ص ، رمعل) : جنينها ، بالجيم المعجمة . والراجح أنه سهو أو تصحيف .

* ابن السكيت : يعقوب = ١٥٣
* الأسدى : مدرك بن حصن الأسدى ، كما فى (ت ، ل : رمعل ، خنن) شاعر إسلامى حماسى (انظره فى معجم المرزبانى ٣٩١)

لَهَرَّه الهَرَّارانِ : شَيبانُ وأخوه (١) . فكان مثلُه ومثلُ أصحابه مثلَ نابحاتٍ أصمَتَها أريزٌ وشفيفٌ ، ولكان أصحابُ القِسِيِّ من جنوده فى ليلةٍ كليلةِ « الشَّنفرى الأسْدِيِّ* » لمَّا ذَكرَها فقال : (٢)

وليلةِ نَحْسٍ يصطلى القوسَ ربُّها وأقطُعَه التى بها يتنبَّلُ
سريتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصحبتى سُعارٌ وإرزيزٌ وجِنٌّ وأفكَلُ (٣)

يعنى بالغطشِ إظلامَ البصَرِ ، والبغش : المطرُ الضعيفُ ، والسعارُ شدةُ الجوع . قال الشاعر :

تُسَمِّنُها بأغزرِ حَلبتيها ومولاكَ الأَحَمُّ له سُعَارُ (٤)

(١) كانون الأول ، وكانون الثانى (ف) وفى القاموس : هره البرد يهره هراً وهريراً ، والهراران : الكانونان . وشيبان : من أشد الشهور برداً .

(٢) البيتان من لامية الشنفرى الحماسية المشهورة بلامية العرب ، وفى مختارات ابن الشجرى منها ٦٨ بيتا ، وفى نوادر القالى ٦٧ بيتاً (٢٠٦) ونشرها الدكتور بديع شريف مع دراسة لها ، بعنوان « نشيد الصحراء » ط بغداد ولا تكاد تخلو كتب الأمالى والأدب واللغة ، من أبيات منها . ولم أقرأ ما يشير إلى شك فى نسبها ، سوى ما رواه القالى فى أماليه ١٥٦/١ عن شيخه ابن دريد ، أنها لخلف الأحمر (١٥٦/١) ونقله « الزبيدى » فى طبقات اللغويين والنحاة عن القالى أيضاً . ولكن القالى نفسه لم يلبث أن أوردها كاملة فى (نوادره) للشنفرى ، دون أى شك فى نسبها . وانظر سمط اللآلى ٤١٣/١ .

(٣) النحس : البرد ، والأقطع : جمع قطع ، بالكسر ، وهو سهم أو نصل قصير . والغطش الظلمة ومنه : فلاة غطشى لا يهتدى فيها . والأفكل ، على أفعل : الرعدة ، (ف ، ض) .

(٤) أنشده ابن الأعرابى لشاعر يهجو رجلا ، شاهداً على سعار الجوع لهيبه . وروايته فى (ل : سعر) :

تسمنها بأخثر حلبتيها ومولاك الأحم له سعار

وصفه بتغزير حلائبه ، فى حال جوع قريبه الأدنى ، والحميم القريب .

* الشنفرى الأسدى : من بنى سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران ، من الأزد بن الغوث (جمهرة الأنساب ٣٦٤) خلعهم لأن رجلا منهم قتل أباه فلم يثأروا له ، ولحق بأخواله بنى فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، وأغار على بنى سلامان ، وقال فى مفضليته :

جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم وأزلت
وهنىء بى قوم وما إن هنأتهم وأصبحت فى قوم وليسوا بمنبتى

والشنفرى من صعاليك العرب العدائين (أمثال الميدانى ٤٦/٢) ومن شعراء المفضليات والحماسة والغفران الصاهل والشاحج

ويقال : السُّعارُ شبهُ الجنونِ من الجوع : والجنُّ ظلامُ الليل . والإرزيز الصوتُ ، كأنه يعني صوتَ أسنانِه من الرِّعدةِ . ويجوزُ ، إذا قلنا إن الإرزيزَ الصوتُ ، أن نجعلَه هاهنا الرعدَ [ويقال : الإرزيز، وخَزٌ على الكبدِ من الجوع . والأَفْكَلُ : الرِّعدة] (١)

ولو نزل بهم ذلك لتَهادَوا أَوتادَ الخيامِ ليوقدوها فى المَجامِرِ ، كأنها المَجْمَرُ أَو الغارُ ، ولَقال الأَعرابيُّ لامرأَتِه وهو يريدُ الغنيمةَ وضمَّها إليه ، كما قال «مُرَّةُ بن مَحْكَانَ* » لا مرأَتِه وهو يريد إكرامَ الأَضيافِ : (٢)

يا رَبَّةَ البيتِ قُومِى غيرَ صاغِرَةٍ ضُمِّى إليكِ رِحالَ القومِ والقُرُبَا
بِاللَيلةٍ من جُمَادَى ذاتَ أَنــدِيةٍ (٣) لا يُبصرُ الكلبُ من ظلُماتِها الطُّنُبَا
|| لا ينبح الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ (٤) حتى يلفَّ على خيشومه الذنَبَـا (236)

إذًا لَقال العِلْجُ الكافرُ وقد غَمَره الصقيعُ ــ وهو فيما يزعمُ يُناجى رَبَّه ويستغيث « المسيحَ» لو أَغاثه ــ كما قال بعضُ الأَعراب لَمَّا كَلِبَ عليه القُرُّ :

(١) ما بين العلامتين ، سقط من نسخة (ض)

قال « الجوهرى» : والأفكل ، على أفعل : الرعدة . ولا يبنى منه فعل ، بل يقال : أخذه أفكل ، إذا ارتعد من البرد أو الخوف . وهو ينصرف نكرة ، فإن سميت به رجلا ، منعت من الصرف للعلمية ووزن الفعل(ص : فكل)

(٢) الأبيات الثلاثة ، تأتى فى أول قصيدة حماسية لمرة بن محكان (٢ /٣٦٢) وأبياتها أحد عشر بيتاً . ورواية أبى تمام ، كما هنا . واختارها الآمدى فى ترجمة مرة بن محكان . وفى الشعر والشعراء ، ثلاثة أبيات أخرى منها ، هى آخر الحماسية . ومنها بيتان فى (عيون الأخبار ٣ /٢٦٣)

(٣) مثلها رواية أبى تمام فى الحماسة ، و « الميدانى» فى المثل : « أبصر من كلب» ١ /١١٦ . ورواه الآمدى فى المؤتلف : * فى ليلة من جمادى * ومثلها فى (ص : ندى) وقال الجوهرى : وجمع الندى أنداء . وقد جمع على أندية ، قال : فى ليلة من جمادى (البيت) وهو شاذ ، لأنه جمع ما كان ممدوداً ، مثل : كساء وأكسية . والطنب ، بضمتين الخباء ، ج : أطناب .

(٤) فى ف : [ما ينبح الكلب]

* مرة بن محكان : السعدى ، من بنى ربيع ، من سعد مناة بن تميم . شاعر إسلامى مجيد مقل ، عاصر جريراً والفرزدق فأخملاه . وهو من شعراء الحماسة ، وانظر معجم المرزبانى ٣٨٣ ، والشعر والشعراء ٥٧٦ بيروت

أيارَبِّ إن القُرَّ أصبحَ مؤذِيـاً   وإنى لَسُبروتٌ ومَـالِىَ دِرهمُ[(١)]
فإن كنتَ يوماً ما جهنمَ مُدْخِلى   ففِى مثلِ هذا اليوم ِطابت جهنمُ

رويدَكَ رويدَك ! إن أمامَك لأمرين : إساراً يُطيلُ استخدامَك ، أو سيفاً يَسْفِكُ دَمَكَ كما قال « الحارثى* » .

فقالوا لنـا ثنتانِ لا بد منهما   صدورُ رماحٍ أُشرعتْ أو سَلاسِلُ[(٢)]

،لو نَزَل خَمِيسُهم بحيث يظنُّ المرجِفون ، وهو وافرٌ كاملٌ ، لرأيتَ الطويلَ العاتِرَ مديدًا فيهم ،[(٣)] والخفيفَ المقبوضَ بسيطاً إليهم . فكثُر المتقارِبُ عند ذلك بينهم ، وسمعوا الهزَجَ والرجَزَ ، فعجزوا عن الرَّمَل والمضارعِ له فى تلك الساعةِ ، وكان السريعُ والمنسرِحُ عندهم مَحمودين . وظلَّ جيشُهم مُجتَثًّا وعميدُهم مقتضَباً ؛ واستغنَى بما أُخذَ منهم الخليلُ[(٤)] وحُمِلَ جهازُهم على العَروضِ ، وكثُر فيهم المُقَيَّدُ وقلَّ المُطلَقُ .

وهذه الأَلفاظُ أَلغزتُها عن أجناسِ الشعرِ التى رتَّبَها « الخليلُ* » : فأَردتُ

(١) السبروت : من الأرض القفر . والشىء القليل . ورجل سبروت وسبريت ، وامرأة سبروتة وسبريتة ، من رجال ونساء سباريت ، وهم المساكين المحتاجون (ص) .

(٢) البيت من شواهد المغنى (شرح ٧٣) يعنى بالسلاسل : القيود . أى إما الطعن بالرماح وإما أن تستأسروا . من حماسية لجعفر بن علبة الحارثى . وانظر شرح المرزوقى للبيت ١/٤٥

فقلنا لهم تلكم إذن بعد كرة   تغادر صرعى نوؤها متخاذل

(٣) الخميس : الجيش. والعاتر : الشديد القوى. من : العتر ، بالتحريك : الشدة والقوة (ص)

(٤) يأتى فيما يلى . تفسير أبى العلاء للخليل هنا ، بالفقير .

ومن معانى الخلة ، بالفتح والتضعيف : الحاجة والفقر والخصاصة . وفى المثل : الخلة تدعو إلى السلة ، أى السرقة . خل الرجل وأخل ، بالضم : احتاج . ورجل مخل ومختل وخليل : معدم فقير . واختل إليه : احتاج (ق) .

* الحارثى : جعفر بن علبة (ف) وشرح شواهد المغنى ٧٣ . من بنى كعب بن الحارث . شاعر غزل مقل من، مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . فارس مذكور فى قومه ، وهو من شعراء الحماسة (١/٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧) وانظر مع مؤتلف الآمدى ١٩ أمالى القالى ١/١٧٤

* الخليل : بن أحمد = ٣٨٦

بالطويلِ الرمحَ ، وبالمديدِ الرمحَ إذا مُدَّ إليهم ، وهو فعيلٌ من : مدَدتُ ، فى معنى مفعول .

وعنيتُ بالخفيفِ السيفَ ، لأَن السيوفَ يُقالُ لها : البِيضُ الخِفَاف . وأَوهمتُ أنى أريدُ الخفيفَ من الشعرِ .

وأَردتُ بالمقبوضِ ، الذى قبضةُ الكفِّ على قائمه . وأَوهمتُ أَنى أريدُ المقبوضَ الأَجزاء ، وهو الذى ذهب خامسُه الساكنُ فى الأَصيل . || وليس (237) فى الخفيفِ من الأَوزانِ قَبْضٌ ، فذلك تقويةٌ للإلغاز .

ووصفتُ الجيشَ بالوفارةِ والكمالِ ، لأَن فى الشعرِ وَزْنينِ يقال لهما : الوافرُ والكاملُ .

وعنيتُ بالبسيطِ ، المبسوطَ للضَّرْبِ ، لأَن فى الشعرِ وزناً يُقالُ له البسيطُ.

وذكرتُ الهزَجَ وأَنا أَعنى به هزَجَ السيوفِ فى الضربِ ، لأَن فى الشِّعْرِ هزَجاً .

وعنيتُ بالرجَزِ ، ارتجازَ القومِ فى الحربِ ، لا أَنِّى خَصصْتُ به الرجَزَ الذى ذكره « الخليلُ » دون الرجَزِ على مذهبِ العرب[١] .

وأَردتُ بالرَّمَلِ ، الرمَلَ من السيْرِ ، كما قال الراجزُ :

مالَكِ من شيخِكِ إلا عَمَلُهْ
إلا رسيمُه وإلا رَمَلُـــه[٢]

وأَردتُ بالمضارعِ له ، ما قاربَه من السيرِ . ومن ذلك قيل للفعل مضارعٌ ، لأَنه ضَارعَ الأَسماءَ ، أَى قاربَها .

(١) يعنى فى استعمال العرب الكلمة بدلالتها اللغوية على ارتجاز القوم فى الحرب ، لا على الرجز فى مصطلح علم العروض .

(٢) الرمل ، بالتحريك : الهرولة ، رملت بين الصفا والمروة رملا ورملاناً : هرولت . والرسيم ضرب من السير ، فوق الذميل (ص) وأراد به الراجز هنا : مسعاه .

وعنيتُ بالسريعِ ، || الرجُلَ الذى يُسرِعُ فى الهرب . (١٢٤)

وبالمنسرحِ ، الذى يَنسَرِحُ فى السيرِ ويمتدُّ ، من ذلك : سرحتُ الغنمَ إذا أرسلتُها .

وأردتُ بالمُجتثِّ ، الذى قد اجْتُثَّ أصْلُه ، أى قُطِع .

وبالمَقتضَب ، الذى قد اقتُضِبَ من أَصحابه ، أَى اقتُطع . والاقتضابُ الاقتطاعُ .

والمتَقارِبُ ، أَردتُ به الخَطْوَ المتقاربَ من الفزَعِ . أَو الرجُلَ الذى تقاربَ خلُقُه ، أَى انضمَّ وتضاءل من الخوف .

فهذه أَجناسُ العروضِ الخليليَّةُ ، قد مضتْ فى هذا الفصْلِ على معنى اللُّغْزِ والتوريةِ .

وأَردتُ بالخَليلِ ، الفقيرَ . أَلغزتُه عن « الخليلِ بنِ أَحمدَ »

وأَردت بالعَروضِ ، الناقةَ التى لم تَكْمُلْ رياضتُها . أَلغزتُها عن (عَروضِ الخليلِ) قال الشاعر :

ورَوْحةِ دُنيا بين حَيَّينِ رُحتُها أَسيرُ عروضاً أَو قضيباً أَرُوضُها[1]

|| وأَردتُ بالمقيَّدِ ، رجُلاً قُيِّدَ . (238)

---

(١) البيت من شواهد (رسالة الغفران : ٤٧٤) وذكره « الجوهرى » فى (ع ر ض) شاهداً على : العروض ، الناقة التى لم ترض . وروايته للشطر الثانى ، ولم ينسبه لقائله :

* أسير عسيراً أو عروضاً أروضها *

وفى (ل) من رواية « ابن برى » : * أخب ذلولا أو عروضاً أروضها *

وتفسير الجوهرى للبيت ، معناه : أنه ينشد قصيدتين ، إحداهما قد ذللها والأخرى فيها اعتراض ، والعروض ميزان الشعر .

وعلق الشيخ نصر الهورينى : " الذى فسره هذا التفسير روى : * أخب ذلولا * فى محل : أسير عسيراً . قال – ابن برى – : وهكذا روايته فى شعره " .

وبالمُطلَقِ ، من يُطلَقُ من الإِسَار .

* * *

وزعم المُرجِفون من أهلِ مِلَّةِ الطاغيةِ ، أنه قد أَمَرَ قوماً من أهلِ عمَلِه ، بحَفْرِ أماكنَ فى بلَدِه ظن المرجفون أن حَفْرَها يَكونُ قُوَّةً لزيادة الماء فى السَّعيدِ «قويق» – جعله اللهُ الغَمْرَ السائحَ – وإنما سميتُه السعيدَ لأَن النهر الصغيرَ يقالُ له سعيدٌ ، وجمعُه سُعُدٌ . قال «أَوسُ بنُ حجر*» :

وكأَن أَظعنَهم مُقَفِّيــــةً نَخلٌ مَوَاقِرُ بينهـــا السُّعُدُ

ولأَنه سَعِد بِقُرْبِه من «السيدِ عزيزِ الدولة ، أَعزَّ اللهُ نصره» وبكونِه شِرْباً للمسلمين . وفى قدرةِ الله تعالى أن يجعله فى الآخرةِ من أنهارِ الجِنَانِ .

وزعموا أَن ذلك الموضعَ يتصلُ بالسَّوَاجيرِ . وتلك السَّوَاجيرُ فى أعناقِهم إن شاءَ اللهُ[1] .

وهذا فنٌّ من الكذبِ دَلَّ على نزولِ الطاغيةِ بدارِ المَعْجَزَة[2] . وكيف لنا أن يُذهِبَ اللهُ عُمْرَه ! وما له فى تقوية «قُوَيْقٍ» السعيدِ حتى يكونَ ثالثاً للرَّافِدَيْنِ وهما «دِجلةُ والفُراتُ» ؟ قال «الفرزدق*» :

---

(١) السواجير : جمع ساجور ، خشبة تعلق فى عنق الكلب . وسجره : شده بها (ق)

(٢) المعجزة : مصدر ميمى بمعنى العجز

* أوس بن حجر = ٣٥٨

مقفية ، يعنى : مولية مدبرة . ونخل مواقر : جمع موقرة وموقر وموقَّرة: مثقلة بحملها . من الوقر ، بالكسر : الحمل الثقيل ، أو أعم . ج : أوقار (ق)

* الفرزدق = ١٢٠

والبيتان من قصيدته فى «عمر بن هبيرة الفزارى» عندما ولاه يزيد بن عبد الملك أميراً على العراق . وهى فى شعر الفرزدق بطبقات ابن سلام (٢٨٩) وجاء ابن قتيبة بالبيت الثانى ، فى الضرب الرابع من الشعر ، وهو عنده ما تأخر معناه وتأخر لفظه (الشعر والشعراء) وذكره المبرد فى (الكامل ٣/٨٣) والبكرى فى (التنبيه ١٢٣) ومعه البيت بعده :

ولم يك قبلها راعى مخاض ليأمنه على وركى قلوص

فى سياقِ المعاريض بأهاجى الشعراء . وعن «المبرد» : وكانت فزارة ترمى بغشيان الإبل . وقال –

أميرَ المؤمنين وأنت عَفٌّ نَقِىٌّ لستَ بالوالِى الحريصِ (١)

....

بعثتَ على العراقِ ورافِديه فَزاريًّا أحَذَّ يدِ القميصِ (٢)

وحتى يعظُمَ سَمَكُه فتَصيرَ واحدتُه ، وهى دون الشِّبرِ ، تزيدُ على شَبْرِ الرجلِ أى قامَتِه ؛ وحتى تكونَ صِغارُه التى يُعمَلُ من مِثْلِها الصَّحْناءُ (٣) ، حِيتاناً تُشبِعُ أخِيذتُها جماعةً يَشكُون السَّغَبَ ، وحتى تجرِىَ فيه السفُنُ والقَرافيرُ ، وحتى يكونَ النازلُ بِحَلَبَ حرسها اللهُ ، كما قال القائلُ :

يا صاحِ ألِمْ بأهلِ الفصرِ والوادى وحبَّذا أهلُهُ من حاضرٍ بادِ
تُزجَى قَرافيرُه والعيسُ واقفةٌ والضَّبُّ والنُّونُ والمـلاَّحُ والحادِى

(239) وقد مضى القولُ فى أن « قويقاً » المبارَكَ ، طِيرَةٌ لهم . فكلما زادوه من قوة فإنما يرجعُ وبالاً عليهم . ولعل هذا الغُرابَ المصَغَّر فى قول العامة ، يعظُمُ فيصيرُ عُقاباً إن شاءَ اللهُ ، فتكون مضرةُ عدوِّها أعظمَ . لأنه إذا فتكَ بهم وهو صغيرٌ من أفرخةِ الغِربَانِ ، فكيف به إذا عُدَّ من

= البكرى» : ومثلها ما روى أن رجلا من بنى نمير كان يساير « عمر بن هبيرة الفزارى » والنميرى على بغلة . فقال له عمر : غض من بغلتك . قال النميرى : أيها الأمير ، إنها مكتوبة ، أراد عمر قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير (البيت) وأراد النميرى قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

(١) [لست بالطبع الحريص] خ – على هامش (ف) قابل على رواية ابن سلام . ورواية ابن سلام : * كريم لست بالطبع الحريص *

(٢) المشهور فى رواية البيت : * أوليت العراق ورافديه * على الاستفهام الإنكارى . وهى رواية الديوان ، وابن سلام ، وابن قتيبة ، والجوهرى فى الصحاح ، والبكرى فى التنبيه . وفسره الجوهرى : يريد أنه خفيف اليد ، نسبة إلى الخيانة ، من : رجل أحذ ، خفيف اليد ، وقطاة حذاء ، وهى التى خف ريشها.

وذهب «ابن قتيبة» إلى أن الفرزدق أراد : أوليتها خفيف اليد ؟ يعنى فى الخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص . وعلق « الأستاذ محمود شاكر» عليه ، بأنه « أضاف اليد إلى القميص ، لسرعته فى إخفاء ما يسرق ، كما يخفى السارق ما سرقه فى كمه . ويقولون : الأحذ ، المقطوع اليد ، كأنه أراد أنه مشهور بالسرقة ، كأنه حد فيها وقطعت يده ، وإن لم يكن هناك قطع على الحقيقة»

(٣) الصحناء : إدام يتخذ من السمك الصغار . مُشَهٍّ ، مصلح للمعدة (ق) .

الكواسرِ المختطِفات[١] ؟ ولعله إن شاءَ اللهُ يصيرُ العَنْقَاءَ التى يذكرُها الناسُ ويَضرِبون بها المَثَلَ . فإذا صار كذلك ، صارتْ جموعُ الأَعداءِ قُوتاً له فى كلِّ أوانٍ . وذلك أَن بعضَ الرواة زعم أن العنقاءَ المذكورةَ كانت طائرًا عظيماً فاختطفت صَبيًّا فى بعضِ الأَيامِ ، فدعَا عليها «حنظلةُ بنُ صَفْوانَ* » – وهو نبىُّ أَهلِ الرَّسِّ فيما يقال[٢] – فغابت إلى اليومِ .

ولو كان عنده من القوةِ مايَدَّعيه أَهلُ مِلته ، لَشرَعَ فى قَطْعِ «قويقٍ» السَّرِىِّ ، لا فى تقويتهِ . وإنما وصفتُه بالسَّرِىِّ ، لأَن السرىَّ النهرُ الصغير[٣] . وهو سَرِىٌّ فى نفسِه ، من : السرو ، لأَن ماءَه نَميرٌ يُروِى الواردةَ ويَسقى الأَرضَ المجاورةَ ، وقلما يُغرِقُ كما يفعلُ غيرُه من الأَنهارِ الخضارم .

وإنما مَثَلُ «قويق» ومَثَلُ الرومِ فى هذا الحديثِ المصنوعِ[٤] ، مَثَلُ رجُلين يتحاربان ، فى يدِ أَحدِهما نَصْلٌ من نِصالِ السهامِ وقد شَقَّ على الآخرِ مكانُه فى يَدِه ، فكان ينبغى إنْ كان من أَهلِ القوةِ أن ينتزِعَه من يَدِ ذلك الرجُلِ ، لا أَن يشرعَ فى زيادتِه وتقويتِه حتى يوجَدَ سِناناً أَوسيفاً.

(١٢٥) ولولا || أَن الكذِبَ لا يَحسُنُ بأَهلِ الإسلام ولا بأَحَدٍ من الناسِ ،

(١) يشير إلى ما ذهب إليه فى الطيرة على الروم ، بكون «قويق» تصغير : قاق ، وهو حكاية صوت الغراب ، والغراب مما يتشاءم به ويتطير

(٢) على هامش (ف) : [قف ، معاذ الله]

(٣) فى آية مريم ٢٤ : «فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريًا» قال ابن عباس : السرى ، النهر الصغير . واستشهد بقول الشاعر :

سهل الخليفة ماجد ذونائل مثل السرى تمده الأنهـــار

(الإعجاز البيانى ومسائل ابن الأزرق) المسألة رقم ٣٧٣/٨٢

(٤) ما زعمه المرجفون من الروم ، أن طاغية القوم أمر بحفر أماكن فى بلده ، يكون حفرها قوة لزيادة ماء «قويق» .

* حنظلة بن صفوان : انظر فى أهل الرس ، تفسير الطبرى لآية ق ١٢ : «كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود» ومعها آية الفرقان ٣٨ والنهاية فى غريب الحديث : الرس .

لَجازَيْناهم على كَذِبِهم الظاهرِ ، وكنا فيما نفعلُ بريئين من الملامَةِ . وذلك أن فاعِلَ القبيحِ من القبائحِ على سبيلِ الجزاءِ ، لا يُحسَبُ ذميماً في الرأيِ . قال اللهُ || عزَّ وجلَّ : «ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ ، واللهُ خَيْرُ الماكرين »[1] (240)

فالمكرُ منهم ذميمٌ ، والمكرُ الثاني على سبيلِ الجزاءِ ، فهو خارجٌ عن المعنى الأَوّل . وقال «عمرو بنُ كلثوم * » :

أَلاَ لا يَجهَلَنْ أَحدٌ علينا فنَجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

فالجهلُ الأَولُ قبيحٌ ، والثاني على طريقِ الجزاءِ فليس بقبيح .

ولم نكن لنرضى في مُجازاتِهم بالمماثلةِ ، ولكن نُضَعِّفُ ونَزِيدُ . لأَن ذلك من أَفعالِ اللهِ تعالى ، يجزي على السيئةِ والحسنَةِ بالخلودِ الدائم ، إما في الشقوةِ وإما في النعيم .

وما الذى كنا نقولُ لو استحسَنَّا ذلك ؟ كنا نزعمُ أَن « السيدَ عزيز الدولةِ » – أَعزَّ اللهُ نصرَه – قد راسَلَ «أَميرَ المؤمنينَ الظاهرَ لإعزازِ دينِ اللهِ * » بأَنْ يأْمُرَ الحفَدَةَ والأَعوانِ والعلماءَ بالهندسةِ ومَجارِي المياهِ ، أَن يَصرِفوا البحرَ عن مدينتهم «قسطنطينيةَ » إلى جهةٍ أخرى ، حتى يَنضُبَ ما بينها وبين بلادِ المسلمينَ من ماءِ البحرِ ، فيصيرَ أَرضاً مَسلوكةً تُسافرُ فيه الناقةُ والبعيرُ ، ويمكنُ الجيوشَ المنصورةَ أَن تَسلُكَه لِفَتحِ مدينتِهم التي بها دارُ المملكةِ ، فما حَجَزهم عن ذلك بصَدْرِ الإسلامِ إلا البحرُ . وقد رُوِيَ أَن رَسولَ اللهِ صلَى اللهُ عليه وسلم قال :

---

(١) من آية ٥٤ سورة آل عمران .

* عمرو بن كلثوم : التغلبي ٦٠٥ والبيت من معلقته : * ألا هبي بصحنك فاصبحينا *

* الظاهر لإعزاز دين الله ؛ علي ، بن الحاكم بأمر الله منصور ، بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمي ، تولى الملك بعد مقتل أبيه الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ ، وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . انظر السنوات ٤١١ : ٤٢٧ في الجزء الأول من تاريخ حلب ، والرابع من النجوم الزاهرة .

« أما فارِسُ فنَطحةٌ أو نطحتانِ ، ثم لا فارِسَ بعدها[1] . » والرومُ ذاتُ القرونِ أهلُ صَخْرٍ وبحرٍ ، هيهاتَ آخرَ الدهرِ .

وإنما قلتُ ذلك لأنَّ بعضَ أصحابِ السِيَرِ من الفلاسفةِ ، ذكر أن ما بين « الإسكندريةِ » وبلادِها وبين « القسطنطينية » كان فى قديمِ الزمانِ أرضاً تُنبِتُ الجُمَّيزَ ، وكانت مسكونةً وخِمةً ، وكان أهلُها من اليونانية . وأن « الإسكندرَ* » خرق إليها البحرَ فغلَبتْ أمواهُهُ على تلك الأرضِ . وكان بها فيما يزعمون « قُقْنُسُ » الطائرُ الذى تَدعى الفلاسفةُ فيه تلك الدعوى المستطرَفةَ ، وأنا أذكرُ من دعواهم ما سنَح : (241)

يزعمون أن هذا الطائرَ طائرٌ حَسَنُ الصوتِ ، وأنه كان فى بلادِ اليونانية . فإذا حان موتُه زادَ حُسْنُ صوتِه قبلَ ذلك بسبعةِ أيامٍ ، حتى لا يمكنَ أحدًا أن يسمعَ صوتَه ، لأنه يغلبُ على قلبِه من حُسْنِ ذلك الصوتِ ما يُميتُ السامعَ . وأنه يُدرِكُه قبلَ موتِه بأيامٍ طربٌ عظيمٌ وسرورٌ فلا يَهدأُ من الصياحِ . ويزعمون أن عامِلَ الموسيقَى من الفلاسفةِ ، أراد أن يسمعَ صوتَ قُقْنُسَ فى تلك الحالِ ، فخَشِيَ إنْ هَجَمَ عليه أن يقتلَه حُسْنُ صَوتِه ، فسَدّ أُذُنيه سَدًّا مُحكَماً ، ثم قرُب إليه فجعل يفتحُ من أذنيه شيئاً بعد شيءٍ حتى استكملَ فتح الأذنين فى ثلاثةِ أيامٍ ، يريدُ أن يتوصلَ إلى سماعِه رُتبةً بعدَ رتبةٍ ، ولا يَبْغَتَه حسنُه فى أوَّلِ مرةٍ فيأتى عليه . ويزعمون أن ذلك الطائرَ هلك فلم يبق منه ولا من وَلَدِه شيءٌ . وكأنهم يَرون أن ماءَ البحر غَشِيَ قُقْنُسَ ورَهطَه بالليلِ فى الأَوكارِ ، فلم تبقَ له بقيةٌ .

وهذا حديثٌ يُذكَرُ للعجبِ منه .

ـ وأهلُ الفلسفةِ يزعمون أن البلادَ الوخمةَ ، يكونُ أهلُها أَصَحَّ أفهاماً

(١) انظره فى باب النون مع الطاء ، من (النهاية فى غريب الحديث ، لابن الأثير) .

* الإسكندر : المقدونى .

من أهلِ البلادِ الصحيحة ، لأَن الهواءَ إذا صَحَّ والماءَ إذا كان نَميرًا ، دَعَوَا إلى شَهوةِ الطعامِ ، والاستكثارُ منه مُضِرٌ بالفهم. وقد قال الأَوَّلون : البِطنةُ تُذهِبُ الفِطنة .

ويقالُ إن بعضَ الفلاسفةِ أرادَ مَلِكٌ من الملوك قتلَه ، فتَحوَّبَ من قتلِه بالسيف ، فأَعطاه قدحاً فيه سُمٌّ ليشربَه ، وأعلمه بذلك فظهرتْ منه مُسَرَّةٌ وفرَحٌ. فقال له أَصحابُه : ما هذا أيها الحكيمُ ؟ فقال : هل أَعجَزُ أن أَكونَ مِثْلَ قُقْنُس ؟

|| أَو كنا نقولُ لهؤلاءِ السفَهاءِ : إن « السيِّد عزيزَ الدولة » أعز اللهُ نصرَه ، (242) يراسِلُ أَميرَ المؤمنينَ فى خَرْقِ « بحرِ القُلْزُمِ » إلى « بحرِ الروم » ليكثُرَ الماءُ على مدينتهم فيُغرِقَها . وقال بعضُ المفسرين فى قولِه تعالى :

« لَهُمْ فِى الدُّنْيا خِزْىٌ ولَهُمْ فِى الآخرَةِ عذابٌ عظيمٌ »(١)

أَرادَ بالخِزىِ فتحَ مدينتهم العظمى ، ولا بُدَّ لها أَن تُفتَحَ فيما يقال . واللهُ يجعلُ ذلك على يدى « السيد عزيزِ الدولةِ ، أعز الله نصره » .

وزعيمُ الرومِ قد أَلِفَ الغدرَ ونشأَ عليه من شُبٍّ إلى دُبٍّ :

والشيخُ لا يتْرُكُ عاداتِه ... حتى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِه(٢)

وقال « حاتمُ بنُ عبدِ اللهِ الطائى* » :

---

(١) من آية البقرة ١١٤ ، فيمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها . وآية المائدة ٤١ فيمن يحرفون الكلم عن مواضعه ، من الذين هادوا .

(٢) البيت لصالح بن عبد القدوس ، الشاعر العباسى الذى قتله المهدى فى الزندقة ، سنة ١٦١ هـ وفى خبره أنه قال للمهدى : قد كنت زنديقاً ، وقد تبت عن الزندقة. فقال له المهدى : كيف وأنت القائل :

والشيخ لا يترك عاداته ... حتى يوارى فى ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد إلى غيه ... كذى الضنى عاد إلى نكسه

وهما من شواهد رسالة ابن القارح (مع رسالة الغفران : ٣١ ط الذخائر) ورواية القالى فى الأمالى للشطر الأول : * والشيخ لا يترك أخلاقه * وانظر سمط اللآلى ١ / ١٠٥ وحماسة البحترى ٣٧٣

* حاتم بن عبد الله الطائى = ١١٨

(١٢٦) وَمَنْ يبتدعْ خِيماً سوَى خِيمِ نفسه ‌‌ يَدَعْه ويَغلبْه على النفسِ خِيمُها[1]

وإنما قلتُ ذلك لأنه خرجَ إلى هذه البلادِ مرتين وهو فيما يزعمُ سِلْمٌ للحَمدانيةِ ، فجعل غنيمتَه من رعاياهم وبلادِهم فى المرَّتيْنِ . وقد طرقتْ سَرِيَّةٌ له «مَعَرَةَ النعمانِ» فى سنةِ خمس وثمانين[2] ، فكان مَثَلُه مَثَلَ «عمرِو بنِ هندٍ» والطائيِّينَ : كان بينه وبينهم عهدٌ ، فغزا «عمرو» فى جيشٍ فأخفق ، فلما قفلَ مَرَّ بقومٍ من طيِّءٍ يسكنون السَّهْلَ فأخذَهم ففى ذلك يقولُ «عارِقُ الطائىُّ*» :

أَلا حَىِّ قبل البَيْنِ من أنت عاشقُهْ ‌‌ وَمَنْ أَنتَ مومُوقٌ إليه ووامقُــهْ[3]
وَمَنْ لا تُوَاتى دَارُه غيرَ فَيْنَــةٍ ‌‌ وَمَنْ أَنت تبكى كلَّ يومٍ تَفارقُه

---

(١) الخيم : الخلق (ف) والسجية والطبيعة ، لا واحد له من لفظه (ص) والبيت من حماسية لحاتم الطائى ، أولها فى (الحماسة ٢/٤٥٩) :

وعاذلة هبت بليل تلومنى ‌‌ كأنى إذا أعطيت مالى أضيمها

ورواية أبى تمام للشاهد هنا : * ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه * وهو من شعر حاتم فى (شعراء الجاهلية ٩٥) لكن ابن قتيبة ذكره فى (الشعر والشعراء ٤٢٠) مما يتمثل به من شعر كثير عزة . ومثله فى (عيون الأخبار ٢/٥) .

ونسبه البحترى فى (حماسته ٣٥٩) لسليمان بن المهاجر : ورواه المبرد (فى الكامل ١/١٧)
* ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه * عن أبى زيد .. وقال : وأنشدتنى أم الهيثم الكلابية : (البيت) :

(٢) يعنى : وثلثمائة (ف)

(٣) فى الحماسة : ومن أنت مشتاق إليه وشائقه (ف)

والأبيات التسعة ، من حماسية لعارق الطائى ، ذكر منها أبو تمام أحد عشر بيتاً ، مع خلاف يسير فى بعض الألفاظ وفى ترتيب الأبيات الخامس إلى السابع (٢/٤٧٩)

* عارق الطائى : قيس بن جروة بن سيف بن وائلة الطائى . جاهلى ، من شعراء الحماستين . سمى عارقاً بالبيت الأخير من أبياته هنا . وانظر (معجم المرزبانى ٣٢٦ ، وحماسة أبى تمام ٢/٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٤٧٩ ، وحماسة البحترى ١٠٩) .

وفى أمالى القالى (٢/٢٩٠ ط بيروت) خبر عن نفر من أعيان طيىء ، فيهم «عارف الشاعر» مع أبيات من شعره فى الكاهن «سواد بن قارب الدوسى» ولم أعثر فى مراجعى على شاعر جاهلى ، من طيىء أو غيرهم ، اسمه عارف ، فهل هو محرف من «عارق الطائى الشاعر» ؟

تَحُثُّ بصَحراءِ الثويــةِ ناقتى ... كعَدْوِ رَبَاعٍ قــد أَمخَّتْ نواهقُه[١]

إلى الملك الجبرِ ابنِ هنــد تزورُه ... وليس من الفَوْتِ الذى هوَ سابقُه

أأَكُلُّ خميس أخطأَ الغُنْمَ مَرَّةً ... فَصادَفَ حَيًّا غافلاً فهو سائقه (243)

فإن نساءً غير ما قال قائــلٌ ... غنيمةُ سُوءٍ بينهن مَهارِقُـــه

ولو نيلَ فيما بيننـــا لحمُ أَرنبٍ ... وفَيْنَا ، وهذا العهدُ أَنت مغالقُه[٢]

حلَفتُ بهَدْيٍ مُشعَــرٍ بَكَرَاتُه ... تُحَثُّ بصحراءِ المَرِيطِ دَرادِقُه[٣]

لَئِنْ لم تُغيِّرْ بعضَ ما قد صنعتُمُ ... لأَنتحِيَنْ لِلعَظمِ ذو أَنا عارِقُه[٤]

فأما إيعادُه فعجزٌ وفَشَلٌ . والمَثَلُ السائرُ :الصدقُ يُنبِي عنكَ لا الوَعِيدُ .

وأما « القَلْعَةُ »[٥] أدامَ اللهُ حمايتَها ، فكما قال القائل :

فما تَبْلغُ الأَرْوَى شماريخَها العُلاَ ... ولا الطيرُ إلا نَسْرُها وعُقَابُها[٦]

ولا طمِعتْ فيهــا أَمانىُّ طالبٍ ... ولا نَبحَتْ إلا النجومَ كِلابُها

وقال « عمرو بنُ أَمَامةَ * » لِعَمرِو بنِ هند :

---

(١) أمخت نواهقه ، أى ظهر فيها مخ ، والناهقان عظمان (ف ، ض) وفى (ق) الناهقان عظمان شاخصان من ذى الحافر فى مجرى الدمع ، ويقال لهما النواهق أيضاً . أو النواهق جمع ناهق ، مخرج النهاق من حلقه (ص)

(٢) من : غلق الرهن . والمغالقة المراهنة . وفى رواية : معالقه (ف)

(٣) مشعر : معلم ليعرف أنه هدى . والمريطُ : موضع بجبل طيىء . والدرادق : الصغار .

(٤) لأنتحين : لأقصدن . ذو : بمعنى الذى ، بلغة طيىء (ف)

وعرق العظم يعرقه عرقاً : أكلَ ما عليه من اللحم ، كتعرقه .

(٥) يعنى : قلعة حلب .

(٦) الأبيات فى (حماسة أبى تمام) لعارق الطائى ، فى القصة المتقدمة .

وشماريخ الجبل. أعاليه (ف) جمع شمراخ ، وهو رأس الجبل وذروته (ص)

* عمرو بن أمامة : شاعر جاهلى ، وفى (معجم المرزبانى ٢٠٦) أنه عمرو الأصغر ، بن المنذر اللخمى. وأمه « أمامة بنت سلمة بن الحارث الكندى ، عم امرىء القيس » ولى أخوه لأبيه « عمرو بن هند » ملك الحيرة ، فظلمه فخرج مغاضباً .

مَنْ مُبلغٌ عمرَو بنَ هنـــد رسالةً إذا استَحْقَبَتْها العِيسُ تَهوِى من البُعْد[١]
أيوعِدُنى والرمْـلُ بينى وبينَــه تـأمَّلْ رُوَيدًا ماأُمَامَةُ من هنْـدِ[٢]
ومن أجَإٍ حولى رِعــانٌ كأنهــا قنابلُ خَيْلٍ من كُمَيتٍ ومن وَرْدِ[٣]
غَدَرْتَ بـأَمْرٍ أنتَ كنتَ اجتذبتَنا إليه ،وبئسَ الشِّيمَةُ الغَدْرُ بالعَهْدِ[٤]
وقد يَترُكُ الغَدْرَ الفتى وطعامُه إذا هوأمسى ، جُلَّةٌ من دَمِ الفصْدِ

فوَيْحَه ! ألا فَعَلَ فِعْلَ «عامرِ بنِ حُوَينٍ الطائىِّ* » مع «امرئ القيس ابنِ حُجْرٍ » ؟ وذلك أن «امرأ القيس » لَمَّا قُتِلَ أبوه وتشتتَ مُلْكُ بنى آكلِ المُرَارِ ، جاوز جَبَلَى طيِّىءِ فنزل بـ «عامرِ بنِ جُوَيْنٍ » وهو بالجَزْعِ . (244)
ومع امرئ القيس يومئذٍ جِهازٌ وأثاثٌ من بقايا المملكةِ ، وعلى نسائه حُلِيٌّ ونظام . فكانت امرأةُ عامرِ بن جُوينٍ[٥] ترى على نساء امرئ القيس من الحلىِّ واللباسِ مالا تَصِلُ إلى مثلِه ، فجعلتْ تُحَسِّنُ لِعَامرٍ الغَدْرَ به حتى

---

(١) استحقبتها العيس : حملتها . من الحقيبة ، واحدة الحقائب واحتقبه : احتمله ، كذلك . والمحقب : المردف .

(٢) أمامة وهند : جبلان (ف) ويحتمل أن يراد بهما : أمامة أم عمرو ، وهند أم عمرو .

(٣) أجأ بالتحريك : أحد جبلى طيىء ، والرعان ، والرعون : جمع رعن ، أنف الجبل المتقدم ، ثم يشبه به الجيش فيقال : جيش أرعن ، المضطرب لكثرته

والقنابل ، جمع قنبلة : الكتيبة من الجيش . وفرس ورد : لونه ما بين الكميت والأشقر (ص)

(٤) فى رواية : كنت احتربتنا (ف)

(٥) عامر بن جوين الطائى = ٤٣٧

والقصة بمزيد تفصيل فى (الشعر والشعراء ١ / ٦٠) وذكر « ابن قتيبة» أن ابنة عامر ، لا امرأته ، هى التى زينت له الغدر بامرئ القيس . ويقال إن عامراً – لما أجهدته الحيرة بين الإغراء بالغدر وتحرجه منه – دعا بجذعة من غنمه ، حلبها فى قدح ثم شرب فروى ، فعندئذ استلقى وقال : والله لا أغدر ما أجزأتنى جذعة ، أى ما كفتنى شاة صغيرة ، وأنشد ، فيما أنشد :

لأن الغدر فى الأقوام عار وأن الحر يجزأ بالكراع

وحكى « القالى» القصة فى (نوادره ١٧٧) فى سياق الكلام عن حديث دار بين المنذر بن النعمان الأكبر ، وعامر بن جوين . وذكرها « الميدانى» كذلك فى المثل : حتى يئوب ابن مندلة (مجمع الأمثال ٢ / ٢٤٥ وفيها الأبيات اللامية التالية ، من شعر« عامر بن جوين » .

همَّ بذلك وتردَّدَ فى نفسِه ، إلا أنه تهيَّبَ الغدرَ . فيقالُ إنه لما طال عليه ما يَعتَلجُ فى صدرِه من حديثِ الغدرِ والوفاءِ ، أَتَى موضعاً بالجَزعِ وهو خالٍ من الناسِ فصاحَ بأَعلى صوتِه : "غَدَرَ عامرُ بنُ جُوَيْنٍ" فأَجابه الصَّدَى : غَدَرَ عامرُ بنُ جوين . ثم صاح : "وَفَى عامرُ بنُ جوين" . فأَجابه الصدَى : وفى عامرُ بن جوين . فقال لِنفسِه : هاتَا أَحسنُهما . ثم انصرف إلى امرأَتِه فأَخبرها أنه لا سبيلَ له إلى الغَدْرِ بامرئِ القيس .

ثم إن «امرأَ القيس» ظنَّ بعامرٍ ظنَّ السوْءِ وخاف أن يَغدِرَ به . فتحمَّلَ عنه بأَهلِه ومالِه . ففى ذلك يقول «عامرُ بنُ جوين» :

أَأَظْعانُ هندٍ تلكمُ المُتَحمِّلَهْ ... لتُحزِنَ قلبى خُلَّتِى المتدلِّلَهْ

أَلم ترَكم بالجَزْعِ منمَلِكاتوكم ... بالصعيدِ من هِجَانٍ مؤبَّلَه (١٢٧

فلم أَرَ مِثلَهما خُباسةَ واحدٍ ... ونَهنهتُ نفسى بعدما كدتُ أَفْعلَه[(١)]

إذا هَزَّتِ العنقاءُ دونَىَ رأسَها ... كجِيدِ العروسِ أَصبحتْ متعطِّلَة

فآليتُ لا أُعطى مليكاً مَقَادةً ... ولا سُوقَةً حتى يعيشَ ابنُ مَنْدله[(٢)]

الخُباسةُ : الغنيمة . والعنقاءُ : هضبةٌ فى الجبلين . «وابن مندلةَ*» مَلِكٌ قديمٌ ضَرَبَ به المَثَلَ لأَنه مشهور . كما قال «الهُذَلِىُّ*» :

---

(١) البيت من شواهد الصاهل والشاحج ، انظره فى ص ٤٦٨

(٢) رواية القالى عن ابن دريد : * هنالك لا أعطى مليكاً ظلامة * ورواية الميدانى : * وآليت لا أعطى مليكاً مقادتى * ورواية اللسان :

هنالك لا أعطى رئيساً مقادة ... ولا ملكاً حتى يئوب ابن مندله

* ابن مندلة ، ملك قديم يضرب به المثل فى اليأس من الإياب. وقال الميدانى فى أمثاله (٢/٢٤٥) إنه الحارث بن مندلة ، ملك الشام . وفى (ق) : ملك للعرب .

* الهذلى : فى (الكامل ١/١٦٩) فى قصة القرظى والمثل : قال أبو خراش الهذلى (البيت) وعلى هامشه : الصحيح أن الشعر لأبى ذؤيب .

وحتى يئوبَ القارظانِ كِلاهما ويُنشَرَ فى القتلى كليبٌ لوائلِ(١)

245) و « قُويق » السعيدُ إذا أرادَ كيْدَ العدوِّ ، فإنه مُصغَّرٌ على معنى التكبيرِ ، كما قال « لَبِيدٌ* » :

* دُوَيهيَّةٌ تَصفَرُّ منهـا الأَناملُ *(٢)

ولو خرج فى الأَشهَبَيْنِ ، والعامةُ تسمِّى ذلك الوقتَ الكوانينَ(٣) ، لكان شطرُ هذه الكلمةِ طِيَرةً له بالكَىِّ . وقد حدَّثَ بعضَ مَن وَرَدَ من حضرةِ هذا الرجلِ وادَّعَى الخِبْرةَ بما عنده ، أنه يَعْرِضُ له صُداعٌ شديدٌ . وأنه يُدَاوَى منه بالكىِّ ، ففى رأسه مساميرُ كثيرة . والمثلُ السائرُ : آخرُ الدواءِ الكىُّ . وبعضُهم يقولُ : آخرُ الداءِ الكىُّ . وكلاهما له معنى . قال الراجز :

يُنْقَصُ منى كُلَّ يومٍ شَىٌّ
وأَنا فى ذاكَ صحيحٌ حَىٌّ
والمرءُ يُفنيه المَدَى والطَّىُّ

---

(١) هو البيت الأخير من قصيدة أبى ذؤيب اللامية فى (ديوان الهذليين ١/١٤٥) :

أسألت رسم الدار أم لم تسائل عن السكن أم عن عهده بالأوائل

والقارظان : كلاهما من عنزة . يضرب بهما ، أو بأحدهما ، المثل فى امتداد الغيبة واليأس من العودة . والقصة بتفصيل فى (فرائد اللآل ١/٦٣ ، ومجمع الأمثال ١/٤٩) وانظر رسالة الغفران ٣٩٤ وسمط اللآلى ١/٥٣٠

وقوله : * وينشر فى القتلى كليب لوائل * كأنه نظر فيه إلى بيت مهلهل :

يا لبكر انشروا لى كليباً يا لبكر أين أين الفـرار

(٢) صدر البيت : * وكل أناس سوف تدخل بينهم *

من لاميته فى النعمان بن المنذر (الديوان ٢٥٤) :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

دويهية ، تصغير داهية ، للتهويل . واصفرار الأنامل من علامات الموت . وانظر (شرح شواهد المغنى : ٥٥)

(٣) شهرا دجنبر ونبر (ف) أى : ديسمبر ونوفبر ، بلهجة المغاربة . والكوانين : كانون الأول ، والثانى .

* لبيد = ٦٣

وآخِرُ الداءِ الدويِّ الكيّ(١)

والعامةُ إذا أنكروا ما يأتى به الرجلُ قالوا : يجبُ أن يكونَ على رأسه صَليبٌ . ومِلَّةُ هذا الرجلِ تَقتضِى أن يكون كَيُّه مُصَلَّباً . وما خيرُ شيخٍ قد كُوِىَ رأسه ذاتَ المِرَار ؟(٢) وقد علمنا أن «سُحَيْماً * » لما ابتهلَ فى الدعاءِ قال :

وَرَاهُنَّ ربىِّ مِثْلَ ما قد وَرَيْنَنِى وأَحْمَى على أَكبادِهنَّ المَكاوِيَا

وإنما مثلُه فى سِنِّه وتنقُّضِ جِسمهِ والكيِّ الذى برأسه ، مثلُ «عمرو ابنِ أَحمَرَ* » لما قال :

لَبِسْتُ أَبى حتى تَمَلَّيْتُ عُمْرَهُ وأَبْلَيْتُ أعمامى ، وأَبليتُ خاليا
وما كنت أَخشى أَن تكون مَنِيَّتى ضَرِيبَ جِلَادِ الشَّوْلِ مَحْضًا وصافيا

---

(١) ذكره « الجوهرى» فى (كوى) قال : « ويقال : آخر الدواء الكى . ولا تقل : آخر الداء الكى» ومذهب أبى العلاء ، أن كليهما له وجه . وجه الثانى ، أن الكى يحسم الداء .

(٢) يعنى بالشيخ : طاغية الروم ، المسن . والمرار : جمع مرة ، كالمرات

* سحيم ، عبد بنى الحسحاس ٢٧٤

البيت من يائية سحيم (الديوان ص ١٦) :

عميرة ودع إن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وكان « المفضل» يسميها الديباج الخسروانى .

وراهن : أى رماهن بالورى ، وهو قرح فى الجوف يفشأ منه القيح والدم (ف) والبيت أنشده « الجوهرى» فى (ورى) شاهداً على : ورى القيح جوفه يَرِيه وريًا ، أكله . وذكره « ابن ولاد » فى باب الواو من» (المقصور والممدود ١١٣) شاهداً على : الورى ، مقصوراً ، يكتب بالياء : داء يأخذ الرجل فى جوفه

فى (الشعر والشعراء ٢٧٤/١ب) أن ابن أحمر قال هذه اليائية بعد أن عمر تسعين سنة وسقى بطنه فى مرض الموت . وأورد ابن قتيبة عشرة أبيات ، منها البيتان الأخيران هنا ، على اختلاف ترتيبها . والبيت الأول فى (تهذيب الألفاظ ٥٨٣) شاهد على : تمليت العيش ، استمتعت به .

وجلاد الشول : لبن الإبل التى يثبت لبنها على الجدب .

* عمرو بن أحمر = ١٤٤

شربتُ الشُّكاعَى والتددتُ أَلِدَّةً ... وأقبلتُ أفواهَ العروقِ المكاويا[1]

أُرَجِّى شباباً مُطْرِهِمًّا وصحةً ... وكيف رجاءُ المرءِ ماليس لا قِيا[2]

(246) || ولسنا نُعيِّرُه الكِبَرَ ولا غيرَه من الأَقْضِية ،[3] وإن كان القائلُ قد قال :

إذا عُيِّروا قالوا مقاديرُ قُـدِّرتْ ... وما العارُ إلا ما تَجُرُّ المقادرُ[4]

لأَن المثَلَ : لا تسخَرْ من شيء فيحُورَ بك :

وقال « عمرو بنُ شُرَحبيلَ* » : لوعَيَّرتُ رجلاً بِرَضاعِ الغنم ، لخشِيتُ أن أرضعَها.[5] وقال بعضُ التابعين : إنى لأَرَى الشيء مما يُعابُ فلا يمنعُنى أن أَعيبَه إلا مخافةُ أن أُبتَلَى به.[6] وزعم الرواةُ أن « الأَخطلَ » لما بلغه قولُ « جرير* » :

---

(١) البيت من شواهد « ابن ولاد » فى باب الشين من (المقصور والممدود ٦١) وأنشده « الجوهرى » فى (ش ك ع) شاهداً على : الشكاعى نبت يتداوى به . قال سيبويه : هو واحد وجمع . وقال غيره : الواحدة شكاعاة . وفى (ق) : الشكاعى ، كحبارى ، وقد تفتح : من دق النبات ، ولدقته يقال للمهزول : كأنه عود الشكاعى . الواحدة شكاعاة ، أو لا واحدة لها . نافع من الحميات العتيقة . واللهاة الوارمة ، ووجع الأسنان . وعلى هامشه : « هذه الخواص المذكورة ليست فيها — أى الشكاعى — وإنما هى فى بزرها . شارح » وأنشده « الجوهرى » أيضًا فى (ل د د) شاهدًا على الألدة ، جمع لدود ، وهو الدواء يُصب فى أحد شقى الفم . وقد لد ، على المجهول ، والتد .

وبين هذا البيت ، والبيت بعده ، فى رواية ابن قتيبة بالشعر والشعراء :

لأنسأ فى عمرى قليلا وما أرى ... لما بىَ إن لم يشفنى الله شافيا

(٢) رواه « القالى » فى أماليه (٢/١٥٥) من إنشاد الأصمعى ، شاهداً على : اطرهم ، إذا كان مشرفاً طويلا . وأنشده أبو عبيد عن أبى زياد الكلابى ، وقال : المطرهم المعتدل التام . وروايته الشطر الثانى « وكيف رجاء الشيخ ما ليس لاقيا » ومثله فى الشعر والشعراء .

(٣) الأقضية : جمع قضاء ، بمعنى ما يجرى على المرء من قضاء الله تعالى .

(٤) فى الكامل (١/٤٩) بروايته هنا ، لرجل يهجو ، وقبله :

ليسوا لعمرو غير تأشيب نسبة ... ولكن عمـــراً غيبته المقابـــر

(٥-٦) انظر تخريج الحافظ ابن حجر لأحاديث (الكشاف : ١٣/٤) سورة الحجرات : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر » الآية .

* عمرو بن شرحبيل : الهمدانى ، أبو ميسرة الكوفى ، الحافظ العابد الورع القدوة من سادات التابعين وكبار أصحاب ابن مسعود . حديثه عند الخمسة . ت ٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ٧٨/٤٨/٨) .

* الأخطل ، وجرير = ١٥٦ ، ١٢٠ .

جارَيْتَ مُطَّلَعَ الرِّهانِ عَشِيَّةً رَوْقاً شبيبتُه وعُمْرُكَ فانِ(١)

قال : « أُدِيلَ واللهِ منى النابغةُ الجعدىُّ » وذلك أَنهما كانا تهاجيا والنابغةُ شيخٌ والأَخطلُ شابٌّ . فعَيَّره الأَخطلُ سِنَّه ، قال :

لقــد جارَى أبو ليلى بقَحْمٍ ومُنْتَكِثٍ عن التقريب وانِ

فهذا من قولِهم : لا تَسخَرْ من شيءٍ فيحورَ بك .

وأَنشد « ابن الأَعرابى » (٢) :

لا يَبْعُدَنْ عهدُ الشبابِ ولا لذاتِه وزمانِــه النَّضْرِ(٣)

(١) رواية (ديوان جرير ٥٧٤) :

جاريت مطلع الجراء بنابــه روق شبيبته وعمرك فــــان

وفى (النقائض ٨٨٨ ط أوروبا) أن القصيدة نقيضة لجرير ، يرد على الفرزدق فى قصيدته :

لمنُ الديار ببرقة الروحـــان إذ لا نبيع زماننا بزمـــــان

(٢) على هامش (ف) : [ذكر أبوعلى القالى أن هذا الشعر لسلمى بن غوية] .

وفى (الأمالى ٢ / ١٧٠) اثنا عشر بيتاً من هذه الرائية ، مما أنشد أحمد بن يحيى – ثعلب – عن ابن الأعرابى ، لسلمى بن غوية. وفيها الأبيات السبعة التى هنا ، مع خلاف يسير فى الألفاظ . وفى (تنبيه البكرى ١١٥) : « هكذا رواه أبو على رحمه الله : سَلمى، بفتح الميم . والصحيح فيه : سُلمى ، بضم الميم وتشديد الياء» وعلى هامش ص ٧٩٠ من (سمط اللآلى) : « ونسبها المرتضى ١ / ١٧٦ عن الجاحظ ، لذى الإصبع» – يعنى : العدوانى .

وفى طبعة الحلبى سنة ١٩٥٤ من (أمالى المرتضى ١ / ٢٤٤) خبر ذى الإصبع من المعمرين ، « وذكر الجاحظ أنه كان أثرم ، روى عنه : (البيتان الأول والثانى ، من الرائية هنا)

والأبيات فى (حماسة البحترى ٣٢٤) واسم الشاعر ، غزية بن سلمى ابن ربيعة الضبى – هكذا فى طبعة الرحمانية ١٩٢٩ .

وفيه تحريف غوية بغزية ، وخلط بين الابن والأب .

وهو فى تحقيق البكرى بالتنبيه (٣٩) سُلمى بن غوية بن سُلميّ بن ربيعة الضبى ، وقد ذكر بعض اللغويين أنه ليس فى العرب سلمى ، بفتح الميم ، إلا أبوسلمى، والد زهير بن أبى سلمى الشاعر ، والأب غوية ، والجد سُلمى بن ربيعة ، شاعران أيضاً .

(٣) لعل رواية ابن الأعرابى – ٣١٦ – للبيت هنا ، تعين على ما يلقانا من اضطراب المرويات فيه :

القالى رواه : « لذاته ونباته النضرُ» مرفوعاً . ونبه عليه البكرى ، قال : « هكذا رواه أبو على بالرفع ، وقوافى الشعر كلها مخفوضة . وغيره يرويه : لذاته ونباته النضر – كما هنا – بالخفض ، نسقاً على : الشباب ، فيسلم من الإقواء . وهو جيد . » وهو فى (مجالس ثعلب : ٢٩٥) برفع النضر . –

والمُرْشِقَاتِ من الخـدور كإيـ ـمَاضِ الغمامِ صوَاحبِ العِطْرِ

١٢٨) ‖ هَزِئتْ زُنَيْبَةُ أَنْ رأَتْ ثَرَمِى وأَن انحنى لِتقادُمٍ ظهرى[1]

حتى كأَنِّىَ خاتِـلٌ قَنصـاً والمرءُ بعـدَ تمامِه يَحرِى[2]

لا تَهزئى منى زُنَيْبَ فمـا فى ذاكِ من عجَبٍ ولا سُخرِ

أَوَ لم ترَىْ لُقمانَ أَهْلَكَهُ ما اقتاتَ من سَنَةٍ ومن شهْرِ

وبقاءُ نِسْرٍ كلما نفـدتْ أَيامُه عادتْ إلى نَسْـرِ

(247) ‖ وحدَّثَ بعضُ الواردين من حضرةِ هذا الرجُلِ بأَشياءَ يُكنَى عنها. ولكِنَّا نجعلُ البدلَ من ذكرِها إنشادَ أَبياتٍ لِـ« امرئِ القيس* » وأَبياتٍ لِـ« الفرزدقِ* » لأَنهما كانا يتظاهران بطلَبِ المُنكَرَاتِ. قال « امرؤُ القيس »[3]:

= ورواه السيد المرتضى فى (أماليه ١/٢٤٤) نقلا عن الجاحظ، بالرفع: وبعده:

* هزئت أثيلة أن رأت هرمى *

وعلى هامشه: « من حاشية الأصل» : « إن جررت النضر، بدلا من الهاء فى نباته، تخلصت من الإقواء. والتقدير على هذا: ونبات النضر» وهو تأويل أراه بعيداً.

وقوله فى البيت الثانى: « أثيلة» — وفى بعض المراجع: « أمامة » وهى رواية البحترى فى حماسته والبيت الخامس بعده: * لا تهزئى منى أُمام فما * ورواية ثعلب: زُنَيْبة، زُنَيْب.

وفى مجالس ثعلب (٢٩٥ ط الذخائر) ١٢ بيتاً منها عن ابن الأعرابى، أنها لسُلْمىّ بن غوية — بن سُلمى بن ربيعة الضبى — بكسر الغين، فى ضبط محققه الأستاذ هارون وعلى هامشه: وعوية، وردت فى الأصل بالمهملة، وفى أمالى القالى وتنبيه البكرى: غوية بالمعجمة. وذكره المرزبانى ٣٠٧ فى حرف العين المهملة، قال. ويقال: غوية، بغين معجمة!

(١) الثرم: انقلاع الأسنان (ف) أو هو سقوط مقادم الأسنان (ض) وبه فسره أبو العلاء.

(٢) حرى يحرى، كرمى يرمى: نقص. وأحراه الزمان. ومنه: الحارية، الأفعى التى كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها (ق)

(٣) الأبيات من لاميته (الديوان ١٤٠):

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالى وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى

وانظر رسالة الغفران ٣١٩ والشعر والشعراء ١/١٣٦ م والأمالى ١/٢٠٥ والتنبيه عليه، والسمط ١/٤٨٨، (والموشح ١١٣) فيمن كان من الشعراء يتعهر ولا يتستر.

* امرؤ القيس، والفرزدق = ١٠٥، ١٢٠

سَمَوتُ إليها بعد ما نام أهلُها ... سُمُوَّ حَبَابِ الماء حالاً على حالِ

فقالتْ سَبَاكَ اللهُ إنكَ فاضِحى ... ألستَ ترى السُّمَّارَ والناسَ أحوالى

فقلت يمينَ اللهِ أبرَحُ قاعدًا ... ولو قطعوا رأسى لدَيْكِ وأوصالى[1]

حلفتُ لها باللهِ حِلفةَ فاجر ... لَناموا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولا صَالِ

وقال « الفرزدقُ »[2]:

ترى قُضُبَ الأراك وهنَّ خُضْرٌ ... يَمحْنَ بها وعِيدانَ البَشام

بكَرْنَ به علىٰ بردٍ عِذابٍ ... وليس بُكورُهنَّ على الطعامِ

سَيُبْلِغُهنَّ وَحْيَ القولِ عنى ... ويُدخِلُ رأسَه تحت القِرامِ[3]

أُسَيِّدُ ذو خُرَيِّطةٍ ضئيلٌ ... من المُتَلَقِّطى قَرَدَ القُمامِ[4]

فقُلن له نَواعِدُكَ الثريا ... وذاكَ إليه مُرتَفَعُ الزحامِ

ثلاثٌ واثنتان فهن خمسٌ ... وسادِسةٌ تميلُ إلى الشِّمامِ

---

(١) [يمين الله] ضبطه فى (ض) بالفتح ، على تقدير : أقسم . وهى الرواية المشهورة فيه . وهونى (شواهد المغنى ٨٧٢) بالضم . وقال السيوطى فى شرحه : ويمين الله مبتدأ ، وخبره محذوف . أى : علىَّ . وأبرح ، على حذف لا ، أى : لا أبرح . وقد أورده « ابن هشام » فى (مغنى اللبيب) شاهداً لذلك .

(٢) ذكر ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ١/٣٨٩) ، وعيون الأخبار ٢/٢٧) أن الفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك هذه القصيدة . فلما وصل إلى البيت الخامس هنا ، والبيتين بعده — وتحرج أبو العلاء من ذكرهما — قال له سليمان : أخللت بنفسك ، أقررت عليها عندى بالزنى ، وأنا إمام ولا بد لى من إقامة الحد عليك . فذكر الفرزدق آيات الشعراء : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون» وانظر طبقات ابن سلام : ٣٠٩

(٣) القرام : الستر الرقيق (ف) وفى (ق) : ستر أحمر ، أو ستر رقيق

(٤) أسيد : تصغير أسود . وقرد القمام : نفاية الصوف (ف) : والملتقط الذى يلتقط الشىء من هاهنا وهاهنا ، والألقاط الأوباش . والقمام : جمع قمامة ، بمعنى الكناسة (ق) .

والبيت من شواهد ابن جنى فى (تخصيص العلل) لإعلال أُسَيِّد ، وهو جنس ، ثم ينقل الإعلال إلى أسيد ، علماً (الخصائص ١/١٦١)

وأَفْحَشَ فى أبياتٍ لا أذكرُها[١] ، ثم وصف كِبَرَه فقال :

رمَتْنى بالثمــانينَ الليــالى وسهمُ الدهرِ أَقْتَلُ سَهمٍ رامِ
رآنى الغانياتُ فقُلْــن : هــذا أبونا جاءَ من تحتِ الرِّجام[٢]
|| رأَيْنَ لِدَاتِهن موزَّراتٍ وشَرْخَ لِدِىَّ أسنانُ الهِرَامِ[٣] (248)
ولو جَــدَّاتُهن سأَلن عــنى قرأنَ عــلىَّ أضعافَ السلامِ

ولو كان هذا الرجلُ وُلِدَ له فى اقتبالِ عُمْرِه[٤] ، لَكان وَلَدُ وَلَدِه كهولا .

وقد أنشد « عاصمُ بنُ بَهْدلةَ القارئُ* » لِــ « زرِّ بنِ حُبَيْشٍ* » صاحبِ « ابنِ مسعودٍ* » وعنه أخذ « عاصمٌ » القراءة :

إذا الرجالُ ولدتْ أولادُها
واضطربتْ من كِبَرٍ أكتادُها
وجعلتْ أوجاعُها تعتادُها

---

(١) أى : لا أذكرها ، تحرجاً من فحشها . وليس عن النسيان . وانظر (الموشح : ١١٤) .

(٢) الرجام ، جمع رجم : القبور (ف)

(٣) من الأزر : هيئة الائتزار ، والقوة . تقول منه : نصر مؤزر ، بالغ شديد . والتأزير التقوية والتأييد . لدىّ : جمع لدة ، على لدين ، مثل برة وبرين ، ماحقاً بجمع المذكر السالم ، حذفت نونه للإضافة إلى ياء المتكلم ، وأدغمت فيها ياء الجمع .

(٤) يعنى : طاغية الروم ، بسيل .

* عاصم بن بهدلة : هو عاصم بن أبى النجود . وبهدلة اسم أمه – أبوبكر الكوفى ، مولى نصر ابن قعين الأسدى . أحد القراء السبعة الأئمة . أخذ عنه : أبو بكر شعبة بن عياش الكوفى ، وحفص ابن سليمان الأسدى . ت عاصم ١٥٦ هـ (طبقات القراء ١ / ٢٩٤ ، وتيسير الدانى ٧ : ٩) .

* زر بن حبيش ، بن حباشة الأسدى – من أسد بن خزيمة – الكوفى ، أبومريم . أدرك الجاهلية ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان من جلة التابعين ، وكبار أصحاب عبد الله بن مسعود ، وعليه عرض القراءة ، وعلى عثمان وعلى ، رضى الله عنهم . وأخذ القراءة عن زر : عاصم ، ويحيى بن وثاب من رجال حمزة بن حبيب ، وأبوإسحاق السبيعى : توفى زر سنة ٨٢هـ (طبقات القراء ٨٦٩ ، والتيسير ٩)

* وعبد الله بن مسعود الهذلى أبو عبد الرحمن : قديم الإسلام والصحبة ، ذو هجرتين ، وأحد العشرة رضى الله عنهم (الاستيعاب رقم ١٦٥٩ ، وابن سعد ٣/١/١٠٦ ، وتذكرة الحفاظ ١/٣١ وطبقات القراء ١/٤٥٨) .

فهىَ زروعٌ قد دَنَا حَصَادُها[1]

والذى يوجِبُ ما وقع إلينا من أخبارِه ، أنه فى عَشْرِ السبعينَ . وقد يولَدُ للإنسانِ وهو ابنُ اثنتى عشرةَ سنةَ . وقد رُوِىَ أن «عمرَو بنَ العاصِ* » كان أكبرَ من ولدِه «عبدِ اللهِ* » باثنتى عشرةَ سنةً . وقال «كثيِّر* » :

وإنى لَأَسْتأنِى ولولا طماعتى بعَزَّةَ قد جمَّعتُ بين الضرائرِ
وهَمَّتْ بناتى أن يَبِنَّ وحُمِّمَتْ وجوهُ رجالٍ من بَنِىَّ الأَصاغرِ

(١٢٩) || وقد يمكنُ أن يكونَ هذا ، فى ابنِ ثلاثينَ وما دونَها من السنين .

فلو كان وُلِدَ لهذا الرجلِ – وهو زائدٌ فى السِّنِّ عن هذا العددَ الذى ذُكِرَ لعمرِو بنِ العاصِ رحمه الله[2] – حتى يكونَ ابنَ خمسَ عشرةَ أو ابنَ ثمانىَ عشرة ، وهى الأُشُدُّ فى قولِ بعضِ المفسرين ، لَكان أولادُه [شيوخاً[3]]. لأَن «عطاءَ بنَ أبى رَبَاحٍ* » رَوَى عن «عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ* » فى قولِه

---

(١) الأكتاد : جمع كتد ، بكسر التاء وفتحها ، وهو مجتمع الكتفين .

(٢) يبِنَّ – من بان يبين – يخرجن إلى أزواجهن (ف) وحُممت وجوه –على البناء للمجهول– بدا فيها الشعر ، فاسودت . وكذلك حم ريش الفرخ (ض)

(٣) ما بين [ ] سقط من (ض)

* عمرو بن العاص = ٢٧٩ .

* عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى. أسلم قبل أبيه. وكان من أحفظ الصحابة للحديث ، تقياً عابداً زاهداً ورعاً . وأمه « ريطة بنت منبه بن الحجاج ، العامرية » . وفى ترجمته بالاستيعاب (رقم ١٦١٨) أنه ولد لعمرو وهو ابن اثنتى عشرة سنة . وانظر (نسب قريش : ٤١١) ت سنة ١١٤ هـ عن ثمان وثمانين سنة ، كما فى (الشذرات ٢ / ١٤٧)

* كثير = ٣٥٧ .

* عطاء بن أبى رباح : أبو محمد ، فقيه الحجاز = ٤٨٧

* عبد الله بن عباس ، بن عبد المطلب بن هاشم ، (= ٣٣٠) من أكثر الصحابة عناية بالتفسير . وينسب إليه : (نور المقباس) فى تفسير القرآن ، وانظر مسائل ابن الأزرق فى (الإعجاز البيانى) ط المعارف بالقاهره .

تعالى : « ثم لِتكونوا شُيوخاً »(١) قال : إذا بلغ الرجلُ] أربعين سنةً فهو شيخ. وقد اختُلِفَ فى ذلك ، فقال أَصحابُ اللغةِ : إذا غلَبَ البياضُ على السوادِ فى اللِّحْيَةِ فالرجلُ شيخ. وحكى «قُطْرُبٌ*» أن الرجلَ يُقالُ له من سبعَ (249) عشرَةَ إلى أربعٍ وثلاثين : شابٌّ ، ومن أربعٍ وثلاثين إلى إحدى وخمسينَ كهلٌ ، ثم هو شيخٌ إلى أن يموتَ . وقال المفسِّرون فى قوله تعالى :

«ويُكَلِّمُ الناسَ فى المَهْدِ وكهْلاً»(٢) :

الكهلُ : ابنُ ثمانٍ وعشرين سنةً ، وقيل : ابنُ ثلاثين . وأَقوالُ الناسِ تختلفُ فى هذا اختلافاً شديدًا . وقد تردَّدَ فى أخبارِ النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم ، أن شابًّا من قريشٍ فعلَ وصنَع . وهو المعنىُّ بذلك . ولم يُبعَثْ صلى اللهُ عليه وسلم حتى بلغَ أربعين سنة .

وقال «مروانُ بنُ الحَكَمِ بنِ أبى العاصِى*» :

ما قلتُ يومَ الدارِ للقومِ حاجِزوا ... عن الموتِ واستبقوا الحياةَ على الذُّلِّ(٣)

ولكننى قــد قلتُ للقومِ ضارِبُوا ... بأَسيافِكم حتى يَصِلْنَ إلى الكهْلِ

---

(١) من آية ٦٧ : سورة غافر : « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ..»

(٢) من آية آل عمران ٤٦ فى تبشير السيدة مريم بالمسيح عليه السلام.

(٣) أنشده أبو عبيد الله المرزبانى (ف) ولم أجده فى معجمه .

والبيتان فى (أنساب الأشراف للبلاذرى) فى أحداث يوم الدار . يوم مقتل عثمان رضى الله عنه ٨١/٥ .

* قطرب : محمد بن المستنير ، أبو على. من نحاة البصرة المتقدمين وأصحاب سيبويه الذين نجموا ، ويقال إن سيبويه سماه قطرباً – وهى دويبة تدب – لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه ، فيقول : إنما أنت قطرب ليل . توفى سنة ٢٠٦ هـ (مراتب النحويين ١٠٩ ، والبغية ٢٤٢/١ ، وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ٤٩ ، و وفيات ابن خلكان ٥٠٧/١ ، و رسالة الغفران ٣٣٧) .

* مروان بن الحكم ، بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك . بويع بالخلافة فى الشام سنة ٦٥ هـ بعد موت معاوية بن يزيد . ومات بعد نحو عشرة أشهر ، فخلفه ابنه عبد الملك (جمرة الأنساب ٢٨ ، وتاريخ الطبرى سنة ٦٥ هـ) ، ومروان من شعراء المرزبانى (المعجم ٣٩٦).

يعنى «عثمانَ بنَ عفانَ* » وهو يومئذٍ ابنُ نيِّفٍ وثمانينَ سنةً . وكان رضِيَ اللهُ عنه ـ فيما يزعمون ـ يَخضِبُ بالصُّفرةِ . وروَى أصحابُ الأخبارِ أن «نائلَةَ ابنةَ الفُرافِصَةِ الكلبىِّ* » ـ و «ابنُ حبيب* » يقول : الفَرافصة ، بفَتْح الفاءِ[1] ـ لمَّا دخلتْ على «عثمانَ» قال لها : أتقومين إلىَّ أم أقومُ إليك ؟

قالت : ما كنتُ لِأَقطعَ إليكَ عَرْضَ السَّماوةِ ، وأُكلِّفَكَ أن تقطعَ إلىَّ عَرْضَ السَّريرِ . فقال لها : لا يَغُرَّنَّكِ الشيبُ ، فإن وراءَه ما تُحبِّين .

فقالت : إنى من نساءٍ أَحَبُّ أزواجِهن إليهن الكهلُ .

فسمَّتْه كهْلاً .

و «الأَصمعىُّ* » يذهبُ إلى أن شَعرَ اللحيةِ إذا اتصلَ ولم يبقَ فيه مَزيدٌ ، فالرجلُ كهل . وقال بعضُ الناسِ : إذا رأى الشيبَ الرجلُ فهو كهل ، ولذلك يقال للنباتِ : اكتهلَ ، إذا أَزْهَرَ .

وقد كان يَجِبُ على هذا الرجلِ[2] أن يأْخذَ نَفْسَه بِشِيَمِ أَهلِ السِّنِّ .

---

(١) فى الطرة على هامش (ف) : «قال أبو على البغدادى ـ القالى ـ عن ابن الأنبارى ، قال : حدثنى أبى عن أشياخه قال : كل ما فى العرب فرافصة ، بضم الفاء ، إلا فَرافصة أبا نائلة امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه» والعبارة بنصها فى الأمالى لأبى على القالى ، فى (ضبط بعض أسماء متشابهة : ١٩٠/٢) وفى (نوادره ٢٠٩)

(٢) طاغية الروم ، بسيل .

* عثمان بن عفان : أمير المؤمنين ، ذو النورين ، ثالث الراشدين وأحد العشرة رضى الله عنهم .

* نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة الكلبى من بنى كليب بن وبرة . وفيهم بيت قومهم . كان أبوها نصرانياً ، وأسلمت وأسلم أخوها ضب بن الفرافصة (جمهرة الأنساب ٤٢٦)

* ابن حبيب : محمد ، أبو جعفر البغدادى النسابة الراوية ، ت ٢٤٥ هـ (تاريخ بغداد ٢٧٧/٢) قال فى كتابه (مختلف القبائل ومؤتلفها) : كل اسم فى العرب فرافصة فهو مضموم الفاء ، إلا فَرافصة بن عمرو بن ثعلبة الكلبى فإنه مفتوح الفاء .

(ص ١٢ ط فسبادن) .

* الأصمعى ، عبد الملك بن قريب ، أبو سعيد = ٢٠٩ .

وقد يكونُ الإنسانُ على الطريقةِ العادلةِ ، ثم يستيقظُ فيلزمُ القصدَ . قال «زهير* »[١] :

250) صَحَا القلبُ عن سلمي وأقصر باطلُه   وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبــا ورواحلُه
وأَقْصَرتُ عمَّا تعلمينَ وسُــدِّدتْ   عليَّ سِوَى قَصْــدِ السبيلِ مَعَادِلُه

وقال « أعشى قيسٍ* » وكان أحدَ غُواةِ العرب :

فإن أَخاكِ الــذى تعلمين   ليالِيَنا إذ نَحُلُّ الجِفارا[٢]
تبــدَّل بعــدَ الصِّبا حِكمــةً   وقنَّعــه الشيبُ منه خِمارا
فإمَّــا تَرَيْنى عــلى آلـــة   قلَيْتُ الصِّبا وهجرتُ التِّجارا[٣]
فقد أُخرِجُ الكاعبَ المُسْتَرا   ةَ من خِدْرِها وأُشِيعُ الفِجارا[٤]

وأَحْسَنُ من هذا الانتقالِ عن الغيِّ إلى الرشدِ ، ما قال « الأَعورُ الشَّنِّى* » :

---

(١) البيتان مطلع قصيدته فى مدح «حصن بن بدر الفزارى» ورواية (الديوان ١٢٤) البيت الثانى : " وأقصر عما تعلمين .. " أى القلب . ومعادله : مذاهب الباطل التى عدلت به عن الطريق السوى .

(٢) الأبيات من رائيته فى مدح « قيس بن معديكرب الزبيدى» – الديوان ٣٥ – ومطلعها :

أأزمعــت من آل ليلى ابتكاراً   وشطت على ذى هوى أن تزارا

وفى (رسالة الغفران منها ثلاثة أبيات : ٢٢٧) .

وفى (الشعر والشعراء ١/١٨٠) : الجفار ماء لبنى تميم بنجد ، وقد يراد به الماء مطلقاً فى بيت الأعشى :

كطوف الغريبة وسط الحياض   تخاف الردى وتريد الجفــارا

(٣) التجار : جمع تاجر ، وهو عند العرب بائع الخمر (ف) .

(٤) رواية الجوهرى فى الصحاح (س ر ى) :

وقد أخرج الكاعب المسترا   ة من خدرها وأشيع القمارا

المستراة : المختارة . من قولهم : استرى فلان فلانة ، إذا اختارها وكانت من سروات قومها. وأخذه الجوهرى من : استريت : اخترت سراً .

* زهير بن أبى سلمى = ١٣٤

* أعشى قيس ، ميمون بن قيس البكرى ، أبو بصير = ١١٢ .

* الأعور الشنى : بشر بن منقذ . من بنى شن بن أفصى بن عبد القيس ، من أسد بن ربيعة ابن نزار (جمهرة الأنساب ٢٨٢) شاعر إسلامى محسن ، خبيث الهجاء . وكان مع « على » كرم الله =

وإنى لأَرجو أن أموت ولم أَنَــلْ حراماً من الدنيا : زِناءً ولا خَمْرا
وما أَطلعتْنى بِنتُ جــارٍ مجاوِرٍ على سِرِّها حتى أَسوقَ لها مَهْرا

وقولُ « الدعبلِ بنِ الكلبِ العنبرىّ* » :

وما أَعجبَتْنى حُلَّــةُ فوق خاربٍ رأى اللهُ حَظِّى غيرَها فكسانِيا
وما أنا بالجاذى على حَدِّ مرْفَقى إلى جارتى ليلا لأُصبحَ زانِيــا[1]

وقولُ الآخرِ[2] :

نارِى ونــارُ الجــارِ واحدةٌ وإليــه قَبْلِى تُنزَلُ القِــدْرُ

= وجهه» يوم الجمل . وبيته الذى سمى به ، يهجو بنى عصر :

وإن تنظروا شزراً إلى فإننى أنا الأعور الشنى قيد الأوابد

(مؤتلف الآمدى ٣٨ ، والشعر والشعراء ٥٣٤/٢ ب)

وانظر معها أمالى القالى ٢٠٧/٢ ، وحماسة البحترى وتاريخ الطبرى سنة ٣٥ هـ .

(١) الخارب : اللص ، وأكثر ما يستعمل فى الذى يسرق الإبل (ض) والجمع خراب ، على وزن عامل وعمال (ص) .

والجاذى ، من : جذا يجذو جذوا ، ثبت قائماً . وقيل : الجاذى كالحافى (ف) ومعه فى (ص) الجاذى : المقعى منتصب القدمين ، وهو على أطراف أصابعه .

(٢) كذا فى ض . وفى (ف) : [وقال الآخر] وفى طرته : هو مسكين الدارى ، واسمه ربيعة ابن عامر بن أنيف ، إسلامى فى طبقة جرير والفرزدق (انظره فى صفحة ٤٠٨) .

والبيتان فى (الشعر والشعراء ٤٥٦/١) لمسكين الدارى ، وبعدهما :

أعمى إذا ما جارتى بــرزت حتى يغيب جارتى الســتر

وذكرها « ابن قتيبة» كذلك ، لمسكين ، مرتين فى (عيون الأخبار) : مرة فى حسن الجوار (١٩١/٢) وأخرى فى كتاب الطعام (٢٤٠/٣) .

* من (ض) وفى (ف) : الزعبل .

ولم أعثر عليه فى مراجعى . والمعروف لنا بهذا الاسم : دعبل بن على الخزاعى الشاعر (جمهرة الأنساب ٢٢٩ ، والأغانى : ٢٩/١٨ ومابعدها) .

(١٣٠) || ما ضرَّ جـارِي إذ أجاوِرُه   ألا يكونَ لبيتِـه سِتْـرُ[١]

وفى الحديثِ المأثور: «أبغَضُ الناسِ إلى الله، الشيخُ الزانى والفقيرُ المحتالُ».

وحَدَّث رجلٌ يُعرَفُ بـ «مُشرِق بنِ عبدِ الله*» - وأصلُه روميٌّ وهو
(25) من أهل القرآن ومقامُه الآنَ بحلبَ|| حرسها اللهُ، وكان فى صحبة محمدِ ابن عبدِ الله الفُصَيصِى - أن هذا الرجلَ له ولَدٌ من امرأةٍ ليستْ تَحِلُّ لمثله على رأيِ أصحابِ الشرائع، وأنه قد جعل له رُتبة[٢]. ورأيُه، إن مات أخوه قبلَه، أن يُقِرَّ بنَسَبِه ويجعلَ الملكَ إليه. فمَثَلُه فى هذا مثلُ «معاويةَ*» و «زيادِ ابنِ أبيه*» وإذا صحَّ أمرُ هذا الولَدِ، فمثلُه مثلُ قولِ الشاعرِ وهو يُروى لـ «أمِّ تأَبَّطَ شَرًّا*»[٣]:

ليت شعرى ضَلَّـــة   أَىُّ شىءٍ قَتَلكْ

---

(١) رواية «ابن قتيبة» فى الشعر والشعراء، وفى عيون الأخبار:

* ما ضر جاراً لى أجـاوره *

(٢) انظر «نقفور بن الفقاس، الدمستق»: يأتى فى أعلام الصاهل والشاحج.

(٣) فى الحماسة (١/٥٣٢) اثنا عشر بيتاً من هذه الكافية، ترتيب أبيات الصاهل والشاحج فيها: الثانى والثالث والخامس والسابع والثانى عشر والسادس: وأولها:

طاف يبغى نجوة   من هلاك فهلك

ورواية أبى تمام للشطر الأخير هنا: «للفتى لم يك لك» ولم ينسبها أبو تمام، بل اكتفى بأن قال: قالت امرأة من العرب. وفى شرح الحماسة: هذه الأبيات لأم السليك بن السلكة، وهى أمة سوداء، وكان من صعاليك العرب العدائيين الذين لا يلحقون ولا تدركهم الخيل إذا عدوا.

* مشرق بن عبد الله، من أصحاب محمد بن عبد الله الفصيصى، لم أعثر عليه فى مراجعى

* معاوية، وزياد ابن أبيه: يشير أبو العلاء هنا، إلى استلحاق معاوية بن أبى سفيان، زيادَ ابن أبيه، بنسبه. وكان أبو معاوية، سفيان بن حرب، قد أقر بأن زياداً ولده، سفاحاً، من سمية، جارية الحارث بن كلدة. انظر ترجمة زياد فى (الاستيعاب رقم ٨٢٥) وكان استلحاق معاوية زياداً بنسبه، فى سنة ٤٤ هـ. وفى هذه السنة من (تاريخ الطبرى) خبر ذلك الاستلحاق وما أثار من سخط وإنكار. وزياد، هو أبو «عبيد الله بن زياد» الذى حمل كبر مذبحة كربلاء.

* تأبط شراً = ٢٦٠

أمريضٌ لم تُعَـدْ أم رصيدٌ خَتَلَكْ[١]
والمنـايا رصـــدٌ للفتى حيث سَلك
كلُّ شىءٍ قاتـــلٌ حينَ تَلْقَى أَجَلَك
ليت نفسى قُـدِّمتْ للمنـايـا بَـدَلَكْ
أَىُّ شىءٍ حَسَنٍ فى الفتى لم يكُ لك

والأَبياتُ معروفة ، وقد ذكرها صاحبُ (الحماسة*)

وإنما ضربتُ بها المثلَ لهذا الولد[٢] ، لأَنها تحتملُ أمرين : أن تكونَ من الوزنِ المديدِ ، وهو من أَهلِ بيتِ المملكةِ فى الشعرِ ، لأَنه أخو الطويل والبسيط وإن كان مقصِّرًا عنهما ، وهو معهما فى دارِ المُلْكِ . وعنيتُ بدارِ الملكِ : الدائرةَ التى تجمعه وأخويه . فمثَلُه مثلُ « إبراهيمَ بنِ شكلة* » خَرَجَ اسمُه بالغِناء ، وأَخواه « موسى وهرونُ* » المِلكانِ . والأَمرُ الآخر فى هذه الأَبياتِ

(١) الترصد الترقب . والرصد كالحرس ، يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، وربما قالوا : أرصاد . والرصيد : السبع الذى يرصد ليثب (ص) .

(٢) ابن بسيل ملك الروم ، المقول بأنه ولده من امرأة لا تحل له .

* صاحب الحماسة : أبو تمام ، حبيب بن أوس = ٣١٠

* إبراهيم بن شكلة : هو إبراهيم بن المهدى ، وشكلة أمه (ف) وهو أخو الخليفتين موسى الهادى وهرون الرشيد ، لأبيهم الخليفة المهدى بن عبد الله أبى جعفر المنصور . وأم إبراهيم : شكلة . من سبى طبرستان (جمهرة الأنساب : ١٩) وكان شاعراً فاضلا مقدماً فى قومه ، ومن أبصر الناس وأعلمهم بالغناء. وقد بايعه بنو العباس بالخلافة ، عندما أنكروا على المأمون أن عهد إلى على بن موسى الرضى سنة ٢٠١ هـ وجرد المأمون ، لحرب عمه إبراهيم جيشاً هزمه ، بقيادة حميد الطوسى . واختفى إبراهيم سنة ٢٠٣ هـ لسبع سنين ، ثم ظفر به المأمون وعفا عنه. (انظر تاريخ ابن الأثير ، السنوات ، ٢٠٠ : ٢١٠ هـ) .

* موسى الهادى ، وهارون الرشيد : أخوا إبراهيم لأبيهم المهدى ، وقد وليا الخلافة من بعده : الهادى ثم الرشيد . وأمهما : الخيزران ، أم ولد أيضاً ، كشكلة أم إبراهيم . وانظر سياق نسبهم فى (نسب قريش ، وجمهرة الأنساب ١٨ : ٢٠) .

أن تكونَ من الرَّمَلِ ، وهو من عامةِ الشعر . وبذلك حَكَم عليها أهلُ العِلْم .

ولذلك يجبُ أن يُحكَمَ على هذا الولِدِ بأنه من العامَّةِ لا من الملوكِ ، لأن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « الولدُ للفِراشِ ، وللعاهرِ الحجَرُ[١] » وفى حديثٍ آخر : « وللعاثرِ دَعْدَعْ وللعاهرِ الحجَرُ[٢] » ومَرَّ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بأَمَةٍ مُجِحٍّ[٣] – وهى الحاملُ المُقْرِبُ – فقال : لمن هذه ؟ قالوا : لِفُلان . قال : أَيُلِمُّ بها ؟ قالوا : نعم . قال : « لقد همَمتُ أن ألعنَه لعناً || يدخُلُ معه قبرَه . كيف يُوَرِّثُه وهو لا يعرفُه ؟ أم كيف يستخدمه وهو لا يعرفه ؟ »[٣] . (251)

فنقولُ نحن : إن الميراثَ لَيتَفاضلُ . ورسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم كَرِه أن يَرِثَ وَلَدُ الأَمَةِ شيئاً قليلا من المالِ ، لأنه لا يُعرَفُ أبوه . فكيف يُورِّثُ هذا الرجلُ مُلْكَه مَنْ لا يَثبُتُ نسبُه فى الأَحكامِ ؟ أم كيف يكون مَلِكُ جيلٍ من الأَجيالِ مَن وُلِدَ لِغَيرِ رِشْدَة[٤] . وقد عَلِمَ أهلُ الملكِ بذلك ؟ إن هذا لهو الخزْىُ العظيمُ .

والعربُ ، على أنهم كانوا أهلَ رَتَبٍ وشِقوةٍ ، يعيبُونَ على الرجلِ والمرأَةِ

---

(١) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ١١٧/٢) .

(٢) فى (ص : دعع) عن أبى زيد : والدعدعة أن تقول للعاثر : دع دع ، أى قم فانتعش . . وأنشد :

لحا الله قوماً لم يقولوا لعاثر ولا لابن عم ناله الدهر : دع دعا

(٣) ضبطها فى (ف) : مجحٍ ، من أجحى يجحى . ولم أجد فى الواوى أو اليائى من المادة ، ما يفهم منه – صراحة أو ضمناً – المعنى الذى فسره بها أبو العلاء ، وفسره ابن الأثير : المجح : الحامل المقرب التى دنا ولادها . وفى (ص ، ق : ج ح ح) أجحت المرأة ، بتضعيف الحاء ، حملت فأقربت وعظم بطنها ، فهى مجح – بكسر الجيم وتشديد الحاء . والحديث ، بلفظه هنا ، فى المعجم ١٢٥/٦ (لعن) .

(٤) يعنى الزنا (ف) .

قِلَّةَ المَهْرِ . قال «جرير* » :

نُساقُ من المِعْزَى مُهورُ نسائِهم　　وفى قزمِ المِعْزَى لهنَّ مهورُ[١]

وقال آخرُ ، وهو كالمفتخرِ بكثرةِ المَهْرِ[٢] :

إنى وإنْ سِيقَ إلىَّ المَهــــرُ　　عبدٌ وقينــــاتٌ وذَودٌ عَشْرُ

أَحَبُّ أصهارِى إلىَّ القبرُ

فأَما الفقهاءُ فيختلفون فى المهرِ اختلافاً كثيرًا : فأَجاز بعضهم التزويجَ على ما قَلَّ وما كثُرَ ، ولم يَجعلْ فى المهْرِ حَدًّا يُعرَف . ومِمَّنْ ذهب إلى ذلك «محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ* » .

وقال «أبو حنيفةَ * » وأَهلُ العِراق : عشرةُ دراهمَ أَقلُّ المهور .

وقال «مَالك* » : المهرُ رُبْعُ دينارٍ .

ورُوِىَ عن «إبراهيمَ النَّخَعِى* » فى ذلك ثلاثةُ أقوالٍ : أَحدُها أنه قال : المهرُ رِطْلٌ من ذهب . وهذا قولٌ لم يأْتِ على الجزمِ والإِيجابِ . والقولُ الثانى : أَربعون درهماً . والقولُ الثالثُ أنه قال : أُحِبُّ عشرةً أَو عِشرين ، ليكونَ مُخالفاً لمهرِ البَغِىِّ .

---

(١) رواية النقائض ، والديوان (٢٦٦) الشطر الأول : « ترى قزم المعزى مهور نسائهم»

(٢) الرجز أيضاً ، مما يتمثل به فى كراهة الرجل أن تولد له أنثى .

* جرير (= ١٢٠) من نقيضة له ، يرد على أعور نبهان . ومطلعها :

عفا ذو حمام بعدنا وحفير　　وبالسرّ مبدى منهم ومصير

* محمد بن إدريس الشافعى : أبو عبد الله الإمام = ٢٣٠

* أبو حنيفة : النعمان بن ثابت ، إمام العراق = ٢٣٠ .

* مالك ، بن أنس بن مالك الأصبحى ، إمام دار الهجرة = ٤٩٣

* إبراهيم النخعى : أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعى ، من بنى النخع بن عامر المذحجى (الجمهرة ٣٩٠) التابعى ، فقيه العراق باتفاق ، قبل الإمام أبى حنيفة ، قال الشعبى : ما ترك إبراهيم بعده أعلم منه – يعنى فى زمنه . وكان ثقة جليلا مهاباً يتوقى الشهرة (٩٥ هـ) (ابن سعد ١٨٨/٦ ، تذكرة الحفاظ ٧٣/١ ، طبقات القراء ٢٩/١) .

ورُوِىَ عن « سعيدِ بنِ جُبَيرٍ* » أنه قال فى أقلِّ المهورِ : خمسونَ درهماً .

ورُوِىَ عن « الأَوزاعِىِّ* » أنه قال كلاماً معناه : أنه مَن تزوَّج على درهمٍ
(252) لم يَنقُضْ عليه|| قاضٍ. فيروون أن مذهبَه فى أقلِّ المهور هو الدرهمُ الواحد .

وقال « ابنُ شُبْرُمَةَ* » خمسةُ دراهمَ .

ورُوِىَ أن « سعيدَ بنَ المُسَيِّبِ* » زوَّجَ ابنتَه على دِرْهَمٍ .

فأمَّا الذى تُوجِبُه المروءةُ والديانةُ ، فأَنْ يكونَ مهرُ المرأةِ على مقدارِ حالِ الرجلِ : فإن كان موسِرًا حَسُنَ منه أن يُكثِرَ مهرَ امرأتِه . وإن كان مُقْتِرًا عُذِرَ فى التقصيرِ .

وذكرتُ المهرَ لأَن وَلَدَ الروىِّ جائزٌ أَن تكونَ أُمُّه لم تُعْطَ مَهْرَ بَغِىٍّ ولا غيرَه .

---

* سعيد بن جبير : أبو عبد الله الوالبى – مولاهم – الكوفى المقرئُ الفقيه المحدث . من كبار التابعين ، وأكثر روايته عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما. قتله الحجاج بعد واقعة دير الجماجم سنة ٩٥ هـ . وما فى الناس من لا يحتاج إلى علمه (ابن سعد ١٧٨/٦ ، طبقات الفقهاء ٨٢ ، والقراء ٥٦/١ وتذكرة الحفاظ ٧٦/١) .

* الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو . ينسب إلى الأوزاع، قبيلة من حمير . وليسوا عشيرته، لكنه سكن بينهم فنسب إليهم (الجمهرة ٤٠٨) الفقيه العلَم ، إمام أهل الشام . ولد ببعلبك سنة ٨٨ وتوفى سنة ١٥٧ ه ، كما فى (الشذرات ٢٤١/١ ، وخلاصة التذهيب) .

* ابن شبرمة : عبد الله بن شبرمة بن عمر الضبى . من سعد بن ضبة بن أد ، وهم مزينة (جمهرة الأنساب ١٩٣) فقيه الكوفة القاضى التابعى الحافظ كان تقيًا عفيفًا ، يشبه النساك . وشاعرًا جوادًا مذكورًا فى الشعراء (الشعر والشعراء ٦٢٩/٢ ب) توفى سنة ١٤٤هـ كما فى (العبر، وتهذيب التهذيب).

* سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب ، من بنى مخزوم (جمهرة ١٣٢ ، ونسب قريش ٣٤٥) من سادات التابعين وأعلام فقهاء المدينة ، جمع الفقه والحديث والتفسير ، مع ورع وزهد . ت بالمدينة (ابن سعد ٨٨/٥ ، تذكرة الحفاظ ٥٤/١ ، طبقات الفقهاء ٥٧ ، العبر ، وفيات سنة ٩٤ هـ) .

وإنما يمكنُ أن تكونَ هذه الأَبياتُ الكافِيَّةُ || من المديدِ لأنه إذا حُمِلَ على أَخوَيه وجَبَ أن يكونَ على ثمانية أجزاء ، ولم تستعملْه العربُ إلا سُداسيًّا . (١٣١)
وأطوَلُ ما استعملتْ منه : * إنَّ بالشِّعبِ * [١] ونحوُها . إلا أنَّ أَهلَ العِلْمِ يَضعون له أصلاً ثُمانيًّا ليكونَ مِثْلَ أَخوَيه . فمن ذلك قولُ القائلِ :

ليس مَن يشكو إلىأَهلِه طولَ الكرَى   مِثْلَ مَنْ يشكو إلى أهلِه طولَ السَّهَرْ

الأَبياتُ الكافِيَّةُ مَشطورُ هذا الوزن[٢] .

ولهذا الولَدِ ولهذين المَلِكيْن مَثلٌ آخرُ : وهو أنهما إذا كانا مثلَ الضَّربَيْنِ الأَوَّلَيْنِ من البسيطِ ، وهما مَلِكانِ ، والأَولُ منهما هو الأَكبرُ والثانى منهما هو الأَصغرُ ، فهذا الولَدُ إن صَحَّ أنه من أَهلِهما فهو مِثلُ الثالثِ من البسيطِ ، لا يُعرَفُ فى الظاهرِ أن بينه وبين الأَوَّلين قرابةٌ ، لأَن الأَولَ مثلُ قولِ « الأَعشى* » :

* ودِّعْ هُريرَةَ إن الركْبَ مُرتحِلُ *

وهو « بَسِيلُ * » .

---

(١) من مطلع القصيدة اللامية الحماسية : إن بالشعب الذى دون سلع   لقتيلا دمه ما يطل
راجع تخريجها فى شواهد الصاهل والشاحج : ٥٧٢ .
(٢) يعنى بالأبيات الكافية : التى يروى أنها لأم تأبط شرا ، وقد مرت منها ستة أبيات منها آنفاً .

* الأعشى ، أبو بصير ، ميمون بن قيس = ١١٢
مطلع قصيدته المعلقة . وتمام البيت : * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل *
* بسيل : باسيليوس بن أرمانوس ، إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية فى زمن أبى العلاء . ذكر ابن خلدون فى تاريخه (٥٣٣ ط أرسلان) أنه مات سنة ٤١٠ هـ بعد سبعين سنة من ملكه . و« ابن العديم » فى (تاريخ حلب) يذكر المراسلات بين عزيز الدولة و باسيل ملك الروم ، فى أحداث سنة ٤١١ هـ . ويؤيده ما هنا من حديث رسالة الصاهل والشاحج عن « بسيل » ، أنه كان ما يزال حياً فى تلك السنة ، إذ أن الرسالة أملاها أبو العلاء فى عهد الظاهر الفاطمى ، بصريح عبارته فى صفحة ٥٥٣ . وقد ولى الظاهر الملك فى سنة ٤١١ هـ ، بعد مقتل الحاكم بأمرالله — بإجماع المؤرخين ، ومنهم ابن خلدون فى (تاريخه : أحداث سنة ٤١١ هـ) وأبو العلاء معاصر للأحداث ، وسياق الحوار فى الصاهل والشاحج ، عن تأهب « بسيل » =

والثانى مثلُ قولِ «كعب* » :

* بانتْ سُعادُ فقلبى اليومَ مَتبولُ *

وهو «قسطنطين» :

والثالثُ مثلُ قولِ «عمرو بنِ قميئةَ* » :

الكأْسُ مُلْكٌ لمنْ أعملَها والمُلْكُ منه كبيرٌ وصغير

منها الصَّبوحُ التى تتركنى ليثَ عِفرِّينَ والمالُ كثير

(253) وأولَ الليلِ لَيْثٌ خـادِرٌ وآخرَ الليلِ ضِبْعَانٌ عَثـور

وهذا الوزنُ فى السَمْعِ بعيدٌ من نَمَطِ الوزْنَين الأَولينِ ، وإنما يَعلمُ بقرابتِه منهما أهلُ الخبرة . و «الخليلُ* » سَمَّى هذا الوزنَ الثالثَ : مُذالاً. أخذه من الذيلِ لأَن فى الجزءِ الأَخيرِ زيادةَ حَرْف ساكن .

ونحن نتأَوَّلهُ إذا نقلناه إلى ذلك الولد ، أنه من الإذالةِ ، أى الهوَان .

ولِلأَخِ الأَصغرِ من الأَخوين أَولادٌ إناثٌ . فمَثَلُهن مَثَلُ الضُّروبِ الثلاثةِ الأَخيرة من البسيط : فيهن انكسارٌ وضعفٌ ورَكاكة . وهذه الأَوزان الثلاثةُ لا يستعمِلُها المُحْدَثون إلا أَن يَخبِنوا الثالثَ منها فى العَروضِ والضرب ،

= لغزو حلب ، قاطع الدلالة على أن ذلك قد كان فى عهد الظاهر (٤١١ : ٤١٣ هـ) كما نص على ذلك مؤرخ حلب « ابن العديم » .

* كعب بن زهير بن أبى سلمى = ١٧٨ .

مطلع لاميته الغراء التى أنشدها بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم . وتمام البيت :

* متيم إثرها لم يفد مكبول *

* عمرو بن قميئة : بن سعد بن مالك بن ضبيعة = ٤٧٢

وليث عفرين : — فى البيت الثانى لعمرو — الأسد . قيل لأنه يعفر فريسته أو قرنه ، وكأن معناه أسد أسود ، وقيل عفرين اسم أرض . وضبعان : ذكر الضبع ، وهى مؤنثة . والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين ويقال للأنثى ضبعانة وضبعة (ص) .

* الخليل : بن أحمد ٣٨٦ .

فيستعملوه عند ذلك. وإنما توجَدُ شاذَّةً فى أَشعار الجاهلية ومَن بعدَهم من القالة. وإذا قدُمَ عهدُ الشاعر كان ديوانُه مَظِنَّةً[1] لمثلِ هذه الأَوزان النادرة ، وما أَفلحَ وزنٌ منها قط . وربما نَدَرَ بيتٌ بعد بيتٍ ، ولا يجىءُ حَسَناً فى السمْعِ إلاَّ أَنْ يَلْحَقَه بعضُ التغييرِ عمَّا هو فى الأَصْلِ. فمن ذلك قولُ «عَبيد* » :

تَصبو وأَنَّى لكَ التصَابى   أَنَّى وقـد راعك المَشِيبُ[2]

وفيها .

مَنْ يسأَلِ الناسَ يَحرمــوه   وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ[2]

فهذانِ البيتانِ إنما حَسُنَا فى الوزنِ لأَجلِ شىءٍ سقَطَ منهما فقَبلِتْهما الغريزةُ الخالصةُ . أَلا ترى إلى قوله :

والمرءُ ما عاش فى تكذيبٍ   طولُ الحياةِ له تعذيبُ[2]

كيف هو مخالفُ لهذينِ البيتين ؟

فقد يجوز أَن تُحسِّنَ عقولُ الرومِ لها إذا فُقِدَ || هذانِ الأَخوانِ، أَن (254)
تُمَلِّكَ بعضَ بناتِ الأَصغرِ ، فيكونَ مثلُها مثلَ ما استقام من هذا الوزنِ فى السَّمْعِ ، وهى مع ذلك ضعيفةٌ ركيكةٌ . والرومُ ربما مَلَّكت النساءَ وبعضُ الناسِ يقول : «الزَّبَّاءُ الروميَّةُ* » - يَعنى صاحبة «جَذيمةَ* » -

(١) كذا بوضوح فى (ف) وفى ض : [مطية] واضحة كذلك . ومظنة الشىء ، بكسر الظاء ، حيث يظن وجوده ، لا على يقين . والمطية : المركب .

(٢) الابيات الثلاثة من بائيته المعلقة :

أقفر من أهله ملحـوب   فالقطبيات فالذنـــوب

والبيت الثانى هنا ، من شواهد رسالة الغفران (١٨٦) وبه استحق عبيد - عند أبى العلاء ، أن يدخل جنة الغفران وانظر (الشعر والشعراء ١٨٨/١ ، والموشح ٨٢) .

* عبيد : بن الأبرص الأسدى = ٢٠٥

* الزباء ، ملكة تدمر ، وجذيمة (= ٩٣) .

وقصتها مع جذيمة الأبرش اللخمى ، ملك الحيرة ، معروفة . انظر (جمهرة الأنساب ٣٣٨، ٣٥٨ ، ٣٩٧ وفرائد اللآل ١٠٨/٢ والأغانى ١٤ /٧٢ بولاق) و رسالة الغفران ٢٧٨ .

ينسُبُها إلى الرومِ . وتمليكُ امرأة صحيحةِ النسَبِ فى بَيْتِ المُلْكِ ، أحسَنُ من تمليك رجُلٍ لم يثبُتْ نَسَبُه .

وإذا شبَّهنا الطاغيةَ بالضَّرْب الأوَّلِ من البسيطِ ، وظهر من الدُّروبِ ناقضاً للسِّلْمِ ، فَــ «عزيزُ الدولةِ» ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ يُلحِقُ به الطَّيَّ أو الخَبْلَ . فإنه إذا طُوِىَ تغيَّرتْ هيئتُه وذهب أَيْدُه . والطيُّ الذى وضعه «الخليلُ*» هو ذَهابُ الرابعِ من السُّبَاعِيِّ . ونحن نَعنِى به المصدرَ من قولِكَ : طواه اللهُ ، أى أهلَكه . وقد طَوَى «زُهَيرٌ*» الضربَ الأولَ من البسيط فى موضعين . فى أولِ النصف الأولِ ، وفى أولِ النصفِ الثانى . وذلك قولُه :[١]

يَطعَنُهمْ ما ارتمَوْا حتى إذا طُعِنُوا ضارَبَ حتى إذا ما ضارَبوا اعتنَقا

و «السيدُ عزيزُ الدولةِ» ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ لا يَرضَى له بالطيِّ فى موضعين ، بل يَطويه فى أربعةِ مواضِعَ ليكونَ التغييرُ له أشَدَّ ، || وحالُه عند مَن عَرَفها أنْكرُ . ألا ترى إلى قولِ «الباهلىِّ*» : (١٣٢)

إنى أتتْنى لسانٌ لا أُسَرُّ بها[٢] من عَلْوَ لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ

---

(١) البيت من قصيدة زهير (= ١٣٤) فى مدح هرم بن سنان ، ومطلعها :

إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

ورواية (الديوان ٣٣) للشطر الأول من الشاهد هنا : * يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا *

ومثلها رواية ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ١ / ٧٩) .

والقصيدة من مختارات ابن الشجرى . وروايته للبيت (ص ٤٨) كرواية أبى العلاء هنا

(٢) فى طرة (ض) : اللسان الرسالة ، سميت بذلك لأنها تؤدى باللسان . ويجوز أن تسمى الأحدوثة لساناً رواه المبرد : * من عل * والمشهور أن هذا البيت ، مطلع مرثية أعشى باهلة فى أخيه لأمه : المنتشر بن وهب بن عجلان . المؤتلف ١٣) وفى طبقات ابن سلام ستة أبيات من هذه المرثية ، =

* الباهلى : هو أعشى باهلة (ف)

وانظر (مؤتلف الآمدى : ١٤) عمرو ، أو عامر بن الحارث بن رياح الباهلى . ثالث فحول شعراء المراثى فى (طبقات ابن سلام) .

لو دخَل معه قولُ القائلِ :

ارتحلوا غُــدوَةً فانطلقوا بُكَرًا   فى زُمَرٍ منهم تتبعُها زُمَــرُ

لكان بعيدًا عن شَكله غيرَ ملائمٍ له فى وزنِه ؟ وهذا البيتُ الثانى قد لحِقَه الطىُّ فى أربعة أماكنَ .

والخَبْلُ الذى وضعه «الخليلُ» هو سقوطُ الثانى والسابعِ من السباعىِّ

|| كما قال «النابغةُ* » : 255)

* فَحسَبُوه فألْفَوه كما حَسَبتْ *[1]

وقد مضى ذكرُه .

ونحن نَعنِى بالخَبْلِ فسادَ الأعضاء وتغيُّرَ العقلِ من الهلَع ، كما قال «مُتَمِّمٌ* » :

وكلُّ فتًى فى الناسِ بعدَ ابنِ أُمِّه   كذَاهبَة إحدى يَدَيْه من الخبْلِ]

= لأعشى باهلة . وهى من مختارات (ابن الشجرى ، والمبرد فى الكامل ٤ /٦٥) من شعر أعشى باهلة يرثى أخاه المنتشر ، وأبياتها فيها ٢٣ بيتاً . واليزيدى فى (أماليه ١٣) وأنشد الجوهرى مطلعها ، « لأعشى باهلة عندما أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر » كرواية أبى العلاء هنا ، فى مادتين من الصحاح فى : (ع ل و) شاهداً على : علو بضم الواو وكسرها ، أى أتانى خبر من أعلى نجد . وفى (س خ ر) شاهداً على : سخرت منه أسخر سخرا ، بالتحريك ، وسخراً بالضم . والتأنيث فى أتتنى ، للكلمة ، أى : لسان – ولكن «البكرى» فى (التنبيه ٣) ذكر عن قطرب ، أن البيت من قصيدة «للدعجاء بنت وهب ، وهى التى ترثى أخاها المنتشر» ! ومثله فى (أمالى المرتضى ٩١/١) وانظر سمط اللآلى ٧٥/١ ، و (إصلاح المنطق : ٣٩) .

(١) تمام البيت : * تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد * وقد مرَّ فى شواهد الصاهل والشاحج والضمير فى : حسبت ، لفتاة الحى التى حسبت سرباً من القطا . والبيت من قصيدة الذبيانى :
* يا دارمية بالعلياء فالسند * وانظر (شرح شواهد المغنى : ٢٨) :

* متمم بن نويرة . اليربوعى . أول فحول شعراء المراثى .
يرثى أخاه مالكاً (انظره فى ص ٤١٣) والقصيدة من مختار المبرد فى الكامل ٤ / ٨١ .

ويقالُ : أَصابَ بنو فلانٍ بنى فلانٍ بَخَبْلٍ ؛ أى بقَطْعِ أَيْدٍ وأَرجُلٍ . وإذا قالوا : فلانٌ مَخبولٌ ؛ فإنما يريدون اضطرابَ العقلِ وتغيُّرَه .

ولم يكن «السيدُ عزيزُ الدولةِ» - أعزَّ اللهُ نصرَه - يقتنعُ بِخَبلِه فى موضعٍ واحدٍ ؛ بل يجمعُ له الخَبْلَ فى أَربعةِ مواطِنَ حتى يُنكرَه أَدْنى الاحِبَّاءِ[1] وأَعَزُّ القَرابينِ ، فيكونَ مَثَلُه مثَلَ هذا البيتِ :

وزعَموا أَنهم لَقِيَهم رجــلٌ فأَخذوا مالَهُ وضربوا عُنُقَه

أَلا ترى أن حالَه تغيَّرتْ حتى أَنكرتْه الأُذُنُ ونَفَرَ منه الحِسُّ؟ فلو أَقسمَ مُقْسِمٌ أَنه لا يُناسِبُ قولَ «زُهَيْرٍ*» :

* بانَ الخَليطُ ولم يَئودُوا لِمنْ بانُوا *

ولا قوله :

* إن الخَليطَ أَجَدَّ البَيْنَ فانفرقا *[2]

لَعُذِرَ فى ذلك

وإنْ لم يُشَبَّهْ بالبَسيطِ الأَولِ وجعلناه من الطويلِ الذى هو أَشرفُ وأَجَلُّ ، فإن «السيدَ عزيزَ الدولةِ» - أعزَّ اللهُ نصرَه - يَلْقاه بالثَّرْمِ . وهو فيما وضعه «الخليلُ» مثلُ قولِ الشاعرِ :

هاجَها رَبْعٌ دارِسُ الرسْمِ باللوَى لأَسماءَ عَفَّى آيَهُ المُــورُ والقَطْرُ[3]

ونحن نعنى بالثَّرْمِ قولَنا : ثَرَمَ الرجلُ ، إذا سقطتْ مقاديمُ أَسنانِه .

---

(١) فى ض [الأحياء] وما هنا من (ف) جمع حبيب ، وهو أولى بالسياق مع : القرابين ، جمع قربان ، بمعنى جليس الملك الخاص (القاموس)

(٢) انظره مع الشاهد ، فى صفحة ٣٩٧ .

(٣) المور : الغبار (ض) والتراب الرقيق ، ويقال هو الريح التى تسفى التراب (ف) وفى ق ، المور ، بالفتح : الموج والاضطراب ، وبالضم : الغبار المتردد ، والتراب تثيره الريح .

وثرمَهُ غيرُه ثَرَماً . ونضيفُ له إلى ذلك ، الكَفَّ . وهو فى رأيِ « الخليلِ »
|| سقوطُ السابعِ من الجزءِ السباعيِّ فى هذا الوزنِ . كما يُنشِدُ بعضُ الناسِ[١] : (256)

سآخُذُ مِنكُمْ آلَ حَزْنٍ بِحَوْشَبٍ   وإن كان مولا ىَ وكنتم بَنِى أَبِى

وهكذا فى النُّسَخِ القديمة . وقد غيَّره بعضُ الناسِ كراهةَ الكفِّ ، قالوا :

* وإن كان لى مولى وكنتم بنى أبى *[٢]

ونحن نَعنِى بالكفِّ أشياءَ كثيرةً : إن شئتَ كَفَّ البَصَرِ ، وإن شئت كفَّ اليَدِ ، وكلُّ مَنْعٍ يقعُ بالإنسانِ فهو كَفٌّ . ويَقبِضُ « السيدُ عزيزُ الدولةِ » ــ أعزَّ اللهُ نصرَه ــ يَدَ عَدُوِّه أن تَنبَسِطَ. كما قُبِضَتْ عَروضُ الطويلِ فلم ينشُرْها أحدٌ من الفُصحاءِ المتقدمين ولا نشرها أحدٌ من فحول الإسلام .
غيرَ أن « الجُعفىَّ* » فعَلَ ذلك فى كلمته التى أولُها :

* لجِنِّيَّةٍ أَمْ غادةٍ رُفِعَ السَّجفُ *[٣]

---

(١) البيت من قصيدة حماسية، يقال إنها لجندل بن عمرو قالها فى بنى عمه حين ضربوا مولى له اسمه « حوشب» وأولها فى الحماسة (١ /١٧١) :

أفيقوا بنى حزن وأهواؤنا معاً   وأرحامنا موصولة لم تقضب
ولا تبعثوها بعد شد عقالها   دميمة ذكر الغب فى المتعقب

ورواية أبى تمام : سآخذ منكم آل حزن لحوشب   وان كان مولى لى وكنتم بنى أبى (المرزوقى ١ /٣١٣)

(٢) كذا رواه « ابن قتيبة» فى كتاب الإخوان من (عيون الأخبار ٣ /٨٩) :
ولم ينسبه لقائله . و بعده :

إذا كنت لا أرمى وترمى عشيرتى   تُصبْ جانحات النبل كشحى ومنكبى

(٣) تمام البيت : * **لوحشية مالوحشية شنف** * وهو مطلع فائيته فى مدح أحمد بن الحسين القاضى المالكى ، أبى الفرج (الديوان ١ /٢٨٢) وانظر سمط اللآلى ٢ /٦٣٥

السجف ، بالفتح ويكسر ، وككتاب : الستر . ج سجوف وأسجاف . أو هو السِّتران المقرونان بينهما فرجة . والغادة : الناعمة (ق)

* الجعفى : يعنى المتنبى (ف)

أحمد بن الحسين المتنبى ، الشاعر المشهور الذى شغل الدنيا والناس فيما يقال ، وكان شاعر سيف الدولة ثم انتقل إلى كافور الإخشيدى فمدحه ثم هجاه لما لم يرضه عطاؤه ولحق بعضد الدولة البويهى فى حلب . قتل سنة ٣٥٠ هـ . انظر مع ديوانه ، يتيمة الدهر للثعالبى ، وخريدة ابن العماد ، وأدباء ياقوت ، والإبانة عن سقطات المتنبى ، ورسائل الصاحب ابن عباد .

وهو قوله :

تَفكُّرُه عِلْمٌ ومَنطِقُـــه حُكْمُ وباطنُه دِينٌ وظاهرُه ظَرْفُ[1]

وقد عابه عليه « اسمٰعيلُ بنُ عبَّادٍ ، الصاحبُ* » .

وإنما يزولُ قبضُ هذه العَروضِ فى التصريعِ إذا وقع فى الضربِ الأَوَّل .

ولم يكنْ – أعزَّ اللهُ نصرَه – يُخلِيه من القبضِ فى مواضِعَ سوى هذه ، كما قال « امروءُ القيس » :

سَمَاحةَ ذا وبشرَ ذا ووفاءَ ذا ونائلَ ذا ، إذا صَحَا وإذا سَكِرْ[2]

والقبضُ سقوطُ الخامسِ . ويجوزُ أن نعنِيَ به قَبْضَ النفسِ ، من قولِكَ : قبض اللهُ رُوحَه . وهل يَأْمَنُ المتعرِّضُ لمضَرَّةِ المسلمينَ – وإن كان مثلُه مثلَ قول « امرئِ القيس » :

* ألا انْعِمْ صباحاً أيها الطلَلُ البالى *[3]

ومثلَ قولِ « الشمَّاخ* » :

---

(١) الظرف ، بالفتح : الكياسة : ظرف ، ككرم ، ظرفاً ، فهو ظريف . وقيل هو حسن الوجه والهيئة ، وذكاء القلب والحذق (ق)

(٢) من قصيدة لامرئ القيس ، فى مدح « سعد بن الضباب الإيادى » سيد بنى إياد ، وكان قد أجاره – بعد أن استجار بهانئ بن مسعود بن عامر الشيبانى فلم يجره – ويأتى فى ص ٤٣٠ بيت آخر من هذه الرائية

(٣) تمام البيت ، وهو مطلع القصيدة : * وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى * مضى ٣٨٦

* إسماعيل بن عباد ، الصاحب . أبوالقاسم ، ذوالوزارتين ... صاحَبَ ابن العميد ، ووزر لمؤيد الدولة البويهى – وكان من أعلام عصره بلاغة وحزماً وسياسة . وله الرسائل المشهورة . ت ٣٨٥ ﻫ بالرى (تاريخ أبى الفداء ٢/١٣٠ وابن كثير ١١/٣١٤ وياقوت ٦/١٦٨ واليتيمة ٣/١٦٩ والإنباه ١/٢٠١)

* الشماخ ، معقل بن ضرار = ١٤٥

ألا يا اصْبَحانى قبلَ غــارةِ سِنْجالِ
وقبل منــايا نازلاتٍ وأشغــالِ(١) -

|| أن تدورَ عليه الدائرةُ فينعكس أمرُه حتى يُحسَبَ من الأَرِكَّاء الضعفَاء ؟ (257)
فإن هذين البيتين وغيرهما من الأبياتِ التامَّةِ المحسوبةِ من الطويلِ والبسيطِ ، تدورُ عليهن الدائرةُ || التى وضعها « الفرهودىُّ* » فيَصِرْنَ فى رُتبةِ قول (١٣٣)
« إسمٰعيلَ بنِ القاسمِ* » :

عُتْبَ ما للخيالِ خبِّرينى ومــالِى(٢)
ما لَــه لم يَزُرْنى طارقاً مُذْ ليــال

---

(١) فى (شواهد المغنى : ٣٧٣) :

ألا يا اسقيانى قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

وفى الشرح : قال الزمخشرى – فى المفصل – : المنادى محذوف ، وسنجال : موضع بناحية أذربيجان ، أو اسم رجل من بنى ليث بن عبد مناة أصيب بأذربيجان ، وكان مع سعيد بن العاص أو مع الأشعث ابن قيس الكندى . ولم يرد الشماخ : اسقيانى قبل مقتل هذا الرجل ، وإنما أراد : اسقيانى قبل أن أقتله . ورواية الزمخشرى فى (المفصل) كرواية الصاهل والشاحج .

(٢) الشعر لأبى العتاهية ، من مجزوء الخفيف . ونسقه فى النسختين : شطرا بيت واحد . ولم يرد فى أصل ديوانه (جمع ابن عبد البر) وأضافه الدكتور شكرى فيصل ، فى تكملة الديوان (القطعة رقم ٢٠٥ ص٦١٨) من الشعر والشعراء ، ذكره ابن قتيبة شاهداً على أن أبا العتاهية كان ربما قال شعرا موزوناً ، يخرج به عن أعاريض الشعر . ورواية ابن قتيبة للبيت الثانى :

لا أراه أتــــانى زائراً مذ ليــال

وبعده :

لـــو رآنى صديقى رق لى أو رثى لى
أو يـــرانى عدوى لان من سوء حال

وعتبة : جارية كانت لريطة بنت أبى العباس السفاح ، زوج المهدى . فلما بلغ المهدى إكثار أبى العتاهية من ذكر عتبة ، غضب وأمر بحبسه ، ثم شفع له يزيد بن منصور الحميرى ، خال المهدى .

ونقل الدكتور شكرى فى مقدمته للديوان (ص ٣٤) قول ابن عبد البر : « وكانوا يقولون إن لأبى العتاهية أعاريض فى الشعر وأوزاناً لم تدخل فى العروض ، وكان يقول : أنا أكبر من العروض »

ومثله فى (أمالى المرتضى ١/ ٢١٢) وروايته للشطر الثانى من البيت الأول : * حين بينى ومالى * .

* الفرهودى : يعنى الخليل بن أحمد ، منسوب إلى بطن من الأزد يقال له الفراهيد (ف)

* إسماعيل بن القاسم : بن سويد بن كيسان ، أبو إسحاق مولى عنزة ، المشهور بأبى العتاهية =

وهذا من أَضعفِ أَوزانِ الشعرِ وأَركَّهن . ولم تستعملْه الجاهليةُ ولا الفحولُ في الإسلام . وإنما عَمِلَه «إسمٰعيلُ بنُ القاسمِ» على هيئةِ اللَّعِبِ . وإذا أَردتَ أَن تُخرِج من قولِ القائلِ :[1]

* قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفان *

مثلَ قولِ «إسمعيل» :

* عُتبَ ما للخَيالِ *

فأَسقِطْ من أَولِه : * قفا نبك من * . والذالَ والكافَ من * ذكرى * ثم زِدْ ما أَسقطتَ من أَولِ البيتِ ، على آخرِه . فإِنه يخرُجُ منه وزنُ بيتين من أَبياتِ «إسمعيلَ» لأَن كلَّ بيتٍ من أَبياتِه مِثلُ نصفِ هذا الوزنِ .

ولم يكن «السيدُ عزيزُ الدولةِ» – أَعزَّ اللهُ نصرَه – يُعدِمُه حَذْفاً[2] . و «الخليلُ» لم يذكر الحذفَ إلا في الضربِ الثالثِ . وهذا الحذفُ الذي ذكرتُ ، هو شيءٌ يحدُثُ في آخرِ النصفِ الأَوَّلِ ، كما قال «النابغة» :

جزى اللهُ عَبْساً ، عبسَ آلِ بَغيضٍ   جزاءَ الكلابِ العاوياتِ ، وقد فَعَلْ[3]

وكما قال «القَتَّالُ الكلابيُّ»* :

---

(١) هو امرؤ القيس وتمام البيت : ورسم عفت آياته منذ أزمان *

(٢) الضمير في : يعدمه حذفاً ، للطاغية ، ملك الروم .

(٣) مطلع قصيدة للنابغة الذبياني (= ١٧٨) يعير فيها بني عبس اغترابهم في بني عامر . وروايته في الديوان :

جزى الله عبساً في المواطن كلها* وعلى هامشه ويروى :

جزى الله عبساً عبس آل بغيض* وهي الرواية هنا

= من شعراء المهدي وهرون الرشيد . رمى بالزندقة ، وأكثر أشعاره في الزهد ، مع شهرته بالبخل. ت سنة ٢٠٥ هـ . انظر ديوانه في كتاب (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره) ، جامعة دمشق ١٩٦٥ ، مع (الشعر والشعراء ٢ / ٦٧٥ بيروت) وطبقات ابن المعتز ، وأدباء ياقوت

* القتال الكلابي = ٣٠٣

وانظر (جمهرة الأنساب لابن حزم : ٢٦٦) وبنات عبد مناف في (نسب قريش ١٤) .

لقـــد ولدتْ لى بنتُ عبـــدِ منافٍ   أميمةُ ، عزًّا إن غضبتُ ومَغضَبا

وإنما عنيتُ بالحذفِ نقصاً يلحقُ الطاغيةَ فى جَسَده أو عسكرِه .

ولو قرُب وهو يريدُ الحربَ . وقد مثَّلتُه بالطويل . لأَدركتْه المعاقبةُ من «السيدِ عزيزِ الدولةِ» – أعزّ الله نصْره – || وذلك أن «الخليلَ» جعل (258) المعاقبةَ فى الطويلِ سقوطَ الخامس من السباعىِّ تارةً ، وسقوطَ السابعِ أخرى . وأنا أعنى بالمعاقبة مصدرَ : عاقبتُه ، من العقوبة .

وإن كان فى عسكره بطاريق ورؤساءُ يَجرُون مَجرَى الوافرِ والكاملِ لأنهما لا يبلغان رُتبةَ أملاكِ الشعر – وهى خمسة : الطويلُ بضروبه الثلاثة . والضربانَ الأَولان من البسيط – فإن «السيدَ عزيزَ الدولةِ» . أعزَّ الله نصرَه . يَلْقَى مَن كان منهم فى منزلةِ الوافرِ بالعَضبِ والعَصْبِ والعَقْصِ والقَصْمَ والعقلِ والنقصِ[١] ، ويجعلُ ذا الرمْحِ منهم أَجَمَّ[٢] .

وذلك أن «الخليلَ» جعل الأَعضْبَ مثل قولِ «الحطيئة*» :

إن نزل الشتاءُ بـــدارِ قومٍ[٣]   تجنَّبَ جـــارَ بيتِهمُ الشتاءُ

---

(١) يأتى تفسير هذه الكلمات ، فيما يلى

(٢) الأجم : الرجل بلا رمح ، والكبش بلا قرن ، ج : جم (ق)

(٣) رواية المبرد فى (الكامل ٢/١٩٢) وابن الشجرى (٢١) الشطر الأول :

* إذا نزل الشتاء بدار قوم *

* الحطيئة : (ص ٧٧)

والبيت من قصيدته التى مطلعها :

ألا قالـــت أمامة قد تعزى   فقلت : أمام قد غلب العزاء

وهى من مختارات ابن الشجرى ، وأبياتها عنده ستة وأربعون بيتاً . ورواية المطلع فى (شواهد المغنى ٣٢١)

* ألا قالت أمامة هل تعزى *

والعضب فى عروض الوافر : مفتعلن ، مخروماً من : مفاعلتن.

وقد جاءَ فى شعرِ «الجُعفىّ*» مثلُ هذا وهو قوله :

* إنْ تكُ طيِّىءٌ كانتْ لِئاماً *

والأَعقصُ عند «الخليلِ» مثلُ قولِ القائلِ :

لولا مَلِكٌ رءوف رحيم[1] تغمَّدَنى برحمتـه هلكت

والأَقصمُ عند «الخليلِ» مثلُ قول «هُدْبةَ*» :

إنى من قُضاعة مَنْ يَكِرْها[2] أَكِرْه وهْىَ منى فى أمانِ

إن سكَّنتَ الياءَ فهو أَقصمُ ، وإن حركتَها فهو أَعضبُ .

والعَقْلُ عند «الخليلِ» مثل البيتِ المنسوبِ إلى «كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ*» :

* وحِفْظى الوُدَّ للأَخِ المُدانى *

إذا خفَّفتَ الخاءَ .

والنقصُ عنده مثلُ قولِ الآخرِ :

أَرِى عينىَّ ما لم تَرَيَـاه كلانا عالمٌ بالتُّرَّهـاتِ[3] (259

إذا لم تهمز * ترأياه *

---

(١) البيت من شواهد العروض على العقص ، وهو خرم (مفاعلتن) فى الوافر ، بعد العصب . ورواية القاموس للشطر الثانى : * تداركنى برحمته هلكت *

(٢) البيت من قصيدة له حماسية. وقد جاء فى طبعة مصرمن ديوان الحماسة (١/٢٦٥): وشرح المرزوقى ١/٤٧٣

إنى من قضاعة من يكـدها أكده ، وهى منى فى أمـان
سأهجو من هجاهم من سواهم وأعرض منهم عمن هجانى

بالدال فى : يكدها ، أكده ، من الكيد . ورواه «الجوهرى» بالراء فيهما كما هنا : وقال فى شرحه : «من الوكر ، وهو أن تضرب الرجل بجمع يدك . وليس تصحيف الوكز

(٣) البيت من شواهد المغنى، وروايته بالهمز : * ما لم ترأياه * وفى شرح الشواهد (٢٣٢) أنه للشاعر «سراقة البارقى» من ظرفاء أهل العراق ، قاله حين أسره المختار الثقفى – انظره فى مؤتلف الآمدى : =

* هدبة: بن الخشرم (ف) = ٣٥١
* كعب بن زهير : ابن أبى سلمى = ١٧٨

والأَجمُّ مثلُ قوله :

أَنتَ خير من ركِبَ المطايا   وأَكرمُهمْ أَباً وأَخاً وعَمَّـا

وعَنَى «الخليلُ» بالعَصْبِ سكونَ حركةٍ فى الخامسِ ، وهو زِحَافٌ لا يبينُ فى الغريزةِ على معهودِ الناسِ ، كما قال «عمرو بنُ كلثوم* » :

أَبا هِنْــدٍ فلا تعجَــلْ علينا   وأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليقينـــا

فهذا معصوبٌ فى أَربعةِ مواضِعَ ، وهو محتملٌ لا ينكسِرُ .

وعنيتُ بالعصْبِ أَنهم إن شاءَ اللهُ يُعصَبُون فى الإِسارِ ، أَو يَعصُبُ الرِّيقُ على أَفواههم ، كما قال الراجزُ[1] :

يعصبُ فاهُ الريقُ أَىَّ عَصْبِ
عَصْبَ الجُبابِ بِشِفاهِ الوطْبِ

وإنما يَعصِبُ الريقُ عند الشدَّة والفزعِ .

وعنيت بالعضبِ أَحدَ أَمرين : إن شئتَ كان السيفَ ، أَى يلقاهم بالعضْبِ والقتالِ ؛ وإن شئتَ كان من قولِهم : عَضَبَ أُذُنَه ، إذا قطعها . وسُمِّىَ السيفُ عضباً لأَنه يَقْطعُ . وكانت ناقةُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه

= ١٣٧ – الترهات : عجائب الأسود ودواهيها (ض) وفى (ص) : الواحدة ترهة ، فارسى معرب وناس يقولون : تُرَّه ، بتشديد الراء مفنوحة ، والجمع تراريه ، وأنشدوا :

ردوا بنى الأعرج إبلى من كثب   قبل التراريه و بعد المطلـــب

(١) «الفقعسى» فى إصلاح المنطق ٦٥/١ ، وأنشده «الجوهرى» فى (ع ص ب) شاهداً على : عصب الريق فاه . وأنشد الشطر الثانى فى (ج ب ب) شاهداً على : الجباب ، بالضم ، شىء يعلو ألبان الإبل كالزبد ولا زبد لألبانها . والوطب : سقاء اللبن خاصة . قال «ابن السكيت» : وهو جلد الجذع فما فوقه .

* عمرو بن كلثوم : التغلبى = ٥١٦ ، من معلقته .

وسلم « تُسمَّى العضباءَ » لأَنها كانتْ مقطوعة الأذُنِ . والأَعضبُ المكسورُ القَرْنِ ، قال الشاعرُ(١) :

إن السيوفَ غُدُوَّها ورواحَها تَرَكَا كِنانةَ مثلَ قرنِ الأَعضبِ

(١٣٤) || ويجوزُ أن يُستعارَ هذا اللفظ في قرْنِ الرجلِ أي جانبِ رأسه . فيقال : عضَبَ قرنَه ، إذا ضَربه هناك .

(260) وعنيتُ بالعَقصِ أنه ـ أدامَ اللهُ قدرتَه ـ يَعطِفُ أولاهم على أُخراهم || كما تعقِصُ المرأةُ شعرَها .

وعنيتُ بالعقلِ أنه يعقِلُهم ، أي يَحبسُهم عن الرجوعِ إلى الأوطانِ . من قولِك : عقَلتُ البعيرَ إذا شَدَدتَه بالعُقَال .

وعنيتُ بالنقْصِ ، ما يوقعُه اللهُ سبحانَه بهم من نقصِ الجُموع .

وعنيت بالأَجَمِّ الرجلَ يكونُ معه رُمْحٌ فإذا أُخِذَ منه فهو أَجَمٌّ . قال « عنترة * » :

أَلم تَعلمْ لحاكَ الله أَني أَجَمٌّ إذا لَقِيتُ ذوى الرماحِ

وقال « الأَعشى * » :

(١) هو « الأخطل » ورواية «الجوهرى» للشطر الثانى هنا : * تركت هوازن مثل قرن الأعضب * ذكره فى (ع ض ب) شاهداً على : كبش أعضب ، انكسر أحد قرنيه . ومثلها على هامش (ف) .

* عنترة العبسى = ١١٣ يهجو رجلا من بنى أبان ، اسمه الجعد والبيت أنشده ابن السكيت فى (تهذيب الألفاظ ٥٩٣) شاهداً على رجل أجم ، ليس معه رمح ، وهو مشتق من الكبش الأجم ، لا قرن له .

* الأعشى = ١١٢

متى تَدْعُهم لِلقاء الصبا ح تَأْتِكَ خيلٌ لهم غيرُ جُمْ (١)

وفى الحديث (٢) : (أُمِرْنا أن نَبْنِىَ المساجدَ جُمًّا ، [والمدائن] شُرفًا) وهو من هذا المعنى.

وعنيتُ بالقَصْمِ ، المصدرَ من قولِكَ : قَصَمَ اللهُ العدوَّ قَصْماً . والقصمُ الكَسْرُ .

فأَما القَطْفُ الذى ذكره « الخليلُ » فى عَروضِ الوافرِ ، فهو قطْفُ رؤوسِهِم إن شاء الله كقطْفِ الثمارِ . هذا إذا عَرَضوا للمُحاربةِ ، وإنْ أَرادوا الصلحَ فالصُّلْحُ خير .

ومَن كان منهم يجرِى مَجْرَى الكاملِ ، فإن « السيدَ عزيزَ الدولةِ » — أعزَّ اللهُ نصرَه — إن حارَبهم لَقِيَهم بالإضمارِ والوقْصِ والخزلِ — هكذا يقولُ « الزجَّاجُ* » بالخاء مُعْجَمةً ، وقال غيرُه : الجزل ، بالجيم — ولا يُوقِّرُهم عن الجَذَذِ ولا الإذَالةِ ، ويَمنَعُهم التَّرْميلَ . وإن طاحتْ أرجلُهم فى المكْرِ ، فقد مُنُوا بالإقعاد .

والإضمار فى الكاملِ : سكونُ الثانى من الجزء . مثل قولِ « عنترةَ » :

* هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّم *(٣)

فاللامُ من : هلْ ، فيها إضمار .

وعنيتُ بالإضمارِ المصدرَ من قولِكَ : أَضمرتْه الأَرضُ ، أى غيَّبتْه ،

---

(١) أنشده الجوهرى فى (ج م م) شاهداً على : رجل أجم ، لارمح معه فى الحرب

(٢) الجم التى لا شرفة لها (النهاية لابن الأثير) والحديث فيه بتقديم وتأخير وانظر مجمع الزوائد للهيثمى (باب فى المساجد المشرفة والمزينة) ١٦/٢

(٣) مطلع معلقة عنترة ، وتمامه : « أم هل عرفت الدار بعد توهم »

* الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم من أقدم أصحاب « المبرد » وأعيانهم توفى سنة ٣١٠ ، وله من الكتب : (معانى القرآن ، والاشتقاق والنوادر ، والقوافى ، والعروض) وانظره فى (الفهرست ٩٠ ، إنباه الرواة ١/٥٩ ، وتاريخ بغداد ٨٩/٦ وياقوت ١٣٠/١) .

أى يُقتَلون فتأكلُهم الوحشُ فتغيبُهم فى بطونِها . قال « الأعشى » :

|| ترانا إذا أضمرتْكَ البلا دُ نُجفَى وتُقطَع منا الرحِمْ[١] (261)

والوقصُ فى الكاملِ ، هو سقوطُ الحرفِ الثانى بعد الإضمارِ ، كما قال « الراعى » :

ولا أتيتُ أبا خُبَيبٍ* راغبا يوماً أريدُ لِبَيْعَتى تبدِيلا[٢]

وعنيتُ بالوَقْصِ أن الرماحَ تقِصُ ظُهورَهم ، كما قال القائلُ[٣] :

فتركْتُهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم ما بين منعفرٍ وآخرَ مُسْنَدِ

والوقصُ الكسرُ ، وإن شئتَ كان من قولِكَ : وُقِصَ الرجلُ عن دابّتِه ، إذا سقط. فاندقتْ عنقُه .

والخزْلُ فى الكاملِ ، سقوط الرابع من الجزء بعد الإضمارِ ، كما قال « تأبَّطَ شرًّا* » :

حيثُ التقتْ فهْمٌ وبكرٌ كلُّها والدمُ يَجْرى بينهم كالجدوَلِ

فقولُه : والدمُ ، فيه خَزلٌ .

وعنيتُ بالخزلِ ، المصدرَ من قولِكَ : خزلتُ الشىءَ من الشىء ، إذا

---

(١) على لسان ابنته ، تودعه . الرحم : رحم الأنثى ، والقرابة . وهى مؤنثة . ومثلها الرحم ، بكسر فسكون .

(٢) الراعى ، النميرى = ١٣٩ من قصيدته المجمهرة ، أنشدها حين وفد على عبد الملك بن مروان يشكو بغى عماله ، ويؤكد بقاءه على البيعة ، وكانت قيس — والراعى منها — زبيرية ، ومطلعها :

ما بال دفك بالفراش مذيــلا أقذى بعينك أم أردت رحيــلا

وهو من شواهد الصاهل والشاحج (٣٧٠)

ورواية الجمهرة وطبقات ابن سلام والمبرد فى الكامل (٣/١٨٤) وخزانة الأدب (١/٥٠٢) الشاهد هنا : * ما إن أتيت أبا خبيب وافداً * وفى الطبقات : لبغيتى تبديلا

* وأظنه من التصحيف أو السهو . وأبو خبيب : عبد الله بن الزبير = ٣٠٤

(٣) الضرار المسلمى ، حبان بن الحكم ، الصحابى الشاعر (= ٥٣٣) من حماسيته (المرزوقى ١/١٩٢)

* تأبط شراً = ٢٦٠

قطعته منه . والجَزْلُ ، بالجيم ، قريبُ المعنى من الخزل[١] . يقال : جَزَلْتُ ظهرَه ، إذا أخرجتَ منه فقارَه ، ويقال : بعيرٌ أجزلُ .

قال الشاعرُ :

وإنك لو لاقيتَ سعدَ بنَ مالكٍ[٢] لَعَدَّيْتَ عن سعدٍ وظَهرُكَ أَجْزَلُ

والحَذَذُ فى الكاملِ ، هو سقوطُ الوتَدِ أجمع . ويكونُ مُلازِماً ومفارقاً : والملازِمُ مثلُ قولِ « زهير » :

* لِمَنْ الديارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ *[٣]

جاء بالقصيدةِ كلِّها حَذَّاء . والمفارِقُ مثلُ قولِ الآخرِ :

إنى من القــوم الذين إذا فارَقهم جــاراتُهم أَثْنَيْنــا
أَثْنَيْنَ من حُسْنِ السلام عليهمُ يوماً وإن ذُكِرَ الفراقُ أَبَيْنا[٤]

|| وله أحكامٌ ليس هذا موضِعَ ذكرِها . وإنما أُخِذَ من القَطاة الحَذَّاء ، وهى (262

---

(١) الخزل – على قول الزجاج ، والجزل على قول غيره – هو سقوط الألف وسكون التاء من (متفاعلن) فى زحاف الكامل ، فتصير : متفعلن . قيل سمى مجزولا ، لأن رابعه الساقط أى الألف ، وسطه ، فشبه بالسنام المجزول (ق) وقال الجوهرى فى (جزل) جزلت الشىء جزلتين ، أى قطعته قطعتين ، والجزل بالتحريك أن تصيب غارب البعير دبرة فيخرج منه عظم فيتطامن موضعه ، فهو أجزل.

(٢) « سعد بن مالك » من شعراء الحماسة ، والصاهل والشاحج ؛ جد طرفة بن العبد = ٤٥٦

(٣) مطلع رائية لزهير بن أبى سلمى = ١٣٣ فى مدح هرم بن سنان . وتمام البيت فى رواية الديوان (٨٦) عن الأصمعى :

* أقوين من حجج ومن دهر * ومثلها فى (الشعر والشعراء ١/٧٨)

وفى رواية أبى عمرو وأبى عبيدة : * من حجج ومن شهر * ومثلها فى مختارات ابن الشجرى . ورواية ثالثة ، فى (شرح شواهد المغنى ٢٥٥) : * مذ حجج ومذ دهر *

قنة الحجر : موضع . قيل هو جبل ليس بالشامخ حِذاء قرية لبنى سليم – شرح الديوان

(٤) البيت من (ف) وحدها . وسقط من (ض)

السريعةُ ، ويقالُ بل هى القصيرةُ الذنَبِ . قال الشاعرُ[١] :

أمــا القَطاةُ فإنى سوف أنعَتُها نعتاً يوافِقُ نعتى بعضَ ما فيها
حَذَّاءُ مــدبرةً سَكَّاءُ مُقبِلةٍ سُودٌ قوادِمُهــا حُمْرٌ خَوافيها[٢]

وفى خُطبةِ «عُتبةَ بنِ غزوانَ* » : «إن الدنيا قد أدْبَرتْ حَذَّاءَ فلم يبق منها صُبابة كصبابة الإناء» .

وعنيتُ بالحذَذِ أن أموالَهم تُؤخَذُ فيُسرعون الهَربَ فيكونون حُذًّا فى السرعةِ وحُذًّا فى خِفَّةِ متاعِهم ، لأنه كالرِّيشِ لهم . فيُشَبَّهون بالقَطا الحُذِّ أى القِصارِ الأذنابِ .

---

(١) فى طرة (ف) هو عليل بن الحجاج . والبيتان مطلع قصيدة فى (نوادر القالى) بعنوان : (قصيدة كان ينسبها أبو عبيدة لعليل بن الحجاج الهجيمى) : «قال أبو بكر بن دريد : قال أبو عثمان الأشناندانى : كثر مدعو هذه القصيدة ، فما أدرى لمن هى . وكان أبوعبيدة يصححها لعليل بن الحجاج الهجيمى وهذه هى» — وذكر منها سبعة عشر بيتاً ، أولها البيتان هنا . والبيت الأول فى (حيوان الجاحظ ٥/١٦٧ ساسى) لشاعر ، والثانى لمزاحم العقيلى .

والبيت الثانى منها ، أنشده الجوهرى فى (ط ر ق) ولم ينسبه . وعلى هامشه ، فى طبعة المعارف : هو أوس بن غلفاء ، أو مزاحم العقيلى ، أو العباس بن يزيد ، أو العجير السلولى ، أو عمرو بن عقيل (الأغانى ٧/١٥١) ولم يأت معهم اسم «عليل بن الحجاج» الذى صحح أبو عبيدة القصيدة له ، فيما روى القالى عن ابن دريد .

(٢) رواية القالى فى النوادر ، والجاحظ والجوهرى للشطر الأول :

* سكاء مخطومة فى ريشها طرق *

والشطر الثانى فى النوادر :

* سود قوادمها صفر خوافيها *

وفى الحيوان والصحاح (طرق) :

* سود قوادمها صهب خوافيهــا *

وقال فى شرحه : السكاء الملتفة ... والسكك أيضاً صغر فى الأذن .

* عتبة بن غزوان ، بن جابر بن وهب ، من بنى مازن بن منصور ، ثم من قيس عيلان بن مضر (الجمهرة ٢٤٨) الصحابى ذو الهجرتين ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وهو الذى اختط البصرة ، وكان أول أمير عليها (الاستيعاب ١٧٦٤)

والإقعادُ فى الكاملِ ، مِثلُ قولِ «الربيعِ بن زيادٍ»(١) : *

أفبعدَ مَقْتَلِ مالكِ بنِ زُهَيْرٍ ترجو النساءُ عواقِبَ الأَطهارِ (٣٥)

وقد فسَّرتُ الإقعادَ الذى قُصِدَ فى العدو .

والإذالةُ فى الكاملِ ، زيادةُ ساكنٍ على آخرِ الضربِ السابع ، كقولِه :

إنْ كنَّ أثوابى خَلُقْنَ فإنهن على كريمْ

والإذالةُ للعدوِّ ، هى الإهانة .

والترفيلُ فى الكاملِ ، زيادةُ حرفين فى آخرِ الضربِ السادسِ ، كقولِه :

نَهْنِهْ دموعَكَ إن من تبكى من الحَدَثانِ عاجزْ(٢)

وعنيتُ بالترفيلِ الذى يُمنَعُ منه العدُوُّ ، المصدرَ من قولِكَ : رفَّلْتُه ، إذا سَوَّدْتَه . وقد مرَّ ذِكرُه .

ولا يفتأ صِغارُ العدُوِّ الذين لا يَصِلُ إليهم القتلُ لا حتقارِهم وللرغبةِ

---

(١) فى ض [أبعد مقتل] وما هنا من (ف) وهى الرواية المشهورة فى مراجعنا . وقد أنشده ابن هشام فى السيرة (٣٠٦/١) عن أبى عبيدة النحوى . وابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ١ /٤٠) مع شواهد الإقواء على رأى أبى عبيدة – وهو نقصان حرف من الفاصلة – وهو مثل القطع فى عروض الكامل ، ومثله فى (ل ص : قوى)

(٢) نهنهته عن الشىء فتنهنه : كففته وزجرته . والأصل فيه : نهه ، بثلاث هاءات ، فأبدلوا من الهاء الوسطى نوناً (صح : نهه)

* الربيع بن زياد، بن عبد الله بن سفيان العبسى ، من بنى عبس بن بغيض بن ذبيان . أحد الكملة ، أبناء فاطمة بنت الخرشب الأنمارية (جمهرة الأنساب ٢٣٩ – وانظر أمه فى أعلام الصاهل والشاحج : ١١٤) من سادات عبس وفرسانها فى الجاهلية وأحد قادتها فى حرب داحس والغبراء (كامل ابن الأثير ١ /٢٠٤) وهو من شعراء الحماسة ، ومؤتلف الآمدى (١٢٥) وانظر أمالى القالى ١ /٢٠٧ – وقد وضع اسمه خطأً فى فهارس طبعة بيروت ، مع الشاعر الإسلامى ربيع بن زياد –

والبيت من قصيدة حماسية للربيع بن زياد العبسى ، يرثى مالك بن زهير العبسى من قادة عبس فى حرب داحس والغبراء (انظر خبر مصرعه فى كامل ابن الأثير ١ /٢٠٧) وفيه من مرثية الربيع ستة أبيات ، وفى حماسة أبى تمام عشرة ، ورواها الميدانى فى حرب داحس والغبراء (الأمثال ١١٣/٢) .

وفى حماسة البحترى ثلاثة أبيات .

فى مِلْكِهم ، يُصيبُهم الشتَرُ والخَربُ ، كما أصابَ الهَزَجَ والمضارعَ .

(263) وهما ‖ من صغارِ الأوزانِ . فالأخربُ فى الهزَج كقوله :

لــو كان أبو بشرٍ أميرًا مــا رضيناهُ

والأشترُ كقولِه :

فى الذين قــد ماتــوا وفيما خلّفــوا عِبْرَه

والأخربُ فى المضارعِ كقولِه :

إن تَــدْنُ منه شِبْرًا يُقَــرِّبْكَ منــه باعــا

والأشترُ منه كقولِه :

مَالِكٌ وابــنُ زَيْــدٍ يَجيشَــانِ بالمُحَالِ

فالأشترُ من صغارِ العدوِّ إنما يُشتَرُ على غيرِ عَمْدٍ ، يُصِيبُه ذُبابُ سيفِ ما قُصِدَ به ، أو نحوُ ذلك .

والأخربُ هو المثقوبُ الأُذُنِ ، واسمُ الثُّقْبِ الخُرْبَةُ . قال «ذو الرمة*» :

كأنّــه حبَشِيٌّ يبتغِي أثَرًا أومن معاشِرَ فى آذانِها الخُرَبُ[1]

فيجوزُ أن يؤخَذَ صغيرٌ من القومِ فتُثقَبَ أذنُه للتقريطِ ، أو تُسبَى امرأةٌ فتُثقَبَ أذنُها كذلك ، أو يُجذَبَ قُرْطُها فتخربَ أُذُنها ، أى يزول ذلك الذى كان يستمسِكُ به القُرطُ من شَحْمةِ الأُذُنِ .

وإنك لَتَجِدُ فى عامّةِ الأوزانِ مثلَ المديدِ والرَّمَلِ والخفيفِ ، شكلَ العَجْزِ وشكْلَ الطرفين ،وكذلك تجدُ فى العدوِّ إن شاءَ اللهُ :

---

(١) البيت من القصيدة الأولى فى (ديوان ذى الرمة) وفى شرحه : كأن الظليم حبشى فى سواده ، يطلب أثراً من معاشر فى آذانها ثقوب (ص ٢٩ ط أوروبا) وقال الجوهرى فى (خرب) الخربة ، بالضم ، كل ثقب مستدير . والمخروب المشقوق . ومنه قيل : أخرب ، للمشقوق الأذن ، وكذلك إذا كان مثقوب الأذن . فإذا انخرم بعد الثقب فهو أخرم .

* ذو الرمة (١٢٦) يصف الظليم .

فشَكْلُ العَجُزِ فى الشعرِ ، هو أن يجتمعَ فى الجزءِ سقوطُ السابعِ للكَفِّ ، والخَبْنُ وهو سقوطُ الثانى . ويكونُ ذلك الخَبنُ لِغيرِ معاقبة ، كقولِه :

لِمَنِ الديارُ غيَّرهن كــــلُّ دانى المُزْنِ جَوْنِ الربابِ[1]

وعنيت بشكل العجُزِ فى العدو ، أن يؤخذ الأسيرُ فترُبط رجلاه إلى عَجُزِه .

وشكْلُ الطرَفين فى الشعرِ ، سقوطُ السابعِ للكفِّ ، وسقوطُ الثانى للخَبْنِ ، ويكون ‖ ذلك الخبنُ لمعاقَبَةٍ ، كقولِه : (264)

ليت شعرى هل لنا ذاتَ يومٍ بِجُنوبِ فارعٍ من تــــلاقِ[2]

وعنيتُ بشكْلِ الطرَفين فى العدُوِّ ، أن يؤسَرَ الرجلُ فتُشَدَّ يداه ورِجلاه .

ولو وقع بأمرِ اللهِ الزِّحافُ ، لَقَفَّاهم إن شاء اللهُ بالعَروضِ جنودُ المسلمينَ ، فأصابهم من العذابِ المتكاوِسُ ، ونزلَ بهم من الشرِّ المتراكبُ ، ومن النَّكالِ المتدارِكُ ، ومن الهلاكِ المتواترُ ، ومن الخِزْىِ المترادفُ .

وهذه ألفاظٌ مُلغزَة : أردتُ بالزِّحافِ ، المصدرَ من قولِكَ : زاحَفَ القومُ عدوَّهم يزاحفونه زِحَافاً . ألغزتهُ عن زِحافِ الشعرِ .

---

(١) من : دفاه يدفوه إذا أجهز عليه . والتدافى : التدارك . وأدفى ، لغة فى المهموز : أدفأ ، من الدفء . ونقل فيه الجوهرى : وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أتى بأسير يوعك ، فقال لقوم منهم : اذهبوا به فأدفوه . يريد الدفء من البرد . فذهبوا به فأجهزوا عليه ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر (النهاية فى غريب الحديث : باب الدال) .

(٢) فارع : حصن بالمدينة ، وقرية بوادى السراة (ياقوت) . وزاد فى (ق) : وموضع بالطائف . واقتصر فى (ص) على : حصن .

وقولى : لَقَفَّاهم ، أى تَبِعَهم[١] . ألغزتُه عن قولك : قفاهم . أى جعل لهم قافيةً ، من قافيةِ البيت .

والعَرُوضُ ها هنا : الناحيةُ . قال «الأخنسُ بنُ شهاب*» :

لِكُلِّ أناسٍ من مَعَدٍّ عِمَارةٍ ‏ ‏ ‏ عَرُوضٌ إليها يلجئون وجانِبُ[٢]

ألغزتُه عن (عَروض الخليلِ) .

والمتكاوِسُ ، الذى بعضُه فوقَ بعضٍ . قال «القطامى*» :

* تَخدَّدَ عنها لَحمُها المُتكاوِسُ *

---

(١) سقطت هذه الجملة من (ض) .

(٢) البيت من قصيدة له مفضلية (٢٧ بيتاً) مطلعها فى رواية الضبى (٤١٠) :

لابنة حطان بن عوف منازل ‏ ‏ ‏ كما رقش العنوان فى الرق كاتب

وذكره الآمدى فى المؤتلف ، وقال إنه أول قصيدته المختاره . لكن أبا تمام أورد من القصيدة ثمانية عشر بيتاً ، أولها :

فمن يك أمسى فى بلاد مقامه ‏ ‏ ‏ يسائل أطلالا بها لا تجاوب
فلابنة حطان بن قيس منازل ‏ ‏ ‏ كما نمق العنوان فى الرق كاتب

ويأتى منها فيما يلى ، من الصاهل والشاحج ، ٣ أبيات ،
رواية المفضليات والحماسة والصحاح ، كما هنا . وفى (أمالى القالى) : * وكل أناس من معد *

وأنشده الجوهرى فى (ع م ر) شاهدا على : العمارة القبيلة ، وضبط عمارة ، بالكسر : خفض على البدل من : أناس . وأنشده كذلك فى (ع ر ض) العروض بالفتح الناحية والطريق ، يقول الشاعر : لكل حى حرز ، إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف . وعمارة خفض على البدل من أناس . ومن رواه : عروض ، بضم العين ، جعله جمع عرض ، وهو الجبل ورواية المفضل بالفتح ، كما هنا ، وجاء فى شرحه : العمارة : الحى العظيم يقوم بنفسه ، والعروض الناحية التى يلجئون إليها . وتأتى ثلاثة أبيات من هذه البائية ، فى ص ٦٠٢ .

* الأخنس بن شهاب : بن شريق بن ثمامة بن أرقم التغلبى ، جاهلى قديم ، من رؤساء تغلب وشعرائها فى حرب البسوس . وهو من شعراء المفضليات والحماسة (١/٢٤٥) ، ومؤتلف الآمدى ٢٧ ، وشعراء الجاهلية (١٨٥) وانظر (جمهرة الأنساب ٢٨٩ ونوادر القالى ١٨٥ وأماليه ٢/٢٤٣) والتنبيه عليه ، وسمط اللآلى . ٧٣ ، ٨٦٨

* القطامى التغلبى — ٤٤٠

أَلغزتُه عن المتكاوِسِ من القوافى ، وهو الذى يُبنَى على أَربعةِ أَحرفٍ متحركةٍ بعدَها ساكنٌ كقولِ الراجزِ :

هلاَّ سأَلتَ طَللاً وحُمَمَا[1]

فقوله : وحُمَمَا ، متكاوِسٌ .

وقولى : المترا كبُ ، والمتدارِكُ ، والمتواتِرُ ، والمترادِفُ ، أريدُ به التتابُعَ .

وكأَنه مُلغِزٌ عن القوافى الأَربعِ التى يقال لها : المترا كب والمتدارِكُ والمتواتر والمترادف .

فأَما المترا كبُ ، فالذى يُبنى على ثلاثةِ أَحرُفٍ متحركةٍ بعدَها ساكنٌ مثل قولِه :

طافت أُسَيماءُ بالرحالِ فقد هيَّجَ منى خيالُهـــا طَرَبَا (265

فقوله : طرباً ، متراكب .

والمتدارِكُ ، حرفانِ متحركانِ بعدهما ساكنٌ كقولِه :[2]

أَحارِثَ إنا لو تُساطُ دماؤُنا تزايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا (٣٦

فقولُه : دَمَا ، متدارِك .

والمتواترُ ، حرفٌ متحركٌ بعدَه ساكنٌ كقولِه :[3]

إنْ يعاقِبْ يكنْ غراماً وإن يُعـ ـطِ جزيـــلاً فإنه لا يُبالِى

---

(١) الحمم : الرماد ، والفحم ، وكل ما احترق من النار . الواحدة : حُمَمَة (ص) .

(٢) البيت للمتلمس = ٣٤٤ يخاطب الحارث بن التوأم اليشكرى من قصيدة فى مختارات ابن الشجرى ، تسعة عشر بيتاً أولها :

يـُعيرنى أمى رجال ولا أرى أخا كرم إلا بأن يتكرما

وفى شعراء الجاهلية ، عشرون بيتاً . ومنها أبيات فى الشعر والشعراء (١ / ١١٣) فيها البيت :

* فأطرق إطراق الشجاع / لصمما * من شواهد الصاهل والشاحج .

(٣) الأعشى . والبيت من شواهد (ص : غ ر م) على : الغرام ، الشر الدائم والعذاب . وهو فى (طرة ف) : الهلاك .

فقولُه : لى ، من * يُبَالى * متواتر .

والمترادفُ ، حرفانِ ساكنانِ ، كقول الراجز :

لا عيشَ إلا عيشُ طرّادِ الخيلْ[1]
هى الصبوحُ والغبوقُ والقَيلْ
وغارةٌ بين النهــار والليلْ
لِأُمِّ مَن عاديتَه منى الويــلْ

فالياءُ واللامُ ، مترادِفٌ .

ولعل الطاغيةَ يظنُّ العربَ على عَهدِها فى الدهرِ الأُولِ يُشامون[2] ولا يُضامُّون . ويُغيرون ولا يَضِيرون .

وإنما مَثَلُهم مَثَلُ ألفِ : عَلاَ من قولِك عَلاَ يعلو . نُطِقَ بها فى الماضى لِيِّنةً ساكنةً ، ثم قيل : يعلو ، فى المستقبل . والواوُ أقوى من الألِف . لأن الواوَ يمكنُ أن تَلحقَها الحركةُ ، والألفُ لا تُحَرَّكُ . ثم صارتْ هذه الواوُ التى كانت ألِفاً فى الماضى ، ياءً فى قولِك : عَلِىٌّ ؛ فذَهبَ لِينُها على رأىِ « سيبويهِ » والمتقدمين . وصارت تجوزُ على مذهبِه ، فى القوافى مع : سِقى ورِعى . ثم وقف عليها بعضُ الناسِ فصيَّرها جيماً فى الوقفِ فقال : عَلِجْ ؛ فهذه حكايةُ « سيبويهِ » أن بعضَ العربِ يجعلُ الياءَ المُشدَّدةَ فى الوقفِ جيماً . وغيرُه يجعلُ الوصْلَ مثلَ الوقْف .

---

(١) الطرْد ، ويحرك ، الإبعاد وضم الإبل من نواحيها . وبالتحريك : مزاولة الصيد ، كالطراد . . . ومطاردة الأقران : حمل بعضهم على بعض ، وهم فرسان الطراد (ق) .

(٢) بالشين ، فى النسختين . وفوقه فى (ف) : يَدنون . ويضامون : يلتحمون . فى (الأساس) من المجاز فى الشم : شاممته : دانيته . وشاممنا العدو وناوشناهم .

* سيبويه = (١٩٦) .

قال الراجزُ[١] :

(266) ‖لا تَعجَبى لِحُجَّةِ المُحْتَجِّ
إن الفرارَ فى الحروب مُنْج
خالى لَقيطٌ وأبو عَلِجٍّ[٢]
المُطعمانِ اللحْمَ بالعَشجِّ
وبالغَداة فلَقَ البَرْنَجِّ[٣]
يُنْزَعُ بالقَرنِ وبالصِّيصَجِّ[٤]

وإنْ خَرجَ ـ خَذَلَه اللهُ ـ فما يعرِضُ إن شاءَ اللهُ لهذه الأعمال . وهل فى جيشِ الرجُلِ من رائسٍ[٥] إلا يَرهبُ طعناً كجيوبِ العرائِس ، مثلَ ما قال «أوْسٌ* » :

وأبيضُ بَضٌّ عليه النسورُ وفى ضِبْنَه ثعلبٌ مُنكسِرْ

(١) الأشطر من الرابع إلى السادس من شواهد سيبويه فى (الكتاب ٢/٢٨٨) وأبى الطيب اللغوى فى (الإبدال ١/٢٥٧) والقالى فى أماليه ، من إنشاد الأصمعى عن خلف الأحمر ، شاهداً على «إبدال الياء جيما فى لغة تميم . وأنشدها ثعلب كذلك فى مجالسه (١٤٣) وجاء بها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (١/٤٦) فيما «ليس للمحدث أن يتبع المتقدم فى استعمال وحشى الكلام الذى لم يكثر» .

(٢) رواية اللسان (ب ر ن) وفى الكتاب ، والإبدال « خالى عويف وأبو علج » وفى أمالى القالى : « عمى عويف » وأراد بالعشج ، فى الشطر بعده : العشى .

(٣) مثلها رواية (الكتاب) . ورواه الجوهرى فى (ب ر ن) : « وبالغداة كسر البرنج » ومثلها فى أمالى القالى . وأراد بالبرنج : البرنى ، وهو ضرب من التمر .

(٤) فى الكتاب واللسان « يقلع بالود وبالصيصج » وفى الأمالى : « ينزع بالود وبالصيصج » الوَد ، بالفتح وتضعيف الدال : الوتد ، فى لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء فأدغموها فى الدال (ص) وأراد بالصيصج : الصيصية من صياصى البقر ، أى قرونها .

(٥) الرائس ، من : رأس يريس إذا تبختر (ف)

* أوس : بن حجر=٣٥٨ وقابل على رواية اللسان (ض ب ن) .

وفى جَنْبِهِ مِثْلُ جيبِ العروسِ تَهـدِرُ فى دَمِه أو تَهـرّ[١]

وإن كان يعتصمُ بجبالٍ وحُصونٍ ، فإن العربَ لا تعتصمُ بغيرِ الرماح والسيوفِ ، قال « الأَخنسُ بنُ شهاب * » :

ونحن أناسٌ لا حِجاز بأَرضنا مع الغيثِ ما نلقى ومَن هو غالبُ[٢]
ترى رائداتِ الخيلِ حول بيوتِنا كمِعْزَى الحِجازِ أَعوزتْها الزرائبُ[٣]
أرى كلَّ قومٍ قارَبوا قَيْدَ فَحْلِهم ونحن خلَعْنا قَيْدَهُ فهْو سارِبُ[٤]

وهذا البيتُ يحتملُ معنَيين : أَحدهما أَن يعنِيَ بالفَحْلِ السيدَ ، أى : سيدُنا ما شاء فَعَل ، إذ كان يَثِقُ بنصرِنا إياه . وهل فى العربِ فارسٌ إلا ويصلُحُ أَن يكونَ مما نظمه قولُ « الهُذَلى * » :

---

(١) فى ديوان أوس : * تهدر حيناً وحيناً تهر * (ف) والضبن : ما تحت الإبط إلى الخاصرة (ص)

(٢) من قصيدته المفضلية الحماسية التى مر منها الشاهد فى صفحة٥٩٨ ورواية الأبيات الثلاثة فيهما كما هنا ، وإن كانت غير متتالية بل تأتى فى المفضليات : التاسع والتاسع عشر والسابع والعشرون ، وفى أبيات الحماسة : العاشر والثانى عشر والثامن عشر :

وفى شرح المفضليات للشاهد الأول : لا حجاز بأرضنا ، أى لا جبال بأرضنا وحيث وقع غيث رعيناه

(٣) [رائدات] فى ض ، وعلى هامش (ف) مصححة من : ربذات. يعنى برائدات الخيل ، أنهم أهل غارات . وهى رواية المفضليات والأمالى والحماسة ، وعلى هامش الحماسة – طبع النهضة بالقاهرة ١٩٥٧ : زائدات (؟ !)

(٤) مثلها رواية المفضل وأبى تمام . ورواية (ص ، ل : سرب) وإصلاح المنطق ٦٩/٢ للشطر الأول : * وكل أناس قاربوا * ورواية التاج والجمهرة الشطر الثانى : ونحن حللنا قيده .

قاربوا قيد فحلهم ، أى ضيقوا مربطه وقيدوا سراحه ومعه الإبل ، خشية أن يغار عليهم . يريد أن الناس غيرنا أقاموا فى موضع واحد لا يجترئون على النقلة إلى غيره ، ونحن أعزاء نذهب فى الأرض حيث نشاء . وانظر توجيه ابن السكيت للبيت ، فى إصلاح المنطق .

* الأخنس بن شهاب = ٥٩٨

* الهذلى : هوالبريق واسمه عياض بن خويلد (ف) = ٤٠٩ من قصيدته فى (الهذليين٣/ ٥٥) :
وحى حلول لهم سامر شهدتُ وشعبُهمُ مفرم

ونائحةٍ صوتُهـــا رائــعٌ بعثتُ إذا ارتفعَ المِرْزمُ[١]
تنوحُ وتَسْبُرُ قُــلاَّسَــه وقد غارتِ الكفُّ والمِعْصَمُ[٢]
لَــدَى رجــلٍ مائــلٍ رأسُه تمــورُ الكلومُ به والــدَّمُ (267)

ولعلَّ هذا الرجلَ قد لَحِقَه من التغيُّرِ ما يلحَقُ ذوى الأَسنانِ ، كما قال الشاعرُ :

أَرى شَعَراتٍ عــلى حاجِبَىَّ بيضاً نَبَتْنَ جميعاً تُواما
ظَلِلْتُ بهنَّ أُهاهِى الكلابَ أَحسَبُهُنَّ صِوَارًا قيامـــا
وأَحسَبُ أَنْفِى إذا ما نهضــ ــتُ شخصاً رآنى أَمامى فقاما

وقال « النمرُ بنُ تولبٍ* » :

لعمرى لقد أَنكرتُ نفسى ورابنى مع الشيْبِ أَبْدالى التى أَتبدَّلُ[٣]
فُضولٌ أَراها فى أَدِيمىَ بعدما يكونُ كفافُ اللحمِ أَو هو أَجملُ (١٣٧)
كأَنَّ مِحطًّا فى يَدَىْ حــارثيــةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ منى به الجلْدَ من عَلُ[٤]

(١) المرزم : نجم يطلع آخر الليل (ف) . فى الديوان : بعثت إذ طلع المرزم * وعلى هامشه : فى رواية : * إذا ارتفع المرزم * كما هنا .

(٢) من : سبر الآسى الجرح ، أى أدخل فيه المسبار ليعلم غوره . (ض) والقلس : ما خرج من الحلق ملء الفم وليس بقيء . وبحر قلاس : زخار يقذف بالزبد .

(٣) بعده فى شرح شواهد المغنى :

دعانى العذارى عمهن وخلتُنى لى اسمٌ فلا أدعى به وهو أولُ

(٤) المحط : خشبة يملس بها الأديم ويوشم بها (ف ، ض) ويقال من علُ ومن علٍ ، بالكسر (ف) ومن علا ، وعل ، وعال (ق) . والبيت أنشده الجوهرى فى (ح ط ط) شاهداً على المحط ، بالكسر : الذى يوشم به . ويقال هو الحديدة التى تكون مع الخرازين ينقشونها فى الأديم .

* النمر بن تولب : من عكل بن الرباب (ف) = ١١٢
والأبيات هنا من قصيدته التى أولها :

توحش من أطلال جمرة مأسل فقد أقفرت منها شراء فيذبُلُ

وفى شرح شواهد المغنى ٢١٤) تسعة عشر بيتا منها . وفيها أبيات الصاهل والشاحج ، ماعدا البيتين الثانى والثالث .

وقولى إذا ما أطلقوا عن بعيرهم   تلاقونه حتى يئوبَ المُنَخَّلُ[١]

فيُضْحِي قريباً غيرَ نازح غربـــةٍ   وأرسِلُ أيْمانِى فما أتَحَلَّـــلُ

وبُطْئِى عن الداعى فلَسْتُ بآخذٍ   سِلاحِى إليه مثلَ ما كنتُ أفعلُ

يَسُرُّ الفتى طولُ السلامةِ والغِنى   فكيف ترى طولَ السلامةِ يفعَلُ

يردُّ الفتى بعد اكتمال وصحَّـــةٍ   ينوءُ إذا رام القِيامَ ويُحمَلُ

وقال «ذو الإِصْبَعِ العَدْوانىُّ*» :

إمَّا ترى شِكَّتِى رُمَيْـــحَ أبى   سَعْدٍ ، فقد أَحملُ السلاحَ معا[٢]

السيفَ والرمحَ والكنانةَ قـــد   جمَّعتُ فيها مَعابِلاً صُلُعَا[٣]

---

(١) هو المنخل اليشكرى : شاعر جاهلى من بنى يشكر ، اتهمه النعمان بالمتجردة فحبسه ، ثم غمض خبره فضرب به المثل « حتى يئوب المنخل » فى اليأس من الإياب .

وانظر (رسالة الغفران ٣٤٠) .

(٢) الشكة : السلاح. وأبو سعد : فى الطرة الحفصية : مرثد بن سعد ، أول من اتكأ على عصاً فى شيخوخته . وقيل هو لقيم بن لقمان ، ورمحه عكازه ، وفى شرح المفضليات : هو لقيم بن لقمان ، كبر حتى مشى على عصاً . وعن أحمد بن عبيد : رميح أبى زيد ، يعنى الدهر (انظر سمط اللآلى ٣٣٢)

وفى (ق) : وأخذ فلان رميح أبى سعد ، أى اتكأ على العصا هرماً ، وأبو سعد هو لقمان الحكيم ، أو كنية الكبير والهرم ، أو هو مرثد بن سعد ، أحد وفد عاد : (ل : رمح)

(٣) فى رواية على هامش الحفصية : أكملت فيها معابلا صنعا *

ورواية المفضل : والنسيل جيادا محشورة صنعا* ومعابل صنع ، أى تروس عراض ج : معبل

* ذو الإصبع العدوانى : حرثان من محرث ، من بنى عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ابن مضر (جمهرة الأنساب ٢٣٣) شاعر جاهلى قديم ، من شعراء المفضليات : سمى ذا الأصبع لأن حية نهشت أصبعه فقطعتها . (انظر المفضليات : الشعر والشعراء ٢/٥٩٧ بيروت ، وشعراء الجاهلية ٦٣١ ، والأغانى ٣/٨٩ ، ١٠٤ وسمط للآلى ٥٧١ وأمالى القالى ٥٥١١) وأمالى المرتضى ١/١٨١ ، ٢٨٩ — واسمه فيه : حرثان بن السموءل .

والأبيات هنا ، هى السابع والثامن والتاسع من مفضليته (رقم ٢٩ / ٣١١) فى شيخوخته العالية عند ما لامه أصهاره وعذلوه ، ومطلعها :

أهلكنا الليل والنهار معاً   والدهر يعدو مصمماً جذعا

أَحْكَمَ أَفْوَاقَهَا وتَرَّصَهَا أَنْبَلُ عَدوانَ كُلِّهِمْ صنعا[١] (268)

يعنى بأَبى سعدٍ : « زيدَ مناةَ بنَ تميمٍ * » . وكان عُمِّرَ حتى حَمَلَ العَصَا فسُمِّيتْ رُمْحَ أَبى سعدٍ . والعربُ تقولُ للكبيرِ إذا هَرِمَ وحَملَ العَصا يستعينُ بها فى المشيِ : قد أخذ رُمحَ أَبى سعدٍ وسلاحَ أَبى زيدٍ . وأنشد « الأَصمعىُّ* » فى المعانى :

وأعطى أَبو زيدٍ يَمينى سلاحَه وحَدُّ سِلاحِ الدهرِ فى الصخرِ كالِمُ
وكنتُ إذا ما الكلبُ أَنكر أَهلَه أُفَدَّى ، وحين الكلبُ جذلانُ نائمُ

يقالُ إن الكلبَ لا يُنكِرُ صاحبَه إلا إذا لبس لأْمَةَ الحربِ ، كما قال « طُفَيلٌ * » :

أُناسٌ إذا ما الكلبُ أَنكر أَهلَه حَمَوا جارَهم من كلِّ شنعاءَ مُفْظِعِ[٢]

ويَعنِى بقولِه : * وحين الكلبُ جَذْلانُ نائمُ * إذا نزل الضيفُ فنُحِرَ له ذِبْحٌ فأَصابَ الكلبُ من فَضلاتِ اللحمِ ، ففرِحَ بالشِّبَعِ ونام .

وقال « عمرو بنُ قَميئةَ * » – ويُروَى لِزُهير ، ويقالُ إن « عبد الملكِ

---

(١) يروى : قوم أفواقها . جمع فُوق ، بالضم ، موضع الوتر من السهم . وترصها : أحكمها . أنبل عدوان : أحذق بنى عدوان فى رمى النبل (ف)

(٢) رواية القالى فى (أماليه١ / ٥٥)للشطر الثانى قراءة على أبى بكر بن دريد : * حموا جارهم من كل شنعاء مضلع * قال » ر يروى : مفظع . . ورواية الجاحظ فى الحيوان ٢/ ٧٠ : مظلع . والمرزوقى فى شرحه الحماسة . مظلم أنشده الأصمعى (٣٧٦) إذا ما لبسوا السلاح وتقنعوا ، لم يعرف يعنى : الكلب أهله . وعن ابن حبيب . إذا ما غُزُوا فثبوا ثبوا– مع أعدائهم – أنكرهم الكلب لتغير حالهم . والشنعاء الداهية المشهورة .

* زيد مناة بن تميم : بن مر بن أد المضرى . قال « ابن حزم » : « وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب . و « سعد » هو أكبر ولد زيد مناة (جمهرة الأنساب : ٢٠٢) .

وفى (ل) وأبو سعد أحد وفد عاد ، وقيل هو لقمان الحكيم قال : * أما ترى البيت * والعبارة موهمة أن البيت للقمان ، فليحرر .

* الأصمعى = ٢٠٩

* طفيل ، الغنوى = ١٦٠

* عمرو بن قميئة = ٤٧٣ والأبيات ، فى (الشعر والشعراء) من مختار ابن قتيبة من شعرعمرو

ابنَ مروانَ* » تمثَّلَ بهذه الأبياتِ يوماً ، وذلك أنه أرادَ القيامَ فعجزَ — :

رَمَتْنى بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى ... فكيف بمَنْ يُرمَى وليس برَامِ[1]
فلو أننى أُرْمَى بنَبْلٍ تَقِيتُهـا ... ولكننى أُرمَى بغَيْرِ سِهَـامِ[2]
على الراحتين مرةً وعلى العَصَا ... أَنوءُ ثلاثاً ، بعدَهنَّ قيامى
فأَفْنَى وما أُفنى من الدهرِ ليلةً ... ولم يُفْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظَامِ

* * *

وحدَّثَ رجُلٌ من أَهلِ هذه البَلْدةِ[3] كان قد أُسِرَ فى أيامِ «سيفِ الدولةِ علىِّ بنِ حَمْدان * » وأَقامَ فى بلاد الروم أعواماً كثيرةً ، أنه كان بقسطنطينةَ سنةَ ثمانٍ وأَربعين[4] || وقد وُلِدَ «قسطنطينُ» ، وهو الأَصغرُ (269)
من هذين الأَخوَين ، وكان جدُّه يومئذٍ يعيشُ وكان المُلْكُ إليه . فجاءوه بالمولودِ فقبَّلَ رِجْلَه وقال بلسانه كلاماً معناه : فدَيْتُ هذه الرِّجْلَ التى

(١) بنات الدهر أحداثه(ف) ورواية البحترى : فما بال من يرمىَ بغير سهام * والأبيات الأربعة فى (الشعر والشعراء ١/٢٩٢) على غير ترتيبها هنا بل هى فيه : الأول والخامس والسادس والرابع .

(٢) يروى : فلو أنها نبل إذن لا تقيتها (ف)

وفى الشعر والشعراء وحماسة البحترى : * فلو أننى أُرمَى بنبل رأيتُها *

(٣) معرة النعمان . والحديث هنا عودٌ إلى شيخوخة «بسيل» طاغية الروم

(٤) وثلاثمائة (ف) .

* عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى . ولد بالمدينة سنة ٢٦ هـ وولى الخلافة سنة ٦٥ هـ وكان من أفقه بنى مروان وأحزمهم وهو الذى حسم أمر الزبيرية . توفى سنة ٨٦ هـ عن ستين سنة ، وولى الخلافة أربعة من أبنائه : الوليد ، وسليمان ، وهشام ، ويزيد . انظر مع (نسب قريش : ١٦٠) تاريخ الطبرى جـ٨ وابن الأثير : الجزء الرابع .

* سيف الدولة ، على بن (عبد الله) بن حمدان التغلبى أبو الحسن ، من بنى غنم بن تغلب رأس الدولة الحمدانية بحلب والشام ، والبطل الذى جاهد فى قتال الروم وحماية ثغور الشام من الغزو الصليبى. وكان مقصد الشعراء والعلماء ، انظر مع تاريخ حلب (١/١٠٩ : ١٥٢) وأبى الفدا وابن الأثير (أحداث سنوات عهده ٣٣٣ : ٣٥٦ هـ) يتيمة الدهر للثعالبى ، والخريدة : شعر الشام ، والشذرات ٣/٢ والنجوم الزاهرة ٤/١٦ ووفيات ابن خلكان وأعلام الغفران .

تَطأُ «بيتَ المقدس» . ولعلَّه يَطؤها أسيرًا إن شاءَ اللهُ . وإنما ذكرتُ ذلك لأَدُلَّ على سِنِّ الأَكبرِ من الأَخوين .

وحدَّث رجلٌ من جِلَّةِ القُوَّاد يُعرَفُ بـ «وَصِيفِ الثَّغْرِ» * كان يستصحبُ فى بعض الزمان «بكْجُورَ*» أنه شاهدَ هذين الأَخوين بأَنطاكيةَ وذلك لما خرجَ «ابنُ شُمَشْقِيقَ*» فى سنةِ نيِّفٍ وستينَ وعمل معهما فى الميدانِ ، وأن «قُسطنطينَ» كان أَجْسَمَ من «بَسِيلَ» وأَحْسَنَ بَشرا ، وأَن الظانَّ كان يَظنُّه الأَكبَر ويظنُّ «بسيلَ» الأَصغرَ .

فمَثَلُهما فى ذلك مثلُ الهزَجِ والرجَزِ وهما أَخوانِ ، ومَوْلِدُ الهزَجِ فى الدائرة قبل مولد الرجز ، والهزجُ أَصغرُ منه فى السمع ، لأَن مُستَعملَه رباعيٌّ ، والرجَزُ قد استُعمِلُ منه السداسِىُّ . فالهزَجُ مثلُ قولِ القائلِ :

لِمَنْ نــارٌ بأَعلى السَّفْـ ... ـحِ من غمــدانَ لا تَخبُو[1]

إذا ما خمَــدتْ وهَنــاً ... علاهــا المَندَلُ الرطبُ (١٣٨)

وتامُّ الرجَزِ مِثْــلُ قــولِ «قَعْنَبِ بنِ أُمِّ صاحبٍ*» :

---

(١) فى ص وهامش ف [ماتخبو] وغمدان قصر باليمن (ف) والمندل: العود أو أجوده (ق)

* وصيف الثغر : لم أجد فى تاريخ الشام على عهد الحمدانية من يدعى وصيف الثغر . وفيه ، على عهد بنى العباس قبلهم «وصيف البكتمرى» الذى توفى بحلب والياً عليها سنة ٣١٧ هـ .
(النجوم الزاهرة ٣ / ١٣٨ وتاريخ حلب ١ / ٩٦)

* بكجور : مولى فرغويه الحاجب — غلام سيف الدوله — الذى استولى على حلب سنة ٣٥٨ هـ ، وأشرك بكجور فى الأمر فغدر به وانفرد بالأمر سنة ٣٦٤ حتى غلب عليه أبو المعالى سعد الدولة سنة ٣٦٧ وولاه حمص . ثم حدثت بينهما وحشة فانحاز بكجور إلى الفاطميين وصعد إلى دمشق سنة ٣٧٣ إلى أن ظفر به سعد الدولة وقتله سنة ٣٨١ هـ (تاريخ حلب ؛ السنوات ٣٥٨ : ٤٨١ هـ) .

* يانس بن شمشقيق : من أقوى قواد الروم ، مع نقفور ، فى حروبهم لسيف الدولة . وهو الذى نواطأت معه أرملة «رومانوس» على قتل نقفور ، خوفاً منه على ولديها بسيل وقسطنطين ، فاغتاله سنة ٣٥٢ هـ (تاريخ حلب ؛ ١ ؛ ١٣٣ : ١٤٥) . وانظر ص ٦٨٤ مما يلى :

* قعنب بن أم صاحب : هو قعنب بن ضمرة ، من بنى غطفان ، ثم من قيس عيلان بن مضر . شاعر إسلامى أموى من شعراء الحماسة وله نونية فى مختارات ابن الشجرى. (وانظر أمالى القالى ١ / ١٢٢ وتنبيه البكرى ٨٢ وسمط اللآلى ٣٦٢ والكتاب ٢ / ١٦٥) .

باكَرنى بسحرةٍ عـــواذلى ولَومُهنَّ خبَـــلٌ مَن الخَبَلْ

وقد حانَ مُنصَرفى أيها الشاحجُ ، فإنْ كانتْ لكَ مَأْرُبةٌ فَسَمِّ ربَّكَ وألْقِها إلىَّ ، فلستُ مُلِمًّا بها إلا عن عُقْرٍ[1].

* * *

فيقدرُ اللهُ سبحانه أن يُنطِقَ الشاحجَ فيقول :

للهِ أبَواكَ من قائل ، ما أعرَفَكَ بمواقعِ القول! إنك لَنَطِيسٌ نِقرِيسٌ ، ما هَناوْك لَعَمْرِى بالرِّبس . وإن عَنيَّتَك لتمحو آثارَ النقْبِ ،[2] ولو كان « أحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ* » يتصرفُ تصرُّفَك فى الأَدَب ، لكان « أخو ثمالةَ -يعنى المبَرِّد* » قد ودَّع لمكانه العراقَ . وما أزجرَك وأعيَفَكَ وأصدقَ فأْلَك وطِيَرتَك ! لو كنتَ إنسيًّا لَظننتُكَ من «لِهْبِ بنِ أَحْجَنَ* » وهم أَعيَفُ العرب ، ولهم يقولُ القائل[3] :

تيَمَّمْتُ لِهْباً أبتغى الزجرَ عنـــدهم
فقد صار علمُ العائفين إلى لِهْبِ

---

(١) أى بعد حين (ف) العقر ، بالضم : أول بيضة للدجاج (ق) ولقحت الناقة بعد عقر ، وجئتناعن عقر (س) .

(٢) العنية ، على وزن غنية : أخلاط من بول وبعر يطلى بها البعير الأجرب (ق : ع ن و) والنقْب ، بالفتح ويضم : الجرب ، أو القطع المتفرقة منه .
أراد الشاحج أن الثعلب أصلح بمودته ، ما كان أفسد الصاهل ، وأبوأيوب .

(٣) كثير عزة (= ٣٥٧) رواية المبرد فى الكامل (١٤٥/١) لبيت كثير :
سألت أخا لهب ليزجر زجرة وقد صار زجر العالمين إلى لهب
والبيت فى (جمهرة الأنساب ٣٥٥) فى نسب لهب بن أحجن - بطن من أسد بن خزيمة - وهم أعيف العرب .

* أحمد بن يحى ، ثعلب ، الشيبانى = ٤٢٨

* أخو ثمالة ، المبرد : محمد بن يزيد = ٤٧٥

وبعضُ الناس يَغلَطُ في هذه الأَبياتِ فيُنشد :

رأيتُ غراباً واقعاً فوقَ بانَــةٍ   يُنَتِّفُ أَعْلَى ريشِه ويطايِرُه
فقلتُ ، ولو أنى أشاءُ زجرتُــه   بنفسىَ ، للنهدىِّ هل أنت زاجِرُه
فقال غرابٌ باغتراب من النوى   وبانٌ ببَيْنٍ من حبيبٍ تجاوِرُه
فما أعيَفَ النهدىَّ لا دَرَّ دَرُّه   وأَزجَرَه للطيرِ لا عَزَّ ناصِرُه

و «نَهْدٌ» ليستْ فيها عيَافةٌ على ما يذكرون . وإنما الرواية :

* فما أعيَفَ اللهبىَّ لا دَرَّ دَرُّه *(1) وكذلك قوله : بنفسىَ للنهدىِّ؛ إنما هو : * لِلِّهْبىِّ *

وإنى لَحَليفُ الوَحْشة إذا فارقتُكَ ، فلا تبعُدَنْ طِيَّتُك ولا يُجدبَنَّ رَبْعُكَ ولا يَخيبَنَّ تَوجُّهُك «وإذا عزمتَ فتوكَّلْ على اللهِ »(2) والمَكَرُّ فى عِلْمِ الأَخبارِ ، عليكَ

* * *

فيمضِى ثُعَالة ، فيغيبُ شهرًا كريتاً(3) أو شهرين ، ثم يجىءُ فيُسلِّمُ ويَردُ ، فيَسْتبشرُ به الشاحجُ ويقولُ ، إن قضى اللهُ :

أهلاً بك يا أَبَا كُتَع ، كيف أَدْراصُكَ وتُرْمُلَتُكَ(4) ؟ هل من جائبةِ خبَرٍ عندك(5) ؟ إنكَ لَبَرِيكٌ صدوقٌ ، والبركةُ كلُّها فى الصِّدقِ

(1) مثلها رواية ابن حزم فى (جمهرة الأنساب ٣٥٥) وانظر فيها : نهد بن زيد بن ليث القضاعى (٤١٨)

(2) من آية ١٥٩ سورة آل عمران . والمكر : المرجع والمعتمَد .

(3) شهر كريت ، أى تام . وكذلك سنة كريت ، أى تامة (س) .

(4) كتع ، على وزن صُرَد ؛ ولد الثعلب . والأدراص ، والدرصان والدروص : جمع درص ، بالفتح ويكسر : وهو أيضا ولد الأرنب والهرة ونحوهما ، وبالكسر : جنين الأتان . والترملة : أنثى الثعلب (ق)

(5) جائبة ، واحدة الجوائب : الأخبار الطارئة (ق) وهل عندك جائبة خبر ؟ وهى المغلغله التى جابت البلاد (س) .

(270) ومن وَلَعَ فليته فى || البَحْرِ ملع[١] .

فيقدرُ اللهُ سبحانه أن يُنطِق ثعالةَ فيقولَ :

جُلْتُ من بعدِ مُفارقتِك فى أشراءِ البلادِ ، وأتيتُك بجوائبِ الأنباء .
فأَخبِرْنى عن حالك وحالِ أرضِك ، أخبرْك بعجائبَ لدىَّ إن شاء اللهُ .

فيقول الشاحج ، إذا قضَى اللهُ :

أما أنا فيَاسَرْتُ أصحابى وياسَرونى ووجدتُ المُياسَرةَ أفضلَ من المعاسرة :
أَخَفُّوا حِمْلِى وأَمَرتُ بالصبْرِ نفسى ، فخمَدَ لهيبُ الفتنةِ وغيرى الذميمُ .

وأما أرضى فعادَتْ جاليتُها من كلِّ الأَقطارِ . فرجع الجالونَ من الشرق وكأنهم أنضاءُ سَفَر أو رَذايا رَكْب ، فزعموا أنهم كانوا فى العَلاَة[٢] قد ضاقتْ بهم المنازلُ ، فكانوا بالنهار ينتقلون فى الظلال والأَفياء كأنهم سِخالُ الربْرَبِ حَمِىَ عليها القيظُ . وكانوا فيما يذكرون ، يَمتَحُون رِحَالَهم إلى أعلى البرجَةِ كما تُمتَحُ دِلاءٌ بالحوءَبِ ، وهن حوءَباتٌ . وحَرِجَ بالجاليةِ محلُّ القومِ القاطنين ، فرأيت مضطجَعَ الإنسان فى غير هذه النائرةِ ، يضطجعُ فيه الثلاثة أو الاثنانِ[٣] . فكان مَثلُ الناس فى ذلك مثلَ الضادَات

---

(١) البريك : المبارك فيه. من البركة ، محركة : النماء والزيادة والسعادة ، والتبريك الدعاء بها. بارك الله لك ،وفيك ، وعليك . وباركك (ق)

وقوله: ومن ولع فليته فى البحر ملع ، متآكلة فى (ف) ومن معانى ولع : استخف وكذب. والوالع الكذاب جمعه ولَعَة . والمليع والمَلاع : المفازة لا نبات بها .وأملعت الناقة مرت مسرعة . وامتلعه : اختلسه .

(٢) أنضاء سفر : مهازيل : ج نضَو ، وهو المهزول . والرذايا : جمع رذى ، على وزن غنىّ ، وهو من أثقله المرض ، والضعيف من كل شىء . الأنثى : رذية .

(٣) الأفياء : جمع فىء ، وسخال الربرب : أولاد البقرة الوحشية . والبرجة : جمع برج (ف) وحرج : ضاق .

والعلاة : جبل ، وكورة العلاتين بحمص (ق) .

والجالية : الجالون ، الذين كانوا قد جلوا عن البلد خوفاً من غزو الروم . والنائرة : الهائجة ، يقال : نأرتْ نائرة ، مهموزاً : تنأر ، كمنع يمنع : هاجت هائجة (ق ، ص : ن أر)

لَمَّا اجتمعن فى قول «العَدْوانىِّ* » :

تلك عِرسِى تقولُ إنِىَ شيخٌ ذاكَ عارٌ علىَّ غيرُ مُمِضِّ
أطعَنُ الفارسَ المدجَّجَ بالرمْحِ فيكبو على اليدَينِ وأمضِى
إن شَكْلِى وإن شكلَكِ شتَّى فالزَمِى الخُصَّ واخفضِى تبيضِّى

فمَثَلُ هذه الضادَاتِ ، مثلُ امرأتين كانتا فى مكان متضايقتين ، فجاءتْهما امرأةٌ ثالثةٌ فدخلتْ بينهما . ومِثلُ هذه الضادَاتِ ، البَاءاتُ فى قول الراجز :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّــــه⁽¹⁾ جاريــــةً خِــدَبَّه (271)
تَجُبُّ أهلَ الكعبه

و «بَبَّةُ » هو «عبدُ اللهِ بنُ الحارثِ بنِ نوفلِ بنِ الحارثِ بن (١٣٩)
عبدِ المطلب » ويقال إن هذه الأبياتَ قالتْها أُمُّه وهى ترَقِّصُه . وهى «أُمُّ عبدِ اللهِ ابنةُ أبى سُفيانَ بنِ حرب* »

---

(١) مثله فى الصحاح (مادة ببّب) وأنشد قول الراجز شاهداً على ببة ، اسم جارية .

وقد استدركه عليه صاحب القاموس (فى ببة) فقال : وقول الجوهرى : ببة اسم جارية ، غلط . واستشهاده بالرجز أيضاً غلط ، وإنما هو لقب عبد الله بن الحارث ، وقوله : قال الراجز ، غلط أيضاً ، والصواب : قالت هند بنت أبى سفيان وهى ترقص ولدها. وقال شارح القاموس : (وقوله : قال الراجز ، غلط أيضاً : هذا فيه ما فيه ، فإنه يمكن أن يراد به الشخص الراجز ، وإطلاقه على المرأة صحيح . اهـ

وأضيف : أن الجوهرى ذكر فى المادة قبل قوله : ببة اسم جارية ، «أنه لقب عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، والى البصرة » وإنما وهم الجوهرى فى ببة ، بالرجز ، فلم يلتفت إلى أنه فى عبد الله بن الحارث .

ومعنى قولها : تجب أهل الكعبة ، أى تغلبهن حسناً ، تعنى النساء .

* العدوانى : ذو الإصبع = ٦٠٤

* وأم عبد الله بن الحارث بن نوفل المطلبى الهاشمى ، الذى يقال له « ببة » هى : هند بنت أبى سفيان بن حرب « نسب قريش ٣٠، ٨٦ » .

وكان أهلُ البصرة اجتمعوا على تولية «ببَّةَ»[١] لَمَّا استتر «عُبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ» ــ لعنه اللهُ ــ عند «مسعودِ بنِ عمرٍو العَتكى» فلما برز «مسعودُ» يومَ قُتِلَ، وكان «ببَّةُ» فى دارِ الإمارة، قال رجلٌ من ربيعة[٢]:

لَأُنْكِحَنَّ بَبَّــه جــاريةً فى قُبَّــه

تَمشُطُ رأسَ لُعْبَــه

ــ وهذا رجَزٌ عند العربِ، وإن كان «الخليل» يجعلهُ من المنسرح ــ

وكان مثلُ الناسِ فى اجتماعِ الجماعةِ الكثيرةِ فى البيتِ الحرِجِ، مثلَ الكَلِمِ لما اجتمع وتَضَانَكَ فى قولِ «الجُعفى*»:

* عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ *

اجتمعتْ فيه أربعٌ وعشرون كلمةٌ، كلٌّ كلمةٍ منها جُملة. وأقلُّ ما تكونُ الجملةُ من شيئين. ألا ترى هذا البيتَ كيف ضاق بما أودِع من الكَلِمِ حتى أنكره السمعُ وظنَّه مَن لا يَعرفُه مِنْ وحشِيِّ الكلامِ؟ وليستْ فيه كلمة غريبةٌ ولكن اتصلَ صدورُ الكَلِمِ بالأَعجازِ فوَرَدَ على غيرِ المعتادِ، وإذا خرجتَ إلى البيتِ الثانى كنتَ كمن أفضى بعد الأَشَبِ وخَلَصَ إلى البَراحِ من لِهْبٍ أو شِقْبٍ[٣].

(١) فى تاريخ الطبرى (حوادث سنة ٦٠هـ) خبر عبد الله بن الحارث بن نوفل، ببة، حين مات معاوية، وعبيد الله بن زياد ــ ابن أبيه ــ على البصرة، فاصطلح أهلها على ببة. وانظر معه (الكامل للمبرد ٣/٢٩٤) ــ فاستتر ابن زياد عند «مسعود بن عمرو العتكى» رئيس الأزد بالبصرة حتى استقر الأمر ليزيد فولى عبيد الله بن زياد إمارة العراق، وكان من أمره فى مذبحة كربلاء ما كان.

(٢) فى (تاريخ الطبرى: سنة ٦٥هـ) أن هذا الرجز قاله رجل من أصحاب «مسعود بن عمرو العتكى»

(٣) الأشب الضيق (ف) النخيل والشجر الملتفة. وقد أشِبَ الشجر، كفرح: التف، كتأشب. =

* الجعفى: المتنبى = ٥٨٣ وتمام البيت، من أربع وعشرين كلمة:

عِشِ ابقَ اسمُ سُدْ قُدْ جُدِ مُرِ انهَ رِ فِ اسْرِ نلِ

غظ ارم صب احم اغز اسبِ رُع زَع دِلِ اثْنِ نُلْ

وقد كانت الجاليةُ في غيرِ هذه الفتنةِ ، ربما أَطْلَعَت الحُرُمَ في الزُّبُلِ تمتحُ كأَنَّها غروب مطلوب . ولا أدرى أفعلوا ذلك في هذه الجَوْلةِ أم أغناهم الله عنه؟ [١] . وكنت ترى العجوزَ قاعدةً في المِشأَةِ [٢] ورجالُها يتداولونها بالمَرَسِ ، يا بئس || ما تحمل[٣] : (272)

يا بئس ما تَحمِلُ دلْوِى مُقرِبا ... لقــد أَتتْ تحمل شيئاً عجبا
صُلْصُلَةً وحَمْأَةً وعَنْكَبَا [٤]

*

ياقوم ِ كم أجذبُهـــا من علوِ ... مَنْ لى بمن يُرِيحُنى من دَلوى
قد برَّحتْ بى وأَطاحَتْ شِلْوى [٥]

هل لكَ أيها الماتِحُ أَن تنجذمَ قُوَى دَلْوِك من عندِ الشُّرُفاتِ فإذا هى مع الكَثْكَثِ [٦] كما قال القائلُ :

كأَنها لِقْوَةٌ فتخاءُ كاسرةٌ ... وَلَّى لِيَسقِيَها بالحَرَّةِ الذيبُ

= ويقال : بينى وبينك أشب ، يريد النخيل الملتفة (ق)

والهب ، بالكسر : مهواة ما بين جبلين ، أو الصدع ، فى الجبل . ج ألهاب ولهوب ولهاب

والشقب ، بالفتح ويكسر : مهواة بين جبلين ، ج شقاب وشقوب (ق) .

(١) الحرم ، بضم الحاء : النساء ، والحريم (ص) والزبل ، بضمتين : جمع زبيل ، كأمير وسكين : القُفة (ح ، ق)

والغروب : جمع غرب ، الدلو العظيمة .

(٢) المشأة : زبل من جلود (ض) ولم أجده فى المهموز .

(٣) كذا فى (ف) وسقطت [ما] من (ص) والمرس : الحبل .

(٤) الصلصل : بقية الماء فى الإداوة وفى أسفل البئر . والصلصال الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصاصل إذا جف . فإذا طبخ بالنار فهو الفخار . عن أبى عبيدة (ض) والحمأة : الطين الأسود.

(٥) فى الصحاح (ع ل ا) : ويقال أتيته من عل ، بكسر اللام ، أى من عال . وأتيته من علُ ، بضم اللام . وقوله : من علو ، الواو زائدة لإطلاق القافية (ض) والشلو ، بالكسر : بقية اللحم (ف) والعضو ، الجمع أشلاء .

(٦) الكثكث ، على وزن جعفر وزبرج : التراب وفتات الحجارة . واللقوة : العقاب الأنثى .

صُبَّتْ عليه ولم تَنصَبْ من كثبٍ　　إن الشقاء على الأَشْقَيْنَ منصوبُ
كالدلوِ جُذَّتْ قواها وهْى مُثقَلَةٌ　　وخانَها وَذَمٌ منها وتكريبُ[1]

لا ، بل غيرُ ذلك طَوِيَّتُك :

«وقضَى ربُّك ألَا تعبُدوا إلا إيَّاهُ وبالوالدَيْنِ إحساناً إمَّا يَبلغَنَّ عندَكَ الكِبَرَ أَحدُهما أَوْ كِلاهُما فلاَ تَقُلْ لهما أفٍّ ولا تَنهرْهما وقلْ لهما قولاً كريماً * واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلِّ من الرحمةِ وقُلْ رَبِّ ارحَمْهما كما رَبَّيَانى صَغيرًا»[2] .

أَحْمِلُ أُمِّى وهىَ الحَمَّالَهْ
تُرضِعُنِى الدِّرَّةَ والعُلاَلَه[3]

*

أَنا لها بعيرُهـا المـذلَّلْ
أَحمِلُهـا وحملتْنى أكثر

وكم ترى من شيخٍ عائدٍ إلى منزلِه وهو يَهدِجُ على عصاه ، قد لَقِىَ شِدَّةً من العيْشِ فأَقسم أَنه لا يَفِرُّ إن وَقَعَ إرجافٌ ثانٍ[4] :

أَنا الذى فرَرتُ يومَ الحَرَّه
والحُرُّ لا يَفِرُّ إلا مَــرَّه[5]

---

(١) الوذم : السيور التى تشد بها الدلو. والتكريب ، من الكرب وهو الحبل يشد فوق الحبل الأول ليقويه (ض) .　　(٢) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الإسراء .

(٣) الشطران فى (ل: علل) لعلالة : اللبن بعد حلب الدرة ، وقيل أن تحلب الناقة مع أول النهار وآخره ، وسط النهار . فتلك الوسطى هى العُلالة ، وقد تدعى كلهن علالة . وبعد الشطرين قوله : ولا يجازى والدٌ فَعَاله .　　(٤) يهدج : يقرب خطاه (ف) وإرجاف ثان ، يعنى بالعدو .

(٥) يوم الحرة ، حرة واقم بظاهر المدينة ، سنة ٦٣ هـ . قتل فيها جيش «يزيد بن معاوية» بقية من الصحابة ، ونحو ثلاثمائة من أبناء المهاجرين والأنصار (تاريخ الطبرى ، وابن الأثير : سنة ٦٣هـ) .
والرجز لعبد الله بن مطيع بن الأسود العدوى القرشى ، فى الاستيعاب وحماسة البحترى : ٥٣ والمحبر : ٤٩٤

يُخافُ من الإقامةِ أن يزولَ البقاءُ ، ويُمارَسُ عند الرحلةِ عَناءٌ وشَقاء :

فإن كان لا بد إحدى اثنتيْنِ فسِيروا إلى الموتِ سيرًا جميلاً (273)

*

قد صرتُ ياعمروُ كأنى نِقْضُ وصار قُدَّامَ قُدَّامِى نَهضُ
وصرتُ لا يَحملُ بعضى بعضُ[1]

«ومَنْ نُعَمِّرْه نُنَكِّسْهُ فى الخَلْقِ أفَلاَ يَعقِلون»؟[2]

إذا المرءُ عَلْبَى ثم أصبح جِلدُه كرَحْضِ غسيلٍ فالتيَمُّنُ أرْوَحُ[3]

أتدرى ياثعالَ ما التيمنُ ؟ هو أن يتوسَّدَ يمينَه فى القَبْر .

*

وجاءتْ جاليةُ «أفامِيَةَ*» مُثْنِينَ شاكرين . إلا أنَّا أدركنا المَشيخةَ إذا كَنَوا عن الدنانيرِ قالوا : شيوخُ أفامية . يَعنُون أنهم صُفرُ الألوانِ ، لأن هواءهم وماءهم مذمومان .

ومن يَسكُنِ البحرين يَعظُمْ طِحالُهُ
ويُغْبَطْ بما فى بطنِه ، وهْوَ جائعُ

وأما جاليةُ «سُرْيَةَ* » فلَقُوا من العيشِ البُرَحِينَ . وذكرَتْ نساؤهم

---

(١) فى (شواهد المغنى ٢٩٨) رجز قريب من هذا ، أوله :

* أصبحت لا يحمل بعضى بعضى * وفيه :

طول الليالى أسرعت فى نقضى طوين طولى وطوين عرضى
ثم انتحين عن عظامى مخضى أقعدننى من بعد طول نهضى

وهو للأغلب العجلى ، وقد عمر طويلا .

(٢) آية ٦٨ سورة يس .

(٣) مثله فى (س) مع الشاهد . العلباء عصب العنق جمعه علابىّ. وعَلَّبَى الرجلُ ظهرت علابيه كبرا (ق) والرحض الشن الخلق. والتيمن : الموت ، ووضع الميت فى قبره على جنبه الأيمن (ق) ذكره فى اللسان (ىمن) عن ابن سيده . وأنشد البيت فى (الأساس)

* أفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ويسميها بعضهم فامية، بغير همزة (ياقوت) .

* سرية : كذا ضبطها فى الأصلين . وفى «ياقوت» بضم ففتح وياء مشددة : قرية من أغوار الشام.

(١٤٠) بُقولَ الأَمصارِ حيث يُزدَرَعُ قَثَدٌ و قغْدٌ ، || ولا يُطلَبُ لِعَليلٍ دُبَّاء :[١]

تَسأَلُنى بِرامَتين شَلْجَما[٢]

لو أنها تطلبُ شيئاً أَمَمَا

أَبعدوا النَّفْرَةَ وأطالوا السَّفْرَةَ ، وصحبوا الوحشَ المتأَبدةَ ، ومَرُّوا بمنازلِ أَناسٍ خاوية . ولقد أَصابوا الرأيَ فى التحرُّزِ ولم يختاروا الغَرَرَ مع الطاءة[٣] :

ياناقُ سِيرِى عنقاً زوَرَّا وقلِّبى مَنْسِمَكِ المغْبَرَّا

وبادِرِى اللَّيلَ إذا ما اخضرَّا[٤]

وسُرْيَةٌ ، واحدةُ سُرَى الليلِ ، والمَثَلُ السائرُ : «عند الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى »[٥] ومن اتخذَ الليْلَ جَمَلا ، جاز أَن يبلُغَ مع الصبحِ أَملاً :

---

(١) الدباء ، بضم أوله وباء مشددة : القرع الواحدة دباءة .والقثد : الخيار (ف) وفى القاموس: نبت يشبه القثاء أو ضرب منه . والمغْد ، ويحرك البادنجان ، وثمر يشبه الخيار .

(٢) كذا بالشين فى النسختين . ومثله فى (الصحاح) وقد ذكره الجوهرى فى مادتين: روم : شاهداً على : رامة ، اسم موضع بالبادية وفيه جاء المثل : تسألنى برامتين شلجما .

وقال فى فصل الشين من باب الميم : الشلجم نبت معروف — وأنشده . والأمم ، محركة : الشئ اليسير . ويقال : أخذته من أمم ، أى من قرب .

على أن « الميدانى » قال فى المثل : « تسألنى برامتين سلجما » : السلجم معروف ، اللفْت . ولا يقال شلجم ولا ثلجم . عن الأزهرى(مجمع الأمثال ١/ ١٢٤) .

وقال المجد فى (سلجم) كجعفر : نبت ، ولا تقل ثلجم ولا شلجم ، أو لغية

(٣) الغرر ، الواضح من الطرق . والطاءة مثل الوطأة (ف .ض)

(٤) العنق ، محركة : سير مسبطر للإبل (ق) وسير يزورا ، أى شديداً ، كأنها تزورّ فيه لنشاطها (ض) ضبطه فى القاموس ، مثل هِجَفّ : السير الشديد . والأزور الذى يقبل على شق إذا اشتد فى السير ، وإن لم يكن فى صدره ميل وهو فى (أراجيز العرب : ١٢٤) للقطامى .

(٥) نقل فيه الميدانى(٢/ ٣) عن المفضل — بن سلمة — أن أول من قاله « خالد بن الوليد » حين سلك المفازة من اليمامة إلى العراق — بعد حروب الردة — وكان رافع الطائى «قد نصح له أن يحمل الماء وإلا هلك ومن معه. فاشترى خالد مائة شارف فعطشها ثم سقاها حتى رويت ، حتى إذا مضى يومان فى السير وخاف العطش على الناس والخيل ، نحر الإبل وشربوا . فلما كان فى الليلة الرابعة من السير ، لاحت السدر فكبر الناس . وقال خالد :

يا ليلــةً ما ليلةُ العَروسِ
ياطسْمُ ما لَقِيتِ من جديسِ
إحدى لياليكِ فهيسى هِيسى
لا تطمعى الليلة فى التعريسِ[1]

ولِـــ « سُريَةَ » أزمانٌ طويلةٌ تُنسَبُ إليها فيهن الوحشُ . قال « امرؤ القيس » :

كأنى ورَحْلِى فوق أَحْقَبَ قارِحٍ بِعَزْنانَ أوطاوٍ بِسُرية موجِسِ[2]

أفتراهم مَرُّوا فى سيرهم بـــ « قاصِرِينَ ، والأَندَرِين » ؟ أتدرى ياثعالَ لم جُمِعتْ هذه الأَشياءُ بالياء والنونِ وإن كانت لا تعقلُ ؟ إنما فُعِلُ بها ذلك لِيُخبَرَ أنها ذاتُ دهاءٍ وشدائدَ . ألا ترى أنهم يقولون : لَقِى منه البُرَحِينَ والأَمَرِّينَ والأَقوَرين؟ [3] إذا أرادوا تعظيمَ الأَمر جمَعوا مالا يَعقِلُ جمعَ

= لله در رافع أنى اهتدى فوّز من قراقر إلى سُوى
عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلى عنهم غيابات الكرى

— قوبل على المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » فى (الفاخر ١٩٣) للمفضل بن سلمة بن عاصم .

(١) يضرب للرجل يأتى الأمر يحتاج فيه إلى الجد والاجتهاد: فى طرة (ف) : ليلة العروس : ليلة كانت بين طسم وجديس فى الدهر الأول ، فأفنى بعضهم بعضاً (ض) والرجز أنشده ثعلب فى (مجالسه ٢٩٣) وقال : الأهيس الذى يدق كل شىء .

وأنشده « ابن السكيت فى (التهذيب ٦٨٣) للراجز « أباق» وروايته :

لا تطمعى الليلة فى التعريس إحدى لياليك فهيسى هيسى

والمثل «إحدى لياليك فهيسى هيسى» ذكره الميدانى ، وقال : وهيس هيس ، كلمة تقال عند إمكان الأمر والإغراء به . وهاشهم داسهم ولفظه فيه :

«لا تنعمى الليلة بالتعريس» .

(٢) يروى ، الشطر الثانى * بسرية أو طاو بعزنان موجس * كذا الرواية المشهورة عندنا (ف) وانظرها فى شعراء الجاهلية : ٤٩ والأحقب : الذى فى مكان الحقب منه بياض (س) .

(٣) انظر فيها المثل : لقيت منه الأقوريق ، والفُتكرين ، والبرحين . بمجمع الأمثال (١٩٢/٢)

من يَعقِلُ ، ليَعلموا أن أمرَه مُنكَر . قال « المُرَقِّش* » :

يـأتى الشبابُ بالأَقْـوَرِينَ ولا تَغبِطْ أخاكَ أن يُقالَ حَكَمْ[١]

وقال آخر :

ومن يُطعِ النساءَ يـلاقِ منها إذا أَغمَزْنَ فيه ، الأَقْوَرِينـا

وقال آخرُ :

قد وردتْ إلا الدُّهَيْدَهينا إلا ثلاثينَ وأربعينـا

قُلَيِّصاتٍ وأُبَيْكرينا[٢]

وبالقُربِ من « الأَندرينَ وقاصرينَ* » موضعٌ دامِرٌ يقالُ له « بعلَ بَكٌّ* »

ويجب أن يكونَ « عمرو بنُ كلثومَ* » عَنَى هذا الموضعَ بقولِه :

وكأسٍ قد شربتُ ببعلَ بَكٍّ وأخرى قـد شَربتُ بقاصرينا

ولم يَعْنِ هذه المدينةَ التى فيها الملعبُ .

(١) البيت الخامس والثلاثون من مفضليته الميمية :

هل بالديار أن تجيب صمم لو كان رسم ناطق كلم
والدار قفر والرسـوم كما رقش فى ظهر الأديم قـلم

وآخرها ، الشاهد هنا . وهذه المفضلية عند أبى العلاء ، من المفردات (رسالة الغفران) .

(٢) تصغير قلوص . وأبكر ، جمع بكر . والدهيدهين صغار الإبل (ف) .

والشطران ، الأول والثالث ، من شواهد الكتاب ، باب تحقير ما لم يكسر عليه واحد للجمع (٤٩٤/٣) وهما فى (ص ، ل : بكر) .

* هو المرقش الأكبر ، واسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة (ف) من قيس بن ثعلبة البكرى (جمهرة الأنساب ٣٠٠) وانظر (معجم المرزبانى ٢٠١ ، ٢٧٦) شاعر جاهلى من عشاق العرب أحب أسماء بنت عمه عوف بن مالك . وهو عم المرقش الأصغر . والمرقش الأكبر من شعراء المفضليات ، ومؤتلف الآمدى ١٨٤ ، وانظر (رسالة الغفران ٣٥٥ ، والأغانى ١٢٧/٦) .

* الأندرين ، وقاصرين : من بلدان الشام . و (ياقوت) .

* بعل بك ، كذا رسمها فى النسختين . وفى بلدان ياقوت (بعلبك) : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها . بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل ١٢ فرسخاً من جهة الساحل .

وجاءت جاليةُ « سُرْيَةَ » تَصِفُ ما لقِيتْ من حِذارِ الأَسَدِ ، إلا أنهم سَلِموا بِحمدِ الله ، ولم يُصِبْ أحدًا منهم أَسَدٌ ولا قِلِّيبٌ[1] ، كما قال الشاعرُ ، ويقال إنها لامرأةٍ أكَلَ ابنتَها الذئبُ[2] :

أيا جَحْمتا بَكِّى على أمِّ واهب   أكيلَةِ قِلَّيبٍ بإحدى المذانب (274)

أُتِيحَ لها القِلَّيبُ من رأسِ غابة   فيا بُعْدَ مطلوبٍ ويا بُعدَ طالب

— وبعضُ الناس ينشد :

أُتيحَ لها القِلَّيبُ من رأسِ غابةٍ   وقد تَجلُبُ الشرَّ البعيدَ الجوالِبُ —

فلم يبقَ منها غيرُ شطْرِ عِجَانِها   وشُنتُرَةٌ وغيرُ إحدى الذوائب[3]

الجَحْمَةُ : العَيْنُ ، بلغةِ أهلِ اليمَن . والشنترةُ ، واحدةُ الشناتِرِ ، وهى الأَصابعُ . ومنه قيلَ للرجلِ : ذو الشناتر ، وهى الأَصابع .

ولو كان الجالونَ إلى هذا الموضعِ ، لَحِقوا بأَرضِ «بالِسَ* » لكانت أوفَقَ وأخفَضَ . واسمُها إذا حُمِلَ على الفألِ . مأخوذٌ من : أَبْلَسَ العدُوُّ ،

---

(١) قلبيب : ضبطه فى (ق)على مثال : سكيت وتنور وسور ، الذئب .

(٢) الشطر الثانى مطموس ، فى (ف) من تآكل . وفى الطرة عليه : هذا الشعر فى الأمالى .

فى أمالى القالى (١٣٦/١) عن ابن دريد ، قال : الجحمتان ، العينان بلغتهم . قال شاعرهم وأكل أمه الذئب — وأنشد البيت ، وروايته : فياجحمتا ... أكيلة قلوب * قال: والقلوب والقليب بلغتهم : الذئب .

وأنشده الجوهرى فى (ج ح م) : * على أم عامر   أكيلة قِلّوب * شاهداً على الجحمة العين بلغة حمير . على أنه أنشده فى (ق ل ب) : * على أم واهب * ومثله فى (ل ، ت)

(٣) أنشدهما البكرى :

أتيح لهـا القليب من بطن قرقرى .. . .

فلم يبق منها غير نصف عجانهـا   وشنـترة منها وإحدى الذوائب

ونقل الميمنى : قال أبو زيد ، قال السعدى : هذه الأبيات يقولها رجل من أهل اليمن فى أم له أكلها الذئب ، وهو القلوب والقليب بلغتهم ، والعجان بلغتهم : موصل العنق فى الرأس (السمط ٣٧٨) .

* بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة ، لها ذكر فى الفتوح (بلدان ياقوت) .

إذا يَئِس عنها . قال «العجاجُ*» :

ياصاحِ هل تعرفُ رسْماً أكرسا قال نعم أعرفُه ، وأبْلَسَا
وانحَلَبَتْ عيناه من فرطِ الأَسَى[١]

فيكون بالِسٌ ، فاعلاً من هذا ، على حذف الزوائد ، وإن لم يأتِ عنهم : بلَس ، فى معنى أبْلَسَ . لأنهم قالوا : أوْرَسَ فهو وارِسٌ ، وإنما وارِسٌ على : وَرَسَ . وقال «العجاجُ» :

ومَهْمَهٍ هالِكِ مَنْ تعرَّجا[٢]

إنما هو : مُهْلِك ، فى بعضِ الأقاويل .

وكذلك قولُه تعالى :

«وأرسلْنا الرياحَ لواقحَ»[٣]

إنما هو ملاقح ، جمع مُلْقِح. وكذلك قولُهم : لَأَرَيَنَّكَ لَمْحاً باصرا . قال بعضُهم : إنما هو مُبصِرٌ . . فى حروفٍ كثيرةٍ من هذا الجنسِ .

وإن جعلتَها[٤] فاعلاً من البلَسِ ، أى التِّينِ ، فحسبُكَ من خيرٍ ومَيْرٍ . أليس فى (الكتاب الكريم) : «والتينِ والزيتونِ»[٥] ؟ ‖ وقد جاء (275)

(١) رواية ابن السكيت فى باب الدمع من تهذيب الألفاظ (٦٢٥) للشطر الأول من رجز العجاج ، ومثله فى (ص : كرس) : « يا صاح هل تعرف رسماً مكرسًا » شاهدًا على الكرسى ، بالكسر : الأبوال والأبعار يتلبد بعضها على بعض ، يقال أكرست الدار . وذكره كذلك فى (ب ل س) غير منسوب للراجز ، شاهداً على : أبلس فلان إذا سكت غماً .

(٢) بعده فى (شرح أدب الكاتب ٣١٠) : * هائلة أهواله من أدلجا * وفى تخريجه قال أبو منصور ، إنه « على تقدير : هالك متعرجوه ، كما تقول : جهد سالكوه . والتقدير عليه مستقيم ، على أن هالكاً لا يتعدى . والذين جعلوا هلكت بمعنى أهلكت ، فى التعدى ، استشهدوا بهذا البيت وجعلوا الفعل للمهمه . وهو المفازة ، ج : مهامه » .

(٣) من الآية ٢٢ سورة الحجر. (٤) أى بلدة : بالس .

(٥) الآية الأولى من سور التين .

* العجاج = ١٨٨

فى الحديثِ المأثور : «مَنْ أَحَبَّ أن يَلِينَ قلبُه ، فليُدمِنْ أَكْلَ البلَس » .[١]

وكانوا يَرِدُونَ الفُراتَ وحسبُك به مَوْرِدا ‖ ويُراحُون من وِرْدِ مياهٍ مُطْلِبةٍ[٢] (١٤١)

كما قال الراجزُ :

لا تَرِدِنَّ الماءَ إلا آيبَـــهْ ‖ أَخشَى عليكِ معشرًا قراضِبه

سُودَ الوُجوهِ يأكلون الآهِبَه[٣]

يعنى : جَمْعَ إِهَابٍ ، والفُراتُ : العذبُ من الماء ، وبذلك سُمِّىَ هذا النهرُ . فأَمَّا قولُ بنى كلابٍ : الفُراةُ ، فَوَهْمٌ منهم . والدليلُ على أن التاءَ من الأَصلِ ، قولُهم فى النسَبِ : فُراتِىٌّ ، فأَثْبَتُوا التاءَ . ولو أنها لِلتأنيثِ كما يُظنُّ هؤلاء ، لَسقطتْ فى النسَبِ . قال «الأَعشى* » :

ما يُجعَلُ الجُدُّ الظَّنونُ الذى ‖ جُنِّبَ صَوْبَ الغَدِقِ الماطر[٤]

---

(١) فى (نهاية ابن الأثير : بلس) : «من أحب أن يرق قلبه فليُدم أكل البَلَسَ» بفتح الباء واللام ونقل عن ابن الأعرابى : مضموم الباء واللام .اهـ.

(٢) مطلبة : بعيدة (ف) وماء مطلب ، كمحسن : بعيد عن الكلأ ، أو بينهما ميلان أو يومان (ق)

(٣) الآيبة : شربة القائلة . والتأويب سير النهار . والقراضبة ، جمع قرضوب وقرضاب : اللصوص .

(٤) فى شرح شواهد المغنى : * ما جعل الجد الظنون الذى *
الجد : الماء القليل . والظنون : الذى لا يدرى أفيه ماء أم لا (ض) . ومثله فى (ل : ظن) ومعه الشاهد .

والبيتان من شواهد الصحاح (جدد) للأعشى يفضل عامراً على علقمة . وروايته البيت الأول :

ما جعــل الجــد الظنون الــذى ‖ جنب صوت اللجب المــاطر

* الأعشى ، ميمون البكرى (= ١١٢) . والبيتان من مطولته فى مدح عامر بن الطفيل ، وهجاء علقمة بن علاثة ، وكانا قد تنافرا وتنازعا السيادة فانحاز الأعشى لعامر ، وأولها :

شاقتك من نبلة أطلالهـــا ‖ بالشط فالوتر إلى حاجـــر

وفى (شرح شواهد المغنى . ٣٠٥) واحد وستون بيتاً منها . ويقال إن علقمة هدر دم الأعشى لما قال هذه القصيدة ، ثم عفا عنه بعد أن تمكن منه ، فدحه بقصيدته ، على روى الأولى :

علقم يا خير بنى عـــامر ‖ للضيف والصاحب والزائر

والضــاحك السن على همــه ‖ والغافر العثرة للعـــاثر

— ملحقات ديوانه : ٢٤٥ط أوربا ، والشعر والشعراء ١٨٢ —

مِثْلَ الفُراتِيِّ إذا ما طَمَا يَقْذِفُ بالبوصِيِّ والماهِرِ[١]

والناسُ بعدُ ، على تذكير الفُراتِ . قال « النابغةُ » :[٢]

فما الفُراتُ إذا جاشتْ غواربُه ترمِى أواذيُّه العِبْرَيْنِ بالزَّبَدِ

ولو كان كما يقول هؤلاء ، لَوجَبَ أن يكون مؤنثاً .

وعلى أيِّ الأَمرينِ حُمِلَ أَمرُ الفُراتِ ، فهو فألٌ بالخَيْرِ لمن نزل به .

أما على القولِ الأَولِ الصحيحِ ، فإن اللهَ تعالى قال[٣] :

« وأَسقيْنَاكم ماءً فُراتاً » أى عَذْباً .

فأَمَّا قول « الهُذَلِيِّ » يَصفُ الدُّرةَ :

فجاءَ بها ما شئتَ من لَطَمِيَّةٍ يدومُ الفُراتُ فوقَهـا ويموجُ[٤]

فقد اختلف الناس فيه : فكان بعضهم يُخطِّئُ « أبا ذؤيبٍ » فى قولِه ويَجعلُه مثلَ قولِ الآخر[٥] :

---

(١) البوصى : نوع من السفن . والماهر ، يعنى السابح (ف) .

(٢) الذبيانى (= ١٧٨) من داليته : * أمن آل مية رائح أو مغتدى * ص ٢٢ من الديوان. غواربه : أعاليه . أواذيه : أمواجه ، الواحد آذى . والعبران : مثنى عبر وهو الشط .

(٣) من الآية ٢٧ سورة المرسلات .

(٤) الهذلى : أبو ذؤيب (= ١٣٢) من قصيدته التى مطلعها :

صبا صبوة بل لج وهو لجـوج وزالت لهـا بالأنعمـين حدوج

والضمير فى : فجاء ، للغواص . وانظر الخلاف فى توجيه البيت ، بديوان الهذليين (١/٥٧)

(٥) الرجز لأبى نخيلة الراجز : حزن بن زائدة بن لقيط الحمانى. شرح شواهد المغنى ٢٥١) من بنى حمان ، عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر أموى راجز محسن (مؤتلف الآمدى ١٩٣ ، والشعر والشعراء ٢/٥٠١) قال ابن قتيبة : « ويؤخذ على أبى نخيلة قوله فى وصف امرأة - الرجز - ظن أن الفستق من البقل » .

وفى (ل : فستق) :

الفستق معروف فارسى معرب ، قال أبو حنيفة : لم يبلغنى أنه ينبت بأرض العرب. وقد ذكره أبو نخيلة فقال ووصف امرأة (الرجز) سمع به فظنه من البقول .

بَرِّيَّـــةٌ لم تـأْكُلِ المُرَقَّقَا
ولم تَذُقْ من [البقول] الفُسْتُقَا

وظنَّ أن الفُسْتُقَ من البقولِ ، كما ظنَّ «أبو ذؤيـبٍ» أن الدرَّة تكونُ فى الماءِ العذب[1] .

(276) ‖ وقال قومٌ : هذا خطأٌ من قائلِه . وكيف يَخفَى على «أبى ذؤيبٍ» ذلك وهو فى جبالِ هُذَيلٍ بنواحِى مكةَ والبحرُ منها قريبٌ ؟ وإنما أراد «أبو ذؤيبٍ» أن الدُّرَّةَ تكون صَدَفَتُها فى ماءٍ عَذْبٍ لأَن البحرَ تكونُ فيه مواضعُ يَنبُعُ منها الماءُ العذبُ .

وقال بعضُ الناسِ : إنما أراد ماءً يكونُ مع الدرَّةِ فى الصدَفةِ فإذا شُقَّتْ خرج ، ولا يكونُ إلا عذباً . لأَنها عندهم – واللهُ أَعلمُ – تُخلَقُ من ماءِ المطَرِ . ولأَجلِ ذلك الماءِ الذى يخرُجُ إذا فُضَّت الصدفةُ ، قيل للدرَّةِ : عذراءُ . وإلى هذا القولِ ذهب «الحَسَنُ بنُ عبدِ اللهِ السِّيرافى*»

وأنا أَقولُ فى ذلك قولَين آخرَين : أَحدُهما أن يكونَ عَنَى بالفُراتِ ماءً مِثلَ ماءِ «الفُراتِ» فى الكثرةِ ، لأَنهم يضربون المثلَ به إذا مَدَّ . والآخَرُ أن يَعنِيَ بالفُراتِ ماءَ الدرَّةِ ورونقَها ، فسمَّاها فُراتاً على معنى الاستعارةِ . ويكونُ

---

(١) قال ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) وأخذ على أبى ذؤيب قوله فى صفة الدرة : فجاء بها (البيت) وقالوا : الدرة لا تكون فى الماء الفرات ، إنما تكون فى الماء الملح . ويروى : * تدوم البحار * وفى هذه الرواية نفى للغلط عنه . وقوله : تدوم ، أى تسكن فى الماء الدائم (٢ / ٥٥٠ بيروت) .

* الحسن بن عبد الله ، السيرافى ، بلداً ومولداً ، أبو سعيد النحوى . – كان أبوه مجوسيا وأسلم – والحسن من أئمة علماء النحو البصريين . قدم بغداد وقرأ النحو على ابن السراج ، والقرآن على ابن مجاهد واللغة على ابن دريد . توفى سنة ٣٦٨ هـ عن ثمانين سنة . ومن أشهر مصنفاته : شرح كتاب سيبويه ، وأخبار النحاة ، والإقناع – أتمه ولده أبو محمد يوسف بن أبى سعيد – وشرح مقصورة ابن دريد (نزهة الألبا ٣٧٩ ، وتاريخ بغداد ٣٤١/٧ ، وإرشاد ياقوت ١٤٥/٨ ، وإنباه القفطى ٣١٣/١ ووفيات ابن خلكان ١٣٠/١) ومعها رسالة الغفران (٦٣٣ ، ٤٢٤) .

قولُه * يدومُ الفراتُ * فى القولِ الأولِ ، على مِنهاجِ قولِهم : جاءَهم الشوْكُ والشجرُ ، أى جمعٌ كثيرٌ . وإن حملتَه على قولِ بنى كلابٍ ، فهو جمعُ فارٍ ، والفارى القاطعُ على جهةِ الإصلاحِ . ومن ذلك قولُهم : جاء يَفرِى الفَرِىَّ ؛ أى يعملُ عملاً مُحكَماً . وقال «زُهَيرٌ» :

ولَأنتَ تَفْرِى ما خلقتَ وبَعْـ ـضُ القومِ يَخلُقُ ثم لا يَفْرى[١]

وإن شِئتَ جعلتَه جَمْعَ فَارٍ ، من قولكَ : فَرَى الحديثَ يَفرِيه فَرْياً إذا كَذَبه . قال «حُمَيدُ بنُ ثورٍ الهلالىُّ» :[٢]

وليستْ من اللائى يكونُ حَديثُها أمامَ بيوتِ الحىِّ : إنَّ وإنما

أَحاديثَ لا تُغنى فَتيلا وإنمـا فَرَتْ كذباً بالأَمسِ قِيلاً مُرَجَّمَا[٣]

فيكونُ المعنى فى الفألِ : إن هذا الحديثَ المذكورَ عن العدُوِّ كذِبٌ وافتراءٌ .

(277) وقد|| وقاهم[٤] اللهُ صُحبةَ العربِ وتتبعَ المياهِ معهم ، لأَن الباديةَ لو قرُبَ العدُوُّ خذَله اللهُ ، لم يَنزلوا بأَهلِهم إلا فى مَظانِّ الأَمْنِ . ومن منازِلِهم

---

(١) زهير : بن أبى سلمى : (= ١٣٣) من رائيته (الديوان ٩٤) فى مدح هرم بن سنان :

* لمن الديار بقنة الحجر * وهى من مختارات ابن الشجرى وروايته كما هنا (القصيدة ١٧) وفى شواهد المغنى (٢٥٥) : * فلأنت تفرى * . وفى شرح الديوان لثعلب : الخالق : الذى يقدر ويهيئ للقطع .

(٢) حميد بن ثور الهلالى (= ٣٦٥) ، والبيتان من قصيدته الأولى فى ديوانه :

سل الربع أنى يممت أم سـالم وهل عادة للربع أن يتكلما

واختار « المبرد » منها ثمانية أبيات فيما يهيج نوح الحمامة من شجو (الكامل ١٢٤/٣) وانظر شواهد رسالة الغفران (٢٦٣) وحيوان الجاحظ (٦٠/٢) والشعر والشعراء ٣٠٦/١ .

(٣) رواية الديوان للشطر الأول : * أحاديث لم يعقبن شيئاً وإنما * فرت : اختلقت . والقيل : لغة فى القول . والمراجم : الذى لا يوقف على حقيقته ، من : الرجم ، الظن .

(٤) عود إلى الحديث عن الجالين .

« الصُّبَيْرَةُ* » واسمُها مجانِسٌ اسمَ الصبرِ . وفى بعضِ الحديثِ : « لأَنْ أُعَافَى فأَشكُرَ ، أَحَبُّ إلىَّ من أن أُبتَلَى فأَصْبِرَ » والصُّبَيرةُ كثيرةُ الأُسْدِ وكان فيها بَعضَ السِّنينَ أَسَدٌ يُقالُ له « الصُّبَيْرِىُّ » تتناذرُه العربُ لا يقامُ له ، دهاءً وجرأَةً .

وإن حَمَلها على أنها تصغيرُ صَبْرَةٍ ، واحدةِ الصبْرِ ، فكفاكَ ما فى ذلك من المرارةِ ، إلا أنه دواءٌ يُدفَعُ به كثيرٌ من المضارِّ . وقد يجوزُ أن تكونَ الصُّبَيرةُ مَعْنِيًّا بها الصُّبَارةُ ، ثم رُخِّمَتْ ترخيمَ التصغيرِ . والصبَارةُ هى حِجَارةٌ مجتمعةٌ ، وقيل حجارةٌ مُحَدَّدةٌ . وربما قيل هى الحجارةُ قولاً مُطلَقاً . وقيل : الصبارةُ قِطعةٌ من الحديدِ [1] * وكلُّ ذلك قد قيل فى قولِ « عمرِو بنِ مِلْقَط* » :

مَن مُبلِغٌ عَمْرًا بأَن الـــمَرْءَ لم يُخْلَقْ صُبَارَه [2]
وحوادِثُ الأَيامِ لا يَبْـــقَى لها إلاَّ الحِجَـاره

وقد بلغنى أَن حجارةَ « الصُّبَيرةِ » سُودٌ . فإن صَحَّ ذلك فهى مأخوذةٌ

---

(١) الصبارة : ضبطها الجوهرى بضم الصاد ، للحجارة . وفى (ق) الصبارة : الحجارة ، ويثلث . وقطعة من حديد أو حجارة . وبتشديد الراء : شدة البرد ، وقد تخفف .

(٢) أنشده الجوهرى فى (ص ب ر) شاهداً على الصبارة الحجارة . قال : ويروى بالفتح .
والبيتان فى (اللسان : ص ب ر) ونسبا للأعشى ، وضبطت صبارة بالضم . قال « ابن برى » : صوابه صبارة بكسر الصاد ، وأما صبارة بالضم والفتح ، فليس يجمع لصبرة ، لأن فعالا ليس من أبنية الجموع ، والشعر لعمرو بن ملقط الطائى يخاطب به عمرو بن هند ، وكان أخ له قتل عند زرارة ابن عدس الدرامى : وكان بين عمرو بن ملقط وزرارة شر ، فحرض عمرَو بن هند على بنى دارم ، وبعد البيت (وأنشد خمسة أبيات من القصيدة) .

* الصبيرة ، ضبطها « ياقوت » فى معجمه ، بلفظ التصغير من الصبرة ، تصغير الترخيم ، وبالتعريف بأل : موضع بالشام .

* عمرو بن ملقط . الطائى ، شاعر جاهلى فارس ، كان وفاداً على الملوك . من خبره أنه أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أوارة ، فسأله فيهم فأطلقهم له . انظره فى (ذيل الأمالى للقالى ٢٤) .

من أمِّ صَبَّارٍ . وأمُّ صَبَّارٍ الحَرَّةُ . قال الشاعرُ(١) :

بانَ الشبابُ فلستَ الدهرَ لاقِيَه   حتى تعودَ كئيباً أمُّ صَبَّارِ

وقال بعضُهم : أمُّ صَبَّارٍ قُنَّةُ حَرَّةِ بنى سُلَيْم (٢) . فيجوزُ أن يُقالَ : أم صَبَّارٍ ، ثم تُرخِّمُ ترخيمَ التصغير كما يقولُ الشاعرُ : أمُّ عَمَّار ، ثم يقولُ عُمَيْرة .

وجائزٌ أن تنزلَ الباديةَ بِـ « العَوِيرِ* » . وما تصنَعُ الحاضِرَةُ بهذا
(278) الاسمِ ، وإنما هو ||من عَوَرِ العَيْنِ ، أو : عوَّرت المياهَ (٣) ، أو غير ذلك مما يُكرَهُ ؟ وقد يجوزُ أن يأتِيَ الخيرُ والنفعُ من هذه الأسماء ، كما قال « امرؤ القيس* » :

لكنْ عُوَيرٌ وَفَى بِذِمَّتِه   لا عَوَرٌ شانَهُ ولا قِصَرُ(٤)

وقد كان أهلُ هذه البلدةِ تمضى طائفةٌ منهم إذا خرج العدوُّ ، إلى « حَتّى* » يُعصِمونَ بمغارةٍ هنالك . وأعوذُ باللهِ من هذا الرأى . وقد جَرى

---

(١) الشاهد فى (س) لحميد . شاهداً على : سلكوا أم صبار ، وهى الحرة . ورواية الزمخشرى للشطر الأول : * ليس الشباب عليك الدهر مرتجعا * وانظر (ديوان حميد ٩٤)
ونقل « ياقوت » فى (صبار) قول شمر : أم صبار هى الصفاة التى لا يحيك فيها شىء .

(٢) ذكرها « ياقوت » فى (صبار) بفتح أوله وتشديد ثانيه . قال : واسم حرة بنى سليم ، أم صبار ..

(٣) من : العوار ، مثلثة ، القذى والعيب والخلل . وتعوير الماء إفساده حتى ينضب (س) .

(٤) رواية شعراء الجاهلية : * لا عور عابه * وعلى هامشه : ويروى : لا عور شانه ..

* العوير ، بفتح وكسر ، من قرى الشام ، أو ماء بين حلب وتدمر (بلدان ياقوت) .

* امرؤ القيس ، بن حجر (= ١٠٥) من قصيدته فى مدح « عوير بن شجنة بن عطارد ابن عوف . ومن خبره أن هند بنت حجر ، أوت إليه مع قطينها بعد مقتل أبيها ، فلما خاف عليها عوير طمع الطامعين ، حملها وقطينها إلى حيث بلغ بها مأمنها ، وقال : إنى لست أغنى عنك شيئاً وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد برئت خفارتى . فدحه أخوها امرؤ القيس (جمهرة الأنساب : ٢٠٨) .

* حتى : ضبطها ياقوت : مقصور ، بلفظ حتى من الحروف ، ... قال نصر : حتى من جبال عمان أو جبلة . وفى (ق) حتى ، بلفظ حرف الغاية والتعليل : جبل بعمان ، وقرية بعسقلان وهى مضبوطة فى النص ، بكسر الياء ، على الحكاية فى لهجة أهلها ، كما يلى فى السياق .

على اللاجئينَ إلى المَغَايِرِ مالا يجبُ أن يَنسَى أهلُ التجربةِ مِثلَه . وهو كما قال جَلَّ اسمُه :

« فارتَقِبْ يومَ تـأْتى السماءُ بِدُخَانٍ مبين * يَغْشَى النّاسَ هذا عذابٌ أليمٌ »[1] .

و «حتى» إذا حمَلناها على اللفظِ العربىِّ ، وجَبَ أن تَقْلِبَ ياءها ألفاً فتقولَ : حَتَّى ، فى لفظِ الحَرْفِ الذى يُنْصَبُ به الفِعْلُ . لأن الياءَ إذا وقَعتْ طرفاً وقبْلَها فتحةٌ قُلبتْ ألفاً . ألا ترى إلى قولِهم : رَحًى وهُدَى كيف قلَبوا الياءَ فيهما إلى الألف ؟ وكذلك . عُلَّيْقٌ وجُمَّيْزٌ ، إذا رخَّمتَه على لُغةِ مَن قال : يا حارِ ، قلبتَ الياءَ ألفاً فقلتَ : يا عُلا ويا جُما . إلا أن أهلَ هذه البلادِ يقولون : حَتّى ، بالياء . وهذا لا يمتنعُ أن يقالَ على الحِكايةِ . وبنو كلاب يُسمُّونها « الغرفاء » وبعضُ الناسِ يُغَلِّطُ « الجُعْفِىَّ* » فى قوله :

فإن يُقْدِمْ فمَوعدُنـــا سَمَنْدُو وإن يُحجِمْ فموعِدُه الخليجُ[2]

فيقولون : الواوُ إذا وقعَتْ طَرَفاً وقبلَها ضمةٌ وجَبَ أن تُقلَبَ إلى الياء

---

(١) آيتا : ١٠ ، ١١ من سورة الدخان .

(٢) قبله ، فى ديوان المتنبى (١/٢٣٩) :

رضينا والدمستق غـير راض بما حكم القواضب والوشيج

ورواية ابن جنى للشطر الأول : * فإن يقدم فقد زرنا سمندو * وقال فى الشرح : سمندو : هى من بلاد الروم فى أولها . والخليج : نهر قسطنطينية . وسألته – أى المتنبى – لم لم تعرب سمندو ؟ فقال : لو أعربتها لم تعرف .

* الجعفى : المتنبى ، أحمد بن الحسين = ٥٨٣ .

والبيت هو آخر أبيات قصيدة له ، يمدح سيف الدولة ، وهو يسايره ، ومطلعها :

لهذا اليوم بعـد غـد أريج ونار فى العـدو لها أجيج

تبيت به الحواضن آمنات وتسلم فى مسـالكها الحجيج

كما قالوا : أَدْلٍ وأَجْرٍ ، فى جمع دَلْوٍ وجَرْوٍ ، وإنما كان يجبُ أن يقولَ : سَمَنْدَى ، فيقلب .

وليس ذلك بِغَلَطٍ ، لأن الرجلَ حَكَى اللفظةَ كما تستعملُها العامَّةُ .

(279) وإذا حملنا «حتَّى» || على اللفظ العربى ، فاشتِقاقُها من قولِك : حَتَّ الوَرَقَ عن الغُصْنِ ، إذا أذهبَه . ونعوذُ باللهِ من هذا اللفظ . وقال بعضُ العربِ وهو يُقسمُ : لا تركَ اللهُ لى ظِلْفاً يَتبَعُ ظِلْفاً ولا خُفًّا يَتبعُ خُفًّا ونزَعَنى من أهلى وحَتَّنى من مالى حَتَّ الوَرَقِ وكفَأَ إنائى وأكْسَدَ أَيِّمِى وتركَنى أتكفَّفُ ، إنْ كان كذا وكذا . . .

وقد آبَ الذين عادتُهم أن يُضَمِّنوا مُسَقَّفَ الجامعِ [1] ، فوجَدوا المواضعَ التى كانت تُضَمَّنُ ، وهى مُفَوَّهَةٌ بلا أبواب . فأَشْبَهَ كلُّ بيتٍ منها ، ما حكاه «أبو عثمانَ المازنىُّ*» من أنَّ العربَ تُنشدُ قولَ «امرئ القَيس[2]» :

لَعَمْرِى لَسَعْدُ بنُ الضبابِ إذا غَدا أَحَبُّ إلينا منكَ فَا فَرَسٍ حَمِرْ .

---

(١) الضمان : الكفالة . ضمن الشيء وبه – كعلم – ضماناً فهو ضامن وضمين ، كفله . وضمنته الشيء تضميناً فتضمنه عنى : غرمته فالتزمه (ق) .

(٢) الكندى : من قصيدة له فى مدح «سعد بن الضباب الإيادى» سيد بنى إياد وكان قد أجاره ، ويعرض بهانئ بن مسعود بن عامر الشيبانى ، الذى استجار به فلم يجره . وكان هانئ أفوه شاخص الأسنان ، فعيره ببخر الفم .

والشاهد بروايته هنا ، فى الكامل (٣/٢٠١) والصحاح (ح م ر) : الحمر ، بالتحريك سنق يصيب الدابة من الشعر فينتن فوه . وفى (ل) أراد : يا فافرس حمر : أى يا منتن الريح كنتن فم الفرس .

* أبو عثمان المازنى ، بكر بن محمد ، من بنى مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة البكرى (جمهرة الأنساب ٢٩٨) من أئمة نحاة البصرة وعلمائها الرواة الفقهاء . أخذ عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى . وهو أستاذ أبى العباس المبرد . توفى بالبصرة حوالى منتصف القرن الثالث (نزهة الألبا ٧٩ ، وتاريخ بغداد ٧/٩٣ وطبقات القراء ١/١٧٩ وإنباه القفطى ١/٢٤٦ ووفيات ابن خلكان ١/٩٢) ومعها رسالة الغفران ٢٨٣ .

فتحذفُ : لَعمرى ، وتقول : لَسَعْدُ بنُ الضباب[١] ، فتَهدِمُ مَدْخَلَ البَيت وتدعهُ مَبْهًى لا شئ فيه .

وأمَر الوالى ـ أدامَ اللهُ عِزَّه ـ مَن يَنظُرُ فى أَمْرِ الجامعِ بإقامةِ الأبواب . وأراد الناظرُ أن يُجرِىَ الضمانَ فى هذه السَّنَةِ على حالِه فيما سلَف ، فألفَى ذلك متعذِّرا . وليس ينبغى أن تَجرِىَ الأشياءُ على أصولِها فى كلِّ الأوقاتِ ، فربما استُعمِلَ الشئُ على ما يَجِبُ له فى الأَصْلِ فقَبُحَ وأُنكِرَ . ألا تَرى إلى قولِ «امرئ القيس* » :

فإنْ أُمْس مكروباً فيارُبَّ بُهْمَةٍ
كشَفْتُ إذا ما اسوَدَّ وَجْهُ الجَبانِ

وإنْ أُمْس مكروباً فيارُبَّ غـارةٍ
شَهِدتُ على أَقَبَّ رخوِ اللَّبَانِ[٢]

لما استعملَ الخُماسِىَّ الذى قبلَ الضربِ على ما يجبُ له فى الأَصْلِ ، نَفَرتْ من ذلك غرائزُ الناس اليوم ؟ وكذلك قولُ الآخَرِ :

ألَم تسألى عنى إذا القومُ أخبتوا وشَقّقَ أفواهَ القُرادِ المَليلُ[٣] (280)

(١) هذه الرواية ، على الحذف ، ذكرها «المبرد» نقلا عن أبى عثمان المازنى أيضاً . قال : فصحاء العرب ينشدون كثيراً : * لسعد بن الضباب (البيت) وإنما الشعر : * لعمرى لسعد بن الضباب* وسياق الشاهد فى (الكامل) أن الفصحاء العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ، ويحذفون من الوزن علماً بأن المخاطب يعلم ما يريدونه (٣/٢٠١) .

(٢) البيت من شواهد رسالة الغفران (٣٦١) مع أبيات أخرى ، أراد أبو العلاء أن يسأله امرأ القيس فيها : «هل كانت غرائزكم لا تحس بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مغامض الكلام وأنتم عالمون بما يقع فيه ؟.. فإن الغرائز تحس بهذه المواضع» والشاهد من نونيته :

لمن طلل أبصرته فشجـــانى كخط زبور أو عسيب يمان

(٣) المليل : شدة الحر ، أخذ من ملة النار ، وكأنه هاهنا أراد التراب الحار (ض) .

أَلستُ أُعِينُ المستَعينَ على الندى ... وغَيْرِى على الأَصْحابِ عبءٌ ثقيلُ

وإذا استُعمِلَ هذا الوزنُ على غيرِ ما يَجبُ له فى الأَصْل ، حَسُنَ وقبلتْه الغريزةُ . كما قال «امرؤُ القَيْس» :

(١٤٣) فإنْ أمْسِ مَكروباً فيارُبَّ قَيْنةٍ ... مُنَعَّمَةٍ أعملتُها بِكِرَانِ

وكذلك استعملتْه أكثرُ الناس فى الجاهلية . وإنما تردَّدَ كثيرًا فى شِعْر «امرئ القيس» وربما نَدَرَ لِغَيرِه من المتقدِّمين شىءٌ بعدَ شىءٍ من ذلك . فأَما طبقةُ «جَرير*» ومَن بعدَه إلى اليوم ، فلا يَعرِضُ أَحدٌ منهم لاستعمالِ شىءٍ من هذا الوزنِ على الأَصل .

وعَمَدَ الناسُ إلى المواضع التى خَبَئُوا فيها رِحَالَهم ، [1] فوجدوا بعضَها قد اختلط بِبَعضٍ . لأَنهم وضعوها فى حالِ الدَّهشِ والذهولِ . فهم يَتَلاحَوْنَ فى تمييزِها لأَنها مُلتَبِسةٌ كالتباس اللفظ. فى قولِ «الفرَزدق*» :

وما مِثْلُهُ فى الناسِ إلا مُمَلَّكاً ... أَبو أُمِّه حَىٌّ أَبوهُ يُقارِبُه[2]

---

(١) يعنى بالناس : الجالين بعد عودتهم إلى ديارهم التى جلوا عنها فى جفلة الخوف من غزو الروم .

(٢) البيت من قصيدة للفرزدق فى مدح إبراهيم بن هشام المخزومى . (الديوان ١٨) وذكره ابن سلام فى الطبقات ، شاهداً على مداخلة الفرزدق الكلام . وروايته للشطر الأول :

* وأصبح ما فى الناس إلا مملكا *

والمشهور فى البيت ، وهو من شواهد البلاغيين على سقوط فصاحة الكلام بالتعقيد : * وما مثله فى الناس * كما هنا . وهى رواية «المبرد» فى الكامل قال : ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعانى ، قول الفرزدق : (البيت) مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام – المخزومى – وهو خال هشام بن عبد الملك . يعنى بالمملك هشاماً ؛ أبو أم ذلك المملك، أبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام فى موضعه : وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملك ، أبو أم هذا المملك ، أبو هذا الممدوح (الكامل ١/٢٨) . وانظر معه (الموشح ١٠٠ ، ١٢٠) .

وكذلك رواه الجوهرى فى (م ل ك) شاهداً على المملك بمعنى الملك : يقول: ما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملك أبو أم ذلك المملك أبوه . ونصب مملكاً لأنه استثناء مقدم .

* جرير = ١٢٠

* الفرزدق = ١٢٠

فهذا كلامٌ ملتَبِسٌ لأنه موضوعٌ فى غيرِ موضعِه . وتقديرُه : وما مِثلُه فى الناس حَىٌّ إلا مُمَلَّكٌ يقاربُه ، أبو أمِّه أبوه . و« الفرزدقُ »[1] يمدَحُ بهذا البيتِ « إبراهيمَ بنَ هِشامٍ المخزومىَّ* » وكان خالَ « هشامِ بنِ عبدِ الملك » .

وقد جاءتْ أشياءُ فى الشعرِ تُحمَلُ على التقديمِ والتأخير ، فأَما « الفرزدقُ » فمعروفٌ بوَضْعِ الكلامِ فى غيرِ موضعه . ومن ذلك قولُه :

ضلَّتْ أُمَيَّةُ مِنْ سفاهةِ رأيِها فاستجهلت سُفَهاؤها حُلَماؤُها[2]

حَرْبٌ تُسَعَّرُ بينهم بتَشاجُرٍ قد كفَّرتْ آباؤها أبناؤُها (281)

وأنشد « أبو عبيدةَ* » فى كتابٍ له يُعرَفُ بـ (شواذِّ الغريب) :

فأَصبحَتْ بعدَ خَطِّ بَهْجَتِها كأَنَّ خطًّا رسومَها قَلَما[3]

---

(١) رواية ابن سلام فى الطبقات :

تالله قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت سفهاؤها حلماؤها

بالرفع فيهما ، كما هنا . وعلى هامشه من تعليق الأستاذ شاكر : « وسياق الكلام .. فاستجهلت حلماءها سفهاؤها » – ص ٣٠٩ ، وكأنه نظر إلى البيت الذى أنشده ثعلب فى مجلسه ، لشاعر لم يسمه ، وكأنه يرد على الفرزدق :

هيهات ما سفهت أمية رأيها فاستجهلت حلماءها سفهاؤها

والسياق أن تبقى الرواية على أصلها ، برفع « سفهاؤها » على البدل من أمية ، بدل بعض من كل . ورفع « حلماؤها » بالفعل : فاستجهلت . وذلك من الفرزدق ، وضع الكلام فى غير موضعه . وكذلك الرواية بالرفع فى البيت بعده . وانظره فى (مجالس ثعلب : ٧٢)

(٢) برفع آباء وأبناء . وكذلك أنشده فى (ل : كفر) شاهداً على التكفير ، دخول المحارب فى سلاحه » قال ابن برى : رفع « أبناؤها » بقوله : حرب تردد بينهم – تسعر – ورفع « آباؤها » بقوله : قد كفرت آباؤها ، فى السلاح » .

(٣) أنشده فى (ل : خطط) ولم يسم قائله ، وكذلك فى (خص ٢ / ٣٩٣) .

* إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومى ، خال هشام بن عبدالملك بن مروان ابن عبدالحكم ، ومن رجال دولته (نسب قريش ٢٤٦ ، وجمهرة أنساب العرب ١٣٩) .

* أبو عبيدة : معمر بن المثنى = ٢٠٥

والمعنى عنده : فأَصبحتْ – يعني الدارَ – بعد بَهجتِها قفراً كأَنَّ قلماً خطَّ رسومَها [خطًّا] . وهذا شيءٌ لا يجوزُ أَن يكونَ إلا مصنوعاً قد تُعُمِّدَ لإِنشائه . ولولا أَن «أَبا عُبيدةَ» ذكره ، لم أَذكرْه(١) .

وأَمَّا جاليةُ «حلبَ ، حرسها اللهُ» فأَقبلوا وقد ظهر عليهم رونقُ البلدِ وآثارُ الخَفْض . ورفعوا أَصواتَهم بالدعاءِ للسيدِ «عزيزَ الدولة» – أَعزَّ اللهُ نصرَه – وقالوا : إن اللهَ تعالى أَنعم على الرعيَّةِ بهذا السلطانِ ، أَطال الله بقاءَه ، حتى بأَسمائه وصِفاتِه وأَسماءِ أَصحابه ، إذ كان كلُّه فَأْلاً بالسعادةِ لهم ولجميعِ الأَولياءِ :

فَـ «عزيزُ الدولةِ» عِزٌّ في الروَاحِ والغُدُوِّ و «فاتِكٌ» : فَتْكٌ بالعدوِّ .

وخادمُه «صائنٌ*» من صيانةِ الحريمِ .

وكاتبُه «صَدَقَةُ*» فتلك صدَقةٌ مِن كريم ، «أَبو نصرٍ» نُصِرَ به مغلوبٌ ، «الفلاحِيُّ» أَفْلَحَ صاحبٌ ومصحوبٌ . وُجِدَ بخَطِّ «المُفضَّلِ بنِ

(١) البيت من شواهد البلاغيين على سقوط الفصاحة بالتعقيد . وأنشده «ابن جنى» في باب الفروق والفصول من (الخصائص ٢/٣٩٣) وقال «أراد : فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلما خط رسومها ، ففصل بين المضاف : بعد ، والمضاف إليه : بهجتها ، بالفعل خط ، وفصل بالفعل بين أصبحت وخبرها : قفراً ، وفصل بين كأن واسمها بأجنبيين : قفراً ، ورسومها . وأنت لا تجيز : كأن خبزاً زيداً آكل . . . وأغلظ من ذا ، أنه قدم خبر كأن : خط ، عليها . فهذا ونحوه لا يجوز لأحد قياس عليه ، غير أن فيه ما قدمنا من تنطرف الشاعر وعجرفته» .

* صائن ، وصدقة الفلاحى ، أبو نصر بن يوسف : من رجال والى حلب عزيز الدولة فاتك أبي شجاع الرومى ، انظر في (رسائل أبي العلاء) رسالته إلى أبي نصر صدقة بن يوسف الوزير الفلاحى ، يعتذر إليه لما استدناه إلى حضرة عزيز الدولة فاتك ، أمير حلب . ومعها (الإنصاف لابن العديم ٥٧٣)

سَلَمَةَ * » عن « ابن الأَعرابىِّ * » لبعضِ العرب :

ما زِلْنَ يقطَعْنَ مَـلاً وصَحْصَحا حتى وردْن عامِرًا وأَفْلَحَـا

أَسودَ نوبيًّا وسِيجاً أَجْلحَـا ولن ترى مثلَهما مُسْتَنجحَا

أَحْسَنَ فى العَيْنِ معاً وأَمْلَحَا

فلما ساروا عن « حلبَ ، حرسها اللهُ » لَقِيتْهم « الراموسةُ * » فكانتْ فألاً برَمْسِ العَدُوِّ ، أَى دفنِه ، وبِرَمْسِ خبرِه ، أَى إطفائه وإخفائه . قال « لَقِيطُ بنُ زُرَارَةَ * » وهو صريعٌ فى يوم شِعْبِ جَبَلَةَ :

(282)

يا ليتَ شِعرى عنكِ دَخْتَنُوسُ (١)

إذا أَتاها الخَبَرُ المَرْمُوسُ

---

(١) الرجز فى الشعر والشعراء (٦٠٠ بيروت) للقيط بن زرارة ، فى ابنته دختنوس ، كما هنا ، ولكن المرزبانى أورد هذا الرجز فى ترجمة « عمرو بن عمرو بن عدس الدارمى التميمى ، أبى شريح » « قاله لدختنوس بنت لقيط بن زرارة ، وقتل أبوها يوم الشعب » ورواية المرزبانى للشطر الثالث : * أتحلق القرون أم تميس * (معجم الشعراء ٢١٠) . ومثلها رواية ابن الأثير فى (تاريخه الكامل : ٢١٢/١) ، وقد ذكره فى يوم شعب جبلة ، والشعر عنده للقيط بن زرارة ، قاله وهو يتشحط فى دمه عند مصرعه ، وذكر ابنته دختنوس . والأساس (رمس) .

* المفضل بن سلمة ، بن عاصم ، أبو طالب ، اللغوى الراوية ، صاحب الفراء ، لقى ابن الأعرابى واستكثر من الرواية واللغة . وروى عنه الصولى ، والميدانى فى أمثاله . ت سنة ٢٩٠ هـ ومن مصنفاته : البارع ، استدرك فيه على الخليل فى العين . وله فى اللغة أيضاً : الفاخر ، والمقصور والممدود ، والمدخل إلى علم النحو ، والاشتقاق ، وضياء القلوب ، فى معانى القرآن (الإنباه : ٣٠٥/٣ والفهرست ١١٩) والفاخر ، من مراجعنا . ط الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤ م .

* ابن الأعرابى = ٣١٦

* الراموسة : ذكرها ياقوت فى بلدانه : راموسة ، غير محلاة بأل ، وقال : من ضياع حلب ، على فرسخين ، تلقاء قنسرين .

* لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد مناة التميمى ، أخو حاجب ومعبد أبى القعقاع . وأمهم مارية بنت عبد مناة بن مالك الدارمية ، من منجبات العرب اللائى ضرب بهن المثل (أمثال الميدانى : أنجب من مارية ٣٤٩/٢ ولقيط من الفرسان الشعراء ، وكان على الناس يوم شعب جبلة ، وفيه قتل (مؤتلف الآمدى ١٧٥ ، ومعجم المرزبانى ٢٢٢ ، والشعر والشعراء ١٥٩٩ مع الكامل لابن الأثير ٢١٢/١

أَتَحلِقُ الفَوْدَيْنِ أَمْ تميسُ
لا بل تَميسُ إنهـا عَروسُ

«دَخْتَنُوسُ* » ابنةُ لَقيطٍ . وزعمت الرواةُ أنه كان تزوجهَا ، لأنه كان مجوسيًّا دخل مع «كِسرَى* » فى دِينِه .

والراموسةُ : من الرمْسِ فى حُكمِ التصريفِ ، ولا تفتقرُ إلى احتيالٍ لِلفأْلِ ، بل هى جاريةٌ على الاشتقاق ، كما قال الشاعرُ :

مازال معقولا عقالٌ عن النـــدَى ومازال محبوساً عن الخيْرِ حابسُ

ومَرُّوا بِـــ «بُرَيحِ شَبُوصَ* » وإذا حُمِلَ على ما جرى فى : هُدْهُد وهُدًى ، فهو شئٌ بُوصَ . وذلك الشئُ هو الحَتْفُ . ومعنى بُوصَ : سُبِقَ وفِيتَ ، مأْخوذٌ من البَوْصِ وهو السَّبْقُ والفَوْتُ والتقدُّمُ . يقالُ : بِيصَ الرجُلُ . وبُوصَ لغةٌ صحيحة ، إلا أنها لم تأْتِ فى (القرآنِ) وقد حكاها «سيبويه* » ولم يُنشدْ فيها شِعرًا . وذلك أن بعض العربِ يقولُ : قُولَ وبُوعَ ، فى معنى : قيل وبيع . وأَنشدَ «الفرَّاءُ* » .

وابتُذلتْ غضبَى وأُمّ الذيَّالْ

---

* دختنوس بنت لقيط بن زرارة = ٣٢٥ ذكر ابن الأثير فى يوم شعب جبلة ، أسر زوجها عمرو بن عمرو بن عدس ، ومصرع أبيها ، وأنها رثته بقصائد ، أنشد منها البائية :

عــثر الأغــر بخـــير خنـــــدف كهلها وشـــبابهـــا
وأضــــرها لعـــــدوهـــا وأفكهـــا لرقابهـــا
ورئيسها عنـــــــد الملو ك وزين يوم خطابهـــا

والقول بأن زرارة وابنيه حاجباً ولقيطاً كانوا مجوساً ، وأن لقيطاً تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسى ، ذكره ابن الأثير فى تاريخه (الكامل ١ / ٢١٣) ، وفى اللسان (ألك) أن لقيط بن زرارة سمى ابنته باسم بنت كسرى ، قال ابن الأثير : والأول أصح ، والله أعلم .

* سيبويه = ١٩٦
* الفراء = ٣٠٣

وقولَ لا أهلَ لهُ ولا مـالْ

وأَنشدَ «الكسائىُّ*» فى صفَة دَلْو :

مالى إذا أَجذبُهـا صَأَيتُ[1]

أَكِبَرٌ قد غالنى أَم بيتُ

ليتَ وما ينفعُ شيئاً ليتُ[2]

ليت شباباً بُوعَ فاشتريتُ

يُريدُ : بِيعَ . والبيتُ : المرأَةُ[3]

وإذا مَرُّوا بِـ «صَلْدَعَ*» فَبَخٍ بَخٍ : إذا فهمناها على الفأْل فهى : صَلِّ ودَعْ ، أَمْرٌ بالصلاةِ والدعَةِ . يقال : وَدَعَ الرجلُ يَدَعُ ويَدِعُ فهو وادعٌ . فإن شئتَ || كان قولُك : صَلِّ ، من الصلاةِ التى هى ركوعٌ وسجودٌ (283)
وقراءة ، وإن شِئتَ كان من الصلاةِ التى هى دعاءٌ ، كما قال «الأعشى*» : (١٤٤)

تقولُ بِنْتى وقد قرَّبْتُ مُرتحلاً ... يارَبِّ جَنِّبْ أَبى الأَوصابَ والوجَعا

عليكِ مِثلَ الذى صَلَّيتِ فاجتنبى ... لَوْمى فإنَّ لجَنْبِ المرءِ مُضطجعا

---

(١) فى (شرح شواهد المغنى ٢٧٧) – أنشده الكسائى فى صفة دلو : * مالى إذ أجذبها صأيت * وأنشده الفراء – فى المصادر – بلفظ : * مالى إذا نزعتها صأيت * والرواية فى (أمالى القالى ١ / ٢٠): * مالى إذا أنزعتها صأيت * مثلها رواية الجوهرى فى (ب ى ت)، وقال البكرى فى (التنبيه) : هذا الراجز يصف جذبه للدلو . وصأيت ، من قولهم : صأى الفراخ إذا سمعت له صوتاً ضعيفاً ، وإنما يريد أنينه من ثقل الدلو. وانظر (سمط اللآلى ٩٧/١ ، ونوادر أبى مسحل الأعرابى : ١٨٦) .

(٢) فى شواهد المغنى : * ليت وهل ينفع شيئاً ليت * .

(٣) مثله عن الكسائى ، فى شرح شواهد المغنى ، وكذلك أنشده القالى شاهداً على البيت بمعنى الزوجة . وقال الفراء : البيت التزويج ، وعند الجوهرى أن البيت هنا : عيال الرجل .

* الكسائى = ٣٠٣ .

* صلدع : أهملها ياقوت فى بلدانه ، وهى فى تاريخ حلب لابن العديم (٢٠١/٢) على نهر قويق .

* الأعشى ، ميمون = ١١٢ ، ورواية ابن حبيب للبيت الثانى : فاغتمضى * نوما (المحبر ٣٢١) ورواية (الموشح ٥٢) لعجز البيت الأول : * الإتلاف والوجعا *

فيكونُ المعنى : ادْعُ ودِعْ . أى ادعُ أيها الجالى للسيد «عزيزِ الدولةِ» أعَزَّ اللهُ نصرَه - و دِعْ ، من الدعَةِ ، آمِناً فى وطَنِك .

والفـأْلُ فى «صلدَع» على هذا القولِ ، فيه تجنيسُ معنى لا تجنيسُ لفظٍ . وذلك مثلُ قولِ «الشمَّاخ*» :

وما أَرْوَى وإنْ كرُمَتْ علينا ... بأَدْنَى من موقَّفةٍ حَرُونِ
تُطِيفُ بها الرُّمَاةُ وتَتَّقِيهم ... بأَوعالٍ مُعَطَّفَةِ القُـرونِ[1]

فقوله : وما أروى ، ثم قال : بأدنى من موقفة ، يعنى بالموقَّفَةِ واحدةَ الأَروَى ، فكأنه قال : وما أروى بأدنى من واحدة الأَروَى . فهذا تجنيسٌ فى المعنى ، وقد ذكره المتكلمون فى نقدِ الشعرِ .

ويَمُرُّونَ فى قُفُولِهم بـ «كَفْرِ نُورانَ» وإذا قَسمنَاها للفـأل وحَملناها عليه ، فنوران : تثنيةُ نورٍ ، وقال اللهُ تعالى :

«نورٌ على نُورٍ ، يَهدِى اللهُ لِنُورِه مَنْ يَشاءُ»[2]

ولو سَمَّيت رجلا نُورَيْنِ ، لجاز فيه وَجْهان : أَحدُهما أن ترفَعَه فى الرفعِ فتُثبِتَ فيه الأَلِفَ ، وتَنصِبَه وتَخفِضَه بالياءِ ، فتقولَ : جاءَنى نوران ورأيتُ نورَينِ ، ومرَرتُ بنورين .

---

(١) البيتان ، فى (الأمالى) مما قرأه القالى على ابن دريد من شعر الشماخ ، وقبلهما :

كلا يومى طوالة وصـــل أروى ... ظنون ، آن مطرح الظنون

وفى الشرح : الموقفة : الأروية التى فى قوائمها خطوط كأنها الخلاخل . والحرون التى تحرن فى أعلى الجبل فلا تبرحه . يقول : تطيف بها الرماة ودونها أوعال فلا تصل إليها نبلهم . وإنما يؤكد بهذا بعد منالها وأنها لا يقدر عليها (الأمالى ٢ / ٣٠ وانظر معه تنبيه البكرى ، وسمط اللآلى ٢ / ٩٦٣) . والأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعول . جمع القلة أراوى ، والكثير : أروى ، أو هو اسم جمع (ق) .

(٢) من آية النور : ٣٥ .

* الشماخ : معقل بن ضرار = ١٤٥ .

والآخرُ أن تُثبِتَ الأَلِفَ فيه وتُعرِبَ النونَ فتقولَ : هذا نورانُ ، ومررتُ بنورانَ .

وإنما ذكرتُ ذلك لأَنك إذا أَضفْتَ كَفْرًا إلى نُورانَ وفتحتَ النونَ ، فكأَنه اسمُ رجلٍ قد سُمِّيَ بتثنيةِ نورٍ ، أُقِرَّتْ فيه الأَلفُ .

ويجوزُ أَلا تجعلَه اسمًا لرجلٍ وتجعلَه تثنيةَ نورٍ على اللغَةِ || الحارثية ، (284)
كما قال «هُوبَر الحارثى*» :

بِمَصْرَعِ عنا النُّعمانَ يومَ تأَلَّبَتْ   علينا جموعٌ من شَظًى وصَمِيمِ [1]
تزوَّدَ منا بين أُذْنَاهُ ضَربةً   دعَتْه إلى هانى التُّرابِ عقِيمِ

وقال «المتلمسُ*» :

فأَطرقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يرى   مَسَاغاً لِنَاباه الشجاعُ لَصَمَّمَا

ويكونُ هذا القولُ محمولاً على مذهبِ مَن فتحَ نونَ التثنيةِ . وأَنشد «المفضَّلُ» :

إنَّ لِسَلْمَى عندنا ديوانا

---

(١) أنشده الجوهرى فى (ص ر ع) عن يعقوب ، شاهداً على المصرع ، اسم مكان ومصدر ميمى ، وروايته للشطر الثانى : * علينا تميم من شظى وصميم * ومثلها فى (ش ظ ى) شاهداً على شظى القوم ، خلاف صميم ، وهم الأتباع والدخلاء عليهم بالحلف . ورواية السهيلى فى (الروض) كما هنا .

* هو بر الحارثى : من بنى الحارث بن كعب ، أبو يزيد . قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعد ما   قضى نحبه فى ملتقى الخيل هوبرُ

(وانظر الروض الأنف على السيرة ٢٥٤/٣) و (معجم المرزبانى ٤٩٣/ هوبر التغلبى) ؟

* المتلمس = ٣٤٤ ، والبيت من قصيدته ، إحدى مختارات ابن الشجرى ، وقد مر منها شاهد فى ص ٥٩٩ ، يعنى بالشجاع : الحية . وقد سار البيت مثلا : انظره فى أمثال الميدانى ١ / ٤٣١ وروايته : * وأطرق إطراق الشجاع * والبيت فى الشعر والشعراء (١١٣) مع خمسة أبيات من القصيدة ، من مختار ابن قتيبة من جيد شعره المتلمس . ورواه لويس شيخو فى شعراء الجاهلية (٣٣٩/٣) : * مساغاً لنابيه * وعلى هامشه : « ويروى : مساغاً لناباه ، مصحفة » ! مع أن البيت من شواهد النحاة على التثنية بالألف فى النصب والجر ، على اللغة الحارثية .

أَخِّرْ فلانا وابنَـــه فلاناً
كانتْ عجوزًا غَبَرَتْ زمانا
نَصْرانَةٌ قد ولـــدتْ نَصْرانا[١]
أعرفُ منها الجِيدَ والعَيْنانا
ومُقْلَتانِ أَشْبَها ظَبْيانَا

وأنشد «الفَرّاءُ*» لِـــ «حُمَيدِ بنِ ثورٍ*» يَصِفُ القَطاةَ :

على أَحْوَذِيَّينَ استقَلَّتْ عَشِيَّةً فما هِيَ إلا لَمحةٌ وتَغيبُ[٢]

فتَح نونَ أَحوذِيَّين ، وهما الجَناحانِ في هذا البيت .

وقالِ الراجزُ :

أَصبح زِبْنٌ خَفِشَ العينينَه
يَحْلِفُ لا يَرْضَى بنعجتَينه
ياليته يُعطَى دُرَيْهِمَيْنه[٣]

(١) النصرانة ، مؤنث نصران ، والجمع نصارى ، مثل الندامى جمع ندمان وندمانة . لكن الاستعمال جرى على : نصرانى ونصرانية ، بياء النسب (ص) .

(٢) البيت من بائيته (الديوان ص ٥٠) :

مرضت فلم تحفل عليَّ جنوب وأدنفت والممشى إلى قريب

الأحوذيان : مثنى أحوذى ، أنشده الجوهرى فى (ح و ذ) شاهداً على : الأحوذى ، المشمر فى الأمور القاهر لها الذى لا يشذ عليه منها شيء . وقد ضبط فى طبعة المعارف بكسر نون أحوذيين ، والرواية فيه الفتح ، كما هنا ، وهو من شواهد العينى (على هامش خزانة الأدب) على فتح نون المثنى ، لا عن ضرورة ، بل على لغة بنى أسد .

(٣) الخفش : ضيق فى العين وضعف فى البصر ، عن خلقة أو علة ، والأخفش : هو الذى يبصر الشيء بالليل دون النهار ، على التشبيه بالخفاش (ص) .

* الفراء = ٣٠٣
* حميد بن ثور ، الهلالى = ٣٦٥

وزعم أَصحابُ القراءةِ أَن « عبدَ الوارثِ* » ـــ صاحبَ أَبى عمرِو بن العَلاءِ » ـ قرأَ هذه الآيةِ بفتح النونِ :

« أَتَعِدَانَنِى أَنْ أُخْرَجَ وقدْ خَلَتِ القُرونُ مِنْ قبلى »[١]

وقد صَحَّ التفاؤُلُ بِنُورٍ بعد نورٍ ، لأَنَّ الأَمْنَ نورٌ أَولُ ، وقدِمَ قوم ثِقَاتٌ من « مكةَ » فأَخبروا أَن نوراً نزل علىٰ الكعبة ، كان فى هذا العصر آيةً عظيمةً جاريةً مجرى « الفيلِ »[٢] فى الزمان الأَوَّلِ . فهذا نُورٌ ثانٍ .

وإِنْ شئتَ تـأَوَّلتَ || « نورانَ » على أَنه : نورٌ آنَ . (285)

فإِذا رحَلوا عن « سِرْسِينَ » وجعلوا « النَّيربَ* » خلف ظهورهم ، فذلك فأْلٌ بالسلامة من الدواهي المخوفَةِ ، لأَن الداهيةَ تُسَمَّى نَيْرَبا . ويقالُ للنميمة نَيْرَبٌ ، لأَنها داهية . وكذلك يُقالُ لِلنمَّام . قال « سالمُ بنُ وابِصةَ* » :

ونَيْرَبٍ منْ مَوَالِى السوءِ ذى رَحِمٍ ... يقتاتُ لَحْمى ولا يَشفيه من قَرَمِ[٣]

وقال آخَرُ :

فياصَاحِ ما بالُ ذى نَيْربٍ ... بدَتْ لى مقاتِلُه لو رمَيتُ

---

(١) من الآية ١٧ سورة الأحقاف . قرأها هشام : أتعدانى ، بنون مشددة ، والباقون بنونين مكسورتين (تيسير الدانى : ١٩٩) .

(٢) الفيل : فيل أبرهة الأشرم الذى دهم مكة عام الفيل ، ورده الله تعالى عنها ، انظر مع (سورة الفيل) الجزء الأول من السيرة النبوية لابن هشام .

(٣) القرم ، بالتحريك : شدة شهوة اللحم . وقد قرم إلى اللحم ، بالكسر : إذا اشتهاه (ص)

* عبد الوارث : بن سعيد بن ذكوان العنبرى – مولاهم – البصرى . (طبقات القراء ١/٤٧٨) توفى سنة ، ١٨٠ هـ . وانظر أبا عمرو بن العلاء ، فى ص ٥١٩ .

* النيرب : قرب دمشق ، على نصف فرسخ منها ، ياقوت : « فى وسط البساتين ، أنزه موضع رأيته ، ويقال : فيه مصلى الخضر عليه السلام » . والنيرب ، فى (ص ، س ، ل) : الشر والنميمة

* سالم بن وابصة : بن معبد بن مالك بن عبيد الأسدى ، من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة (جمهرة الأنساب ١٨٥) تابعى محدث ، وشاعر حماسى ، (المؤتلف للآمدى ١٩٧ والحماسة ١/٤١٦ ، ٣/٢٤) والأمالى ٢/٢٢٤ .

(١٤٥) وإذا اجتازوا بـ « الصَّرْبةِ * » – والعامَّةُ تقولُها بالسينِ تارةً وبالصادِ أخرى – فإن كانت بالسينِ فهي من قولك : سَرَبَ في حوائجِه بالنهارِ .
كما قال تعالى : « وسَاربٌ بالنهارِ » (١) .

أي اسربوا في مآربِكم آمنينَ .

وإن كانتْ بالصادِ ، فهي واحدةُ الصَّرْبِ من اللبن . واللبَنُ طيِّبٌ مبارَك فيه . أليس في الحجَرِ الموجودِ في أساسِ الكعبةِ لَمَّا كشفتْ قريشٌ عن أساسِ « إبراهيمَ عليه السلامُ » : « أنا اللهُ ذو بَكَّة ، خلَقتُها يومَ خلَقتُ السمواتِ والأرضَ ، وباركتُ لأهلِها في اللحمِ واللبَنِ » ؟ والأحاديثُ في فَضْلِ اللبَنِ كثيرة .

وإن شئت كانت من : صَرَبَ ، أي جمَع . والمعنى : اجمعوا يا رَعِيَّة لأهلِكم ما يُصلِحُهم بتوفيقِ اللهِ

وإنما مثَلُ أعمالِ « السيِّدِ عزيزِ الدولةِ » – أعزَّ اللهُ نصرَه – مثلُ الدوائرِ الخَمْسِ التي تجمعُ أوزانَ الشعر :

فالأولى : « حلبُ ، حرسها اللهُ » ، وهي دارُ المملكةِ .

والثانيةُ « معرةُ النعمانِ » وما كان مثلَها .

والثالثةُ « كفرُ طابَ وحماةُ » وما كان مثلَهما .

والرابعةُ « حِمْصُ » وإنما شبَّهتُ الرابعةَ بحِمْصَ لأنها بلدٌ عظيمٌ فيه عامرٌ ودامرٌ . وكذلك هذه الدائرةُ ، هي واسعة تشتمِلُ على أجناسٍ كثيرة

---

(١) من الآية ١٠ (سورة الرعد) وتمامها : « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » .

* الصربة ، بالصاد والراء المهملتين (انظرها في بلدان ياقوت) والصرب ، وبالتحريك : اللبن الحامض . واحدته صربة .

|| منها مستعمَلُ ومنها مُهمَلٌ. والمستَعمَلُ منها مِثلُ العامِرِ من «حِمْصَ» والمُهمَلُ (١٤٦)
منها مِثلُ الدامِرِ.

والخامسةُ مِثلُ «جُوسِيَةَ*» وما كان مثلها ؛ لأنها دائرةٌ صغيرةٌ فيها جنسٌ واحدٌ.

وإنما شبَّهتُ أعمالَ «السيِّدِ عزيزِ الدولةِ» – أعزَّ اللهُ نَصرَه – بهذه الدوائرِ، لأنَّ أجناسَ كلِّ دائرةٍ لا يُمكِنُ أن تَحُلَّ فى الدائرةِ الأخرى. ألا ترى أن أهلَ «مَعَرَّةِ النعمانِ» وغيرَهم لَمَّا دخلوا إلى «حلَبَ، حرسها اللهُ» نادى مُنادِى السلطانِ بخروجِهم إلى أوطانِهم ؟ وما كان مَثَلُنا فى هذه الجولةِ إلا بيتَى «الهُذَليةِ*» اللذين فى آخرِ الرائيةِ – وإن شئتَ فقُلْ: الراويَّةَ، فإن الوجهين جائزانِ – وأنا أذكرُ الأبياتَ لأنها تُشابِهُ الذى نحن فيه من قلَّةِ الماءِ ونُكُوزِ المعينِ[1].

قالت «قُرَيبةُ الهُذَليةُ»:

أَلم تَرَنا عَزَّنا ماؤنا سِنينَ فظَلْنا نَكدُّ البِثارا[2]

(١) نكزت البئر، كنصر وفرح: فنى ماؤها، فهى ناكز ونكوز – بالفتح – ج نواكز. ونكز الماء نكوزاً، بالضم: غار (ق).

(٢) هذه القصيدة الرائية أيضاً، ليست فى المجموع من ديوان (أشعار الهذليين) ط دار الكتب المصرية. والبيت التاسع أنشده ابن جنى فى (خص) ١/٥١٨) لامرأة من العرب لم يسمها.
عز الشىء، إذا قل، والعزاء: السنة الشديدة. والبثار: جمع بئر، للكثير.

* جوسية: ضبطها ياقوت فى بلدانه: بالضم فالسكون وكسر السين المهملة وياء خفيفة: قرية من قرى حمص، على ستة فراسخ منها، من جهة دمشق. ونبه على قول البلاذرى: جوشية حصن من حصون حمص. فقال: «يحتمل أن يكون من أرض حمص وأن يكون من غيرها، أما التى بأرض حمص فهى بالسين المهملة وياء خفيفة، بلا ريب».

* الهذلية: فيما يلى أنها قريبة الهذلية، ولم أجدها فى شعراء الهذليين، الذين ليس لهم بينهم سوى شاعرة واحدة هى «جنوب أخت عمرو ذى الكلب» – ديوان الهذليين ٣/١٢٤)، وانظر فى أعلام الصاهل والشاحج ص (٢٩٦) عمرة الهذلية.

فلما غــزا الماءُ أوطانَـــه وجفَّ الثِّمادُ فصارتْ حِرَارا(١)
وعَجَّتْ إلى ربِّهـــا فى السما ءِ رؤوسُ العِضَاهِ تناجى السِّرارا(٢)
وفتَّحت الأَرضُ أفواهَهـــا عجيجَ الجِمال ورَدْن الجِفارا
لَبِسنا لــدى وطنٍ مَــرَّةً على ذاك أثوُبنـــا والإزارا(٣)
وقلنا أعِيروا النَّـــدى حَقَّـــهُ وصبرَ الحِفاظِ ومُوتوا خيارا
فإن النــدى لَعَسَى مَرَّةً يَرُدُّ إلى أهله ما استعــارا
فبِتْنَـــا نوطِّـــنُ أحسابنا أضاءَ لنـــا عارضٌ فاستنارا(٤)
(286) || وأقبل يزحفُ زحفَ الكسير سياقَ الرِّعَاءِ البِطاءِ العِشارا
ترى البرقَ يضحَكُ حا فاته خلالَ الغمامِ ويبكى مرارا
كأنـــا أضاءتْ لنـــا حُرَّةٌ تـأَزَّرُ طوراً وتلقى الإزارا(٥)
فلمَّـــا ظنَنَّـــا بأَنْ لانجاءَ وألا يكونَ قـــرارٌ قـــرارا
أشارَ لـــه آمِـــرٌ فوقَـــه هَلُمَّ ، فأَمَّ إلى ما أشارا

* * *

(١) الثمد : الماء القليل الذى لا مادة له . اقتصر عليه الجوهرى ، وفى (القاموس) . الثمد ، ويحرك ، وككتاب . وعلى هامشه « قوله ككتاب ، قال شيخنا : ظاهره ، بل صريحه ، أنه مفرد كالثمد . وصرح غيره بأنه جمع ثمد ، المفتوح أو المحرك . والقياس لا ينافيه . قلت : ويعضده كلام أئمة الغريب : الثماد الحفر يكون فيها الماء القليل (شارح) .

والحرار ، جمع حرة : أرض سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(٢) العج ، والعجيج : رفع الصوت . والعضاه : كل شجر يعظم ولا شوك . واحدتها عضاهة ، وعضهة ، وعضة ، بحذف الهاء الأصلية ، كما حذفت من الشفة – واحدة الشفاه –وتصغر على عضيهة(ص)

(٣) الأثؤب : جمع قلة للثوب ، واحد الأثواب والثياب ، ذكره الجوهرى غير مهموز الواو على القياس ، وقال : وبعض العرب يقول أثؤب ، فيهمز لأن الضمة على الواو تستثقل ، والهمز أقوى على حتمالها ، وأنشد قول الراجز : * لكل دهر قد لبست أثؤبا *

(٤) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٥) تأزر : تتأزر ، المضارع من تأزرت ، أى تلبس الإزار .

فيقدرُ اللهُ سبحانه على أن ينطقَ الثعلب فيقولَ :

إنى سمعتُ أخبارُ زعيمِ الرومِ فوجدتُها مختلفةً . إلا أنه قد نَهَدَ عن كرسىِّ مُلْكِه وقرُبَ من بلادِ المسلمين . وهو فى ذلك يُخفى أخبارَه ويضبطُ المسالكَ ويقطعُ السبُلَ . وليست هذه أفعالَ الملوكِ ، إنما هى أفعالُ المتلصِّصين والخُرَّابِ[1] ، كما قال الراجزُ فى صفةِ الذئب :

هو الخبيثُ عينُه فُرارُه[2]
أَطلسُ يُخفى شخصَه غُبارُه
فى فمِه شَفْرَتُه ونـــارُه
بَهْمُ بنى مخارقٍ مُزدارُه

(١٤٧) ||ولعله لو حصل فى أرضِ المسلمين ، لكان من الحذَرِ كما قال «حُمَيدٌ» فى صفةِ الذئبِ – وأنا أذكرُ الأبياتَ لمكانِ البيتِ الواحدِ ، كما ذكرتَ أيها الشاحجُ أبياتَ «قُرَيبةَ» لأجلِ البيتين الآخرَين – وأبياتُ «حُمَيْدٍ*» :

(١) الخراب : جمع خارب – مثل فجار وفاجر – وهم اللصوص . ونقل فيه الجوهرى : قال الأصمعى : الخارب هو سارق البعران خاصة . تقول منه : خرب فلان بإبل فلان ، يخرب خرابه . والرجز شاهد عليه .

(٢) أى : يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره لتعرفه ، ومنه قولهم : « إن الجواد عينه فراره » – بضم الفاء وقد تفتح – يغنيك عن أن تختبره وتفر أسنانه لتعرف عمره (ص) .ومزداره ، يعنى مقصده ومتجه زيارته . والفعل ازدار ، افتعل من الزيارة . ورواية الجاحظ فى البيان (١٣٧/١) :

أطلس يخفى شخصه غباره   فى شِدقه شفرته وناره
وهو الخبيث عينه فراره   بهم بنى محارب مزداره

* حميد : بن ثور الهلالى = ٣٦٥ . والأبيات هنا – مع خلاف يسير فى الرواية – من قصيدة له يصف ذئباً وامرأة ، أبياتها عشرون فى (ديوانه ص ١٠٣) ومطلعها :

ترى ربة البهم الفرار عشـــــية   إذا ما عدا فى بهمها وهو جائع

وفى (الشعر والشعراء ٣٠٨) ثلاثة عشر بيتاً ، مما يستجاد من شعر حميد . وكذلك اختار ابن سلام أبياتاً من هذه العينية ، فى ترجمة حميد .

أأن نالَ من بَهْمِ البخيلةِ غِرَّةً ... على فاقةٍ إن نالها وهو جائعُ(١)
لَحَتْه ، ولو كان ابنَها فرحتْ به ... إذا هبَّ أرواحُ الشتاء الزعازعُ
(287) ‖ إذا ماغــدا سارتْ عليه غَيابَةٌ(٢) ... من الطيرِ ينظُرْن الذى هو صانعُ
تَرى جانبيه يغْسِلانِ كِلاهما(٣) ... كما اهتز عُودُ السَّاسَمِ المتتَابعُ
ينامُ بإحــدى مُقْلتيه ويتَّقِى(٤) ... بأخرى المنــايا فهو يقظانُ هاجعُ
خفيفُ المِعَى إلا مَصِيرًا يَبُلُّهُ(٥) ... دمُ الجوفِ أو سُؤْرٌ من الحوضِ ناقعُ
وإن بات وحْشاً ليلةً لم يَضِقْ بها(٦) ... ذراعاً ولم يُصبِحْ لها وهو خاشِعُ

(١) هذا البيت والبيتان بعده ، مطموسة فى (ف) من تآكل المخطوط ، وما هنا من نسخة (ض)
(٢) فى الشعر والشعراء : * إذا ما عدا يوماً رأيت ظلاله *
والغيابة من الطير : ما إذا مر بالقوم أظلهم ، تشبيه بالغيابة من السحاب (ض) .
(٣) فى الشعر والشعراء : * ترى طرفيه .. *.
(٤) هذه هى الرواية المشهورة ، ومثلها رواية الديوان والمرتضى فى أماليه ، والبغدادى فى الخزانة ، وابن قتيبة فى الشعر . والبيت فى طبعة الذخائر من طبقات الشعراء :
ينام بإحدى مقلتيه ويتق المنــــا ... يا بأخرى . .
(٥) المصير : المعى (ض) وفى الصحاح أنه فعيل من : مصر ، والجمع مصران مثل رغيف ورغفان ، والمصارين جمع الجمع . وقال بعضهم فى مصير : هو مفعل من : صار إليه الطعام ، وإنما قالوا – فى الجمع – مصران ، كما قالوا فى جمع مسيل الماء مسلان . والسؤر : بقية الماء فى الحوض .
(٦) فى ض [وإن بات وجسا] بالجيم والسين المهملة ، وعلى طرته : الوجس : الذى فى نفسه شىء من الخوف . وما هنا ، من (ف)
والبيت أنشده الجوهرى فى (وح ش) – لحميد يصف ذئباً – شاهداً على : بات فلان وحشاً ، أى جائعاً . وبتنا أوحاشاً ، وقد أوحشنا ، نفد زادنا ، وأنشده الزمخشرى فى (الأساس : وحش) شاهداً على : باتوا أوحاشاً ، جوعاً . وأوحش الرجل وتوحش : جاع . وبات موحشاً ومتوحشاً ووحشاً .

وإنما أردتُ البيتَ الذى قافيتُه : هاجعُ .

فإن صَحَّ ما يُحدِّثُ الناسُ عنه ، فهو كما قال «أبو زُبَيد الطائى*» فى صفةِ الأسد :

كأَنَّ بِنَحْـرِه وبِمَنْكِبَيْـهِ عبيرًا بات يَعبَره عروسُ(١)
فباتوا يُدْلجـونَ وبات يَسْـرى بَصِيرٌ بالدُّجَى هادٍ هَمُوسُ(٢)
إلى أنْ عرَّسُوا فأَبَنَّ منهم قريباً ما يُحَسُّ لـه حَسِيسُ(٣)
خَلا أن العِتَاقَ من المطـايا أَحَسْنَ به فهنَّ إليه شُوسُ(٤)

ولو كان آخِذًا بأَخلاقِ الملوكِ ، لكان كما قال «الذبيانى*» :

لا يَخفِضُ الرِّزَّ عن أَرضٍ أَقام بها
ولا يَضِلُّ على مِصْباحِه السارى(٥)

وكما قال «اليَشْكُرِىُّ*» :

(١) الأبيات فى (شرح أدب الكاتب : ١٣٥) لأبى زبيد ، يذكر قوماً يسرون .

(٢) والإدلاج : سرى الليل كله . هاد : مهتد إلى الطريق . والهموس : الخفى الوطء الذى لا يسمع لوطئه صوت .

(٣) عرسوا : نزلوا آخر الليل . أبن : أقام .

(٤) البيت فى (الخصائص ٢ / ٤٣٨) بمثل روايته هنا ، أنشده ابن جنى ، فى (تحريف الفعل) شاهداً على ما جاء من المضاعف مشبهاً بالمعتل ، فى قولهم ظللت وأحسست : ظلت وأحست ، على التشبيه بـ : خفت وأردت . وهذا كله لا يقاس عليه . ورواه القالى فى أماليه (١ / ١٧٦) والجوهرى فى (حسا) * حسين به فهن إليه شوس * . حسيت الخبر ، وأحسست به وحسست به . وشوس : جمع أشوس ، والأنثى شوساء ، من الشوس ، بالتحريك : النظر بشق العين أو بمؤخرها . وفى (س) : هو أن يصغر عينه ويضم الأجفان .

(٥) رواية الديوان : * لا يخفض الرز عن أرض ألم بها * وفى شرحه : الرز : الصوت . وهو فى (ص ، س) الصوت الخفى ، أو الصوت يسمع من بعيد .

* أبو زبيد الطائى : حرملة بن المنذر = ١٧٥
* الذبيانى ، النابغة = ١٧٨ يمدح ملك غسان .
* اليشكرى : الحارث بن حلزة = ٣١٤ . من معلقته .

=

لم يَغُـرُّوكم غـرورًا ولكنْ يرفعُ الآلُ جَمْعَهمْ والضَّحاءُ[١]

ولعله[٢] لو ظهر إلى هذا الإقليمِ حتى يوقَفَ جيشُه بالجرِّ ، لَضَمَّه الشاكلُ إذا خُفِضَ بعد الرفعِ ، ونُصِبَ وهو مكسورٌ مجرور ، ونُصِبَ وهو مرفوع . وذلك بفتحِ الفتَّاحِ ؛ و لَأُضجِعَ الخافضُ على الحالِ قبل المصدرِ ،وكثُرتْ النُّدْبَةُ فى منازلِ جنودِ الطاغيةِ ، وعجزوا عن النداءِ والترخيمِ ووقع التمييزُ من غير استثناءٍ ، وتفرَّق أمرُهم بتصريفٍ وإدْغامٍ . (288)

وهذه ألفاظ ألغزتُها عن النحويين .

فأردتُ بقولى : يوقَف جيشه بالجرِّ ، فعلَ ما لم يُسَمَّ فاعلهُ ، من قولِك ، وُقِفَت الدابةُ .

وأردتُ بالجرِّ أَصلَ الجَبَل ، كما قال الشاعر[٣] :

كم ترى بالجَـرِّ من جُمجُمَةٍ وأَكُفٍّ قـد أترَّتْ وقُلَلْ

وأردتُ بالشاكلِ ، الذى يَشكُلُ يدَ الأسيرِ إلى رجلِه .

وأردتُ بالضمِّ أنه يَضُمُّ بعضَ الأسيرِ إلى بعض .

---

(١) رواية الزوزنى فى (شرح القصائد السبع) للشطر الثانى : * رفع آل جمعهم * وفسره : الآل ما يرى كالسراب فى طرفى النهار . والضحاء بعيد الضحى . والمعنى : لم يفاجئوكم ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع أشخاصهم إليكم .

(٢) الضمير لطاغية الروم . والإلغاز هنا بمصطلح النحويين ، وسيفسره أبو العلاء فيما يلى .

(٣) الشاعر ، عبد الله بن الزبعرى ، والبيت من لاميته فى يوم أحد ، قبل أن يسلم ، وأولها :

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

وهى فى (السيرة لابن هشام ٣/١٤٣ ، وتاريخ الطبرى : حوادث يوم أحد) ونقلها السيوطى فى (شرح شواهد المغنى ٢٨٧) مع رد « حسان بن ثابت » عليها .

أترت : قطعت بالسيف وقلل رؤوس (ف) والرواية المشهورة ، فى (السيرة وتاريخ الطبرى وشرح الشواهد : * وأكف قد أترت ورجل * جمع رجل .

وأردتُ بقولى : فخُفِضَ ، أى وُضِعتْ منزلتُه . لأن أصحابه كانوا يرفعونه .

وأردتُ بقولى : نُصبَ ، أى صُلِبَ ، أو أُظهِرَ قائماً للناسِ . من قولِك : نَصبتُ العُودَ فى الأرض . والمكسورُ : المهزومُ . من قولِكَ : كسَرْتُ الجيشَ . والمجرورُ : المسحوبُ .

وقولى : نُصِبَ وهو مرفوعٌ ، أى صُلِبَ فرُفِعَ على الجِذعِ . وذلك بفَتْحِ الفتاحِ ، أى بنَصْرِ اللهِ تعالى « وهو الفتَّاحُ العلِيمُ »(١) والفتحُ يكونُ فى معنى الحُكمِ وفى معنى النصْرِ . والقاضِى يُسمَّى الفتَّاح ، والاسمُ الفُتاحَةُ . قال الشويعِرُ ، واسمه « محمد بنُ حُمرانَ الجُعفى* » :

مَنْ مُبلِــغٌ عُصماً بأَنّى عن فُتَاحَتِكمْ غَنِى(٢)

---

(١) من آية ٢٦ : سورة سبأ .

(٢) اختلفت الروايات فيه : فى الأمالى (٢/٢٨١) رواه القالى من إنشاد ابن الأنبارى ، ولم يسم قائله : ألا أبلغ بنى عصم رســـــولا فإنى عن فتاحتكم غنى

ورواه الزمخشرى فى (الأساس : ف ت ح) : * ألا أبلغ بنى وهب رسولا * ولم يسم قائله . وكذلك الجوهرى فى (رس ل) وروايته : * ألا أبلغ بنى عمرو رسولا * أنشدوه شاهداً على الفتاحة : أى الحكمة فى القضاء واستأنسوا له بقوله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » وعن الفراء : وأهل عمان يسمون القاضى الفتاح . والرسالة الرسول . على أن البكرى فى (التنبيه على أوهام القالى) قال : والبيت لمحمد بن حمران الشويعر الجعفى وإنما الرواية :

أبلغ بنى عصم فــــإنى عن فتاحتكم غنى
لا أســـرق قلت ولا خـــالى لخـــالك مقتوى

بنوعصم : رهط عمرو بن معد يكرب . وهذا الشعر من الضرب السادس من الكامل ، وهو المرفل ، وأضاف « الميمنى » فى سمط(اللآلى ١ /٩٢٧) ثم وجدته لمحمد بن حمران فى (الحماسة الصغرى لأبى تمام٣٦) برواية : أبلغ بنى حمـــــران أنى عن عـــــدواتكم غنى

قلت : والبيتان فى (إصلاح المنطق لابن السكيت ١٨٨/١) بالرواية التى فى تنبيه البكرى ، عدا كلمة « بلغ . . .

* الشويعر ، محمد بن حمران بن أبى حمران الحارث بن معاوية الجعفى ، من بنى حريم بن جعفى ، =

لا عَمَّتِى أَمَةٌ ولا خالى كخالكَ مُقْتَوى

وهذا الشويعرُ جاهلى . وهو أحدُ من سُمِّى محمدًا فى الجاهلية .

(289) وقولى : لَأُضْجِعَ || الخافِضَ على الحالِ ، أى شُدَّ فظلَّ على جنبه . والخافضُ الذى كان فى خَفْضٍ من العَيشِ . على الحالِ ، أى : يطالبُ بفدائه لأَن له حالا ، فقد أُضجعَ لِيُطالَبَ بالحالِ . وفيه وجهٌ آخرُ : وهو أَن يكونَ أُضجعَ ، أى قُتِلَ فوقَع على الحالِ . والحالُ الحَمْأَةُ ، ويقال للرَّمادِ حالٌ أيضاً ، قال الشاعر (١) :

(١٤٨) || وكنا إذا ما الضيف حلَّ بيوتَنا سفكْنا دِماءَ البُدْنِ فى تُرْبةِ الحال

وبعضُ النحويين يُسمِّى الخَفْضَ : الإِضجاعَ .

والمصدرُ : المَفْعَلُ ، من قولك : صدر إِلى أهلِه مصدرا .

والنُّدْبةُ ، أردتُ بها نُدبةَ الميِّتِ .

وعجزوا عن النداء ، أى لا يَقْدِرون مما نزل بهم أن ينادوا ، ولا يُرَخِّمون لأَنهم إما قتلى وإما أَسْرَى ، فقد ضعُفوا عن الكلامِ ، والرومُ لسانُهم يونانىٌّ أَو قريب من اليونانى . وقد جاءَ الترخيمُ فيما يزعمُ الذين فسَّروا رسالةَ «فُورْفويُوسَ* » فى لسان اليونانية . ولذلك ذكرتُه فى هذا الموضعِ .

= من سعد العشيرة بن أدد . شاعر جاهلى قديم ، ذكر الآمدى والجوهرى أن « امرأ القيس » أرسل إليه يبتاع منه فرسه — واسمها حريم — فامتنع ابن حمران وهجاه ، فقال امرؤ القيس :

أبلغا عنى الشويعر أنى عمد عين نكبتهن حريما

ومحمد بن حمران ، من شعراء الحماسة ، وأحد من سموا فى الجاهلية محمداً (المؤتلف ١٤١ ، والأمالى ٢٨١/٢ ، والسمط ٩٢٧) .

(١) أنشده ابن هشام فى (السيرة ١٨٧/٢) ولم ينسبه. وفسر الحال بالطين خالطه الرمل .

* فورفيوس : من فلاسفة الأفلاطونية الحديثة ، وكان من أهل مدينة صور ، شرح فلسفة أستاذه أرسطو ، وفسر مقولاته واشتهر عند المسلمين بكتابه (إيساغوجى) فى المدخل إلى علم المنطق ، والمدخل إلى القياسات الحملية ، نقل أبى عثمان الدمشقى ، (فهرست ابن النديم ٣٥٤) .

والتمييزُ ، أى مُيِّزَ بعضُهم عن بعضٍ بإسارٍ ، ففُرِّقَ بين الأَخوين ، وبين الأَبِ والولَد .

والتصريفُ ، من قولِك : صَرَّفتُ الأَمرَ تصريفاً .

والإدغامُ ، إدخالُ الشىء فى الجَوَالِقِ[1] ، كأَنَّ هؤلاء القومَ أُدْخِلوا فى جُملةِ المسلمينَ فأُدغِموا فيهم كما يُدغَمُ الحرفُ فى الحرفِ . والأَصلُ فى الإدغام إدخالُ شىء فى شىء . ومن ذلك يقالُ : أَدْغَمتُ الفرسَ فى اللِّجام . قال « الهُذَلى » * :

* جُرْدٍ إذا فزِعوا أُدْغِمنَ فى اللُّجُمِ *[2]

* * *

وقد ذكرتُ رأىَ العربِ فى الطيَرةِ والفأْلِ ، وأنهم تارةً يحملونها على ما يوجِبُه الاشتقاقُ ، وتارةً على ما يوجِبُه اللفظُ المُتقارِبُ . وإنما هو ظنٌّ وتوهُّمٌ . قال بعضُ الشعراء :

كتبتُ إليه هل تُحِبُّ زِيارتى
فوقَّعَ : لا ، خوفَ الرقيبِ المُصَدَّقِ
فأيقنتُ من « لا » بالعِناقِ عِيَافَةً (290)
كما اجتمعت لا ، ثم لم تتفرَّقِ

وأُريدُ أن أَذكُرَ أشياءَ ، على الفأْلِ للمسلمين ، والطِيرَةِ للعدُوِّ إن شاء اللهُ ، فأَقولَ :

---

(١) الجوالق ، والجواليق : جمع جوالق ، الوعاء المعروف – ضبطه فى (ق) : بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها ، وضبط الجمع : كصحائف .

(٢) الهذلى : ساعدة بن جؤية = ١٤٢ وصدر البيت : * بمقربات بأيديهم أعنتها *
وفى شرحه : أدغمن : أدخلت رؤوسهن فى اللجم ، وهو من ميميته التى مطلعها :
يا ليت شعرى ألا منجى من الهرم   أم هل على العيش بعد الشيب من ندم
(ديوان الهذليين /١٩١١) .

إن هذا الطاغيةَ إن أخذ طريقَ «مَرعَش*» فقسَّمناها شطرين وحملناها على قصةِ هُدَى وهُدهد ، وعلى قولِ بعضِ الناسِ فى عِطرِ «مَنْشَمَ*» أنه : مَنْ شَمَّ ؛ فإنَّ شَطرَها الأَولَ من قولِك : مَرَّ فلانٌ وذهب ، أى مات وهلك . وعَش ، مقاربةٌ لَفظَ : عَشَّ الشجَرُ ، إذا يَبِسَ ورقُه وقصُرَتْ أغصانُه . قال «ابن هَرْمَةَ*» :

وما شجَراتُ عِيصِكَ فى قُرَيْشٍ بِعَشَّاتِ الفروعِ ولا ضِحَاحِ[1]

يقال : شجرةٌ عَشَّةٌ ، وشجراتٌ عشَّاتٌ ، الكثيرة العِشاشِ . وكأنه

---

(١) المشهور فى هذا البيت ، أنه لجرير . وهو فى ديوانه من قصيدته الحائية فى مدح عبدالملك ابن مروان : * أتصحوأم فؤادك غير صاح * وقد ذكره الجوهرى لجرير فى (ع ش ش) شاهدا على : شجرة عشة ، دقيقة القضبان لئيمة المنبت . وقال فى (ع ى ص) : العيص الشجر الملتف والمنبت والأصل . والأعياص من قريش ، هم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . وأنشد البيت لجرير أيضا فى مادة (ض ح ا)

وكذلك أنشده الزمخشرى فى (س) لجرير ، شاهدا على العيص : الأصل . وأصل العيص منبت خيار الشجر .

* مرعش : ضبطها ياقوت : بالفتح فالسكون والعين مهملة مفتوحة وشين معجمة ، وقال : مدينة فى الثغور بين الشام و بلاد الروم لها سوران وخندق ، وفى وسطها حصن يعرف بالمروانى بناه « مروان بن محمد » ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة ، و بها ربض يعرف بالهارونية .

* منشم بكسر الشين فى (ص) عن الأصمعى ، وقال : اسم امرأة كانت بمكة عطارة ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها فكثرت القتلى فيما بينهم .

وذكر « الميدانى » فى أمثاله ، أنهم كانوا إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم فى عطرها وتحالفوا بألا يولوا الأدبار أو يقتلوا فيقال : دقوا بينهم عطر منشم ، إيذانا بالحرب . ومنه قول زهير * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم * وضرب به المثل فى الشؤم والشر الضارى فقيل : بينهم عطر منشم ، وأشأم من عطر منشم

* ابن هرمة : اسمه إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة . . . من قيس بن الحارث ابن فهر (ف) = ٤٦٨ .

و إبراهيم ، أبو إسحق اشتهر بنسبه إلى جده الثالث هرمة بن الهذيل بن الربيع ، من الخلج وهو قيس بن الحارث بن فهر (جمهرة الأنساب ١٦٧) وهو من شعراء الدولتين ، و بقية الفصحاء ، وشعراء الحماسة : وانظر مع (الشعر والشعراء ٢/٦٣٩) الأمالى / ١٤٨ والسمط ٣٩٨ والأغانى ٤/١٠١ وأعلام الغفران .

يصيرُ : مَرَّعَشٌ ، أى هَلَكَ شيخٌ مثلُ الشجرةِ العَشَّةِ .

وإنْ أخذ طريقَ «طَرسُوسَ *» فحَملناها على ما تقدم ، فإن الحَرْفَين الأَوَّلين منها يُشابِهانِ لفظ . : طَرَّ النبتُ ، إذا ظَهر ، وطرَّ شاربُ الغلامِ فى أولِ ما يَنبُت ، وكذلك وبَرُ البعيرِ وغيرِه . قال «ذو الرمةِ *» :

ترى كلَّ مَلْسَا بالسَّراةِ كأنَّمــا
كسَاها قميصاً من هَراةَ طرورُها[1]

والسوسُ ، تنزلُ بها البادية ، وهو ينبتُ كثيرًا بين «الرَّقَّةِ وبالِسَ*» والمعنى : ظهر سوسٌ يابادِيةُ فانزلوا به وأَرْعُوه ماشيتَكم وحُشُّوا به نيرانَكم .

ولو كنتُ أعرفُ منازلَه التى وراءَ الدَّرْبِ ، لَحمَلتُ بعضَها على الفـأْل . إلا أن قولهم : «الفَلَمين*» يؤدى قولَكَ : إلْفُ لِمَيْنٍ ، أى لِكَذِبٍ . فالمعنى : أن هذا الرجلَ يـأْلفُ الكذبَ .

وإنْ مَرَّ فى طريقهِ بِـــ «الحَدَثِ*» فالبيتُ السائرُ[1] :

(١) فى شرح الديوان (٣١٠) : السراة الظهر ، وهراة اسم بلد . والطرور : الوبر الجديد :

وعلى هامش (ف) : ناقة ملساء الظَهر ، لا شعر عليها كأنما قد أكلت الربيع فسقط الريش . . وهراة : مدينة بخراسان

* طرسوس : بفتح الطاء والراء مهملتين ، وضم السين المهملة . قال ياقوت : ولا يجوز سكون الراء إلا فى ضرورة الشعر . مدينة بثغور الشام .

* ذو الرمة ، غيلان بن عقبة = ١٢٦

* الرقة ، بفتح أوله وثانيه وتشديده ؛ مدينة مشهورة من جانب الفرات الشرقى ، لها ذكر فى الفتوح (ياقوت)

* بالس : بكسر اللام وسين مهملة : بلدة بالشام بين حلب والرقة ، لها ذكر فى الفتوح (ياقوت)

* الفلمين : أهملها ياقوت والبكرى .

* والحدث : بالتحريك ، قلعة حصينة بين ملطية ومرعش ، من ثغور الشام . (ياقوت) ولها ذكر فى حروب سيف الدولة (تاريخ حلب ١١٣٤١ ، ١٢١ ، ١٢٥) .

(291) ‖حَدَثٌ ما جاءَنــا مُصْمَئِلٌّ جَلَّ حتّى دَقَّ فيه الأَجَــلُّ[١]

وأما «أنطاكيةُ*» فهى على الفألِ : أَنْطَى ، فى معنى أَعْطَى . ورُوِىَ أن النبى صلى اللهُ عليه وسلم قرأ : «إنَّا أَنْطَيْنَاكَ الكوثرَ»

وفى أَنْطى ضميرٌ ، وهو اسمُ اللهِ .

وكِيَّةُ : فِعْلَةٌ من كوَيْتُ ، كما تقولُ الطِّيَّةُ من طويت ، والنِّيَّةُ من نويت . وهذا شاهدٌ لما حُكِيَ من حديثِ الكيِّ[٢] .

وأما «عِمّ*» و «حارِمُ*» فعمومٌ لهم بالحرمانِ .

ولو بلَغَ ما يأمُله من الظهورِ إلى الشامِ — لا بَلَّغَه اللهُ ذلك — لكان الشامُ طِيَرَةً عليه ؛ لأن الناس قد اختلفوا فى اسمه :

فقال «الشرقىُّ بنُ القُطامِىِّ*» : هو منسوبٌ إلى «سامِ بن نوحٍ» وأصلُه بالعبرانيةِ سامٌ ، ولكن العربَ جعلت السينَ شيناً .

---

(١) من القصيدة المشهورة :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمُه ما يُطلُّ

وهى التى شك بعض علماء الشعر فى نسبتها إلى «تأبط شرا» والشاهد هنا مما ذكروه فى اتهام نسبها إليه ، من حيث رأوه أدق من أن يقوله جاهل بدوى . انظر (ص ٥٢٣)

ويروى البيت * خبر ما جاءنا مصمئل * (الإنباه ١ / ٣٤٨

اصمأل : اشتد . والمصمئلة الداهية (ص)

(٢) يشير إلى ما سبق من طيرة لزعيم الروم بالكى لو خرج للغزو فى الكوانيز (ص ٥٦٠) .

* أنطاكية * بتخفيف الياء : من الثغور الشامية . قال ياقوت : وليس فى قوله — امرئ القيس * علون بأنطاكيّة فوق عقـْمة * دليل تشديد ، لأن العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية .

* عم : انظرها فى (حصن عم) ببلدان ياقوت . وفى تاريخ حلب وابن الأثير ، أحداث سنة ٣٨٢ هـ

* وحارم : فى ضبط ياقوت : فاعل من الحرمان أو الحريم ، كأنها لحصانتها يحرمها العدو وتكون حرما لمن فيها . حصن حصين وكورة جبلية تجاه أنطاكية ، وهى من أعمال حلب .

* الشرقى بن القطامى : أبو المثنى بن الوليد القطامى بن الحصين ، من بنى كلب بن وبرة (جمهرة الأنساب ٤٢٩) . من مقدمى النسابين ورواة الأخبار والشعر (الفهرست ١٣٢) .

وقال «ابنُ الكلبيِ * » : إنما قيل له شامٌ لأَن فيه جِبالاً تخالِفُ لونَه كأَنه ذهب إلى جمعِ شامَة .

والقولُ الصحيحُ فيه ، أَنه مأْخوذٌ من اليَدِ الشُّؤْمَى ، وهى اليَسارُ وإنما قيل شامٌ ، من ذلك . ويَمَنٌ من اليَمينِ . ويصححُ هذا القولَ هَمْزُهم الفعلَ إذا قيل : أَشأَموا ، إذا أَتوا الشامَ . فأَما مجيئه فى بعضِ القوافى بغيرِ الهَمْزِ ، فليس ذلك مُبطِلاً لحُكْمِ الهمزِ فيه . لأَن الهمزةَ يجوزُ فيها التخفيفُ – وقد مضى القولُ فى ذلك[1] .

وكأَنه يَشأَمُ العدوَّ إن شاءَ اللهُ ، فى حالِ الهَمْزِ وتركِه . لأَنهم قد قالوا : || شأَمَه ، من الشُّؤمِ ، وشامَه . فخفَّفوا تارةً وحقَّقوا أخرى . قال الشاعرُ (١٤٩)
فى التحقيق[2] :

شأَمتُم بها حَيَّىْ بَغِيض وأَغْرَبَتْ   أَباكَ فأَوْدَى حين والىَ الأَعاجِمَا

وقال آخرُ فى التخفيفِ :

وما شامَنى إلا كتابٌ كتبْتُه   فليتَ يَمِينى قبل ذلك شلَّتِ[3]

---

(١) فى صفحة (٤٩٦) .

(٢) من قصيدة حماسية لغلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع، يصف ما جره سبق داحس من قطيعة الرحم وانتهاك الحرمات :

هم قطعوا الأرحـــام بينى وبينهم   وأجروا إليها واستحلوا المحارما

(ديوان الحماسة ، والمبهج) ، حيا بغيض : عبس وذبيان ، ابنا بغيض بن ريث بن غطفان ، والضمير فى : بها ، لحرب داحس والغبراء . والخطاب لبنى قيس بن زهير العبسى ، الذى خرج من دياره ومات غريباً ، فيما وراء عمان من بلاد العجم . وانظر شرح المرزوق (٤٥٦/١)

(٣) شلت ، بالفتح فى النسختين . وفى الصحاح : الشلل فساد فى اليد ، شلت يمينه تشل بالفتح ، وأشلها الله . يقال فى الدعاء : لا تُشلل يدك .

* ابن الكلبى : هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ، أبو المنذر . من كلب بن وبرة القضاعى (جمهرة الأنساب ٤٢٩) عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ، أخذ عن أبيه محمد بن السائب الكلبى الكوفى . توفى ٢٠٤ هـ سنة ، انظر (الفهرست ١٤٠ ، والشذرات ١٣/٢) .

(292) ||وهذا البيتُ يُسنَدُ إلى «كُثَيِّر» وأكثرُ الرواةِ لا يُثبتُه فى قصديته التى على التاء (١).

فأمَّا «عَزازُ* » فتَعُزُّ العدُوَّ ، أى تغلبُه من قولِه تعالى : «وعَزَّنى فى الخِطابِ» (٢) .

وأما « الأَثارِبُ* » فالهمزة والألفُ زائدتان . فتصيرُ من التثريبِ وهو الأَخذُ على الذنب ، وقيل : التغييرُ ، وقيل : النقضُ . وأنشدوا عن «الأَحمَرِ* » :

تأْتى عَطِيَّتُه عفـوًا إذا طرقتْ ولا تُخالِطُه تثريباً ولا زَهَدَا

وكلٌّ ذلك طِيَرَةٌ عليه .

وأما «قِنَّسْرُونَ* » فكأنها جمعُ قِنَّسْرٍ . وقِنَّسْرٌ : فِنعلٌ من قَسْرِ العدُوِّ ، كما قالوا الصِنَّبْر ، وهو من صَبَارَّةِ الشتاء . و «سيبويه» لم يذكر فِنَّعْلاً فى الأَبنيةِ ، ولكن غيرَه قد ذهب إلى ذلك . وإذا حمَلناه على هذا القول ،

(١) كثير عزة = ٣٥٧ يعنى قصيدته المشهورة :

خليلىّ هـذا ربع عزة فاعقـلا فلوصيكما ثم ازلا حيث حلت

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولت

وقد نقلها القالى كاملة فى (الأمالى ٢/١٠٨) قراءة على أبى بكر بن دريد ، وليس فيها هذا البيت

(٢) من الآية ٢٣ سورة (ص) .

* عزاز : فى ياقوت ، أنها ربما قيلت بالألف فى أولها — إعزاز — بليدة فيها قلعة شمالى حلب ، طيبة الهواء عذبة الماء وليس بها هوامّ !

* الأثارب : حصن قرب أنطاكية (ياقوت) .

* الأحمر ، خلف بن حيان ، أبو محرز . مولى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . من أعلام النحاة والرواة الشعراء فى القرن الثانى للهجرة ، ترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء والآمدى فى المؤتلف وقال القفطى فى الإنباه (١/٣٤٨) : هو أحد رواة الغريب واللغة والشعر ، ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته . وليس فى رواة الشعر أحد أشعر منه . وكان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء — الجاهليين — حتى يشتبه على جلة الرواة . وانظره فى أعلام (الغفران) .

فقولُهم للشيخ : قنَّسْرٌ وقنَّسرىٌّ * ، أى قد جرَّبَ فهو يقتسرُ الأُمور . قال الرَّاجزُ (١) :

أطرَباً وأنتَ قِنَّسْرِىٌّ (٢)
والدهرُ بالإنسانِ دَوَّارىٌّ

وأوَّلُها فى لفظ القِنّ ، وهو العبدُ الذى مُلِكَ هو وأبوه من قَبْلِه . أى يؤخذُ الأعداءُ فيصِيرون قِنًّا . وقِنٌّ ، تجرى مجرى ضيف : منهم مَن يَجمعُه ، ومنهم مَن لا يَجمعُه .

وأما «مَعَرَّةُ النعمانِ» فمعَرَّةٌ للعدوّ ، من قولِه تعالى :

«فتُصيبَكم منهم مَعَرَّةٌ بغيرِ علْم» (٣) أى شدَّة .

وقال بعضُ أهل اللغة : المعَرَّةُ نجومٌ فى السماء دون المَجَرَّة . فإن صَحّ ذلك فهى فألٌ ، أى هى عزيزةٌ كعِزِّ النجومِ .

---

(١) الراجز : هو العجاج = ١٨٨ من أرجوزته المشهورة التى أولها :

بكيت والمحــــتزن البكىُّ وإنمـــــا يأتى الصبا الصبى

وهى كاملة فى (أراجيز العرب : ١٧٤) .

(٢) الرجز من شواهد الصحاح على : القنسرى ، الشيخ الكبير ، عن الأخفش ، ويروى بكسر النون . وعلى الدوارى : الدهر يدور بالإنسان . وأنشده ابن هشام فى (المغنى : رقم ١٢) فى حرف الهمزة شاهداً على الإنكار التوبيخى ، واستشهد به ابن مالك على وجوب حذف عامل المصدر الواقع فى توبيخ (شرح الشواهد ١٨) . قابله على (إصلاح المنطق ٧٧/١) وتهذيب التبريزى ، على هامشه .

(٣) من الآية ٢٥ سورة الفتح .

* قنسرون : على لغة من يجريها مجرى جمع المذكر السالم . والأشهر : قنسرين ، معربة إعراب المفرد . ضبطها ياقوت بكسر الأول وفتح الثانى وتشديده ثم سين مهملة ، وقد تكسر النون . من بلاد الشام ، كانت وحمص بلداً واحداً على عهد خالد بن الوليد . قيل إنها سميت من قول العرب : قنسرى أى شيخ مسن ، عن ابن الأنبارى ، أو هو من قول قائل : والله لكأنها قن نسر — انظر مع بلدان ياقوت ، الصحاح واللسان ، وشرح شواهد المغنى ١٨ .

و « كَفْرُطابَ* » من : كفَرت العدُوَّ ، إذا دفنته . وقال جَلَّ اسمُه :

« كما يَئِسَ الكُفَّارُ من أَصحاب القُبورِ » [١] .

(293) و « شَيْزَرُ* » فَيْعَلٌ من الشَّزْرِ وهو الفتلُ الشديدُ [٢] . وإن|| شئتَ كان من قولك : شيءٌ زَرٌّ ، أى عَضٌّ .

و « العاصى* » فاعلٌ من قولِكَ : هو يَعْصَى بالسيفِ . قال « جرير* » :

تَصِفُ السيوفَ وغيرُكم يَعْصَى بهــا
يا ابنَ القُيونِ وذلك فعلُ الصيقلِ [٣]

و « حَمَاةُ* » تحتملُ ثلاثةَ أَوجُهٍ : الأَوَّلُ أن تكونَ فَعْلَةً من الحماية ، فحسبُك بهذا فألاً للمسلمين .

والثانى أن تكونَ من : حَمَاةِ الزوجِ ، فتلك طِيَرَةٌ على العدُوِّ . وما يَصنعُ

---

(١) من الآية ١٣ سورة الممتحنة .

(٢) من معانى الزر : الشدّ، والعض، والشلّ والطرد . وزرّت عيناه : توقدتا (ص، س، ق) .

(٣) فى شرح الديوان : يعصى بالسيوف ، يتخذها شبيهة بالعصا . وهو فى الصحاح (ع ص ا) شاهد على : العصى ، مقصور ، مصدر قولك : عصى بالسيف يعصى إذا ضرب به .

* كفر طاب . بلدة بين المعرة وحلب فى برية معطشة (ياقوت) .

* شيزر : بلدة قديمة قرب معرة النعمان ، تعد فى كور حمص . وبها قلعة حصينة لها ذكر فى الفتوح والشعر (ياقوت)

* العاصى : نهر حماة وحمص ، قيل سمى بذلك لأن أكثر الأنهر تتوجه ذات الجنوب ، وهو يأخذ ذات الشمال ، وليس هذا بمطرد (ياقوت) .

* جرير = ١٢٠ من نقيضته ، يرد على الفرزدق (الديوان ٤٤٧ ، والنقائض ٢/٢١٣) :

لمن الديار كأنها لم تحــــلل   بين الكناس وبين طلح الأعزل

* حماة ، بلفظ حماة المرأة ، لا لغة فيه غيرها . مدينة عظيمة من مدن الشام ، كثيرة الخيرات واسعة الأسواق ، يشرف جامعها على نهر العاصى (ياقوت) .

الشيخُ اليَفَنُ بحَمَاةٍ ؟ والمثلُ السائرُ :

إنَّ الحماةَ أُولِعَتْ بالكَنَّـه[١]

وأولِعتْ كَنَّتُهـا بالظِّنَّـه

وقال قائلُ العرب : « الحَماةُ حاميةٌ ، والكَنَّةُ كاوية » والكَىُّ مع هذا الرجلِ أينَ ذهَبَ .

والوجْهُ الثالثُ ، أن تكونَ من : حَمْأَةِ البئرِ – وقد جُعلتْ الهمزةُ أَلِفًا كما قالوا : كَمَاةٌ ، فى كَمْأَة . وتكفيه الحَمأَةُ طِيرَةً. وإنما سَمَّوا الداهيةَ زَبِيرا لأَن الحَمْأَةَ اسمُها الزَّبِيرُ .قال الراجزُ :

البئرُ بئر قد دنا زَبِيرُها

كأَن فيها أَسدًا يُثيرُها

وقال « عبدُ اللهِ بنُ هَمَّامٍ السَّلُولِىُّ * » فى أن الزبِيرَ الداهية :

وقد جرَّبَ الناسُ آلَ الزُّبير   فلاقوا من آلِ الزُّبَيْرِ الزَّبِيرَا[٢]

---

(١) الكنة ، بالفتح : امرأة الابن – أو الأخ – والجمع كنائن ، نادر . كأنهم توهموا فيه فعيلة ونحوها مما يجمع تكسيراً على فعائل (ل). والمثل بلفظه فى (مجمع الامثال ١/١١) قال الميدانى: الحماة أم الزوج ، والكنة امرأة الابن – والأخ أيضاً – والظنة، التّهمة ، وبين الحماة والكنة عداوة مستحكمة . والمثل يضرب فى الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك .

(٢) الذى فى (نوادر أبى مسحل ١/١٠٨) أن البيت لأيمن بن خريم الأسدى . وهو فى (ل) شاهداً على : الزبير الداهية – عن الفراء – والزبير الحمأة ، ولم يسم قائله .

* عبد الله بن همام السلولى : فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء الإسلاميين (ابن سلام ٥٢٢) ومن شعراء الحماسة والسياسة ،وكان سرياً فى نفسه ، مقرباً من آل حرب عظيما فيهم، وهو الذى حث يزيد ابن معاوية على البيعة لابنه معاوية ، وقال فى رثاء يزيد :

تلقفهـا يزيد عن أبيـه   فخذها يا معاوى عن يزيدا

انظر مع (طبقات ابن سلام، والشعر والشعراء ٢/٥٤٥ ب) مختارات من شعره السياسى فى الجزء السابع من تاريخ الطبرى .

ويعنى بآل الزبير : عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى ، وأخاه مصعباً . وقد خرجا على بنى أمية .

وإنما كانت الحَمْأَةُ عندهم ذميمةً لأنهم إذا ورَدُوا البئرَ فلم يجدوا فيها إلا الحمْأَةَ ، فتلك الداهية . قال «حاتم*» :

إنْ كنتِ كارهةً لِعيشتِنا هاتا ، فحُلِّى فى بنى بَدْرِ
جاورتُهم زمنَ الفسادِ فلم أذمُمْهمُ فى اليُسْرِ والعُسْرِ[1]
(294) || وسُقِيتُ بالماءِ النَّميرِ ولم أُترَكْ ألاطِسُ حَمْأَةَ البِئْرِ[2]

و «حِمْصُ*» اسمٌ أعجمىٌّ ، إلا أنه قد وافق فَعْلاً من قولِهم : حَمَصَ الجُرْحُ ، إذا سَكنَ وَرَمُه . والسليمُ خيرٌ من الجريحِ .

و «جُوسِيَةُ*» فُعْلِيَةٌ من : جاسَ العدوُّ يجوسُه ، إذا تخلَّلَه .

ومِن بعدِها «لبُوَّةُ*» فما ظنُّكَ بِشيخٍ كبيرٍ قُدَّامَه اللبوَّةُ ، ووراءَه «أسَدُ الدولةِ*» فى آلافِ أسودٍ من «عامر بن صَعْصَعة» وحُلَفائهم ؟

---

(١) فى ض : [فى العسر واليسر] ورواية الأمالى والشعراء :

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحى فى العوصاء واليسر

(٢) الشطر الثانى فى (الأمالى ، والتهذيب) * أترك ألاطم حمأة الجفر * وروى أبو حاتم : ألاطس . ومعناه كمعنى ألاطم (٢/١٦٩) .

* حاتم الطائى = ١١٨ ، والأبيات من قصيدة قالها يمدح بنى بدر ، وكان قد جاورهم زمن الفساد ، وهى الحرب التى كانت بين جديلة وثعل – من طيئ – فأحسنوا لقاءه . وقد روى القالى من إنشاد أبى حاتم فى أماليه (٢/١٦٩) ستة أبيات ، منها أبياتُ الصاهل والشاحج . وأنشدها ابن السكيت فى الألفاظ : باب المياه (تهذيب ٥٥٨) ، والقصيدة كاملة فى (شعراء الجاهلية : ١١٤) .

* حمص : بلد بالشام مشهور قديم ، فى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال ، وهى بين دمشق وحلب (ياقوت) .

* جوسية : بالضم فالسكون وكسر السين المهملة وياء خفيفة ، قرية من قرى حمص ، على ستة فراسخ منها من جهة دمشق (ياقوت) .

* اللبؤة : أهملها ياقوت والبكرى .

* أسد الدولة : صالح بن مرداس الكلابى = ٥٢٠

وانظر بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فى (جمهرة الأنساب ٢٦٥) .

إنى لأَرجو أن يكونَ زمنُ الفطَحْلِ قد حان . والأَنيسُ عندهم أن زمنَ الفِطَحْلِ
زمانٌ كان بعدَ الطُّوفان عَظُمَ فيه الخصْبُ|| وحسُنَتْ أحوالُ أهلِه . وإيَّاه (١٥٠)
عَنَى «رُؤْبةُ» * بقولِه[1] :

لو أننى أُوتيتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النمل

---

(١) الرجز لرؤية فى تهذيب الألفاظ : ١٩ ، وأنشده له «المبرد» فى (الكامل ٢/١٩٩) وقال : حدثنى غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة : ما قولك : ما زمن الفطحل؟ قال : أيام كانت السلام رطاباً.
وقوله : سن الحسل ، مثل تضربه العرب فى طول العمر ، ذكر ابن جنى أن الحسل ولد الضب ، يعيش ٣٠٠ سنة.

ورواه الميدانى فى المثلين : "أعمر من ضب ٢/٥١" و"زمن الفطحل ٢/١٤٧" :

لو أننى عُمرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل كنت رهين هرم أو قتل

وأنشده الجوهرى فى (ح ك ل) شاهداً على الحكل : ما لا يسمع له صوت ، وروايته – ولم يسم قائله – كرواية أبى العلاء هنا . وقال فى (ف ط ح ل) الفطحل، على وزن الهزبر : زمن لم يخلق الناس فيه بعد، قال الجرمى : سألت أبا عبيدة عنه فقال : الأعراب تقول إنه زمن كانت الحجارة فيه رطبة، وأنشد للعجاج :

وقد أتانا زمن الفطحل والطين مبتل كطين الوحل

وفى (حسل) قال أبو زيد : يقال لفرخ الضب حين يخرج من بيضته حسل، والجمع حسول، ويكنى الضب أبا الحسل . وقولهم فى المثل: لا آتيك سن الحسل . ، أى أبداً ، لأن سنها لا تسقط حتى يموت ، وفى اللسان (ح ك ل) برواية * لو أننى أعطيت علم الحكل * الحكل : كلام العجم والطيور والبهائم .
والرجز نسبة الأزهرى لرؤبة . قال ابن برى : الرجز للعجاج ، وصوابه :

فقلت لو عمرت عمر الحسل وقد أتاه زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل أو كنت قد أوتيت علم الحكل

وقال فى (فطحل) دهر لم يخلق الناس فيه بعد . وزمن الفطحل زمن نوح على نبينا وعليه السلام . . .
وروى أن رؤبة بن العجاج نزل ماء فأراد أن يتزوج امرأة، فقالت له : ما سنك؟ ما مالك ؟ فأنشأ يقول :

لما ازدرت نقدى وقلت إبلى تألقت واتصلت بعكل
تسألنى عن السنين كم لى فقلت لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل والصخر مبتل كطين الوحل

أو أننى أوتيت ... إلى آخر الرجز هنا . وانظر (خص ١/٢١ وحيوان الجاحظ (٤/٨ ساسى)
قابل كل هذه المرويات على أرجوزة رؤبة فى ديوان (أراجيز العرب للبكرى : ص ١٢٣ ، ١٣٠)

يا صاح قد جادت بدمع همل عينك من عهد الصبا وجُمْلِ

وعِشتُ دهرًا زمنَ الفِطَحْلِ أيامَ كان الصخرُ مثل الوَحْلِ
لكنتُ رَهْنَ هَرم أو قَتْلِ

وقال بعضُهم : زمنُ الفِطَحْلِ زمنٌ لم يُخلَقْ بعدُ . ونحن معشرَ الثعالب ، عندنا أن زمنَ الفِطَحْلِ زمَنٌ يَقَعُ المسلمون بالروم مثلَ - (وقعةِ المخاضةِ ، ووقعةِ أفامِيةَ) لأنا نَشبَعُ هناك من الكُلَى والأكبادِ .

وأما «بعلَ بَكٌّ» فمُرَكَّبةٌ من اسمين[1] .. وبَكٌّ ، من «بكّةَ» وناهيك شرفاً بذلك . وفيها قولان : أحدُهما أنها سُمِّيتْ بكَّةَ لِتبَاكِّ الناسِ فيها ، أى ازدحامِهم . والآخرُ أنها سُمِّيتْ بذلك لأنها تَبُكُّ أعناقَ الجبابرةِ ، أى تدُقُّها .[2] وعلى هذا تُحمَلُ «بعلَ بَكٌّ»

وأنشد «أبو زيدٍ*» لِـ «غامانَ ابن كعب*» - وبعضُهم يقولُ : لعَامانَ ، بالعَينِ غيرِ مُعجَمةٍ :

(١) كذا فى النسختين ، باتصال الكلام بين : اسمين ، وبك .
والسياق يقتضى أن يسبق الكلام عن بك ، كلام عن بعل ؛ إذ هما الاسمان التى تتكون منهما «بعل بك» .

(٢) هو القول المشهور عند كتاب السيرة النبوية ومؤرخى الإسلام الأولين . انظره فى الجزء الأول من السيرة لابن هشام ، والروض الأنف ، وتاريخ الطبرى . وقد ذكرت فى القرآن الكريم مرة باسم مكة (الفتح ٤) ومرة باسم بكة (آل عمران ٩٦) .

* أبو زيد ، اللغوى = ١٩٧

* غامان بن كعب ، أو : عامان . لم أجده فى مراجعى من طبقات الشعراء ، ومعاجم اللغة . وكتب الأنساب . والبيت الأول فى (ل) لعامر بن كعب بن عمرو بن سعد ، قاله ابن برى (أرق) . ولم أعثر على «عامر بن كعب» أيضاً ، فى مراجعى .

|| ألا قالتْ بَهَانِ[١] ولم تَـأَبَّقْ   كَبِرْتَ ولا يليط. بِكَ النعيمُ (295)
بَنُوكَ وهَجْمَةٌ كأشاءِ بُسٍّ   صَفَايَا كَثَّةُ الأَوبارِ كومُ
تَبُكُّ الحَوْضَ نَهلاها وعَلٌّ   لها من خَلْفِها عَطَنٌ مُنيمُ
إذا اصْطكَّتْ بِضِيقِ حَجْرَتاها   تَلاقَى العسجديَّةُ واللَّطِيمُ[٢]

ولم تُجاوِزْ مُلوكُهم «بَعْلَ بَكّ» فأتكلَّفَ لهم تخريجَ الطِّيَرَةِ والفـأْلِ .

* * *

وإنْ أَخذ الطريقَ الأُخرَى ، فإنه يَمُرُّ بـ «أَرْمَنَازَ *» وهى تُؤَدِّى لَفْظَ. قولِكَ : أَرَمَ نازٍ ، أَى غُلِبَ فَسَكَتَ . والنَّازِى: الذى يتوثَّبُ من الأَشَرِ . وإن حَمَلْتَها على قولِك . إِرَمٌ نازٍ ، أَى عَلَمٌ . فالعَلَمُ الجبَلُ ؛ وذلك العَلَمُ جَيْشَ المسلمينَ ينهضُ إلى عَدُوِّهم إن شاءَ اللهُ . وإن شئتَ كان من قولِكَ : ارْمِ نَازِ ، أَى ارْمِ يامُسلمُ بِسهامِكَ أَو بعَزِيمتِك نازِياً من الأَعداء . وهذه لُغَةٌ للعربِ يقولون : رمَيْتُ نازِ ، وضربتُ غازِ . وهو على رأىِ البصريين

---

(١) كأنها فى النسختين [بهار] والضبط من (ق) وأنشده فى (ص) * ألا قالت بهان * شاهداً على : تأبق : احتبس . ولاط به يلوط ، ويليط : لصق به ، عن الكسائى وهو فى اللسان برواية ثعلب عن ابن الأعرابى :

ألا قالت بهان ولم تأبق   كبرت ولا يليق بك النعيم

قال : لم تأبق ، لم تأثم من مقالتها ، وقيل لم تأنف قال ابن برى : البيت لعامر بن كعب بن عمرو ابن سعد ، والذى فى شعره ، ولا يليط ، بالطاء وكذلك أنشده أبو زيد ، وبعده : بنون وهجمة * البيت قال أبو حاتم : سألت الأصمعى عن قوله : ولم تأبق ، فقال لا أعرفه . وقال أبو زيد : لم تأبق ، لم تبعد مأخوذ من الإباق ، وقيل : لم تستخف ، أى قالت علانية ، والتأبق التوارى ، وكان الأصمعى يروى الشطر الأول : * ألا قالت حذام وجارتاها *

(٢) الهجمة : من الإبل ما بين الأربعين إلى المائة . والأشاء بالفتح والمد : النخل . واحدته : أشاءة ، الهمزة فيه منقلبة عن الياء لأن تصغيرها أشى ، ومذهب سيبويه أنه من باب أجأ (اللسان : أشا) . والصفايا جمع صفى : الناقة الغزيرة الدر . والكوم جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام ، والعسجدية : ركاب الملوك ، وهى إبل كانت للنعمان بن المنذر . واللطيم : العير التى تحمل الطيب وبز التجار (ص ، ل) .

ضرورةً ، وعند الكوفيِّين لُغَةٌ . وقال الشاعرُ * :

ولو أنّ واشٍ باليمامَةِ دارُه وكنتُ بأَعلَى حَضْرَموتَ اسْتَرى لِيَا[١]

وأنشد « الفرَّاءُ* » :

فكسَوْت عَارٍ جِسمُهُ فتركتُه جذلانَ جادَ قميصُه ورِداؤُه[٢]

و « أُنبٌ* » أمْرٌ من قولك : أنّبتُه تأنيباً .

وأمَّا « أفاميَةُ » فإنها تُؤَدِّى لفظَ قولِكَ : أفاءَ مايةً ، أى : أفاءَ هذا الحِصْنُ مائةَ غنيمةٍ أو مائةَ جيشٍ أو نحوَ ذلك. أى جَعَلهم فيئاً. من قولِه تعالى : « ومَا أفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْهم »[٣]

(29) والنحويون لا يختلفون فى أن قَصْرَ مثلِ هذا جائزٌ ، نحو : أَسَا ، وأَشَا[٤]

---

(١) الرواية المشهورة للشطر الثانى من البيت : وكنت بأعلى حضرموت اهتدى ليا * وهى رواية الأغانى وأمالى القالى ، والبيت من شواهد ابن هشام فى المغنى (رقم ٤٧٨) على الحذف للضرورة . وانظر (شرح شواهد المغنى ٢٣٨) . (٢) قابل على الرواية فى (إصلاح المنطق ١/١١٣) .

(٣) من الآية : ٦ سورة الحشر ، والفَىْء : الغنيمة والخراج ، تقول منه : أفاء الله على المسلمين مال الكفار ، يُفِىء إفاءة . واستفأت هذا المال ، أى أخذته فيئاً (ص) .

(٤) أساه : من الإساءة . وأشاه : لغة فى أجاءه ، أى ألجأه . وتميم تقول : يشيئك ، بمعنى يُجيئك ويلجئك .

* أرمناز : بالفتح ثم السكون وفتح الميم والنون ، وألف وزاى . بليدة قديمة من نواحى حلب ، بينهما خمسة فراسخ . وقيل هى من قرى بلدة صور ، من بلاد الساحل (مراصد الاطلاع) .

* الشاعر : مجنون ليلى ، قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس العامرى ، من بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (جمهرة الأنساب ٢٧٢)

والبيت من رائيته ، قال أبو الفرج فى (الأغانى) إنها من أشهر أشعاره ، وبعده :

وماذا لهم لا أحسن الله حظهم من الحظ فى تصريم ليلى حباليا

. . . .

هى السحر إلا أن للسحر رقية وأنى لا ألفى لنفسى راقيا

* الفراء : = ٣٠٣ ، ومحل الشاهد فى قول الشاعر : فكسوت عار جسمه * أراد عارياً جسمه ، فحذف للضرورة ، على مذهب البصريين ، أو هى لغة ، عند الكوفيين .

* أنب : ضبطها « ياقوت » : بكسرتين وتشديد النون والباء الموحدة . حصن من أعمال عزاز (البلدان) .

وفيه «سَنَدُ الدَّولةِ * » وهو «ابنُ ثُعْبانَ» والثعبانُ الحيَّةُ العظيمة . وقيل : هو الذكَرُ منها . والعرَبُ تَضربُ المثَلَ للرجُلِ الشجاعِ الحازمِ بالحيَّةِ . قال «خِدَاش بن زُهَيْرٍ * » :

فإنْ يَكُ أَوْسٌ حَيَّةً مُسْتَمِيتَةً
فَدَعْ عَنْكَ أَوْساً إنَّ رُقْيَتَهُ مَعِى(١)

ويقولون : حَيَّةُ ذَكَرٌ ، وحَيَّةُ الوادى ، والحيَّةُ الجبَليَّةُ . و «سَنَدُ الدولةِ» – أدامَ اللهُ تَمكِينَه – من حَيَّاتِ الجبَالِ . قال «النابغةُ» :(٢)

ماذا رُزِئْنا بهِ من حَيَّةٍ ذكَرٍ   نَضْنَاضَةٍ فى الرزايا صِلِّ أَصْلَالِ

(١) الشاهد من مختار ابن قتيبة ، فيما يتمثل به من شعر «خداش» .

(٢) النابغة الذبيانى (١٧٨) من قصيدته فى رثاء النعمان بن الحارث، وقيل فى رثاء أسد بن ناغضة التنوخى (الديوان ١/٢٧) ومطلعها :

قل للهمام وخير القول أصدقه   والدهر يومض من حال إلى حال

ماذا رزئنا (البيت) وأنشده الجوهرى فى (ص ل ل) شاهداً على قولهم للرجل إذا كان داهية : إنه لصل أصلال ، وأصله فى الحيات ، والصل ، بالكسر : الحية التى لا تنفع منها رقية . وأنشده الميدانى برواية : * نضناضة بالمنايا * فى المثل : إنه لصل الأصلال . ، وقال : الصل حية تقتل لساعتها إذا نهشت . يضرب للداهية (١/ ٢٧) وانظر (تهذيب الألفاظ : باب العقل والحزم : ٤٣٣) والنضنضة : تحريك الحية لسانها ، ويقال للحية : نضناض ونضناضة . قال عيسى بن عمر : سألت ذا الرمة عن النضناض ، فلم يزدنى أن حرك لسانه فى فيه (ض) .

* سند الدولة : أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى ، كان وأهله من وجوه كتامة . ولى حصن أفامية إلى سنة ٤١٥ هـ ، حيث ولاه «الظاهر العبيدى» حلب ، خلفاً لصفى الدولة أبى عبدالله محمد، ابن وزير الوزراء أبى الحسن على بن جعفر بن فلاح الكتامى ، الذى عزل فى شهر محرم سنة ٤١٤ هـ. وسند الدولة هو الذى كتب له أبو العلاء (الرسالة السندية) – ارجع فيه إلى (تاريخ حلب لابن العديم ١/ ٢٢٢ ، وكامل ابن الأثير أحداث سنة ٤١٤ وما بعدها) وراجع المدخل هنا ، فى تحريف لقبه بابن شعبان ، والظن بأن ابن ثعبان هو التحريف !

* خداش بن زهير الأزهر ، بن ربيعة ذى الجدين ، بن عمرو فارس الضحياء : من فرسان بنى عامر بن صعصعة وشعرائها وساداتها . وهو الذى أجار قيس بن الخطيم الأوسى (جمهرة الأنساب ٢٦٥) وخداش أول فحول الطبقة الخامسة من الشعراء الجاهليين عند «ابن سلام» ، ونقل فيه قول أبى عمرو بن العلاء : هو أشعر من لبيد ، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد . وترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٢/ ٥٤١

وقال آخرُ :

إذا رأيتَ بِوَادٍ حَيَّــةً ذَكَرًا فاذْهبْ ودَعْنى أُمَارِسْ حَيَّةَ الوادى[١]

وقال آخرُ :

فمَا تَزْدَرِى مِن حَيَّةٍ جبَلِيةٍ سُكاتٍ إذا ماعَضَّ ليس بِأَدْرَدَا[٢]

ثم تَلْقَاه « سَنَقَابُلُ » وفيها آثار عظيمةٌ تَدُلُّ على أنها كانتْ من كِبارِ مدائنِ الشامِ . وإذا حَمَلناها على الفـألِ قلنا :سَنُقابِلُ العدُوَّ إن شاء اللهُ بما يستحقُّ.لأَن حُروفَها مُساوِيةٌ لحروفِ : نُقابلُ ، إذا دخلتْ عليها السِّينُ .

وأما «رَفَنِيَّةُ * » فتحتَمِلُ وَجْهين :

أحدُهما أن يكونَ من قولِك : ارفَأَنَّ الناسُ ، إذا سكنُوا بعدَ نفارٍ . وهذه الهمزةُ عند « سِيبَوَيهِ » أَصلِيةٌ مِثلُ هَمزةِ اطمأَنَّ . فنقول : إن أَصلَهَا رفَأْنِيةُ ، بالهمزة . ثم أُلقِيَتْ حركةُ الهمزةِ على الفاء وحُذِفتْ من الاسمِ ، كما قرأَ «المَدَنِىُّ * » :

«قَدَ اَفْلَحَ المُومنونَ »[٣]

---

(١) الشاهد ، بروايته هنا ، فى (حيوان الجاحظ) — ولم ينسبه — فى (باب ضرب المثل للرجل الداهية بالحية : ٤ /٧٨ ساسى) .

(٢) يذكر رجلا داهية . والبيت فى (ص ، س ، ل ، ت ، والأمالى) — ولم يسم قائله — شاهد على : حية سكات ، بالضم ، إذا لم يشعر به الملدوغ حتى يلدغ . وذهب بالهاء — فى جبلية إلى تأنيث لفظ حية ، وبعده فى الأمالى :

نئوم ضُحيات كأن لســانه إذا سُمع الأصوات مكحال أرمدا

(٣) سورة المؤمنون : الآية الأولى ، والشاهد فى فى همزة : أفلح ، بإسقاط الهمزة وإلقاء حركتها على الدال الساكنة قبلها. وهذه قاعدة عامة فى قراءة « ورش» عن نافع : نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط هى من اللفظ ، وذلك إذا كان الساكن صحيحاً ، غير حرف مد ولين ، وكان آخر كلمة ، والهمزة أول الكلمة بعده . (تيسير الدانى : ٣٥) ، وهذه القاعدة قال «أبو الحسن التازى» فى منظومته على (الدرر اللوامع) :

حركة الهمز لورش تنتقــل للساكن الصحيح قبل المنفصــل

* رفنية : بالتشديد : كورة ومدينة من أعمال حمص ، يقال لها : رفنية تدمر ، وقال قوم : بلدة عند طرابلس من سواحل الشام (ياقوت) .

* المدنى : نافع ، أحد القراء السبعة الأئمة — ٢٤٧ .

وهى لُغَةٌ كثيرةٌ . قال «سعدُ بنُ أَبى وَقَّاص* » رضىَ اللهُ عنه : (١٥١)

ألا هــلَ آتى رسولَ اللهِ أنى   حَمَيْتُ صحابَتى بِصُدورِ نَبْلِى[1] (2 97)

وقالوا : مَلَكٌ من الملائكة ، والأَصلُ : مَلْأَكٌ .

فهذا فألٌ للمسلمين ، لأَنه سُكونٌ وطُمَأْنينةٌ . وطِيَرةٌ على العدُوِّ ، لأَنه فيه ذُلٌّ واستخذاءٌ .

والوَجْهُ الآخرُ فى «رَفَنِيَّةَ » أَن تُجعَلَ من كلمتين : الأُولى فِعْلٌ والثانيةُ اسمٌ . وفى الفِعلِ ضميرٌ ، والضميرُ هو العدوُّ لعَنه اللهُ . فيقال : رَفَّ نِيَّةً ، ومعنى رَفَّ ، مَصَّ . يُقالُ : رَفَّ الظبىُ الغُصْنَ ، إذا جعله فى فيه . وكذلك رفَّتِ المرأَةُ المِسْوَاكَ . أنشد «ابن الأَعرابىِّ* » :

هنيئاً لِخُوطٍ من أَرَاكٍ تَرُفُّــه   إلى بَرَدٍ شُهْدٍ بِهِنَّ مَدُوفِ[2]

والمعنى : أنه رَفَّ نِيَّةً ، أى مَصَّ ما نَواه . أى لم يصلْ إليه شىءٌ غيرَ النيةِ الرَّدِيَّةِ . كما يقال : فلانٌ يأْكلُ الأَمانىَّ ،[3] أى يتمنىَّ الأَطعمةَ

---

(١) مثلها رواية ابن إسحاق للبيت ، فى (السيرة النبوية ٢ / ٢٤٤) بوصل همزة أتى ، وفتح لام هل . ومعه فى السيرة خمسة أبيات أخرى ، قالها سعد حين خرج فى سرية « عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمى » عام الهجرة ، فلقى جمعاً من قريش ، فرمى سعد بسهم كان أول سهم رُمِى به فى الإسلام . وفى ترجمة سعد بالاستيعاب ، نقل ابن عبد البر ثلاثة أبيات منها ، وروايته للشطر الأول :

* ألا هل جا رسول الله أنى * . بإسقاط همزة جاء .

(٢) خوط : غصن ، وشهد : عسل . مدوف : مخلوط (ف) ، وفى الصحاح ، الخوط : الغصن الناعم لسنة ، والشهد ، بالضم والفتح : العسل فى شمعها . والشهدة أخص منها ، والجمع شهاد . والرف : المص والترشف . رف ، يرُف ، بالضم .

(٣) هو مثل قولنا : يمضغ الأوهام .

* سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشى (نسب قريش ٢٦٣) أحد العشرة السابقين المبشرين بالجنة : وأحد أصحاب الشورى الستة فى الخلافة بعد عمر رضى الله عنهم ، وقائد معركة القادسية وأكثر فتوح الشام ، وقد اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه . انظر مع تاريخ الطبرى ، والسيرة : الاستيعاب رقم ٩٦٣ .

* ابن الأعرابى = ٣١٦ .

ولا يحصُلُ على شيءٍ في الحقيقة .

وإن شئتَ حمَلتَه على قولِك : إنه لَقِيَ نيَّتَه ، كما يُقالُ : حَصَدَ ما زرَعَ ، واجتنى ما غَرَس . أي كوفِئَ العدوُّ على سُوءِ النيَّة .

وأما « عَلْمُو » فتحمِلُها على قولِكَ : عَلِموا ، وسُكِّنَت اللامُ على اللغةِ الرَّبَعِيَّةِ ، كما قال «أبو النجمِ * » :

حتى إذا ما رَضْيَ مِنْ كمالِها
رَكَّبَها القانِصُ في مِرْجَالِها

أي عَلِمُوا أنهم لا يَصِلُون إلى ما يُريدون .

ويكفي «حِصْنَ الكَهْفِ» من الفـألِ قوله تعالى

« يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِه ويُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أمرِكُم مِرْفَقاً »(١) .

وأما «حِصْنُ الخَوَابِي» فالفـألُ يَدُلُّ على أنه حِصْنُ الخَوَابِبِ ، جمع خابِيَةٍ . وذلك أن العربَ لا تَهمزُ الخوابيَ وأصلُه الهمزُ ، لأنها من : خبَأْتُ. فنقولُ إنه حِصْنُ الخوائبِ ، || فاستُثقِلَت الهمزةُ فجُعِلَتْ بعد الياءِ . (298)

كما قالوا : شَواعٍ ، يريدون شوائعَ . وشاكٍ ، يريدون شائكا . أنشد « مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى* » :

حتى استفَأْنا نِساءَ الحَيِّ ضاحِيَةً   وأصبحَ المرءُ عمرٌو مُثْبَتا كاعِي(٢)

(١) من الآية ١٦ سورة الكهف .

(٢) استفأنا نساء الحي : أخذنا هن فيئاً وغنيمة . والكائع : الذي يمشي على كوعه ، كاع الكلب يكوع ،مشى على كوعه من شدة الحر (ص) ، والمثبت : المجروح جراحة لا يقوم معها ،وبه فسرت الكلمة من سورة الأنفال الآية ٣٠ « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » .

* أبو النجم = ١٨٩ والشاهد في قوله : رضْي ، بتسكين الضاد ، على اللغة الربعية .

* معمر بن المثنى : أبو عبيدة = ٥٠٣ .

أى : كائعاً .

فنقولُ على سبيلِ الفـألِ : إنه كان حِصْنَ الخوائبِ فى القديمِ ، فقُلِبَ فقيلَ : حِصْنُ الخوابى ، على معنى التخفيفِ . وإن كنا قلبْناه من الخوَابى إلى الخوائب ، فإنا فعَلْنا كما فعلت العربُ فى التراقِى فقالوا : التَّرَائقُ ، فقلَبوا من غيرِ مَهموزٍ إلى مَهْموز . أنشدَ «مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى» :

هُمُ زَوَّدُونى يومَ بانُوا حـــرارةً مكانَ الشَّجَى تجولُ بين الترائقِ[1]

وإن الخائبةَ كلَّ الخائبةِ ، لَامرأةٌ نُقِلَتْ من بلادِ التوحيد إلى بلادِ الشرْكِ . ونساءٌ فُعِلَ بهن ذلك ، هن الخوائب . فنسألُ إلٰهنا حُسْنَ التوفيقِ .

و «بَلَنْيَاسُ*» بَلاءٌ ويأْس : فإن شِئت كان اليأْسُ ضدَّ الرجاء ، وإن شئتَ كان اليأْسُ فى معنى السُّلاَلِ يأساً[2] . قال الشاعرُ* :

بىَ اليأْسُ أم داءُ الهُيَامِ أصابنى فإيَّاكَ عنى لا يكُنْ بِكَ ما بِيَا[3]

وأما «عِرْقَةُ*» فتحتمِلُ وجْهَين :

أحدُهما أن يكون من العَرَقَةِ وهى السقيفةُ من الخُوصِ ، يُشَدُّ بها

---

(١) [يوم قو] خ : اسم موضع (ف) الشجا ، مقصور : ما اعترض فى الحلق من عظم ، والغصص وأشجاه الشوق : أغصّه . ومنه المثل : ويل للشجى من الخلى . قال ابن برى : الشجىّ ، بالفتح : الغصص ، وأما الحزين فهو الشجى ، بالكسر وتشديد الياء (ل) والترائق : جمع ترقوة ، بالفتح ، ولا تقل تُرقوة ، بالضم . وحكى أبو يوسف : ترقيت الرجال ترقاةً ، أى أصبت ترقوته (ص) .

(٢) السلال ، بالضم : السل . يقال : أسله الله فهو مسلول ، على غير القياس .

(٣) الهيام ، بالضم : أشد العطش ، وداء يأخذ الإبل شبيه بالحمى لا تروى ، فهى هيماء أو قوم هيم : عطاش لا يروون ، وبه فسرت آية الواقعة ٥٥ «فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم» ومنه أخذه الهيام : شبه الجنون من العشق .

* بلنياس : فى بلدان ياقوت أنها البلانة ، ذكر الجغرافيون العرب أنها قرب المرقب ، وسموها بلنياس ، وضبطوها على خلاف بينهم .

* الشاعر : هو مجنون عامر ، قيس بن ملوح ، من بنى سعد بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (طرةف) ، من يائيته المشهورة ، مرت فى ص ٦٦٢ .

* عرقة : بكسر فسكون ، فقاف مفتوحة : بلدة فى شرق طرابلس بالشام (ياقوت) .

الأَسيرُ . والجمعُ عَرَقٌ . قال «أَبو كبير الهُذَلىٌّ* » :

نَغدو ، فنتركُ فى المَزاحِفِ مَن ثوَى   ونُمِرُّ فى العَرَقات مَنْ لم يُقتَلِ[1]

والوجهُ الآخرُ ، أن تُحمَلَ على التصحيف. وإنما قلتُ ذلك لأَن.
(299) الكلمة قد تُصَحفُ إذا || أُرِيدَ بها الفأْلُ والطِّيَرةُ . ومنه ما حَدَّث «عَلىُّ بن الحُسَينَ المَغربىٌّ* » أنه كان مع «سيف الدولةِ علىِّ بنِ حَمْدانَ* » وهما خاليانِ . فسأَله «سيفُ الدولة » عن التزويج فقال له «على بنُ الحسين » : لى بِنتُ عَمٍّ وأَنا أَنتظرُ قدومها علىَّ . فتلفَّت «سيفُ الدولةِ » يميناً وشمالا ، هل بِقُرْبِهِ مَن يسمعُ كلامَه ؟ ثم قال : لاتفعلْ ، بنتُ العَمِّ ، ثَبَتَ الغَمُّ .

وكانت عند «سيفِ الدولةِ » بنتُ عَمِّه أختُ «أَبى فِراسٍ* » وكان يَلْقَى من أَخلاقها شِدَّةً . فحدَّث مَن يَخبُرُ أَمْرَه أنها لمَّا حصلتْ فى دارِه

---

(١) فى ص : [وُنُمِرُّ فى َعرَق] وما هنا من (ف) وهى رواية ديوان الهذليين (٢ / ٩٦).

* أبو كبير الهذلى : اسمه عامر بن الحليس (ف) = ٢٦١ . من لاميته التى مر منها الشاهدإن ، فى ص ٢٦١ ، ٤٢٢ وعن ابن دريد : * من لم نقتل * وفى شرحه ، نمر : نوثق . والمرقة : حبل مضفور . أراه القيد .

* على بن الحسين المغربى ، أبو الحسين ، الوزير المغربى . وزر لسيف الدولة ، ووزر من بعده لابنه سعد الدولة سنة ٣٧١ هـ ، ثم لأبى الفوارس بكجور سنة ٣٨٠ هـ ، ثم للعزيز بالله الفاطمى سنة ٣٨٤ هـ ، (انظر هذه السنوات فى تاريخ حلب لابن العديم) وهو أبو الوزير أبى القاسم الحسين ابن على .

* سيف الدولة الحمدانى = ٦٠٦

* أبو فراس الحمدانى : بن أبى العلاء سعيد بن حمدان التغلبى ، الشاعر الأمير ، ولد بمنبج ٣٢٠ هـ وكان من فرسان الدولة ، فى عهد ابن عمه سيف الدولة ، ولى منبج ، وأسره الروم ، وفى أسره نظم قصائده المعروفة بالروميات . وقتل سنة ٣٥٧ هـ ، وديوانه مطبوع فى بيروت ١٩١٠ – انظر : تاريخ حلب (سنة ٣٤٩ هـ من أيام سيف الدولة ، ووفيات ابن خلكان ، أدباء ياقوت ، وخريدة ابن العماد ، واليتيمة ، والنجوم الزاهرة ١٩/٤ .

أقامتْ سنةً لم تُكلِّمْه بكلمةٍ . فعوتِبتْ فى ذلك بعدَ السنَة فقالت : «أيْش أقولُ ؟» فتَباشَرَ خدَمُها وجواريها وأشاعوا فى الدار : «قد قالت : أيشَ أقول» !

وكانتْ من أفضلِ نساءِ بنى حمدانَ فيما يزعمون .

وإذا حملنا «عِرْقَةَ» على التصحيف قلنا : غِرقةُ . وهى فِعلةٌ من الغَرَقِ ، فيغرقُ اللهُ الطاغيةَ بقُدرتِه ، كما غرَّق «ذا نُواس*» فى البحرِ . وذلك أن «تُبَّعاً ، أبا كَربٍ*» لما انصرف عن «يثربَ» ولَقِيَه الحَبْرانِ من يهود ، وكان من أمرِه ما كان فى «مكةَ» ونَحْرِ البُدْنِ وكسوةِ البَيْتِ ، رغِبَ فى التهوُّدِ . فلما رجع إلى اليمنِ صنع بها الأُخدودَ الذى ذكره اللهُ [تعالى] || فى (القرآنِ)[1] . (١٥٢)
وأحرَقَ فيه خلقاً عظيماً كانوا على دِينِ المَسيحَ صلى اللهُ عليه . فلمَّا أفضى الأمرُ بعدَ زمنٍ طويلٍ إلى «ذى نُواسٍ» اتفقَ فى زمانه ظهورُ الحبَشةِ على اليَمَن . وأصحابُ الأخبارِ يزعمون أن الحبشةَ إنما خرجَتْ إلى اليمَن غضباً

---

(١) سورة البروج .

* ذو نواس : من أذواد اليمن فى الجاهلية ، وهو فى الرواية الإسلامية صاحب الأخدود (ابن الأثير ١/١٤٩) .

* تبع ، أبو كرب : هو تبع الأصغر ، تبان أسعد بن كلى كرب ، من ملوك اليمن (جمهرة الأنساب ٤١٠) ، وخبر أبى كرب مروى بتفصيل فى تاريخ الطبرى ج ١ ، والسيرة النبوية ج ١ ، برواية ابن هشام عن ابن إسحاق ، وخلاصتها أن ملك اليمن أبا كرب تبان أسعد ، وهو تبع الأصغر ، مرّ بيثرب فى طريقه إلى بلاده من المشرق ، فاستباح أحد رجاله نخلا لرجل من بنى النجار ، فضربه بمنجله فقتله . فصمم تبع أبوكرب على تدمير يثرب وقتال أهلها . فنصح له حبران من يهود قريظة أن يرجع عما اعتزم . فانصرف متجهاً إلى مكة فلقيه نفر من بنى هذيل زينوا له الاستيلاء على البيت العتيق ، فسأل الحبرين فى ذلك فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله اتخذه فى الأرض غيره . ثم نصحا له أن يطوف بالبيت العتيق ويعظمه ويكرمه ، ففعل ، بعد أن قتل النفر من هذيل ، وكسا الكعبة وخرج من مكة بجنوده ومعه الحبران اللذان زينا له أن يحمل نصارى اليمن على الدخول مثله فى اليهودية ، فأبوا عليه ، فأهلكهم .

للنصارَى وما صُنعَ بهم يومَ الأُخدودِ ، لأَن مَلِكَ الحبشة كان على دِينِ المسيحِ . فلما استولت الحبشةُ على مُلْكِ «ذى نواسٍ» . ضربَ فرسَه فدخلَ فى البحرِ ، فكان آخرَ العهدِ به(١) . وقد ذكرَ ذلك «الوليدُ بن عبيد*» فقال :

هُمُ ثأروا الأخدودَ أيامَ أغرقتْ   رماحُهمُ فى لُجَّةِ البحــرِ تُبَّعاً (300)

ويقالُ إن «ذا نُواس» هو صاحبُ الأُخدودِ .

وهذا الفـألُ يَصحُّ إن شاء اللهُ إذا خرج جيشٌ من مِصْرَ فيه مَلَأٌ من السُّودانِ ، فيَهزمون الطاغيةَ كما هزَمت الحبشةُ «ذا نواسٍ» فلم يَجدْ له مَحِيدًا عن البحرِ .

وإذا حملنا الفـألَ على التصحيفِ ، فـ «بَسِيلُ» نَسِيكٌ(٢) إن شاءَاللهُ . والنَّسيكُ الذبيحُ ، والنسيكةُ الذبيحةُ تُذبَحُ بمكةَ . قال النبىصلى اللهُ عليه وسلمَ لامرأة : «احضرى مَوضِعَ نَسيكتِك يُغفَرْ لكِ بـأَوَّلِ قطرةٍ تقعُ» يعنى : من الدمِ . والطاغيةُ يُتَقَرَّبُ بِدَمِه إلى الله كما يُتَقرَّبُ بدماءِ البُدْنِ .

وإنْ أخذ طريقَ «اللاذقيَّة*» فإن صدرَ الكلمة مُشابهٌ قولَك : أَلَّ فى الأَمرِ ، إذا قصَّر . قال «الربيعُ بنُ ضَبُعٍ الفزارىُّ*» :

---

(١) فى الكامل لابن الأثير (ذكر مُلك ذى نواس وقصة أصحاب الأخدود) وفيه أن رجلا من النصارى – الذين حُفر لهم الأخدود وأحرقوا فيه – أفلت من المأساة الرهيبة إلى قيصر الروم ، فأرسل نجاشى الحبشة فى جيش من سبعين ألفاً هجموا اليمن فركب ذو نواس فرسه فاقتحم بها البحر فغرق (١/١٥١)

(٢) على القول بتحريف الباء واللام من «بسيل» بنون وكاف .

* الوليد بن عبيد : البحترى (ف) (= ٢٣٤) .

* اللاذقية : من ثغور الساحل ، على بحر الشام . عتيقة لها مرفأ جيد محكم ، وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر (ياقوت) .

* الربيع بن ضبع الفزارى : هوالربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن عدى بن فزارة بن ذبيان ، الغطفانى المضرى . شاعر قديم من فرسانهم ، عمر طويلا (جمهرة الأنساب ٢٤٣) . ومعها : مؤتلف الآمدى ١٢٥ ، وشعراء الحماستين .

ألا أبْلِـغْ بَنِىَّ بَنِى ربيــعٍ ... فأَشرارُ البنينَ لكم فِـداءُ[1]
بـأَنى قــد كبرتُ ودَقَّ عظمى ... فــلا تشغَلْكمُ عنى النساءُ
وإن كنائنى لَنِساءُ صِـدْقٍ ... وما أَلَّى بَنِىَّ ولا أَساءُوا[2]

أى : ما قصَّروا .

وفيها وَجْهٌ آخرُ ، وهو أنك إذا حذفتَ الأَلِفَ واللامَ ثم قسَّمتَ الكلمةَ ، أَدَّتْ لفظَ : لاَذَ قِيَةً ، أى لاذ من المخافةِ بالجبل ، وقِيَةٌ من قولِكَ : وَقَى نفسَه . فهو على قياسِ : وَشَى شِيَةً ، ووَدَى القتيلَ دِيةً . وإن كانوا لم يستعملوا قِيَةً فى الأَكثرِ ، فإن قياسَها قياسُ دِيَةٍ وشِيةٍ .

ويُمُرُّ فى طريقِ « اللاذقيَّةِ » بموضعٍ يُقالُ له « أَشْتَنَانُ* » وإذا حمَلناها على الفـألِ قُلْنا : اشتِنَانٌ مصدرُ اشتَنَّ ، وهو افتعلَ من الشَّنِّ ، أى صارَ كأَنه شنٌّ من ضعفِه وخِفَّتِهِ . والشن الجِلد الخلق من|| دَلوٍ أو قربةٍ أو إدَاوةٍ أو نحوِ ذلك . (301)

ويَمُرُّ أيضاً فى طريقهِ بموضعٍ يقال له « استَخاسُ » . وذلك ، استفعَلَ من : خاسَت الجِيفَةُ إذا تغيَّرتْ ، وخاسَ القتيلُ فى المُعْتَرَكِ إذا أَرْوَحَ . ويكونُ استخاسَ ، على معنى الطلبِ من العدُوِّ . أى أنه خرَجَ لِتَخيِيسِ قَتلاه ، كما يقال : استعطى ، إذا طلب العِطيَّةَ ، واستوهَب إذا طلب الهِبَةَ .

فأَما « طَرابُلُسُ » حرسها اللهُ ، إذا حملناها على الفـألِ فتَحتَمِلُ وجهين :

---

(١) روى القالى فى نوادره ، هذه الهمزية ، أنشدها الرياشى للربيع بن ضبع ، قالها فى شيخوخته . وروايته للشطر الثانى * فأنذال البنين لكم فداء * (٢١٤) ، وانظر سمط اللآلى ٢ / ٨٠٢ ، وتتفق رواية أبى العلاء هنا ، مع رواية البحترى فى (حماسته ٣٢٢) ، والجواليقى فى (شرح أدب الكاتب ٢٦٦)

(٢) فى نوادر القالى : وما أشكو بنى وما أساءوا * ، والبيت فى (الصحاح : أ ل ا) كرواية أبى العلاء ، وفسره ما أبطئوا ، وألى ، بمعنى التقصير والإبطاء . ومثله فى (ل) .

أحدهما أن تكونَ : طراً بُلسٌ ، وتُخفَّف الهمزةُ من : طرأ ، كما قال «ابنُ أبى ربيعةَ * » :

فقالتْ وقد لانتْ وأفرَخَ رَوْعُها كَلَاكَ بحِفْظٍ ربُّك المتَكبِّرُ[1]

وبُلسٌ : جمع بَلاَسٍ ، وهى المُسوحُ . أى : يا أهلَ هذه البلدةِ عليكم الرومَ ، وشعورُهم سودٌ كأنها المُسوحُ ، فطَئُوها كما تُوطأُ مُسوحُ الشعَرِ ، وامتَهِنُوها كما تُمتَهنُ .

والآخرُ ، أن يكونَ : طراً بُلْسٌ ، والمرادُ هذا البُلْسُ[2] الذى يَستعمِلُه أصحابُ المِهَنِ . أى : قد غَشِيَ وُجُوهَ العدُوِّ من السوَادِ والقَتَرِ والإبلاسِ من الخَيْرِ ، شيءٌ مثلُ البُلْسِ. وهذا نحوٌ من قولِ العامَّةِ إذا وَصَفوا أناساً

(١) أفرخ : ذهب ، روعها : فزعها ، كلاك : حفظك (ف)
ومحل الشاهد من بيت عمر بن أبى ربيعة (= ٣١٠) فى قوله فى (كلاك) بتخفيف الهمزة من كلأك
وقبل هذا البيت فى رواية الديوان :

فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى إليك وما نفس من الناس تشعر

والبيت من رائيته المشهورة :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أو رائح فمهجر

وهى فى ديوانه المطبوع ، وفى الجزء الأول من الأغانى ، وفى الكامل للمبرد ، وأمالى القالى ... وشرح شواهد المغنى (٦٣) .

(٢) من معانى البلس فى المعاجم : بَلاس ، كسحاب : المسح . ج بُلس ، بضمتين . وبائعه بلاس . وقال الجوهرى : وهو فارسى معرب ، ومن دعائهم : أرانيك الله على البلس ، بالفم ، وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين — على هامشه فى طبعة المعارف : وكذا فى اللسان ، ولعلها التبن بالباء الموحدة — ولا أدرى وجهه ، وأصل البلس ، بالتحريك وبضمتين : التين ، أو شىء يشبهه !
والإبلاس : الانكسار والحزن ، وأبلس فلان إذا سكت غما ، وأنشدوا بيت العجاج وهو من شواهد الصاهل والشاحج (ص ٦٢٠) :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه ، وأبلسا

* طرابلس : وصفها ياقوت فى أيامه (ت ٦٢٦ هـ) بأنها مدينة الشام على ساحل البحر عليها سور صخر جليل البنيان ، ومبنى جامعها أحسن مبنى ، وبها أسواق حافلة جامعة ، ومسجد الشعاب مقصود ، وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون ، ومرساها مأمون فى أكثر الرياح .

بالكآبةِ والغَمِّ : تركناهم تنخَلُ وجوهَهم الرَّمادَ

* * *

وقد كان العدوُّ فيما سَلَفَ ، لَقِيَ من قَصَبِ السُّكَّرِ بالساحل بَلاءً عظيماً[1] . لأنهم أكَلُوه فأعَلَّهم . فإذا حملناه على الفـأْلِ ، فالقَصَبُ من قولِك : قَصَبَ اللحمَ ، أى قطعَه . فإنْ وحَّدْتَ فالقَصَبةُ جَمْعُ قاصِبٍ ، والسُّكَّرُ جمعُ ساكِرٍ ، من قولِك : سَكَرتُ الماءَ ، إذا حبستَه . وزعم بعضُ أصحابِ اللغةِ أن قصبَ السكَّرِ يُسَمىَّ المُصَابَ . فذلك طِيَرةٌ عليه بأَن يُصابَ ، من المُصِيبَةِ . قال «علقمة *» يصِفُ خيلا غزَتْ :

|| أَصَبْنَ عَدِيًّا والطريفَ بنُ مالكٍ وكان شِفاءً لو أَصَبْنَ المَلاقِطا (302)

والساحِلُ ، من قولِكَ : || سَحَله اللهُ ، إذا قشرَه . (١٥٣)

ولو خرج فى الربيعِ للقِىَ من الخزَامَى خِزَامةً لأنفِه ، ومن البَهارِ بُهراً فى نفسِه ، ومن العَرَارِ الأصفرِ عَرَارة فى النَّفرِ . والعَرارة الشِّدة ، قال «الأخطلُ*» :

إن العرارة والنبــوحَ لِدَارمٍ والمُستخِفّ أخــوهمُ الأثقالا[2]

ولَحَاذه الحَوْذانُ أى طرَده ، ولكان الوَرْدُ حِمَاماً وَرَدَه ، ولوَجَدَ الرَّيحانَ رَيًّا حانَ ، والرَّىُّ المَصدرُ من قولكَ : رَوَيْتُ على الأسير بالرِّوَاء ، وهو

---

(١) يبدأ أبو العلاء فيما يلى ، توجيه أسماء والأزهار والثمار ، على الطيرة والفأل . بعد أسماء المدن .

(٢) النبوح : جماعات الناس ، لا واحد لها (إصلاح المنطق ٢/٦٠) وروايته كما فى الصاهل . وقيل : ضجة الحى وأصوات كلابهم ، ثم وضع موضع الكثرة والعز . وشاهده فى (ص : ن ب ح) بيت الأخطل ، ونقل الجوهرى فى (ع ر ر) قول الأصمعى : العرارة الشدة ، وأنشد للأخطل :

إن العــرارة والنبوح لدارم والعز عنــد تكامل الأحساب

* علقمة : بن عبدة (= ١٢٣) ، ومحل الشاهد فى قوله : أصبن .

* الأخطل ، التغلبى (= ١٥٦) ، والبيت من نقيضته فى هجاء جرير . ودارم قوم الفرزدق (الديوان ٤٤ ، والشعر والشعراء ١٥٩) مع النقائض .

الحَبْلُ إذا شدَدتَه[١] وقال الراجز :

إنى على ما كان من تخـــدُّدِى ودِقَّةٍ فى عظم ساقِى ويَدِى
أرْوِى على ذى العُكَنِ الضَّفَنْدَدِ[٢]

أى : أشُدُّه بالرِّواءِ .

وأما الريْحانُ فهو للمسلمين رِىٌّ حَانَ ، من رِىِّ العَطشِ .

وأما الخيْرِىُّ ،[٣] فهو فعْلِىٌّ من الخُوَارِ . أى : خارَ من الفزع ، على معنى الطيَرةِ . وهو للمسلمين من : الخَيْرِ والخِيَرَةِ .

ولو رأى النَّرجسَ ، لَكُنَّا نَرجِسُ عليه . من : رجيس الرعد .

فهذا فـألٌ للأزهارِ .

وإن خرج والثمرةُ مُغضفَةٌ ، فإنه إذا عايَنَ شجرةَ الكرْمِ حملناها على الفَـألِ والطيَرةِ . وهى تُسمَّى الحَبْلةَ[٤] . وقال قوم : الحَبَلة ، بفتْحِ الباء . فالحَبْلَةُ ، بالسكونِ ، المصدرُ من قولِكَ : حَبَلْتُه ، إذا ألقيت الحَبْلَ فى عُنُقِه أو رِجلِه . والحَبَلَةُ ، بالفتحِ ، جمعُ حابِلٍ ، وهو فاعِلٌ من ذلك . وإذا رأى العناقيدَ فذلك عَنَاءٌ قِيدَ .

والفُسْتُقُ ، ويسمَّى العَزْوَق ، وأصحابُ التصريف يَحكمُون على أن الواوَ زائدةٌ فى هذا البناء. فإذا أخَذنا || بذلك ، فهو من لفظ المِعزَقةِ وهى (303)

---

(١) من معانى الرواء فى اللغة ، ككساء : حبل يشد به المتاع على البعير. جمعها أروية . وروى الحبل فتله ، ورواه على الرحل : شده على البعير لئلا يسقط .

(٢) التخدد : الهزال ، والمتخدد : المهزول . والعكن ، والأعكان : الأطواء فى البطن من السمن الواحدة : عكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً (ل) ، والضفندد : الضخم الأحمق ، قال الجوهرى : وهو ملحق بالخماسى بتكرير آخره .

(٣) الخيرى : نبت ، و قال الخزامى : خيرى البر . قال الجوهرى : هو معرب .

(٤) الحبل ، محركة : شجر العنب ، وربما سُكن . والحُبلة ، بالضم : الكرم ، أو أصل من أصوله ، ويحرك (ق) .

المِسحَاةُ ، والجمعُ معازِقُ . قال الراجزُ :

يانفسُ ذوقى نَزَوَانَ المعْزَقَهْ [١]

وقال « ذو الرمَّة* » :

نُثِيرُ بها نَقْعَ الكُلَاب وأَنتمُ   تُثِيرون قِيعانَ القُرَى بالمعازِقِ [٢]

فالمعنى : أن أَصحابَه [٣] يَحفِرون له جَدَثاً بالمِعزَقَة .

والسُّمَّاقُ [٤] ، للسيدِ « عزيزِ الدولة » ـ أعزَّ اللهُ نصرَه ـ فـألٌ بالسُّمُوق لأَنه جَمْعُ سامِق ، أَى : أَصحابُه يَسمُقُون ويَعْلُون . وإذا حمَلناه على الطيرَةِ للعدُوِّ فهو : سُمٌّ أَقٌّ ، أَى اطَّلَعَ . يقالُ : أَقَّ الرجلُ ، إذا اطلعَ من كُوَّةٍ أَو نحوِها . حكاه « أَبو عمرو الشيبانى* » .

وأَما التفَّاحُ ، فتُفٌّ وآحٌ . والتُّفُّ : وَسَخُ الأذُنِ . والآحُ ، زعمَ بعضُ أَهلِ اللغةِ أَنه بيَاضُ البَيْضِ ، وهو طعام ردىء . وإن شئتَ كان الآحُ ، حكايةَ وجَع [٥] .

وبعضُ ما يَرِدُ من الفـألِ ، يُحمَلُ على القَلْبِ . من ذلك ما رُوِى عن رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، أَنه وَجَّهَ جيشاً مع « صُرَدَ بنِ عبد اللهِ

---

(١) النزوان : الوثوب . والمعزقة : أداة العزق ، وهى كالقدوم أو أكبر (ص) .

(٢) فى شرح الديوان : النقع الغبار ، والكلاب : موضع كانت لهم فيه وقعة ، والقيعان : جمع قاع ، وهو ما استوى من الأرض وكان طينه حرا لا رمل فيه ولا حجارة ، والمعازق : المساحى من الحديد واحدها : معزقة . وانظر يوم الكلاب فى (أيام العرب) وفى الجزء الأول من كامل ابن الأثير .

(٣) الضمير لزعيم الروم : بسبيل .

(٤) السماق ، والسموق ، كرمان وصبور : ثمر يُشتهى . وسمق سموقاً : علا وطال .

(٥) الآح ، على وزن باب : بياض البيض الذى يؤكل ، وآح : حكاية صوت الساعل (ق) .

* ذو الرمة = ١٢٦ والبيت من القصيدة الثالثة والخمسين فى طبعة أوروبا ، ومطلعها :

بنى دوأب إنى وجدت فوارسى   أزمة غارات الصباح الدوالق

* أبو عمرو الشيبانى = ١٤٩ .

الأَسدىُّ* » فسار الجيشُ ، وكان عنده صلى الله عليه وسلم قومٌ من أهلِ بلَدِ «صُرَدَ» فقال لهم فى بعضِ الأَيامِ : « أَفى بلادِكم موضعٌ يقالُ له : شَكَر ؟ » قالوا : لا ، ولكنْ فى بلادنا موضعٌ يقال له كَشَر . فقال صلى الله عليه وسلم ؛ «هو شَكَر ، وهذه بُدْنُ اللهِ تُنحَرُ عند شَكَرَ» .

فقلبه صلى اللهُ عليه وسلم . ولما قدِم الجيشُ نظروا فإذا الوَقْعَةُ كانت فى ذلك اليومِ بين المسلمينَ وبين العدوِّ بنواحِى «كَشَرَ» .

وإنما قلت ذلك لأنا إذا حملنا التفَّاحَ على القَلْبِ ، قلنا : الفتاح ، جمع فاتح . من : فتح اللهُ ، إذا نَصَرَ .

وأَما الخوخُ ، فهو للعدُوِّ من لفظِ الخُوَيْخيةِ ، أَى الداهية . وهو يُسمَّى الفِرسِكَ : فَرَسَكَ يا بَسِيلُ أَسَدُ الدولة

(304) والإِجَّاصُ ، صَدْرُه أَمْرٌ للعدوِّ || بالفِرارِ . من قولِك : أَجَّ يَئِجُّ ، إذا سمعتَ حَفِيفَه فى عَدْوِه . قال الشاعرُ :

فراحتْ وأَطرافُ الصُّوَى مُحْزَئِلَّةٌ   تَئِجُّ كما أَجَّ الظَلِيمُ المُفزَّعُ[1]

---

(١) البيت أنشده الجوهرى فى (أ ج ج) شاهداً على : أج الظليم فى عدوه يؤج أجا ، عدا وله حفيف فى عدوه . والمحزئلة : المرتفعة . ورواية الشطر الثانى فى الصحاح : * يؤج كما أج الظليم المنفر * ومثلها رواية اللسان ، أنشده الأزهرى فى التهذيب . قال ابن برى ، صوابه * تؤج كما أج الظليم * لأنه يصف ناقة ، ورواه ابن دريد : الظليم المفزع . وهى رواية أبى العلاء هنا .

* صرد بن عبد الله الأزدى : (الاستيعاب رقم ١٢٣٨) ، وفى السيرة النبوية (٤/٢٣٣) تفصيل خبر مسير « صرد » رضى الله عنه إلى « جرش » من مخاليف اليمن ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له رجلان من جرش : ببلادنا جبل يقال له كشر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ... وإن بُدن الله لتنحر عنده الآن » ثم جاء الخبر أن صرد بن عبدالله ظفر بأهل جرش فى ذلك اليوم . وانظر (الإصابة ٣/٢٤١) ق أول ت ٤٠٥٥

والمِشْمِشُ ، أَمْرٌ له بعدَ أَمرٍ بالخَلْطِ فى أَمْرِه والاضطراب . يقال : مَاشَ يَمِيشُ مَيْشًا ، إذا خلط . قال « رؤبةُ » :

عَاذِلَ قد أُولِعْتِ بالترقيشِ[1]

إلىَّ سرًّا ، فاطرُقى ومِيشى

وأما الفِرْصَادُ[2] ، فإذا قسمناه للطِيَرَةِ فهو : فِرُّو صَادِ . أى : فِرّ ودَارِ . والمَصَاداةُ المُداراةُ والمدافَعةُ . وقد قرأ « الحسَنُ البصرىُّ* » : « صَادِ ، والقرآنِ ذى الذكْرِ »[3] وهو من المصاداة .

وأما الجَوْزُ ، فيزعُمُ بعضُ أهلِ اللغة أنه يُسمَّى الخَسْفَ والخُسْفَ . فأَحسَنُ أحوالِه أن يُحمَلَ على قولِهم : باتَ على خَسْفٍ وخُسْفٍ ، إذا باتَ ذا (١٥٤)
جوعٍ وهوانٍ . وإن شئتَ كان من : خَسَفَ اللهُ به ؛ فإنه أَرْوَحُ .

والفِرْكُ ، من قولِكَ : فَرَكَتْه حياتُه ، أى أبغضتْه .

وأما السفَرْجَلُ ، فقد حملتْه العامَّةُ على قولِهم : سَفَرٌ جَلٌّ . وأنا أَتـأَوَّلُه

---

(١) الرجز أنشده الجوهرى فى (ط رق) لرؤبة ، قال يعقوب : أطرق أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . وفى المثل : أطرق كرا أطرق كرا ، إن النعام فى القرى ؛ يضرب للمعجب بنفسه كما يقال : فغض الطرف . ، وأنشده كذلك فى (رق ش) شاهداً على : رقش كلامه ، زوره وزخرفه . وفى (م ى ش) شاهداً على : الميش الخلط ، قال أبو نصر : أى اخلطى ما شئت من القول . وذكره « الميدانى » فى المثل : « اطرقى وميشى » وقال : الطرق ضرب الصوف بالمطرقة ، والميش خلط الشعر بالصوف ، يضرب لمن يخلط فى كلامه بين خطأ وصواب . وعن أبى عبيدة : الميش : أن تخلط صوفاً حديثاً بنكث صوف عتيق ثم تطرقه ، أى تندفه ، والمثل يضرب فى المزاول ما لا يتجه له (مجمع الأمثال ١ / ٤٣٠) .

(٢) الفرصاد : هو التوت (ف) .

(٣) قراءة الأئمة السبعة لفاتحة سورة ص : « ص ، والقرآن ذى الذكر » لا خلاف بينهم فيها (التيسير ١٨٧) . وذكر قطرب أن « الحسن » كان يقرأ : صاد ، بالخفض ، من المصاداة وهى المعارضة والمعنى : صاد القرآن بعملك ، أى عارضه به (مختصر تفسير يحيى بن سلام ، لابن أبى زمنين الأندلسى ، مخطوط بخزانة القرويين) .

* الحسن البصرى (= ١٩٨) .

على معنىً آخرَ ، وهو أن يقالَ : سِفٌّ رَجَلَ . والسِّفُّ الحيَّةُ . وربما خُصَّ به الأَيِّمُ[١] . قال «الهذلى*» :

* وسِفًّا إذا ماصَرَّحَ الموتُ أَقْرَعَا *[٢]

ورَجَلَ ، أى : لَدَغَ فى الرِّجْلِ .

ولو رأى النخلَ «باللاذقيَّةِ» لَكان ذلك نَخْلاً لجيشِه . يقالُ : نَخَلْتُ الشىءَ ، إذا أخذت خِيارَه . وكذلك : نخلتُ الإبلَ ، إذا أخذت خِيارَها . قال «الراعى*» وهو يَصِفُ وُلاةَ الصدَقةِ وأنها أخذتْ خِيارَ مالِهم :

حتى إذا حُبِسَتْ تُخُيِّرَ خيرُها   وثنى السُّعَاةُ شَكِيرَها المنخولا[٣]

فإن كانت النخلُ سُحُقاً ، فهو من قوله تعالى :

---

(١) الأيم ، ككيس : الحية الأبيض اللطيف ، كالإيم بالكسر . جمعها : أيوم (ق) .

(٢) صدر البيت من (ديوان الهذليين ٣ / ٤٠) * جواداً إذا ما الناس قل جوادهم * وفى شرحه : السف ، بالكسر : الحية — فى ق : بالكسر والضم : الأرقم من الحيات — والأقرع : صفة للسف ، من أخبث ما يكون .

* الهذلى : هو المعطل ، أحد بنى سعد بن هذيل ، (ف) .
من بنى رهم بن سعد بن هذيل ، من قصيدة يرثى بها عمرو بن خويلد بن واثلة الهذلى ، ومطلعها :

لعمرى لقد نادى المنادى فراعنى   غداة البوَيْن من بعيد فأسمعا

* الراعى ، النميرى : (= ١٣٩) من لامية له طويلة (نحو ٩٠ بيتاً) يمدح عبد الملك ابن مروان ، ويشكو من السعاة ، قال منها :

أولىَّ أمر الله إنا معشـــر   حنفاء نسـجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله فى أموالنـــا   حق الزكاة منزلا تـنزيلا
فادفع مظـــالم عيلت أبناءنا   عنا ، وأنقـذ شلونا المأكولا
إن السعاة عصوك حين بعثتهم   وأتوا دواهى لو علمت وغُولا
إن الذين أمرتهم أن يعـدلوا   لم يفعلوا مما أمرت فتيـــلا

انظرها فى ديوانه ، وقد نقل السيوطى منها مقاطع فى شرح شواهد المغنى : ٢٥١ .

« فسُحْقاً لأَصحابِ السعيرِ »(١)

(305) وقد قرأ « عيسى || بنُ عمرَ الثقفى* » : « فسُحُقا » بضمٍّ الحاء .

وإن شئتَ كان جمع سَحُوقٍ ، من قولِك : سَحَقَه اللهُ ، إذا أهلكه .

ومن أَسماءِ النخلِ الطوالِ : العَيْدانُ . وذلك من الطيَرَة : عَىَّ ، ودَانَ . من قولِك : عَىَّ بأَمرِه ، إذا لم يعرفْ وجهَه . قال « عبيدٌ* » :

عَيُّــوا بأَمرِهمُ كما عَيَّتْ ببيضتِها الحمامَهْ

ودانَ ، من قولِك : دَانَ للسلطانِ ، إذا ذلَّ وأَطاع ،

وإن الرمَّانَ ليَشهَدُ أَن العدوَّ ، خذله اللهُ ، قد رَمَّ ومَانَ . رَمَّ ، أَى بَلِىَ . ومان ، أَى كذب .

وأَما حَبُّ الآسِ ، فإنا نَحمِلُه على أَن الآسَ بقيةُ الرَّمادِ ، فكأَن الآسَ يَغشَى وَجْهَ العدوِّ من الفَرَقِ .

وفى النارَنْجِ ، نارٌ تُحرِقُه ، وفى الأُتْرُجِّ ، رَجَةٌ للعسكرِ تُفرِّقُه .

* * *

ومِمَّا يُحمَلُ على الفـأْلِ والطيَرةِ من أَسماءِ أَصحابه :

---

(١) من الآية ١١ سورة الملك . القراءة بضم الحاء فى « فسحقاً » هى قراءة الكسائى ، من الأئمة السبعة . والباقون بإسكان الحاء (تيسير الدانى ٢١٢) .

* عيسى بن عمر الثقفى . من أعلام نحاة البصرة وقرائها . ذكروا له نحو سبعين مصنفاً فى النحو ، ومنها (الجامع) المقول بأنه (كتاب سيبويه) ت ١٤٩ هـ (الإنباه ٢/٣٧٤) .

* عبيد ، بن الأبرص الأسدى (= ٢٠٥) ، من قصيدته فى تحريض قومه على رفض الهوان من حُجر الكندى :

يا عـــين ما فابكى بنى أســـدٍ همُ أهـــل الندامة

(الديوان ١٢٥ ، والشعر والشعراء)

والشاهد رواه الجواليقى فى (شرح أدب الكاتب ١٦٥) وابن قتيبة فى باب الطبائع من (عيون الأخبار ٢/٧٣) . وبعده فيهما :

جعلتْ لهـــــا عودين من نشم وآخـــــر من ثمامـــه =

الدَّمَاسِقَةُ ، جمعُ دُمُسْتُقٍ . تجعلُها : دماء سِقَةٍ . فالدماءُ جمعُ دَمٍ .
والسِّقَةُ المصدرُ من قولِك : وَسَقْتُه وَسْقاً وسِقَةً ، إذا طَرَدْتَه . كما تقول : وَعَدْتُه وعدًا وعِدَة . أى : يُطرَدُون وتُسفَكُ دماؤهم .

والبطارقةُ ، بِطَاءُ رِقَةٍ . والبِطاءُ جمعُ بطىءٍ ، والرِّقَةُ الفِضَّة . من قوله صلى اللهُ عليه وسلم : « فى الرقَةِ رُبْعُ العُشْر » .

أى : يؤسَرون فلا تؤخَذُ منهم الفضةُ ، بل يُفدَون بالذهبِ ، فتبطىءُ رِقَتُهم لذلك ، إذا كانت لا تُقبَلُ منهم .

والواحدُ بِطريقٌ . فإذا قَسَمناه على حُكمِ الطِيَرةِ فهو : بطْ ريقٌ . فقولك : بطْ ، أمْرٌ من : وَبَطَ يَبِطُ ، إذا ضعُفَ ونقَص . قال « الكُمَيتُ* » :

* بِأَيْدٍ ما يَبطِنَ ولا يَدِينَا *(1)

= وأنشدهما الميدانى فى المثل (أخرق من حمامة ١/٢٥٥) ، وذلك بأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عشها فى الموضع الذى تذهب به الريح وتجىء ، فبيضُها أضيع شىء ، وما ينكس منه أكثر مما يسلم . والثمام نبت ضعيف هش .

(١) يدينا : يدى الرجل ، إذا اشتكى يده (ف ، ض) صدر البيت * فأى ما يكن يكُ وهو منا * وبعده : فإن نغفر فنحن لذاك أهل وإن نرد العقاب فقادرينا أنشده « ابن السكيت » فى التهذيب برواية : * بأيد ما وبطن وما يدينا * شاهداً على وبط يبط فهو وابط ، إذا تضعضع وساءت حاله .

والوابط الضعيف الجبان . ويقال : أردت حاجتى فوبطنى عنها : حبسنى .

ويدَيت الرجلَ ، أصبت يده فهو ميدى . فإن أردت أنك اتخذت عنده يدا قلت : أيديت عنده يدا فأنا مودٍ وهو مودى إليه . وقالوا فى الظبى إذا وقع فى الحبالة : أميدى أم مرجول ؟ أى ، أوقعت يده فيها أم رجله والوابط الضعيف الجبان . ويقال : أردت حاجة فوبطنى عنها : حبسنى .

ويديت الرجل ، أصبت يده فهو ميدى . فإن أردت أنك اتخذت عنده يدا قلت : أيديت عنده يدا فأنا مود وهو مودى إليه . وقالوا فى الظبى إذا وقع فى الحبالة : أميدى أم مرجول ؟ أى وقعت يده فيها أم رجله ؟

صدر البيت : * فأى ما يكن يكُ وهو منا * وبعده :

فإن نغفر فنحن لذاك أهـــل وإن نُرد العقاب فقادرينـــا

أنشده ابن السكيت فى التهذيب برواية : * بأيد ما وبطن وما يدينا * شاهداً على وبط ، يبط فهو وابط ، إذا تضعضع وساءت حاله (٦٠٠) .

* الكميت ، بن زيد : = ٢٦١ من نونية له يفخر بعدنان ، منها شواهد فى الشعر والشعراء ٩٥ والخزانة ١/٤٣٣ .

أَى : اضعُفْ ياريِقُ وانقُصْ . وإنما يَنقُصُ الريقُ إذا جفَّ من الفزعِ .

قال «القُطَامى*» :

|| قد حقَنَ اللهُ بكَفَّيْكَ دَمِى ... من بعدِ ماذَبَّ لسانى وفمِى[1] (306)

والبطَرْكُ[2] ، تنطقُ به العربُ على وزن دِمَقْس . قال «الراعى*» :

* مَشْىَ البِطَرْك عليه رَيْطُ كَتَّـــان *[3]

وإذا حمَلناه على الطيرَة للعدُوِّ قلناه : اِلْبِطْ رَكَّ يا بِرذَونَ الطاغية . رَكَّ أَى : قد رَكَّ فى معنى : ضَعُفَ .

والمِطرانُ : مِطْ رانَ . فمِطْ فى معنى تنحَّ . ورانَ ، من قولِهم : رانَ الذنبُ على قلبِه ، إذا غلَب عليه .

والأَساقفةُ ، تحتمل أمرين :

أَحدُهما أَن يكونَ : أَسَى قُفَّةٍ . والمعْنى : حُزنُ شيخٍ كبيرٍ . يقالُ للشيخ الكبيرِ : قد صار قُفَّةً . وإنما شُبِّهَ بالشجرةِ البالية وهى القُفَّةُ .

والآخرُ ، أَن يكونَ : أَساءَ قُفَّةٌ . من الإساءةِ ، فقُصِرَ – على ما مضى فى «أَفامِيَةَ» – أَى : أَساءَ هذا الشيخُ وهو الطاغية . وقال الراجزُ فى القُفَّةِ الشجرةِ :

---

(١) يمدح «زفر بن الحارث الكلابى» ، ذب لسانه : ذبل من العطش . أنشد فيه الجوهرى :

وهم سقونى عللا بعـــد نهـــل ... من بعد ما ذب لســـانى وذبل

وذب جسمه : هزل ، والنبت : ذوى .

(٢) ضبطه فى (ق) على وزن قمطر ، وجعفر : البطريق . وفى (ل) : «البطرك ، بفتح وسكون ، مقدم النصارى وجاء فى الشعر : البِطَرك» وأنشد بيت الراعى . فكأنها عنده ضرورة ، وليست لغة . وأهمله الجوهرى .

(٣) يصف ثوراً وحشياً . وصدر البيت : * يعلو الظواهر فرداً لا أليف له * .

* القطامى ، عمير بن شييم = ٤٤٠ .
* الراعى ، النميرى = ١٣٩ .

تقولُ سَلْمَى إذ رأتْنى كالنَّسرْ
أَسْوَدَ كالقُفةِ محزومَ الصَّدرْ
كان أبى عن ذا غنيًّا ذا وَفرْ
لو كنتُ زُوِّجتُ غلاماً كالبَدرِ
مثلَ هلالِ بن سُفَيحٍ أو عَمرِ
يأخذُنى بين الكِفاءِ والكِسرِ[1]

والقَسُّ ، إذا حملناه على الطيَرةِ قلنا : اِلْقَسْ . وهو أَمْرٌ من : لَقِسَ يَلقَسُ ، إذا غَثَتْ نفسُه وساء خُلُقُه[2] .

فهذه جُمَلٌ من الفألِ والطيَرةِ .

* * *

ولولا خشيةُ مَلَلِكَ أيها الشاحِجُ ، لأَطلْتُ . وكأَنى بأهلِ مِلَّةِ هذا الرجل الذين يقيمون بين المسلمين ، إذا بلغهم عنى مثلُ هذه المقالةِ حَسِبُوا
(١٥٥) أنى اعتقدتُ فيهم شرَّ اعتقادٍ . ولستُ أُبغضُ || على المِلَّةِ ، لأنها بين ابن آدمَ وبين ربِّه . وإنما أَحَبُّ الناسِ إلىَّ أكثرُهم نفعاً لى ، وأَبغَضُهم إلى
(307) || نفسى مَن كثُرتْ منه مَضَرَّتى. ومَنْ آمَنُ شَرَّه من المخالِفين فإنى وإيَّاه كما قال «القينى *» :

(١) فى اللسان : والقفة الشجرة اليابسة البالية ، يقال : كبر حتى صار كأنه قفة . وعن الأزهرى : القفة شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر شبر وتيبس فيشبه بها الشيخ إذا عسا. وكل ما يبس فقد قف قفوفاً. والكفاء ، بالكسر والمد : شقة أو شقتان تخاط إحداهما بالأخرى ثم تسد به فرجة مؤخر الخباء . تقول منه : أكفأت البيت إكفاء ، جعلت له كفاء . والكسر ، بالكسر : أسفل شقة البيت مما يلى الأرض ، من حيث يُكسر جانباه عن يمينك و يسارك . عن ابن السكيت . قال : ومنه قيل فلان مكاسرى ، أى جارى ، كِسرُ بيته إلى جانب كسر بيتى (ص) .

(٢) اللاقس : العياب ، لقسه يلقسه لقسا . حكاه أبو زيد . ويقال : فلان لقس شكس ، عن ابن السكيت . ولقست نفسه : غثت ، وخبثت (ص) .

* أبو الطمحان = ٥٢٤ ترجم له « الآمدى » فى القينى ، والأسدى . وكأنهما شاعران . ونبه =

وإنى وإن كانوا نَصارى أحِبُّهم   ويرتاحُ قلبى نحوهم ويتوقُ[1]

وقد تحدَّثَتِ العَوَامُّ بأَن قوماً متطوعين غزوا من ناحية الخزر . فإن كان هذا صحيحاً فإنه يَلفِتُ الطاغيةَ عن هذه الجهةِ ويَفُكُّ عزمَه عن الخروجِ . فيكونُ مثلُه مثلَ الضرْبِ الأَوَّلِ من الطويلِ أو غيرِه من الأَوزانِ ، إذا أَرادوا الفَكَّ منه صرَفوا وجهَه عما هو عليه . ألا ترى أنك إذا أَردتَ أَن تَفُكَّ من قولِه :   * ياحَارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بدَاهِيَةٍ *[2]

وزناً مديدا ، أخذتَ من أَوَّلِه قولَه : يا حارِ لا ، فجعلتَه فى آخرِه ؛ فكأَنه التفتَ عن تلك الجهةِ ؟ فكذلك الطاغيةُ فُكَّ ، أى صُرِف وجهُه

---

(١) روى الآمدى أبياتاً من القصيدة القافية التى منها هذا البيت ، فى ترجمة أبى الطمحان الأسدى ، وأنشدها الأخفش قراءة من خط ثعلب ، يمدح قوماً من النصارى كان نديماً لهم ، يقال لهم بنو الحذاء . وقال الأخفش : «وأنشدناه المبرد قال : هو لطخيم بن أبى الطخماء الأسدى ، قال : ولا أعرف أبا الطمحان إلا القينى وهو الشرق بن القطامى» — فى هذا وهم نبه عليه كرنكو : الشرق بن القطامى هو النسابة المشهور ، أما أبو الطمحان فحنظلة بن الشرق —

وبيت الصاهل والشاحج ، فى أبيات من سهل الشعر وحسنه أنشدها «المبرد» فى (الكامل ١ / ٤١) لأبى الطمحان يمدح قوماً من أهل الحيرة ، من بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد العبادى ، وأولها :

كأن لم يكن يوم بزورة صالح   وبالقصر ظل دائم وصـــديق
بنو السمط والحذاء كل سميدع   له فى العروق الصالحات عروق
وإنى وإن كانوا (البيت)

(٢) تمام البيت : * لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك * لزهير بن أبى سلمى ، من قصيدته الكافية التى ذهب الأصمعى إلى أنه ليس للعرب قصيدة كافية أجود منها :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا   وزودوك اشتياقاً أية سلكوا

والخطاب فى الشاهد هنا ، للحارث بن ورقاء الصيداوى الأسدى ، وكان قد أغار على بنى عبد الله بن غطفان واستاق إبله (الديوان ١٦٤) .

= عليه كرنكو فى الهامش : هذا وهم من الآمدى فإنه أبو الطمحان القينى الأسدى ، لغة فى الأزدى (ص ١٥٠) ، والذى فى جمهرة الأنساب أن القين بن جسر ، جد أبى الطمحان ، من بنى أسد بن وبرة القضاعى (ص ٤٢٤) .

إن شاء اللهُ ، وتَوجَّه إلى ما وراءه .

وكذلك : « قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعِرفانِ »[١]

إذا أردتَ أن تَفُكَّ منه أصلَ المديدِ ، أخذتَ من أوَّلِه : قِفَا ، فزِدتَها على آخرِه .

وقد عظَّمَ المُخبرون حديثَ هذه الغارة . فإن كان الأمرُ على ما يَحكُون ، فقد هَتكُوا مُلْكَ الطاغيةِ . فمَثَلُه مَثَلُ وَزنٍ وضعه أهل العلمِ لم يجئْ مِثلُه عن العربِ ولا عن الشعراء المُحدَثِين ، لأنه ليس فى حُكم الشعرِ وإنما يوضَعُ تصَنُّعاً وتكلفاً . وذلك أنهم أسقطوا من أولِ الطويلِ جُزءاً ومن أولِ نصفه الثانى جزءاً ، وحذفوه من بعد ذلك فقالوا :

إذا آخَيْتَ قومًا فآخِ من الفِتيـــان رحبَ المَناخ

وسمَّوا هذا الوزن المهتوك[٢] وذلك مِثلُ هذا الرجلِ ، بعد أن كان طويلا يُحسَبُ من || ملوكِ الشعرِ ، صار مهتوكاً[٣] يضعف أن يكونَ من أصحَّاء العامة . (308)

وقد زعم بعضُ المُخبرينَ أن رجلا من ولَدِ « الفَقَّاسِ* » انصرف

(١) لامرئ القيس ، وتمام البيت وهو مطلع القصيدة : « ورسم عفت آياته منذ أزمان » .

(٢) كذا فى ض ، وهامش ف وفى متنها [المنهوك] وليس السياق له . المنهوك من الشعر ، ما ذهب ثلثاه من الرجز والمنسرح . ويأتى فيما يلى ، ص (٦٨٨) .

(٣) فى النسختين . وأكثر ما يستعمل الهتك فى تمزيق الثوب والعرض ، وهُتك عرشه : ثُلَّ .

* من ولد الفقاس : أى من ذرية « ابن الفقاس » وهو فى الرواية الإسلامية رجل مسلم من طرسوس تنصر . ولده « نقفور » أشهر قواد الروم فى حروبهم بالشام على عهد سيف الدولة . ثم غلب على ملك الروم بعد موت الأمبراطور رومانوس . وقد أشار عليه البطريك بالزواج من أرملة الأمبراطور ومشاركة والديها « باسيل وقسطنطين » فى الملك . حتى خافت أمهما عليهما منه ، فتواطأت مع « يانس بن شمشقيق » فاغتاله فى سنة ٣٥٩ هـ . انظر (تاريخ حلب ١/١٤٤ ، والنجوم الزاهرة ٤/٥٦ ، ودول الإسلام ١/٢٢١ أحداث سنة ٣٥٩ هـ) .

من عسكر هذا الرجل ففَلَّ من عزمه وفَتَّ فى عضده . وإن كان ذلك على ماذكروه ، فإن العلةَ إذا حَلَّتْ فى البناءِ الواحدِ ، حَلَّتْ فى الأَبنيةِ المجانسةِ له . ألاَ ترى أن الواوَ فى : يغزو ، عليلةٌ ، وأن علَّتَها سَرَتْ فى : غزَا وغازٍ ومستغزٍ وغُزَاةٍ وغازِينَ ، وجميع ما يتصرَّفُ من هذا اللفظ. إذا لم يكن قبلَ الواوِ ساكناً كما سكنَ فى غَزْوٍ ، فإنه إذا كان كذلك صحَّت الواوُ ؟

* * *

وتحدَّثت العامَّةُ أن سببَ الفسادِ بين «السيدِ عزيزِ الدولةِ» — أعزَّ اللهُ نصرَه — وبين الطاغيةِ ، أنه سَامَه أن يجتمعَ معه . والمثلُ السائرُ :

وهل يجتمعُ السيْفانِ ويْحَكَ فى غِمْـدِ[1] ؟

وكيف يطمعُ مثلُه فى هذه المنزلةِ ؟ وإنما قيلَ إنه جعلَ للسيد «عزيز الدولة» — أعز اللهُ نصرَه — العُشْرَ فى مَملكَتِه . ولا يَغيضُ من حالِه . فمثَلَه فى ذلك مثلُ وزنٍ عِدَّتُه فى الأَصلِ أربعون حرفاً ، ذهبتْ منه أربعةُ أَحرفٍ ، وهى العُشْرُ ، فلم يَبِنْ فيه ذلك . وليس فى الشعرِ وزنٌ عِدَّتُه أربعون حرفاً فى الأَصلِ إلا وزنٌ واحدٌ وهو الأَولُ من المتقاربِ ، وهو مِثلُ قول «بِشْرِ بن أبى خازِمٍ *» :

فأَما تميمٌ تميمُ بنُ مُرٍّ ... فأَلفاهمُ القومُ رَوْبَى نياما[2]

---

(١) صدر البيت : * تريدين كيما تجمعيني وخالدا * لأبى ذؤيب الهذلى مطلع داليته (ديوان الهذليين ١٥٩/١) .

(٢) من مفضلية لبشر. وانظر بيان الجاحظ ١٥/٣ .

الروبى الذين شربوا الرائب من اللبن فثقلوا فى النوم ، ويقال الذين تخثروا من الشبع (ض) . وفى طرة (ف) " سكارى من النوم ، وقيل شربوا الرائب فسكروا ، قال ابن قتيبة هذا القول الثانى فى (أدب الكاتب) وأنكره فى كتاب المعانى وقال : ليس هذا القول بشىء " وفى شرح (أدب الكاتب ١٧٣) : روبى ، ناعسون ، الواحد رائب فى قول الأصمعى وأبى عبيدة ، وقال غيرهما : أروب مثل أحمق وحمق ، ويقال : روبان مثل كسلان وكسلى . والشطر الثانى أنشده ثعلب فى (مجالسه ٢٣٠) شاهداً على : الرائب الساقط الناقص النفس ، والجمع : روبى . وأنشد الجوهرى البيت فى (روب) شاهداً على : قوم روبى ، أى خثراء النفس مختلطون ، وهم الذين أثخنهم السير فاستثقلوا نوماً ، ويقال : شربوا من الرائب فسكروا ، واحدهم روبان ، وقال الأصمعى : واحدهم رائب مثل هالك وهلكى . ونحوه فى (س ، ل) .

* بشر بن أبى خازم ، الأسدى = ١٧٧ من قصيدته الفخرية (الديوان ١٨٦ ، ومختارات =

فإذا ذهبتْ منه أربعةُ أحرفٍ لم يُرَعْ لذلك ، إذ كان ذهابُها من مواضِعَ لا يشُقُّ عليه أن تنقُصَ وتَغيضَ ، كقولِ «الخنساء*» :

وخيلٍ تَكَدَّسُ بالدَّارِعِينَ تحتَ العَجاجةِ يَجمِزن جَمْزا

(309) ||وإنما أَحُدُّ الأَوزانَ بالحروفِ على عِدَّةِ أجزائها والتقطيع الذى يوجبُه حُكْمُ العروض ، لا على ما يَثبتُ فى الخَطِّ . فأَنا أَعُدُّ : فأَمَّا ، خمسةَ أَحرف لمكانِ التشديدِ . ولا أَحتسبُ بأَلِفاتِ الوصْلِ التى تسقُطُ فى اللفظِ وتثبتُ فى الخطِّ ، مثلِ أَلِفِ القومِ والخيلِ ، إلى غير ذلك من أَحكامِ الوزنِ . ولا أَذكرُها خشيةَ أَن أُملَّ ، وإنما قلتُ ذلك مخافةَ أَن يَظنَّ ظانٌّ أَنى عنيتُ عدَدَ الحروفِ المكتوبة ، فيعد البيتَ وإذا وجَدَه على خِلافِ ما قلتُ ، ظنَّ أَنى تخرَّصْتُ .

وفى الشعرِ وزنٌ آخرُ عِدَّتُه أَربعون حرفاً ، إلا أن أَصلَه فى الدائرةِ اثنانِ وأَربعون . وذلك هو الضربُ الأَول من الرمَلِ ، مثل قول «عدىِّ بن زيدٍ*» :

= ابن الشجرى ٨٩) :

غشيت لليلى بشرق مقاما فهاج لك الرسم منها سقاما

وقبل البيت هنا :

ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذاباً وكانا غراما

* الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن الشريد = ٣٢٦ .

من مختار مراثيها فى صخر ، وأولها :

تعرقنى الدهر نهساً وحزا وأوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً

(الديوان ، وكامل المبرد ٤ / ٥٩) وشواهد المغنى رقم ١٢٦ ، ٥٤٨ ، وسياق البيت فى القصيدة :

جززنا نواصى فرسانهم وكانوا يظنون ألا تجزا

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بألا يصاب فقد ظن عجزا

والجمز : ضرب من السير أشد من العنق ، والجمزى : السريع . والدارع : لابس الدرع ، مؤنثة ، والجمع القليل أدرع وأدراع ، والكثير دروع . وتصغيرها دريع ، على غير قياس ، لأن قياسه : دريعة ، بالهاء (ص) .

* عدى بن زيد ، العبادى = ١٦٢ من قصيدة بعث بها من حبسه إلى النعمان بن المنذر ، وبعد الشاهد هنا ، بيته المشهور :

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

(الديوان ، والشعر والشعراء ، وشعراء النصرانية ، وشواهد المغنى رقم ٤٢٨) .

أَبْلغِ النعمانَ عنى مَأْلُكاً … أنه قد طال حَبْسى وانتظارِى[١] (١٥٦)

فهذا مبنىٌّ من خمسة أجزاءٍ سُباعيات وجزءٍ خماسىٍّ، فذلك أربعون حرفاً . وأَصلُه أن يكونَ ستةَ أجزاءٍ سُباعيات. وقد يذهب من هذا الوزنِ أربعةُ أحرفٍ فلا يَنقُصُه ذهابُهن فى السمْعِ . مثلُ قول «الأَفْوَه»* :

وترى الطيرَ على آثارِنـــا … رأْىَ عيْنٍ ثقةً أن سَتُمار[٢]

أَفبالعُشْرِ الذى لم يَغِض من المملكة ، أردتَ أن تَستحوذَ على مودَّة «السيد عزيز الدولة» أعز اللهُ نصرَه ؟ ولعله إن شاءَ اللهُ إن حاربَ أَخذ الخُمْسَ بحقٍّ الغنيمة ، فبانَ أَثرُ ذلك على مَن أُخِذَ منه ، كما بان سقوطُ الخُمْسِ فى الضربِ الأَول من المتقاربِ ، ولم يَبِنْ فيه سقوطُ العُشرِ . وذلك أنك إذا أَسقطتَ من ذلك الوزنِ الذى أَصْلُه أربعونَ حرفاً ، ثمانيةَ أحرف ، تبيَّن خلَلُه . نحو قولِ القائل :

سَرَّ وبرَّ وجــادَ وعادَ … وراضَ وعاضَ ومَنَّ وأَنْعَم[٣] (310)

فإلى هذه الحالِ تصيرُ بلادٌ كان يؤخَذُ منها العُشْرُ فأَخذَ الخُمُسُ بحقٍّ الغنيمة .

وليس فى الأَوزانِ المتَنصَّفةِ السالمةِ من الزِّحافِ ، شىءٌ يخرُجُ عُشْره

---

(١) الألوك : الرسالة ، والمألك والمألكة ، بالضم (ص) وفى (ل) : فأما قول عدى ابن زيد : أبلغ النعمان البيت ، فإن سيبويه قال : ليس فى الكلام مَفعل – حروفه أصلية – وروى عن محمد ابن يزيد – المبرد – أنه قال : مألك جمع مألكة .

(٢) الأفوه ، الأودى = ٥٠٠
من قصيدة من مختارشعره فى (الشعر والشعراء)
وانظرها فى ديوانه بالطرائف الأدبية ص ١٠ ، والأمالى ٢/٢٢٤ ، ١/١٢٥ .

(٣) عاض : من العوض ، تقول : عاضنى فلان، وأعاضنى وعوضنى ، إذا أعطاك. واعتاض وتعوض : أخذ العوض ، واستعاض : طلب العوض (ص) وعلى هامشه حشى الشيخ نصر الهورينى : «وفرق ابن جنى بين العوض والبدل ، وهو أن العوض أشد مخالفة من المبدل للمعوض منه» .

صحيحاً فى العددِ ، غير هذين الوزنَين ، لأنهما أربعون حرفاً . ألا ترى أن الطويلَ الأولَ إذا صُرِّعَ ، ثمانية وأربعون حرفاً ، فليس له عُشْرٌ صحيح . فإذا لم يُصَرَّعْ فهو سبعة وأربعون حرفاً . وعلى ذلك يَجرِى جميعُ الشعر ، لا يخرُجُ عُشْرُه صحيحاً . إلا أن الثانىَ من الخفيف عِدَّتُه أربعون حرفاً ، لم أذكرْه مع الوزنينِ الماضِيين لأنه مهجورٌ قلما تَرِدُ عليه القصائدُ ، وليس عليه قصيدة مشهورة . وأَصلُه أن يكونَ اثنين وأربعين حرفاً .

وهذا حُكمُ غيرِ المصرَّعِ لأن التصريعَ فرعٌ . وقد جاء المصرَّعُ من الكاملِ الثانى ، ومن المنسرحِ الأولِ ومن البسيطِ الثالث ومن الرمَلِ الثانى ومن ثانى الرجز ومن أولِ السريعِ ، على أربعين حرفاً . وهى من الفروع .

ولو أن هذا الرجلَ شَطَرَ مُلْكَه للسيدِ «عزيز الدولةِ» — أعزَّ اللهُ نصرَه — لم يُجِبْه إلى ما سألَ ، إلا أن يرى فى ذلك صلاحاً للمسلمين . بل لو نِيطَ مُلْكُه لِيَصِلَ إلى ذلك ، لألفاه متعذرًا إلا أن يُلتَمَس به سلامةُ الرعية . والمنهوكُ : الذى قد ذهب ثلثاه من الشعر ، والمشطورُ الذى قد ذهب نصفُه ؛ ولو زاد على النهكِ الخبَلَ فى الجزءين حتى يذهبَ من مُلْكِهِ ثُلثاه وثُلثا سُبْعِهِ ، وذلك اثنانِ وثلاثون جزءًا من اثنين وأربعين جزءًا ، لم يُجَبْ إلى ما سألَ ، إلا أن يرى السلطانُ — أطال اللهُ بقاءه — خيراً فى ذلك لِأهلِ هذه البلادِ .

وقد حكى عنه بعضُ الحاكينَ أنه يقولُ ، أريدُ أن أخرجَ فأستردَّ ما أخذَه المسلمون من أرض الروم :

كذبتْك نفسُكَ هل رأيتَ بِوَاسطٍ   غَلَسَ الظلام من الربابِ خَيالا[١]

هيهاتَ هيهات ! إن الشعرَ المجزوءَ وهو الذى ذهب منه جزءانِ ، لا يرجعُ إليه أبدا ما ذهب منه . ألا ترى أن قولَ القائل : « إن بالشِّعْبِ » القصيدةَ[٢] : لا يَلحَقُ بأَصلِ المديد أبدا ؟ وكذلك قولُ «عبيد*» :

« أقفرَ من أهلِه مَلْحوبُ »

لا يصيرُ أبدا مثلَ قولِ الآخرِ :

أَبلغْ سلامةَ أن الصبرَ مغلوبُ   وإنما ذِكرُها جَهْـدٌ وتعذيبُ

وكذلك مَلكُ الرومِ ، لا يرجعُ إليه الجزءُ الذى ذهب منه . وإنما مَثَلُه فى سيرهِ هذا ، مَثَلُ «الحارثِ بنِ أبى ربيعةَ المخزومىّ*» لما قيلَ فيه[٣] :

إن القُبَاعَ سار سَيْرًا نُكْرَا

---

(١) البيت للأخطل ، من قصيدة يهجو جريراً ، وهو مطلعها : والرواية المشهورة فيه :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا

فى ض : [ملث] وعلى هامشه : يقال جئت ملث الظلام ، أى عند اختلاطه . وما هنا من (ف) أنشده الجوهرى فى (غ ل س) شاهداً على الغلس : ظلمة آخر الليل ومثله فى (ل) ، وأنشده ابن هشام فى (المغنى رقم ٥٦) وقال : حرف « أم » فيها للاستفهام المجرد ، عند أبى عبيدة . فالمعنى : هل رأيت بواسط . ونقل ابن الشجرى عن جميع البصريين أنها أبداً معنى بل والهمزة جميعاً ، وأن الكوفيين خالفوهم

(٢) يعنى القصيدة التى أولها — انظر صفحة ٥٢٣ — :

إن بالشعب الذى دون سلع   لقتيلا دمه ما يطل

(٣) مثلها رواية « المبرد » فى (الكامل ٣/٣٠٧) ، ورواية الطبرى فى تاريخه الشطر الأول : « سار بنا القباع سيراً نكرا » وذلك أن القوم ألحوا على الحارث بن أبى ربيعة فى النهوض لقاء الخوارج الذين كانوا قد خرجوا من المدائن إلى الكوفة وخالطوا سوادها ، فتثاقل الحارث ثم لما ضغط عليه خرج متحاملا متباطئاً حتى زجر به الناس ، فسار متباطئاً فكلما ترك الناس منزلا ضجوا به وصاحوا من حول فسطاطه =

* عبيد ، بن الأبرص الأسدى = ٢٠٥ ، وتمام البيت ، وهو مطلع قصيدته المعلقة :

« فالقطبيات فالذنوب »

* الحارث بن أبى ربيعة المخزومى ، القباع ، هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى نسب (قريش ٣١٨ ، وجمهرة الأنساب ١٣٧) ، غلب عليه النسب إلى جده ذى الرمحين أبى ربيعة بن =

يسير يوماً ويُقِيمُ شَهْرَا

بل يُقيمُ سنةً ، على ما شاهدناه ، وإنما الشرور بالبادرةِ ، ونسأل اللهَ الكفايةَ .

أنشد « حبيبُ بنُ أوْسٍ* » في بعضِ اختيارِه لـ « عبيدِ بن الأبرصِ » – وليستْ توجَدُ في (ديوانِ عبيدٍ) وقد أملاها « عليُّ بنُ سليمانَ* » ولم يُسَمِّ قائلا :

نعمَ الرفيقُ وخيرُ صُحبتِـهِ يَأْوِى المُضافَ لِغَارةٍ قُطُرَهْ[1]
ولَقَـد مُنيتَ بجَمْرٍ ذي شررٍ ذاكٍ فلا تتعَرَّضَنْ شرَرَه
والجـارَ يحبـو بجَفْنَتِـه ولا يَـذُمُّ رفيقُـه خَبَرَه
فأصابه حَتْفٌ فأقْصَـدَه فلَنِعْمَ مقبوراً ومَنْ قَبَره[2]
والخَيرُ لا يأتى عـلى عَجَلٍ والشرُّ يَسْبِقُ سيلُه مَطَرَه

‖ وإنما أنشدتُ هذه الأبياتَ لأجلِ البيتِ الأخيرِ . (312) (١٥٧)

* * *

= (تاريخ الطبرى سنة ٦٤ إلى سنة ٦٦) وذكر الجوهرى القباع في (ق ب ع) : لقب الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومى ، وأنشد قول الشاعر فيه :

أمـــير المؤمنين جُزيت خيراً أرحنا من قباع بنى المغـــيره

وقد عزله ابن الزبير ، وولى أخاه مصعب بن الزبير ، سنة ٦٦ هـ .

(١) المضاف ، في الحرب والغارة : هو الذى أحيط به ، وقوله : غارة قطره ، لعله من القُطْر ، بالضم ، الناحية والجانب ، ج أقطار والقُطُر أيضاً ، بضمتين ، المقطور بعضها إلى بعض (ص.س) .

(٢) أقصده أصابه فقتله . يقال : أقصده السهم ، إذا أصابه فقتل مكانه (ص) .

= المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، مثلما غلب ذلك على أخيه عمر بن أبي ربيعة ، وإنما هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومى – ثم اشتهر بلقب القباع ، وهو في اللغة المكيال الضخم ، لما ولى البصرة سنة ٦٤ هـ لعبد الله بن الزبير ، فنظر إلى مكيال لأهلها وقال : إن مكيالكم لقباع – انظر خبره في تاريخ الطبرى ٧ / ١٦٤ ، ١٦٥ .

* حبيب بن أوس ، أبو تمام = ٣١٠ .
* على بن سليمان ، الأخفش الصغير = ٥٤١ .

وكان «أَحمدُ بنُ يَحيَى الشيبانى* » ينشد : قُطُرَهْ ، بالضمِّ . وكان «الرياشى * » ينشدُ : قَطَره ، بالفتح .

وتحدثَ العامَّةُ أن غِلمانًا ورَدوا من بلادِ الرومِ إلى حضرته العالية. واختلفَ فيهم القولُ ، فقال بعضُ الناسِ : هم هديَّةٌ من زعيمِ الرومِ . وقال آخرون : بل «السيدُ عزيزُ الدولة » - أَعز اللهُ نصرَه - اشتراهم بماله .

فإن كانوا هديةً ، فهو - خلَّد اللهُ مُلْكَه - يُجازِى عنهم بأَضعافِ القيمة . وإن كانوا شِراءَ ماله فإن ذلك أَجْدَرُ بالنماءِ والبركة .

وزعموا أَن عِدَّتهم نَيِّفٌ وثلاثون ، ولم يثبُتوا فى العِدَّة على قولٍ واحدٍ . فإن كانوا أَربعةً وثلاثينَ فهم فى عِدَّةِ أَعاريضِ الشعرِ على رأى «الخليلِ* » وإن كانوا اثنين وثلاثين فهو مذهبُ «الزجَّاج* » فى أَن الشعرَ له اثنان وثلاثونَ عَروضاً. وإن كانوا أَحَدًا وثلاثين - وعليه كاد الإجماعُ يَقَعُ - فهم فى عِدَّةِ القوافى المتواترة . ولهم وَجْهٌ آخرُ ، وهو أَن بعضَ الناس يزعمُ أَن قوافى الشعرِ الخَمْسَ التى تقدَّمَ ذِكرُها - والمتواترُ بعضُها - تتفرعُ إلى إحدى وثلاثين قافيةً .

وإنما شبَّهتُهم بالأَعاريضِ والقوافى ، لأَنى إذا جعلتُ للشعر ملوكًا ، وكان الطويلُ ومنه ثلاثةُ أَملاكٍ تضمُّه عَرُوضٌ واحدةٌ ؛ فالعَروضُ إذًا لها شأنٌ عظيمٌ . وهذا يدخلُ فى معنى الفألِ ، ويجعلُ اللهُ سبحانه عبيدَ السلطان - أَطال اللهُ بقاءه - ملوكًا وأُمَراءَ تتبَعُ كلَّ واحدٍ منهم جيوشٌ وتأْخذُ رزْقَه جنودٌ . أَلا ترى أَن كلَّ عَروضٍ من الشعرِ قد عُمِلَ عليها قصائدُ لا يُحيطُ بِعَدِّها أَحدٌ من الآدميين ؟ ولعلَّ|| الأَكاسرةَ والتَّبابِعةَ وغيرَهم من (313
المَلوكِ ، لم يَقُدْ أَحَدٌ منهم جيشاً ولا ساسَ رَعِيَّةً فى عِدَّةِ ما قد عُمِلَ على

* أحمد بن يحيى الشيبانى ، ثعلب = ٤٢٨ .
* الرياشى ، العباس بن الفرج = ٥١١ .
* الخليل بن أحمد = ٣٨٦ .
* الزجاج ، أبو إسحاق = ٣٥٢ .

وزن * قِفَا نَبْكِ *(١) فى قديمٍ وحديث .

وإذا قلنا إن ملكَ الروم مثلُ الضربِ الأولِ من البسيط. جعلنا عِدَّةَ هؤلاء الغلْمانِ حروفاً تنقُصُ منه . وأُقسِمُ لئن صَحَّ الفَأْلُ ، لا بَقِيَ منه ما يكون مَلِكاً ولا عامِيًّا صحيحاً ، بل يكونُ كبعضِ مَن يُطرَحُ على الطرُقاتِ لايقدرُ على النهوض ولا أن يسألَ باللسانِ . لأن البسيط الأولَ إذا ذهب منه أحَدٌ وثلاثون حرفاً لم يبقَ منه ما يُسمَّى شعرًا .

وتحدَّثت العامَّةُ أن السلطانَ – أطال اللهُ بقاءه – أمَرَ بتطهيرِ الغلْمان(٢) . وكذلك يوجِبُ فَضْلُه ودِينُه . لأن مثلَهم مَثَلُ أوزانٍ من الشعر لا يَحسُنُ استعمالُها حتى يُحذَفَ منها شىءٌ . مثلُ الأولِ من المنسرحِ ، كقولِ القائل(٣) :

أصبحتُ لا أحمِلُ السلاحَ ولا … أمْلِكُ رأسَ البعيرِ إن نَفَرا

فهذا قد حُذِفَ من آخرِه شىءٌ لو تُرِكَ على أصلِه لم يَحْسُنْ . والذى حُذِفَ منه رابعُ السباعىِّ الأخيرِ . ومثلُه فى الشعر كثير

وإقبالُ السلطانِ – أطال اللهُ بقاءه – يُلقِى فى نفسِ العدُوِّ أنه إن خرج

---

(١) * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * : امرؤ القيس .

(٢) يعنى ختان الغلمان الذين تحدث العامة أنهم وردوا من بلاد الروم هدية إلى حضرة عزيز الدولة .

(٣) الربيع بن ضبع الفزارى (ف) = ٦٧٠ ، من قصيدة قالها فى شيخوخته العالية ، وأولها فى جمهرة الأنساب ٢٤٤ :

أصبح منى الشباب مبتكراً … إن ينأ عنى فقد ثوى عُصُرا

وهى من مختارات البحترى فى حماسته ، وقد روى منها سبعة أبيات ، ثالثها البيت هنا (٣٢٢) ، وروى منها القالى فى أماليه (١٨٥/٢ ، والنوادر ٢١٤) تسعة أبيات ، عن ابن دريد بإسناده إلى المفضل الضبى وسياق البيت هنا ، بعد المطلع :

ودعنى قبل أن أودعه … لما قضى من مقامه وطرا

– وفى رواية القالى : فارقنا قبل أن نفارقه – أصبحت لا أحمل (البيت)

والذئب أخشاه إن مررت به … وحدى وأخشى الرياح والمطرا

ولِّ سريعاً فقُفِّيَ وصُرِّعَ وكُشِفَ وصُلِمَ . وهذه أشياءُ ألْغزُ بها من ألقابِ الشعرِ ، لم تكن مضتْ فيما تقدَّمَ .

فقلتُ : ولِّ سريعاً ، لأن فى الشعرِ وزناً يقالُ له السريعُ . وقُفِّيَ ، أى تُبعَ . وصُرِّعَ ، من تصريعِ القتلى . وكُشِفَ ، إنْ قُلته بالسين فهو من : كُسِفَ القمرُ ، وكُسِفَ الثوبُ إذا قُطعَ . وإن قلته بالشِّين فهو من قولِك : كُشِفَ العدوُّ ، إذا انهزمَ . والصَّلَمُ ، من قولِك : صُلِمَ واصطُلِمَ ، إذا استُوْصِلَ .

|| وألغزتُ ذلك عن التقفيَةِ والتصريع . والتقفيةُ عندهم لما اعتدل شَطراه ، والتصريعُ لِمَا هو متشاولُ الشطرَين . وقولُه : (314)

* قفَا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعِرفانِ *[1]

نِصْفُ بيتٍ مصَرَّعٌ ، كأنه إذا لم يُصرَّعْ جاءَ مُتَشاوِلَ النصفين .

والكَشْفُ ،[2] قد روَوْه بالسِّينِ والشينِ . وهو[3] فى السريع سقوطُ الحرفِ الآخرِ من السباعِيِّ الذى وَتِدُه مفروقٌ .

والصَّلَمُ ، سقوطُ الوتدِ المفروقِ من آخرِ الضربِ الثالثِ من السريعِ .

ولا يأْمَنُ أيضاً التجميعَ والسَّلْسَلَةَ : أردتُ بالتجميعِ أن تُجعَلَ فى عنقِه الجامعةُ ؛ وأردتُ بالسَّلْسَلَةِ مصدرَ : سلسلتُ الأسيرَ .

ألغزتهما عن التجميعِ والسلسلةِ اللذين ذكرهما «قُدامةُ بنُ جعفرٍ*»

---

(١) امرؤ القيس = ١٠٥ ، والشاهد مر فى ص ٤٨٤ .

(٢) تحتمل أن تقرأ فى ف : [والكشف] .

(٣) فى ض : [هو] .

* قدامة بن جعفر : بن زياد ، أبو الفضل ، الكاتب البغدادى — وكان أبوه نصرانيا أسلم على يد المكتفى بالله العباسى — أحد البلغاء الفصحاء ، وأعلام المتكلمين والمناطقة ، فى القرن الثالث الهجرى ، ومن مصنفاته : نقد الشعر ، ونقد النثر — طبع فى مصر ١٩٣٨ — والخراج ، والسياسة ، والرد على ابن المعتز ، وصناعة الجدل . (تاريخ بغداد ٧/٢٠٥ ، والفهرست ١٨٨ ، وأدباء ياقوت ٦/٢٠٤) .

فى (نقدِ الشعرِ) وهما لَقَبانِ مُحْدَثانِ ، ويجوزُ أن يكونَ « قُدامةُ » وضَعهما[1] .

(١٥٨) فالسلسلةُ|| مثلُ التضمينِ . ويقالُ : بل هى أن يتصلَ بيتٌ ببَيتٍ قبل أن تتمَّ الكلمةُ فى الأوَّل . أو يكونَ تمامُ البيتِ بالألفِ واللامِ التى للتعريفِ ، والمُعَرَّفُ بهما فى البيتِ الثانى .

والتجميعُ ، أن يبتدئَ الشاعرُ بالبيتِ وكأنه يُرِيدَ التقفيةَ أو التصريعَ ثم لا يفعلُ . كما قال «عمرو بنُ شأسٍ* » :

تذكرتُ ليلى لاتَ حينَ ادِّكارِها   وقد حُنِىَ الأَصلابُ ، ضُلٌّ بتَضْلالِ[2]

هكذا يُنشَدُ برفع : ضُلّ . كأنه لما تم الكلامُ ابتدأ فقال لنفسه : ضُلٌّ بتضلالِ . ألا ترى أنه لما قال : * لاتَ حين ادكارِها * جاز أن يقولَ فى آخرِ البيت : نهارِها ، ويبنِىَ القصيدةَ على الراءِ ؟ إلا أنه لم يأتِ بذلك . فهذا يقالُ له التجميعُ .

(315) ولو نزل به ذلك ، لأَكثَرَ من الالتفاتِ|| خوفاً من المطابقةِ . عنيتُ بالالتفاتِ تلفُّتَ المُنهزِمِ ، لأن من شأن المنهزمِ أن يفعلَ ذلك. وإليه ذهب القائلُ* :

مهما لىَ الليلةَ مهمــا ليَهْ   أَوْدى بنَعْلَىَّ وسِرْبالِيَــهْ

---

(١) يعنى باللقبين المحدثين : السلسلة والتضمين ، مما استحدث على مصطلح العروض بعد «الخليل» .

(٢) البيت أنشده فى (ص ، ل) لعمرو بن شاس الأسدى ، شاهداً على قولهم للباطل : ضل أضلال . والرواية فيهما للشطر الثانى : * وقد حنى الأضلاع * .

* عمرو بن شاس : الأسدى = ١٦٣ .

* عمرو بن ملقط = ٦٢٥ من شواهد المغنى (رقم ١٥٥) على تقدير : أودى هر ، أو أودى مود كذهب ذاهب . ونقل السيوطى فى (شرح الشواهد ١١٣) ١٢ بيتاً من هذه القصيدة لعمرو بن ملقط ، وقال فى الإعراب : مهما استفهام مبتدأ ، لى خبره ، والليلة نصبت على الظرف ، وأعيدت الجملة تأكيداً . وقيل : مه ، اسم فعل بمعنى اكفف ، وما ، وحدها : استفهام .

يا أَوْسُ لو غالتْكَ أَرْماحُنــا كنتَ كمنْ تَهوِى به الهاويَه
أُلْفِيَتـا عيناك عنــد القَفَا أَوْلَى فأَوْلَى لك ذا وافِيـه

أراد بقولِه : * أُلْفِيَتا عيناكَ عند القَفا * أنه يتلفت وهو منهزم .

وقال آخَرُ :

وتركُضُ والعَيْنانِ فى نُقْرَةِ القَفَــا من الذعْرِ لا تَلوى على من تَخَلَّفا

وعنيتُ بالمُطابقةِ ، مشىَ المقَيَّدِ . يقالُ : طابَقَ الرجلُ فى القيدِ : قال « عدىُّ بنُ زيد* » :

أَعاذلَ قد لاقيتُ ما يَزَعُ الفَتَى وطابقتُ فى الحِجْلَيْنِ مشىَ المُقَيَّدِ[1]

أَلغزتُهما عن الالتفات والمطابقة فى الشعر ، وهما معروفان ، وقد ذكرهما « قدامةُ » .

وإن صَحَّ قولُ بعضِ الناسِ إن زعيمَ الروم بعث هؤلاء الغلمانَ هديةً ، فقد رغِبَ فى المسالَمة . وإذا شبَّهناهم بالقوافى ، فكلٌّ واحدٍ منهم قافيةٌ . وأصلُه على سبيلِ الفـألِ : قافٍ ، فى وزنِ قاضٍ . من قولِكَ : قَفَا العدوَّ ، إذا اتَّبعه ، أو ضرب قفاه ، ودخلت الهاءُ للمبالغة ، كما يقال : رجلٌ راوِيَةٌ للشعرِ ، وباقِعةٌ أى ماضٍ فى أمورٍ . وإذا حملنا القياسَ على ذلك ، فمثَلُ زعيمِ الرومِ مَثَلُ « أبى نُخَيلةَ « الحِمَّانىِّ* » لما قال له العنبرى[2]* » :

(١) البيت من شواهد الغفران (٣١٣) أنشده أبو العلاء شاهداً على أن حلقة القيد تسمى حجلا. والوزع : الكف والمنع ، وطابق المقيد : قارب خطوه . (إصلاح المنطق ٢٨/١) .

(٢) من (ف) و فى ص : [مثل أبى نخيلة العنبرى لما قال له الحمانى] والشاهد يمنعه .

* عدى بن زيد ، العبادى = ١٦٢ .

* أبو نخيلة الحمانى الراجز ، حزن بن زائدة = ٦٢٢ .

* العنبرى : لعله « قحيف العنبرى » انظره فى (معجم المرزبانى ٣٣١) .

إن أبا نخلــةَ من هجائيا كحاطبٍ فى حبْلِه الأَفاعِيَــا
يُهدِى من العىِّ لىَ القوافيا[1]

(316) وإن كان هذا الرجلُ أهدى الغِلمانَ || الذين شبَّهناهم بالقوافى ، فقد عَىَّ بالمحاربةِ .

ـ وقد ذكَّرْتُ الفـألَ أيها الشاحجُ فى جميع ما أخبرتُك به . فــلا تَحسَبَنِّى جاهلاً بادعاء بعضِ الناسِ أن الفـألَ مؤنث . فلم يصح عندى ذلك ـ[2] .

* * *

وقد زعمت العامةُ أن السلطانَ ـ أطال اللهُ بقاءه ـ لو لم يثبُتْ عنده خروجُ الطاغيةِ ، لم يـأمُرْ بِحَفْرِ الخندَقِ .

ونحن نقولُ فى ذلك جوابَين :

أحدهما أن ذلك تَشَبُّهٌ بالنبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وأَخذٌ بالسُّنَّةِ . لأَنه حفَرَ الخندقَ بِ « المدينةِ »[3] وقد وَعَده اللهُ العِصْمةَ فقال تعالى :

---

(١) العى : خلاف البيان ، عى فى منطقه ، وعِىَ أيضاً ، فهو عِيى ، على : فعيل . وعَىّ : على فَعل . الأفعى : الحية ، وهو أفعل ، تقول : هذه أفعى بالتنوين . والجمع أفاعى ، والأفعوان ذكر الأفاعى (ص) .

(٢) الفأل ضد : الطيرة ، مهموز ، وأولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً . قال ابن الأثير فى (النهاية، حرف الفاء) وإنما أحب الفأل لأن الناس إذ أملوا فائدة الله تعالى و رجوا عائدته فهم على خير ، ولو غلطوا فى جهة الرجاء ، فإن الرجاء لهم خير ، وإذا قطعوا أملهم و رجاءهم من الله كان ذلك من الشر . وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء . والفأل قد تكرر ذكره فى الحديث . نقله فى (ل) ، والسياق كله على تذكير الفأل .

(٣) قبيل يوم الأحزاب ، انظره فى غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب فى (السيرة ، وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبرى ، وابن الأثير) السنة الخامسة للهجرة ، مع كتاب الجهاد ص (الصحيحين) .

« واللهُ يَعْصِمُكَ من الناس »[1]

والآخرُ ، أن العربَ لَمَّا دانت للسلطان أعزَّ اللهُ نصرَه ، حتى حَمَلَ « أسدُ الدولةِ * » ــ أدامَ اللهُ تمكينَه ــ أكرمَ ظعائنه إلى « حَلَبَ » ، حرسها اللهُ ؛ أراد « السيدُ عزيزُ الدولةِ » خلَّد اللهُ أيامَه ، أن يواسِيَهم فى بعض الأمورِ ، فأقامَ « حَلَبَ » مقامَ بيتِ الشَّعْرِ وجعلَ الخَندقَ مثلَ النُّؤْى الذى تَحفِرُه العربُ مخافةَ السَّيْلِ .

وهذا قولٌ مُقْنِعٌ إن شاءَ اللهُ .

وفُرْسَانُ العربِ إذا اجتمع بعضُهم إلى بعضٍ عَظُمَ بلاؤُهم . وإن تَفرَّقُوا فالفرقةُ لا تَضُرُّهم فى مَجَالِ الخَيْلِ . وفرسانُ الرومِ ليسوا كذلك ، لأنهم يتكتَّبون كتائبَ ويجتمعون كراديسَ[2] . فإذا افترقوا فى المعترَكِ فذلك بَوَارُهم لا مَحَالةَ .

فمَثَلُ فرسانِ العربِ مَثَلُ الأبياتِ التى يستغنى كلُّ بيتٍ منها بنفسه . فإن اجتمعتْ عَظُمت الفائدةُ . وإن افترقتْ فكلُّ بيت منها له غَنَاءٌ . ألا ترى إلى قولِ « زهير * » :

وَمَنْ لا يَذُدْ عن حَوْضِه بِسِلاحِه ... يُهَدَّمْ ، وَمَن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

---

(١) من الآية ٦٧ سورة المائدة .

(٢) الكردوسة ، بالضم : الكتيبة من الفرسان . وقطعة عظيمة من الخيل . وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة (ق) .

* أسد الدولة ، صالح بن مرداس الكلابي (= ٢٥٠) وانظر فيها خبر تكليف عزيز الدولة صالحاً ، « وأن يحمل إلى حلب حرسها الله ، والدته الرباب ، إيثاراً لسكون الأنفس وإعلاماً للسواد الأعظم بالتئام الكلمة » .

* زهير ، بن أبي سلمى = ١٣٣ من قصيدته المعلقة :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم
ديار لها بالرقمتين كأنها ... مراجع وشم فى نواشر معصم

(317) || وما بعدَه من الأَبياتِ[1] ، كيف كلٌّ واحدٍ منها له معنىً تامٌّ وفائدةٌ كاملة ؟

ومَثَلُ فرسان الروم ِ مَثَلُ أبياتٍ يتصلُ بعضها ببعضٍ ؛ فإن افترقتْ ذهبتْ منها الفائدةُ . ومن ذلك ، الأَبياتُ الجاريةُ على أَلسُنِ العامةِ :[2]

أَكرمَكَ اللهُ وأَبقــاك أَمــا كان مِنَ آلْ
جميلِ أَن تــأْتينَــا الـــيومَ إلى مَنْزِلنا آلْ
خالِي لكي تحدثَ عَهْـــدًا بكَ ياخَيْرَ الأَخِلْ
لَاءِ فما رمِثــلُكَ مـــن ضيّـــع حَقًّا أو غَفَلْ

---

(١) الأبيات بعده ، فى رواية « التبريزى » للقصائد العشر :

ومن لا يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفرْه ، ومن لا يتق الشتم يشتم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أباً لك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ، ومن تخطئ يعمر فيهرم
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وهى آخر القصيدة . وكل بيت منها — كما ترى — له معنى تام وفائدة كامله .

(٢) فى (تعريف القدماء بأبى العلاء : ٤١٤) من كتاب (ثمرات الأوراق ٢١٧ لابن حجة الحموى) خبر عن هذه الأبيات ، نقلا عن كتاب لأبى العلاء لم يسمه الحموى — ولم نكن نعرفه قبل العثور على (رسالة الصاهل والشاحج) — ونص الخبر : (ومن غرائب الطرف ما حكاه ابن خلكان فى تاريخه قال : حدثنى من أثق فيه أن شخصاً قال : رأيت فى تأليف لأبى العلاء المعرى ماصورته : « أصلحك الله وأبقاك ، لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالى ، لكى يحدث لى أنسك يا زين الأخلاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل » ، وسأله : من أى الأبحر ؟.. وهل أبياته على روى واحد أو مختلفة الروى ؟ قال : فأفكر فيه ، ثم أجابه بجواب حسن . قال ابن خلكان : فقلت للقائل : اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما ما قاله . فأجاب القاضى شمس الدين بن خلكان بعد حسن النظر ، بما أجاب به الرجل ، وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز ، وتشتمل على أربعة أبيات فى روى اللام ، وهى على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين . ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها ، لأجل قطع الموصول .. وهى :

أصلحك الله وأبـــقاك لقد كان من ال
واجب أن تأتينا اليـــوم إلى منزلنا ال
خالى لكى يحدث لى أنســك يا زين الأخل
لاء فما مثلك من غير عهدا أو غفل)

‖فقد ترى هذه الأَبياتَ لا ينفصلُ بعضها من بعضٍ . فإن انفصلَ (١٥٩)
بطلَ معناه .

وكيف يُحارَبُ « السيدُ عزيزُ الدولةِ » – أعزَّ اللهُ نصرَه – وإذا حملنا أمرَه على الفألِ ، فبعضُ قُوَّادِ عَسْكرِه « نصرُ اللهِ * » يحضرُ مجلسَه ويأْخذُ رزِقَه ، وهذا فألٌ عجيبٌ بالنَّصْرِ ؟

وقد تحدَّثت العامةُ أن « مُضِيء الدولةِ * » جرَى لبعضِ أولادِه حديثٌ فى بعضِ الأَيامِ ، وذلك على شرابٍ وانتشاءٍ .

فأَقول ، وباللهِ التوفيقُ ، وأَنا أُريدُ القَسَمَ فى المقال :

وذو خَبَّ ثعالةُ بأَمرِه وقَرَّبَ ،[١] وسأَلَه أن يكفيَه شَرَّ النابحِ إذا عُلِّمَ ودُرِّبَ ، وفَتْكَ البازى إذا قَنَصَ وحَرَّبَ ، وصَوْلَةَ الأَجْدَلِ إذا انقَضَّ وتقرَّب ؛ ما هَمَّ « مُضِيء الدولةِ » بالخيانةِ ولا كربَ .

وأَنا مع هذه اليَمين ، لستُ بالشاكرِ له ، ولا المُحْمِدِ فَعالَه . لأَن كلابَه أَخرجتْنى من أَرضِى وشرَّدَتْنى عن وطنى . وليس يمنَعُنى ذلك من قَوْلِ الحقِّ فيه . وهو يَعترِفُ‖ فى المحافلِ على قديمِ الأَيامِ للسلطانِ – أطال (318)
اللهُ بقاءَه – بِمِنَّةٍ عظيمةٍ نجَّتْه بقضاءِ اللهِ تعالى من القَتْلِ وهو شابٌّ مُقتَبَلٌ . ولم يكنْ لِيَشكُرَ العارفَةَ فى صَدْرِ العُمْرِ ويكفُرَها من بعدِ الشَّيْبِ . وليس ذلك فى طِباعِ الآدَمين .

ومَثَلُه مع « السيدِ عزيزِ الدولةِ » – أعزَّ اللهُ نصرَه – مَثَلَ « القطامِىِّ * »

---

(١) الفقرة كلها دعائية على وجه القسم ، وذو : أى : والذى خب ثعالة بأمره وقرب – على اللغة الطائية .

* نصر الله ، مضىء الدولة : نصر بن نزال ، من كبار قادة الشام فى ذلك العصر (انظره فى تاريخ حلب ١/٢٠٠) .

* القطامى ، عمير بن شييم التغلبى = ٤٤٠ .

فى قولِه لِـ «زُفَرَ بنِ الحارث* » :

ومن يكن استلامَ إلى ثَوِىٍّ فقد أكرمتَ يازُفَرُ المَتاعَا[1]
أَكُفْرًا بعدَ دَفْعِ الموتِ عنى وبعد عطائكَ المائةَ الرِّتاعا

وقال «القطامِىُّ » أيضاً[2] :

إنى وإنْ كان قومى ليس بينهمُ وبين قومكَ إلا ضربةُ الهادِى[3]
مُثْنٍ عليكَ بما استبقيْتَ مَعرفتى وقد تعرَّضَ منى مَقتَلٌ بادِ
إذِ الفوارسُ من قيسٍ بشِكَّتِها حَوْلِى شُهودٌ وما قومِى بِشُهَّادِ
إذ يَعترِيكَ رجالٌ يسأَلون دمِى ولو أطعتَهمُ أبكيْتَ عُوَّادِى

وإنما مَثَلُ هذا الشابِّ المتكلِّمِ على الشَّرابِ ، مَثَلُ «عَلْقمةَ بن نَضْلةَ

(١) أبيات القطامى ، من قصيدة له فى مدح زفر ، ومطلعها :

قفى قبـــل التفرق يا ضُباعا ولا يك موقف منك الوداعا
قفى فادى أســـيرك إن قومى وقومك لا أرى لهمُ اجتماعا
وكيف تــــسامح مع ما استحلا من الحرَم العظام وما أضاعا

الديوان ، وهى من مختار شعره فى (طبقات ابن سلام) ونقلها السيوطى فى(شرح شواهد المغنى ٢٨٧) والبيت الثانى — هنا — من شواهد التوضيح على إعمال المصدر .

(٢) يمدح زفر بن الحارث ، وهى من مختار شعره (الديوان ، والشعر والشعراء ٦١٠ وطبقات ابن سلام ٤٥٣) .

(٣) الهادى العنق ، ومقدم كل شىء (ف) ورواية ابن سلام لصدر البيت بعده «مثن عليك بما أسلفت من حسن» ورواية ابن قتيبة : بما أوليت من حسن » .

* زفر بن الحارث ، بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى (جمهرة الأنساب ٢٧٠) . من رؤساء بنى كلاب وساداتها الفرسان الشعراء ، وكان هو والجحاف السلمى = ٣٥٥ عثمانيين ، ثم خرجا إلى الشام فدان لها أهلها بالسؤدد والرياسة . وقد أسر القطامى فى الحرب بين تغلب وبنى كلاب ، فمن عليه زفر بن الحارث الكلابى ، ورد عليه ماله ، وأعطاه مائة من كرام الإبل ، فلهج القطامى بالثناء عليه ومدحه بقصائد من جياد شعره . وزفر من شعراء الحماستين ومؤتلف الآمدى ، ومن أبياته السائرة :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
. . . .
أيذهب يوم واحد إن أســــأته بصالح أيامى وحسن بلائيا

الثقفِيُّ* ، لَمَّا تاب من الخمرِ فى الجاهليةِ وقال(١) :

لَعَمرُكَ إن الخَمْرَ مادمتُ شارباً لَمُذْهِبَةٌ مالى ومُنْسِيَتِى حِلْمِى
وجاعِلَتِى منَ الضعافِ قُوَاهمُ ومُورِثَتِى حَرْبَ الصديقِ بِلا عِلْمِ

وقد كان فى الجاهليةِ قومٌ تركوا شُرْبَ الخمرِ لأنَّهم إذا سَكِرُوا فعلوا مالا يَحسُنُ على غيرِ عِلْمٍ . منهم(٢) :

«عبدُ اللهِ بنُ جُدْعانَ التَّيْمِىُّ* ،وقَيْسُ ابنُ زُهَيرٍ العَبْسِىُّ* ، ||وقيسُ (319)

(١) البيتان فى أمالى القالى لقيس بن عاصم ، مع خلاف يسير فى الألفاظ .

(٢) فى (مطلب من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية تكرماً وصيانة لنفسه)من الأمالى ، ذكر القالى منهم : عامر بن الظرب العدوانى ، قال :

ســــآ لة الفتى ما ليس فى يده ذهابة بعقول القوم والمـــــال

وقيس بن عاصم — وله البيتان أعلاه — ، وصفوان بن أمية الكنانى ، قال — والأبيات فى الاستيعاب لقيس بن عاصم ! وتأتى فيما يلى —

وعفيف بن معديكرب ، عم الأشعث بن قيس ، قال :

وقائلة هــــلم إلى التصابى فقلت عففت عمــــا تعلمينا
وودعت القداح وقـــد أرانى بها فى الدهر مشغــــوفاً رهينا

وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائى ، ودعها فى الجاهلية وأدرك الإسلام ، قال :

تركت الشــــعر واستبدلت منه إذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شـــــريك وودعت المــــدامة والندامى
وحرمت الخمور وقـــد أرانى بها سدكاً وإن كانت حراما

قابل على مطلب (من حرم فى الجاهلية الخمر والسكر) فى المحبر (٢٣٧ – ٢٤٣) .

* علقمة بن نضلة الثقفى ، من بنى ثقيف ، من هوازن بن منصور . من سادات ثقيف فى الجاهلية .

* عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب التيمى ، من تيم بن مرة ، من سادات قريش قبيل المبعث ، وفى داره كان حلف الفضول (السيرة : ١/١٤١ ، ٢٨٠ ، ونسب قريش ٢٩١)وضرب به المثل «أقرى من حاسى الذهب» ، وكان يشرب فى إناء من ذهب (أمثال الميدانى ٢/١٢٧) ولأمية بن أبى الصلت مدائح فيه جياد ، وفى نسب قريش (٢٩٢) أنه كان مولعاً بالخمر وله شعر فيها ، ثم حرمها على نفسه .

* قيس بن زهير ، بن جذيمة بن رواحة العبسى ، أبو هند سيد بنى عبس(جمهرة الأنساب ٢٣٩) . الشاعر الحماسى الفارس ، صاحب حرب داحس والغبراء ، والمضروب به المثل فى الدهاء (جمهرة الأنساب ٢٣٩ ، ومؤتلف الآمدى ١٦٨ ، ومعجم المرزبانى ٣٣٢ ، وشعراء الجاهلية ٩١٧ ، وشعراء الحماسة ، وأمثال الميدانى ١/٢٧٤ ٣٥٤ ، والأمالى ١/٢٦١ ، وسمط اللآلى ٥٨١) . .

ابنُ عاصمٍ* المِنقريُّ ، والعباسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ* ، وغيرُهم .

وأنشد «ابنُ الأعرابيِّ» فى (النوادر(١)) :

أَمِنْ أجْلِ مالا يُستَطاعُ لِقَاؤهُ ... وما قد مَضَى ، يَجْرِى لعينيكَ جَدْوَلُ
أَرانِىَ لا آتيك إلا كأنَّما ... أسأتُ ، وإلا أنت غضبانُ تَأْتَلُ
أَردْتَ لكيما لا ترى لِىَ زَلَّةً(٢) ... ومَنْ ذا الذى يُعطَى الكمالَ فيَكمُلُ
ومَنْ يسألِ الأيامَ نَأْىَ صديقهِ ... وصَرْفَ الليالى ، يُعْطَ ما كان يَسألُ

والسلطانُ ــ خلَّد اللهُ مُلْكَه ــ يتبَذَّلُ تبذُّلَ الشجعانِ ، ورعيَّتُه يُشفِقون

(١) الأبيات ، على خلاف فى ترتيبها ، فى (تهذيب الألفاظ لابن السكيت : ٢٩٢ ، ٣٠٣) أنشدها الفراء لأبى ثروان العكلى . وهى فى (أمالى القالى : ٣١٢) أنشدها الفراء لثروان العكلى . والبيت الثانى فى (ص : أ ت ل) أنشده الفراء ، وعلى هامشه : لثروان العكلى . والثانى والثالث فى (الإبدال لأبى الطيب ٣٩٥/٢) ولم يسم الشاعر ، وعلى هامشه : لأبى ثروان العكلى . وهما فى (ل : أتل) أنشدهما الفراء . وفى (ت) لعفير بن المتمرس العكلى !

وأبو ثروان العكلى ، الوحشى ، من فصحاء الأعراب الذين أخذ العلماء عنهم اللغة ، وله كتاب خلق الإنسان (الفهرست ٦٩ ، ٧٦) وترجم له ياقوت بكنيته فى حرف الثاء ، ولم يسمه (١٤٨/٧ ت ٣٤) .

* قيس بن عاصم ، بن سنان بن خالد بن منقر (جمهرة الأنساب ٢٠٥) من سادات تميم الأجواد وشعرائها . قدم على الرسول فى وفد أشراف بنى تميم ، وقال فيه عليه الصلاة والسلام : «هذا سيد أهل الوبر» السيرة ٢٠٦/٤ ، وهو من شعراء الحماسة . ونص المرزبانى فى معجمه (٣٢٤) على أن قيساً ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية لأنه سكر مرة فأفحش ، وانظره فى (الاستيعاب ، والإصابة) والمحبر لابن حبيب ، وأمالى القالى .

* العباس بن مرداس السلمى ، من بنى الحارث بن بهثة بن سليم ، من قيس عيلان بن مضر (جمهرة الأنساب ٢٥١) الشاعر الحماسى . أسلم قبيل الفتح وشهد يوم حنين ، وموقفه وأشعاره من عطاء المؤلفة قلوبهم ، فى الجزء الرابع من السيرة ، وتاريخ الطبرى ، والاستيعاب ١٣٧٩ ، ومعها الشعر والشعراء ٢١٨ ، ٦٣٢

عليه إشفاقَ الجُبَناء . وإنما ينبغي أن يقعَ الاحتراسُ من صديقٍ هو معه مِثْلُ الذئبِ مع «هَمَّامِ بنِ غالبٍ* » لَمَّا قال(١) :

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وما كان صاحِباً رفعتُ لِنَارِي مَوهِناً فأتانى
وبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بينى وبينَه على ضوءِ نارٍ مَرَّةً ودُخان
(١٦٠) || وقلتُ له لمَّا تكشَّرَ ضاحكاً وقائمُ سَيْفِى من يدِى بمَكان
تَعَشَّ فإنْ عاهَدْتَنى لا تخوننى نَكُنْ مِثْلَ مَنْ ياذئبُ يَصطَحِبانِ
وأَنتَ امرؤٌ ياذئبُ والغَدْرُ كنتما أُخَيَّيْن كانا أُرْضِعا بلِبَانِ
ولوغَيْرَنا نَبَّهتَ تَلْتَمِسُ القِرَى رمَاكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنَانِ

ومِنْ أَينَ يوجَدُ هُمَامٌ رَبِيبٌ يَجرِى مَجرى هذا السلطانِ ـ أعزَّ اللهُ نَصْرَه ـ وإنه لَغَرِيبُ الشِّيَمِ بَدِيعُ المكارِمِ ؟

ومن ذلك ، ما حَدَّثَ به رجلٌ يُعرَف بـ «علىِّ بنِ محمد بن عبدِ الله
(320) || العقيلىِّ* » أنه رآه فى الزمانِ بحَضْرةِ مَلإٍ عظيمٍ من الأُمَراءِ والفُرسانِ ، يَعمَلُ بِسَيْفينِ عن يَمينٍ وشِمالٍ والفَرَسُ تَجرِى به أَشَدَّ الجَرْى ، وأَن هذا الرجلَ يأخذُه الزَّمَعُ من هَوْلِ ما يرَاه ، وحُقَّ له أَن يَزْمَعَ . ليس هذا من

---

(١) الأبيات الأولى من قصيدته النونية فى (الديوان ٣٦٢) والكامل للمبرد ١/٣٥٨ ، وأمالى ابن الشجرى (٢/٣١١) ومنها أبيات فى (طبقات ابن سلام ٣١٠)

والبيت الرابع من شواهد المغنى (رقم ٦٤٣) على ما يحتمل جواب القسم وغيره . ونقل السيوطى فى شرحه للشواهد ، تسعة أبيات منها (ص ١٨٢) .

وبعد البيت الأول ، فى الديوان والكامل وشرح شواهد المغنى :
فلما أتى قلت ادنُ دونك إننى وإياك فى زادى لمشتركان

* همام بن غالب ، الفرزدق = ١٢٠
* على بن محمد بن عبد الله العقيلى ، حلبى معاصر لأبى العلاء ، ولم أعثر على اسمه فى مراجعى .

فِعْلِ الآدَمِيِّين . ولو قال قائل إن مَلَكاً من الملائكةِ شَهِدَ « يومَ بَدْرٍ »(١) على هذه الهيئةِ ، لكان عجَباً من الأَنباءِ .

وهذا الفِعْلُ ، أَحسَنُ من المَمْلَكةِ : لأَنه حِلْيَةٌ فى النَّفْسِ ، والمملَكَةُ حِلْيَةٌ على الجسمِ . وإنما هو فى ذلك مِثلُ ما قال « المَرَّارُ* » :

وإنَّ عَلَى السَّمَاوةِ مِنْ عُقَيْلٍ   فتًى كِلْتا يَدَيْهِ لهُ يَمِينُ

وهو أحقُّ بأَن يُسَمَّى ذا السيفين ، من « إسحاقَ بنِ كُنْداجيق* » .

وقريشٌ تفتخرُ برجلٍ يقالُ له « ذو الرُّمْحَينِ* » من بنى مخزومٍ . واختلفوا فى تَسميته فقال قوم : سُمِّى ذا الرمحينِ لِطُولِه . وقال آخرونَ : سُمِّىَ ذا الرمحينِ لأَنه كان يُقاتِلُ برُمحين .

وإيَّاه عَنَى « عبدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرَى* » بقوله :

أَلا للهِ قــومٌ وَ لَدَتْ أختُ بنى سَهْمِ

(١) غزاة بدر الكبرى ، فى شهر رمضان المعظم ، من السنة الثانية للهجرة .

* المرار ، بن سعيد الفقعسى = ٥١٨

* (يحيى بن كنداجيق) فى (ص) وما هنا من (ف) وهو ما فى المراجع التاريخية – وجاء فى (تاريخ حلب ١ : ٨٠٤ ، ٨٢) : إسحاق بن كنداج وعلق المحقق ، الدكتور سامى الدهان ، على هامشه : فى أكثر التواريخ : « إسحق بن كنداجيق » . قائد خطير ، كان يلى ديار ربيعة للموفق العباسى أمير حلب لأخيه المعتمد . وقد شارك إسحاق فى الصراع بين العباسيين والطولونيين على حلب .

* ذو الرمحين : أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى ، جد الشاعر عمر بن أبى ربيعة ، والحارث بن أبى ربيعة ، القباع – (نسب قريش ٣٠٠ ، وجمهرة الأنساب ١٣٥) .

وقولى أبى العلاء : اختلفوا فى تسميته ، أى : لم سُمى ذا الرمحين. ذكر ابن سيده فى (رمح) القولين : قال القرشيون سمى بذلك لأنه قاتل برمحين ، وقيل سمى بذلك لطول رمحه . ونقله فى (ل) واقتصر فى (ق) على القول الأول

* عبد الله بن الزبعرى = ١٧٥

رهير وأبــو عَبْــدِ مَنَافٍ مِدْرَهُ الخصم(١)

وذو الرمحين ، أشبالٌ مِنَ القــوَّةِ والحَزْمِ

وهم يــوم عكاظ مَــــنَعوا النَاسَ من الهَزْمِ

بِجَأْوَاءَ طَحــورٍ فخــــمةِ القَــونَسِ كالنجم(٢)

فهــذانِ يــذودانِ وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِى

فإنْ أَحْلِفْ بِرَبِّ البَيْـــتِ لا أَحلِفْ على إثمِ

لَمَا مِنْ إخــوةٍ بين قصور الشام والرَّدْمِ

كأَمْثالِ بنى رَيْطَـــةَ فى عُرْبٍ ولا عجم

---

(١) كذا فى النسختين . وفى سائر المصادر : « هشام وأبو عبد مناف »
زهير ، وهشام : كلاهما من « بنى ريطة السهمية »

(٢) جأواء طحور : كتيبة يعلوها صدأ الحديد ، وقونسها : أعلاها ، ومنه سميت البيضة قونسا لأنها تعلو الرمح . وإنما قال الشاعر فى صفة الكتيبة : فخمة القونس ، يعنى قوانيس الفرسان (ض)

* عبد الله بن الزبعرى ، القرشى = ١٧٥

وهذه الأبيات (الميمية) ، فى أبناء «ريطة بنت سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن لؤى ابن غالب » ولدت بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الأكابر (نسب قريش ٤٨) وفيهم العدد والشرف والبيت ، وهم :

هاشم بن المغيرة ، جد عمر بن الخطاب لأمه ؛ هشام بن المغيرة أبو الحارث ، أرخت قريش بوفاته ، أبو ربيعة بن المغيرة ، ذو الرمحين ، جد عمر ؛ أبو أمية بن المغيرة زاد الركب ، أبو أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ؛ وخداش وزهير ، وتميم والفاكه — زوج هند بنت عتبة ، قبل أبى سفيان — (نسب قريش ٣٠٠) وفيه أولاد بنى ريطة ، وأصهارهم . وفيه كذلك قصيدة ابن الزبعرى ، ورواها القالى فى نوادره (ص ١٩٦) عن أبى بكر بن دريد . وابن سلام فى ترجمة ابن الزبعرى بطبقات الشعراء ، وأبو الفرج فى الأغانى (١/٣٠) . وابن حبيب فى (المحبر ٤٥٨) مع خلاف بينها فى ترتيب الأبيات ، وفى بعض ألفاظ يسيرة .

ولو رأى «محمدُ بنُ يَزيدَ المُبَرِّدُ» * السيدَ «عزيز الدولة – أعزَّ اللهُ نصره» وعَمَلَه بالسيفَينِ، لَعلِمَ أن العَطْفَ على عامِلَيْنِ جائزٌ فى قولِك : زيدٌ فى الدارِ والحُجْرةِ عمرو ؛ ولم يلحقْه شَكٌّ فى ذلك .

وحَدَّث هذا الرجلُ العقيلىُّ أيضاً ، أنه رآه بحلبَ ، حرسها اللهُ ، وهو ينظُر فى (العروض للخَليلِ) .

وهذه قريبةٌ من الأولى فى العجَبِ :[1] المُلوكُ قد شُغِلُوا عن الفُروضِ فما بالُ النظَرِ فى العَروضِ ؟ !

ولهذه الحكايةِ ، أكثرتُ الأمثالَ المتصلةَ بما وضَعه «الخليلُ» . لأن العامَّة على دِينِ السلطانِ . ولو علم رُوحُ «الفرهودىِّ» بذلك – وجِسمُه من الرِّمَمِ أو الهَبَاء – لَجازَ أن يَبتهجَ ويرتاحَ . لأن العُلماء وضعوا الكُتُبَ إرصادًا لِمِثلِ هذه المنزلة . قال «توبةُ» * .

ولو أن لَيْلَى الأَخْيَليةَ سَلَّمتْ ... علىَّ : ودونى تربةٌ وصفائحُ

---

(١) نظر «عزيزالدولة» فى عروض الخليل ، ويعنى بالأولى ، ماقيل إنه شوهد يعمل بسيفين ، والفرس يجرى .

* محمد بن يزيد المبرد ، أخو ثمالة = ٤٩٥

* توبة بن الحمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، من بنى عامر بن صعصعة ، أبو حرب . الشاعر الإسلامى الفارس ، صاحب ليلى الأخيلية ، وهو من شعراء الحماسة ، وقصائده فى ليلى ، فى كثير من كتب الأدب . انظر مع (الشعر والشعراء ١/٣٥٦ ومؤتلف الآمدي ٦٨) الحماسة ٢/١٥٧ ، والكامل المبرد ٤/٤١ ، وأمالى القالى ١/٨٧ ، وتنبيه البكرى عليه ، وسمط اللآلى ١/٢٨٣ والأغانى ١٠/٦٣ و زهر الآداب ٤/٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٢٠ ....

وليلى الأخيلية = ١٧٧ وجمع المرزبانى شعرها فى ا(أشعار النساء ، مخطوط بدار الكتب) وانظر شعرها فى توبة ، ومراثيها له فى (الكامل ٤/٩٠ والأغانى والأمالى ١/٨٦ – وفيه مجلسها مع الحجاج – وديوانها المطبوع فى بغداد) .

لَسَلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زقَا　　إليها صدًى من جانبِ القبرِ صائحُ[1]　(١٦١)

فلو حَلَفَ مَنْ يَنسِجُ الحُصْرَ فى جامع «حَلَبَ» ، حرسها اللهُ ، أن بِحَلَبَ حصيرًا ينظرُ فى العَروضِ ، لَصَدَق وإن ظَنَّته العامَّةُ كاذباً . لأن الحصيرَ المَلِكُ . قال «لبيد»* :

وعِصَابةٍ شُعْثِ الرءوسِ كأنهم　　جِنٌّ لدَى بابِ الحَصِيرِ قيــامُ[2]

وإنما سُمِّيَ المَلِكُ حصيرًا ، لأنه كالذى يَحصُرُ نفسه باحتجابِه عن الناسِ .

* * *

(١) من قصيدته الحائية ، ومطلعها :

ألا هل فؤادى من صبا اليوم طافح　　وهل ما وأت ليلى به لك ناجح

وهل فى غد إن كان فى اليوم علة　　سراح لما تلوى النفوس الشحائح

والبيت : ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * من شواهد «لو» فى المغنى (رقم ٤١٧) ومعه من الشواهد قول أبى صخر الهذلى :

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا　　ومن دون رمسينا من الأرض سبسب

لظل صدى صوتى و إن كان رمة　　لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وفى شرح السيوطى لبيتى توبة : الجندل الحجارة ، والصفائح الحجارة العراض تكون على القبور ، جمع صحيفة . وزقا يزقو : صاح .

(٢) فى الديوان (٢٩٠) :

ومقامة غلب الرقاب كأنهم　　جن لدى طرف الحصير قيام

ويروى : وقماقم غلب الرقاب ، أى غلاظها ، جمع أغلب والحصير هنا الملك .

وكذلك رواه الجوهرى فى (ح ص ر) شاهدا على الحصير : الملك ، لأنه محجوب . وقال : ويروى أنشده أبو عبيدة : * ومقامة غلب الرقاب * على أن يكون غلب بدلا من مقامة ، كأنه قال : ورب غلب الرقاب . وروَى غير أبى عبيدة : لدى طرف الحصير ، أى عند طرف البساط للنعمان بن المنذر . وقريب منه ما فى (ل)

* لبيد ، بن ربيعة العامرى = ٩٣

(322) قال مُنشِئُ هذه الرسالةِ «أحمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ سُلَيمانَ» :

قد أسهَبتُ والمُسهِبُ كحاطِبِ الليل ، ربما أخَذَ بِنتَ طَبَقٍ ، فجعلها فى بعضِ الرِّبَقِ . هذا إذا كان أبْصَرَ من غُرَابٍ ، فكيف إذا لم يُبْصِرْ أدنى الآراب ؟[1]

وكان «محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ*» وَرَدَ من الحَضْرَةِ العاليةِ موقراً بالمِنَنِ ، فأرادَ أن يَشْكُرَ فغَرِقَ فى الإحسان فَصَمَتَ صَمْتَ الغريق .

فذهبتُ لأُعِينَه ، فأعْدانى بالغرَقِ ، فاستعنتُ أفواهَ الحيوانِ ليَدومَ شُكرُها فى كلِّ أوَان . وجَهَّزتُ هذه الرسالةَ ، فرُدَّتْ إلىَّ كُرَّاستانِ من الجزء الثانى وقد غَرِقَتا فى الماء ، فلَعلِّى أعْدَيتُ الرسالةَ بالغرَق !

والذى للسيدِ «عزيزِ الدولةِ» - أعزَّ اللهُ نصرَه - فى نفسى من الهيبةِ والإجلالِ ، يُخَيِّلُ إلىَّ أنها فى صورةِ عجوزٍ شمطاء قد حَلَّيْتُها ببِرَدٍ وخَلَّيتُها تُرعَدُ من الصَّرَدِ . ولو أدركتْ ليلةَ «نُعمى رُوزٍ» لَكان حُلِيُّها فى ظَنِّىٍّ أولَ ذائبٍ ، فهل كانت ترجعُ بعُنصُرِ النارِ المشبوبةِ إلى عصورِ الشبائبِ؟ وهيهات ! إن ما سَلَفَ لا يعودُ .

---

(١) «كحاطب ليل» يضرب لمن يخلط ، لأن حاطب الليل لا يبصر ما يجمع فى حبله.

وبنت طبق : الداهية ، والحية والسلحفاة . والربق ، بالكسر : حبل فيه عدة عرى ، كل عروة ربقة ، بالكسر والفتح (ق) .

وانظر المثل «أبصر من غراب» فى أمثال الميدانى ، ونقل فيه عن ابن الأعرابى أن الغراب إنما قيل له أعور لأنه يغمض إحدى عينيه ليحدق بالأخرى .

* محمد بن عبدالله بن سليمان : المعرى ، أبو المجد ، الشقيق الأكبر لأبى العلاء (٣٥٢ : ٤٣٠هـ) وفى ولده بيت عبد الله بن سليمان . وقد ولى قضاء معرة النعمان ، ولداه أبو محمد عبد الله وأبو الحسن على. وكان أبو المجد محمد فاضلا أديبا شاعرا له ديوان شعر مجموع ذكره «ابن العديم» فى (الإنصاف والتحرى ٤٩٦) وانظر معه (تاريخ حلب ١/ ٢٣٤) .

ولو مَشَتْ إلى حَضْرته العاليةِ من « بِرْكٍ ونعامٍ » ، أو أَطرافِ « البنان »[١] ، لا مشيَةَ الإبلِ والأفراسِ ، ولكنْ مِشيَةَ القَلَمِ على الرأس ، لَرأيتُ أن ذلك قليلٌ فيما يَجِبُ .

وقد اتَّفَقَ لها من المعانى ، ما إنْ كان حَسناً ، فما أنسبُه إلا إلى إقبالِ « السيدِ عزيزِ الدولة – أعزَّ اللهُ نصرَه » .

وإن بَعَرَتِ الأَعْتِدَةُ وحملت الجِداءُ[٢] ، فقد صَهَلَ بهذا البيتِ فشُهِرَ « أخو جُدَىّ ، وابن عتود * » وإنما عنيتُ قولَ « الوليد * » :

ولك السَّلامةُ والسلامُ فإننى ماضٍ ، وهُنَّ على عُلاَكَ حبائسُ[٣]

* * *

---

(١) «برك ، ونعام » : فى بلدان ياقوت : نعام ، عن أحمد بن محمد الهمذانى : أول ديار ربيعة باليمامة ، مبدأها من أعلاها واد يقال له برك ، وواد يقال له المجازة ، أعلاه وادى نعام . وقال الأصمعى : برك ونعام ماءان لبنى عقيل ، قال الشاعر :

فما يخفى علىَّ طريق برك وإن صعَّدت فى وادى نعام

وبنان ، بالفتح : موضع فى ديار بنى أسد بنجد . قال الشاعر :

أضاء البرق لى والليل داج بنانا والضواحى من بنان (ياقوت)

(٢) العتود : الحولى من أولاد المعز . ج : أعتدة . وبعر ، كفرح : صار كالبعير . والجداء جمع جدى (ق)

(٣) يمدح المتوكل العباسى . والضمير : هن ، لقصائد البحترى فيه . والحبائس . جمع حبيس وحبيسة ، من الحبس بمعنى الوقف . فى (اللسان : ح ب س) عن الليث : الحبيس الفرس يجعل فى سبيل الله يغزى عليه . وعن الأزهرى : الحبيس يقع على كل شىء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يورث ولا يباع .
وفى المغرب ، يسمون الأوقاف أحباسا .

* أخو جدى . وابن عتود : يعنى البحترى (ض) الوليد بن عبيد = ٤٣٤ من بنى جدى بن جرول ابن بحتر بن عتود بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء (جمهرة الأنساب ٣٧٧)

بعد النص فى (النسخة الحفصية) بقلم الناسخ :

(كملت رسالة الصاهل والشاحج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا) .

وبعده توقيع الناسخ وتاريخ النسخ والمقابلة على أم عتيقة مقروءة على المؤلف . وكمل ذلك فى جمادى الأولى من عام أربعة وأربعين وستمائة .

وقد نقلناه بنصه فى توثيق هذه النسخة (ص ٦٤) مع مصورة من صفحة المخطوط .

وفى (النسخة الحضرمية) :

(نجزت رسالة الصاهل والشاحج مما ألفه إملاء أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان ، تجاوز الله عنه . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى آله وسلم تسليماً) .

ثم تاريخ النسخ والمقابلة على أصله – المخطوط فى سنة سبع وستين وأربعمائة – وتوقيع الناسخ .

وقد نقلناه بنصه فى توثيق النسخة (ص ٦٨) مع صفحة مصورة منها .

والله ولى التوفيق

فهارسُ الصاهلِ والشاحج

(١) أعلام الأشخاص

– تذكر الأعلام هنا، على ما جاءت به في النص والنجمة * بجانب الرقم، تشير إلى الصفحة المترجم فيها لهم.

* * *

* * *

* * *

* * *

الأذواء:

* * *

الراجز:

– غير مذكور باسمه فى الشواهد –

---

* * *

الشاعر :

* * *

* * *

(٢) القبائل والجماعات

* * *

(٣) البلدان والأماكن

(٤) الأيام

(٥) أعلام الحيوان

الشخوص الحيوانية

على ترتيب أول ظهورها فى التشخيص

* * *

(٦) الكتب، الرسائل، واللغات

فى متن الرسالة

---

* ذكر الآمدى فى « المثلم بن عمرو التنوخى »: (أنشد له الطائى فى اختياره الذى سماه الحماسة) ص ١٨١ ت٦٢١ط كرنكو / القدسى بالقاهرة ١٣٥٤هـ وانظر تقديم الأستاذ عبد السلام هارون لشرح ديوان الحماسة لأبى على المرزوقى: ص ٧ جـ أول . ط أولى لجنة التأليف ١٣٧١هـ - ١٩٥١م .

اللغات:

(٧) فهرس الأمثال

(٨) الشواهد الشعرية

مرتبة على روى البيت الأول من القصائد والشطر الأول من الأراجيز، مع مستدرك لبعض ما فات فى التخريج.

٥١٨ ويوم من النجم مستوقد يسوق إلى الركب نُور الظباءْ
(٥ أبيات)

* * *

٣٠٢ عتنا باطلا شَدوخا كما تُعـ ـتَر عن حَجرة الربيض الظباءُ*
٥٨٧ إذا نزل الشتاء بدارِ قوم تَجنبَ جارَ بيتهم الشتاءُ
٦٤٦ لم يغروكم غرورا ولكن يرفع الآلُ جمعَهم والضحاءُ
٦٧١ ألا أبلغ بنىَّ بنى ربيع فأشرارُ البنينَ لكم فداءُ
(٣)
٣٨٤ فغَنها وهى لك الفداءُ إن غناء الإبل الحُداءُ
٤٢٦ أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
٤٨٣ تحمل أهلُها منها فبانوا على آثار مَن ذهب العفاءُ
٤٩١ لددتهمُ النصيحةَ أى لد فمَجوا النصح ثم ثَنوا فقاءوا
(٢)
٥٣١ ديارٌ من بنى الحسحاس قفر عفَتْها الريحُ بعدك والسماءُ
٣٤٣ وددتُ وأبرقُ العيشوم أنا نكون معًا جميعًا فى رادءِ
(٢)
٤٣٥ يا لكَ من تمر ومن شيشاء ينشب فى المسعل واللهاءِ*
٤٩٣ فملَكْنا بذلك الناسَ حتى ملك المنذرُ بن ماء السماءِ
٥٢٢ ليس من مات فاستراح بمْيت إنما الميت ميت الأحياءِ*
٦٦٢ فكسوتُ عارٍ جسمهُ فتركته جذلان جاد قميصهُ ورداؤه

---

* مجالس العلماء ١٨ نزهة الألبا : ٩٤
* نوادر أبى مسحل . ٤٢٨ الإبدال لأبى الطيب اللغوى ١ / ٣٩٧
* ألفاظ ابن السكيت ،باب الموت وأسمائه : ٤٤٨

٤٢٢	وبلد عامِيةٍ أعماؤه	كأن لونَ أرضه سماؤهُ*
٦٣١	ضلت أميةُ من سفاهة رأيها	فاستجهلت سفهاؤها حلماؤها*

(٢)

٤٤٣	يا عثمَ أدركنى فإن ركيتى	صلدت فأعيت أن تبض بمائها
١٥٠	أطعم أخاك من عقنقل الضب	
	إنك إنْ لا تطعمنْه يغضب	
٤٦٥	أقلى اللوم عاذل والعتابْ	وقولى إن أصبتُ لقد أصابْ
٤٠٨	أصبحت جارتنا مهتاجة	قرمت بل هى وحْمَى للصخَبْ[٣]

(٢)

١٨٢	أنا النبى لا كذبْ	أنا ابن عبد المطلبْ
٣٩٣	يالك من خزاية وتعذيبْ	إذا تداعين بأسماء الشيبْ
٤٩٣	يمنعها شيخ بخديه الشيبُ	لايرهب الريبَ إذا خيف الريبُ
٢٥١	ولاحقة بأعجاز المطايا	يَقيل الديك فيها والغرابُ
٢٤٩	بآية قام ينطق كل شىء	وخانَ أمانةَ الديكِ الغرابُ

(٢)

٤٠١	وحنّتْ قلوصى واستمعت لسحرها	برملةِ لُد وهىْ معقولة تحبو
٦٠٧	لمن نارٌ بأعلى السف	ح من غمدان لا تخبو

(٢)

٥٩٦	كأنه حبشى يبتغى أثرًا	أو من معاشرَ فى آذانها الخربُ
٣٧٩	تدعو القطا وبه تُدعى إذا انتسبتْ	ياصدقَها حين تلقاها فتنتسبُ
١٤٩	تناولته من بيته أحرش القَرا	أرشتْ عليه المدجنات الهواضب
١٤٩	أرَّى بِكفيِّه وأقعى رأسه	وحظرب نفخا مَسْكَه فهو حاظبُ*

(٦)

٤٣٧	لا بارك الله فى الغوانى هل	يصبحن إلا لهن* مُطَّلَبُ
٦٠٢	ونحن أناس لا حجازَ بأرضنا	مع الغيث مانلقى ومن هو غالبُ

(٣)

٥٩٨	لكل أناس من معد عمارة	عروض إليها يلجئون وجانبُ

---

* إصلاح المنطق ١/ ١١٣ (٢) * تهذيب الألفاظ : ٨٩
* الكتاب ٣ / ٣١٤ .

٤٥٥	أو شبب يحفــر الــرخــامَى	تَحــفِـزه شــمــأل هــبَــوبُ*
٤٨٨	إن تسألوا الحق نعط الحق سائله	والدرعُ مُحقبَة والسيف مقروبُ
٤٦٣	الخيرُ ماطلعت شمس وماغربت	معلق بنواصى الخيل معصوبُ
٦٥٤	يــرجى المــرءُ مــاإن لا يــراه	وتعــرض دون أدنــاه الخــطوبُ
٢٩٧	أبلغ بنى كــاهــل عنى مغلغلة	والقوم من دونهم سَعيا ومركوبُ
		(٧)
٣٤٨	فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهلُه	ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ
٥١٢	ونحن غداةَ العين عــين محلَّم	نصرناك إذ ثابتْ عليك الحلائبُ
٥٧٩	تصبــو وأنى لــك التصــابى	أنى وقــد راعــك المشيبُ
٥٧٩	من يســأل الناس يحرمــوه	وســائــل الله لا يخــيــب
٥٧٩	والمــرءُ ماعــاش فى تكذيب	طــولُ الحيــاة لــه تعــذيب
٢٦٧	فــأوردتُهــا مــاءً كــأن جمــامــه	من الأجنْ حنَّاء معا وصبيبُ
١٤٨	ذكرتكِ ذكــرة فاصــطدت ضبا	وكنت إذا ذكــرتــكِ لا أخيبُ
٦١٣	كــأنها لقــوة فتخــاء كــاســرة	ولَّى ليسقيهــا بــالحــرة الــذيبُ
		(٣)
٦٨٩	أبلغ سلامة أن الصبر مغلوبُ	وأنمــا ذكــرهــا جهــد وتعــذيب
٦٣٨	عــلى أحوذيَّــين استقلت عشيةً	فــما هى إلا لمحــة فــتغــيبُ
٤٩٥	فبيناه يشرى رحله قال قائل	لمن جمل رخو المــلاط نجيبُ
٣١٣	وســوداء المحــاجــر من عقــال	يَشِــين سوادُ محجــرها النقــابــا
		(٢)
١٩٧	يــا عجبــا لقــد رأيت أرنبــا	حمــارَ قبَّــان يســوق أرنبــا
	خاطمها زأمُّها أن تذهبا	
٤٤٣	يلدسن جنــدل حائــر بجنوبــه	فكــأنما تنفى سنــابكُهــا حُبَــا
٥٣٨	بــاتت وبات ليلهــا دَبَــا دبــا	يتبعن محبــوك القذال أخــدبــا*
	فهو أخ لهذه وعَمٌّ تا	
٥٩٩	طــافت أسيــاء بــالرجــال فقــد	هيَّــج منى خيــالُهــا طــربَــا
٥٤٦	يا ربة البيت قومى غير صاغرة	ضُمى إليك رحالَ القوم والقِرَبا
		(٣)

---

* وقابل على رواية التبريزى فى القصائد العشر = ٣٠٩ .

* نوادر أبى مسحل : ٢ / ٥٠٠

٦١٣ يا بئس ماتحمل دلوى مُقربا لقد أتت تحمل شيئًا عجبا
صُلصلة وحَمأة وعَنكبا
٥٨٧ لقد ولدت لى بنت عبد مناف أميمة عزا إن غضبتُ ومغضبا
٣٩٣ مالى أرى يومكما عصيبا أنمتما أم خِلتُنى مغلوبا

(٤)

٢٤٦ ودسكرة صوتُ أبوابها كصوت الموائح بالحوأبِ

(٢)

٥٨٣ سآخذ منكم آلَ حزن بحوشب وإن كان لى مولى وكنتم بنى أبى
٥٩٧ لمن الديار غيَّرهن كل دافى المزن جَونِ الربابِ
٢١١ يا عجبا للعجب العجاب خمسة غربان على غراب
٥٢٠ يا حلوة العينين فى النقاب لا تحبسينى قد مضى أصحابى
٤٢٥ لقد أسمى وشَرَّفَ حين عُدَّتْ لى الأصهارُ ربى فى كلابِ

(٢)

٣٣٣ زعمت غُدانةُ أن فيها سيدا ضخمًا يواريه جناح الجندبِ

(٢)

٢١٢ ألا من لمولى لا يزال كأنه من الضغن والبغضاء ريشة غاربِ
١٤٥ فيوما على بُقْع دقاق صدورُه ويوما على سُفع المدامع ربرب
١٥٧ لا تذكرى مهرى وما أطعمته فيكون جلدكِ مثل جلد الأجرب

(٢)

١٩٩ أكذب من فاختة تقول وسط الكرَبِ
والطلع لم يبدُ لها هذا أوان الرطب
١٢٦ ولقد ألمَّ بنا لنقريَه بادى الشقاء محارَف الكسب

(١٨ بيتًا)

٥٨٩ يعصب فاه الريقُ أىَّ عصب
عصبَ الجُباب بشفاه الوَطْبِ*
٤٤٩ أخناسُ قد هام الفؤاد بكم واعتاده نصب إلى نصب
٥٩٠ إن السيوف غدوها ورواحها تَرَكا كنانةَ مثل قرنِ الأعضب

* لأبى محمد الفقعسى . (خلق الإنسان : ١٦٢) وإصلاح المنطق : ١ / ٦٥

٤٠٨ ومتنان خظاتان كزحلوف من الهضْب
٤٢٤ فيم نساء الحيّ من وترْيّة سفنّجة كأنها قوس تألبِ
١٢٠ لعلك فى حدراءَ لُمت على الذى تخيرت المعزى على كل حالبِ
(٣)
٦١٩ أيا جحمتا بَكّى على أم واهب أكيلة قلِيَّبٍ بإحدى المذانبِ
(٣)
٢٧٨ فيوما ترانا فى مسوح جيادنا ويوما ترانا فى مسوك الأرانب
٤٢٣ جنبنا من الأعراف أعراف يمنة ومن هضب لُبْن الخيل يابعد مجنب
(٣)
٦٠٨ تيممتُ لِهْبًا أبتغى الزجر عندهم فقد صار علم العائفين إلى لهبِ
٢٧٨ كأنى إذ مننت عليك فضلى مننت على مقطعة القلوبِ
٣٨٨ فقلت لردفى يالك الخير غنِنا بأسماء وارفع من صدور الركائِب
٤١١ عجبت والدهر كثير عجبُهْ
من عنَزِىٍّ سبنى لم أضربُهْ
٣٦٩ على حين أن جربت وابيضٌ مسحلى وأطرق إطراق الكرا من أحاربُهْ
٢٦٠ هى ابنة حوب أم تسعين آزرت أخا ثقة تمرى جبَاها ذوائبه
٦٣٠ وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربُه
٦١١ لأُنكحنَّ بَبّه جارية خِدَبّه
تجب أهل الكعبه
٦١٢ لأنكحن ببّه جارية فى قُبّه تمشط رأس لعبه
٤٩٢ أم الحليس لعجوز شهربه
ترضى من اللحم بعظم الرقبه
٦٢١ لا تردن الماءَ إلا آيبَه أخشى عليك معشرا قراضبه
سودَ الوجوه يأكلون الأهِبَه
٣٤١ دعا صُرَدٌ يوما على غصن شوحط وصاح بذات البين منها غرابُها
(٢)
٥٥٧ فما تبلغ الأروى شماريخها العُلا ولا الطير إلا نسرها وعقابُها
(٢)
٢٩١ كأنك لم تذبح لأهلك نعجة فيصبح مُلقى بالفناء إهابُها
(٢)

٤٠١ تبيت أسارى فى الجبال ومالها ذنوب ولكنْ حب نجد ذنوبُها

(٢)

٤٨٢ أحقًّا عباد الله أن لستُ لاقيا بثينة أو يلقى الثريا رقيبُها

* * *

٥٢٣ ربما أوفيت فى علم تجذبَنْ ثوبى شمالاتُ*

٥٨٨ لولا ملك رءوف رحيم تغمدنى برحمته هلكتُ

٦٣٥ مالى إذا أجذبها صأيتُ أكِبَرٌ غالنى أم بيتُ

(٤)

٤٩٢ ليت شعرى وأشعرنَّ إذا ما قربوها منشورةً ودُعِيتُ*

(٢)

٦٣٩ فيا صاح ما بال ذى نيرب بدت لى مقاتلهُ لو رميتُ

٢٦٧ ولحم لم ينله الناس قبلى أكلت على خواء واشتويتُ

١٨٦ إن هذا الطويل من آل حفص أنشر المجد بعد ماكان ماتا

(٢)

١٦٠ باعوا جوادَهم لتسمن أمهم ولكى يكون على فراشهمُ فتَى*

(٣)

٢٨٢ تسألنى عن زوجها أى فتى خَبٌّ جبان وإذا جاع بكى

لا حطب القومَ ولا القومَ سَقَى

٣٤٦ فصبحتْ حوض قِرى بيوتا

يلهمن برد مائه سكوتا

(٥)

٢٩٥ يا قبح اللهُ بنى السعلاةِ عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا بأخيار ولا أكيات

٥٨٨ أرِىَ عينى مالم تريَاه كلانا عالم الترهاتِ*

٣٨٩ وأبيت كالسراء يعلو ضبُّها فإذا تحزحز عن غداء ضجتِ

٥٢٤ خليليَّ هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم انزلا حيث حلتِ

---

* الكتاب ٣ / ٥١٩ ، ابن سلام ١٣ ليدن

* ابن سلام ٧٧ .

* خلق الانسان ٢٤٨ ، إصلاح المنطق ١ / ٢١٧ ، تهذيب الألفاظ ٤٨٣

* ابن سلام (١٠٥) ليدن

٦٥٢ وما شامنى إلا كتاب كتبته فليت يمينى قبل ذلك شُلَّتِ
٣٣٣ ولو أن عصفورًا يمد جناحه على آل طَيْئٍ كلها لا ستظلتِ
٤٧٠ ولنَعم حشوُ الدرع أنت إذا نهلت من العَلق الرماحُ وعَلَّتِ
١٨٢ هل أنت إلا إصبع دميتِ
وفى سبيل الله ما لقيتِ

* * *

٢٣٩ ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج
٣٦٨ يخشين منه عرامات وغيرته وأنه رَبِذُ التقريب ياجوج
(٢)
٣٦٣ بأسفلِ ذات الدير قد ضاع جحشُها فقد وَلهتْ يومين فهى خلوجُ
٦٢٢ فجاء بها ماشئت من لَطمية يَدوم الفراتُ فوقها ويموجُ
٣٨٧ أليح بأعلاه وأبقى شريدَة روائم رُوق بينهن خديجُ
(٢)
٦٢٧ فإن يُقدم فموعدنا سمندو وإن يحجم فموعدنا الخليجُ
٦٥٢ وتأمرنى ربيعة كلَّ يوم لأهلكها وأقتنى الدجاجَا
(٢)
٥١٧ أقبلن من نير ومن سُوَاج بالقوم قد ملُّوا من الإدلاج
فهم رَجَاج على رجاج
٦٠١ لا تعجبى من حجة المحتج
إن الفرار فى الحروب منجِ
(٦)
٤٧٤ كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخرِ الميسِ أصواتُ الفراريجِ

* * *

٤٦٢ مَن عائدى الليلةَ أم من نصيحْ بتُّ بهَمٍّ ففؤادى جريحْ
٤٥٦ وتساقطُ التنواط والذنبا ت إذ جهد الفضاحُ
من فرَّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براحِ
٤٣٨ ألا إن جيرانى العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومنادحُ
٧٠٦ ولو أن ليلى الأخيلية سلمتْ علىَّ ودونى تربة وصفائح
(٢)

٣٢٤ [1]ألا لا تغرنّ أمرًا نوفليةٌ من الناس يوما أو تريب وُضَّحُ

(٧)

٥١٠ [1]فأما العُقاب فهى منا عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوَّحُ

٦١٥ إذا المرء عَلْبىَ ثم أصبح جِلدُه كرحْض غسيل فالتيمن أروَحُ

٥١١ عُقاب بإعقاب من الوصلِ بعدما جرتْ نيَّة تسلى المحبَّ طروحُ

٢٩١ إذا لم يكن رِسْلٌ ببرقٍ فمدية وحبلٌ به أوصال برق تطوَّحُ

(٢)

٥٠٩ لعَيناك يومَ البين أسرع واكفًا من الفنن الممطور وهو مَرِيحُ

(٧)

٤٦٨ كتاركة بيضَها بالعراء ومُلبسة بيضَ أخرى جناحا

٦٣٣ ما زلن يقطعن مَلًا وصحصحا

حتى وردن عامرا وأفلحا

(٥)

٢٥٨ وقد هاجنى صوتُ قُمرية هتوفِ العشىّ نئومِ الضُحَى

(٤)

٥٢٧ لئن خرجتُ من دمشق صالحا

وقد تجهزت جهازًا صالحا

(٥)

٦٥٠ وما شجراتُ عِيصك فى قريش بعَشَّاتِ الفروعِ ولا شِحاحِ

٥٩٠ ألم تعلم لَحاك الله أنى أجَمُّ إذا لقيتُ ذوى الرماحِ

٣٣٤ ومجوَّفٍ قلق القوائم سابح تهفو قوائمه ولمَّا تبرحِ

(٢)

١٢٤ أوْنًا فقد إنَّا على الطُّلَّحِ أيْنًا كأيْنِ الحافر الموكَّحِ

(٣)

٤٣٠ أنزل الناسَ فى الظواهر منها وتبوَّا لنفسه بطحاها

* * *

٦٨٤ إذا آخيتَ قوما فآخِ

من الفتيان رحبَ المناخ

* * *

(١) قابل على رواية السكرى لحائية جران العود فى (ديوانه : ٣) ط دار الكتب المصرية .

١٥٠ إنـك لـو ذقتَ الكُشَى بـالأكبـادْ
لمـا تركت الضب يمشى فى الـوادْ
٥٤٠ لـو وصل الغيثُ أبنين امرأ كـانت لـه قُبةُ سَحْقَ بِجادْ
٥٤٢ سـائلْ سليمى إذا لاقيتَهـا هـل تُبلَغَنْ بلدة إلا بـزادْ

(٦)

١٥١ عـنـدى دواءُ الهُـدَبِـدْ كـشُـيـة ضـبّ بِـكَـبِـدْ
٤٢٠ إنمـا أهلُكِ جيـران لـنـا إنمـا نحن وهم شىءٌ أحَـدْ
٤٣٨ بـالَ سُهيـل فى الفضيـخ ففَسَـدْ
وطـاب ألـبـانُ الـلقـاح وجَـرَدْ

١١٩ إن الهوانَ حمارُ الأهل يعرفه والطِرف ينكره والجسرةُ الأجُدُ
٤٧١ فسمعت نبأةً منـه وَأرسلهـا زُرقَ العيون على أعناقها القددُ
٤٦٩ أقسم نفسى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماءُ باردُ
٣١٢ وكان لهم إذ يعصرون فظوظَها بـدجلةَ أو فيض الأبُلّةِ موردُ

(٢)

٤٦٧ أبـنى لـبُـيَـنى لـستمُ بـيـدٍ إلا يـدا ليست لهـا عَضُـدُ*

(٢)

٣٦٦ فجاءت بمعيوف الشريعة مُكلَعٍ أرشت عليه بالأكُفّ السـواعدُ
٢٨٢ ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً بسُعدٍ ولما تخْلُ من أهلها سُعْدُ

(٢)

٥٥٠ وكـأن أظـعـنهـم مُـقَـفِـيَّـةً نخـل مـواقـرُ بينهـا السعُـدُ
٢٥٠ غيم وظلماءُ وفضـل سحـابـة أيـامَ كفَّنَ واستـراد الهـدهـدُ*

(٢)

١٢٤ سقينـاهن رِفْهـا بعـد عشـر وأوكـرنـا المـزاد من الكبـود

(٢)

٣٨٩ فـدعـا دعـوة المخنّقِ والتلـ ـبيب منـه بعـامـل مقصـودُ

---

* فى المتن ، لأوس بن حجر ، ومثله فى (ص: ع ب د) وفى مسائل ابن الأزرق بإتقان السيوطى ، للنابغة ، وعزاه القرطبى فى (الجامع ٢٨٧/١٣) لطرفة . وفى (شرح شواهد الكشاف ٣٥) لأوس بن حجر ، وقيل لطرفة .

* انظر القصيدة فى (ديوان أمية بن أبى الصلت ٢٣)

٢٩٠ فإنك لم تبعد على متعهد بلى كلُّ من تحت الترابِ بعيدُ
٥٢٩ لنا زارة ضَبِسٌ نابُها يهون على حامييها الوعيدُ

(٣)

٤٨٠ كفانى ما خشيت أبو فراس ومثلُ أبى فراسِ كفى وزادا
٤٦٧ فوالله لولا بغضكم ما تركتكم ولكننى لم أجْدِ من بغضِكمْ بُدًّا
٥١٤ وقد شربنا لبنا هُدَبدَا
وقد تركنا فى الديار رثدا
٤٧٨ وللقِسىِّ أزاميلٌ وغمغمة حسَّ الشمال تسوق الماء والبردَا
٦٦٤ فما تزدرى من حية جبلية سُكاتٍ إذا ما عضَّ ليس بأدرَدا
١٨١ أصبح قلبى صَرِدَا
لا يشتهى أن يردا

(٥)

٥٠٤ ويلُ آمِّ سعدٍ سعدَا*
صرامة ومجدا

(٤)

٣٧١ وشعشعتْ للغراب الخمر واتخذتْ ثوب الأمير الذى فى حُكمه قَعَدا
٥٠١ ماذا يَغير ابنتى ربع عويلهما لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا
٦٥٤ تأتى عطيتُه عفواً إذا طرقت ولا تخالط تتريبا ولا زهدا

(٣)

٥٠٦ أحب أم الغمر حبا زائدا
حبا سخاخينا وحبا باردا
٤٢١ أعِدْ نظرا يا عبد قيس لعلما أضاءتْ لك النارُ الحمارَ المقيدا
٤٧٩ أنحى علىَّ الدهرُ كفًّا ويدا أقسم لا يصلح إلا أفسدا
يصلحه اليومَ ويفسدُهُ غدا
٤٩٤ جارية من ضبة بن أُدِّ كأن تحت درعها المنعط
شطا رميت فوقه بشطِّ
٣٧٣ وأخو الغوان متى يشأ يصرمْنه ويصرن أعداه بُعَيْدَ وداد

---

* أم سعد بن معاذ ، كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية الخدرية رضى الله عنها . أنظرها فى نساء (الإصابة) مع مناقب سعد ، فى (الصحيحين)

٥٥١ ياصاح ألمم بأهل القصر والوادى — وحبذا أهلهُ من حاضرٍ بادِ
(٢)
٣٤٤ ياحاضرى الماء لا معروف عندكمُ — لكنْ أذاكم إلينا رائح غادِ
(٣)
٥١٥ وطالما ذبَّ عنى سُيَّرٌ شُرُدٌ — يصبحن فوق لسانِ الراكب الغادى
٧٧٠ إنى وإن كان قومى ليس بينهم — وبين قومك إلا ضربة الهادى
(٤)
٦٦٤ إذا رأيت بوادٍ حيَّةً ذكرًا — فاذهب ودعْنى أمارسْ حية الوادى
٢٦٠ تركت ضأنى تود الذئبَ راعيَها — وأنها لا ترانى آخِرَ الأبدِ*
(٢)
٦٢٢ فما الفرات إذا جاشت غواربه — ترمى أواذيه العبرينِ بالزبَدِ
٣٤٩ كمضيئة صدفية غواصُها — بَهِجٌ متى ينظر إليها يسجدِ
٦٧٤ إنى على ماكان من تخددى — ودقة فى عظم ساقى ويدى
أروى على ذى العُكَنِ الضفَنددِ
٤٣٦ لم يلقها إلا بشِكَّة باسلٍ — يخشى الحوادث حازم مستعدِ
٢٠٩ سيكفيكَ سقيا رِجلُ ظبى وعلبةٌ — تمطَّتْ بها مصلوبة لم تحاردِ
٥١٦ فحسبوه فألفوه كما حسبت — تسعًا وتسعين لم تنقص ولم تزدِ
١٣٤ فجالت على وحشيها وكأنها — مسربلةٌ فى رازقىٍّ معضد
(٧)
٤٥٥ يَصيدُك العيرُ يرف الندى — يحفر فى مبتكرٍ راعدِ
٥١٦ اسلمى أم خالد — رب ساع لقاعد
٥٥٨ من مبلغ عمرو بن هند رسالةً — إذا استحقبتها العيس تهوى من البعد
(٥)
٣٥٨ أبو سليمان وريش المقعد — وصيغة مثل الحميم الموصَدِ
ومؤمن بما تلا محمدى
٤٦٤ ولقد رحَلتُ العيس ثم زجرتها — وهْنا وقلت عليك خير مَعَدّ
(٢)

---

* انظر فيه (المثل السائر لابن الأثير) ١ / ١٣٦

٤٩٨ وكل خليل راءنى فهو قائل من أجلِكِ هذا هامةُ اليوم أو غدِ
٢٥٧ كأنما أوّب يديها إلى حيزومها فوق حصى الفرقدِ
(٢)

٥٩٢ فتركتهم تَقِصُ الرماح ظهورَهم ما بين منعفر وآخرَ مسنَدِ
٣١٤ لا هُمَّ ربَّ عامر ونهدِ* وربَّ من يسعى بأرض نجد*
(٥)

٣٥٢ أقول والعيسُ تَنَا بوهدِ إن تنزلا أكفِكما بجهدى
فطال ما سقت المطيَّ وحدى
١٢٤ سقيناهن رِفها بعد عِشر وَأوكرْنا المزادَ من الكبودِ
(٢)

٣٨٨ وَخُودٌ من اللاتى تسمعن بالضحى قريض القوافى بالغناء المهوَّدِ
٥٢١ لم يُبقِ منها أبدُ الأبيدِ
غيرَ ثلاثٍ ماثلات سودِ
(٤)

٥٣٥ فلوكنت معذورًا بنصرك طيَّرتْ صقورىَ غربان البعير المقيدِ
٦٩٥ أعاذلَ قد لاقيتُ مايزع الفتى وطابقت فى الحجلين مشى المقيد
٢٥٧ تَجهنا غاديين فساءلتنى بواحِدِها وأسأل عن تليدِ
(٤)

٢٠٦ طال فى رسم مَهددٍ أبدُه وعَفَّى واستوى به بلدهْ
(٥)

٣٩٧ لا يبعد الله ربُّ العباد والملح ما ولدتْ خالده*
٤٣٦ إن بَنيَّ للِئامٌ زهدَهَ
ما لى فى صدورهم من مودَده
٥٦٦ إذا الرجالُ ولدت أولادُها
واضطربت من كبَرٍ أكتادُها
(٤)

---

* ابن سلام ٩٥ ليدن ، والمحبر لابن حبيب : ٣٠١

* أنشده المفضل بن سلمة : فى المثل : (بينهم ممالحة) لشتيم بن خويلد الفزارى (الفاخر : ١١) وانظر مشكل مكى : ١٤٤،١

٥٣٧ وقصيدة قد بِت أجمع شملها حتى أقوم ميلهَا وسِنادَها

* * *

٣٧٢ أنفق على نفسِك منها والجارْ

إنك لا تدرى ولا يدرى الدار

(٤)

٦٨٧ وترى الطيرَ على آثارِنا رأىَ عين، ثقةً أنْ ستُمار

٤٦٢ شُدّى علىّ العصبَ أمَّ سيار

فقد رزُيتُ فارسا كالدينار

٦٠١ وأبيض بض عليه النسور وفى ضبنه ثعلب منكسرْ

(٢)

٦٨٢ تقول سلمي إذ رأتنى كالنَسِر

أسودَ كالقُفَّةِ محزومَ الصَدِرْ

(٦)

٣٥٢ فجاء وقد فصلته الجنو بُ عذبَ المذاقة بُسرًا خصِرْ

٥٠٠ لنا صرخة ثم إصماتة كما طرقت بنفاس بِكِرْ

٥٨٤ سماحة ذا وبشر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ ويعدو على المرء ما يأتمرْ

٦٢٨ لعمرى لسَعد بن الضباب إذا غدَا أحب إلينا منك فا فرسٍ حَمِرْ

٤٤٦ أنا جرير كنيتى أبو عَمِرْ أجبُنا وغيرة خلف السَتر

قد نصر الله وسعد فى القصر*

٤٠٧ لها متنان خظاتا كما أكبَّ على ساعديه النمر

٥٧٧ ليس من يشكو إلى أهله طول الكرى مثل من يشكو إلى أهله طول السهرْ

٤٦٦ قد علمت بيضاء من بنى فِهرْ نقية الوجه نقية الصدِرْ

لأضربن اليوم عن أبى صخِرْ

٥٣٠ أبُنىَّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبيرْ

(٢)

٥٧٨ الكأس ملك لمن أعملها والملك منه كبير وصغير

(٣)

---

* قاله جرير بن عبد الله أبو عمر البجلى ، رضى الله عنه ، يوم القادسية وسعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنه ، جريح بقصر الإمارة (تاريخ الطبرى : ٤ / ١٤٠ حسينية)

١٥٨	عَلِقتْ هـامـق بعض مـايـ	ـنـعُ منى الأعنـةَ الأقـدارُ
٤٧٥	أقذى بعينك أم بالعين عـوار	أم ذرفت مذ خلت من أهلها الدارُ
٤٥٤	يـا لَبكـر انشـروا لى كليبـا	يـالبَكـر أيـن أيـن الفـرارُ
٣٦٢	وما سال واد من تهامة طيبٌ	بـه قُلُبٌ عـاديـة وكـرارُ
٤٤٠	إذا نشَبَتْ مخـالبـه وعلِقتْ	لـه الأنياب تُـرِكَ لـه المرارُ
٥٤٥	تُسمنهـا بـأغـزر حلبتيهـا	ومـولاك الأحـمُّ لـه سُعـارُ
٣٠٤	وعلا الصلبُ فاستتب إلى حيـ	ـث يكون العُرشانِ منه الفقارُ
٢٠٦	ألم تـروا إرمـا وعـادا	أودى بهـا الليـلُ والنهـارُ
٤٣٨	يـاعمـرو جيـرانكم بـاكـرُ	فـالقلب لا لاه ولا صابـرُ
١١٦	فِدًى لكما رجلىَّ أمى وخالتى	غداةَ الكُلاب إذ تُحز الدوابرُ*
٥٣٢	اسلم بـراووقٍ حُبِيتَ بـه	وانعم صبـاحـا أيهـا الجبـرُ

(٣)

٤٧١	لـه الفعال ولـه الـوالـد الـ	أكبر فـالأكبر فـالأكبرُ
٦٧٢	فقالت وقد لانت وأفرخ روعُها	كَلاكَ بحفظٍ ربُّك المتكبرُ
٥٨٠	إنى أتتنى لسان لا أسَرُّ بها	من عَلْوَ لاعجب فيها ولاسخرُ*
٥٦٢	إذا عُيِّروا قالوا مقادير قُدرت	وما العار إلا ما تجر المقادرُ
٥٧١	نـارى ونـار الجـار واحـدة	وإليـه قبلى تُـرفـع القـدرُ

(٢)

٤٣٠	لاتأمنَنَّ الدهرَ بين ظعـائن	كما بان من جو الوديقة أكدرُ
٦٢٦	لكنْ عُـوَيـر وفى بـذمتـه	لا عَـوَرٌ شـانـه ولا قِصَـرُ
٣٩٠	وقربن بالزرق الجمائل بعدما	تقوب عن غربان أوراكها الخطرُ
٥٨٢	هاجها ربع دارس الرسم باللوى	لأسماء عَفَّى آيَه المورُ والقطرُ
٤٤٢	ياأسمَ صبرًا على ماكان من حدث	إن الحوادث مَلقىٌّ ومنتظَرُ
٣٩٥	وخبرها الواشون أن ليس بينها	وبين قرى قسْر ونجران كافر
	فألقت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عينا بالإياب المسافرُ
٥٨١	ارتحلوا غدوة فانطلقوا بُكرا	فى زُمَـر منهم تتبعها زُمَـرُ
٥٧٥	إنى وإن سيق إلىَّ المَهـرُ	عبـد وقينـات وذودٌ عَشـرُ
	أحـبُّ أصـهـارى إلىَّ القـبرُ	

* وانظره فى (الفاخر ١٥٩) فى المثل : قطع الله دابره

* وانظر تخريجه على هامش (تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة) : ١١١

٤٢٤ أبالأراجيز يابنَ اللؤم توعدنى — وفى الأراجيز خِلتُ اللؤمُ والخوَرُ
٤٩٥ فقال لخِلّيه ارحلا الرحلَ إننى — بعـافيـة والعـافيـاتُ تـدورُ
٤٧٧ الله يعلم أنـا فى تحملنـا — يوم الرحيل إلى أحبابنا صُورُ*
(٢)
٢٤٥ وكأس عقار يحلف الديك أنها — لدى المزج من عينيه أصفى وأنوَرُ
٥٧٥ تُساق من المعزى مهور نسائهم — وفى قـزَم المعـزى لهن مهـورُ
٤٣٧ وحمّال المئِينَ إذا ألمـتْ — بنـا الحـدثـانُ والأنِفُ الغيـورُ
١٢٦ ومثلك أو خـير تركت رذيـة — تقلب عينيهـا إذا طار طائرُ
٢٧٢ يـلاحظ طيـره أبـدا زيـادُ — لتخبـرَه ومـا فيهـا خبـيرُ
(٤)
٣٧٨ لقـد عظم البعـير بغـير لُبّ — فلم يستغن بـالعِظَم البعـيرُ
٤٥٨ وقد زعمت أنى تغيرت بعدها — ومن ذا الذى ياعَـز لا يتغير
٦٤١ ألم تـرنـا عَـزّنـا مـاوُنـا — سنـين فـظَلْنـا نَكُدُّ البئـارا
(١٣)
٤٠٩ سقى الـرحمن حـزَم يُنـابعـات — من الجـوزاء أنـواءً غـرارا
(٢)
٥٧٠ فـإن أخـاكِ الـذى تعلمـين — ليـالينَـا إذ نَحُـلُّ الجِفـارا
(٤)
١٥٩ نـوليهـا الصـريحَ إذا شتـونـا — علـى علاتهـا ونـلى السمـارا
(٢)
١٣٩ وفى بيت الصفيح أخو عيـالَ — قليـل المـال يغتبق السمـارا
(٤)
٤٣١ كيـف رأيـتَ زبْـرا — أأقِـطا أو تمـرا
أم قـرشيـا بـازلا — هـزبـرا
٣٣٦ وكائن ترى فينا من ابن سبِيَّة — إذا لقى الأبطالَ يضربوبهم هبْرا
(٣)
٥٠٠ ألـوت بـإصبعهـا وقـالت إنمـا — يكفيك مما لا ترى ماقد ترى
(٢)

---

* أنشده الفراء : * الله يعلم أنا فى تلفتنا يوم الفراق .. وانظر تهذيب الألفاظ لابن السكيت : ٥٥٢

٥١٩ وبيضاء لم تطبع ولم تدرِ ما الخنى ترى أعين الفتيان من دونها خُزْرا
٤١٠ يـا أم عمرو أبشـرى بالبشـرى
مـوت ذريـع وجـراء عَـظلى
٤٠٥ ويدعو ببرد الماء وهـو بلاؤه وإما سقَوه الماءَ مجَّ وغـرغرا
٦٩٢ أصبحت لا أحمـل السلاح ولا أملك رأس البعـير إن نفـرا
١١٧ وإنـا لحَىٌّ مـا نعـود خيلنـا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
٦٩٠ إن القُبـاعَ سـار سيـرا نُكـرا
يـسـير يـومـا ويـقـيـم شـهـرا
٢٤٨ وسِقْطٍ كعين الديك باكرت صحبتى أبـاها وهيـأنا لموضعها وكـرا
(٦)
٥٢٩ إذا ولـدتِ عـامـرا وعـامـرا
فـقـد ولـدتِ الـعـدد الجـمـاهـرا
٥٧١ وإنى لأرجو أن أموت ولم أنل حراما من الدنيا زناءً ولا خمرا
(٢)
٢٥٤ لو لم تكن غطفان لاذنوب لها إلىَّ زادت ذوو أحسابها عمرا
٦١٦ يـا نـاق سيـرى عنَقـا زَوَرًّا وقـلِّبِى مـنـسـمـك المغبـرًّا
وبـادرى الـلـيـل إذا مـا اخضـرًّا
٣٤٢ خبرٌ عن فعالك الأرض واستنـــــطق منهـا اليبـابَ والمعمـورا*
٦٥٣ وقد جرب الناس آل الزُبَـير فلاقوا من آل الزُبير الزَبيرا
٦٢٦ بان الشباب فلست الدهرَ لاقيَه حتي تعـود كثيبـا أمُّ صبـارِ
١٨٧ قدم الطويل فأشرقت واستبشرتْ أرضُ الحجاز وبان فى الأشجار
٦٤٥ لايخفض الرزٌّ عن أرض أقام بها ولا يضلُّ على مصباحه السارى
٥٣٤ ولآل عَتّـاب وقَـدٌّ سُـورةٌ من المجد ليس غرابُها بمُطارِ
٦٨٧ أبلغ النعمـانَ عنى مـألكـا أنـه قد طـال حبسى وانتظارِ
١٨٧ إن الطويل من آل حفص فاعلموا سادَ الحضورَ وساد فى الأسفار
٢٦٩ يتـطهـرون كـأنـه نُسـك لهم بـدماءِ مَن عَلِقـوا من الكفارِ
٤٥٩ لن يُسبقَ الله عـلى حمـارِ ولا عـلى ذى ميعـة سيـار
قـد يـصـبـح الله أمـام الـسـارِ*

* للكميت ، قابل على رواية ابن قتيبة فى (تأويل المشكل ٨١) وتخريجه على هامشه .

* فى بيان الجاحظ (٣ / ٢٧٨) أن وباء جارفا وقع فى الناس وموت ذريع ، فهرب قائل هذا الرجز على حماره ، فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره إلى حيه وهو يرتجز به .

١٠٣ وغـرتنى صـلاة أبى خبيب   يصلى وهو أكفر من حمارِ
١٢٠ وما المولى وإن عرضت قفاه   بـأحملَ للمـلاومِ من حمار
٥٩٥ أفبعد مقتل مالكِ بن زهير   ترجو النساء عواقب الأطهار
٣٠٣ ياقاتل الله صبيانًا تجىء بهم   أم الصبيين من زَند لها وارى

٤٤٨ جـاءت عجـوز من أعـالى الـبِر
قـد تـركت حيـهِ وقـالت خَـر

(٤)

١٩٦ كـأنها بـعـد كـلال الـزاجـر
ومـسـحـه مـرُّ عـقـاب كـاسـر

٦٥٨ إن كنتِ كـارهـةً لعيشتـنـا   هـاتـا فحـلِّى فى بنى بدر*

(٣)

٤٨٣ تـاللهِ قـد علمت سـراةُ بنى   ذبيـانَ عـامَ الجـدب والأَصْرِ

(٢)

٣١١ تبـدلتِ ياحمراء أحمر نـاجرًا   وبُعد الفيافى بالقرى والحواضر

(٣)

٥٦٣ لا يَبْعُدَنْ عهدُ الشباب ولا   لـذاتِـه وزمـانِـه الـنـضـرِ

(٧)

٦٢١ مـايُجعل الجُدُّ الظَنونُ الـذى   جُنِّبَ صوبَ الغدِقِ المـاطر

(٢)

٤٤٩ أقلب عينى فى الفوارس لا أرى   حزاقا وعينى كالحجاة من القطر
٦٢٤ ولأنتَ تفرى ماخلقتَ وبعضُ   القـوم يخلق ثـم لا يفـرى*
٢٣٩ إنـكِ لـو بـاكرتِ مشمـولةً   حمراءَ مثلَ الفـرس الأشقـرِ

(٢)

٣٦٣ بِـرِشَّـةٍ نجلاء يهـدر فـرغُها   سنَنَ الخروف من الرباط الأشقرِ
٣٢٦ معـاذ الله ينكحنى حبـركـى   قصير الشبر من جشم بن بكرِ

(٣)

٣٦٣ وأبـحُّ جـنـدىٌّ وخـالـصـة   سُبِكت كثـاقبـة من الجمـرِ

---

* قابل على الرواية فى (ديوان حاتم الطائى ١٣) ط الأهلية
* انظر فيه : مشكل ابن قتيبه ٣٨٨ ، والكتاب ٢ / ٢٨٩ ومقاييس اللغة ٢ / ٢١٤

١٥٥ وكأنما أنيابها اغتبقت بعد الكَرى من طيب الخمر
(١١)

٥٢٢ كنت جارًا لكم فأشمتم النا س بى اليومَ آل كعب وعَمْرِو
(٦)

١٩٣ فأسمعنا بالصمت رجعَ كلامنا فأبلغْ به من ناطق لم يُحاوِرِ
٣٢٣ سقونى النسءَ ثم تكنفونى عداة الله من كذب وزورِ
٢١٢ وإذا أُحِلُّ قتودَها بتنوفة جعلتْ تليح مِنِ الغراب الأعورِ
٥٦٧ وإنى لأستأنى ولولا طماعتى بعزةَ قد جمَّعْتُ بين الضرائرِ
(٢)

٢٥١ كأن الديك ديك بنى نمير أمير المؤمنين على السرير
٢٥٢ شربنا شربة من ذات عرِق بأطراف الزجاج من العصير
(٦)

٤٧٨ وسواعيد يُختلين اختلاء كالمغالى يطرن كل مطير
٤٥٧ سليمى أنت فى العير
قفى إن شئتِ أوِ سيرى
٦٤٣ هو الخبيث عينُهِ فرارُه
أطلس يخفى شخصَه غبارُه
(٤)

٦٢٥ من مبلغ عمرًا بأن المر ءَ لم يُخلق صُبارَه
(٢)

٥١٤ كانت لنا من غطفان جاره
جارة صدق من بنى فزاره
(٧)

٥٩٦ فى الذين قد ماتوا وفيما خلَّفوا عِبرَه
٣٦٠ أكبَّ على فأس يحد غرابها مذكرة من المعاوِل باترَة
٦١٤ أنا الذى فررتُ يوم الحَرَّه*
والحر لا يفر إلا مَرَّه

* وانظره مع الفرارين فى (المحبر لابن حبيب ٤٩٤)

٦٩٠ نعم الرفيق وخيرُ صحبتِه يأوى المضاف لغارة قُطُرَه
(٥)

١٥١ والله لولا أكلة بِبرِّه بَكُشيةٍ بكَبِدٍ بظهره
إذًا خلا منا قفا طمره

١٢٥ من يشأ الرحمن يقللْ خيرَه
ما وجد الموت بعيرًا غيرَه

١٣٩ رُبَّ رام من بنى ثُعَلٍ مخرج كفيه من سُتُرِه
(٧)

٦٠٩ رأيت غرابا واقعا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره
(٤)

٤٩٨ وغيَّر ماءُ المرد فاها فلونُه كلون النئور فهى أدماءُ سارُها

٣٨٨ خليلىَّ أدى الله أجرًا إليكما إذا قُسمت بين العباد أجورُها
(٢)

٦٥١ ترى كل مَلْسًا بالسراة كأنما كساها قميصا من هراةَ طرورها
(٢)

٦٥٣ البئر بئر قد دنا زبيرُها
كأن فيها أسدًا يثيرها

* * *

٥٩٥ تَهنِئهْ دموعكَ إن من تبكى من الحدثان عاجزْ

٥٢٠ أنا أبو النجم إذا اشتد الحُجَز
تَفنَى إذا متّ أفانينُ الرجزْ

٢٧٦ كأن قَزًّا تحته وبَزًّا
أو فُرشا محشوةً إوزا

٦٨٦ وخيل تكدّسُ بالدارعيـ ـنَ تحت العجاجة يجمزن جمزا

٥٢٩ قد كنت تأمننا والجدب دونكمُ فاحذر إذا بُقِّعَ أولاد الجراد نزا

٤٨٨ وليلة صريها كالخز أدلجتُها من أجل أم عز
وأم عز من عتيق البَزِّ

* * *

٥٣٠ احبس جمالكِ يا ابنَ قيـ ـسٍ إنها إحدى المحابسْ
(٢)

١٥٩ ويترك قيسا وقيس له عناجيج آخذةٌ بالنفَسْ
(٢)

٦٣٤ ومازال معقولا عقالٌ عن الندى ومازال محبوسًا من الخير حابسُ
٣٤٥ هلم إليها قد أثيرت زروعُها وعادت إليها المنجنون تَكَدسُ
(٢)

٦٤٥ كأن بنحره وبمنكبيه عبيرًا بات تَعبَرُه عروسُ
(٤)

٦٣٤ يا ليت شعرى عنكِ دختنوسُ
إذا أتاها الخبرُ المرموسُ
(٤)

٧٠٩ ولك السلامة والسلام فإننى ماض، وهن على عُلاكَ حبائِسُ
٣١٦ بالموت ما عيِّرتِ يالميسُ
قد يهلك الأرقمُ والفاعوس
(٤)

٦٢٠ ياصاحِ هل تعرف رسمًا أكرسا قال نعم أعرفه، وأبلسا
وانحلبت عيناه من فرط الأسى*
١٥٨ ألا هل أتاها أن شِكَّةَ حازم لدىّ وأنى قد صنعت الشموسا
(٤)

٩٣ أما إذا استدبرتَه فتسوقه رِجلٌ قموصُ الوقع عاريةُ النِّسا
٢٧٤ فلو مات منهم من قتلنا لأصبحت ضباعٌ بأكنافِ الشريفِ عرائسا
٤٣٤ لما رأتْ شيبَ القذالِ عيسا*
وفوق ذاك لِمَّةً خليسا
(٥)

٥١٧ أضربُهمْ باليابسِ ضرب غلام عابِسِ
من الحياةِ آيسِ
٥٢٠ صنت نفسى عما يدنس نفسي وترفعت عن جَدا كلِّ جِبْسِ
٣٥٤ ألا زعمت أم الصبى خزايةً على فزارة أن عرفتُ بنى عبسِ
٦١٧ كأنى ورَحلى فوق أحقبَ قارح بعرنانَ أو طاوٍ بِسُرْيَةَ موجِسِ

* انظر مع ديوان زهير ١٧٣ معانى الفراء ١ / ٣٣٥
* قابل على: مجالس ثعلب ٣٧٨ وخلق الإنسان ٣٤٦، وإصلاح المنطق ١ / ١٧

٤٦١ اضربَ عنك الهمومَ طارقَها ضربَك بالسوط قونسَ الفرسِ
٣٢٦ وقاكِ الله ياابنة آلِ عمرو من الفتيان أمثالى ونفسى

(٣)

٤٧٠ ولقد هديت الركبَ في ديمومة فيها الدليلُ يعض بالخَمسِ
٦١٧ يا ليلةً ما ليلة العروس
يا طسم ما لقيتِ من جديس

(٤)

٥٥٥ والشيخ لا يترك عاداتِه حتى يوارَى فى ثرى رمسه
٣٢٩ البَسْ لكل عِيشة لبوسَها
إما نعيمها وإما بوسَها

* * *

٦٧٧ عاذلَ قد أولعتِ بالترقيشِ
إلىَّ سِرًّا فاطرقى ومِيشى

* * *

٥٠٤ أكاشِره كرهًا وأعلم أنْ كلانا على ما ساء صاحبهَ حريصُ
٣٩٨ حلَّيتُها حين رابتنى بمعصية من حِلية القين فى عرنينها خُرُصا
٥٥١ أميرَ المؤمنين وأنت عَفٌّ تقىٌّ لست بالوالى الحريصِ
جعلت على العراق ورافديه فزاريا أحذَّ يد القميص
١٨٤ إذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا تُوصِه

(٢)

* * *

٦١٥ قد صرتُ ياعمرو كأنى نقِضُ وصار قُدَّامِ قُدَّامى نهضُ
وصرت لا يحمل بعضى بعض
٣٤٧ ودعا بالذى يخاف من البيْـ ـنِ لعينٌ ينوض كلَّ مناضِ

(٢)

٥٤٠ وفى البقلِ إن لم يدفع الله شرَّه شياطين ينزو بعضُهن على بعضِ
٦١١ تلك عرسى تقول إنىَ شيخ ذاك عار علىَّ غيرُ مُمِضِ

(٣)

١٤٥ وبيضاءَ قد رفعت عنها بقفرة سماوةَ صَعْل كالخباء المقوَّضِ

(٢)

٣٢٩ متى ما أشأ غير زهو الملو كِ أترُكْكَ رهطا على حُيَّضِ
(٣)

٥٤٩ وروحةِ دنيا بين حيَّينِ رحتُها أسير عروضًا أو قضيبًا أروضُها

* * *

٤٩٤ بِتْنا بحسانَ ومعزاه تئِطْ
في لبن منها وسَمْنٍ وأقِطْ
(٦)

٥٤٠ وقد جعل الوسمى يُنبت بيننا وبين بنى رومان نبعا وشوحطا
(٢)

٦٧٣ تركن عديا والطريفَ بن مالك وكان شفاء لو أصبن الملاقطا

* * *

٤١٤ وجاءت جيألٌ وأبو بنيها أحمُّ الماقيين له خماعُ
(٢)

٥٣٣ عدمت أناسا بالجليل كأنما عميدُهُم ليث ببشةَ أقدع
(٥)

٦٧٦ فراحتْ وأطراف الصوَى محزئلَّةٌ تئج كما أجَّ الظليم المفزع
٤١٠ فإنك إذ تحدوك أم عويمر لَذو رجلة حاف مع القوم ظالعُ
٤١٤ لهفاه من عرفاءَ ذاتِ فليلة تأتى إلىَّ على ثلاث تخمع
(٤)

١٣٢ والدهرُ لا يبقى على حَدثانِه شبَبٌ أفزَّته الكلاب مروَّعُ
(١٢)

٣١٥ تقول اعلُ وانهق لاتضرك خيبر وذلك من دين اليهود ولوعُ
(٢)

٦١٥ ومن يسكن البحرين يعظم طحالُهُ ويغُبَط بما فى بطنه وهو جائع
٦٤٤ ألأن نال من بَهْمِ البخيلة غِرَّةً على فاقة إن نالها وهو جائعُ
(٧)

٢٤٤ شهدت بأن الله حق لقاؤه وأن ربيع العامرىَّ رقيعُ
(٢)

٥٩٦ إن تدنُ منه شبرا يقربْكَ منه باعا

٧٠٠ ومن يكن استنام إلى ثوِىّ فقد أكرمتَ يا زفر المتاعا

(٢)

٦٧٠ هم ثأروا الأخدود أيامَ أغرقت رماحُهم فى لجة البحر تُبَّعا

٦٣٥ تقول بنتى وقد قرّبتُ مرتحلا ياربِّ جنبْ أبى الأوصاب والوَجعا

(٢)

٣٠١ وذات هدم عار نواشرها تُسكِت بالماء تولبًا جَدِعا*

٤٧٩ ولايسأل الجارُ القريبُ إذا شتا بما زخرت قِدرى به يومَ ودَّعا

(٢)

٣٥٩ كما قال سعد إذ يقود به ابنه أصعصع جنبنى الأرانبَ صعصعا

٦٠٤ إمَّا ترى شِكتى رُمَيْحَ أبى سعد فقد أحمل السلاح معا

(٣)

٤٠٤ رائعة تحمل شيخا رائعا

مجرَّبا قد شهد الوقائعا

٥٠٦ أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصى إلا مضيعا

٥١٧ يا رجلِ لاتراعى

إن معى ذراعى

٥١٥ فَلأهدينَّ مع الرياح قصيدة منى مغلغلة إلى القعقاع

(٢)

٦٦٦ حتى استفأنا نساء الحى ضاحية وأصبح المرء عمرو مُثْبَتًا كاعِى

٢٠٥ وكأن أعظمها كعابُ مقامر ضُرِبت على شزَنٍ فهن شواعِ

٥٣٦ ودويَّة قفر ترى وجهَ ركبها إذا ركبوها مُكفأً غير ساجعِ

٢٥٢ تخال فيه إذا حاورته بلَها عن ماله وهو وافى العقل والورعِ

٦٠٥ أناس إذا ماالكلبُ أنكر أهلَه حَموا جارهم من كل شنعاءَ مفظعِ

٢٥٣ من كل عجزاءَ سقيط البرقعِ

بلهاءَ لم تُحفَظ ولم تُضيَّعِ

٣٣٩ هل أنت ابنَ ليلى إن نظرتك رَائحٍ مع الركب أو غاد غداةَ غدٍ معى

٦٦٣ فإن يكُ أوس حية مستميتةً فدعْ عنك أوسًا إن رقُيتَه معى

٤٩٩ ألا إنما ذا الدهر يوم وليلة ومن يَحْىَ فى الأيام يَرْأ ويسمعِ

* ممن رواه : * جذعا * بالذال – إضافة إلى مافى تخريجه – ابن الأثير فى جامعه (٢٣١) مع شرحه على هامشه . وانظر مع (مجالس العلماء وإنباه القفطى) نزهة الألبا : ٥٧

٣١٥ كـأن نَـطاة خيـبرَ زودتْـه بكـورَ الـوردِ ريشـة القلوع
٣٦٠ يحمـر أطـراف قـوادمـه مـن الحـلِّ المسـاريـعِ
٥٢٥ ياأخت ذحوة بل ياأخت إخوتهم من عامرٍ أو سلولٍ أو من الوقَعه
(٥)

٩٢ قـد يجمع المـالَ غـيرُ آكلِه ويـأكلُ المـالَ غيرُ مَن جمَعَـه
٤٤٠ إذا لم يكن قبل النبيذ ثريدة مُلبَّقة صفـراءُ شحمٌ جميعهـا
(٢)

* * *

٥٨٤ تفكـره علِمٌ ومنـطقـه حُكم وبـاطنه دِينٌ وظـاهـره ظـرفُ
١١٧ ونعمٍ أخو الصعلوكِ أمسِ تركته بتضروع يمرى باليدين ويعسف
٢٥٥ حلفتُ يمينًا لـلأضـاخى بَـرَّةً وأخرى على أمثالها أنا حالفُ
(٦)

٣٣٢ وطـال مـا سـقـنـا المطىَّ زَفًّـا
لـيـلا وأنـت تـقـرعـين الـدفـا
٦٩٥ وتركض والعينان فى نقرة القَفا من الذعر لاتلوى على من تخلَّفا
٢٥٤ هىٍ الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويف الظنون من السوافِ
٦٦٥ هنيئًا لخوط من أراكِ تـرفـه إلى بـرد شهـد بهن مـدوفِ
٢٩٢ عتبتْ علىَّ لأنْ شربتُ بصوف ولئن عتبتِ لأشربَنْ بخروفِ*
(٦)

١٢٥ لها صواهلُ فى صُمّ السِلامَ كما صاح القِسيَّات فى أيدى الصيلريفِ
(٢)

٤٦٩ فإنى قد رأيت بـأرض قومى حـوادثَ كنتُ فى لخم أخافَـه

* * *

٤٢٠ تـركت النـزال لأهـل النـزال وأكرمتُ نفسى على ابنِ الصعِقْ
(٢)

٤٥٧ مَن مُبلغ عنى يـزيـد بـن الصـعِقْ
دونـكَ مـا استحسنتَـه فـاحسُ وذُقْ
(٦)

---

* انظرها أيضا ، فى (بيان الجاحظ ٣ / ٢٠٦)

٥٠٤ أَرَبَّ مُهــر مزعــوقْ*
مقيَّــل أو مغبــوقْ

٢٩٤ أَمْسِــكْ بَنِيــكَ عمــرُو إنى آبــقُ
بــرق عــلى أرض الســعالى آلــقُ

٢١٢ لما رأتْ إبلى أمستْ حمولتُها جُرْبا عجافًا عليها الريشُ والخرَقُ

٣٣٢ أنى لعفّـانٍ أبيــك سبيكــة صفراءُ والنهر العبابُ الأزرقُ
(٢)

١٧٢ أقول لعمرو إذ مررن بوارحًا وهن لنا الإكتابُ والصيدُ مُخْلِقُ
(٢)

٦٨٣ وإنى وإن كانوا نصارى أحبهم ويـرتاح قلبى نحـوهم ويتـوقُ

٤٨٠ وسـائلة بثعلبـةَ بنِ سـير وقـد علِقت بثعلبـةَ العُـلوقُ

٤٥١ قد جعل المبتغون الخيرَ فى هرم والسـائلون إلى أبوابـه طرُقـا

٥٨٠ يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طُعنوا ضارب حتى إذا ماضاربوا اعتنقا

٦٢٣ بَــريَّــةٌ لم تــأكـل المـرققا
ولم تذق من البقول الفستقا

٤٩١ فلئن قــوم أصــابــوا عــزة وأصبنــا من زمــان رنَـقَــا
(٢)

٤٠٧ ومــا الــدنيــا ببــاقــاة لحيٍّ ولا أحد على الــدنيــا بباقِ

٥٠٣ نحن ضـربنـا الأسْدَ بـالعـراق
والحـيَّ مـن ربــيعـةَ المُـرَّاق
(٥)

٥٩٧ ليت شعرى هل لنا ذات يوم بجنـوب فـارع من تـلاقِ

٤٤٨ ضـربتْ صدرهـا إلىَّ وقـالت يـاعـديًّا لقـد وقتـك الأواقى

٣٧٣ لا صلح بينى فـاعلمـوه ولا بـينكـم مـا حمَلتْ عــاتقـى
(٢)

٥٢٥ ولـمـا ركبنـا صعبهـا وذلولَهـا إلى أن حجبنا الشمس تحت السرادقِ
(٢)

٦٧٥ نثير بها نقع الكُلاب وأنتمُ تُثيرون قيعان القرى بالمعـازق

---

* الإبدال ٢ / ٩ (ص : روق)

٦٤٩ كتبتُ إليه هل تحب زيارتى فوقَّع: لا، خوفَ الرقيب المصدَّقِ
(٢)

٤٨٦ سبَتْنى حِبَّتى رهمٌ بوجه مثل ذى امْشرقِ
(٤)

٢٠٥ فإما ترينى غيَّر الدهرُ لمتى ولاحت لواحى الشيب فى كل مفرقى

٢٦٨ نعم إدامُ الضيفِ والرفيقِ لحمُ غلام ماجد عريقِ
يُلَتُّ بالأحسابِ لا السَّوِيقِ

٥٥٦ ألاحَىّ قبل البين من أنت عاشقُه ومن أنت مومق إليه ووامقُه
(٩)

٣٩٩ لها فارة ذفراء كل عشيَّة كما فتق الكافورَ بالمسك فاتقُه

٣٧١ وبسط الخير لنا وبَقَّهُ
والناس طرا يأكلون رزقَه

٣٩٧ أقسمت بالملح والرماد وبالـ ـعُزى وباللاتِ نسلم الدَّرَقَه

٥٨٢ وزعموا أنهم لقيهم رجل فأخذوا ماله وضربوا عُنُقَه

٣٣٨ إذا متُّ فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى فى الممات عروقُها
(٢)

* * *

٥٧٢ ليت شعرى ضلَّةً أىُّ شىء قتلكْ
(٦)

١٨٠ أهَدَموا بيتَك لاأبا لَكا وزعموا أنك لا أخا لكا
وأنا أمشى الدألى حوالَكا

٢٤٨ ياأطيبَ الناس ريقا غير مختبَرٍ إلا شهادة أطرافِ المساويكِ
(٢)

* * *

٦٩٨ أكرمك اللهُ وأبـ ـقاك لقد كان من الْ
جميل أن تأتينا الـ ـيوم إلى منزلنا ال
خالى لكى يحدث عهدًا بك يا خير الأخلْ
لاءِ فما مثلك من ضيع حقًّا أو غفلْ

١٩٣ رُب شرب قد أناخوا حولنا يشربون الخمرَ بالماء الزلالْ
(٢)

١٦٣ وكأس كمستدمى الغزال مزجتُها لأبيضَ عصاء العواذل مفضال

(٢)

٦٣٤ وابتذلتْ غضبى وأمِّ الذيالْ
وقُولَ لا أهلَ له ولا مالْ

٦٠٨ باكرنى بسحرة عواذلى ولومُهن خبَلٌ من الخبلْ

٢١٣ قد قلت يوما للغراب إذ حجلْ
عليك بالقُودِ المسانيف الأوَلْ

(٤)

٣٦١ يطرد الزُجَّ يبارى ظلَّه بأسيل كالسِنان المنتخَلْ
٣٥٦ وثديان كالحقين فى صدر صعدة تحيَّر فيها الحسنُ فاعتمَّ واعتدلْ
٤٤٥ يلمس الأحلاس فى منزله بيديه كاليهودىِّ المُصَلْ
٤٤٤ من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضَلْ
٥٨٦ جزى اللهُ عبسًا عبسَ آلِ بغيض جزاء الكلاب العاوياتِ وقد فعلْ
٤٤٥ وقبيل من لكيز حاضر رهط مرجوم ورهط ابنِ المُعَلْ
٦٤٦ كم ترى بالجرِّ من جمجمة وأكفٍّ قد أُتِرَّتْ وقُلَلْ
٩٣ بأجَشِّ الصوت يعبوب إذا طرق الحىَّ من الغزو صهَلْ

٢٠٩ يا عين بكى لى عامرا عند النهلْ
عند الرشاء والعشاء والعمَلْ

(٥)

٤٧٦ خَوْد أناة كالمهاة عطبولْ
كأنما ريقتها القرنفول

٦٠٠ لا عيش إلا عيشُ طِرَّادِ الخيلْ
هى الصبوح والغبوقُ والقيلْ

(٤)

٦١٤ أنا لها بعيرُها المذللْ
أحملها وحملتنى أكثر

٥٣٦ يابنى الصيداء رُدُّوا فرسى إنما يُفعَلُ هذا بالذليلْ

(٢)

٣٩١ وترى لها حَدَّ الفصال على الثرى رخما وما تحيا لهن فصا

٥٤٥ وليلةِ نحس يصطلى القوس رَبُّها ... وأقطعَه اللاتى بها يتنبَّلُ

(٢)

٦٥٢ حَدَثٌ ما جاءنا مصمئل ... جلَّ حتى دقَّ فيه الأجلُّ

٤٥١ عُلقتُها عرَضًا وعُلقتْ رجلا ... غيرى وعُلق أخرى غيرَها الرجلُ

٤٤٧ تسمع للحَلْىِ وسواسًا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عِشرقٌ زجلُ

٣٦٣ أولاك بنو عمرو إذا ما ذكرتهم ... بكيت بعين ماءُ عبرتها عجلُ

٤١١ غراء فرعاء مصقول عوارضها ... تمشى الهوينى كما يمشى الوجِى الوحِلُ

(٢)

٦٠٣ لعمرى لقد أنكرتُ نفسى ورابنى ... مع الشيب أبدالى التى أتبدلُ

(٨)

لمن زحلوفة زُلُّ

بها العينان تنهلُّ

(٤)

٥٩٣ وإنك لو لاقيت سعدَ بن مالك ... تعديت عن سعد وظهرُك أجزلُ

٥٤٧ فقالوا لنا ثنتان لابد منهما ... صدورُ رماح أشرِعت أو سلاسِلُ

٣٤٢ أتتنى من الريان أمسِ رسالةٌ ... وغدوًا يجىءُ ما يقول مواسِلُ

(٣)

٥٠٠ وقد يزيد سؤال المرء معرفةً ... ويستريح إلى الأخبار من يسَلُ

٥٣٨ سُحيرا وأعناق المطىّ كأنها ... مدافع ثعبانٍ أضرَّ بها الوصلُ

٤٦١ والقطر عن متنيه مرمعلٌّ

وهو إلى الأرطاة مستظلٌّ

(٥)

٣٥٦ ربَتْ وربا فى كرمها ابنُ مدينة ... مُكِبٌّ على مسحاته يتركلُ

٥٢٧ أوَقفت على طلل طربا ... فشجاكَ وأحزنكَ الطللُ

٥٠٥ كلانا عدو لو يرى فى عدوِّه ... مَحَزًا ، وكلٌّ فى العداوة مجمِلُ

٥٢١ وأشعثَ فى الدار ذى غربة ... يطيل الحفُوفَ ولا يَقهَلُ

٣٢٨ فى كعبة زانها بَانٍ ودلصَّها ... فيها ذبال يضىء الليلَ مفتولُ

(٣)

٧٠٢ أمِن أجلِ ما لا يُستطاع لقاؤه ... وما قد مضى يجرى لعينيك جدولُ

(٤)

٤٥٩ من للقوافى بعد كعب يحوكها   إذا ما ثوى كعب وفوَّز جروَلا
١١٧ أقيه بنفسى فى الحروب وأتقى   بهاديه إنى للخليل وَصُولا
١٦٠ إنى وإن قلَّ مالى لا يفارقنى   مثلُ النعامة فى أوصالِه طولا
(٢)

٣٥١ لأمٍّ الأرض ويل ما أجنَّتْ   بحيث أضر بالحسن السبيلا
٥٤٤ وكانت له رِبعيَّةٌ يعرفونها   إذا خضخضت ماءَ السماءِ القبَائِلا
(٢)

٢٤٥ إذ أشرف الديك يدعو بعضَ أسرتِه   إلى الصبوح وهم قوم معازيلا
٣٤٧ من اللاتى لُعِنَّ بكلِّ أرض   فليس لهن فى أرض مقيلا
(٢)

٣٥٤ ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً   بواد وحوالى إذخَرٌ وجليلا
٣٦٣ لعمرى لقد راعت أميمةَ طلعتى   وأن ثوائى عندها لقليلا
٦٢٩ ألم تسألى عنى إذا القوم أخبتوا   وشقق أفواهَ القرادِ المليلا
(٢)

٢٦٤ اسمع حديثا كما يوما تحدِّثُهُ   عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا*
(١٣)

٣٦٧ ثم نزلنا وعطلنا الرماح وجر   دنا سيوفا كساها القينُ دجالا
٥٢٤ ألم ترنى رددتُ على عَدِىّ   وقد خلعتْ هواديَها نعالا
(٢)

٦٧٣ إن العرارة والنبوح لدارم   والمستخف أخوهمُ الأثقالا
٤٠٠ اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا   فى رأس غمدان طنف منك محلالا*
٤٦٣ هلا سألتَ برامةَ الأطلالا   ولقد سألتُ فما أحَرْن سؤالا
٦٨٩ كذبتْك عينك أم رأيت بواسط   غلَسَ الظلام من الرباب خيالا
١٥٧ إذا ما الخيل ضيَّعها أناس   ربطناها فشاركت العيالا
(٢)

١٠٥ والشعر يستنزل الكريم كما اسـ   ـتنزل رعدُ السحابة السَّبَلا
٤٧٩ أنا ابن كلاب وابن قيس فمن يكن   قناعُهُ مغطيا فإنى مُجتَلَى
٣٩٥ يمسين عن قَسّ الأذى غوافلا

* يضاف إلى تخريجها ، أن البيت الخامس « وجاعل الشمس » والثانى عشر « فلاطها » فى ديوان أمية (حرف اللام ٤٨)

* وانظر ، مع ما فى تخريجها ، ديوان أمية (حرف اللام ٥١)

لا جعبـريـات ولا طـهـامِـلا

٣٩٨ يساقط عنه رَوْقُه ضاريـاتِها سقاط شرار القينْ أخولَ أخولا

٦٧٨ حتى إذا حُبست تُخيرَ خيرُهـا وثنى السُعاة شكيرَهـا المنخولا

٥٩٢ ولا أتيتُ أبـا خُبَيبٍ راغبـا يـومـا أريـد لبيعتى تبـديـلا

٣١٠ لله درُّكَ أى معـبر قـفـرة لا يوحش ابن البيضة الإجفيلا

٦١٥ فإن كان لابد إحدى اثنتين فسيروا إلى الموت سيرا جميلا*

٥٩٩ إن يعـاقب يكن غرامـا وإن يعط جزيلا فـإنه لا يبـالى

٦٤٨ وكنا إذا ما الضيف حلَّ بيوتَنا سفكنا دماء البُدنِ فى تربة الحالِ

٥٦٥ سموت إليها بعدما نام أهلُها سمو حبابِ الماء حالا على حالِ

(٤)

٥٩٦ مـالـكٌ وابنُ زيـد يجيئـان بـالمُحَـالِ

٣٥٧ ونشـرة تهـزأ بـالـنصـالِ

كـأنها مـن خِلع الهـلالِ

٣٥٨ فما خليج من المروتِ ذو حَدَب يرمى الضريرَ بخُشْبِ الأثلِ والضالِ

٦٦٣ ماذا رُزينا به من حية ذكَر نضناضة فى الرذايا صِلٍّ أصلالِ

٦٩٤ تذكرت ليلى لاتَ حينَ ادِّكارِها وقد حُنِىَ الأصلاب ضلٌّ بتضلال

٥٨٥ ألا يا اَصبحانى قبل غارة سنجال وقبل منايـا نازلات وأشغـال

٥٨٥ عتب ما للخيال خبـريـنى ومـالى

(٢)

٣٧٣ يـا سليمانُ إن تـلاق الثريـا تلقَ عيشَ الخلودِ قبـل الهلالِ

(٢)

١٤٣ لا مـال إلا العـطافُ تؤزره أُمٌّ ثمـانـين وابنـة الجـبـلِ

(٤)

٥٨١ وكل فتى فى الناس بعد ابن أمِّه كذاهبة إحدى يديه من الخبْلِ

٣٨٦ يـا زيـدُ زيـدَ اليعمـلات الـذُبَّـلِ

تـطاول الـليـلُ عـليـك فـانـزلِ

٦٦٥ ألا هـلَ أتى رسـولَ الله أنى حميتُ صحابتى بصـدور نَبْـلِ

٦٦٨ نغدو فنترك فى المزاحف مَن ثوى ونُمِرُّ فى العَرَقات من لم يُقتَلِ

---

* فى (عيون الأخبار ١٩١/١) ولم ينسبه : فإن كان لابد من واحدٍ تمثل به زيد بن على ، الإمام ، يوم قتل .

٤٣٣ يــا تَمــلِكُ يــا تَمْــلِ ذواتِ الـطـوق والحِـجْـلِ

(٨)

٣٥٢ إذا أفـزعوا أَمَّ الصبيين طيـروا عفـارىَ عنها ضـافةً لم تُـرجَّـل
٤٨١ ألا رُب يـوم صالـح لَك منهـا ولا سيـا يـوم بـدارة جلجـلِ
١٢٤ ضمنتْ لهم أرمـاقَـهم إسـآدُهـا وجـرومُـهـا كـأهِلَّةِ الـنحـلِ

(٢)

٤٨٩ ضـوارب بـالأيـدى وراء بـراغـز صغـار كـآرام الصـريم الخـواذلِ
٥٦٨ ما قلتُ يومَ الدارِ للقوم حاجزوا عن الموت واستبقوا الحياةَ على الذلّ

(٢)

١٥٣ وما ضَرَبٌ بيضـاء يأوى مليكهُـا إلى طُنُف أعيـا بِـراقٍ ونـازلِ

(٨)

٤٤٦ بكــرت تخوفنى الحتــوفَ كـأننى أصبحت من غرض الحتوف بمعزلِ

(٣)

١٦٥ وماء كأن الـطحلب الجون لـونه طروقا على أرجائه ثائـر الغسل

(٥)

٤٤٧ كـدأبك من أم الحـويرث قبلهـا وجـارتهـا أم الـربـاب بمـأسَلِ

٤٧٨ مـهـرَ أبى الحبـحـاب لا تُشَـلى
بــارك فـيــكَ اللهُ مـن ذى ألّ*

(٥)

٤٢٢ أزهـيرَ إن يَشب القـذال فـإننى رُبَ هيضـل لَجِبٍ لففتُ بهيضـل
٣٤٥ مستـأسـد ذبَّـانُـه فى غيــطلِ
يـقــول للرائــد أعـشبتَ انــزلِ
٢١٠ لــو أن سلمى شهـدت مـطلى تمـتــح أو تــدلــج أو تُـعَــلِّ
إذاً لــراحــتْ غــيرَ ذاتِ دَلِّ
٤٦٠ فـاليـوم أشــربْ غـيرَ مستحقب إثـمًـا مــن الله ولا واغــلِ
٤٨٢ إذا قـامتا تضـوع المسك منهـا نسيمَ الصبا جاءت بريًّا القرنفلِ
٤٤٨ دعـوتُ عـديـا والمهـامـهُ بيننا ألا يا عديا ياعدى بن نوفـلِ
٥٤٠ قـوم إذا نـبت الـربـيـع لهم نـبتـت عـداوتُهم مـع البـقـلِ
٦٥٦ تصف السيوف وغيركم يعصَى بها يا ابنَ القيونِ وذاك فعلُ الصيقلِ

* انظر فيه أيضا (إصلاح المنطق ١ / ٣٠)

٦٥٩ لـو أنـى أوتيـتُ عِلمَ الحُـكْـلِ
علمَ سليمان كلامَ النمل
(٥)

٢٦١ حملتْ به فى ليلة مزءودة كَرْهًا وعَقدُ نطاقها لم يُحلَلِ
٤٣٩ أتبعتُه إياها فى السهلِ حتى إذا ما زنأا فى الجبلِ
أزنأتُه فيه ولما أبلِ
٥٩٢ حيث التقت فهم وبكر كلها والدمُ يجرى بينهم كالجدوَلِ
٥٦٠ وحتى يئوب القارظان كلاهما ويُنشَرَ فى القتلى كليبٌ لوائل
٤٧٣ فرِشْنى بخير لا أكونَنْ ومدحتى كناحتِ يوما صخرةً بعَسِيلِ
٣٧٤ بنى ربِّ الجوادِ فلا تَفِيلوا فما أنتم فنعذرَكمْ لِفِيلِ
٥٢٦ ظعائن أبرقن الخريفَ وشِمنَه وخِفْنَ الهمامَ أن تُقادَ قنابلُه
(٢)

٤٣٨ وإنى لأرجو وإن كنت نائيًا رجاء ربيع أنبت البقلَ وابلُه
(٢)

٥٧٠ صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعُرِّىَ أفراسُ الصبا ورواحلُه
(٢)

٤٤١ فقلت للسائسِ خذْه واعزِلُهْ
واغدُ لَعَنّا فى الرهان نرسلُهْ
١٢٥ إن السعيدَ مَن يموت جمَلُهْ
يأكل لحمًا ويَقِلُّ عمَلُهْ
٥٤٨ مالَكِ من شيخكِ إلا عملُهْ
إلا رسيمُه وإلا رَمَلُهْ
٣٤٠ تغتال عرض النقبة المُزالَهْ
ولم تَبَطّنْها على غلالَهْ
(٦)

٦١٤ أحملُ أُمّى وهى الحَمّالَهْ
ترضعنى الدرة والعلالَهْ
أنا لها بعيرها المذلل
أحملها وتحملنى أكثر
(٤)

٤٣١ يا تيمُ كوني جَدِلَهْ
أغنى امرؤ ما قَبِلَهْ
(٤)

٤٦٨ فلم أر مثلَها خُباسةَ واحدٍ ونهنهت نفسى بعدما كدت أفعلَهْ
٥٥٩ أأظعانُ هند تلكُمُ المتحمَّلهْ لتحزن قلبى خِلَّتى المتدلِّلَهْ
(٥)

٢٥٤ أستغفر اللهَ لذنبى كله
قتلت إنسانا بغير حِلِّه
(٤)

٣٨٧ ألا تقبل المعروف منى تعاورتْ منولةُ أسيافًا عليك ظلالُها
(٢)

٣١٣ وإنى كما قالت نوار أنِ اجتلت على رجل ما شدَّ كفى خليلُها
(٢)

١٤٥ وبيضاء لا تنحاشُ منا وأمها إذا ما رأتنا زِيلَ منا زُويلُها
(٢)

٤٣٧ فلا ديمة ودقت وَدقَها ولا أرض أبقل إبقالَها
٦٦٦ حتى إذا ما رَضِىَ من كمالِها
ركبَّها النقانصُ فى مرجالِها

* * *

٥٩١ متى تدعُهم لِلقاء الصبا ح تأتِكَ خيل لهم غيرُ جُم*
٥٩٢ ترانا إذا أضمرَتكَ البلاد نجفَى وتُقطَعُ منا الرحِمْ
٦٨٧ سَر وبَرَّ وجادَ وعاد وراضَ وعاضَ ومَنَّ وأنعَمْ
٦١٨ يأتى الشباب بالأقورينَ ولا تَغبِطْ أخاك أنْ يقال حَكَمْ
٢٠٨ نادِ حميدًا ياخليلى لا تَنَمْ
على عبَنقى دافعتْ عنه الغنم
(٤)

٤٢٢ ياأيها المضمِرُ هَمًّا لا تُهَمْ
إنكِ إن تُقدر لك الحمىَّ تُحَمْ

* اختلفت المعاجم فى ضبط : جمّ ، فى (ص) بسكون الميم مشددة وفى (ل ، ت) بكسرها منونة مشددة / مادة ج م م
والجُمُّ جمع أجمّ : الفرس تُرك فلم يركب فعفا من تعبه .

٤٦٥ مالكَ لا تنبحُ يا كلب الدومْ بعد هدوء الحىّ أصوات القومْ
قد كنت نباحا فما لك اليوم

٢٧٣ طال الثواء بمأرب ومكثتُ فيها غيرَ رائمْ
(٩)

٥٤٣ لابنة عجلان فى الجوّ رسومْ قد تعفَّين والعهدُ قديمْ
(٣)

٢٥٣ فى كل يوم لها مقطرة فيها كباء مُعَدٌّ وحميمْ
(٢)

٥٩٥ إن كن أثوابى خلقـ ـنَ فإنهن على كريم

٢٤٠ يا أيها الناس اتقوا ربكم زلزلة الساعة شىء عظيمْ

٢٨١ أصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشامُ
٧٠٧ وعصابة شعث الرءوس كأنهم جِنٌّ لدى باب الحصير قيامُ
٣٦٦ موكَّلٌ بشدوف الصوم يرقبُها من المغارب مخطوفُ الحشا زَرِمُ
٦٠٣ ونائحةٍ صوتُها رائعُ بعثتُ إذا ارتفع المرزمُ
(٣)

٣٦٨ إن الذى بين الحمائر والسفا بالسىّ حيث يخطّ فيه الظالمِ
٦٠٥ وأعطى أبو زيد يمينى سلاحَه وحَدُّ سلاحِ الدهر فى الصخر كالمِ
(٢)

٤٢٠ تحلل وعالج ذاتَ نفسك وانظرَنْ أبا جُعَلٍ لعلَّها أنت حالمُ
٤٨٨ إن ابن حارث إن أشتق لرؤيته أو أمتدحه فإن الناس قد علِموا
٣٦١ سمَّيتَ نفسَك فيها سلهبًا صمما وكان غيرَك فيها السلهبُ الصَمَمُ
٢٩٢ شربت بقيراط وروّيت صحبتى ورُحتُ ولى عند التجارِ دراهمُ
٥٤٧ أيا رَبِّ إن القر أصبح مؤذيا وإنى لسَبروتٌ ومالىَ درهمُ
(٢)

٤٥١ ألَن ترسمَّتَ من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابة من عينيك مسجومُ
٤٤٤ أبيضَ أبرزه للضِحِّ راقبُه مُقَلَّدٌ بسبَا الكتانِ مفدومُ
٤٤٩ فرهنتُ اليدَين عنهم جميعا كلُّ كفٍّ لها جُزٌّ مفصومُ
٣٩٨ كأننى من هوى خرقاءَ مُطَّرفٌ دامى الأظَلِّ بعيد الشأو مهيوم
(٢)

٢٩٠ قف بالديار التى لم يعفها قِدَمُ   بلى وغيَّرها الأرواحُ والديَمُ
١٢٣ وقد أصاحِبُ أقواما طعامُهُمُ   خُضرُ المَزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ
٥٦١ ألا قالت بَهان ولم تَأَبَّقْ   كبِرتَ ولا يليط بك النعيمُ
(٤)

٩٢ ردى رِدى وردَ قطاة صمَّا
كُدْرِيَّة أعجبها بردُ الما
٤٩٧ لا تقربَنَّ الشام إن الشأما
كانت لدُرَّاءِ العراقِ وَخَما
٢٩٤ رأى برقا فأوضع فوق بَكْر   فلا بِكَ ما أسال ولا أغاما
١٣٨ ولا علجانِ ينتابان روضا   نضيرًا نبتُه عُمًّا تؤامَا
(١١)

٦٠٣ أرى شعرات على حاجِبىَّ م بِيضًا نَبَتْنُ جميعا تؤاما
(٣)

٦٨٥ فأما تميمٌ تميمُ بن مُرٍّ   فألفاهمُ القومُ رَوْبَى نياما
١٤٢ بإسبيلَ ألقتْ به أمه   على رأس ذى شُرُف أقتما
(٩)

٦٥٣ شأمتم بها حَيَّى بغيض وأغربتْ   أباكَ فأودى حين والى الأعاجما
٦١٦ تسألنى برامتين شلجما
لو أنها تطلب شَيئًا أمَمَا
٥٩٩ أحارثَ إنا لو تُساط دماؤنا   تزايَلْنَ حتى لا يمس دمٌ دمَا
٣٠٩ أأنْ كنتَ ذا بُردين أحوى مُرَجَّلًا   فلستَ براعٍ لابنِ عمِك مَحرَما
(٤)

٥٨٩ أنت خير من ركب المطَايا   وأكرمهم أبا وأخا وعما
٦٣١ فأصبحت بعدَ خطَّ بهجتها   كأن خطا رسومَها قلَما
٦٣٧ فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى   مَساغًا لنابيه الشجاعُ لصمما*
٦٢٤ وليست من اللائى يكون حديثها   أمام بيوت الحىّ: إن وإغما
(٢)

١٠٧ ارفع ضعيفَك لا يَحُرْ بِكَ ضعفُه   يوما فتدركَه الحوادثُ قد نَمَى
(٢)

---

* يضاف (مؤتلف الآمدى ٧١) إلى تخريج بيت المتلمس ، جرير بن عبد المسيح

٤٩٨ مَن بينَّ الأخوينِ كالغصـ ـنين أم مَن رَاهُما
١٤٥ وبيضاءَ من سوداء قد صِدتُ صاحبى ولادةَ صِعْونَّين خُمْش شوَاهما
٢٤٠ أرأيت الذى يكذب بالديـ ـن فذاك الذَى يَدُعُّ اليتيما
٤٣٤ تركنا بنى أسماء منهم مُحَلَّما ومُرَّةَ يحبو وابن ضُمرةَ جِذْيما
(٢)
٣٥٥ لولا بنو عوفِ بن بهثةَ أصبحتْ بالجَرِّ أمُّ بنى أبيكَ عقيما
٤٩٠ يا هِيًّا يا هيًّا يا هيما بِتْنَ مُناخات وبتنا نُيَّمَا
ولو سَرَوا يا مَىّ كان أحزما
وكانوا قومنا فبغَوا علينا فسُقناهم إلى البلد الشآم
٤٩٧ إن المدينة لا مدينةَ فالزمى نعفَ الستارِ وقُنَّةَ الأوجامِ
(٢)
٢٥٢ من كلِّ ناعمة غضيض طَرْفُها بلهاءَ غيرِ وشيكةِ الإقدامِ
٦٠٦ رمتْنى بناتُ الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمَى وليس بِرَامِ
(٤)
٤٩٤ إن كنتَ من أهل الحجاز فلاتَلِجْ أو كنتَ نجديا فلِجْ بسلامِ
(٣)
٥٦٥ ترى قضُبَ الأراك وهن خُضْرٌ يَمْحَنَ بها وعيدَانَ البشام
٥٦٥ رمتنى بالثمانين الليالى وسهم الدهر أقتل سهم رام
(١٠)
٤٠٤ فيارَبِّ لا تجعلْ شبابى وجِدتى لشيخ يُعنينى ولا لغلام
(٢)
٣٤٠ وهل عاينتَ من أخوين داما على الأيام إلا ابنى شمامِ
٤٧٦ لو أن عندى مائتى درهامِ
لابتعتُ دارًا فى بنى حرامِ
(٤)
٦٩٨ ومَن لايَذُدْ عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايتق الشتمَ يُشتَمِ
٤٧٤ وإنى لأطوى الكشحَ من دونِ ماانطوى وأقطع بالخرقِ الهبوعِ المراجِمِ
١٤٢ تاالله يبقى على الأيام ذو حَيَدٍ أدْفَى صلودٌ من الأوعال ذو خدمِ
(٨)

٤٠٣ آلآنَ لما ابيض مسربتى وعضضتُ من نابى على جذمِ
(٢)

٤٢٣ فإن حراما أن أُسب مُقاعِسًا بآبائى الشُمِّ الكرام الخضارمِ
(٢)

٦٣٩ ونيرب من موالى السوء ذى رحم يقتات لحمى ولا يشفيه من قرمِ
٤٨٨ وداع دعاه البغى والحَينُ كاسِمِه ولِلحَينِ أحداث تَصُدُّ عن الحزم
(٨)

٤٢١ ماوىَّ يا رُبَّةَ مبا غارة شعواءَ كاللذعة بالميسمِ
٤٠١ بركتْ على جنب الرداع كأنما بركت على قصب أجشَّ مهضَّمِ
٤٠٢ أنَحى صبىَّ السيف فوق بيوتهم كرَّ المُعيِّثِ فى أديم الملطمِ
٦٨١ قد حقن الله بكفَّيْكَ دمى من بعد ما ذب لسانى وفمى
٧٠١ لَعمركَ إن الخمر ما دمت شاربًا لمذهبةٌ مالى ومنسيتى حِلمى
(٢)

٦٩٧ ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
٥١٧ يا دارَ سَلْمَى اسلمى ثم اسلمى
عن سَمسَم وعن يمين سمسمِ
٣٦٩ خليلى إن الدار غُفْرٌ لذى الهوى كما يُغفر المحموم أوصاحبُ الكلْمِ*
٣٤٥ وخلا الذبابُ بها فليس ببارح غَرِدًا كفعلِ الشارب المترنم
(٢)

٧٠٤ ألا للهِ قومٌ وَلدتْ أختُ بنى سهمِ*
(٩)

٣٨٤ تعرضى مدارجا وسومى تعرضَ الجوزاء للنجومِ
هذا أبو القاسم فاستقيمى
٣٤٣ ظِللنا بُستَنّ الحرور كأننا لدى فرس مستقبل الريح صائم
(٢)

٦٣٧ بصرعِنا النعمانَ يوم تألَّبتْ علينا جموعٌ من شظى وصميمِ
(٢)

---

* وقابل أيضا على رواية ابن سلام لأبيات ابن الزبعرى فى ريطة السهمية (الطبقات ٥٩ ليدن) وابن حبيب فى (المحبر ٤٥٧) .

* وانظر أيضا بيت المرار الفقعسى فى (مجالس ثعلب ٩٩ ، والأضداد لابن الأنبارى ١٣٣) .

٤٤١ حـابسِى ربعٌ وقفت بـه لـو أطيع النفس لم أرِمْهْ
٤٧٦ أشجـاكَ الـربـعُ أم قِدَمُـه أم رمـادٌ دارسٌ حُمَمُـه
٤٧٦ تـذكـرون إذ نُـقـتِّـلكمْ لا يضـر مُعدِما عـدَمُـه
٤٥٢ يـالهـا نـفـسـا يـالهـا أنى لهـا الطعم والسـلامـه

(٤)

٦٧٩ عـيـوا بـأمـرهـم كـما عيت ببيضتهـا الحمـامـه
٤٦٩ لـيس لـواحـدٍ عـلىَّ نـعـمَـهْ
لا ولا اثـنـين ولا أهمَّـه
١٠٥ لمْ تـدعـى الأمـرَ لِمَـه
ووكِـلَ بـلاءٌ بـالـكـلمـهْ
٤٢٧ يـا أسدى لم أكلتـه لِـمَـه لـو خافـكَ الله عليه حرَّمه
فـما أكـلتَ لحـمَـه ولا دَمَـهْ
٤٨٥ ذاك خـلـيـلى وذو يـنـاصـحنى يرمى ورائى بامسهمِ وامْسلمَه
٥٥٦ ومن يبتدعْ خِيما سوى خيمِ نفسِه يدعْه ويغلبه على النفس خيمُها
٩٥٤ فما ضربٌ بيضاء يسقى دبوبَها دفاقٌ فعروانُ الكُراثِ فضِيمُها

(٩)

٤٧٣ لـما رأتْ ساتيدما استعبرتْ للهِ در الـيـومَ مَن لامَـهـا

* * *

٤٢٦ قـد صـرحتْ بجِـلْدانْ إلـيـهـا أم ذبـانْ
ضـربـا كـإيـزاع الـضـان
٤٥٠ وأشـرب بـالـريف حتى يقال قد طال بالريف ما قد رَجَنْ
٤٦٢ أسبِلْنَ أذيـالَ الحِقِىِّ واربَعْنْ مشى حَيِيَّات كأنْ لم يفـزعن
إن يُـمنـعِ الـيـومَ نـسـاء تمنَـعْـن
٤٥٠ لعمرك ما طولُ هذا الـزمَنْ عـلى المرء إلا عنـاءٌ مُعَن
٤٥٠ ومن شـانئٌ كـاسف وجهـهُ إذا مـا انتسبت لـه أنكـرَنْ
٤٦٥ يـا رُبَّ من يبغض أذوادَنـا رُحْن عـلى بغضائـه واغتـدِيْن

(٢)

٤٢٢ يـديـر النهـار بحشـرٍ لـه كـما عـالـج الغفـةَ الضيـوَنُ
٧٠٤ وإن على السماوة من عُقَيـل فتىً كلتـا يـديـه لـه يمـين
٤١١ يا أم عمرو جزاك الله مغفرة رُدّى علىّ فؤادى كالذى كانا

٤٧٣ يا رُب غابطِنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا
٣٥٢ تركنا بالنواصف من حُسَيْن نساءَ الحيِّ يلقطن الجُمانا
٦٣٨ إن لسلمى عندنا ديوانا أخِّرْ فلانا وابنَه فلانا
(٦)
١٩٢ إن الدنيا قد أغوتْنا واستغوتْنا واستهوتْنا
(٩)
٣٠٣ وخُضْنا بالقُراتِ إلى تميم وقد ظنت بنا مضر الظنونا
٥٢٧ إذا الجوزاء أردفت الثريا فظُن بآلِ فاطمةَ الظنونا
٢١٠ قامت تُريكَ بَشَرًا مكنونا
قد علمتْ إن لم أجد معينا
(٦)
٣٨٥ لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
(٤)
٢٥٥ وما إن طِبُّنا جبنٌ ولكنْ منايانا ودولةُ آخرينا
٦١٨ وكأس قد شربت ببعلِ بَكٍّ وأخرى قد شربت بقاصرينا
٣٩١ إذا سعدانة الجبلين ناحت عزاهلها سمعت لها عرينا
٦١٨ ومن يطع النساء يلاقِ منها إذا أغمزن فيه الأقورينا
٣٥١ نكفيه إن نحن متنا أن يُسَبَّ بنا وهوْ إذا ذُكِرَ الأبناءُ يكفينا
٥٨٩ أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
٥٥٣ ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا
١٦٣ فرُمنا القصاص وكان التقاص فرضا وحتما على المسلمينا
٤٦٤ لعَمرك ما أخزى إذا مانسبتنى إذا لم تقل بُطْلًا علىَّ ولا مينا
٤١٠ تصد الكأسَ عنا أم عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمينا
٥٩٣ إنى من القوم الذين إذا فارقهم جاراتُهم أثنيْنا
(٢)
٥٣١ بقاع من فَسَا ذَفِرِ الخزامى تهادَى الجربياءُ به الحنينا
٦١٨ قد وردتْ إلا الدهَيدهينا إلا ثلاثين وأربعينا
فُلَيِّصات وأُبَيكرينا

١٤٤ فما بيضاتُ ذى لِبَدٍ هِجَفٍّ ... سُقِين بزاجل حتى روينا

(٢)

٦٢٩ فإنْ أمس مكروبًا فيارُبَّ بَهمة ... كشفتُ إذا ماسودَّ وجهُ الجبانِ

(٢)

٧٠٣ وأطلسَ عسَّالٍ وماكان صاحبا ... دعوتُ لِنارى موهنًا فأتانى

(٦)

٤٠٦ فلا فَتْكَ إلا فخرُ عمرو ورهطِه ... بما أخذوا من معضد ودَدَانِ

٦٣٠ فإن أمسِ مكروبًا فيارُب قينة ... منعَّمة أعملتُها بكِرانِ

٣٧٢ وأىُّ الناسِ أغدرُ من شآم ... له صردانِ منطلقِ اللسانِ

٤٢٩ أصبحتُ فَنًّا لراعى الضأن أعجبه ... ماذا يَريبُكَ مِنى راعِىَ الضانِ

٤٩٨ بان الحمولُ فما شأْونك نقرةً ... ولقد أراكَ تُشاءُ بالأظعانِ

٥٦٤ جارِيتَ مُطَّلَعَ الرِهان عشيةً ... روقا شبيبتُه وعمرُكَ فانِ

٤٨٠ فبِتُّ لدى البيت العتيقِ أخيله ... ومِطواىَ مشتاقان لهْ أرِقانِ

٣٧٧ وندمان يزيد الكأسَ طيبا ... سقيتُ الجاشريَّةَ أو سقانى

(٢)

٣٣٩ أيا جبلى بطنِ العدانِ هل انتما ... إن احتمل الألَّافُ محتملانِ

(٥)

٥٨٨ إنى من قضاعة مَن يَكِرْها ... أكِرْهُ وهى منى فى أمانِ

٥٠٥ وإن زمانًا أيها البَكرُ ضمنى ... وإياكَ فى كلب لَشرُّ زمانِ

٤٩٤ فيشرب منه جَحْوَشٌ ويشيمه ... بعينى قطامِىّ أغرُّ يمانِ

٤٦٧ ألا رُبَّ مولود وليس له أبٌ ... وذى ولَدٍ لم يَلْدِه أبوانِ

٥٦٣ لقد جارَى أبو ليلى بِقحم ... ومُنتكث عن التقريبِ وانِ

٥٢٤ غشيتُ منازلا بعُريتنات ... فأعلى الجزع للحىِّ المُبِنِّ

٤٢٨ خليلىَّ عوجا من صدور الكوادن ... نصيبُ قليلا من ثريدِ الحواقنِ

(٢)

٤٣٤ فأيقن أكدرُ إذ صاروا ثمانيةً ... أن قد تفرَّد أهلُ البيت بالثُّمنِ

٦٣٦ وما أروى وإن كرُمَتْ علينا ... بأدنى من مُوَقَّفة حَرونِ

(٢)

٣٢٥ جزاكِ اللهُ يا جيداءُ شرًّا ... لِبذلةِ أهل بيتٍ أو لِصَوْنِ

(٢)

٣٠١ ألا مَن يشترى سهرًا بنومٍ سعيدٌ من يبيت قريرَ عينِ
٢٠٨ كأن قذاف ما تنفى يداها قِذاف غريبة بيدى معين
٥٩٦ لو كان أبو بشر أميرا ما رضيناه
٤٧٧ إنى سمعت بلَيلٍ نحو الرصافة رنّه

(٤)

إن الحماة أولعت بالكِنّهْ
وأولعت كنَّتُها بالظنه

١٨٣ أما الحرام فالممات دونه والحل لا حلَّ فأستبينهْ
فكيف بالأمر الذى تبغينه
٦٣٨ أصبح زينٌ خفش العينينَه يحلف لا يرضى بنعجتينه
يا ليته يرضى بدرهمينه
٥٤٤ لما رأى برقا يضىء وميضُه منازلَ من أسماء كانت تكونها

(٢)

٢٦٢ لا عيب فيها غيرُ زرقة عينها كذاك ملوكُ الطير زرق عيونها
٥٣٧ أبا بكر لقد جاء ك من يحيى بن منصو
رِ الكأسُ فخذُها منـ ـه صرفا غير ممزو
جة جنبك الله أبا بكر من السوّ
٣٩٤ لا تقلواها وادلواها دلوا
إن مع اليوم أخاه غدوا
٦١٣ يا قوم كم أجذبها من علوٍ من لى بمن يريحنى من دلوى
قد برحتْ بى وأطاحت شلوى

* * *

٥٦٠ يُنقَضُ منى كلَّ يوم شىٌّ
وأنا فى ذاك صحيح حَىّ
٦٥٥ أطربا وأنت قنسرىُّ
والدهر بالمرء دوارىُّ

(٢)

٦٤٧ مَن مُبلغٌ عُصَيًّا بأنى عن فُتاحتكم غنىُّ

(٢)

٦٩٦ إن أبا نخلة من هجائيا كحاطب فى حبله الأفاعيا

يُهدى من العَيِّ لى القوافيا

٦٦٧ بِىَ اليأسُ أم داء الهيام أصابنى   فإياكَ عنى لا يكنْ بك ما بيا

٢٧٤ وما ضرنى أن كانت أمِّى وليدةً   تصر وتبرى لِلِقاحِ التواديا

٤٧٠ يا ليت أنى لم أكن كريًّا

ولم أسُقْ بشعفرَ المطيا

(٤)

٤٨٤ فما بيضة بات الظليم يَحُفها   ويرفع عنها جؤجؤًا متجافيا

(٤)

٥٦١ لبستُ أبى حتى تمليت غيره   وأبليت أعمامى وأبليت خاليا

(٤)

١٨٦ لقد طُفتُ سبعا قلت لما قضيتُها   ألا ليت حَجِّى لا علىَّ ولا ليا

٤٣٦ فلو كان عبد الله مولى هجوته   ولكن عبد الله مولى مواليا

٦٦٢ ولو أن واش باليمامة أرضُه   وكنتَ بأعلى حضرموت استرى ليا

٤٣٦ قد عجبتْ منى ومن يُعَيْليا

لما رأتْنى خَلَقًا مقلوليا

(٥)

٥٧١ وما أعجبتنى حُلة فوق خارب   رأى الله حظى غيرَها فكسانيا

(٢)

٢٠٤ كلانا غنى عن أخيه حياته   ونحن إذا متنا أشد تغانيا

١٤٨ بَشِّرْ يرابيع الملا وضبابَها   أن قد غدا حَمَلُ بن ثورٍ ثاويا

(٢)

٥٦١ وَرَاهُنَّ ربى مثلَ ماقد وَرَيْننى   وأحْمَى على أكبادهن المكاويا

٤٩٨ ومَن رَا مثلَ معدانَ بنِ ليلى   إذا ما النسعُ جال على المطِيَّه

٤٠٦ ثم غدتْ تنفض أحرادَها   إنْ مَتَغَنَّاةً وإن راعيه

٦٩٤ مهما لىَ الليلةَ مهما لِيَه   أودى بنعلى وسرباليَه

(٣)

٥٦٦ ألَلَيَّه   ألَلَيَّه

ما جنى الوفد عليَّه

٥٩٤ أما القطاة فإنى سوف أنعتها   نعتا يوافق نعتى بعض ما فيها

(٢)

أشطر الأبيات والأراجيز

– التكملة بين الأقواس، لم ترد فى النص –

(وهل تطيق وداعا أيها الرجلُ)	
(والساحباتِ ذيولَ الخزِ آونةً	٣٦٣
والرافلات) على أعجازها العجَلُ	
إن بالشعب الذى دون سلع	٥١١ ، ٥٢٣ ،
(لقتيلا دمُه ما يطل)	٦٨٩
إنا مُحَيَوكَ فاسلم أيها الطللُ	٥٢٣
(وكل أناس سوف تدخل بينهم)	٥٦٠
دويهية تصفرّ منها الأناملُ	
بانت سعاد فقلبى اليوم متبولُ	٥٧٨
* ما بال دَفَّكَ بالفراش مذيلا *	٣٧٠
ألا انعم صباحًا أيها الطلل البالى	٥٨٤
(وهل يعمن من كان فى العصر الخالى)	
عتبُ ما للخيال	٥٨٦
(خيرينى ومالى)	
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	٥١٥
(بسقط اللوى بين الدخول فحومل)	
وكأن دماء الهاديات بنحره	٤٧٥
(عصارة حناء يشيب مُرَجَّل)	
وكأن ذُرَى رأسِ المجيمر غدوةً	
(من السيل والغثاء فَلكةُ مغزلِ)	
(قد طُويتْ بطونها طيَّ الأدم)	٣٥١
إذا قطعن علما بدا علمْ	
عِشِ ابقَ اسم سُدْ (قدْ جُدِ	٦١٢
مُرِ انهَ رِ فِ اسرِ نَلِ)	
(فإن أهجهُ يضجرْ كما ضَجْرَ بازلٌ	٤٨٦
من الأدمِ) دَبْرَتْ صفحتاه وكاهلُهُ	
(كأنهم آسادُ حلية أصبحت*	
خوادر) تحمى الخل ممن دنا لها *	٣٥٨

* من إصلاح المنطق لابن السكيت ١ / ٩

* من إصلاح المنطق ١ / ٧
* الشاهد فى الأصلين لكعب بن زهير ، قابل على ديوان زهير (٣٤٧) ط دار الكتب

(٩) فهرس موضوعى

الصفحة

* * *

(المشهد الثانى)

الصفحة

* * *

(المشهد الثالث)

الصفحة

* * *

فهارس الصاهل والشاحج

رقم الإيداع		١٩٨٤ / ٤٩٩٤
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-٠٩٩٧-X	ISBN

١ / ٨٢ / ٢٣٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)